



مجلة احياء التراث العلمي العربي
العدد الخاص بوقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي)
لتاريخ العلوم عند العرب

**The third international scientific conference
On History of sciences for the Arabs**

العراق - بغداد

١-٢ كانون الأول ٢٠٢٠

وقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث لتاريخ العلوم عند العرب

الجهة المنظمة

مركز احياء التراث العلمي العربي

جامعة بغداد

مجلة التراث العلمي العربي

فصلية . علمية . محكمة

عدد خاص بوقائع المؤتمر

م ٢٠٢٠

العنوان: جامعة بغداد - الجادرية ص.ب ٤٧٠٥١ -

مركز احياء التراث العلمي العربي

هاتف المجلة: ٠٠٩٦٤-٧٨٠٧٨١٤١٠١

البريد الإلكتروني: cerevarabian_m@yahoo.com

a.s.heritagejournal@rashc.uobaghdad.edu.iq

الإشراف اللغوي

م.م. بيداء عبد الحسن ردام

صبا فرات جاسم

الإشراف الفني

آمال هاتف عبد علي

هيئة التحرير

أ.نبيلة عبدالمنعم داود

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. ناجي عباس التكريتي

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. مجيد مخلف طراد

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. علي حداد حسين

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. فاطمة زبار عنيزان

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. أنس عصام اسماعيل

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. سعدي إبراهيم إسماعيل

جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. أيمن نفاذي احمد عبدالله

جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

أ.د. عبدالجليل كاظم الوالي

جامعة الامارات

أ.د. فيصل عبدالسلام الحفيان

مدير معهد المخطوطات العربية - جمهورية مصر

العربية

أ.د. رسول جعفریان

أستاذ التاريخ الاسلامي - جامعة قم - جمهورية إيران الاسلامية



رئيس التحرير

أ.م.د. إيمان صالح مهدي

مدير التحرير

أ.م.د. وسن حسين محييد

Arab scientific heritage journal

**Quarterly, scientific,
arbitration
2020**

Address: University of Baghdad Al- Jadriyah- Box: 47051

Center Revival of Arab Scientific Heritage

Mobile: 00964-7807814101

E-mail: Cerevarabian_m@yahoo.com

a.s.heritagejournal@rashc.uobaghdad.edu.iq

Language supervision

Assistant teacher

Baidaa Abdul Hassan

&

Saba Furat Al-Mudaber

Technical supervision

Amal Hatif Abd Ali

Edit in chief

Assistant Professor

Dr.Iman Salih Mahdi Al Khudairi

Managing editor

Assistant Professor

Dr.Wasan Hussain Muhaimed

Editorial board

prof.Nabila A.Munaam Dawood

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Naji Abbas Al-tikriti

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Majeed M.Trad

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Ali H. Hussein

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Fatima Z. Enizan

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Anas Esam Ismaiel

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Saadi Ibrahim Ismaiel

University of Baghdad

Center of Revival of Arabian Scientific Heritage

prof.Dr.Ayman Nafadi Ahmad

Abdullah

chemistry department-college of science -university
of king Saud- kingdom of Arabic Saudia

prof.Dr.Abduljalil k. Al-wali

Emirates university-united Arab of Emirates

Dr.Faisal Abdulsalam Al-Hafyan

manager of Arabic manuscript institute/Arabic Egypt
republic

Prof.Dr.Rasoul Jafarian

History, Qom Theological Seminary, Iran



كلمة رئيس المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدات والسادة الحضور الكرام

في اطلالة الصباح هذا اليوم الجميل ، الاول من كانون الاول من عام ٢٠٢٠ ، لا يسعني الا ان اقدم سروري البالغ وفرحتي الغامرة وتشرفنا بحضوركم معنا في هذا المؤتمر ومن دواعي سرورنا ايضا ان ننقل لكم تحيات الاخ الدكتور الاستاذ منير حميد السعدي المحترم رئيس جامعة بغداد المحترم وفريقيه الاداري والعلمي في رئاسة جامعة بغداد وكذلك انقل لكم تمنياته الطيبة الصادقة لنجاح مؤتمركم "تأريخ العلوم عند العرب "

اخوتي .. اخواتي المؤتمرين خبير ما نفتتح به هذا المؤتمر قوله تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١] من هنا يأتي اهمية الدور الذي تضطلعون به والامانة العظمى التي كلفكم الله بها والتي عرضها على السموات والارض فايين ان يحملنها . فانتم ايها الاكابر الذين شرفكم الله بامتلاك العين الباصرة والشاخصة التي ترى ضعف الامة

نعم ايها الاخوة ...

ان حالة من الضعف والتردي والانحدار تعتري البنية الحضارية الفكرية للمجتمعات العربية والاسلامية ومن هنا ايضا ياتي دوركم الحساس والمسؤول في صياغة مشروع حضاري بديل نستطيع من خلاله مجابهة الضعف الحضاري الذي يعترينا ومقاومة الهجمات الخارجية التي تقصدنا من اجل تعويق نهضتها لتكون شاهدة على الامم وتضعيفها حتى تكون في حالة مرضية مزمنة لا تقدر على النهوض واستحضار اسبابه .

وهنا نستذكر قول السيد البكري في احد كتبه حيث يقول :
"ان علة العلل في الارتفاع والانحطاط هو الجهل او العلم وماعدا ذلك فعلل ثانوية".

ان دوركم يكمن في استيعاب الماضي ووعي حركته التاريخية ضروري لفهم الواقع المعاصر الذي يسمح لكم بالكشف عن الجينات التي ساهمت في انبثاق الواقع الحالي للامة من اجل وصف الدواء الناجع لها . ومن هنا ايضا يقول محمد رضا "ان كل اصلاح وجد في العالم فانما كان بواسطة رجال فاقوا شعوبهم ببعد النظر وصحة الفكر وعلو الهمة وقوة العزيمة والارادة ، ومن هنا احببنا ان نلتقي بكم من خلال مناداة مؤتمرنا لحضراتكم لنتناقش ونتحاور لنتنتج صورة من الصور العلمية التي تساهم في المشروع الحضاري القادم الذي سيباركه الله عز وجل ان شاء الله تعالى نريد ايضا من

هذا المؤتمر ان نوصل كلمة لكل من يسيء استخدام العلم لغير اهدافه التي رسمت له وهناك ايضا في العالم الاخر من يسخر بعض صفحات هذا العلم لايقاع الضرر بالبشرية بمختلف انواع الاختراعات السلبية وهناك في العالم الاخر غيرنا من يسخر بعض صفحات هذا العالم لانتاج الفايروسات لتفتك بالإنسانية وقيمتها واقتصادياتها حتى وصلت الى قوت عيشها ، وكما نراه اليوم من خلال كورونا او كوفيد ١٩. نقول لكل اولئك اننا غير اننا ننتمي لحضارة انتجت قيما عاش في ظلها الابيض والاسود الغني والفقير العالم والجاهل هي الحضارة الاسلامية . نحن هنا في هذا المؤتمر نشارك من اجل تسليط الضوء على منجزات هذه الحضارة الناصعة وما انتجته عبر ماكنتها العربية الاسلامية .

في علوم بمختلف الاختصاصات التطبيقية والانسانية والاجتماعية وغيرها من العلوم .

ايها الاخوة

استطيع القول وبانصاف وعلى الرغم من قلة الموارد في ايدينا ان مؤتمرا وعلى العموم مقبول ونجاح ضمن المعايير العالمية والتي تتوافق مع السيرة العلمية والاكاديمية لجامعة بغداد الام ورسالتها في بناء مجتمع علمي متحضر ومهياً للنهوض الحضاري . اكرر ترحيبي وتقديري للاخوة والاخوات الاعزاء والضيوف الكرام الذين اطوا على مؤتمرا افتراضيا او حضوريا مع تمنياتنا الصادقة وتوجهنا الى الله ان يحفظكم ويأخذ بايديكم الى ما يحب ويرضى

وقبل ان اغادر موقعي هذا لا انسى ان اعرج على دور الجنود الاوفياء الذين عملوا بالخفاء والذين اشرفوا على تنظيم ونجاح هذا المؤتمر واطهاره بالصورة التي تليق به وماضي الجامعة ومركزها مركز احياء التراث العلمي العربي . حفظ الله العراق واهله.

١. د. رياض سعيد لطيف



رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي

البيان الختامي

بفضل من الله ومنّة منه، عُقد المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ العلوم عند العرب ليومي ١-٢-١٢-٢٠٢٠ وضمن محاور متعددة في التراث العلمي العربي منها: (الطب والصيدلة والفلك والكيمياء والرياضيات والزراعة والبيطرة والفنون والآثار وتخطيط المدن والفلسفة والأدب والجغرافية والتاريخ.....). وقد خلّصت الجلسات العلمية الافتراضية للمؤتمر إلى التوصيات الآتية:

- ١- تأكيد أهمية المؤتمرات المعنية بالتراث بوصفها مشاريعاً ثقافية تُسهم في تقدم المجتمع وتأكيد هويته الحضارية، لصياغة مشروع حضارة قادم. علماً أن من أهداف مركزنا إقامة مؤتمرات وطنية وإقليمية عربية وأخرى دولية والمشاركة فيها من أجل ربط التراث العلمي العربي بالواقع العلمي المعاصر وكشف الإبداعات العلمية التي أسهم بها العلماء العرب وأثرها في التطور العلمي الذي تشهده أوروبا في العصر الحديث.
- ٢- تعزيز التفاعل العلمي بين الجامعة ومؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني، بقصد التعاون لتكثيف الجهود من أجل توعية المجتمع وترسيخ السبل الكفيلة بالحفاظ على الموروث الحضاري للأمة.

- ٣- الاستفادة من البحوث التي قدمها الباحثون لهذا المؤتمر وتطويرها لتكون مشاريع بحث أو رسائل وأطاريح جامعية، ولاسيما البحوث التطبيقية التي تعالج موضوعات مهمة في مجال الطب والصيدلة والفلك والآثار.
- ٤- العمل على إنشاء مختبر حديث في مركز إحياء التراث يؤسس بالتعاون مع كليتي العلوم والهندسة، يكون هدفه توفير فرص للعلماء المعنيين بالتراث في مختلف التخصصات، بقصد إعادة النظر في التجارب القديمة التي خلصت إلينا من السلف وكيفية توظيف نتائجها في عصرنا الحاضر لاسيما في العلوم التطبيقية مثل الطب والعقاقير وعلم الحيوان أو الحسابات الفلكية والزراعة.....
- ٥- ويقصد نشر الوعي بالتراث بين شبابنا نقترح أن تستحدث مادة للتراث العلمي العربي وتكون مقررأ دراسيا في الكليات العلمية لجامعة بغداد، لاسيما في كليات الطب والصيدلة والهندسة والعلوم.
- ٦- توصي اللجنة العلمية أن يكون مؤتمر "تاريخ العلوم عند العرب" تقليداً علمياً سنوياً، لضمان التفاعل بين الباحثين في الجامعات العربية والعراقية ومؤسسات الدولة. وتوفير فرص المشاركة لهم والمساعدة على نشر بحوثهم للاستفادة منها في الحياة العلمية اليومية.
- ٧- ومن أجل أعمام الفائدة المرجوة من بحوث المؤتمر يوصي المؤتمر بالسعي إلى نشر البحوث بوقائع خاصة يتبنى طباعتها مركز احياء التراث.
- وفي الختام يشكر المؤتمر الجهود المخلصة التي بذلتها جامعة بغداد ممثلة بالسيد رئيس الجامعة على رعايته ودعمه المتواصل لنجاح المؤتمر، والشكر موصول للجننتين التحضيرية والعلمية وجميع منتسبي مركز إحياء التراث على ما بذلوه من جهود أسهمت على نحو فاعل في نجاح هذا المؤتمر.

اللجنة العلمية

أ.د. الاء نافع جاسم	جامعة بغداد/العراق	رئيساً
أ.د. محمد الحمداني	جامعة بغداد/العراق	عضواً
أ.د. عيسى معيزة	جامعة الجلفة/الجزائر	عضواً
أ.د. قاسم خلف عاصي	جامعة نيويورك/ امريكا	عضواً
أ. نبيلة عبد المنعم	جامعة بغداد/العراق	عضواً
أ.د. خضير المنشاوي	جامعة دهوك/العراق	عضواً
أ.د. عباس فاضل السعدي	جامعة بغداد/العراق	عضواً
أ.د. ناجي التكريتي	جامعة بغداد/العراق	عضواً
أ.د. مجيد مخلف طراد	جامعة بغداد/العراق	عضواً



مؤتمر احياء التراث (الافتراضي)

عضواً	جامعة الانبار/العراق	أ.د. جمال هاشم احمد
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. وجدان فرياق عناد
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. علي حداد
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. فاطمة زبار عنيزان
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. احلام محسن
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. احمد عبد الواحد عبد النبي
عضواً	جامعة بلوا/تركيا	أ.د. عثمان سعيد حوران
عضواً	جامعة طهران/ايران	أ.مشارك.د. محمد جمالي
عضواً	جامعة قناة السويس/مصر	أ.د. اسامة سليم
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م.د. سندس زيدان خلف

اللجنة التحضيرية

رئيساً ومقرر المؤتمر	جامعة بغداد/العراق	أ.د.سعدى ابراهيم الدراجي
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.د. انس عصام
عضواً	جامعة الانبار/العراق	أ.د. عثمان عبد العزيز
عضواً	المعهد العالي للتراث/تونس	أ.د. فتحي الجراي
عضواً	جامعة بنغازي/ليبيا	أ.د. مريم الزناتي ابراهيم
عضواً	جامعة بغداد/العراق	أ.م.د. وسن محميد
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م.د. خمائل شاكر
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م.م. امتثال كاظم
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م. رشا عيسة فارس
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م.م. لقاء عامر عاشور
عضواً	جامعة بغداد/العراق	م.م. عباس كاظم عباس

اللجنة الاعلامية

رئيساً	م.د. مازن قاسم مهلهل
عضواً	م.د. تيسير فوزي رديف
عضواً	السيد علي ياسين سمين
عضواً	السيد سامر حسيب
عضواً	السيد فارس عيسى فارس

لجنة التدقيق اللغوي

رئيساً	أ.م.د. ايمان صالح مهدي
عضواً	أ.م.د. زينب كامل
عضواً	م.د. غانم عودة شرهان
عضواً	م.م. بيضاء عبد الحسن

افتتاح المؤتمر الافتراضي

منهاج المؤتمر

اليوم الأول 2020/12/1

الوقت	العمليات المقررة	ت
10:30-10:00	الترحيب بالحضور والمشاركين	1
	تلادة عطلة من آيات الذكر الحكيم	2
	النشيد الوطني العراقي	3
	كلمة السيد رئيس جامعة بغداد أ.د. منير حميد السعدي	4
	بقتها مدير مركز احياء التراث أ.د. رياض سعيد لطيف	5
	نبذة تاريخية عن مركز احياء التراث العلمي العربي	

وقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي) لتاريخ العلوم عند العرب ٢٠٢٠/١٢/٢-١

مناهج المؤتمر

اليوم الأول 2020/12/1

Free Conference Call Meeting id : heritagecenter2
 ➤ لقاعة الافتراضية : الفوارزمي باستخدام
 ➤ المحور: العلوم الاجتماعية الصرفة
 ➤ رئيس الجلسة: أ.د. وهجان فريق
 ➤ مقرر الجلسة: أ.د. محمد شافر

البحوث المشاركة في المؤتمر

الوقت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
10:30	أ.د. عبد الطيب عبد الخبير الثاني	التراث والصفة العلمية والاجتماعية	كلية التربية للبنات جامعة بغداد
10:40	أ.د. خضير عباس القنداري	منهم وسائل راحة عربة اسلامية	جامعة واسط
10:50	أ.م. د. ربيع يوسف طويحي	اسبابات البرص المسبب في تطور طب الاسرة او العباس أحمد الذي من 800هـ الفوجيا، دراسة كلية تدوير المجال والاندخل خصم	كلية التربية جامعة القصبة
11:00	أ.م. د. فاهم عبد ستعين الحسني	علم الرياضيات في الامم	كلية التربية جامعة سيواس
11:10	د. جلال ضاق	المساب في نظام الجمل ونظام التقدير الفكري الجور	كلية التربية للبنات جامعة البصرة
11:20	د. فاضل احمد زويان	الهجرات العرب في علم الجرامنة	وزارة التربية الكلية التربية للفرقة
11:30	ارام فاضل الناصري	رموز علمية تكيفية في تاريخ وراث العلوم الحكية	بأست في التاريخ / مكتبة

مناهج المؤتمر

اليوم الثاني 2020/12/2

Free Conference Call Meeting id: heritagecenter2
 ➤ لقاعة الافتراضية : الفوارزمي باستخدام
 ➤ المحور: العلوم الاجتماعية الصرفة
 ➤ رئيس الجلسة: أ.د. الام نافع
 ➤ مقرر الجلسة: أ.د. د. زينب عثمان

البحوث المشاركة في المؤتمر

الوقت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
10:00	أ.د. سائر علي خضير	الطور التاريخي لعلوم المكان في الجغرافية	كلية التربية للبنات جامعة بغداد
10:10	أ.د. عباس فضل السعدي	المخزون الجغرافي في كتابي المستوحى مروج الذهب والنفيسة والاصراف	مركز اسراء التراث العلمي العربي جامعة بغداد
10:20	أ.د. عنان عبد العزيز و.أ.د. علاء مرعي اللامي و.د. ايمه فاهم يحيى	المجال بيوت مغربية الاستعمار في مخلف الاستعمار الفوجيا	جامعة الامارات كلية التربية للعلوم الانسانية الجامعة العراقية كلية الادب وزارة التعليم العالي البحر والعلوم
10:40	د. بدرين سالم	الامام البيهقي وناظر التواصل عند علم العربية	الجامعة العراقية والعلوم التطبيقية بالربيع
10:50	م.م. طلحة نجم	الخلاصات القلمية في الاسلام (دراسة مقارنة في القائلين الرضوي)	كلية التربية للبنات جامعة بغداد

مناهج المؤتمر

اليوم الأول 2020/12/1

Free Conference Call Meeting id : heritagecenter1
 ➤ لقاعة الافتراضية : الفوارزمي باستخدام
 ➤ المحور: علوم الطب والصحة في التراث
 ➤ رئيس الجلسة: أ.د. أنس عصام اسماعيل
 ➤ مقرر الجلسة: أ.د. احمد عبد الواحد

البحوث المشاركة في المؤتمر

الوقت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
10:30	أ.د. كاظم عبد الله أ.د. سعد سلمان	الطب في بلاد الرافدين في ضوء المناسبات جامعة بغداد	كلية التربية للبنات كلية الادب جامعة بغداد
10:40	أ.د. هبة عبد الحميد فايد	فكرة في خطوط الفرات لان جيون	مركز اسراء التراث جامعة بغداد
10:50	أ.م.جدها كاظم خليفة	التعدد من اجراء الصيد (دراسة تاريخية في عملية الصيد)	كلية الآداب الجامعة المستنصرية
10:50	د. آمنة حيد حرد	علم الظاهر عند العرب المسلمين	كلية التربية للبنات الجامعة العراقية
11:00	د. شريف علي اليماني	ان الاصل من سفر ابن ابي عمير من احد بن حسن الشافعي القمزي الحنفي (900م) الطبيب والفقيه - طراز اصناف واستكشاف	مركز المخطوطات مكتبة الإسكندرية
11:10	د. محمد السائل	تاريخ الطب في العراق دراسة فقهية علمية	طبيب في المنامة البحرين
11:20	د. هيام سلمان الامام	اسهامات المرأة في علم الطب والصحة الجامعة اللبنانية الدولية	الجامعة اللبنانية الدولية

مناهج المؤتمر

اليوم الثاني 2020/12/2

Free Conference Call Meeting id : heritagecenter1
 ➤ لقاعة الافتراضية : الفوارزمي باستخدام
 ➤ المحور: العمارة والآثار
 ➤ رئيس الجلسة: أ.د. سعدي ابراهيم الزواهي
 ➤ مقرر الجلسة: أ.م. د. وسن حسين مجيد

البحوث المشاركة في المؤتمر

الوقت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
10:00	أ.د. عا احمد عبد الخبير طه	سمرات احدي عوامس البرقة العباسية (توقع الاحتلال لها كطريقها وبنائها)	كلية التربية الجامعة العراقية
10:10	أ.م. د. ريم هادي مريح	من البرقة في عصر الفاطمية - بناء الابرار الفوجيا	كلية التربية جامعة بيسان
10:20	أ.م. د. عا الشمار	عجائب هندسية وتاريخية من العصر الفاطمي جامعة حلب سوريا	معهد التراث العلمي العربي جامعة حلب سوريا
10:30	د. بوليلة مطر	اسس ونصوص موروثها البرقة العباسية في التراث العربي الاسلامي	المعهد العالي للفنون والحرف جامعة فاس
10:40	د. فهد الله محمد د. امل سعيد التويجري	مواد البناء المستخدمة في عمارة البيوت الفراتية (دراسة في العمارة المحلية في ليبيا)	كلية الآداب والاساسية جامعة طبرق كلية الفنون والعمارة جامعة عمر الخياط
10:50	هدى بغداد عبد المنعم	المسكة الذهبية في مدينة حلب وكم دراسة تاريخية	حلب / سوريا
11:00	د. مريم الزياتي ابراهيم	وعرفا النصف الحفصية في المجلد العنقادي في طرابلس الغرب (دراسة ابرية)	كلية الادب والعلوم توكرا جامعة طنطا



المحتويات			
الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	ت
المحور الاول: الطب والصيدلة في التراث			
١	أ.د. وئام عدنان أ.د. محمود اللهيبي	الكحالون المسلمون ومؤلفاتهم في طب العيون	١
١٩	ا.م.د. شيماء محمد حمزة	الانجازات العلمية لابو الوفاء البوزجاني	٢
٢٧	أ.م.د. هناء كاظم خليفة	القصد من اجراء الفصد "دراسة تاريخية في عملية الفصد الطبية في التراث العربي"	٣
٤٥	أ.م.د. زهير يوسف عليوي حسين	اسهامات العرب المسلمين في تطور طب الاسرة، ابو العباس احمد البلدي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) نموذجا دراسة في كتابه (تدبير الحبالى والاطفال وحفظ صحتهم والامراض العارضة لهم)	٤
٦٣	أ.م.د. نهاد نعمة مجيد م.د. اخلاص امانة ماهي	ابن ميمون القرطبي ونتاجه الطبي (٥٢٩-٦٠٠هـ)	٥
٧٩	أ.م. د عماد طارق توفيق	العلوم الطبية في بلاد الرافدين دراسة تاريخية	٦
٩٣	أ.د. كاظم عبد الله عطيه أ.م.د. سعد سلمان فهد	الطب في بلاد الرافدين (في ضوء المصادر المسمارية)	٧
١٠٩	د. امانة حميد حمزة	علم العقاقير عند العرب المسلمين	٨
١٢٥	د. شريف علي الأنصاري	ابن الامشاطي مظفر الدين ابو الثناء محمود بن أحمد بن حسن العنتابي، القاهري، الحنفي (٩٠٢هـ) (الطبيب والفقهاء) نظرة إنصاف وإستكشاف	٩
١٣٥	د. محمد سعيد العطار	تاريخ الطب في العراق: دراسة قياس علمي	١٠
١٤٥	الدكتورة هيفاء سليمان الامام	اسهامات المرأة المسلمة في علم الطب والصحة في الحضارة العربية الاسلامية	١١
١٧٣	م.د. فياض احمد زعيان	انجازات العرب في علم الجراحة	١٢
المحور الثاني: العلوم الصرفة والتطبيقية في التراث			
١٨٥	أ.د. خضير عباس	مفاهيم وسائل رياضية عربية اسلامية	١٣
٢٠٥	أ.م.د. قاسم عبد سعدون	علم الرياضيات في الاندلس (٣١٦/٤٨٠هـ-)	١٤

	(١٠٨٧/٩٢٨م)		
٢٢٣	الحساب بنظام الجُمَّل ونظام التشفير المغربي	د. جمال عناق	١٥.
٢٣٩	الزراعة في التراث	م.د. رشا عيسى فارس م. رواء عبد الستار علي	١٦.
٢٥٣	رموز علمية تكريمية في تاريخ وتراث العلوم الحكمية	السيد ابراهيم فاضل الناصرى	١٧.
المحور الثالث: العلوم الإنسانية			
٢٦٧	تحقيق القسم الرابع من مخطوطة خبرة الفقهاء للفرغاني	أ.د رياض سعيد لطيف	١٨.
٢٧٥	المضمون الجغرافي في كتابي المسعودي مروج الذهب والتنبيه والإشراف	أ.د. عباس فاضل السعدي	١٩.
٢٩٣	منهج الدميري (ت٨٠٨هـ) في كتابه (حياة الحيوان) الطيور انموذجاً	أ.د. فاطمة زبار عزيزان أ.د. خديجة زبار عزيزان	٢٠.
٣٠٩	الاحوال الجوية في مجلة لغة العرب	أ.د. سالار علي خضر	٢١.
٣٢٧	المترفون واثروهم على المجتمع البغدادي (العصر العباسي انموذجاً)	أ.د. أنس عصام اسماعيل الزبيدي	٢٢.
٣٤١	سامراء .. إحدى عواصم الدولة العباسية (دوافع الانتقال اليها. تخطيطها وبنائها)	أ.د. مها أسعد عبد الحميد طه	٢٣.
٣٥٩	الابنية في القرآن الكريم	أ.د. الاء نافع جاسم	٢٤.
٣٧٧	الحياة الاجتماعية في بغداد (الاعياد والمناسبات في العصر العباسي)	أ.د. احلام محسن حسين	٢٥.
٣٩٩	الحجاز بعيون مغربية الاستبصار في عجائب الامصار انموذجاً	أ.د. عثمان عبدالعزيز صالح أ.د. عمار مرضي علاوي د. اميمة قاسم يحيى	٢٦.
٤١٥	الخدمات البلدية في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني	أ.م.د احمد عبدالواحد عبدالنبى	٢٧.
٤٣٣	اثر علماء العرب في معالجة اللحن اللغوي	أ.م.د. إيمان صالح مهدي م.م. ببيداء عبد الحسن ردام	٢٨.
٤٤٧	الانفتاح الفكري بين المسلمين وغير المسلمين في العصر العباسي (المجالس والمراسلات العلمية انموذجاً)	أ.م.د. وسن حسين محيimid	٢٩.
٤٦٥	الاداء اللغوي وانجاز التواصل عند علماء العربية	أ.م.د. بدر بن سالم بن جميل	٣٠.



		السنائي	
٤٨٥	المجالس العلمية للخلفاء في بغداد	م.م أسارى فلاح حسن	.٣١
٤٩٩	اخلاقيات القاضي في الاسلام "دراسة مقارنة بالقانون الوضعي"	م.م. فاطمة نجم محمد	.٣٢
٥١٧	رسالة في مصنفات السيد حسن صدر الدين (ت١٣٥٤هـ) عرض ودراسة	م.م. حسين هليب نجم الشيبياني	.٣٣
المحور الرابع: العمارة التراثية والآثار			
٥٣٥	فن العمارة في مصر الفاطمية جامع الاقمر انموذجاً	أ.م.د. ريم هادي مرهج	.٣٤
٥٤٩	العمارة الاسلامية لجامعي قرطبة واشبيلية في الاندلس	أ.م.د. أسماء عبدالله غني	.٣٥
٥٦٩	عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني	أ.م.د.مها الشعار	.٣٦
٥٨٥	اسس وخصائص العمارة الدينية في التراث العربي الاسلامي	د. أبولبابة محمد عبدالله مطر	.٣٧
٦٠٩	زخارف التحف الخشبية في المساجد العثمانية في طرابلس الغرب "دراسة اثرية"	د. مريم الزناتي إبراهيم	.٣٨
٦٢٣	مواد البناء المستخدمة في عمارة البيت الدرناوي (دراسة في العمارة المحلية في ليبيا)	د. فتح الله محمد ابو عزة. د. أمال سعيد الفيتوري	.٣٩
٦٣٩	الشبكة المائية في مدينة حلب القرن ٧ هـ	د.المهندسة بغداد عبد المنعم	.٤٠
٦٥٥	الطبيب احمد بن محمد البلدي	م.د. احمد نومان مسير	.٤١



الكالون امسلمون ومؤلفاتهم فى طب العيون

Muslim Kahaloun and their books on ophthalmology

أ.و. وثام عرنان عباس (النعمى)

جامعة بغراو / كلية التربية للبنات

أ.و. محمود تركى فارس (اللهبى)

جامعة بغراو / كلية التربية (ابن رشد) للعلوم (الإنسانية)

ملخص :

اهتمت الدراسة بموضوع الكحالة وما يعنيه هذا اللفظ فى اللغة والاصطلاح، والكحالة فى التراث العربى والإسلامى، وأثر الحضارة الإسلامية فى ازدهار علم الكحالة، وأشهر من برز فى هذا المجال من الكحالين المسلمين وغيرهم ممن عاش فى كنف الدولة العربية الإسلامية، وبرز مؤلفاتهم فى طب العيون، والفائدة التى جناها العالم العربى من هذه المؤلفات وباعتراف عدداً من الباحثين الغربىين الذين صرحوا أن إضافات العرب فى هذا الحقل كانت نقلة كبيرة فى طب العيون. وقد تناولنا فى بحثنا أهم النقاط الآتية : نشأة الكحالة، والتراث الطبى العربى فى علم الكحالة، وطرق انتقال الكحالة إلى الغرب، وأهم مشاهير الكحالين العرب وأبرز مؤلفاتهم، وأما الخاتمة وضحنا فيها أبرز النتائج التى توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية : الكالون، المسلمون، مؤلفات، طب.

Abstract :

The study focused on the topic of kahala and what this term means in the language and convention, and the kahala in the Arab heritage, the impact of Islamic civilization on the flourishing of the science of kahala, and the most famous of those who emerged in this field among the Muslims and others who lived within the confines of the Arab Islamic state, and their most prominent books on ophthalmology, and the benefit that The Western world obtained it from these books and with the recognition of many Western researchers who stated that Arab additions to this field were a major leap in ophthalmology. In this research we study Al-kihala beginning, the Islamic and Arabic Heritage

in Al-kihala, the ways that Al-kihala transferred to Europe, famous Muslim kahaleen, then the conclusion with the important points the research reach.

المقدمة :

يُعد علم الطب تراثاً يونانياً تسلّمه العرب المسلمون فألوه رعايتهم واهتمامهم، فتقدم على أيديهم حتى أصبح من أوضح معالم الحضارة العربية الإسلامية في عصورها الزاهرة.

إن هناك ملاحظتين مهمتين لا بد من ذكرهما، الأولى : أن كبار أطباء اليونان كانوا علماء نظريين أكثر مما كانوا متمرسين بالتجربة والتطبيق، بينما اهتم الأطباء العرب المسلمين الذي تأثروا بمؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهما، بتطبيق ما جاء فيها من نظريات وآراء وجربوها على المرضى في مختلف الظروف والأحوال، فأقروا ما ثبت صلاحه منها وطوّروا قسماً آخر، ونبذوا ما سوى ذلك.

والملاحظة الأخرى هي أن المؤلفين في الطب من علماء العرب المسلمين مع اعتمادهم في بعض مواضع كتبهم على المؤلفات اليونانية المذكورة، فإنهم أضافوا إليها الكثير من ابتكاراتهم وأعمالهم الأصلية مما لم يسبقوا إليه، كما أنهم أحسنوا تدوين تلك المعارف الطبية وتبويبها بحيث تميزوا على المؤلفين اليونانيين الذين لم يكونوا يحافظون على تسلسل مادة الموضوع ووحدته، ولا على التوافق بين أصناف المعلومات واسم الكتاب الذي يتضمنها.^(١)

ويعد علم الكحالة (طب العيون) من العلوم المرتبطة بالطب والأساسية فيه، وقد كان العرب المسلمون يسمون طب العيون ((بالكحالة)) كناية على ما يوضع في العين ليتشفي به، ولهذه الصناعة شروط ومستلزمات إذ يجب على الطبيب الكحال أن يكون على معرفة جيدة بتشريح العين، ودراية بأنواع الأمراض التي تصيبها، وخبرة بتركيب الأدوية ومختلف العلاجات الضرورية لأمراض العين.

وهذا العلم هو من نتاج الأمة الحضاري ومظهر لشخصيتها وعوامل تطورها، ولهم الفضل في الحفاظ على التراث المذكور من الضياع بعد أن أهمله أهله. إن ما ترجمه الأجداد فضلاً عن الإضافة إلى هذا العلم، يتطلب من التفاخر به ودراسته لتسترجع الأمة إبداعها وتجاربها وقيمتها ورفقيها وتقدمها ليكون دافعاً لهذا الجيل لتجديد نهضة الأمة.

وبهذا الدافع تم اختيارنا لهذا الموضوع، وهناك أسباب أخرى منها :

- ١- الرغبة الشديدة في التعرف والاطلاع على ازدهار علم الطب وكيف قام أطباؤنا بعمليات جراحية في العين.
- ٢- القناعة التامة بأن هذا الموضوع لم ينل ما يستحق من باحثينا المحدثين من العناية والبحث والدراسة.

(١) كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية، (بغداد - ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٣٧٨.



وهذا البحث الذي يسرنا أن نقدمه يتضمن أهم القضايا التي تناولت علم الكحالة واهتمام العرب المسلمين منذ أقدم الأزمنة، وقد حرصنا على تناول هذا الموضوع بشكل من شأنه أن يضيف عليه الجدة والأصالة ويبعده عن التقليد والجمود والرتابة. وقد تناولنا في بحثنا أهم النقاط الآتية :

* نشأة الكحالة.

* التراث الطبى العربى فى علم الكحالة.

* انتقال الكحالة إلى الغرب.

* مشاهير الكحالين العرب وأبرز مؤلفاتهم.

أما الخاتمة وضحنا فيها أبرز النتائج.

وفى الختام نسال الله عزّ وجل أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم القيامة، وإن كان صواباً فمن الله تبارك وتعالى، وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا. وكانت غايتنا وغرضنا الوصول إلى الحقيقة التاريخية. والحمد لله أولاً وآخراً.

الباحثان

الكحالة لغة واصطلاحاً :

الكحالة لغوياً لفظة مشتقة من "الكحل" بالضم الذى هو كل ما وضع فى العين يُشْتَقى به^(١).

أما فى الإصطلاح فالكحالة فرع من فروع علم الطب يبحث فى صحة عين الإنسان وإزالة مرضها، ويقابل بالاصطلاح الحديث (طب العيون)، أما الطبيب المختص بهذا الفرع فى التراث الإسلامى فىسمى بـ(الكحال)، والكحال يملك خبرة تشريح العين وأمراضها وعلاجها سواء بالدواء أو الغذاء أو الجراحة.^(٢)

نشأة الكحالة عند العرب :

لم يكن للعرب قبل الإسلام وحتى زمن الأمويين سوى معرفة بسيطة بعلم الطب عامة والكحالة خاصة، ومعلوماتهم فى هذا المجال لا تتعدى النصائح والتوجيهات والمعلومات الصحية العامة ذات الطابع العلمى البسيط، والقيمة العلمية المتواضعة، ومما لا ريب فيه أن العلوم لا تنشأ أمة دفعة واحدة، بل تأخذ ما أنجزه السلف فتدرسه، وتهضمه، وتتمثله، وتتناوله بالنقد، فتصحح ما تكشفه من خطأ، وتوضح ما فيه من إبهام، وتجمل ما فيه من تفاصيل تعود إلى قاعدة عامة، وتجمع الموضوعات المبعثرة فى أبواب يضم منها البحوث المترابطة، وأخيراً تضيف إليه ثمرة اكتشافاتها الأصيلة، ثم تأتي أمة أخرى، فتأخذ هذا التراث، وتعالجه معالجة سالفاتها، وهكذا دواليك، فبانقال العلم من أمة إلى أمة، تتجلى عنه الأوهام وينتظم فى وحدة تأليفية، ويغتنى بالاكشاف عبر الزمن، وقد حدث للعرب، فى هذا الحقل، ما حدث لكل أمة، وفقاً لهذا الناموس

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربى، (بيروت - ٢٠١٠)، ج ٧، ص ٤٤٧.

(٢) خطاب، فرات فانق، الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الإعلام (بغداد - ١٩٧٥)، ص ١٣.

الحمي^(١). فبعد أن أستتب لهم الأمر واستقر ملكهم وبعد أن درسوا وهضموا ما أنجزه السلف بدأت مرحلة الإبداع التي بدأت بوادرها في ملك الأمويين وتألفت في ملك العباسيين، ففي هذه الحقبة اتجه المسلمون إلى تحصيل مختلف العلوم، وقامت حركة ترجمة واسعة التي بدأت ونيدة الخطى في العهد الأموي بالاتساع حتى شغلت الناس عامتهم وخاصتهم، فكان نصيب الكتب الطبية المترجمة إلى العربية كبيراً.^(٢)

وتسارعت حركة الترجمة في العصر العباسي بوتيرة عجيبة لاسيما على عهد الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) المعروف بولعه الشديد بالعلوم، حيث بدأت نهضة علمية لترجمة التراث اليوناني وعلى وجه الخصوص كتب الطب التي أولاهها الخليفة جل اهتمامه.^(٣)

ولم تتوانى عاصمة الخلافة العباسي عن حث خطى المسيرة تجاه حركة الترجمة بعد عهد المنصور، حيث بدأت أولها خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) الذي أنشأ لها داراً خاصة وخزانة لحفظ الكتب وترجمتها سماها (بيت الحكمة) وقد أوكل هذه المهمة إلى طبيبه يوحنا بن ماسويه وجعله أميناً عليها وكلفه بمهمة ترجمة الكتب القديمة التي ورثها من مكتبة الخليفة المنصور وعمل على إثرائها بمزيد من الذخائر وكنوز الكتب.^(٤)

وهكذا بدأ بيت الحكمة يتخذ صيغة رسمية مؤسساتية في عهد الرشيد، فرتب له مترجمين حذقة، ونسأخاً مهرة، نجحوا في نقل تراث أمم بأسرها.^(٥) هذا وقد قطعت حركة الترجمة شوطاً بعيداً في نشاطها الثابت، حتى بلغ أوج عظمتها في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) الذي سار على نهج أسلافه في تطويرها، فأخذ يسخر كل الإمكانيات لنجاحها، ولمع في عصره طائفة من المترجمين كيجي بن البطريق، ويوحنا بن ماسويه، والحجاج بن يوسف بن مضر الكوفي، والفضل بن سهل بن نوبخت، وقسطا بن لوقا، وحنين بن إسحاق الذي أعجب به المأمون وجعله رئيس بيت الحكم والمشرف عليه^(٦)، وغيرهم ممن لهم معرفة واسعة باللغات المختلفة، وكانت الترجمة تتم أما من اليونانية إلى العربية مباشرة أو إلى السريانية ومنها إلى العربية. وقد أعيرت العلوم الطبية اهتماماً كبيراً فنقلت مصنفات

(١) الجر، خليل وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة الكتب المدرسي، ط٦، (لبنان - ١٩٨٣م)، ص ٧٧.

(٢) العبيدي، حسن مجيد، الطب والصيدلة عند العرب، دار مكتبة البصائر، (بيروت - ٢٠١٠)، ص ٢٨-٢٩.

(٣) ابن النديم، محمد بن إسحق (ت: ٤٣٨هـ)، الفهرست، تح: ابراهيم رضوان، ط٢، دار المعرفة، (بيروت - ١٩٩٧م)، ص ٣٠٢.

(٤) ابن جلجل، سليمان بن حسان (ت: ٣٧٧هـ)، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت - ١٩٨٥م)، ص ٦٤.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٥، ٣٢٧؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأديباء، تح: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي (بيروت - ١٩٨٣)، ع/١٦٣١؛ الطويل، توفيق، في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم الفكر، (الكويت - ١٩٩٣)، ص ٦٦.

(٦) ابن النديم، المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٠٢؛ ابن صاعد، صاعد بن أحمد (ت: ٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، (بيروت - ١٩١٢)، ص ٤٨.



ابقراط (٤٦٠-٣٥٠ ق.م)، وجميع مصنفات جالينوس (١٣١-٢١٠م) وشروحها التي قام بها الأطباء الاسكندريون إلى اللغة العربية، كما ترجمت مؤلفات طبية كثيرة أخرى إلى العربية مثل : كتاب المفردات الطبية لديسقوريدس (ت:٦٠م)، ومجموعة (أوريباسيوس) بأقسامها الثلاثة^(١)، ومجموعة (آهرن القس) إلى اللغة العربية، وكان موضوع الكحالة من المواضيع الرئيسية التي حظيت برعاية خاصة من الأطباء العرب والاهتمام الذي ربما يعود إلى كثرة انتشار أمراض العيون في البلاد العربية خاصة في مصر والعراق، وعليه فقد جمعوا ما استطاعوا الحصول عليه من المعلومات والخبرة السابقة، خبرة أطباء العيون القدماء أمثال ارشيجانوس (القرن الأول الميلادي)، وانتلوس (النصف الأول من القرن الثاني الميلادي) وإيتيوس (٥٠٢-٥٧٥م)، وباقيوس وغيرهم، فكانت تلك المعلومات النواة التي بني عليها علم الكحالة العربي.^(٢)

□ التراث الطبي العربي في علم الكحالة :

مما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الكتب اليونانية أثرت تأثيراً بالغاً في علم الكحالة العربي، والدليل أن الكحالين العرب القدماء وقعوا في نفس الأخطاء التشريحية والفلسفية نفسها التي وقعها فيها الأطباء اليونانيين، كما إن المؤلفات العربية الأولى في علم الكحالة حافلة بالكثير من المصطلحات الفنية اليونانية، وهذا يبدو واضحاً في كتاب (دغل العين) ليوحنا بن ماسويه (ت:٢٤٢هـ/٨٥٧م)، وكتابه هذا أقدم كتاب عربي وصلنا في طب العيون.^(٣)

لكن سرعان ما تطور هذا العلم على يد العرب بعد أن استوعبوا تراث الأمم السابقة في هذا الحقل حينما ترجموه، وأعادوا تصنيفه وصياغته وألّفوا فيه الكتب، وبدأ عصر تأسيس طب العيون العربي الذي بدأ بمؤلفات حنين بن إسحاق (١٩٤-٢٦٤هـ/٨٠٨-٨٧٧م) فظهر كتاب (العشر مقالات في العين) الذي يعد أول وأقدم مؤلف عرفه الناس كتب على الطريقة المنهجية العلمية في طب العيون، فالمؤلف وإن كان قد استقى معظم معلوماته من المصادر الاغريقية إلا إنه لم يتبع الأسلوب الاغريقي في الكتابة عن الأمراض، الأسلوب الذي يقوم على تكرار جميع الأمراض في ثلاثة مواضع: مرة في باب تاريخ المرض، وأخرى في باب تشخيصه، وثالثة في باب علاجه، وإنما انتهج نهجاً جديداً وذلك بأن صنّف الأمراض حسب الأنسجة المريضة، ثم إنه ذكر جميع المعلومات عن أي مرض من الأمراض تحت عنوان ذلك المرض وتاريخه، وتطوره وتشخيصه وعلاجه.^(٤)

(١) خطاب، الكحالة عند العرب، ص ١٣-١٤.

(٢) خطاب، الكحالة عند العرب، ص ١٤.

(٣) خطاب، الكحالة عند العرب، ص ١٤-١٥.

(٤) العبادي، حنين بن إسحاق (ت:٢٠٦٤هـ)، العشر مقالات في العين، ترجمة: ماكس ماير هوف، المطبعة الأميرية، (القاهرة - ١٩٢٨)، ص ٦.

وقد سار المؤلفون العرب فيما بعد على نهج حنين بن إسحاق، على أن الكحالين العرب لم يكتفوا بجمع المعلومات والنظريات الاغريقية والفارسية والهندية فحسب، بل تعدوها وأضافوا إليها تجربتهم وملاحظاتهم ومبتكراتهم بوصفهم ممارسين مهرة وحكماء حاذقين في هذا الفرع من الطب، نذكر على سبيل المثال أنهم أدخلوا التنويم والتخدير بالعقاقير في العمل الجراحي الذي لم يكن معروفاً عند اليونانيين^(١)، إلى جانب ما توصلوا إليه من إجراء العمليات الجراحية لفتح الماء الأزرق، وأجروا عمليات جراحية لفتح الماء الأبيض (الساد)، وابتكروا فيها ست طرق إحداها بواسطة الشفط، وكانوا يستعملون في ذلك أنبوباً زجاجياً رقيقاً يدخلونه من مقدمة العين ويفككون به العدسة المعتمة، ثم يتم شفطها، وقد كانت هذه الجراحة هي إحدى الجراحات لعلاج الساد، هذا إضافة إلى التجديدات والإضافات التي لا يمكن حصرها في مختلف أمراض العيون حتى بلغوا مرتبة سامية تفوقوا فيها على أطباء اليونان، وقد ساعدتهم في ذلك اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات الذي يعدّ علماً عربياً من دون مبالغة^(٢)، ولعل السبب الآخر في هذا التقدم هو إعداد أطباء كفؤين لممارسة هذه المهنة فما كان يُسمح بامتهان الطب إلا بالنجاح باجتياز فحص من كتب التخصص المعتمدة في ذلك الحين، للتأكد من سعة إطلاع الطلاب النظرية والخبرات العلمية في علم الكحالة، وذلك للوثوق بمهارتهم وقدرتهم على التشخيص الصحيح والعلاج، فمن يرغب بممارسة الكحالة عليه أن يجتاز امتحاناً يؤديه أمام المحتسب الذي كان يمتحنه بمعرفة ((المقالات العشر في العين))، فإذا كان عارفاً بتشريح طبقات العين وعدد رطوبتها وعدد أمراضها وأنواعها، وما يتفرع من ذلك، وكان خبيراً بتركيب الأحكال وأمزجة العقاقير أذن له بالتصدي لمداداة أعين الناس^(٣)، ومن بين الكتب المقررة في الامتحان الذي شرطه الخليفة القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) للحصول على إجازة مزاوله المهنة : كتاب ((دغل العين)) ليوحنا بن ماسويه^(٤)، وذلك قيل أن يشتهر كتاب ((تذكرة الكحالين)) لعلي بن عيسى الكحال (ت: ٤٣٠هـ).

أما بالنسبة للأجور التي يتقاضاها الكحالون فهي مرتفعة نسبياً، فإن أقل أجر يتقاضاه الكحال على قدح العين في منتصف القرن الرابع الهجري في بغداد هو ثمانون درهماً، وقد يبلغ مرتبة خيالية تصل إلى مئات الدنانير خاصة إذا صدقنا الرواية التي يرويها (الشهرزوري) عن الرازي إذ يقول ((إن الرازي بدأ حياته صانعاً ثم اشتغل بعلم الاكسير فرمدت عيناه بسبب أبخرة العقاقير المستعملة في تحضير الاكسير، فذهب إلى طبيب ليعالجه، فطلب منه الطبيب خمسمائة دينار، فدفع الرازي الدنانير إليه، وقال : هو

(١) الكحال، علي بن عيسى (ت: ٤٠٠هـ)، تذكرة الكحالين، تح: غوث محي الدين القادري، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن /الهند ١٩٦٤م، ص ٤.

(٢) هونكة، زيغرد، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة، (بيروت - دت)، ص ٢٣٥.

(٣) الشطي، أحمد شوكت، الطب عند العرب، ص ١٢٩.

(٤) أوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، (القاهرة - ١٩٦٢)، ص ٢٢٤.



الكيمياء لا ما اشتغلت به^(١)، فإذا قارنا ذلك بمستوى معيشة الطبقة العامة في الفترة نفسها، كدخل المعلم الذي يصل أجره إلى درهمين أو ثلاثة في اليوم، أو الطبيب العمومي الذي يعالج العامة الذي يصل أجره إلى أربعة دراهم يومياً^(٢)، أدركنا مستوى المعيشة التي كان يتمتع بها هؤلاء الكحالون، كما يصبح من اليسير علينا أن ندرك مدى الاقبال على ممارسة هذه المهنة.

□ طرق انتقال الكحالة إلى الغرب :

لقد بلغ علم الكحالة أوجه في نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس الهجري متمثلاً بكتابين عظيمين هما: ((كتاب تذكرة الكحالين)) لعلي بن عيسى (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٩م)، وكتاب ((المنتخب في علاج أمراض العين)) لعمار بن علي الموصلي (ت: ٤٠٠هـ/١٠١٠م)، اللذان يعدان أقصى ما وصل إليه علم الكحالة العربي من الكمال، وجميع الكتب التي ألقت بعدها في هذا الموضوع لا تبلغ مستواهما من حيث الأصالة والابداع، فهي لا تعدو أن تكون شروحاً أو اقتباسات من هذين الكتابين.^(٣) ويعد كتاب ((تذكرة الكحالين)) لعلي بن عيسى من أشهر كتبه كتاب طب العيون في الحضارة العربية الإسلامية، فقد كان مرجعاً لمن أراد دراسة هذا المجال، إذ قال عنه ابن أبي أصيبعة: ((إنه لا بد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه، وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي ألقت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً عندهم))^(٤).

أما في الغرب فقد ترجم كتاب ((العشر مقالات في العين)) لحنين بن إسحاق العبادي بواسطة "قسطنطين الإفريقي" (ت: ٤٨٠هـ) ونسبه إلى نفسه، فبقي هذا الكتاب لفترة طويلة هو الكتاب الوحيد في الموضوع الذي يمكن الحصول عليه باللغة اللاتينية، حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي عندما ترجمت الموسوعات الطبية العربية ككتاب (الملكي) لعلي بن العباس إلى اللغة اللاتينية، فأصبح بالإمكان الحصول على معلومات طبية كثيرة في العيون ضمن المواضيع الطبية المختلفة التي تناولتها تلك المؤلفات.^(٥)

وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ترجم كتاب ((المنتخب في علاج أمراض العين)) لعمار الموصلي إلى اللغة العبرية، أما كتاب ((تذكرة الكحالين)) لعلي بن عيسى فقد ترجمت عدة في العصور الوسطى منها ترجمة عبرية

(١) الشهرزوري، شمس الدين (ت: ٥١١هـ)، تاريخ الحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده، تح: عبدالكريم أبو شويرب، دار بيبليون، (باريس - ٢٠٠٧م)، ص ٢٩٥.

(٢) رحمة الله، مليحة، الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الزهراء، (بغداد - ١٩٧٠)، ص ٧٥.

(٣) خطاب، الكحالة، ص ١٦.

(٤) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٨٦هـ)، عيون الإنبياء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥)، ص ٣٠٠.

(٥) الدوميلي، العلم عند العرب وأثر في تطور العلم العالمي، ترجمة: عبدالحليم النجار وآخرون، مطابع دار القلم، (القاهرة - ١٩٦٢)، ص ٢٤٩.

وترجمتين لاتينيتين، كما ترجم إلى اللغة اللاتينية كتاب ((دغل العين)) ليوحنا بن ماسويه، ولكنه نسب خطأ إلى القديس يوحنا الدمشقي.^(١) وفي عهد عصر النهضة في أوروبا بقيت هذه الكتب من أحسن الكتب في أمراض العين وأصبحت مراجع هامة لا يُستغنى عنها طلاب هذا الفرع من الطب هناك حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، وعلى وجه الخصوص كتابي علي بن عيسى، وعمار الموصلي.^(٢)

ورغم أن طب العيون عند العرب بعد القرن السادس الهجري/الثامن عشر ميلادي، أصابه الجمود وافتقدت طروحاته سمة الابتكار لكنه مع ذلك ظل أفضل مما كان موجوداً في الغرب، فكانت المؤلفات العربية في تلك الحقبة أحسن تصنيفاً وأعلى قيمة من المؤلفات الغربية، وهذا ما عبّر عنه الدوميلي بقوله: ((إذ ينبغي لنا أن نصل إلى القرن التاسع عشر الميلادي لنجد شيئاً أفضل بين الكتب الأوربية))^(٣)، كما يعترف المستشرق ماكس مايرهوف، فيقول: ((لا مندوحة لنا من التسليم بأن المؤلفات العربية في طب العيون، حتى ما جاء منها في عصر الانحطاط تفوق بدرجة عظيمة على الكتب التي ظهرت في أوروبا قبيل سنة ١١٠٠هـ أي سنة ١٧٠٠م...))^(٤).

□ مشاهير الكحالين العرب وأبرز مؤلفاتهم :

كشفت لنا المحاور التي تقدمت عن أسماء لأطباء مسلمين بلغوا شأواً عظيماً في علم الكحالة، سنأتي على ذكر مشاهيرهم مع عرض أبرز مؤلفاتهم، وقد رتبنا أسماءهم حسب التسلسل الزمني لسنوات وفياتهم :

ماسرجويه البصري.

طبيب، مترجم كان يهودي المذهب، عاش في القرن الأول الهجري/القرن السابع الميلادي، دخل الطب العربي من أوسع أبوابه، فهو أول مترجم لكتاب طبي إلى العربية، ذلك أنه نقل من السريانية إلى العربية، في زمن مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م) "كناش أهرن" للقس الإسكندري (ق ٦م) الذي كتبه باللغة اليونانية، وقد ظلت الترجمة العربية محفوظة في خزانة الخلافة إلى أن أخرجها الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) للناس، فقامت الترجمة منذ ذلك التاريخ بدور مهم عند المؤلفين القدامى في حقل الطب العربي واستمر أثرها حتى القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي.^(٥) هذا وقد انفرد ابن أبي أصيبعة من بين مترجمي سيرته بأن ذكر له كتاباً في العين.^(٦)

(١) أوليري، علوم اليونان، ص ٢٢٤.

(٢) هونكه، شمس العرب، ص ٢٧٩؛ أرنولد، سيرتوماس، تراث الإسلام، تعريب: جرجيس فتح الله، دار الطليعة، (بيروت -

١٠٧٢)، ص ٤٧٦.

(٣) العلم عند العرب، ص ٢٥١.

(٤) العبادي، العشر مقالات، المقدمة، ص ٢.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٥.

(٦) عيون الأنبياء، ص ٢٣٢-٢٣٤.



□ يوحنا بن ماسويه (ت: ٢٤٢هـ/٨٥٧م).

أبو زكريا يحيى أو يوحنا بن ماسويه الخوزي، ولد في القرن التاسع الميلادي في جنديسابور، ثم انتقل مع أبيه إلى بغداد ليدرس الطب على يد جبريل بن بختيشوع. خدم يوحنا الرشيد والأمين والمأمون، ومن بعدهم من الخلفاء إلى أيام المتوكل.^(١) قدّم يوحنا بن ماسويه الكثير من الانجازات الطبية، وتحديدًا في علم التشريح. ولم تقتصر جهود يوحنا الطبية على علم التشريح فقط، بل تعدّاه إلى تخصصات أخرى، فقد اهتم بأمراض العين وألف فيه كتابًا يحتوي على معظم المعلومات اللازمة لعلاج مرض العيون سمّاه (دغل العين) ذلك الكتب الذي ظل لمدة طويلة المرجع الأساس للأطباء والباحثين في العالم الإسلامي والغربي في مجال طب العيون، ويعد هذا الكتاب اقدم كتاب وصلنا طب العيون ذلك أن الكتب اليونانية والسريانية وما صنّف باللغات الأخرى في هذا الحق قد ضاعت.^(٢)

□ حنين بن إسحاق العبّادي (ت: ٢٦٤هـ/٨٧٨م).

هو أبو زيد بن حنين بن إسحاق العبّادي^(٣)، والعبّاد من بطون القبائل العربية التي تنصرت في القرون الأولى للمسيحية، واستوطن قسم منها الحيرة.^(٤) ولد حنين في الحيرة سنة ١٩٤هـ/٨١٠م وسط عائلة علمية، إذ كان والده حنين صيدلانيًا وكانت الصيدلة حين ذاك تعني صناعة العقاقير من الحشائش والدراية بأمور الطب.^(٥) تأثر حنين بصناعة أبيه فمال إلى دراسة الطب وتعلم مبادئ العلوم في الحيرة، ثم درس الفارسية وصناعة الطب في جند يسابور^(٦)، بعدها انتقل إلى البصرة ليدرس اللغة العربية كي يتخلص من ركافة لغته المشوبة بألفاظ سريانية، فبرع فيها براعة يشهد بها المؤرخون معتمداً في دراستها كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م).^(٧)

وبعد ان أتقن العربية انتقل حنين بن إسحاق إلى بغداد، واتصل هناك بالطبيب المشهور يوحنا بن ماسويه ولازمه وتلمذ على يديه، واشتغل بصناعة الطب، ونقل لابن ماسويه كتباً كثيرة خصوصاً كتب جالينوس، بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية.^(٨)

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٤؛ ابن جزل، طبقات الأطباء، ص ٦٥-٦٦.

(٢) أوليري، علوم اليونان، ص ٢٢٥.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٤) كعدان، عبدالناصر ومحمد ناظم مهروسة، حنين بن إسحاق، (حلب - د.ت)، ص ٩.

(٥) القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي (ت: ٦٤٦هـ)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، (مصر - د.ت)، ص ١٢٠.

(٦) البيهقي، ظهير الدين (ت: ٥٦٥هـ)، تاريخ حكماء الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقى، (دمشق - د.ت)، ص ١٦.

(٧) ابن القفطي، أخبار العلماء، ص ١١٨.

(٨) البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ١٦-١٧.

ويُعد حنين بن إسحاق من أعظم المترجمين العرب، نقل كثيراً من الكتب اليونانية إلى العربية والسريانية، وأصبح رئيساً "لبيت الحكمة" - كما أسلفنا - ولابن إسحاق مؤلفات كثيرة أكثرها في مواضيع الطب إذ كان طبيباً ماهراً في صناعة الكحالة وله تصانيف فيها، منها : كتاب ((العشر مقالات في العين)) ويعد هذا الكتاب أقدم ما كتب في أمراض العين، وقد نشره "ماكس مايرهوف" وحقق نصوصه وهو من أقدم كتب العيون في تعليم طب العيون بشكل منهجي تعليمي، وبه قدّم صورة لتشريح العين، ويذكر حنين في مقدمة هذا الكتاب أنه ثمره خبرته في طب العيون طوال ثلاثين سنة.

ومن أهم إبداعاته في هذا الكتاب، صنعه ونحته لكثير من المصطلحات الفنية الطبية الخاصة بالعين باللغة العربية والتي ما زالت تستعمل حتى يومنا هذا، مثل الشبكية والقرنية والملتحمة معطياً لها المعنى الوارد باللغة اليونانية بشكل دقيق، وبعربية واضحة، ولذلك يرجع إليه الفضل في توحيد التعابير والمصطلحات الطبية، وبخاصة في مجال العين بعد أن كانت متباينة بين المترجمين والمؤلفين في زمانه.

ويتكون الكتاب من العشر مقالات هي :

المقالة الأولى - في طبيعة العين وتركيبها.

المقالة الثانية - في طبيعة الدماغ ومنافعه.

المقالة الثالثة - في أمر البصر.

المقالة الرابعة - في جملة ما يضطر إلى معرفته من اراد شيئاً من علاج الطب.

المقالة الخامسة - في علل الأمراض الحادثة بالعين.

المقالة السادسة - في علامات الأمراض التي تحدث في العين.

المقالة السابعة - في جميع قوى الأدوية المفردة عامة.

المقالة الثامنة - أسماء الأدوية المفردة للعين ومزاياها.

المقالة التاسعة - في علاج أمراض العين.

المقالة العاشرة - فيها يتكلم حنين عن الأدوية المركبة المذكورة في المقالة التاسعة على ما ألفها القدماء للعلل الحادثة بالعين.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في العصور الوسطى، ترجمه "قسطنطين الإفريقي" الذي نسبه إلى نفسه، وطبعت تسع مقالات منه ضمن "كليات إسحاق الإسرائيلي"^(١).

وله مؤلفات طبية أخرى مهمة مثل : ((في اختيار أدوية العين)) وكتاب ((في الرمذ)) وكتاب ((العين)) أو ((الحجة)) ألفه لولديه داود وإسحق.^(٢)
أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت: ٤١١هـ/٩٢٣م).

ولد ونشأ في الري، وسافر إلى بغداد، ومكث فيها مدة من الزمن كان في صغره ميالاً للعلوم العقلية والأدب، إلا أنه عندما كبر مال إلى تعلم الطب فأقبل على

(١) قطاية، سلمان، الكحالة أو طب العيون عند العرب، مجلة التراث العربي، العدد ٣، أكتوبر ١٩٨٠، ص ٣٢.

(٢) العشر مقالات، ص ٧.



دراسة كتب الطب فأخذ يقرأها قراءة عميقة حتى سبر أغوارها وتمكن منها بكل ذكاء وقابلية وإتقان^(١)، وبلغ من النجاح أوجه وصار ((إمام وقته في علم الطب))^(٢). كان الرازي كاتباً خصباً كثير الإنتاج وخاصة فيما يتعلق بمهنة الطب، وقد بلغ ما ألفه في الطب حوالي ست وخمسين كتاباً، منها ما وضعه على شكل رسائل، وبعضها في مجلدات كثيرة منها موسوعته الضخمة ((الحاوي في الطب)) التي تحتوي على قسم مطول في أمراض العيون^(٣)، كما خصص الكتب الآتية في أمراض وجراحة العين - وهي للأسف جميعها مفقود^(٤) :

- ١- كتاب في هيئة العين.
 - ٢- كتاب في فضل العين على سائر الحواس.
 - ٣- مقالة في المنفعة في أطراف الأجفان.
 - ٤- مقالة في علاج العين بالحديد.
 - ٥- مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة.
 - ٦- رسالة إلى تلميذه يوسف بن يعقوب في أدوية العين وعلاجها ومداواتها وتركيب الأدوية لما يحتاج إليه من ذلك.
- خلف الطولوني (نحو ٣١٠هـ/٩٢٢م).**

هو أبو علي خلف الطولوني، من أطباء مصر، كانت له معرفة جيدة في علم أمراض العين ومداواتها، ولخلف من المؤلفات كتابه المعروف بـ((كتاب النهاية والكفاية في تركيب العين وخلقتها وعلاجها وأدويتها)) ومكث في تأليفه أكثر من ثلث قرن^(٥). ولا ريب أنه كان كتاباً ضخماً، لكنه مفقود حسب ما ذكر "مايرهوف"^(٦).

عمار بن علي الموصلى (ت: ٤٠٠هـ/١٠١٠م).

هو أبو القاسم عمار بن علي الموصلى، ولد بمدينة الموصل، ولهذا سمي بالموصلى، تلقى تعليمه على يد كبار المفكرين بمدينة الموصل، ونبع في طب العيون، اشتهر في القاهرة في عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، ويعد عمار الموصلى من أعظم أطباء العيون في البلاد العربية^(٧)، ومن أكثرهم ابتكاراً وأصاله^(٨)، وكان من أهم ما قدمه للإنسانية في مجال طب العيون كتاب ((المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد)) ذلك الكتاب الذي أنجزه

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٦-٣٥٩؛ ابن جليل، طبقات الأطباء، ص ٧٥.
(٢) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - د.ت)، ص
(٣) عبدالرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩.
(٤) خطاب، الكحالة، ص ٢٦.
(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٥٤٤.
(٦) العشر مقالات، المقدمة، ص ٩.
(٧) الدوميلي، العلم عند العرب، ص ٢٤٠.
(٨) عبدالحميد، عبدالمنعم، الساد (الماء الأبيض) بين القديم والحديث، مجلة الجامعة، العدد (١٥)، السنة الثانية، ١٩٧٢، ص ٦٨.

بطلب من الحاكم بأمر الله^(١). وأورد عمار الموصلي في هذا الكتاب الكثير من الملاحظات والاشارات الجديدة المبتكرة^(٢). وبيّن فيه ست عمليات جراحية لخدح الماء الأبيض النازل في العين (الساد) كانت إحداها بوساطة الشفط^(٣)، بأن يستعمل أنبوباً زجاجياً دقيقاً يدخله في مقدمة العين ويفنت به العدسة المعتمة ثم تشفط هذه العدسة المفتتة، فكانت هذه العملية أول عملية حديثة للساد، حيث إن بينها وبين آخر ما توصل إليه الطب الحديث بأجهزته العلمية المتطورة شبه كبير، بل وأن الطريقتين تقومان على القاعدة نفسها^(٤).

علي بن عيسى الكحال (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٩م).

ولد ابن الكحال في بغداد، ولم تحدد المصادر تاريخ مولده، اشتهر بالحذق في صناعة الكحل، وبأمراض العين ومداواتها، كما اشتهر بكتابه المعروف ((تذكرة الكحالين))^(٥). وكتابه هذا يعد من أشهر كتب علي بن عيسى، وأحد أشهر كتب الطب في الحضارة العربية الإسلامية، فقد كان مرجعاً لمن أراد دراسة هذا المجال. إذ استعمله من جاؤوا بعده من الكحالين المسلمين استعمالاً كبيراً في المجالين النظري والعملية، واقتبسوا منه فصولاً كثيرة، والكتاب يضم ثلاث مقالات، المقالة الأولى في حد العين وتشريحها، وطبقاتها ورطوبتها وأعصابها وعضلاتها، والمقالة الثانية في عدد أمراض العين الظاهرة للحس أسبابها وعلاماتها وعلاجاتها، والمقالة الثالثة في أمراض العين الخفية عن الحس وعلاماتها وعلاجاتها ونسخ أدويتها^(٦)، واكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في أوروبا، فترجم إلى اللاتينية والعبرية^(٧).

علي بن إبراهيم الكفرطابي (متوفى بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م).

هو علي بن إبراهيم بن بختشوع الكفرطابي، علم بطب العيون، من أهل كفرطاب في بلاد الشام، ألف كتاب ((تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها))، قال في الصفحة الأخيرة منه، بعد أن ذكر علاجاً لضعف البصر، ((وصح لي بالتجربة في سنة ستين وأربعمئة))^(٨)، طبع هذا الكتاب سنة ١٩٩١، حققه وعلق عليه محمود أحمد وقامت شركة العبيكان بنشره^(٩).

(١) العشر مقالات، المقدمة ص ١٢.

(٢) فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٧٠)، ص ٢٨٣.

(٣) خطاب، الكحال عند العرب، ص ٢٨.

(٤) عبدالحميد، الساد، ص ٦٨-٦٩.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٣٣٣.

(٦) الماحي، التجاني، مقدمة في تاريخ العلم العربي، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٠٧.

(٧) الدوميلي، العلم عند العرب، ص ٢٤١.

(٨) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، (لبنان - ٢٠٠٢)، ج ٤، ص ٢٥٠.

(٩) آخر تحديث للصفحة ٢٠٠٤/١١/٢٠، www.nli.org.il.



طبيب عاش في القرن ١٣هـ/١٣م في مدينة حلب، واشتهر في كل بلاد الشام، التي كان لها شهرة واسعة بطب العيون يؤمها المرضى من كل البلاد. وله كتاب ((الكافي في الكحل)) الذي جاء فيه وصف دقيق للغاية لعملية القرح (الساد)، وفي الكتاب صفحتان خصصتا لرسوم آلات جراحة العين التي كان يستعملها، ويتبين من سرده أنه كان واثقاً من نتائج عملته في (الساد) إلى درجة أنه كان لا يتردد من إجرائها على مريض بعين واحدة^(١)، وقد ترجم كتاب خليفة بن أبي المحاسن إلى الألمانية مؤرخ طب العيون الألماني هيرشبرغ ونشره في لايبزيك عام ١٩٠٥ بالتعاون مع المستشرقين ليبرت، وميتفوخ، والحق أن مؤرخي طب العيون يدينون إلى هؤلاء المستشرقين الألمان الذين أسهموا في الكشف عن كتاب ((الكافي في الكحل))^(٢). ولعل من أهم مزايا هذا الكتاب : أن المؤلف استمد معلوماته من (٧٣) كتاباً ممن سبقوه أشهرهم : الرازي، وابن سينا، وحنين بن إسحاق، وابن زهر، والأحوازي، والميزة الثانية أن كتاب الكافي يضم رسماً توضيحياً لتشريح الدماغ وعلاقة العينين به والطرق الذي يسلكه البصر بين العينين والدماغ^(٣).

صلاح الدين الكحال (ت: ١٢٩٦هـ/١٢٩٦م).

هو يحيى بن أبي الرجاء المشهور بإسم صلاح الدين بن يوسف الحموي، نسبة إلى مقينة حماه التي ولد ونشأ فيها، ونهل فيها من معارف والده الطبية. عاش الحموي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ترك صلاح الدين الكحال مؤلفات في غاية القيمة الطبية، كان من أشهرها مؤلفه ((نور العيون وجامع الفنون)) وبيع يشير إلى المصادر التي استقى منها معلوماته، ويمتدح عمار الموصلية، ويتكلم عن آداب الطب وواجبات الطبيب الممارس لأمراض العيون، واشتمل الكتاب على عشر مقالات، وتضمن أيضاً رسوماً توضيحية تمثل صوراً للدماغ والعيون وأعصاب العيون والأدوات المستخدمة في جراحة العين^(٤).

وهناك كثير من الكحالين اشتهروا بالكحالة غير أولئك الذي ذكرناهم آنفاً غير أنهم لم يعرف عنهم أنهم ألفوا كتباً في الكحالة، نذكر منهم :

زينب طبيبة بني أود .

من النساء اللواتي عرفن مهنة الطب بحذاقة خبيرة بالعلاج ومداواة مرضى العيون من الالتهابات والجراحات، فمن كان يمرض بين القبائل ويصاب في عينه كان يقصدها لشهرتها بسرعة تداويها^(٥).

وذاع صيتها في أواخر العصر الأموي، وكانت تعالج مرضاها بالمواد الطبيعية والأعشاب، وكانت الوحيدة على مستوى القبائل والأطباء في ذلك الوقت، ولشهرتها

(١) قطاية، الكحالة، ص ٣٠.

(٢) خطاب، الكحالة، ص ٣١؛ قطاية، الكحالة، ص ٣٠-٣١.

(٣) آخر تحديث ٢٠٢٠/٤/١٢ taqadom.aspdkw.com

(٤) قطاية، المرجع السابق، ص ٣١.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء، ص ١٨١.

أورد أبو فرج الأصبهاني خبراً عنها، مفاده أن رجلاً قصد زينب لتكتحله من رمد قد أصابه فأجرت له اللازم وطلبت منه أن يضطجع حتى يدور الدواء في عينيه، فتمثل هذا الرجال قولاً للشاعر جاء فيه :

((أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب *** بني أود على النأي زينبا، فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا، قالت : في والله قيل وأنا زينب التي عناها وأنا طبيبة بني اود ؟أتدري من الشاعر قلت لا قالت عمك أبو سماك الاسدي))^(١).

ابن وصيف الصابي.

أحمد بن وصيف الصابي الحراني الكحال، كان ببغداد بحدود سنة ٣٥٠هـ خبيراً بطب العيون، لم يكن في زمانه أعلم منه، أخذ عنه الناس، ورحل إليه من كل الأقطار فممن رحل إليه من الأندلس أحمد بن يونس الحراني الأندلسي^(٢)، وروى الأخير قصة لأستاذه ابن وصيف حضرها بنفسه، جاء فيها : ((حضرت بين يدي أحمد بن وصيف وقد حضر سبعة أنفس لقدح أعينهم وفي جملتهم رجل من أهل خراسان أقعده بين يديه ونظر إلى عينيه فرأى ماء متهياً للقدح فسامه على ذلك ... واتفق معه على ثمانين درهم وحلف أنه لا يملك غيرها فلما حلف الرجل اطمان وضمه إلى نفسه ورفع يده على عضده فوجد فيه دنائير فقال له ابن وصيف ما هذا ؟ فتلون الخراساني فقط ابن وصيف حلفت بالله حانثاً وأنت ترجو رجوع بصرك إليك والله لا عالجتك إذ خادعت ربك فطلب إليه فيه فأبى أن يقدهه وصرف إليه الثمانين درهماً ولم يقده عينه))^(٣).

أحمد وعمر ابن يونس بن أحمد الحراني.

طبيبان من بلاد الأندلس، رحلا إلى المشرق في عهد عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) فدخلوا بغداد، وقرأ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي (ت:٣٦٥هـ) كتب جالينوس عرضاً، وخدم ابن وصيف الصابي في عمل علل العين، وانصرفا إلى الأندلس سنة ٣٥١هـ في عهد الحاكم المستنصر بالله (٣٥١-٣٦٦هـ)، فالحقهما بخدمته واستخلصهما لنفسه من بين سائر أطباء وقته، مات عمر بعلة في معدته في خلافة المستنصر، وبقي أخوه أحمد أثيراً عند الخليفة فأسكنه في قصره بمدينة الزهراء إلى آخر أيامه، ثم ولاه الخليفة المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠١٣م) خطة الشرطة وخطة السوق وكان إلى جانب عمله يداوي الناس، وله في ذلك في قرطبة آثار عجيبة إلى أن وافاه الأجل في حكم المؤيد.^(٤)

ابن أبي أصيبعة (ت:٦٨٦هـ/١٢٧٠م).

(١) أبو فرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت:٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، ط٢، (بيروت - دت)، ج١٣، ص ٢٧٠.

(٢) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٨١-٨٢؛ النقطي، تاريخ الحكماء، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٣) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٨١-٨٢؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأتباء، ص ٣١١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ٤٦١.



هو موفق الدين أبو العباس سديد الدين المعروف بابن أبي أصيبعة، سليل أسرة عربية ثرية اشتهرت بالطب أيام الأمويين، مارس بعض أفرادها الطب وبرعوا فيه، غير أن ابن أبي أصيبعة كان أشهر أفراد أسرته، تلقى علومه الطبية على يد رضى الدين الرحبى (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، مارس الطب فى البيمارستان النورى فى دمشق، ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل فى البيمارستان الناصرى سنة (٦٣١هـ)، وفىه تحصل على علوم قيمة فى طب العيون من أستاذه السديد بن أبي البيان (عاش فى القرن السادس الهجرى) الطبيب الكحال مؤلف كتاب ((الدستور البيمارستانى)). وأخيراً عاد إلى دمشق ليتابع عمله فى البيمارستان النورى. واشتهر بكتابه ((عيون الأنباء فى طبقات الأطباء)) وهو من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الطب عند العرب، انتقل إلى صرخد وتوفى فيها^(١)، وبذلك يكون ابن أبي أصيبعة عاش فى بيئة حافلة بالدرس والتدريس والمعالجة حيث درس فى دمشق والقاهرة نظرياً وعملياً.

(١) عيسى، أحمد، معجم الأطباء - ذيل عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، مطبعة فتح الله الياس، (القاهرة - ١٩٤٢)، ص ٥٠٥.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر القديمة :

- ١- ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم (ت : ٦٨٦ هـ / ١٢٧٠ م) عيون الانباء فى طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٩٦٥) .
- ٢- البيهقي، ظهير الدين (ت:٥٦٥هـ)، تاريخ حكماء الإسلام، مطبوعات المجمع العلمى العربى، مطبعة الترقى، (دمشق - د.ت).
- ٣- ابن ججل، سليمان بن حسان (ت:٣٧٧هـ)، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت - ١٩٨٥م).
- ٤- الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت:٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامى (بيروت - ١٩٨٣).
- ٥- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت:٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - د.ت).
- ٦- الشهرزورى، شمس الدين (ت:٥١١هـ)، تاريخ الحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده، تح: عبدالكريم أبو شورب، دار بيبليون، (باريس - ٢٠٠٧م).
- ٧- ابن صاعد، صاعد بن أحمد (ت:٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، (بيروت - ١٩١٢).
- ٨- أبو فرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت:٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، ط٢، (بيروت - د.ت).
- ٩- القفطى، جمال الدين أبي الحسن علي (ت:٦٤٦هـ)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، (مصر - د.ت).
- ١٠- الكحال، علي بن عيسى (ت:٤٠٠هـ)، تذكرة الكحالين، تح: غوث محى الدين القادري، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/الهند ١٩٦٤م.
- ١١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربى، (بيروت - ٢٠١٠).

- ١٢- ابن النديم، محمد بن إسحق (ت: ٤٣٨هـ)، الفهرست، تح: ابراهيم رضوان، ط٢، دار المعرفة، (بيروت - ١٩٩٧م).
- ثانياً- المراجع الحديثة :
- ١- أرنولد، سيرتوماس، تراث الإسلام، تعريب : جرجيس فتح الله، دار الطليعة، (بيروت - ١٠٧٢).
- ٢- أوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسيل انتقالها إلى العرب، (القاهرة - ١٩٦٢).
- ٣- الجر، خليل وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة الكتب المدرسي، ط٦، (لبنان - ١٩٨٣م).
- ٤- خطاب، فرات فائق، الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الإعلام (بغداد - ١٩٧٥).
- ٥- الدوميلي، العلم عند العرب وأثر في تطور العلم العالمي، ترجمة: عبدالحليم النجار وآخرون، مطابع دار القلم، (القاهرة - ١٩٦٢).
- ٦- رحمة الله، مليحة، الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الزهراء، (بغداد - ١٩٧٠).
- ٧- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، (لبنان - ٢٠٠٢).
- ٨- الطويل، توفيق، في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم الفكر، (الكويت - ١٩٩٣).
- ٩- عبدالحمد، عبدالمنعم، الساد (الماء الأبيض) بين القديم والحديث، مجلة الجامعة، العدد (١٥)، السنة الثانية، ١٩٧٢.
- ١٠- العبيدي، حسن مجيد، الطب والصيدلة عند العرب، دار مكتبة البصائر، (بيروت - ٢٠١٠).
- ١١- عيسى، أحمد، معجم الأطباء - ذيل عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، مطبعة فتح الله الياس، (القاهرة - ١٩٤٢).
- ١٢- فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٧٠).
- ١٣- قطاية، سلمان، الكحالة أو طب العيون عند العرب، مجلة التراث العربي، العدد ٣، أكتوبر ١٩٨٠.
- ١٤- كعدان، عبدالناصر ومحمد ناظم مهروسة، حنين بن إسحق، (حلب - د.ت).
- ١٥- الماحي، التجاني، مقدمة في تاريخ العلم العربي، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ١٦- هونكة، زيغيرد، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة، (بيروت - د.ت).

ثالثاً- المواقع الإلكترونية :

- ١- الموقع الإلكتروني : www.nli.org.il
- ٢- الموقع الإلكتروني : taqadom.aspdkw.com



وبعد هذا العرض الموجز لموضوع الكحالة عند العرب، تكشفت لنا الكثير من الحقائق لعل أبرزها:

١- إن العرب قبل الإسلام وحتى زمن الأمويين كانت لهم معرفة بسيطة بعلم الطب العام والكحالة خاصة، ومعلوماتهم في هذا المضمار لا تتعدى الارشادات والنصائح والتوجيهات.

٢- كان المسلمون في الحضارة العربية الاسلامية يسمون طب العيون ب(الكحالة) ويسمون المشتغلين به بالكحالين، وأنهم أولوا هذا الفرع من الطب عناية فائقة نظراً لانتشار أمراض العيون في البلاد الحارة.

٣- يعود الفضل في الكشف عن إسهامات العرب المسلمين في تطور تاريخ طب العيون منذ البدايات الأولى حتى العصر الحديث، وأفرد للعرب مجلداً خاصاً في كتابه، وقد بين هيرشبرغ أن العرب سجلوا اكتشافات مهمة في حقل وظائف العين، وإنهم ابتكروا أدوات جراحية كثيرة وأضافوا أدوية مفردة كثيرة

- ووصفات طبية مركبة، وأنهم أتاحوا لأوروبا فرصة الاستفادة من التراث العربي المكتوب. وأسهم المستشرق الألماني ماكس مايرهوف (ت:١٩٤٥م) في الكشف عن عدد من المخطوطات العربية في طب العيون عن العرب، وله الفضل في إخراج كتاب ((العشر مقالات في العين)) لحنين بن إسحق إلى النور إذ قام بترجمته مع بيان شرح المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية.
- ٤- إن ازدهار الكحالة عند العرب جاء نتيجة تفاعل علومه مع علوم وطب حضارات الأمم القديمة، ثم ترجمت الكثير من المصنفات اليونانية والفارسية إلى العربية ثم كان لترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية في علم الكحالة دورها في تطوره عالمياً في نهاية العصور الوسطى.
- ٥- حرص الكحالون المسلمون على الالتزام بالمنهج التجريبي سواء كان ذلك في التصنيف والبحث أم في التطبيق والممارسة، ولم يقفوا عند الخبرات العملية وما توارثوه عن الأوائل، وإنما أضافوا إليه مهارات التشريح وعلم وظائف أعضاء العين.
- ٦- كانت الجراحة مهمة في علم الكحالة، بهدف علاج بعض أمراض العين المستعصية مثل الرمذ والساد (الماء الأبيض)، فابتكروا عمليات لسحب المياه البيضاء، منها أنهم استخدموا أنبوباً زجاجياً دقيقاً يدخل داخل العين لتفكيك العدسة المعتمة ثم يتم شفطها .
- ٧- المؤلفات المصنفة في العين وأمراضها تعد من أهم المنجزات العلمية للكحالين العرب، ولعل أول من كتب في هذا المجال يوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق، وعلي بن عيسى.

الإنجازات العلمية لإبوه الوفاء البوزجاني



(م.و. شىماء محمد عمزة)
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

خلاصة البحث

ابو الوفا محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني عالم الرياضيات بارعاً في علم الفلك ولد وعاش في القرن الرابع الهجري في بوزجان، وانتقل الى بغداد وكانت فترته قمة الصراع السياسى والفكرى خلال هذه الاوضاع برز البوزجاني كعلم من من اعلام الفكر العلمى، وبتعبير ادق من ابرز مفكرى الحضارة العربية الاسلامىة استطاع بفكره زيادة الشئ الكثير في مجال علم الرياضيات في المثلثات، وعلم الفلك، وعلم الهندسة، اذ كانت له عدة مؤلفات في هذا الجانب الى جانب طروحاته العلمىة التى كانت بمثابة منهج جديد في المنهج التجريبي الذى زاد بدوره معلومات غاية الدقة والاهمىة في اغناء الفكر العلمى الاسلامى ونجد الكثير من هذه الامور في مؤلفاته . كرس حياته في بغداد على التأليف والرصد والتدريس واصبح عضوا في المرصد الذى انشأه شرف الدولة سنة (٣٧٧هـ / ٩٧٨م)، وطور علم الرياضيات، ولا سيما في المثلثات واصبح اكثر بساطة ووضوح وبرع في المصطلحات الخاصة بهذا العلم منها القاطع والقاطع تمام، ومهد الطريق لظهور الهندسة التحليلية، وذلك بايجاد حلول هندسية لبعض المعاملات والاعمال الجبرية

summary of the research

Abu al-Wafa Muhammad bin Muhammad bin Yahli bin Ismail bin al-Abbas al-Buzjani, a mathematician, brilliant in astronomy, was born and lived in the fourth century AH in Bozjan, and moved to Baghdad, and his period was the summit of political and intellectual conflict during these situations, Bouzjani emerged as one of the flags of scientific thought, more precisely than The most prominent thinker of the Arab Islamic civilization was able, with his thought, to add a lot to the field of mathematics in trigonometry, astronomy, and geometry, as he had several books in this aspect in addition to his scientific propositions, which were a new approach in the experimental method, which in turn increased the information very accurate and important In enriching Islamic scientific thought and we find many of these, he devoted his lifethings in his books in Baghdad to writing, observing and teaching, and he became a member of the observatory that chanted the honor of the state in (377 and 978 AD), and developed mathematics, especially in triangles, and became simpler, clearer, and excelled in the terms related to this. Science, including the categorical and syllables is complete, and

paved the way for the emergence of analytical geometry, and Begad about the geometry of some transactions and algebraic actions

المقدمة

لقد قدمت مدينة بغداد الكثير من العطاء الحضاري في مختلف المجالات الانسانية والعلمية على حدأ سواء وفقد برز علماء من بغداد في مجال العلوم العلمية، ومن بين هذه العلوم علم الرياضيات والهندسة والفلك، ويعد ابو الوفاء البوزجاني ابرز من عمل في هذا المضمار وكان يتقن فن الحساب وكان لديه عدة طروحات ومؤلفات في الجانب العلمي، وابدع ابو الوفاء البوزجاني وكان مذا عالماً بالرياضيات والحساب وبرع في في تطور علم المثلثات وقدم العديـد من المصنفات التي زادت الى حقل العلوم الرياضية الشئ الكثير في مجال الجبر والهندسة ،وللارتباط المعروف بين الحساب والارقام الرياضية زاد لنا العديد من الرسائل والكتب في مجال علم الفلك وكان يسمى بالحاسب والمهندسة لموسوعيته، وثقافته الواسعة تدل على اطلاعه على مختلف المؤلفات التي تخص العمل الرياضي .

السيرة والمكانة العلمية :

السيرة :

اسمه : محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس^(١)
ولادته : ولد يوم الاربعاء اول رمضان سنة (٣٢٧هـ / ٩٤٠م) وقيل انه ولد في سنة (٣٢٨هـ / ٩٣٩م) في مدينة بوزجان*^(٢)
لقبه :لقب ابو الوفاء بالمهندس^(٣) والاسـتاذ^(٤) ، و لقب بالحاسب لشهرته في مجال علم الحساب^(٥) فضلاً عن لقب حامل لواء الهندسة^(٦) .
وفاته : توفي ابو الوفاء البوزجاني سنة(٣٨٨هـ / ٩٩٨م)^(٧)
سيرته العلمية :

ينحدر البوزجاني الى اسرة عريقة في مجال العلم والمعرفة وهو أحد الائمة المشاهير في علم الهندسة والحساب وله فيها استخرجات جديدة لم يسبقه اليه احد^(٨)
" بلغ المحل الاعلى في الرياضيات ، وكان حميد الأثر، وكفى بذلك شاهداً تصنيفه المعنون بالمنازل ثم زيجه ثم سائر تصانيفه"^(٩)

فقرأ على يد عمه المعروف بابي عمرو المغازلي ،وخاله المعروف بابي عبد الله محمد بن عنبسة ، علم الاعداد والحساب ، وكان عمه ابو عمرو قرأ الهندسة على يد ابي يحيى الماوردي وابي العلاء بن كرنيب^(١٠) ثم انتقل الى العراق سنة (٣٤٨هـ / ٩٥٩م) وقرأ عليه عامة الناس واستفادوا ونقلوا من علومه الشئ الكثير^(١١) .

كما مارس العمل في مجال علم الفلك بطرق علمية فكان على جانب كبير من البحث والتقصي والتجربة والاطلاع فعمل في المرصد الفلكي الذي اقامه شرف الدولة بن عضد الدولة البويهبي وكان مرصداً فلكياً في حديقة القصر المعروفة بدار المملكة



ببغداد ويسمى بالمرصد الشرقى برع ابو الوفاء البوزجاني الحاسب فى العمل فى هذا المرصد بل كان من المؤسسين له^(١٢)

ومن خلال مسيرته العلمية استطاع ابو الوفاء ان يصل ابو حيان التوحيدى صاحب كتاب الامتاع والمؤانسة بالوزير ابن سعدان وكان الاخير واسع الاطلاع له مشاركات فى الفلسفة والادب والطبيعة وكانت وزارته منتدى تجمع كثير من جل العلماء والادباء ومنهم ابو الوفاء البوزجاني، كان احد مشاهير علم الهندسة وله فيها طروحات غريبة لم يسبقه بها احد، ومن علماء الهندسة ايضاً الشيخ ابو الفتح موسى بن يونس الذى بالغ فى وصف كتبه واعتمد عليها فى كتاباته واحتج بها فى تصانيفه وكان عنده من تاليفه كتب عدة^(١٣).

وكان ابو الوفاء من نماء ابن سعدان كما ذكر التوحيدى " وأما ابو الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطبية والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية،..... هذا مع استفاده بمقامه الطويل ببغداد "^(١٤).

ولم يزل ابو الوفاء مقيماً فى بغداد الى ان توفي فيها^(١٥).

عصر البوزجاني :

تميز العصر الذى عاش فيه بأنه عصر الذروة العلمية فى الحضارة الاسلامية تمثل ذلك بالعطاء الفكرى فى كل المجالات العلمية ومن اهم اسباب ازدهار الحركة الفكرية وتطورها فى العصر العباسى وبالتحديد فى القرن الرابع الهجرى، كانت بغداد مقصد العلماء اذ كانت مركزاً ثقافاً وفكرياً وعلمياً الى جانب البصرة والكوفة ودمشق، وقلماً عالماً او فقيه او محدث او كاتب او اديب الارحل الى بغداد وطلب العلم من علمائها^(١٦) انطلاقاً من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة "^(١٧)

اذ كان الناس يتناظرون ويتناقشون فى مختلف الموضوعات ذلك ان الحرية هي احد اسباب التقدم والرقي العلمى، فهي تفتح قرائح الافراد وتقوي ذاكرتهم وادراكهم وتحفز العلماء على البحث والنظر^(١٨).

وفى الواقع ان المجتمع العربى الاسلامى تطور خطوات واسعة فى مضمار العلم والمعرفة، اذ اعتبرت هذه الحقبة من ازهر العهود الثقافية فى البلاد لاطلاق الحرية الدينية والحرية العلمية الفكرية فى البلاد^(١٩) ولا سيما فى مدة حكم عضد الدولة البويهى (٣٦٧-٣٧٢هـ / ٩٧٧-٩٨٢م) اذ كان عاقلاً فاضلاً سياسياً محنكاً، محب للعلماء باذلاً فى مواطن العطاء. اجرى على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين والنحاة والقراء والنسابين والاطباء والحساب، والمهندسين^(٢٠) وعلى ما يبدو ان قصره محط انظار رجال العلم والادب.

اذ غدت بغداد مركز العلم والثقافة كما اشار كرد علي " ومبعث الحركة الفكرية مباءة العلم الوحيدة بل حاضرة الثروة والرفاهية المدنية "^(٢١)

جمل من اقواله :

كان البوزجاني نقي الجيب عن عثرات الدنيا قانعا بما عنده له عدة اقوال في مجال المعرفة يمكن ادراجها تحت عنوان الحكم ومقولات مشهورة اكتسبها من خلال تجارب حياته منها :

- ١- لا خير في الحياة الا مع الصحة والأمن .
- ٢- من سوء الأدب الأستخفاف بحق المؤدب .
- ٣- لا تتحدث مع من يرى حديثك غنماً الا عند الضرورة .
- ٤- ان غلبك غيرك في الكلام فلا يغلبك احد في السكوت .
- ٥- ان كان السفيه عندك فخصه بترك المكافأة .
- ٦- لا تجالس احداً بغير طريقتك ،فأنك ان لقيت الجاهل بالعلم ،والماجن بالجد ،فقد آذيت جليسك ،وأنت مستغن عن ايذائه^(٢٢) .

مؤلفاته :

الف البوزجاني العديد من المؤلفات في مجال اختصاصه من اهم تلك المجالات هي :

- ١-العلوم الرياضية :
- ويطلق عليها ابن خلدون العلوم العددية ويعد علم الحساب اول هذه العلوم ويسمى بالارثماتيقي فيذكر " واولها الارثماتيقي وهو معرفة خواص لاعداد من حيث التأليف اما على التوالي او بالتضعيف مثل ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد : فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد... ومن فروع علم العدد صناعة الحساب وهي صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق " ^(٢٣) والضم هو الجمع والضرب والتفريق هو الطرح والقسمة ،ومن اهم مؤلفاته في هذا المضمار :
- ١- كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب من صناعة الحساب وهو سبع منازل الاولى في النسبة والثانية في الضرب والقسمة ،والمنزلة الثالثة في اعمال المساحات والمنزلة الرابعة في اعمال الخراج والخامسة في اعمال المقاسمات والسادسة في الصروف اما المنزلة السابعة في معاملات التجار^(٢٤) ويبدو من خلال اسم الكتاب ان له فائدة في مجال الجوانب الاقتصادية والاعمال التجارية وهو كتاب جميل ومفيد في ان واحد^(٢٥) .
- ٢- شرح كتاب اقليدس المهندس ان قام ابو الوفاء البوزجاني بشرح هذا الكتاب لما يحتويه من معلومات مهمة في مجال الرياضيات والهندسة لكنه لم يتمه^(٢٦) .
- ٣- وله شرح لمؤلفات منها كتاب تفسير تناول فيه تفسير كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة ،وكتاب المدخل الى الارثماتيقي ،كتاب تفسير كتاب ذيوفنطس في الجبر ،كتاب تفسير ابي حسن في الجبر ،كتاب فيما ينبغي ان يسقط قبل كتاب ارثماتيقي ،كتاب البراهين على القضايا التي استعمل ذيوفنطس في كتابه وعلى ما استعمله في التفسير^(٢٧) .
- ٤- وله مؤلفات في الاشكال الهندسية منها :



كتاب استخراج ضلع المكعب بما مال وما يتركب منهما (مقالة) ،كتاب معرفة الدائرة من الفلك (مقالة) ^(٢٨) .
 ٥- كتاب المجسطى ^(٢٩) وهو كتاب يجمع بين الرياضيات والفلك .
 ٢- علم الفلك :

وهو علم النظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ،ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكال واوضاع الافلاك كما اشار ابن خلدون ^(٣٠) .
 اما المستشرق الايطالى نلينو فيعرف علم الهيئة بأنه العلم الذي يهتم بعلم النجوم او صناعة التتجم وعلم الافلاك ^(٣١) .

وكان اليونانيون اهتموا بالرصد كثيراً ويتخذون الآت من اجل رصد حركة الكواكب والافلاك تلك الكواكب التي يطلق عليها ذات الحلق ومن فروع علم الفلك علم الارياج وهي عبارة عن جداول مرتبة ترتيباً يسهل على المقبل لتعلمها حفظها وتعلمها في آن واحد وبرع العلماء العرب المسلمين في هذا الجانب ^(٣٢) فاتخذوا من الرصد والالات الخاصة بالرصد وتعيين مواقع الكواكب والنجوم اسلوبا في البحث والتقصي وجمع المعلومات والحقائق حول النجوم والافلاك السماوية فاقتفى اثر بطليموس واختصر كتاب المجسطى وشرحه ^(٣٣) في كتابه ال (كامل) وهو ثلاث مقالات المقالة الاولى في الامور التي يجب ان تعلم وتعرف قبل حركات الكواكب والمقالة الثانية في حركات الكواكب ،اما المقالة الثالثة في الامور التي تعرض لحركات الكواكب ،كتاب زيج الواضح ثلاث مقالات الاولى في الاشياء التي ينبغي ان تعلم قبل حركات الكواكب الثانية في حركات الكواكب والمقالة الثالثة في الاشياء التي تعرض لحركات الكواكب ولعمه كتاب مطالع العلوم للمتعلمين يتكون من ستمائة ورقة ^(٣٤) وكتاب العمل بالجدول الستيني ^(٣٥) .

القيمة العلمية لظروحات ابو الوفاء البوزجاني :

يعد ابو الوفاء البوزجاني من اوائل العلماء العرب المسلمين الذين برعوا في مجال علم الهندسة والرياضيات والفلك ن وقد ارتبط اسمه بتطور حساب المثلثات فقد كانت لديه انجازات في هذا الجانب منها انه ابتكر طريقة لانشاء جداول للجيوب في المثلثات المستوية ،واعطى جيب نصف الدرجة صحيحاً لثماني منازل عشرية كما وضع جداول لنسبة الظل ، واستخدم مصطلح القاطع ، وقاطع التمام ، ويعتبر البوزجاني اول من عمم قانون الجيوب على المثلث الكروي القائم وغير القائم وقد استبدل نظرية منالوس بعلاقات بين النسب المثلثية ^(٣٦) .

ان كتب ومؤلفات البوزجاني جعلته احد العلماء المعدودين في علم الفلك والعلوم الرياضية والهندسية كما ان اراءه وظروحاته كانت لها الفضل في تطور وتقدم هذه العلوم ولا سيما في مجال الفلك والمثلثات ^(٣٧) .

وكان كتاب المجسطى الذي يحتوي على آراء بطليموس في الفلك والرياضيات وهي معلومات غاية في الدقة والاهمية و دأب العلماء المسلمون من اجل شرح هذا الكتاب والتعليق عليه او التأليف على نهجه فكان ابو

الوفاء البوزجاني على قائمة المتصدرين فالف كتاب المجسطي^(٣٨) ومن بين ما زاد أيضاً انه اكتشف احدى المعادلات لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة وحساب القمر^(٣٩) وعمل الازياج^(٤٠) فكانت لآراءه العلمية قيمة ما زال الكثير منها معتمدة الى وقتنا الحاضر في تقدير محيط الارض وقياسات ورصد واستدارة الارض وعمل الازياج الى جانب العمل في المراصد وحسبوا طول السنة الشمسية^(٤١).
 اما في مجال الرياضيات فمن جملة نتاجاته انه شرح كتاب ذيوفانطس في الحساب والجبر وكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي فجمع بين العلوم الهندية والعلوم اليونانية^(٤٢).
 وتبدو زيادات البوزجاني في المثلثات واضحة فقد اوجد طرق جديدة في حساب الجيب فقد كان جيب الزاوية المتساوية ثلاثين دقيقة محسوباً فيها حساباً صحيحاً الى الرقم الثامن من الكسر العشري، الى جانب انه عرف الصلات في المثلثات (الانساب) الذي نعبر عنه اليوم بالرمز \sin (أب) واكتشف ان هنالك صلات بين الجيب والظل (المماس) والقاطع والقاطع تمام^(٤٣).
 كما انه اوجد حلوًا جديدة للقاطع المكافئ وبذلك يعد ابو الوفاء البوزجاني من بين الذين مهدوا الى ظهور الهندسة التحليلية وعلم الحساب والتكامل والتفاضل واشتق نظرية الجيب من خلال المثلثات الكروية كما اشتهر في صنع وعمل بعض الآلات الهندسية المستعملة في الرسوم الهندسية فالف في ذلك كتاب في عمل المسطرة والبركار والكونيا وتقد ترجمه الاوربيون الى لغاتهم للاطلاع عليه والاستفادة منه زيادة الى صنع الآلات من اجل رسم الاشكال الهندسية المهمة مثل الاشكال الهندسية المتساوية والدوائر ورسم الدائرة في الاشكال وتقسيم المثلثات والمربعات والاشكال المختلفة الاضلاع والدوائر المماسية كل هذه الامور شارك فيها البوزجاني وشاركت في تقدم علم المثلثات من بعد البتاني^(٤٤).
 الهوامش:

- (١) ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق ،الفهرست ، تحقيق رضا تجدد، ١٩٧٨، ص٣٤١.
- (٢) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك ،الوافي بالوفيات، ج١، طالعده يحيى بن محي الشافعي ، تحقيق: احمد الاناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٦٩
- *بوزجان :بلدة بين نيسابور وهرآة وهي من نواحي نيسابورمن بلاد خراسان منها الى نيسابور اربع مراحل والى هرة ست مراحل نبغ منها جماعة من اهل العلم والمعرفة ينظر : الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ،معجم البلدان ، م١، دار صادر ، بيروت ، ص٥٠٧؛ ابن الاثير ، عز الدين ، اللباب في نهذيب الانساب، ج١، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص١٨٥-١٨٦؛ السمعاني ، ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الانساب، ج١، قدم لها : محمد احمد علاق ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ن لبنان ، ١٩٩٩م، ط١، ص٢٩٧.
- (٣) التوحيدى ، ابي حيان ، الامتاع والموانسة ، ج١، اغناء ومراجعة هيثم خليفة الطعيمي ، ٢٠١١م ، ص ٥٧؛البغدادي ، اسماعيل باشا، هدية العارفين واسماء المؤلفين واثار المصنفين ، ج٦، استنبول ، ١٩٥٥، منشورات مكتبة المتنبى ، بيروت ، ص٥٥.
- (٤) الذهبى ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (٨٧٤هـ / ١٣٧٤م) ، سير اعلام النبلاء ، ج١٦، اشراف وتخرج : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : اكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة ، ص٤٧١.
- (٥) ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ، وفيات الاعيان واثار النبلاء الزمان ، م٥، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧، ص١٦٧. الصفدي ، الوافي ، ج١، ص ١٦٩.



- (٦) الذهبى ، سير اعلام ، ج١٦ ، ص ٤٧١ .
(٧) القفطى ، جمال الدين ابى الحسن على بن يوسف (ت٦٤٦هـ) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، علق عليه ووضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ن دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢١٨ .
(٨) الصفدى ، الوافى ، ج١ ، ص ١٦٩ .
(٩) البيهقى ، ابو الحسن ظهير الدين على بن زيد بن محمد (ت٥٦٥هـ) ، تتمة صوان الحكمة ، ج١ ، ص ٢٩ .
(١٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤١ .
(١١) البيهقى ، تاريخ الحكماء ، حيدر اباد ، الدكن ، ص ٢٨٨ .
(١٢) عبد الرحمن ، حكمت ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، مطبوعات جامعة الموصل ، ١٩٧٧ ، ص ١٩٥ .
(١٣) التوحيدى ، الامتاع والموانسة ، ج١ ، ص ٢٢٧ .
(١٤) التوحيدى ، الامتاع والموانسة ، ج١ ، ص ٢٨ .
(١٥) القفطى ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢١٨ .
(١٦) عبد الحميد ، طه عبد المقصود ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ص ٥ .
(١٧) البغدادي ، ابى بكر عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا (٢٠٨هـ) ، مكارم الاخلاق ، تحقيق وتحرير: بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ٢٠٠٢م ، ط١ ، ص ١٥٦ .
(١٨) الحكيم ، حسن عيسى ، الشيخ الطوسى ابو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ) ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٧٥ ، ط١ ، ص ٣٢ .
(١٩) جواد ، مصطفى ، ابو جعفر النقيب ، مطبعة الهلال، بغداد ، ص ٥ .
(٢٠) متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ج١ ، نقله الى العربية : محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ط٣ ، ص ٤٦ .
(٢١) كرد على ، محمد بن عبد الرزاق ، بن محمد (ت١٣٧٢هـ) الاسلام والحضارة العربية ، ج٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢ .
(٢٢) البيهقى ، تتمة صوان الحكمة ، ج١ ، ص ٢٩ .
(٢٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، المقدمة ، طبعة دار الفكر ، ص ٤٧٩-٤٨٠ .
(٢٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤١ .
(٢٥) البيهقى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٨٨ .
(٢٦) البيهقى ، تاريخ الحكماء ، ص ٦٤ .
(٢٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤١ .
(٢٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤١ .
(٢٩) القفطى ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢١٧ .
(٣٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٨٤ .
(٣١) نلينو ، كرلو ، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ط٢ ، ص ١٨-١٩ .
(٣٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٨٤ .
(٣٣) خليل ، ياسين ، العلوم عند العرب ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .
(٣٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤١ .
(٣٥) القفطى ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢١٧ .
(٣٦) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٧٠ .
(٣٧) عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٢١٠ .
(٣٨) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ ، ط٣ ، ص ١٢٨ .
(٣٩) فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٦٧ .
(٤٠) منتصر ، عبد الحليم ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٢ .
(٤١) منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، ص ١٠٣ .
(٤٢) فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٤٢ .

- (٤٣) فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص١٥٩ .
(٤٤) باقر ، طه ، موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارة القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

**القصد من اجراء القصد
دراسة تاريخية في عملية القصد الطبية في التراث العربي**



أ.م.وهناؤ كاظم خليفه

(الجامعة المستنصرية/كلية اللواب/قسم التاريخ

dr.hena1974 @ gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وسلم وبعد،فأن عملية الفصد ماهى الا احد الاجراءات الطبية التى كانت شائعة ومعروفة عند جميع الفئات الاجتماعية،والمقصود بها قطع العرق. لان الغرض من الفصد هو إخراج الدم من وريد أو عرق بقصد العلاج والتداوى.والواقع ان هذا الاجراء الطبي على معرفته الا انه لا يمكن الاتيان به الا من قبل طبيب مختص او اصدر امر الفصد من قبله للمتطبب او من يمتلك دراية ومعرفة باجراء هذه العملية من ذوى التجربة.

لا غرو ان موضوع الفصد من الموضوعات المهمة والتي تثير الاهتمام ولعل اهم ما فيه هو تلكم الاجراءات التى يجب ان تتخذ من قبل الفاصد والمفتصد .لا سيما وان البحث قد كشف عن شروط يجب ان تتوفر حتى تتم عملية الفصد.ومن الضروري اتخاذ الات الفصد الخاصة التى تستعمل عند الفصد .كما ان للفصد اساسيات خاصة به يجب الالتزام بها وتأصيلها والاخذ قدر المستطاع بالاحاطة بها واذا ما اهملت ولم يلتزم بها فإن النتائج ستكون وخيمة على المفتصد بالدرجة الاولى .

يهدف البحث ابراز عدد من الامور منها:

- ١- بيان الاليات الطبية التى عرفها ويستعملها العرب سواء مسلمين او غيرها .
- ٢- التعرف على تلكم العلوم الطبية التى كانت شائعة ومعروفة بين اوساط المجتمع عامة وعرض التجارب الطبية للاطباء والفاصد .
- ٣- استكشاف الات الفصد وابرز الاجراءات التى تتخذ من قبل الفاصد والمفتصد .
- ٤- احياء تراث العرب الطبي وتسليط الضوء عليه
- ٥- الاحاطة ببعض الاجراءات الطبية غير المدروسة وبيان اهميتها .
- ٦- التنبيه الى ضرورة رقد الجانب البحثى بذلك التطور العلمى العربى فى مجال الطب والعمل على مد جسور التواصل بين التراث والاصالة .

خطة البحث: اقتضت خطة البحث ان نبدأ بهذه المقدمة واعتمدنا فى تقسيمه على فقرات سعينا فيها الى تغطية الموضوع قد المستطاع عبر المعلومات التى جمعناها فبدأنا بتعريف الفصد ثم الغرض من الفصد ودواعيه الادوات المستعملة فى الفصد ثم تكلمنا عن القائم بالفصد و شروط الفصد والمفتصد و التشخيص والعلاجات و وقت الفصد واوضاع الفصد و النتائج الوخيمة الناتجة من عدم الاخذ باجراءات الوقائية عند

الفصد والاختفاء التي يقع بها الفاصد وبرز المؤلفات في الفصد ومراسيم الفصد واجرة الفصد ومع خاتمة اودعنا فيها ابرز النتائج التي توصلنا اليها.
الكلمات المفتاحية: الفصد، اجراء، التراث العربي، التشخيص

Abstract

Research deals with Phlebotomy which one of the medical procedures that were common and known to all social groups, and it is intended to cut the sweat. Because the purpose of phlebotomy is to remove blood from a vein or vein for the purpose of treatment and medication. Indeed, this medical procedure is to be known, but it can only be brought by a specialist doctor or a phlebotomy order has been issued by him to the doctor or whoever has the knowledge and knowledge to conduct this operation from those with experience.

The research aims to highlight a number of things, including:

- 1- Explaining the medical mechanisms known and used by the Arabs, whether Muslims or others.
- 2- Knowing these medical sciences that were common and well-known among the circles of society in general, and presenting the medical experiences of doctors and Phlebotomists.
- 3- Exploring the phlebotomy, the most prominent measures that are taken by the Phlebotomist and the phlebotomyPatient.
- 4- Reviving the Arab medical heritage and highlighting it.
- 5- Take note of some unexamined medical procedures and explain their importance.
- 6- The warning to the need to supplement the research side with that Arab scientific development in the field of medicine and to work on building bridges of communication between heritage and originality.

key words: Phlebotomy, procedure, Arab heritage, diagnosis

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وسلم وبعد،فإن عملية الفصد ماهي الا احد الاجراءات الطبية التي كانت شائعة ومعروفة عند جميع الفئات الاجتماعية،والمقصود بها قطع العرق. لان الغرض من الفصد هو إخراج الدم من وريد أو عرق بقصد العلاج والتداوي .والواقع ان هذا الاجراء الطبي على معرفته الا انه لا يمكن الاثيان به الا من قبل طبيب مختص او اصدر امر الفصد من قبله للمتطبب او من يمتلك دراية ومعرفة باجراء هذه العملية من ذوي التجربة.ومن المفيد قوله اننا سعينا ان نجمع ما يمكن من المعلومات الطبية الخاصة بالفصد وما يتعلق به ،ولكون الفصد جانب طبي بحث فلم نعتمد على المنهج التحليلي – التاريخي في



عرض المعلومة الا اننا سعيانا ان نبوب المعلومات ضمن فقرات ذات عنوان يعطيها مدلولها ويفصح عن محتواها ضمن ترتيب منهجي خاص .

الفصد : قطع العرق ، والاسم الفصاد . الفصد بالفتح فالسكون هو قطع العرق ويقال فصد فصدا من باب ضرب ، والاسم الفصاد . وتقصد عرقا بالنتشديد : أي سال عرقه، تشبيها في كثرته بالفصاد.^(١) وانفصد الشئ وتقصد اي سال.^(٢) والمنفصد والمتفصد: السائل الجاري وتقصيد: تشقق وتحدد . والتفصيد : النقع بماء قليل.^(٣)

الغرض من الفصد ودواعيه:اولا:الغرض من الفصدان الغرض من الفصد هو إخراج الدم من وريد أو عرق بقصد العلاج والتداوي.^(٤) ويتفصد عرقا أي يجري منه كما يجري الدم من الفصاد.^(٥) فالفصد هو استقراغ كلي يستفرغ الكثرة والكثرة هي تزايد الأخلاط على تساويها في العروق.^(٦)

ثانيا: دواعي الفصد

- ١- الفصد هو استقراغ كلي بالمعنيين لأنه يستفرغ الاخلاط كلها
- ٢- قد يكون الفصد من البدن كله
- ٣- يكون الفصد إما لحفظ الصحة لزيادة الخلط في الكم أو رداؤه في الكيف أو لهما أو لدفع المرض كتلبس البدن بما يكون عما ذكر وقد يكون لمجرد الخوف من الوقوع فيما يفسد كالفصد عند الضربة والسقطة والانزعاج ولا شك أنه إن كان عن غلبة الدم وساعد الفصل والسن والقوة وجب من بادئ الرأي وإلا أضر إلى استحكام النضج لئلا يختلط الصحيح بالفاصد فيعم الفساد.^(٧)
- ٤- وانما ينبغي أن يفصد أحد نفسين المتهبئ للأمراض إذا كثر دمه وقع فيها والآخر الواقع فيهاوكل واحد منهما اما ان يفصد لكثرة الدم واما ان يفصد لرداءة الدم واما ان يفصد لكليهما والمتهبئ لهذه الأمراض هو مثل المستعد لعرق النسا والنقرس الدموي وأوجاع المفاصل الدموي والمستعدون للصرع والسكته والمالنخوليا مع فور دم للخوانيق ولأورام الأحشاء والرمد الحار.
- ٥- من يكون به ورم ويخاف انفجاره قبل النضج فإنه يقتصد وان لم يحتج إليه ولم تكن كثرة.

^١ الطريحي: الشيخ فخر الدين"ت، ١٠٨٥هـ"، مجمع البحرين ، ط٢، السيد احمد الحسيني،(طهران- ١٣٦٢ش)، ج ٣ ، ص ١٢١؛ العاملي: الشيخ ياسين عيسى، الاصطلاحات الفقيهية في الرسائل العملية ، (بيروت- ١٩٩٣)، ص ١٦١ .
^٢ الجوهرى: اسماعيل بن حماد"ت، ٣٩٣هـ"، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ،(بيروت- ١٩٨٧)، ج ٢ ، ص ٥١٩؛ الزمخشري: محمود بن عمر"ت، ٥٣٨هـ"، اساس البلاغة،(القاهرة- ١٩٦٠)، ص ٧١٦ .
^٣ الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب"ت، ٨١٧هـ"، القاموس المحيط ، (بلاتا- بلا مكان)، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
^٤ أبو حبيب: الدكتور سعدي ، ط٢،(دمشق- ١٩٨٨)، القاموس الفقهي ، ص ٢٨٦؛فتح الله، :الدكتور أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري،(الدمام- ١٩٩٥)، ص ٣٢٠ .
^٥ الشامى : محمد بن يوسف الصالحي"ت، ٩٤٢هـ"، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض،(بيروت- ١٩٩٣)، ج ٢ ، ص ٢٦١ .
^٦ ابن سينا: ابو علي"ت، ٤٢٨هـ" ، القانون في الطب ، (بيروت- بلاتا)، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
^٧ الانطاكى : الشيخ داود"ت، ١٠٠٨هـ" ، تذكرة أولى الألباب و الجامع للعجب العجاب ،(بيروت-بلاتا)، ج ٣ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

و أن هذه الأمراض ما دامت مخوفة ولم يوقع فيها فان إباحة القصد فيها أوسع.^(١)
ادوات الفصد: يبدو ان لعملية الفصد ادواتها الخاصة التي يجب ان تكون لاجراء
الفصد ومنها: **اولا: المِقْصَدُ بالكسر** وهو آلة الفِصَادِ كالمِبْضَعِ . فالفصد بكسر الميم ما
يفصد به.^(٢)

ثانيا: المِبْضَعُ^(٤) وهو الذي يشق به الجرح.^(٥) فالمشروط هو المِبْضَعُ.^(٦) ومن شروطه ان
يكون لينا حذرا من الكسر نظيفا رفيع الشفرة ويمسك بلطف ولا يببخش عرضا.^(٧)
كما يجب أن يكون مع الفصد مياضع كثيرة ذات شعرة وغير ذات شعرة وذات الشعرة
أولى بالعروق.^(٨) وطريقة استعماله بالشكل التالي إذا عملت المِبْضَعُ فلا تدفعه باليد
غمزا بل برفق بالاختلاس لتوصل طرف المِبْضَعُ حشو العروق وإذا أعنفت فكثيرا ما
ينكسر رأس المِبْضَعِ.

انكساراً خفياً فيصير زلقاً يجرح العرق فان ألححت بفصدك زدت شرا ولذلك يجب أن
يجرب كيفية علوق المِبْضَعِ بالجلد قبل الفصد به.^(٩)

ثالثا: يجب أن تكون معه كبة من حز وحرير.^(١٠) **رابعا: مقياً من خشب أو ريش**^(١١)
خامسا: ووبر الأرنب^(١٢) **سادسا: دواء الصبر والكندر ونافجة مسك ودواء المسك**
وأقراص المسك ودواعي استخدام الادوات من ثالثا وحتى سادسا انه إذا عرض غشى
وهو أحد ما يخاف في الفصد وربما يفلح صاحبه بادر فألقمه الكبة وقياه بالآلة وشممه
النافجة وجرعة من دواء المسك أو أقراصه شيئا فتنعش قوته وان حدث بثق دم بادر
فحشاه بوبر الأرنب ودواء الكندر.^(١٣)

**سابعا: الادوية المسهلة فإذا فصد الدم وخرج من الجسد خرج معه الألم ، ومتى لم
يخرج الدم خبث ضرورة في البدن واحتاج المريض إلى الادوية المسهلة.**^(١٤)

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
^٢ الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٥، ص ١٦٦؛ الفيروز آبادي، "ت" ١٢٠٥هـ، القاموس المحيط، تحقيق: علي شيري، (بيروت- ١٩٩٤)، ج ١، ص ٣٢٣.
^٣ الفيومي: أحمد بن محمد المقرئ، "ت" ٧٧٠هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت- بلاتا)، ج ٢، ص ٤٧٤؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٢١.
^٤ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت- ١٩٩٢)، ج ٣، ص ٣١٣؛ الأنطاكي، تذكرة
أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٥ - ١٣٦.
^٥ إعداد مركز المعجم الفقهي، المصطلحات، (بلا تا- بلا مكان)، ص ٦٣٩.
^٦ الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١١٣٦.
^٧ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٥ - ١٣٦.
^٨ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
^٩ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.
^{١٠} ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
^{١١} ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
^{١٢} ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
^{١٣} ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
^{١٤} الشعراني: عبد الوهاب "ت" ٩٧٣هـ، لوائح الأنوار القدسية في العهود المحمدية، ط ٢، (مصر- ١٩٧٣)، ص ٥٨٥.



ثامنا: الطستيد الطست جزءاً من الادوات التي يستعملها الفصاد حتى جاء في الشعر انشاد الشاعر أبو الحسين الظاهر البصري والذي وله من قصيدة في مفصود كأنما دمه في الطست حين جرى صرف من الراح في قعب من الذهب حتى إذا رجعت في كمة يده كالشمس غابت عن الابصار في الحجب^(١) ويبدو انه يستعمل لأخراج الكميات الكبيرة من دم المفتصد. فمن يحتمل الفصدولو في حماه اخذ خمسة أو ستة أرتال من الدم ومنهم من لا يحتمل في الصحة اخذ رطل.^(٢) وان الدم الذي خرج من فصد العسكري " عليه السلام " عندما فصد بحيث ملاً الطست والطستوا الطست.^(٣)

تاسعا: الرفاضة وهي الخرقفة تُوضَعُ عَلَى يَدِ الْفَاصِدِ.^(٤) **عاشرا:** الريشة وهي اداة لفصد الشريان.^(٥) **حادي عشر:** الدهناذ يمسح الموضع المراد فصده قبل شرطه بالدهن ، وكذلك الفصد ويمسح الموضع الذي يفصد بدهن لانه يقلل الألم و يلين المشرط^(٦) **ثاني عشر:** الطاس اي طاس المفصد والذيعن طريق تعلم به مقادير الدم.^(٧) **القائم بالفصد:** قد يتبادر الى الذهن سؤال بمن يقوم بعملية الفصد هل هناك شخص بعينه يقوم بذلك ام بأماكنيا كان ان يفصد؟ ووفقا لما اطلعنا عليه من الروايات فان من يتولى هذه المهمة هو:

اولا: الطبيب ومنهم على سبيل المثال لا الحصر

الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة كان فاضلا يلحق بأبيه في صناعة الطب تقلد في سنة ٣١٣هـ الليمارستان الذي اتخذه ابن الفرات بدرج المفضل من قبل الوزير الخاقاني.^(٨) والطبيب جرجس بن يوحنا بن سهيل بن إبراهيم أبو الفرج البيرودي "ت، ٤٠١هـ" وبيروود قرية إلى جانب صيدنايا من عمل دمشق. كان من النصارى اليعاقبة وكان بقريته من جملة فلاحيتها يجمع الشيخ من بر دمشق ويدخل يبيعه في دمشق فاتفق يوما أن دخل في باب توما فوجد طبيبا يفصد إنسانا قد عرض له رعا ف شديد من الجهة التي وقع الفصد فيها فوقف ينظر إليه وقال لم تفعل هذا قال لقطع الدم فقال إن كان الأمر هكذا فإننا في موضعنا قد اعتدنا أنه متى كان نهر جار وأردنا قطع

^١ الثعالبي: عبد الملك النيسابوري "ت، ٤٢٩هـ"، بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قمحية، (بيروت - ١٩٨٣)، ج ٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

^٢ ابن سينا ، قانون ، ج ١، ص ٢٠٩ .

^٣ الشاهرودي : الشيخ علي النمزي ، مستدرک سفينة البحار ، تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمزي، (قم المقدسة - ١٤١٨)، ج ٣، ص ٣٤٨ .

^٤ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ، ٢، تحقيق : د. فانز محمد ، مراجعة : د. إميل يعقوب، (بيروت - ١٩٩٦)، ص ٢١٢ .
^٥ الصفدي : خليل بن أبيك بن عبد الله "ت، ٧٦٤هـ" ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، (بيروت - ٢٠٠٠)، ج ١١، ص ٥٢ .

^٦ الطبرسي : ميرزا حسين النوري ، مستدرک الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، (بيروت - ١٩٨٧)، ج ١٣، ص ٨٧ - ٨٨ .

^٧ قطب الدين الراوندي : سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن "٥٧٣هـ" ، الخرانجوالجرائح ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (ع) ، بإشراف السيد محمد باقر الموحّد الأبطني، (قم المقدسة - ١٤٠٩)، ج ٣، ص ١٠٦٠ .

^٨ ابن أبي أصيبعة : أحمد بن قاسم الخزرجي "ت، ٦٦٨هـ" ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (بيروت - بلاتا)، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

الماء عنه فإننا نجعل له مسيلاً إلى ناحية أخرى غير مسامطة له فافعل أنت كذلك ففعل فانقطع الدم فقال الطبيب لليبرودي لو أنك مشتغل بالطب جاء منك طبيب جيد. فمالت نفسه إلى الطب واشتغل به ولما تبصر في الطب قصد أبا الفرج بن الطبيب كاتب الجاثليق ببغداد وقرأ عليه الطب والحكمة إلى أن مهر وعاد إلى دمشق وأقام بها.^(١) والطبيب سلموية كان عالماً بصناعة الطب فاضلاً في وقته.^(٢)

الطبيب عمران الإسرائيلي "ت، ٦٣٧هـ" كان حسن المعالجة وتحققه للأمراض ما يتعجب منه ومن ذلك أنه كان يوماً قد أتى البيمارستان مفلوج والأطباء قد ألحوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم فلما رآه وصف له في ذلك اليوم تدبيراً يستعمله ثم بعد ذلك أمر بفضده ولما فصد وعالجه صلح ويراً برأ تماماً.^(٣)

وأبو الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرائي كان طبيباً فاضلاً كثير الدراية وافر العلم بارعاً في الصناعة موقفاً في المعالجة مطلعاً على أسرار الطب.^(٤) الذي لم يخالف تدبيره^(٥) ومنهم أيضاً ابن أبرونا الطبيب الفصّاد^(٦)

ثانياً: المتطبب والفاصداو الفصّاد وهو الذي يشق العرق^(٧) وغالباً ما يفصد الفصّاد مداواة لمرض المفتصد بأمر الطبيب^(٨) ومنهم على سبيل المثال ان عبدا نصرانياً متطبباً مربالري وعمره مائة سنة ونيف وكان تلميذ بخثيشوع طبيب المتوكل فبعث إليه الامام الحسن ابن علي بن محمد بن الرضا " عليهم السلام " ليفصده وذكر حادثة تسترعي الانتباه في الفصد اذ قال : وكان الوقت الذي أتيت فيه جيداً محموداً للفصد فدعاني في وقت غير محمود له. فمضى إليه وأمر به إلى حجرة وأحضر طشتاً عظيماً فأحضر طشتاً كبيراً عظيماً ففصدت الأكل فلم يزل الدم يخرج حتى امتلأ الطشت، ثم قال لي : اقطع الدم فقطعته وغسل يده وشدها وردتني إلى الحجرة وقدم لي من الطعام الحار والبارد الشيء الكثير وبقيت إلى وقت العصر ثم دعاني وقال : سرح ودعا بذلك الطشت فسرحت وخرج الدم إلى أن امتلأ الطشت فقال : اقطع فقطعت وشده يده وردتني إلى الحجرة فبت فيها فلما أصبحت دعاني واحضر ذلك الطشت وقال سرح فسرحت فخرج من يده مثل اللبن الحليب حتى امتلأ الطشت ثم قال اقطع فقطعت وشديده وتقدم إلي بتخت ثياب وخمسين ديناراً وقال: خذ هذا وأعذر وانصرف.^(٩) فأخذت وقلت: يأمرني

^١ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٥٢.

^٢ ابن العبري: غريغوريوس المظني "ت، ٦٨٥هـ"، تاريخ المختصر الدول، (بيروت- بلاتا) ص ١٤٠ - ١٤١.

^٣ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٦٩٦ - ٦٩٨.

^٤ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

^٥ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٩ - ٣١١.

^٦ القاضي التنوخي: المحسن بن علي "ت، ٣٤٨هـ"، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي المحامي، (حمدون- ١٩٧١)، ج ٤، ص ١٢٤.

^٧ ابن منظور: محمد بن مكرم الأفرقي المصري "ت، ٧١١هـ"، لسان العرب، (قم المقدسة- ١٤٠٥)، ج ٢، ص ٢١٠.

^٨ مركز المعجم الفقهي، فقه الطب، (بلامكان- ١٤١٢)، ج ٣، ص ٣٤٦٨.

^٩ مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام العسكري (ع)، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني وآخرون، (قم المقدسة- ١٤٢٦)، ج ٢، ص ٢٦.



السيد بخدمته؟ قال: نعم، تحسن صحبة من يصحبك من دير العاقول الذي بين مدائن كسرى والنعمانية وبينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا على شاطئ.
 دجلة فرجعت إلى بختيشوع، واخبرته القصة فقال: أجمعت الحكماء على أن أكثر ما يكون في بدن الانسان سبعة أمان من الدم والمن رطلان والرطل: تسعون مثقالا. وهذا الذي حكيت لوخرج من عين ماء لكان عجا وأعجب ما فيه اللبن ففكر ساعة ثم مكثنا ثلاثة أيام بلياليها نقرأ الكتب على أن تجد لهذه الفصدة ذكرا في العالم فلم نجد ثم قال: لم تبق اليوم في النصرانية أعلم بالطب من راهب بدير العاقول فكتب إليه كتابا يذكر فيه امر الفصدة وما جرى فيها، فخرجت وناديتها، فأشرف علي فقال: من أنت؟ قلت: صاحب بختيشوع. قال: أمعك كتابه؟ احبته: نعم. فأرخی لي زبيلا اي الجراب أو الوعاء، فوضعت الكتاب فيه ورفعته وقرأ الكتاب ونزل من ساعته.

فقال: أنت الذي فصدت الرجل؟ قلت: نعم قال: طوبى لامك وركب بغلا وسرنا فوافينا مدينة سر من رأى وقد بقي من الليل ثلثة قلت: أين تحب ان نذهب الى بيت أستاذنا، أم دار الرجل؟ قال: دار الرجل فصرنا إلى بابه قبل الاذان الأول، ففتح الباب، وخرج إلينا خادم قائلا: أيكما راهب دير العاقول؟ فأجابته: أنا جعلت فداك. فقال: انزل. ثم خرج الراهب وقد رمى بثياب الرهبانية وليس ثيابا بيضا وأسلم، فقال: احتفظ باليغليين. وأخذ بيده ودخلا، فأقمت إلى أن أصبحنا وارتفع النهار. فقال: خذني الآن إلى دار أستاذك. فصرنا إلى باب بختيشوع، فلما شاهده ركض إليه ثم قال: ما الذي أزالك عن دينك؟

قال: وجدت المسيح - عليه السلام- وأسلمت على يده قال: وجدت المسيح؟ قال: أو نظيره، فإن هذه الفصدة لم يفعلها في العالم إلا المسيح - عليه السلام-، وهذا نظيره في آياته وبراهينه ثم انصرف إليه ولزم خدمته إلى أن مات.^(١) ومن الفصادين نذكر أبو محمد بختيار بن عبد الله الهندي الفصاد "ت، ٥٤١هـ".^(٢)

وكان بدمشق فاصد يقال له أبو الخير فصد في بعض الأيام شابا فوقعت الريشة في شريان فجرى الدم وسال وحرار وتبلد الفاصد فاجتمع الناس عليه وجاء البيرودي "ت، ٤٠١هـ" وهو صبي يسوق دابة تحمل الشيخ فرأه فقال يا عماء افصده في اليد الأخرى ففصده فقال شد الفصاد الأول فشده ووضع عليه لازوقا كان عنده فوقف الدم فقال من أين لك ما أمرتني به فقال أنا أرى لما يسقى الكرم إذا انفتح شق من النهر وخرج الماء منه فتح فتحا آخر ينقص به الماء الأول الواصل إلى ذلك الشق ثم يسده بعد ذلك قال فمنعه الجراحي من بيع الشيخ وشغله بالطب فكان منه البيرودي.

ثالثا: الشخص العادي الذي لديه معرفة بالفصد

يبدو ان عملية الفصد لم تقتصر على الطبيب فحسب وان كانت هذه مهمته الا انها تجاوزته وعلى سبيل المثال ان المأمون اقتصد فسرح والتحم وعنده بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فطلب الحيلة فاعتزلوا ليتناظروا. فقال المأمون لأسود قائم على رأسه:

^١ قطب الدين الراوندي، الخراج الجراح، ج ١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

^٢ السمعاتي: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي "ت، ٥٦٢هـ"، الأنساب، قديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، (بيروت-١٩٨٨)، ج ٥، ص ٦٥٤.

مص موضع الفصد ففعل فخرج الدم. فقالوا لو نشر بقراط وجالينوس ما زادا على هذا.^(١)

شروط الفصد والمفتصد: شروط الفصد: فيما يتعلق بالفصد فيجب التأكد من امور كثيرة منها مايلي:

- ١- فحص النبض فان ثبت غلبة الدم وجب والإترك .
- ٢- ليكن الفصد وقت الراحة وخلو المعدة .
- ٣- الحذر من الفصد يوم النافض واشتداد الحمى ورقة البول وانخراط الشحم وأن يخرج غير أسود فإنه خطأ وربما أهلك.
- ٤- وكذا حال تهيج الوجع والبرد والامتلاء بالمواد أو السدد أو الطعام بل يتقدم بالتنقية ولا بعد حمامو جماع وسقوط قوة وفرط اصفرار.
- ٥- ولا يفصد من عمره قبل الرابعة عشر ولا بعد الستين نعم يجوز في الشيخوخة إذا غلبت علامات الدم ولا يوم تخمة إذ قل من ينجو حينئذ ويعاجل بالفصد مالم تغلب الموانع فيؤخر.^(٢)
- ٦- والفصد الضيق أحفظ للقوة لكنه ربما أسال اللطيف الصافي وحبس الكثيف الكدر وأما الواسع فهو أسرع إلى الغشي وأعمل في التنقية وأبطأ اندمالاً وهو أولى لمن يفصد للاستظهار وفي السمان.^(٣)
- ٧- إياك والفصد بمبضع صدئ أو ذي كلال أو غليظ الشعرة بل ولا يزال الجلد عن محاذاته العرق وعليك بالاجتهاد في تحصيله بالغمز والربط الرقيق والحل والشد حتى يمتلى وينتفخ وإن احتجالي تكرير الضربة فاجعل الثانية فوق الأولى فان سد لغلظ الدم فاغمسه في الماء الحار.
- ٨- من أراد الفصد ففاجأه إسهال طبيعي ترك .
- ٩- متى اختنق العضو فحل الرفادة واربط العنق في عروق الرأس أكثر من حركة الأصابع في حال خروج الدم.
- ١٠- يجب على الفاصد استصحاب الآلات المختلفة والمسح بالحريير وصون الآلة عن الغبار وأن لا يفصد بألة ذي مرض معد كالجدام وغيره ولا يدهن بالادهان لمن لا يريد إعادة الفصد.
- ١١- ينبغي لمن يفصد في حفظ الصحة تحري اعتدال الوقت والهواء والخلو عن الطعام الغليظ أي افسد على وقت خلاء من المعدة عن الطعام.^(٤)

^١ الزمخشري: محمود بن عمر"ت، ٥٣٨هـ"، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت - ١٩٩٢)، ج ٥، ص ٦٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٥٢.

^٢ الأنطaki، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٤ - ١٣٦.

^٣ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^٤ الأنطaki، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٥.

^٥ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٦.



١٢- تأمل لون الدم الذي يخرج فان كان رقيقا إلى البياض فاحبس في الوقت وتوقفي الجملة لنلا يجلب على المريض أحد أمرين تهيج الأخلاط المرارية وتهيج الأخلاط الباردة: ^(١) وهناك ملاحظة مهمة وهي:

شروط المفتصد: لا بد من القول اولا ان الذي يلتصق من الفصد فإنه يدرك ألمه إلا أنه راض به وراغب فيه. ^(٢) وعليه فان هناك ملاحظة الكثير من الامور فيما يخص المفتصد يجب مراعاتها ومنها ما يلي:

١- خروج الدم من قعر البدن بالفصد وأقوى الاشخاص على الفصد من كان مكتهلا قويا لونه إلى السمرة في حمرة بشرته أو حمرة في بياض ومن كان متسع العروق كثير شعر الجسد، فاما الصبيان والهرماء والنساء ومن كان مصفر الوجه نحيف البدن أو كان مفرط السمن أزعر البدن دقيق العروق فإنه يضعف عنه ويكتفي بالحجامة. ^(٣)

٢- أما صاحب المرض فلا ينتظر في الفصد شرطا بل يفصد حيث دعت الحاجة اي لا يفصد في العام مرة وانما يفصد كلما استدعى الامر لذلك. ^(٤)

٣- اما من يغلب عليه السوداء فلا بأس بان يفصد إذا لم يستفرغ بالاسهال بعد مراعاة حال اللون. ^(٥)

٤- و تكثير اعداد الفصد احسن من تكثير مقداره خاصة اذا كان المقصود به قطع دم نزاف أو رعاف ويجب على من أراد تثنية الفصد في اليوم توريب القطع في الأولى وفي الأيام المتعددة قطعه طويلا لأنه سهل للفتح والالتحام ووضع خرق بزيت عليه لنلا يلحم ومسحه به إن خيف انسداده قبل الغرض وكذا الملح ودهن المبضع يذهب الألم والاستحمام قبله عسر وبعده إن طال وكذا النوم بل يستلقى للراحة. ^(٦)

التشخيص والعلاجات على الفاصد ان يجتهد في تسكين المريض وتوديعه كان القدماء يكلفون المفصود بالاستحمام والمشي في حوائجهم وربما سقوهم قبل الفصد وبعده قبل التثنية السكنجيين الملطف المطبوخ. ^(٧) يجب أن يراعى الفاصد في الفصد أحوالا ثلاثا إحداها حقن الدم واسترخاؤه والثانية لون الدم وربما غلظ كثيرا بأن يخرج أولا ما يخرج منه رقيقا أبيض وإذا كان هناك علامات الامتلاء وأوجب الحال الفصد فلا يعترن بذلك وقد يغلظ لون الدم في صاحب الأورام لان الورم يجذب الدم إلى نفسه والثالثة النبض. ^(٨) ونذكر على سبيل المثال

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٦ .
^٢ النراقي : ملا محمد مهدي "ت، ١٢٠٩هـ"، جامع السعادات ، تحقيق وتعليق : السيد محمد كلانتر، تقديم : الشيخ محمد رضا المظفر، (النجف الاشرف-بلاتا)، ج ٣ ، ص ١٦٧
^٣ الطبري : علي ابن سهل "ت، ٢٦٠هـ"، فردوس الحكمة في الطب ، تصحيح : الدكتور محمد زبير الصديقي، (برلين-١٩٢٨)، ص ٣٣٥ .
^٤ الأنطاكي ، تذكرة أولى الألباب ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .
^٥ ابن سينا ، قانون ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
^٦ الأنطاكي ، تذكرة أولى الألباب ، ج ٣ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
^٧ ابن سينا ، قانون ، ج ١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .
^٨ ابن سينا ، قانون ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

اولا: الغشي لا بد من القول اولا ان من افتصد بالوجوب وغشي عليه لا لكثرة الاستفراغ ولا لعادة في المقصود معتادة ففي بدنه مرض أو في معدته ضعف لذاتها أو لانصباب يء إليها . والذي يغشى عليه في أول فصدته فذلك لمفاجأة ما لم يعتد وكثيرا ما يعرض في البحارين غشي لانقباض المادة الحارة إلى المعدة وكثيرا ما يكون الفصد سببا للغشي بالتبريد.^(١)

ثانيا: أورام المثانة يجب في الأورام أن يفصد الباسليق الأيسر فصدًا بحسب القوة فإنه أول علاجاته وأفضلها ويستعجل ان كانت حرارة شديدة جدا إلى الضمادات الرادعة مدة قصيرة ولا يفرط فيها ولا يطاول فان ذلك ضار ومصلب للورم بسرعة بل إن ابتداء بالمرخيات ولم يكن من ذلك مانع من حس شديد فهو أولى لان العضو عصبي ولذلك يشتد استرواح العليل إلى الكمادات بتكميدات بإسفنجات وصوفات مغموسة في ماء طبخ فيه المليينات المحللة ومثانات منفوخ فيها مملوءة ماء حارا وأدهانا ملينة ملطفة ونحوها. على الترتيب الذي تدرى بحسب أوقات الورم وربما نفع الحقن بها على مراتبها ومن الأضمة الجيدة بعد أول الابتداء الخبز السميذ والسهمس المقشر مع اللبن ودهن البنفسج ودهن البابونج ونحوه وأيضا لسلمج المسلوق جيد جدا وأيضا الرطبة المسلوقة ضمادا وكمادا فان جاوز الأسبوع وشارف المنتهى فدقيق الباقلا وبزر الكتان والبابونج بالمثلث وكما ينحط يفصد من الصافن ويبسط في استعمال المحللات من الأضمة.^(٢)

ثالثا: اوجاع الراس يفصد إذا ثار وجع برأسك أو رمد بعينيك، افصد في أرنبه أنفك فيخرج الدم الذي في العين وتصفى لوقتها.^(٣)

رابعا: الجذام يجب في حالة الجذام إلى الاستفراغ والتنقية قبل أن يغلظ المرض وإذا تحقق أن هناك ماء كثيرا فاسدا فيجب أن تبادر وتقصد فصدًا بليغا ولو من اليدين فان لم يتحقق ذلك فلا تقصد فان الفصد من العروق الكبار ربما يضره جدا.^٤

خامسا: الخوانيق الحارة قاعدة ينبغي للطبيب ان لا يتهاون في فصد أصحاب الذبح والخوانيق الحارة الشديدة فإنهما من العلل الصعبة.^(٥)

سادسا: الخدر من العروق التي تقصد في البدن عرقان على البطن أحدهما موضوع على الكبد والآخر موضوع على الطحال ويفصد الأيمن في الاستسقاء والأيسر في علل الطحال.^(٦) الخدر بزيادته ونقصانه والعلاج على ما قيل في الرعشة بعينه الا انه ان كان عن دم غالب وقامت دلالة من امتلاء العروق وانتفاخ الأوداج وثقل البدن ونوم وحمرة

^١ ابن سينا، قانون، ج ٢، ص ٢٧٤.

^٢ ابن سينا، قانون، ج ٢، ص ٥١٢.

^٣ الشعراني: عيد الوهاب، ت، ٩٧٣هـ، العهود المحمدية، ط ٢، (مصر- ١٩٧٣)، ص ٥٨٥.

^٤ ابن سينا، قانون، ج ٣، ص ١٤١ - ١٤٢.

^٥ آقا بزرك الطهراني: محمد المحسن الرازي، الذريعة، ط ٣، (بيروت- ١٩٨٣)، ج ١٧، ص ١٧٥ - ١٧٦.

^٦ ابن سينا، قانون، ج ٢، ص ١٠٨.



وجه وعين وغير ذلك فينبغي ان يفصد فصدا بالغا فإنه في الأكثر يزيل الخدر وحده ومع اصلاح التدبير وتجفيف الغذاء.^(١)

سابعا: المشاكل التنفسية من الأوردة الوداجان وهما اثنان يفصدان عند ابتداء الخناق الشديد وضيق النفس والربو الحاد وبحة الصوت في ذات الرئة والبهق الكائن من كثرة دم حار وعلل الطحال والجنبيين والجدام ويجب أن يكون فصدهما بمبضع ذي شعرة **ثامنا: الخوانيق وأورام اللوزتين و تحت اللسان** والثالثة يفصد في الخوانيق وأورام اللوزتين ومنها عرق تحت اللسان نفسه يفصد لثقل اللسان الذي يكون من الدم ويجب أن يفصد طولا فان فصد عرضا صعب أرقاء دمه . ومنها عرق اللثة يفصد في معالجات فم المعدة.

تاسعا: الراس اما الشرايين التي في الرأس فمنها شريان الصدغ قد يفصد وقد يبتر وقد يسيل وقد يكوى ويفعل ذلك لحبس النوازل الحادة اللطيفة المنصبة إلى العينين ولابتداء الانتشار والشريانان اللذان خلف الاذنين ويفصدان لا نوع الرمد وابتداء الماء والغشاة والعشا والصداع المزمن ولا يخلو فصدهما عن خطر وييطؤ معه الالتحام .عاشرا: الجهاز الهضمي

اوقات الفصد: اولا: الوقت من حيث المبدأ الملاحظ أن الفصد له وقتان وقت اختيار ووقت ضرورة فالوقت المختار فيه ضحوة النهار بعد تمام الهضم والنفض وأما وقت الاضطرار فهو الوقت الموجب الذي لا يسوغ تأخره فلا يلحق ويورم ويوجع.^(٢)

ثانيا: الوقت من حيث ساعات اليوم

يبدو ان هناك وقتا معلوما للفصد يكون هو الانسب لهذا الاجراء الطبي ووفقا للروايات فإن وقت الظهر هو المناسب اكثر من غيره.^(٣) فالامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام افتصد وقت الظهر.^(٤) وينبغي ان يفصد من كان محرورا في الساعة الأولى من النهار وهو غير متعب ولا ممتلئ من الطعام، ومن كان صاحب رطوبة افتصد عند ارتفاع النهار فان رأى الدم رقيقا اخرج منه القليل وان رآه غليظا اخرج منه الكثير حتى يصفو.^(٥) وان أبا علي الأنباري الحسن بن محمد الكاتب، الذي كان بحضرة أبي يوسف البريدي وقد كتب كتبا كثيرة وحمي النهار ، فقام ضجرا ، ومشى في الصحن الأعظم من الدار، فلقي يوحنا الطبيب الأهوازي النصراني وهو متقدم في صناعته، مقيما بالأهواز، وكان يطيب أبا عبد الله البريدي فقال: يا أبا علي افتصد الساعة، وإنا طعنت فاجابه: أمس افتصدت . قال : فحلّ إزارك، وسراويلك . قال: فوقفت، وفعلت ذلك . فقال لي : لو لم يتغيّر لونك إلى الإسفار ، لفصدتك ثانية . قال : فعجبت من فطنته لاجتماع

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.

^٢ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.

^٣ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٣ - ١٣٤.

^٤ الحر العاملي: محمد بن الحسن "ت"، ١١٠٤هـ، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع)، تحقيق: قسم الحديث في مجمع

البحوث الإسلامية، (مشهد-١٤١٢)، ج ٦، ص ٧٣.

^٥ الطبري، فردوس الحكمة في الطب، ص ٣٣٥.

الدم في وجهي، ومعالجته بسرعة.^(١) أن فصد الموسوسين والمجانين والذين يحتاجون إلى فصد في الليل في زمان النوم يجب أن يكون ضيقاً لئلا يحدث نزف الدم وكذلك كل من لا يحتاج إلى التثنية وأن التثنية تؤخر بمقدار الضعف فإن لم يكن هناك ضعف فغايته.^(٢)

ثالثاً: الوقت من حيث فصول السنة

فصل الربيع: يبدو أن وقت الفصد الذاتي هو فصل الربيع مطلقاً.^(٣) والمنقطع عنهم دم بواسير كانت تسيل في العادة والمحتبس عنهن من النساء دم حيضهن وهذان لا تدل أولانها على وجوب الفصد لكمودتها وبياضها وخضرتها والذين بهم ضعف في الأعضاء الباطنة مع مزاج حار فإن هؤلاء الأصوب لهم أن يفتصدوا في الربيع أمافي الصيف بشرط تضيق الشرط فيه لرقة الاخلاط حينئذ وتحال القوة بالتخلخل. فلا ينبغي الفصد في زمان حار يابس^(٤) ويجتنب في الخريف ما أمكن الاستغناء عنه وكذا الشتاء.^(٥)

فصل الشتاء: إذ لا ينبغي أن يفصد في زمان بارد يابس^(٦) وأن فصد في هذا الفصل فإن التوسيع في الفصد في الشتاء أولى لئلا يجمد الدم والتضيق في الصيف أولى أن احتيج إليه. والواجب تكميد موضع الفصد بالماء الحار ليظهر الدم وخاصة في الشتاء فإنه يلين الجلد ويقال الألم ويسهل الفصد.^(٧)

رابعاً: الوقت من حيث القمر والافلاك وينبغي لمن يفصد في حفظ الصحة تحرى اعتدال الوقت والهواء والخلو عن الطعام الغليظ وكونالقمر في البروج الهوائية وقد مال إلى فراغ النور وأن يشاكل المريخ قال أبقراط إن اتفق سابعشر يوم الثلاثاء أو كان القمر في الجوزاء أو الميزان ناظر إلى المريخ كفى الفصد حينئذ عن عام كامل.^(٨)

مواضع فصد العروق و منافع فصدها : وهى زهاء من ثلاثين عرقاً.^(٩) تذكر البعض من العروق كأمثلة أولاً: مواضع العروق

عرق الأكل وهو العرق الذي في باطن المرفق وهو مغيض لما حوله منالعروق وفوقه مما يلي ظاهر الساعد **القيفال** وهو يجئ من المنكبوالذي تحته في باطن المرفق الباسليق

^١ القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٢، ص ٣٦٣.

^٢ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٧.

^٣ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٣ - ١٣٤.

^٤ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

^٥ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٣ - ١٣٤.

^٦ الطبري، فردوس الحكمة في الطب، ص ٣٣٥.

^٧ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٣ - ١٣٤.

^٨ الطبري، فردوس الحكمة في الطب، ص ٣٣٥.

^٩ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^{١٠} العلامة المجلسي: محمد باقر، ت، ١١١١هـ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط، ٣، (بيروت- ١٩٨٣)، ج

٥٩، ص ٣١٩.

^{١١} الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٥ - ١٣٦.

^{١٢} الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٤ - ١٣٦.



وتفسيره الملك وهو يجئ من قبل الإبط . وينفع فصد الأكل من علل البدن كله، وينفع فصد القيفال منأوجاع الرأس والعنق والظهر ، وينفع فصد الباسليق من هيجان الدم لأنه يخرج الدم من القلب والكبد جميعا وفي ظاهر الكف عرقان أحدهما بين السبابة والوسطى في اليد اليمنى ينفع فصد من ورم الكبد ومن دياقراغما وهو ورم الحجاب والعرق الاخر بين الخنصر والبنصر من اليد اليسرى ينفع فصد من ورم الطحال وبين العينين عرق ينفع فصد من ثقل العينين وخلف الأذن عرق ينفع فصد من قروح الاذن وفي طرف الانف عرق ينفع فصد من حكة العين وبواسيره لكنه إذا خطأ فيه الفاصد هيج الحمرة وفي الشدقين أربعة عروق ينفع فصد من استرخاء اللثة والأسنان وتحت اللسان عرقا يسمى الضفدع ينفع السدد وقروح الفخذ وينبغي ان يكون الفصد قبل استحكامالعله وان ينقل الدم من العضو السقيم إلى العضو الذي يقابله ومن فوق إلى أسفل ولا ينقل الى الأعضاء الرئيسة فإذا استحكم الداء لم يعمل في نقل الداء عن العضو لكن يفصد العرق من العضو السقيم نفسه لأنه إذا استحكم فيه الفساد لم يمكن نقله عن موضعه إلى غيره.^(١)

ثانيا:مواضع فصد العروقوليعمد الفاصد أن يفصد من العروق ما كان في المواضع القليلة اللحم لان في قلة اللحم من العروق قلة الألم وأكثر العروق ألما إذا فصد حبل الذراع والقيفال لاتصالهما بالعضل وصلابة الجلد فأما الباسليق والأكل فإتتهما في الفصد أقل ألما إذا لم يكن فوقهما لحم.^(٢)

ثالثا:فصد الشرايين

أن العروق المفصودة بعضهاأوردة وبعضها شرايين والشرايين تفصد في الأقل ويتوقى ما يقع فيها من الخطر من نزف الدموأقل أحواله إذا كان الشق ضيقا جدا الا انها إذا أمن نزفالدم منها كانت عظيمة النفع في أمراض خاصة تفصد هي لأجلها وأكثر نفع فصد الشريان انما يكون إذا كان في العضو المجاور له أمراض رديئة سببها دم لطيف حاد فإذا فصدالشريانالمجاور له ولم يكن مما فيه خطر كان عظيم المنفعة.^(٣)ومن أراد الفصد وتوفيرخروج الدم فليجلس في فصد عروق الرأس ويستلق في اليد ويقف في فصد الرجل ولا عكس. ومن فصد في الاستسقاء عرق البطن مال إليه وكذا يميل إلى اليسار في اليرقان الأسود والطحال.^(٤) اذن فليفصد المفصود وهو مستلق فان ذلك أحرى أن يحفظ قوته ولا يجلب إليه الغشي.^(٥)

النتائج الوخيمة الناتجة من عدم الاخذ باجراءات الوقائية عند الفصد:

١- الاستحمام:والاستحمام قبل الفصد ربما عسر الفصد بما يغلظ من الجلد ويلينه ويهيئه للزلق الا أن يكونالمفصد شديد غلظ الدم.^(٦)

^١ الطبري، فردوس الحكمة في الطب، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

^٢ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٣١٩.

^٣ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

^٤ الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب، ج ٣، ص ١٣٥.

^٥ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^٦ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٢- كثرة الفصد: وإذا ضعفت القوة من الفصد الكثير تولدت أخلاط كثيرة والغشى يعرض في أول الفصد لمفاجأة غير المعتاد وتقدم القيء مما يمنعه وكذلك القيء وقت وقوعه.^(١)

٣- الحمل والطمث: الحامل والطمث لا تفصدان الا لضرورة عظيمة مثل الحاجة إلى حبس نفث الدم القوي ان كانت القوة متواتية والأولى والا يجب أن لا تفصد الحبل بنة إذ يموت الجنين ويجب ان تعلم أنه ليس كلما ظهرت علامات الامتلاء المذكورة وجب الفصد بل ربما كان الامتلاء من أخلاط نية وكان الفصد ضارا جدا.^(٢)

٤- وضعية النوم: والنوم بقرب الفصد بما أحدث انكسارا في الأعضاء.^(٣) وفي يوم الخميس ٢٨ من رجب فصد الخليفة من ماشرى لحقته وكان من وقت الغرق يعتاده المرض فنام بعد الفصد فأنفج فصاده وانتبه وقد مضت القوة ووقع اليأس منه وكثر الإرجاف به.^(٤)

٥- النزف من اصابة الشريان:

وعلامة الخطأ في الباسليق وإصابة الشريان ان يخرج دم رقيق أشقر يثب وبثا ويلين تحت المجسة وينخفض فبادر حينئذ والقم فمال مبضع شيئا من وبر الأرنب مع شئ من دقاق الكندر ودم الأخوين والصبر والمرو توضع على الموضع شيئا من القلقطار والزاج وترش عليه الماء البارد ما أمكن وتشده من فوق الفصد وتربطه ربطا بشد حابس فإذا احتبس فلا تحل الشد ثلاثة أيام وبعد الثلاثة يجب عليك أن تحتاط أيضا ما أمكن وضمد الناحية بالقوابض وكثير من الناس يبتر شريانه وذلك ليتقلص العرق وينطبق عليه اللحم فيحبسه وكثير من الناس مات بسبب نزف الدم واعلم أن نزف الدم قد يقع من الأوردة الشريان الذي يفصد من اليد اليمنى فهو الذي ظهر الكف ما بين السبابة والابهام وهو عجيب النفع من أوجاع الكبد والحجاب المزمنة.^(٥)

٦- الربط الشديد:

ان الربط الشديد يجلب الورم وتبريد الرفاعة وترطيبها بماء الورد أو بماء مبرد صالح موافق يجب أن لا يزيل الرباط الجلد عن موضعه قيل الفصد وبعده والأبدان وقد يتلطف بعض الفصاد في اخفاء الوجع فيحدر اليد لشدة الربط وتركه ساعة ومنهم من يمسح الشعرة اللينة بالدهن وهذا كما قلنا يخف وجعه ويبطن التحامه.^(٦)

٧- انفجار الفصد

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^٢ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^٣ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

^٤ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد "ت، ٥٩٧هـ"، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، (بيروت- ١٩٩٢)، ج ١٦، ص ١٦١.

^٥ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

^٦ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٩.



على سبيل المثال ان الخليفة القائم بأمر الله مرض مرضا شديدا انتفخ منه حلقه، وامتنع من الفصد، حتى اقنعه الوزير فخر الدولة فافتصد وانصلح الحال، وجاء في صفر من سنة ٤٦٧هـ سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ووقع وباء عظيم بالرحبة وافتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الغرق، ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الإياس منه فكانت وفاته ليلة الخميس ١٣ من شعبان.^(١) وافتصد جاولي الأمير صاحب أذربيجان كان شهما شجاعا وركب فعن له أرنب فرماه بسهم فانفجر عليه فصاده ولم يقدر الطبيب على حبس الدم فمات سنة ٥٤١هـ.^(٢)

٨-الطعام: أ- الاكل المالح : من افتصد فأكل مالحا فأصابه بهق أو جرب فلا يلومن إلا نفسه.^(٣) ب-الامتلاء من الطعام: ينبغي على المفتصد أن لا يقدم على امتلاء بعده بل بندرج في الغذاء ويستلطفه أولا . ج-عدم الاكل عشاء على سبيل المثال كان لأبي الحسن عليه السلام غلمان في البيت سقلابيه روم وكان أبو الحسن عليه السلام قريبا منهم فسمعهم بالليل يراطنونبالسقلابيه والرومية ويقولون انا كنا نفتصد في كل سنة وليس نفصدها هنا فلما كان من الغد وجه عليه السلام إلى بعض الأطباء فقال له افسد لهذا عرق كذا ولهذا عرق كذا ثم قال يا ياسر لاتفتصد أنت فافتصدت فورمت يدي فأحضرت فقال لي يا ياسر مالك فأخبرتتهفقال ألم أنك عن ذلك هلم يدك فمسح يده عليها فبرأ عليها قال أو وضع وأوصاني ان لا أتعشى.^(٤)

٩-الرياضة والاستحمام: يجب على المفتصد أن لا يرياض بعده بل يميل إلى الاستلقاء وان لا يستحم بعده.

١٠-الاخلاق: إذا افتصد من الغالب على بدنه الأخلاط صار الفصد علة لثوران تلك الأخلاط وجريانها واختلاطها فيحوج إلى فصد متواتر والدم السوداوي يحوج إلى فصد متواتر فيخف الحال في الحال ويعقب عند الشيخوخة أمراضا منها السكتة.^(٥)

١١-الحميات: اما في الحميات فيجب أن يجتنب الفصد في الحميات الشديدة الالتهاب وجميع الحميات غير الحادة في ابتدائها وفي أيام الدور ويقلل الفصد في الحميات التي يصحبها تشنج وان كانت الحاجة إلى الفصد واقعة لان التشنج إذا عرض أسهر وأعرق عرقا كثيرا وأسقط القوة فيجب أن يبقى لذلك من فصد محموما ليس حماه عن عفن

^١ ابن كثير: إسماعيل بن كثير دمشقي "ت، ٧٧٤هـ"، البداية والنهاية ، تحقيق وتدقيق وتعليق : علي شيري، (بيروت-

١٩٨٨)، ج ١٢، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

^٢ الصفدي ،الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، ص ٣٣ .

^٣ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي دمشقي "ت، ٧٥١هـ" ، الطب النبوي ، تقديم ومراجعة وتصحيح وإشراف : عبد الغني عبد الخالق، التعليق الطبية : الدكتور عادل الأزهرى ، تخريج الأحاديث : محمود فرج العقدة، (بيروت-بيلاتا)، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

^٤ الصفار :محمد بن الحسن بن فروخ "ت، ٢٩٠هـ"،بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد " ع " ، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي،(طهران - ١٤٠٤)، ص ٣٥٩؛ الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت، ٣٨١هـ"، عيون أخبار الرضا (ع) صحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي،(بيروت-١٩٨٤)، ج ٢، ص ٢٥٠ .

^٥ ابن سينا ،قانون ، ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

فيجب أن يقل فصدته ليبقى لتحليل الحمى فان لم تكن شديدة الالتهاب وكانت عفنة فانظر إلى القوانين العشرة ثم تأمل القارورة فان كان الماء غليظا إلى الحمرة وكان أيضا النبض عظيما والسحنة منتفخة وليس يبادر الحمى في حركتها.^(١)

١٢- **عدم استعمال المراهم:** اذا تورم على الفاصد اليد افتصد من اليد الأخرى مقدار الاحتمال ووضع عليه مرهم الاسفيداج وطلّى حواليه بالميردات القوية.^(٢)

١٣- **قلة الدم:** أما من يكون دمه المحمود قليلا وفي بدنه أخلاط رديئة كثيرة فان الفصد يسلبه الطيب ويختلف فيه الرديء ومن كان دمه رديئا وقليلًا أو كان مائلا إلى عضو يعظم ضرر ميله إليه ولم يكن بد من فصد فيجب أن يؤخذ دمه قليلا ثم يغذى بغذاء محمود ثم يفصد كرة أخرى ثم يفصد في أيام ليخرج عنه الدم الرديء ويخلف الجيد فان كانت الأخلاط الرديئة فيه مرارية احتيل في استقراغها أولا بالاسهال اللطيف أو القيء أو تسكينها.^(٣)

١٤- **الاسراع في المشي:** ولا يسرع المشي من افتصد فإنه يكون مخاطرة الموت.^(٤)

١٥- **عدم شد محل الفصد:** إن فصد شخصا ولم ينقطع دمه حتى مات فإن سبب مجئ الدم الموجب للقتل هو الفصاد إلا أن يترك المفصود شد محل فصدته الموجب لقطع الدم باختياره وقدرته فإنه حينئذ يكون هو السبب لا الفصاد وفيه أيضا تأمل فإنه السبب وإن قصر المفصود أيضا في ترك الشد. ثم أنه يحتمل عدم شيء مع ذلك عليه إن كان بإذنه.^(٥)

١٦- **الاستفراغ الكثير:** الاستفراغ الكثير في التثنية يجلب الغشي الا أن يكون قد تناول المثني شيئا والنوم بين الفصد والتثنية يمنع أن يندفع في الدم من الفضول ما يجذب لانجذاب الأخلاط بالنوم إلى غور البدن.

١٧- **الفصد في البرد:** يجب أن يحذر الفصد في المزاج الشديد البرد والبلاد الشديدة البرد وعند الوجد الشديد ١٨- **يجب أن يحذر الفصد بعقب الجماع.**

١٩- **العمر:** يجب أن يحذر الفصد في السن القاصر عن الرابع عشر ما أمكن وفي سن الشيخوخة ما أمكن اللهمالا ان تثق بالسحنة واكتناز العضل وسعة العروق وامتلائها وحمرة الألوان فهؤلاء من المشايخوالاحداث تتجرأ على فصدهم والاحداث يدرجون قليلا بقصد يسير.

٢٠- **الاجسام السميئة والضعيفة:** يجب أن يحذر الفصد في الأبدان الشديدة القضاة والشديدة السمن والمتخلخلة والبيض المترملة والصفرا العديمة الدم ما أمكن وتتوقاه في أبدان طالت عليها الأمراض الا أن يكون فساد دمها يستدعي ذلك فافصد وتأمل الدم فان

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

^٢ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

^٣ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٥.

^٤ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٣٢٢.

^٥ المحقق الأردبيلي: احمد"ت، ٥٩٩٣" ، مجمع الفائدة في شرح إرشاد الأذهان، لحاج آغا مجتبي العراقي ، الشيخ علي بناها لاشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني، (قم المقدسة - بلاتا)، ج ١٣ ، ص ٣٨٤.



كان أسود تخينا فاخرج وان رأيته أبيض رقيقا فسد في الحال فانفي ذلك خطرا عظيما.^(١)

^١ ابن سينا، قانون، ج ١، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

الخاتمة من المعروف ان الجوانب الطبية كانت احد اهم اهتمامات اهلها من ذوي الفنون الطبية لا سيما عملية الفصد التي حازت على رعاية اصحابها. لا يخفى عن احد ذلك الدور الذي لعبه الطبيب او المتطبب والفاصد كان له الاثر الكبير في معرفة اغوار هذه العملية حتى وصل الامر الى اعداد تأليف خاصة بالفصد .

لا غرو ان موضوع الفصد من الموضوعات المهمة والتي تثير الاهتمام ولعل اهم ما فيه هو تلكم الاجراءات التي يجب ان تتخذ من قبل الفاصد والمفتصد . لا سيما وان البحث قد كشف عن شروط يجب ان تتوفر حتى تتم عملية الفصد. ومن الضروري اتخاذ الات الفصد الخاصة التي تستعمل عند الفصد. التنبيه الى ان فصد العروق له اليات خاصة بل ان تحديد العروق التي تفصد هي من بين ابرز اساسيات الفصد . وقد كشف البحث الى ان ممارسة عملية الفصد لم تكن حكرا على الطبيب وانما ادلى بدلوه صاحب التجربة والخبرة. وللفصد اساسيات خاصة به يجب الالتزام بها وتأصيلها والاخذ قدر المستطاع بالاحاطة بها واذا ما اهملت ولم يلتزم بها فأنت النتائج ستكون وخيمة على المفتصد بالدرجة الاولى. لم يكن الفصد خاص بفئة دون سواها او بجنس دون اخر لكن مراسيم الفصد او ما بعد الافتصاد هو الذي كان يختلف من فئة الى اخرى وفقا لوضعها ومنزلتها الاجتماعية. كما ان للفاصد اجرتة التي لم تكن ثابتة بل ان حتى اوان الفصد قد تباين الا ان المنفق عليه ان افضل مواسم الفصد في الربيع فصلا وعند ساعات النهار يوما اما اذا اقتضت الاوضاع الصحية للمفتصد بأن يفصد فلا يلتزم بذلك وفقا لما تقتضيه الضرورة الطبية.



**اسهامات العرب المسلمين في تطور طب الاسرة
Family Medicine ابو العباس احمد البلدي
ن ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) امودجا
دراسة في كتابه (ندير الحباى والاطفال وحفظ صحتهم
والامراض العارضة لهم)**

أ.م.و. زهير يوسف عليوي حسين
جامعة القاوسية كلية التربية اقسام التاريخ
Zhei_2013@yahoo.com

المخلص

ان أهم ما يميز الطب العربي هو الاصاله والتنوع في المضامين ، وقد اخذ الطب مكانه في المجتمع الإسلامي ذلك لعناية الإسلام بالصحة التي جاء تأكدها في القران الكريم أولا وفي أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثانيا ، وارتفعت منزلة الطب والطبيب مع ظهور الإسلام ، وفي المقابل حرم الإسلام أعمال الكهانة والسحر ، لقد كان فضل الإسلام على الطب واضحا في مجالات شتى ، كما وفي الوقت نفسه حث المسلمين على الاهتمام بصحة ابدانهم وضرورة اللجوء الى الأطباء عند الإصابة بالأمراض الى جانب التأكيد على النظافة والطهارة ، وهي من الأمور الأساسية في الشريعة الإسلامية ، لذا فان الطب عند العرب صناعة تهدف الى حفظ الصحة ووقاية الإنسان من الأمراض والعلل ، كما ان الخبرة والممارسة الطبية من دواعي الطبيب

الناجح ، وان الاهتمام بالعلم النظري الذي تعززته التجربة أمر ضروري لكل طبيب ناجح ، فالنظرية والتجربة يمثلان قطبا المعرفة ألقه ، لذا نلاحظ ان أطباء العرب مارسوا مهنة الطب نظرا وتجربة .

يذكر ان الأطباء المسلمين نالوا مكانة مهمة عند الأمراء والولاة ، فالي جانب حضروهم في المعارك الحربية ودورهم المميز فيها ، نلاحظ إنهم لازموا الأمراء والسلطين في البلاط ، ويسجل لنا التاريخ شخصيات كثيرة مثلت دور الطبيب الخاص للأمير او السلطان ، كما ويذكر ان الأطباء كانوا يذهبون الى بيت المريض للكشف عن أحواله والإمراض التي يعاني منها ، لذا نجد الكثير من أعمال الأطباء كانت تتم في بيوت المرضى أنفسهم فيذهب الطبيب اليهم واحد فواحد على ميعاد سبق او بطلب مفاجئ ملح من أهل المريض ، أي ان بيت المريض كان المكان الطبيعي الأول الذي يدعى إليه الطبيب لفحص المريض وتقرير التدبير والعلاج ، وكانت هذه العادة معمولاً بها للعناية بالمرضى من علية القوم ، وكانت الزيارات البيئية مستمرة من قبل الأطباء لعيادة مرضاهم ، فكان الطبيب يقوم بالزيارة على دابة او أحيانا يدور البيوت راجلا .

ان هذه الإجراءات عند الأطباء تمثل بواكير الطب الأسري وهي اليوم الأساس في تطور أنماط وأشكال ممارسة مهنة الطب ، كما ان الطب الأسري اليوم ماهو الا استمرار لتلك الأنشطة التي قام بها الأطباء المسلمين الكبار وهو تواصلية عمل الأطباء في البيوت ووضع تدابير العلاج لمرضى تلك العوائل ، كما وان الطبيب من هذا النوع يعمل على تلبية احتياجات المرضى وتوفير راحتهم من خلال تشخيص العلاج والعلاج الملائم للمريض، ويساعد افراد العائلة في الحصول على الرعاية البيئية بسهولة ، والوقوف على طبيعة الحالات المرضية بهدف تعزيز صحة العائلة ووقايتهم من الامراض ، الى جانب المتابعة الدورية للحامل والجنين وتعليم السيدات رعاية الجنين وتربية الطفل

ينبثق كتاب البلدي تدبير الحبالى من هذا التوجه ولان المرأة والطفل هم عمود الاسرة لذا فان الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب هي نصائح مهمة للمرأة الحاملة وللطفل وهي معلومات ضرورية في الوسط الاسري ، وتفيد المرأة في أتباع نصائح طبية ضرورية في فترة الحمل والولادة ثم مرحلة الطفولة . **الكلمات المفتاحية / البلدي ، طب الأسرة ، الحبالى**

Abstract

The most important characteristic of Arab medicine is its originality and diversity in contents, and medicine has taken its place in the Islamic community because of Islam's concern for health, which was emphasized in the Holy Qur'an first and in the hadiths of the Messenger (may God's prayers and peace be upon him) Second, and the status of medicine and the doctor rose with the advent of Islam, and in On the other hand, Islam forbids acts of fortune-telling and magic. The virtue of Islam over medicine was clear in various fields, and at



the same time it urged Muslims to pay attention to their health and the necessity of resorting to doctors when suffering from diseases in addition to emphasizing cleanliness and purity, which are essential in Islamic law. Therefore, medicine for the Arabs is an industry that aims to preserve health and protect people from diseases and illnesses, and medical experience and practice are among the reasons for a successful doctor, and attention to theoretical science that is reinforced by experience is necessary for every successful doctor, as theory and experience represent poles of true knowledge, so we note that doctors Arabs practiced the medical profession in view and experience.

It is noteworthy that Muslim doctors have attained an important position among the princes and governors, as well as their presence in the war battles and their distinctive role in it, we note that they obligated the princes and sultans in the court, and history records for us many personalities who represented the role of the private doctor for the prince or the sultan, and it is also mentioned that doctors used to go to a house The patient's conditions and the diseases he suffers from, so we find a lot of doctors 'work was done in the patients' homes themselves, so the doctor went to them one by one on an earlier date or a sudden urgent request from the patient's family, meaning that the patient's home was the first natural place to which the doctor was called to examine The patient and the determination of the management and treatment, and this custom was in place to take care of the sick from the top of the people, and home visits were continuous by doctors to clinic their patients, so the doctor used to visit on a horse or sometimes he went around the houses on foot, as we find references to IbnAbi his finger in his translation of some doctors saying (Install and treat patients).

These procedures for doctors represent the early stages of family medicine and are today the basis for the development of patterns and forms of practicing the profession of medicine, and family medicine today is nothing but a continuation of those activities carried out by senior Muslim doctors, which is the continuity of doctors 'work at home and the development of treatment measures for patients of those families, Also, a doctor of this type works to meet the needs of patients and provide their comfort by diagnosing the appropriate treatment and treatment for the patient, and helps family members to obtain environmental care easily, and to determine the nature of disease cases in order to enhance the health of the family and protect them from diseases, in addition to periodic follow-up of the pregnant woman and the fetus. And teach women to take care of the fetus and raise the child

The book Al-Baladis(Pregnant care women) emerges from this approach and because the woman and the child are the pillar of the family, so the topics covered in this book are important advice for the pregnant woman and the child, which is necessary information in the family environment, and the woman is

useful in following medical advice necessary during pregnancy, childbirth and then childhood.

المقدمة

أسهم البلدي إسهاما واضحا في تطور المعارف الطبية في عصره ، فكان من ابرز أطباء مدينة الموصل ، اذ عاش بها ودرس على أساتذتها حتى نال من علومهم الشيء الكثير ، وكان من ثمار تلك الدراسة ان أصبح طبيبا بارعا عارفا بتخصصه ، متفنا في مهنته ، وقد جاب البلدان ترحالا من اجل منفعة الناس وتقديم ما يضمن سلامة ابدانهم ، حتى استقر به المقام في بلاط الخلافة الفاطمية فنعم باهتمام وعناية الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، ونال عنده حظوة ومقاما محمودا ، حتى كتب له كتابه هذا ليكون دليلا في وضع اسس طب النساء والتوليد وطب الاطفال ، هذه الفروع من الطب التي برع في تخصصها الأطباء المسلمون دون سواهم من أطباء تلك الامم .

يعد كتاب تدبير الحبالى من افضل ما الف في مجال طب الاطفال وقد برع البلدي في وضع تدابير تخص المرأة الحامل والطفل وهو في نفس الوقت عد مرجعا اصيلا للقابلات والمرضعات في تلك المرحلة ، اما من حيث المضامين في الوقت الحالي فان موضوعات هذا الكتاب تتسجم مع المبادئ والأسس التي ظهرت لتؤسس طب الاسرة في الوقت الحالي ، لذا فوجدنا البلدي طبيب تميز بحسن الاختيار في الموضوعات ، وحسن التدبير في العلاجات للأمراض العارضة للنساء وللأطفال حديثي الولادة .

يحاول البحث ربط أصول ومفاهيم الطب الأسري الحديث بالأصول التي وضعها التي وضعها الأطباء المسلمين من قراءة مؤلفاتهم وأرائهم عن هذا الفرع من فروع الطب التي أصبحت اليوم مهمة لدي الفرد والمجتمع والأسرة
اولا/التعريف بأبي العباس البلدي وكتابه

هو الشيخ أبو العباس احمد بن محمد بن يحيى البلدي، ولد في مدينة بلد^(١)المحادية لمدينة الموصل^(٢) ونسب اليها بالبلدي ، وتعرف بلد في أيام العثمانيين باسم (اسكى موصل)، وتعني الموصل القديمة وتاريخ هذه المدينة أقدم من العهود العثمانية بكثير، فقد عرفها الأشوريون قديماً باسم (بلطاي)، نشأ البلدي نشأته الأولى هناك، ولا تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن الحياة الاولى لهذا الطبيب المهم، إلا إنه عاش في القرن الرابع الهجري^(٣).

(١) ابن ابي اصبيعه، موفق الدين ابو العباس احمد ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق ، نزار رضا ، بيروت مكتبة الحياة (بلا)، صص ٣٣٢-٣٣٣ ، محمود الحاج قاسم ، لمحات من تاريخ طب الاطفال في الموصل ، مجلة المورد ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، عدد ١، مجلد ١٧، ١٩٨٨، صص ٧٠-٧٧

٢- بلد ، ذكرت بانها قرية من اعمال الموصل يقال لها بلد باشاي، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ، اثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، دار صادر(بلا) ، ص ٣٣٦

(٣) السامرائي ، كمال (الدكتور)، اطباء الموصل في العصور الاسلامية ،، بحث منشور في ندوة دور الموصل في التراث العربي ، ١٦/٣/١٩٨٨- ١٧/٣/١٩٨٨، ط١ ، مركز احياء التراث جامعة بغداد بالتعاون مع جامعة الموصل ، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠ص ص١٧١-١٧٢



ولعل القرن الرابع الهجرى كان يعد الحقبة الزمنية التي اشتهرت بظهور الأطباء في مدينة الموصل فيقول الدكتور الحاج قاسم (من المعروف ان هذه الفترة تنحصر بين ١٦هـ وحتى ٩٢١م والأطباء الذين استطنعنا جمعهم من كتب التاريخ والتراث وزعوا على خمسة قرون هجرية ابتداءً من القرن الرابع الهجرى وحتى نهاية القرن الثامن الهجرى إذ لم نعر على ذكر أطباء برزوا في الموصل قبل وبعد هذه القرون بالسنيين لهذه المرحلة التاريخية)^(١).

لذا ففي القرن الرابع الهجرى كان البلدى حياً ، فهو والحال هذا من أبناء هذا القرن ومن اوائل الأطباء الذين لمعت أسماءهم في هذه المدينة، فالأول هو احمد بن أبى الأشعث^(٢)، وهو أستاذ البلدى الذي تتلمذ على يديه ونال من علمه الكثير ، ثم البلدى، يذكر ابن أبى اصبيعه عن البلدى ذلك قائلاً : (وكان خبيراً بصناعة الطب، حسن العلاج والمداواة ، وكان من اجل تلاميذ احمد ابن أبى الأشعث، لازمه مدة سنين واشتغل عليه وتميز).^(٣)، ولا نعرف بالتحديد تاريخ وفاته ، الا انه من المرجح انه كان حياً قبل عام ٣٦٨هـ^(٤)

كتاب تدبير الحبالى

لم توفر لنا المصادر معلومات وافية عن مؤلفات البلدى ، فلا نعرف عنها سوى كتاب واحد وهو تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض المعارضة لهم ، ويذكر انه عزم على تأليف كتابين آخرين وهما الاول كتاب حول المعالجة بطريقة تعليق بعض المواد والعلاجات على المريض وتبخيره به ، والثاني كتاب عن الجدري والحميقاء^(٥)، وهذا الكتاب لم يصلنا ولا نعلم هل كتبه البلدى ام لا؟، فقدت وردت اشاره له في كتاب تدبير الحبالى حول عزمه لتأليف كتاب مستقل حول الجدري والحميقاء، ان هذه الإشارة عند البلدى لتأليف كتاب حول الجدري والحميقاء فيها دليل قاطع على ان هذا المرض نال اهتماماً خاصاً من البلدى^(٦).

ان كتاب تدبير الحبالى موضوعه جدير بالأهمية وهو يفتح أفق التخصص في فرع من فروع الطب وهو طب الأطفال وحتى طب النسائية والتوليد ، وهذه التخصصات هي من فروع الطب أحدثه ، ونظراً لأهمية الكتاب فقد حقق من قبل الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، بغداد^(٧) ١٩٨٠، وأخرى من قبل الدكتور يحيى

(٤) محمود الحاج قاسم محمد(الدكتور)، مشاهير اطباء الموصل منذ الفتح الإسلامى وحتى الحكم العثمانى، بحث منشور في ندوة دور الموصل في التراث العربى ، ١٩٨٨/٣/١٦ - ١٩٨٨/٣/١٧، جامعة بغداد مركز احياء التراث العلمى بالتعاون مع جامعة الموصل ، الموصل مطبعة التعليم العالى ١٩٩٠، ص ١٧٩

٢- هو ابو جعفر احمد بن محمد بن الأشعث ، كان وافر العقل سديد الرأي محبا للخير وكان فضلاً في علوم الحكمة ، ابن أبى اصبيعه ، عيون الاتباء ، ص ٣٣١ . الحاج قاسم ، لمحات من تاريخ طب الأطفال ، المورد ، ص ٧٠

٣- ابن أبى اصبيعه ، عيون الاتباء ، ص ٣٣٢

٤- محمود الحاج قاسم ، لمحات من تاريخ طب الأطفال، مجلة المورد ، ص ٧٠، مشاهير اطباء الموصل ، ص ١٨٠

٥- محمود الحاج قاسم ، مشاهير أطباء الموصل ، ص ١٨٠ .

٦- محمود الحاج قاسم، لمحات من تاريخ طب الأطفال ، ص ٧٣

٧- البلدى ، احمد بن محمد بن يحيى ، كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم ، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، ط١ ، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٠

مراد في بيروت دار الكتب العلمية ٢٠٠٤^(١)، وسنعمد في هذا البحث النسخة المحققة من قبل الدكتور محمود الحاج قاسم محمد لشمولية الملاحظات التي وفرها في هذه النسخة.

أهمية الكتاب وقيمه العلمية:

يعد هذا الكتاب قفزة نوعية من حيث كونه أوسع وأكمل ما كتب عن طب الأطفال كما ويعد من أنصح المساهمات البحثية التي أرست أصول طب النساء والتوليد وطب الأسرة^(٢)، وهو مصدر قيماً من الناحية العلمية ذلك لاحتوائه عن شمولية كاملة لأعراض النساء الحوامل وتدبير أمورهن مدة الحمل، كما وان قيمته تكمن أيضاً من خلال الأسلوب العلمي عنده فهو في هذا الكتاب يصنع الأساس الفلسفي لطريقته في المعالجة والتدبير والتأليف، ويوفر نصائح طبية تسهل للمرأة الحامل تدبير أحوالها، اذ يعطي أقوال تتضمن طرق علاج للحمل وللجنين ولالأطفال حتى مرحلة النمو، فالمتفحص لهذه الأقوال والمنتبغ لأقواله الأخرى فيما بعد يخرج بنتيجة حتمية على ان البلدي كان يسير على نمط يشبه الطريقة العلمية الحديثة^(٣).

سبب تأليف الكتاب

نتيجة لشهرة البلدي ومكانته العلمية فقد انتقل الى البلاط الفاطمي بطلب من وزير الدولة الفاطمية ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس، ومن هنالك زاول مهنته الطب وبرع فيها حتى نال شهرة واسعة في تلك الأوساط، فألف كتابه هذا بحكم التجربة والممارسة الى الوزير بن كلس^(٤) بدليل قوله: (صنفه عبد سيدنا الوزير الأجل أبي جعفر يعقوب بن يوسف أطل الله بقائه وأدام علوه ونعمائه احمد بن يحيى البلدي المتطبب)^(٥)

منهج البلدي في التأليف لهذا الكتاب

لكل عالم أسلوب خاص في التأليف وفي تناوله لموضوع دراسته، يقول الجاحظ (ان لكل شي من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب سببا يدعو الى التأليف ما كان فيه مشتتا ومعنى يحدو على جمع ما كان متفرقا)^(٦)، الا ان مناهج التأليف عند الأطباء واضحة المعلم، فقد كتبوا مؤلفاتهم بحكم تجربتهم ومهنية العمل لديهم، يؤكد أبقراط قوله (إن الطب قياس وتجربة)^(٧)، وبالتالي لم يكن هدف البلدي من هذا الكتاب هو الجمع فقط، بل اراد تحقيق هدف جوهري وهو التخصص في تشخيص

^١- البلدي، الشيخ احمد بن محمد بن يحيى، كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض

العارضه لهم، قراءه وعلق عليه الدكتور يحي مراد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤

^٢- محمود الحاج قاسم، مشاهير اطباء الموصل، ص ١٧٩

^٣- محمود الحاج قاسم، مقدمة كتاب تدبير الحبالى، ص ٩

^٤- ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٣٣٣

^٥- البلدي، احمد بن محمد بن يحيى، كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضه لهم

، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، ط١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩

^٦- الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، الحنين الى الاوطان، ط٢، دار الراند، بيروت، ١٩٨٢ ص

^٧- ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٤٩



امراض النساء ومشاكل الحمل ورعاية الصبيان وذلك بحكم التجربة، والذي ترتب على هذا الاهتمام في العصر الحديث اهمية تطوير علم الأجنة والمولدين.
ومن أهم ما يلاحظ على منهجه اللجوء الى التحصيل النظري والاستفادة من علوم السابقين وبحوث العلماء المعاصرين في تلك العلوم ولزوم الرجوع الى المراجع الأصلية في النقل أمر ضروري لأي عالم يريد أن ينال نجاحاً علمياً في أي عمل علمي ناهيك عن الطب الذي هو حصيلة خبرات أجيال وأجيال فكان يذكر ما ذكره الأطباء من قبله حتى يضيف ويكثر من أسباب المرض وطرق علاجه^(١)، وهذا ما أكده البلدي في مواضع عديدة من كتابه.

أما المنهج الثاني له فكان المنهج التجريبي فهو الأهم من بين مسالك الدراسة عنده فقد رسم منهجاً تجريبياً رسمه لنفسه في القرن الرابع الهجري ولو كتبه بلغة عصرنا وفضل فيه القول لجا وكأنه نتاج الحضارة المعاصرة ذلك لأنه منهج اعتمد العناصر الأساسية للبحث العلمي والتي هي الاستقراء والقياس أو المشاهدة والتجربة^(٢).
ثم المنهج التصنيفي الذي برع به البلدي فهو يعمل على تعريف المعاني شارحاً الغامضة منها في كثير من المواضع ليخلق المصطلح العلمي الذي يأتي موافقاً مع ما يعرفه أو يحده من مسيات وما يمكن ان يترتب على ذلك التعريف من مدلولات بالنسبة للعلاج^(٣)، أما الجانب الآخر في هذا المنهج فهو الشمولية ذلك لاحتوائه على مسائل العناية بالأأم الحامل والولادة الى جانب العناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية وهو بذلك اختلف عما سبقه في الكتابة عن هذا الموضوع^(٤).
يتكون الكتاب على ثلاث مقالات الأولى في تدبير الحبالى والأطفال والأجنة ومداواة مايعرض لهم من الأمراض وتشمل على سبعة وخمسين باباً والمقالة الثانية في تربية الأطفال والصبيان وحفظ صحتهم وتشمل ثمانية وأربعين باباً والمقالة الثالثة في الأوجاع والأمراض الحادثة بالأطفال والصبيان ومداواة كل منها وتشمل واحد وستون باباً^(٥).

والحق ان الكتاب جاء منسجماً مع الهدف الذي يسعى اليه البلدي من تأكيد أهمية العناية بالأطفال والصبيان لضعف حالهم وقلة قوتهم ويستدل على ذلك بالقياس والحس^(٦).

ثانيا/مزاولة مهنة الطب في البلاطات والبيوت العامة البدايات الأولى لظهور طب الأسرة عند العرب

- ١- محمود الحاج قاسم، مقدمة كتاب تدبير الحبالى، ص ٩، الشريفيين، عماد عبد الله، ومطالقه، أحلام محمود على، نظرية النمو الإنساني عند ابو العباس البلدي، الأردن، اربد، جامعة اليرموك، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مجلد ٢٢، عدد ١، ٢٠١٤، ص ٣٦٧
- ٢- محمود الحاج قاسم، مقدمة كتاب تدبير الحبالى، ص ١١
- ٣- محمود الحاج قاسم، مقدمة كتاب تدبير الحبالى، ص ١٢
- ٤- محمود الحاج قاسم، مقدمة كتاب تدبير الحبالى، ص ١٣
- ٥- كتاب تدبير الحبالى، ص ٥٩-٧١، الشريفيين، ومطالقه، نظرية النمو الإنساني عند ابو العباس البلدي، ص ٣٥٩
- ٦- الشريفيين، ومطالقه، نظرية النمو الإنساني عند ابو العباس البلدي ص ٣٥٩.

من المعروف ان مهنة الطب من المهن التي شرفها الله تعالى ورسوله (ص) وهي على مر العصور مهنة مقدسة في المجتمعات، وقد حثت السنة والشرائع على المسلمين الاهتمام بصحة أبدانهم وضرورة اللجوء الى الأطباء عند الاصابة بالمرض، كما ان التأكيد على النظافة والطهارة والرياضة والفروسية والالتزام بالفروض والعبادات والابتعاد عن المحرمات كلها من الامور التي تحفظ للجسم الصحة وتبعد الامراض^(١).

كما أجمعت التقاليد على احترام هذه المهنة ، ورفع مكانة العاملين بها حتى غير المسلمين منهم الى أسمى المراتب ، فقد دعى الرسول(ص) الى التطبيب على يد الحارث بن كلدة ، واستعان بني امية بالأطباء أمثال ابن آثال، الذي كان نصرانيا وكان طبيبا لمعاوية وقد كرمه وقربه ، وابو الحكم الدمشقي ، وايضا ابن ماسرجوية الطبيب البصري ، كان سريانيا زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، اما خلفاء بني العباس ، فقد كرموا اسرة ال بختشيوخ^(٢).

كما كان الطبيب يعد شخصا مميزاً ينتمي الى الشريحة العليا في المجتمع ويحتل مركزاً مرموقاً في البلاط الملكي وفي افراد المجتمع الذي يعيش فيه حتى نرى في بعض المصادر تؤكد ان مهنة الطب كانت وراثية وانحصرت في الطبقة الثرية من المجتمع مثلها مثل مهنة الكتابة فالتطبيب والكاتب كانوا منزلة واحدة في البلاطات. ان مزاوله مهنة الطب في العصور الإسلامية كانت تقتصر على قيام بعض الصحابة وأعمالهم الضرورية في الأمور الطبية في البيوت واحياناً في المساجد ولكثرة الحاجة الى الطباية ظهرت مشاركة الأطباء في الجيش والحملات العسكرية عند العرب في فتوحاتهم.

ويذكر ان المكان الأول لممارسة الطبيب مهنته كانت بيوت المرضى على ان الكثير من أعمال الأطباء كانت تتم في بيوت المرضى أنفسهم، فيذهب اليهم الطبيب واحداً فواحد على ميعاد سابق أو بطلب مفاجئ ملح من أهل المريض^(٣)، أي ان بيت المريض كان منذ القدم هو المكان الطبيعي الذي يدعى اليه الطبيب لفحص المريض وتقرير التدبير والعلاج اللازم، وكانت هذه القاعدة معمولاً بها بصورة خاصة للعناية بالمرضى من عليه القوم^(٤)، يذكر ان الرسول (ص) كان يلقب الطبيب بالرفيق وهو مشتق من الرفق والرأفة واللفظ فان الطبيب يرفق بالمرضى ويتلطفه ، واضيف الية

(١) ياسين خليل (الدكتور) الطب والصيدلة عند العرب، تحقيق حسين مجيد العبيدي، ط١، دار ومكتبة البصائر بيروت، ٢٠١٠، ج١، ص٢٥.

٢- محمد كامل حسين وآخرون ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للترجمة والثقافة، ليبيا، ج١ ص٢٣٨

(٣) السامرائي، كمال (الدكتور) مختصر تاريخ الطب العربي، ط١، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، ١٩٨٥، ج٢، ٤١٨، داؤد سلمان علي(الدكتور)، ممارسة مهنة الطب عند العرب ، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، ١٦-١٨/مايس، ١٩٨٩، جامعة بغداد، مركز أحياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩، ج١، ص٣٩٢.

(٤) داود ، المرجع نفسه، ج١، ص٣٩٢.



معنى الرفقه والترافق فان الطبيب يرافق المريض ويطلبه حتى يبرئه الله ويعافيه (١)، وهذه المسميات جاءت نتيجة كثرة مرافقة الأطباء للمرضى في البيوت او غيرها . وكانت هذه الممارسات تأتي من حاجة العائلة الى الطبيب ومن نوع المرض المصاب به فرد العائلة، على ان السمة البارزة للطبيب هنا هي التنقل من مكان الى آخر بحسب الحاجة والضرورة فهي اما في المدن والأمصار وأحيانا الى البوادي عند البدو، كما انه وفي الوقت نفسه كان يقوم بزياراته البيئية راكباً على دابته اذ كان من طبقة الأطباء المشهورين أو يدور راجلاً على البيوت، يذكر إسحاق بن حنين في حديثه عن احد الأطباء قوله ان الطبيب (دياسقوريدس العين زربي ، صاحب النفس الزكية، النافع للناس المنفعة الجليلة ، المتعوب السائح في البلاد المقتبس لعلوم الادوية المفردة من البراري) (٢)، وفي هذا النص اشارة واضحة على كثرة تجوال هذا الطبيب بحثاً عن منفعة الناس ، كما وقد ورد عند ابن جلجل في وصف بقراط قوله : (كان فاضلاً متألهاً، ناسكا يعالج المرضى بالحسبة ، طوافا في البلاد جوالاً لها) (٣) وهذا النص يدل على قداسة المهنة وشرفها اولا وللحاق لبيوت المرضى لتفقد أحوالهم ثانياً، كما و يذكر ابن ابي اصيبعه في ترجمته للطبيب هرمس الثالث قوله (وكان جوالاً في البلاد طوافا بها عالماً بنصية المدائن وطباعها وطباع اهلها) (٤)، وفي ترجمة الطبيب ابو الفضائل بن الناقد يروي عنه ابي اصيبعه انه (ركب ودار على المرضى) ، ويقول عن طبيب اخر (هو راكب وقف مسيره وافتقاده للمرضى في بيوتهم) (٥)، وفي ترجمته للطبيب محمد المعروف بابن الاكفائي يقول (كان يتجمل في بيته وملبسه ومركوبه من الخيل السموحة والبرزة الفاخرة) كل هذه النصوص فيها اشارات واضحة تدل على شرف مهنة الطب وقداستها وفي نفس الوقت تؤسس الى ان طب الاسرة بدأ مبكراً على يد الاطباء الاوائل الذين بذلوا جهوداً كبيره لزيارة المريض في بيته والوقوف على أمراضه ووضع العلاج لها ، كما ووجب على المريض التحلي بالأخلاق النبيلة التي تتسجم مع هذه المهنة المقدسة والحفاظ على أسرار الأسر والعوائل التي يزورها طبيب الاسرة .

لقد وضعت شروط كثيرة لمن يزاول مهنة الطب في البيوت او في البيمارستان (٦) والذي يقرأ قسم ابقراط يجد انه دستور ثابت لمن يزاول المهنة المقدسة،

١- حسين علي محفوظ ، أصالة الطب العربي ، أوصاف الطبيب في التراث العربي ، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في الطب العربي ، ط١، جامعة بغداد مركز أحياء التراث ، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٧٧.

٢- إسحاق بن حنين (ت٢٩٨هـ)، تاريخ الاطباء والفلاسفة ، تحقيق فؤاد السيد ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٥ ص١٥٤

٣- ابن جلجل ، ابي داود سليمان بن حسان ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٥، ص١٦٦.

٤- ابن ابي اصيبعه ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ، عيون الانباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، مكتبة الحياة ص٣٢.

٥- داود ، المرجع نفسه، ج١ ص٣٩٢.

٦- عن هذه الشروط مفصلاً ينظر :الرازي ،ابو بكر محمد بن زكريا ، اخلاق الطبيب ، رسالة ابي بكر الرازي الى بعض تلاميذه ، تقديم وتحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، ط١ مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٧، الرهاوي ، إسحاق بن علي ، ادب الطبيب ، تحقيق ، مريزن سعيد مريزن ، ط١، مطبعة الملك فيصل ، الرياض، ١٩٩٢، ص١٧١ واملاتها

وتحتم عليا أخلاق خاصة في معاملة الناس والاهتمام بهم اذ جاء فيه (واقصد في جميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى)^(١)، وأيضا في العهد نفسه ان لا يكون طالب الطب الا من اهل العفاف والفضل والرحمة لأبناء جنسه وان يكون حسن الصورة وحسن التعامل في سلوكيات هذه المهنة المقدسة فمن الواجب التواضع مع الناس الفقراء واحترام حالتهم^(٢)، يذكر الرازي في وصيته (واعلم يا بني ان من المتطبين من يتكبر على الناس ولاسيما اذا اختصه ملك او الرئيس ، وقد قال الحكيم جالينوس رأيت من المتطبين اذا داخل الملوك فبسطوه تكبير على العامة ، حرمهم العلاج وغلظ عليهم القول وبسر في وجههم فذلك المحروم المنقوص)^(٣) لذا فمن الواجب على الطبيب ان يحمل أخلاقيات مهنته والتعامل برفق مع المرضى بكل الطبقات دون تمييز يذكر ابقراط قوله (وكل المنازل التي ادخلها انما ادخل اليها لمنفعة المرضى ، وانا مجال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود الية في سائر الاشياء)^(٤).

تهدف مهنة الطب الى مساعدة المريض وتوفير العلاج المناسب ، وهي بحد ذاتها تتوجه نحو الفقراء الذين يعانون من تردي الاوضاع المعاشية لهم ، وقد دعى الكثير من الاطباء الى مساعدتهم ، وان لايفرق بينهم وبين طبقة الاغنياء والميسورين ، فيذكر الرازي بقوله (ينبغي للطبيب ان يعالج الفقراء كما يعالج الاغنياء ، وهكذا يجب علينا ان نقف في السنة التي سنها الحكيم)^(٥)، ويتحتم على الطبيب احترام المريض وتقدير الظروف التي يمر بها ، فان المريض يجد في نفسه الراحة عند دخول الطبيب عليه^(٦)، فينبغي على الطبيب حسن الطباع ، مشاركاً المريض متشفعا عليا ، حافظا لأسراره لان الكثير من المرضى يسرونهم على أمراضهم ولا يرغبون ان يعرف بها أحدا ، وينبغي أيضا أن يكون متحملا للشتيمة^(٧).

ثالثا/طب الأسرة قديماً وحديثاً(رؤية في تواصلية المعارف الطبية)

يعرف طب الأسرة او طب العائلة بأنه تخصص طبي يوفر خدمات الرعاية الشاملة للناس من جميع الأعمار ، وهو قسم الرعاية الصحية الأولية الذي يقوم بشكل مستمر وشامل للرعاية الصحية للفرد والمجتمع ، في جميع الأعمار لكلا الجنسين ، ويقدم استشارة مبدئية لجميع الأمراض وعوارض الجسم ، فهو والحال هذا يقوم على معرفة المريض بصفة شخصية في إطار الأسرة والمجتمع مع التركيز على الوقاية من

^١ - ابن ابي اصبيعه ، عيون الانباء ، ص ٤٥

^٢ - ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص ١٧

^٣ - الرازي ، اخلاق الطبيب ، صص ٣٥-٣٦

^٤ - ابن ابي اصبيعه ، عيون الانباء ، ص ٤٥،

^٥ - الرازي ، اخلاق الطبيب ، ص ٣٧ ، الرهاوي ، ادب الطبيب ، ص ١٦١

^٦ - الرازي ، اخلاق الطب ، ص ٨٨

^٧ - من وصية ابقراط ، ينظر ابن ابي اصبيعه ، عيون الانباء ، ص ٤٦ ، وعن الصفات نفسها ينظر الرهاوي ، ادب الطبيب ،

ص ١٦٤



الأمراض وتعزيز الصحة ، على ان الهدف منه هو توفير رعاية شخصية شامله و مستمره في إطار الأسرة والمجتمع^(١).

لم يبق الطب على وتيرة واحده ، بل هو في حالة تغير مستمر ، ويغير الطب استجابة للعديد من التأثيرات بعضها علمي تكنولوجي ، والأخر اجتماعي ، لذا فطب الأسرة هو واحد من التخصصات الجديدة التي تطورت في سياق التاريخ الطبي الذي نشأ معه الكثير من التخصصات الجديدة في فروع متعددة مثل الجراحة والتوليد ، النسائية والتوليد ، التخدير وغيرها^(٢).

يذكر ان معارف العرب الطبية لم تشهد التخصص الدقيق ، بل ان الأطباء قديماً كتبوا في كل حقول المعرفة الطبية، وتناولوا جميع التخصصات والطب اليوم يوافينا كل يوم باهتمام جديد وتخصص مميز في علاج الأمراض ووقاية المجتمع واكتشاف علاجات جديدة لأمراض مستعصية ما كانت توجد لها عقاقير او لغات في تلك المرحلة^(٣).

ومما لاشك فيه ان تقدم الطب يحل جديداً محل قديم ولكن يجب ان نقول ان بعضاً من ذلك القديم يبقى خالداً على الأيام بما فيه من أصالة ونجد ان قسماً من تراث عبقريات الأطباء لا يمكن ان ينشئ ولو حل محلها ما هو خير منها، فالنتائج التي وصلوا إليها لا تزال تؤلف أجزاء أساسية من تقدم العلوم الطبية في الوقت الحاضر.

وبالنظر الى التاريخ نجد ان التطور لم يطل فقط الممارسات الطبية ولكنه طال المرض نفسه فتغير نمط حياة الانسان في الازمنة المختلفة صاحبه بالتاكيد تغير فيما يصيبه من أمراض^(٤)، لقد ساهم الأطباء المسلمون العرب بوضع جذور طب الأسرة منذ العصور الإسلامية وظهرت أبحاثهم التي جاءت نتيجة تجاربهم، تهتم بالأسرة والطفل فكتب الرازي وهو اول طبيب يفصل عن طب الاطفال والامراض النسائية ووضع جذور هذا العلم عندما كتب رسالة في طب الاطفال في حدود سنة ٩٠٠م^(٥).

ونتيجة لكثرة حالات عسر الولادة فقد استعان الاطباء بالقابلات في معرفة الأسباب وطلب الأطباء من القابلات تزويدهم بتعليمات عن طريق الفحص والهدف منه^(٦)، ان القابلة تقوم بمهنة التوليد وما يتبعها من رعاية الام الحامل قبل الولادة طوال اشهر الحمل واثناء الولادة ، ولإنجاح هذه المهمة تحاول القابلة التصرف ازاء المواقف التي تتعرض اليها الام من عسر الولادة واختناق الطفل وخروج الجنين على غير الوضع الطبيعي ، وكيف تتصرف اذا لم تخرج المشيمة او مات الجنين في بطن امه ، ثم العناية بالام بعد الولادة ، وكذلك العناية بالمولود ، لذا فان القابلة تقوم مقام طبيب النساء

^١ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، طب الاسرة <https://ar.wikipedia.org/wiki>

^٢ - IAN.R. Mcwhinney and Thomas Freeman, Textbook of Family Medicine, Oxford university press, third edition, Oxford, 2009, p.3

^(٣) محمود الحاج قاسم محمد، تاريخ طب الاطفال عند العرب، بغداد، ١٩٧٨، ص٣٣.

^(٤) رنا عفيفي، تاريخ الطب، النداءوي كعقل إنساني بين الماضي والحاضر، مقال منشور على شبكة الانترنت، موقع الجزيرة www.aljazeera.net . ٢٠١٧/٦/١٣ rana_ afffi

^(٥) الحاج قاسم، تاريخ طب الاطفال عند العرب، ط١، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد، ١٩٨١، ص٣٣.

^(٦) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ص٢١٣.

والتوليد ، وكذلك تقوم بدور طبيب الاطفال منذ مرحلة ولادة الطفل حتى مرحلة الفطام^(١).

وإزاء ذلك ظهرت مؤلفات كثيرة تخصصت في طب الأسرة والطفل ، يذكر ان ابقراط كتب كتابا معنوناً باوجاع النساء وهو عبارة عن مقالتان ، ضمنه اولا التعريف بما يعرض المرأه من العلل ، ثم ذكر مايعرض لها في وقت الحمل وبعده من الإسقاط التي تعرض كثيرا^(٢) . اضافة الى، ماكتبه احمد بن محمد الطبري عن طب الاطفال في كتابه المعروف ب(المعالجات البقراطية)، وقد خصص الباب الاول والثاني من المقالة الرابعة الحديث عن تربية الاطفال وحفظ الصحة ، وتربية كما تحدث عن علل الاطفال وتدبيرهم ومداواتهم وآداب المرضعة وتدبيرها^(٣).

وتعتبر رسالة تدبير الصبيان لابي بكر الرازي (ت٣١٣هـ) من اهم الرسائل المتخصصة في طب الاطفال بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والاطباء اليونان ، وبعض اطباء العرب ، حيث تناول امراض الاطفال بصورة عامة وليس كما تناولها السابقون^(٤).

ثم كتب ابن الجزار القيرواني(ت ٣٦٩هـ) كتابه (سياسة الصبيان وتدبيرهم)^(٥) وفي هذا الكتاب يعرض ابن الجزار القواعد الصحية لرعاية الأطفال وسلامتهم ، ويؤكد ابن الجزار فيه ان معرفة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر ، جليل القدر^(٦) ويعطي فكرة عن الامراض الخاصة بالأطفال^(٧)، كما ان المؤلف وضع الخطوط العريضة في تأسيس منهج موحد حول التأليف عن طب الأسرة في العصور المبكرة، لقد اعتمد على من سبقه في جمع المعلومات الطبية ممايدل سلوكه وامانته في العمل الطبي وهو يصرح بانه لم يكن سوى جامع لفنون ماذكره الأفاضل من الاطباء، وقد اعتمد منهجا علميا وهو الفصل بين العلاج والدواء^(٨)، ويرى البعض أناهداف هذا الكتاب تتسجم تماما مع ما ظهر من معارف طبية في الوقت الحاضر عن طب الاطفال ، وللمؤلف نفسه كتاب قيم بالغ الأهمية يمكن ان يعد أشبه بصيدلية منزل لما يحتويه من مركبات للأدوية والأمراض العارضة وهو كتابه المعروف ب(طب الفقراء والمساكين) على ان الغرض الأساس من تأليف هذا الكتاب أراده ان يكون معينا لطبقة الفقراء من الناس ، للوقوف على حفظ الصحة على الأصحاء وإبراء المرض من وجعهم وردهم إلى الصحة

^١- النبراوي ، نجلاء سامي ، القابلة في المغرب والاندلس ، الدور الطبي ، القضائي والاجتماعي ، منشور على موقع شبكة الالوية ، ص٥.

^٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص٥٤

^(٣)الحاج قاسم، تاريخ طب الاطفال، ص٣٤، توائية بودالية العناية بالطفل عند ابن الجزار القيرواني من خلال كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم ، مجلة عصور الجديده ، عدد٢٣، وهران، صيف ٢٠١٦، ص٤٤.

^٤- الحاج قاسم ، تاريخ طب الاطفال ، ص٣٣، توائية بودالية ، العناية بالطفل ، ص٤٤

^(٥)الحاج قاسم، مختصر تاريخ الطب، ص٣٤.

^٦- القيرواني، ابو جعفر احمد ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة ، ط٢، دار

الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٧

^٧- ابن الجزار ، سياسة الصبيان وتدبيرهم ، ص٦٦

^٨- توائية بودالية العناية بالطفل، ص٤٧



لفقرهم وقلة طاقتهم عن وجود الأشياء التي هي مواد العلاج ولتعذر وجود الطبيب لها^(١)، وليكون هذا الكتاب بديلا للأسرة في حالة غياب الطبيب ، ثم يأتي أهمية كتاب القرطبي عريب بن سعيد الكاتب (ت ٣٧٠هـ) (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين) وهذا الكتاب لا يختلف في الأهمية عن بقية المؤلفات فموضوعاته تأتي في صميم طب الاسرة على ان الغرض من تأليفه كما يقول (وذكرت ما يخص الملوك نفعه ويغبط عامة الناس جمعه)^(٢)، يعد هذا الكتاب قمة في التطور الطبي وأعظم عمل قدمه للحضارة الإنسانية بمعلومات وإبداعات في علم الأجنة^(٣) ، لقد سعى عريب الى تأليف هذا الكتاب لكي يجد الخاصة والعامة على حد سواء ضالتهن في معرفة اوقات الحمل ومدته ، وكيفية تخلق الجنين وطرق العناية بالطفل صحيا^(٤).

هذه المؤلفات بذرت بذور الاهتمام بطب الأسرة والطفل وهي بحد ذاتها تمثل نوادر الدراسات عن الأمومة والحياة الأسرية في تلك المرحلة، تعالج رعاية الحوامل والمسنيين وحالات الولادة وتحديد النسل، والأمراض العارضة والخطيرة للأسرة .

رابعا/مأخذ من آراء البلدى عن تدبير الحبالى والاطفال:

أ/ تدبير الحبالى

يعطي البلدى اهتماما كبيرا لصحة المرأة الحامل فيرى ان الحبالى وتدبيرهن في حفظ صحتهن وإزالة أمراضهن ليس كالحال في تدبير غيرهن من جميع الناس ، وينبغي ان يكون علاج الحامل في الأربعة أشهر ويكون التقدم على ذلك باقل ، ويرى ان الحامل اذا فصدت أسقطت وخاصة اذا كان طفلها قد كبر، وهي بذلك تحتاج المداومة والتدبير حفاظا على سلامة جنينها علما بان تدبيرها يختلف عن تدبير بقية النساء على ان تدبيرها هو حفظ صحتها وإزالة الأمراض العارضة لها بعناية

المواصفات الجسمية للمرأة الحامل:

يرى البلدى ان من النساء العواقر اللواتي لا يلدن ، ومنهن من تسرع الى قبول الحمل والولادة ، فمن أرادا لأولاد عليا إن يضع اختياره على تلك التي تسرع في حملها ، ويضع شروط للمرأة التي لديها قابلية الحمل دون غيرها منها:

- ١- ان تكون معتدلة في مزاجها ومعتدلة الحالة في رحمها
- ٢- ليست بالقصفة اليابسة جدا ولا باللينة ، ولا مسترخية الأعضاء
- ٣- وتكون من أبناء خمسة وعشرين سنة إلى تمام الأربعين سنة
- ٤- سهولة النظر ، معتدلة العقل

١- القيرواني ، ابو جعفر احمد ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين ، تحقيق الراضى الجازي وفاروق عمر الصلي ، ط١ ، مطبعة المغرب ، تونس، ٢٠٠٩، ص٧٦.

٢- ينظر ، القرطبي ، عريب بن سعيد الكاتب ، كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين ، ترجمة وتحقيق ، نور الدين عبد القادر ، الحكيم هنري جاهية ، ط١، مكتبة فراريس، الجزائر ١٩٥٦، ص٦

٣- توائية بواداليه ، العناية بالطفل ، ص ٤٤

٤- بلبشير عمر ، خلافي زاهية ، العناية بالمرأة والطفل من خلال كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين لعريب بن سعيد القرطبي ، الجزائر ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ديسمبر، عدد ١١، ٢٠١٦، ص ١٢٠

- ٥- مجتمعا وجهها مبتسما محياها واسعا خصرها وبطنها ، ويكون طمئتها يجري في أوقاته ، ولا يحبس عنها ولا يسيل سيلا كثيرا
٦- ان تكون قليلة الأمراض ، سليمة الرحم لا تكاد ان يعرض فية لها مرض ألبته^(١).

العلامات الدالة على الحمل عند المرأة : يحدد البلدي جملة علامات تدل على بداية الحمل منها : سقوط النطفة واستقرارها في الرحم ، وهذا المؤشر الاول الذي يساعد على الحمل ، كما وينصح البلدي بان تسقى المرأة قبل النوم بماء العسل فاذا أصابها مغص في بطنها فهي حامل و ان لم يصبها فغير حامل ، ومن الأمور الدالة على الحمل هو انقطاع الطمث والحيض في أوقاته ولم يحدث عندها قشعريرة ولا حمى ولا أي شي عرضي ، عدم قابلية المرأة على الجماع ، ظهور وجع في ألمعده ، اصفرار العروق في الصدر وتغير لون المرأة الى الأخضره ، زيادة في حجم الثديين على غير ما كانا في السابق ، ان تسال القابلة عن الآلام ألعارضه لها ما دون السرة الى القبل ، اصفرار بياض العينين و احيانا غلبة لون السواد على العينين وظهور النمش الكلف عليّة ، شهوة المطاعم الرديئة والحامضه والمالحة واكل الطين^(٢).

غذاء الحامل : وهذا الغذاء يحدده البلدي لكلا الزوجين وهو يساعد نزول المنى سريعا في الرحم ، فيرى البلدي ان الغذاء الأفضل في ذلك هو من اللحم الحولي الضان والفرخ ، ولحوم الغزلان والأيائل وحر الوحش والعصافير والسمان والزرانير ، وجميع لحوم الوحوش كالأسد والنمر وما جرى مجراها^(٣) ، وان يتجنبوا أكل الإناث منها ، واكل السمك المالح البحري الغليظة منه معمولا بالخردل والكرفس والنعناع والفلفل، والأرز واللوبيا والجرجير والقرط والرشاد والبصل والكراث والثوم الرطب واليابس والجزر واللفت والبادنجان^(٤).

كما ويرى ان الأغذية التي تحسن المولود متنوعه وكثيرة فينصح الحامل بأكل السفرجل والتفاح وما جرى بمجراها فهو يحسن الوجه ويصفي اللون ، اما للحوم فيؤكد للحامل اكل لحوم الفراريج والدراج والحجل وما لطف من الحيوانات الطائرة ولحوم الجداء والحملان متخذة بماء الحصرم وماء التفاح وماء التمر هندي والخبز النضج الاختيار^(٥).

وقد نهى البلدي من تناول العدس والكشك والباقلي والسماق والرمان المز والحامض ومن الأشياء الحامضة ومن جميع الأغذية الباردة الرطبة ومن الاشربة الباردة ومن الخضار والألبان والاجبان والقثاء والخيار والخس والقرع والبطيخ^(٦).

^١- البلدي ، تدبير الحبالى ، صص ٧٩-٨٠.

^٢- البلدي ، المصدر نفسه ، ص٩٧ و متالها

^٣- من الغريب انه يؤكد على أكل لحوم الحيوانات الوحشية ، وفي الشريعة الإسلامية ان لحومها محرمة

^٤- البلدي ، المصدر نفسه ، ٨٥

^٥- البلدي ، تدبير الحبالى ، ص، ١٣٧، ٩١، ٨٥.

^٦- البلدي ، تدبير الحبالى ، ص٨٥



اما الشراب فليكن العتيق من الخمر^(١) والياقوتي والأسود وما جاز عليه سنتان وثلاث سنين ، وشراب العسل المتخذ بالافاوية وشراب الرأس ومن الايقال والفاكهة اليابسة الفستق وحب الصنوبر والزيت الأحمر والحمص المقلو والحنطة المقلوه ، والاترج المربى وجوارش العنبر والعود ، والشراب الذي يلين الطباع لهن مثل شراب البنفسج ، والعناب ، والأجاص ، ولا بنس بأخذ اليسير من عسل الخيار ، وشراب السفرجل المحلى ، والتفاح المحلى وأما التين البالغ النضج والعنب الشديد الحلاوة فلا بأس بهما^(٢). مع ذلك يؤكد البلدى لدوام صحة الحامل ان تقوم بالحركة والأعمال الرياضية والتعب فان هذه الأمور لمن اعتادها انفع ، وينصح ان يكون بعد الرياضه استخدام الماء الفاتر العذب ودخول الحمام^(٣).

تحديد صفات الطفل وجنسه : يرى البلدى ان الابوين كلاهما مسؤولين عن تحديد صفات الجنين ، فاذا كان كلاهما جميل كان الولد جميلا ، ويؤكد معتمدا على ابقراط اذا كان منى الرجل اكثر من منى المراءه اصبح الولد اكثر شيها لوالده ، وبالعكس ، ويلزم من ذلك انه اذا كان يشبه اياه او امه ان يكونا الابوين حنين جميلين ، واذا كانوا وحشين كان هو وحشيا، ويذكر ان من اراد ان يولد له ولدحس جميل وجب عليه ان يختار من النساء ذات الحسن والجمال ، وان يسكنها في المساكن الجميلة التي قد صور فيها بالصورة الحسنة البهية المليحة الصحيحة التناسب في اعضائها ومفاصلها من صور الناس دون غيرهم ويسكن معهم فيها من الخدم والجواري والصبيان من كان حسنا جميلا ويمنعهم من النظر الى الصورة القبيحه^(٤). ويركز البلدى على مسالة في غاية الاهمية وهي تأثير التماثيل والصور على هيئة الجنين ، وهي الى اليوم تشكل عنصرا اساسيا في معتقدات العصر الحاضر ، يرى البلدى ان الحامل اذا أدمنت النظر اليها واطالت الفكر فيها ولم يخطر ببالها من غيرها كانت عاملا مؤثرا في تشكيل الهيئة للجنين ولذلك يوصى ان من يدور بها ويخدمها ويحادثها من جميع الناس يكون حسن الوجه جميله ، الى جانب ذلك يركز حتى على مسالة الدار والسكن لها ، فيؤكد ان البيوت والدار التي تسكن بها يجب ان تكون حسنة وان تُمنع الحامل من النظر الى كل ماهو قبيح^(٥)، اما عن تحديد جنسه ذكر ام اثنى فيرى البلدى اذا كانت الحبلى بذكر كان لونها حسنا واذا بانثى كان لونها حايلا ، واذا كانت حاملا فضم احد ثديها وكان حملها تؤائما فإنها تسقط احد طفلها فاذا كان الضامر هو الثدي الأيمن اسقط الذكر واذا الأيسر أسقطت الانثى ويحدد العلامات الدالة على ان الجنين ذكر او انثى ان علامات الحمل بالذكور تكون الحبلى اسهل حركات واخف نهضات واكثر نشاطا ، واكثر العلامات هنا توتر عروق الحامل وارتكازها، اما الحمل في الاناث فهو عكس ذلك^(٦).

^١ - على الرغم من الخمر محرم في الشريعة الاسلامية

^٢ - البلدى ، المصدر نفسه ، ص ٨٦ ، ص ١٣٦

^٣ - البلدى ، المصدر نفسه ، ص ١٣٦

^٤ - البلدى ، المصدر نفسه ، ص ٨٩ - ٩٠

^٥ - البلدى ، المصدر نفسه ، ص ٩١

^٦ - البلدى ، المصدر نفسه ، ص ١٢٠ - ١٢٩

اسباب الاسقاط :

منها متى ماكانت المرأة وبدنها معتدل تسقط في الشهر الاول والثاني والثالث من غير سبب ، وعندما يكون قعر رحمها مملوء مخاطا ولايقدر على ضبط الفل لثقله لذا ينهتك منها ، ومن الأسباب ايضا اذا تعرضت المرأة الحامل الى حمى وسخنت سخونت قوية من غير سبب ظاهر فان ولادتها تكون عسرا او يقسط فيها ويكون على خطر، واذا حدثها زحير فانها تسقط^(١).

اسباب عسر الولادة وعلاجه: من الاسباب التي يذكرها البلدي هي من قبل المرأة ومن قبل الطفل ومن قبل المشيمة ، فمن ناحية المرأة اما ان تكون سمينة كثيرة اللحم جدا واما صغيره الرحم او لانها لم تعدد الولادة فإنها اما سمينة كثيرة اللحم، او ضعيفة الطلق او لانها جبانة فزعه ، او لورم حاد يكون في رحمها او في عضو آخر^(٢)، واما من المولود لكبر حجمه او لصغره وخفته ، او لان يكون رأسه كبيرا ولان خلقته عجيبه كالذي له رأسان ، او لأنه ميت ، او حيا لايقدر على التحرك ، او منقلبا على رأسه^(٣).

ازاء هذه الحالات يضع البلدي جملة حلول لحالات عسر الولادة منها ينبغي ان تستعمل الاشياء التي ترخي الرحم ، وان يطلى الموضع بها وان يصب سيرج حار مع ماء الطبخ فية الخبازي ويزر الكتان مع ماء العسل ، والبابونج والحلبه واكليل الملك وغيرها ، وايضا ، ان يصب الموضع ببياض البيض لأنه يخفف الأوجاع وان تضمد العانة مع اسفل البطن والصلب ، ويزر الكتان مع شراب العسل وماء وزيت وان تستعمل في الحمامات الاشياء التي ترخي الموضع ، ويمكن لها استعمال الحركات القوية بالمراجيح وغيرها ، وقد تستعمل قوم النفص الشديد والهز من فوق الى الأسفل، واذكان العسر حادث عن فزع أي خوف فينبغي ان تمسك المرأة حتى تهدأ قوة الفزع وتشجيعها بالكلام وإشعاره بالامن والطمأنينة وزوال الخوف، وأما تلك التي تعدد بالولادة ، فينبغي ان تأمرها بان تحبس أنفاسها حبسا شديدا وتدفعه للأسفل^(٤).

ب/تدبير الاطفال :

حالات الجنين بعد الولادة : يرى البلدي ان الطفل المولود يجب ان يولد في مكان معتدل الهواء في حره وبرده ورطوبته وبيسه ولطافته وغلظه قليل الاختلاف والتغير ، فان الهواء اذا كان كذلك من الاعتدال كان نضجا موافقا لجميع الناس على اختلافهم ، لذا يجب العناية بتفتيح طرق الهواء ومسالكه التي بها يصل الى بدن المولود^(٥). ويرى البلدي ان احوال المولود تتغير بعد ولادته لانه كان في الرحم يتغذى بما يلائمه مما كان يأخذه من دم الام حتى يصبح غذاءه لبنا ، كما انه بعد الولادة يمر بمرحلة تغير

^١- البلدي ، المصدر نفسه ، ص١٢٩

^٢- البلدي ، المصدر نفسه ، ص١٦٣

^٣- البلدي ، المصدر نفسه ، ص١٦٤

^٤- البلدي ، المصدر نفسه ، ص١٦٥-١٦٦

^٥- البلدي ، المصدر نفسه ، ص١٨٤



شاملة من حيث التنفس ، والفضلات التى تخرج من جسمه اضافة التى التغيرات الجسمانية التى تطراً عليه .^(١)

معرفة صحة الطفل السليم بعد الولادة: يحدد البلدى جملة ملاحظات لمعرفة سلامة الطفل المولود بعد سقوطه ، فيرى ان الأم اذ كانت فى صحة جيدة وحملها وقلة الاعراض الرديئة العارضة لها ، وقلت ضعفها فى وقت حملها افضل دليل على صحة وسلامة مولودها ، كما يؤكد الانتباه على المولود من صحة بكاءه ساعة ولادته فذلك يدل على قوته وشدته ، وهذا ايضا يشير الى صحة أعضاءه وقواه وجودة حواسه وحركاته ، اما معرفة مرضه فيتم بعكس ذلك .^(٢)

غذاء المولود: يؤكد البلدى ان حليب الام هو أفضل غذاء بالنسبة للطفل الوليد ، شرط ان لا تكون الأم فيها علة تؤثر على ذلك الحليب ، وان وجدت فالأجدر اختيار المرضعة السليمة له ، كما ويوصى بالعناية بغذاء الأم المرضعة اذ نوعية الغذاء الجيد تساعد على ان يكون الحليب فى أحسن الأحوال المناسبة للطفل .^(٣)

العناية بصحة الطفل: يؤكد البلدى على تمرىخ الطفل المولود بالدهانات وبالتسلسل فى أعضاء جسمه ، وهذا بدوره يعمل على تحسين جسم المولود وتحقيق الراحة له ، كما ويؤكد على مسالة الاستحمام للطفل وان تكون بالماء العذب فى كل يوم مرة او مرتين ، وان يكون الاستحمام فى بيت مكيف الهواء معتدل الحرارة ، واذا الاستحمام فى الشتاء يجب ان توقد ناراً قليلة الدخان ليدفأ الهواء ، ان لا يستحم الطفل وهو فى حالة الشبع وفى ذلك أضرار على صحته^(٤) . اما السلوكيات الواجب توفرها عند الأم او المرضع تجاه الطفل المولود فهي :

١- يجب على المرضع ترك كل ما هو مفزع وصوت عالى ومنظر قبيح، هذه كلها ضرر للمولود.

٢- تعلم الطفل على مشاهدة المناظر الحسنه والأمر التى يستأنس بها

٣- تطبيع المولد على سماع الأصوات والألحان اللطيفة التى تتناسب مع مؤهلاته العمرية ، وكذلك إيجاد الحركات الجميلة التى يتقبلها

٤- التأكيد على الحركات الرياضية الخاصة بالطفل والتى تعزز عنده تهذيب النفس وترويض البدن .

٥- ينبغى على المرضع ان تنتبه الى أماكن جسم الرضيع أثناء حملة وان تعتني بالمناطق الرخوة منها .^(٥)

التبول اللاإرادي عند الأطفال: يعرض البلدى جملة أمراض تظهر عند الأطفال الصغار وحتى الصبيان ، منهم حالة التبول اللاإرادي والتى هي اليوم موضوع اهتمام أطباء

١- البلدى ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣ - ١٨٤

٢- البلدى ، المصدر نفسه ، ص ١٨٢

٣- البلدى ، المصدر نفسه ، ص ١٨٦ - ١٨٧

٤- البلدى ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٤

٥- البلدى ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٨

الأطفال ، فيرى ان هذه الحالة ليست بالمرض بل هي شي بالطبع عند الأطفال ويعزو ذلك ان العضلة الموجودة في عنق المثانة عندهم ضعيفة ، على ان التدابير الخاصة بذلك هي الأمور والأشياء التي تقوي هذه العضلة ، وجملة هذه الأمور ان تأخذ فخذ مثانة ثور او فخذ مثانة عنز ويتم إحراقها ثم تسقى بالخل والماء وتوضع على المثانة ، او يأخذ دماغ عقاب وشحم ويدق دقا ناعما ويأكله الطفل. أو يأخذ نعناعا ومرا فينقع كلاهما بشراب طيب الرائحة فيشربه الطفل عند العشاء .^(١)

الخاتمة

من خلال مسيرة البحث وعلى ضوء ما توافر من معلومات يمكن الخروج بجملة نتائج نجملها بالآتي:

- ١- ان الأطباء العرب المسلمين الأوائل اول من أسس أصول طب الأسرة وقد وضعوا مؤلفاتهم مفصلين في الاهتمام بهذا الفرع المهم من فروع الطب
- ٢- كما ان النظريات والآراء التي وضعوها أصبحت أساسا لدراسات الطب الحديث حتى يومنا هذا
- ٣- يشكل البلدي مكانة مهمة بين الأطباء العرب في تخصص طب النساء والتوليد وطب الأطفال ، وهو قد وضع علاجا وتدابير في غاية الأهمية تخص المرأة الحامل والطفل حديث الولادة وهي حتى يومنا هذا معمول بها .
- ٤- وعلى الرغم من هذه الأهمية للبلدي فقد واجهتنا مشكلة الترجمة لشخصية ، وقلة الدراسات المعنية به
- ٥- قلة الدراسات العربية حصرا بالمقارنة مع الأبحاث الأجنبية عن طب الأسرة ، ماعدا بعض المقالات التي هي بدورها اعتمدت على تلك الأجنبية ، على الرغم من ان طب الأسرة أصبح قسما مستقل في كليات الطب والجامعات العربية

التوصيات:توصي الدراسة بما يلي

- ١- نشر تراث الطبيب البلدي والتأكيد على أهمية نظرياته لأننا اليوم بأمس الحاجة إليها ، وهي بدورها تنسجم مع تطورات الطب الحديث.
- ٢- اعتماد مؤلف البلدي منهج أساس في أقسام طب الأسرة التي فتحت في الجامعات والمحافل العلمية .
- ٣- زيادة البحث والنقصي والمزيد من الاهتمام بتوظيف وتطوير أقسام طب الأسرة في الجامعات العربية ، وكثرة التوجيه والإرشادات بحثا وتأييفا عن طب الأسرة وغرس مفاهيمه عند عامة الناس، فلدينا الكثير من التراث عن هذا التخصص يساعدنا على تطويره وقد سبقنا بقيت الأمم فيه .

^١ - لقد اخترنا جملة من هذه التدابير للاستزادة ينظر، البلدي ، المصدر نفسه ، صص ٣٠٢-٣٠٣



ابن ميمون القرطبي وءناجه الطبي
(٥٢٩ - ٦٠٠ هـ)

م.و. اخللاص امانه ماهي

كلية التربية (ابن الرشر

ikhlas.amana@ircoedu

أ.م.و. نهاو نعمة مجير

كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

nihad_neamah@yahoo.com

المخلص

يُعد ابن ميمون القرطبي (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) من الاطباء الذين قدموا عطاءات ونتائج علمية نادرة شكلت فيما بعد أساساً في الطب والصيدلة . فهو ينحدر من عائلة علمية اذ كان والده رياضياً ، وفلكياً شهيراً وقد شغل منصب القضاة في المحاكم اليهودية في قرطبة جمعاء . عاصر ابن ميمون الطيبان الوزير حسداي بن شبروط والعالم الطبيب مروان بن جناح. (٥١٥هـ/١٢١١م)، والطبيب القرطبي ابن رشد متأثراً بفلسفته . وقد ساعدت كتابات الطبيب القرطبي ابن ميمون الفلسفية والدينية على تعرف المترجمين له واهتمامهم بمؤلفاته كافة فترجمت مبكراً. وأنتشرت كتاباته في كل انحاء أوروبا ، اوضح ابن جلجل القرطبي ان عدد مصنفات ابن ميمون القرطبي الطبية عشرة بين مقالة ورسالة ونقل اغلبها إلى العبرية وبعضها إلى اللاتينية . توفي ابن ميمون القرطبي سنة (٥٦٧ هـ) - ودفن في مقبرة طبرية في فلسطين .

Abstract

Ibn Maymun al-Qurtubi (d. 600 AH / 1203 CE) was considered one of the physicians who made rare scientific bids and results that later formed a basis in medicine and pharmacology. He comes from a scholarly family as his father was an athlete, a famous astronomer and he held the position of judges in the Jewish courts in all of Cordoba. Ibn Maimonides was a contemporary of the two physicians, the minister Hasdai bin Shabrout, and the scholar, the physician, Marwan bin Jinnah. (515 AH / 1121 CE), and the Qurtubian physician Ibn Rushd was influenced by his philosophy. The philosophical and religious writings of the doctor al-Qurtubi Ibn Maimun helped translators to know him and their interest in all his books, so they were translated early. And his writings spread all over Europe. Ibn Jalajal al-Qurtubi explained that the number of Ibn Maimun al-Qurtubi's medical works was ten between an article and a letter, and most of them were transferred to Hebrew and some to Latin. Ibn Maymun al-Qurtubi died in the year 567 AH and was buried in the Cemetery of Tiberias in Palestine.

المقدمة



أنجبت الاندلس عباقرة الأطباء الذين كان لهم الأثر في تطوير الحضارة ليس في الأندلس فقط إنما الحضارة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء وقدموا عطاءات ونتائج علمية نادرة شكلت فيما بعد أساساً في للطب والصيدلة .
ومن خلال المعلومات التي تضمنتها كتب التراجم نجد هنالك قائمة لعدد من الأطباء في قرطبة يفوق عددهم في أية مدينة أندلسية أخرى، وهذا يؤكد لنا أن قرطبة ضمت عظماء الأطباء والفقهاء هذا فضلاً عن أن هؤلاء لم تكن لهم معرفة بالطب فقط ففيهم ألوزير والأديب ، والمحاسب والرياضي بالطبيعة والفلك ، والنجوم ، وكذلك الهندسة ، والجغرافية والعلوم الأخرى. ومنهم الطبيب ابن ميمون القرطبي .
وتناول البحث سيرة ابن ميمون القرطبي ، ونشأته لاسماً وانه من عائلة علمية فأبوه رياضي وفلكي واحد قضاة الاندلس المعروفين ، وتطرق البحث الى العلوم التي تلقاها ابن ميمون القرطبي على علماء عصره ، وضم البحث مؤلفات ابن ميمون الطبية والتي دونت جميعها باللغة العربية في مصر وبأزمنة متفرقة بين سنة (٥٦٤-٥٩٧هـ) / (١١٦٧-١٢٠٠م) وقد انتشرت في كل انحاء أوربا لأهميتها .

- سيرة ابن ميمون القرطبي (٥٢٩ - ٦٠٠هـ) (١١٣٤ - ١٢٠٣م).

أبو عمران موسى بن عبد الله بن ميمون القرطبي الأندلسي الملقب بالرابي (رئيس الملة اليهودية) وبالرئيس ولد وتعلم في قرطبة^(١) وكان معروفاً عند اللاتينيين (مايمونيدس)^(٢) وبالاسبانية Mamonides^(٣) ، وبالعربية موسى بن ميمون ذكر عنه القفطي في كتابه تاريخ الحكماء قائلاً ((كان هذا الرجل من أهل الأندلس يهودي النحلة قرأ علم الاوائل بالأندلس وأحكم الرياضيات وشد أشياء من المنطقيات وقرأ الطب هناك فأجاده علماً ولم يكن له جسارة على العمل...))^(٤)
كان والده رياضياً ، وفلكياً شهيراً وقد شغل منصب القضاة في المحاكم اليهودية في قرطبة. وهو ذو حسب رفيع^(٥).

وبما أن اليهود كان لهم شرف الاشتراك مع المسلمين في عمليات الفتوح ومنها فتح الأمصار الأندلسية. وكان عدد لا بأس منهم يتلقون العلوم في المعاهد الإسلامية التي خرجت الفلاسفة والأطباء والشعراء اليهود ومما ساعد على ذلك هو تشجيع الخلفاء للعلم وتكريم للعلماء مهما كانت ديانتهم^(٦). كذلك ازدهار اللغة العبرية في قرطبة

(١) ابن العبري ، ابو الفرج غريغورس بن اهرن الطبيب المنطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩١م ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) بالنتيا ، انخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله الى الاسبانية : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٤٧٤ .

(٣) العامري ، محمد بشير ، كشاف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة ، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد الثاني عشر ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١م ، ص ١٧٠ .

(٤) القفطي ، جمال الدين ابي الحسن بن يوسف (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، تاريخ الحكماء من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مصر ، ١٣٢٦هـ ، ص ٣١٨ .

(٥) السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٦) ارنولد ، سير توماس ، تراث الاسلام ، ط ٢ ، عربيه وعلق عليه : جرجيس فتح الله ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٤٨٤ .

بوجود المدارس اليهودية فيما عوضت عن تعلم اليهود وعناء السفر إلى بغداد التي كانت حينذاك كعبة يحج إليها طلاب العلوم الدينية من اليهود من جميع الأقطار^(١). وعلى وفق هذه البيئة العلمية تتقف موسى بالفلسفة اليهودية وعلومها^(٢). حتى أصبح أشهر يهود أسبانيا^(٣).

عاصر ابن ميمون الطبيبان الوزير حسداي بن شبروط والعالم الطبيب مروان بن جناح. (١١٢١/هـ-١١٥١م)، والطبيب القرطبي ابن رشد متأثراً بفلسفته^(٤). وفي سنة (١١٤٨/هـ-١١٤٨م) استولى عبد المؤمن الكومي الزناتي^(٥). أمير الموحدين على قرطبة^(٦)، وكان هذا كلما فتح بلداً لم يترك فيه ذمياً الاعرض عليه الاسلام منطلقاً من مبدأ (أسلم تسلم) ، ومن طلب المضي إلى بلاد النصارى أذن له في ذلك ومن أبي قتل^(٧).

ويقول القفطي في هذه الاحداث الاليمة ((ولما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري المستولى على الغرب في البلاد التي ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن بقي على رأي أهل ملته فأما أن يخرج قبل الاجل الذي أجله وأما أن يكون بعد الاجل في حكم السلطان فستهلك النفس والمال ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقي من ثقل ظهره وشح بأهله. وماله فأظهر الإسلام وأسر الكفر فكان موسى بن ميمون ممن فعل ذلك))^(٨).

أن هذه المعاملة كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى هجرة عدد كبير من علماء اليهود ومنهم موسى بن ميمون إذ أضطر وهو في الثالثة عشر من عمره أن يترك

- (١) لجنة ، موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين ، تحقيق : حسين مؤنس ومحمد ابو ريان وسلامة رؤوف موسى وبول غليونجي وجلال شوقي ، القاهرة ، ل . ا . ت ، ج ٥ ، ص ١٧١ .
- (٢) ولفنسون ، اسرايل ، موسى بن ميمون (حياته وصفاته) ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٦ ، ص ٤ .
- (٣) ينظر : فيرنية ، خوان ، العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس ، ضمن بحوث الحضارة العربية الاسلامية ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية الاسلامية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٩ ، ج ٢ ، ص ١٣٠٩ .
- (٤) مروان بن جناح القرطبي ويكنى أبو الوليد طبيب من يهود الأندلس ، درس لسان العرب واليهود من آثاره مقالات ورسائل لغوية ، كتاب تحديد المقادير في صناعة الطب من الاوزان والمكائيل ، ومعجم عيري عربي . ينظر : ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس بن القاسم بن خليفة (ت١٢٦٨/هـ-١٢٨٩م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ٤٩٨ .
- (٥) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف الكومي من قبيلة كومة البربرية التحق بمؤسس دولة الموحدين ابن تومرت ثم خلفه على الحكم بعد وفاته ، قاتل المرابطين واستولى على المغرب الاريقي ثم غرناطة وأشبيلية وقرطبة سنة (١١٤٨/هـ-١١٤٨م) وتوفي سنة (١١٦٣/هـ-١١٥٨م) . المقرئ ، احمد بن محمد التلمساني (ت١٢٦٠/هـ-١٢٦٠م) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه وضبط غرانبه وحواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٩م ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
- (٦) ابو زرع ، أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم ، الأتيس المطرب في اخبار ملوك المغرب أو روض القرطاس في تاريخ مدينة فايس ، ليدن ، ١٨٤٣م ، ص ١٢٦ .
- (٧) ولفنسون ، اسرايل ، موسى بن ميمون (حياته وصفاته) ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٦ م ، ص ٥ .
- (٨) تاريخ الحكماء ، ص ٣١٨ .



قرطبة فراراً من أضطهاد الموحدين لأبناء طائفته فخرج مع أسرته^(١). إلى مدينة المرية، جنوب الأندلس وبقوا فيها أثنا عشر عاماً انغمس فيها بدراسة الديانة اليهودية والحساب والفلسفة ويقال أنه قد تعلم قراءة القرآن، وبعضاً من كتب اللغة ثم توسع في تعلمه فدرس الفقه المالكي^(٢) وحفظ الكثير من الآيات القرآنية وقيل أنه تأثر بها وأسلم عليها^(٣). وفي المرية التقى موسى بن ميمون بابن رشد القرطبي وابن باجة^(٤).

فتتلمذ موسى عليهما. وبعدها نرح إلى مدينة فاس بعدما ألت المرية هي أيضا للموحدين على يد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكوفي الذي كان بدوره مضطهداً للنصارى واليهود. وقيل أنه دخل الإسلام مكرهاً عليه.

سنة (٥٤٩هـ/١١٦٠م) ألف ميمون رسالة باللغة العربية حث فيها الجماهير اليهودية على التمسك بالعروة الوثقى والثبات على النوازل والكوارث التي يريد بها الله أن يمتحن شعب اسرائيل. ألا انه مع ذلك أبقي علاقته مستمرة مع الفلاسفة المسلمين في مدينة فاس^(٥).

وفي سنة (٥٥٤هـ/١١٦٥م) عندما بلغ موسى الاربعين من عمره سافر إلى فلسطين ومنها إلى مصر في الفسطاط^(٦).

وفي سنة (٥٦٤هـ/١١٧٤م) دخل صلاح الدين الايوبي مصر وقد حماه من الذين حاولوا التمهيد للفنك بإدعاء أنه كان قد أسلم بالأندلس وتهود بمصر^(٧).

وأنضم ابن ميمون الى حاشيته وأصبح موسى طبيباً للبلاط^(٨) وكان السلطان صلاح الدين يرسل في طلبه ويتطرب على يده.

وعند وصول موسى إلى الديار المصرية أرتد ورجع إلى يهوديته وأقام في القاهرة سبعة وثلاثين عاماً أصبح فيها رئيساً روحياً لليهود سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م)^(٩).

وبما أن اليهود كانوا يتمتعون بحرية نسبية جاءت على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء^(١٠)، وكان موسى بن ميمون الطبيب المشهور والفيلسوف والمعلم الديني في البلاط قضى معظم حياته حافلة بالنشاط ولاسيما الطب في القاهرة تحت

(١) تتكون اسرة موسى بن ميمون من (الوالد وولدين وبنات واحدة ، أما الام فتوفيت بعد أشهر قليلة من ولادة موسى)

ينظر : ولفنسون ، موسى بن ميمون، ص ٦ .

(٢) الزركلي، خير الدين ، الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الاتباء ، ص ٥٨٢ .

(٤) طوقان، قدوري حافظ، العلوم عند العرب ، الاردن ، لا . ت ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٥) الزركلي، الاعلام ، ج ٨ ، ص ٤٨٤ .

(٦) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ٧ .

(٧) ابن ميمون القرطبي ، المقدمات الخمس والعشرون في اثبات وجود الله أو كتاب دلالة الحائرين، شرح المقدمة :

الرئيس أبي عبد الله محمود بن ابي بكر، صحح الكتاب وقدم له: محمد زاهد الكوثري ، مصر، ١٣٦٩م ، ص ٧ .

(٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الاتباء ، ص ٥٨٢ .

(٩) ولفنسون، موسى بن ميمون ، ص ٧ - ٨ .

(١٠) ارنولد ، تراث الاسلام ، ص ٤٨٤ .

رعاية صلاح الدين الايوبي. أنشأ لأبناء طائفته مدرسة اسرائيلية في الاسكندرية، وقد أصبح هيكلها في سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) نواة الجامعة العبرية في فلسطين^(١).
 والتف حول ابن ميمون القرطبي جمهرة من الشباب كان أغلبهم من مهاجري الأندلس والمغرب يستمعون إلى محاضراته في علوم الدين، والرياضة، والفلك، والفلسفة وكان احب هؤلاء المستمعين إليه يوسف بن عقنين^(٢). الذي تتلمذ على يده^(٣). عرف ابن ميمون القرطبي بالفلسفة اكثر مما عرف بالطب الذي اعتمد فيه على كتب ابقراط وجالينوس، والفارابي، وابن سينا، ولاسيما جالينوس وابقراط إذ جمع افكارهما الطبية بكتاب جعل عنوانه افروشيم موسى (Moses Aphorism) أي فصول موسى. وهو نفس عنوان (كتاب الفصول لأبقراط) Aphorism^(٤).
 لقد احرز الطبيب القرطبي سمعة طيبة في الطب وشهرة في نظرياته وبذل مدة ثلاثين عاماً نشاطاً متواصلًا في ميدان التأليف فكتب كتباً عديدة في الفلسفة، وعلم الكلام، والطب جعلته من أشهر مفكري القرون الوسطى^(٥). الأمر الذي جعل بعض العلماء يؤمنون القاهرة للاتصال به ومنهم عبد اللطيف البغدادي^(٦). الذي رحل من بغداد إلى القاهرة لمقابلته. وقد قال القاضي السعيد بن سناء الملك شعراً يمدح فيه الرئيس موسى:

ارى طبَّ جالينوس للجسم وحده وطبَّ أبي عمران للعقل والجسم
 قلو انه طبَّ الزمان بعلمه لا يراه من داء الجهالة بالعلم
 ولو كان بدر التَّم من يسْطبه لثم له ما يدعيه من التَّم
 وذاواه يوم التَّم من كلف به وأبرأة يوم السرار من السقم^(٧)

- (١) لجنة، موسوعة العلوم الاسلامية، ج ٥، ص ١٧١.
 (٢) هو يوسف بن يحيى بن إسحاق السبتي المغربي ابي الحجاج، ذكر عنه القفطي انه كان بارعاً في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم، واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي، وسافر بعد ذلك إلى الشام وأقام بمدينة حلب، وخدم الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين ابن ايوب، وكان يعتمد عليه في الطب. توفي الحجاج بحلب سنة ٦٢٣هـ ومن مؤلفاته رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة، رسالة في أصول الديانة، شرح فصول ابقراط وكتب أخرى عديدة. ينظر: تاريخ الحكماء، ص ٣٩٢-٣٩٤؛ لجنة، موسوعة العلوم الاسلامية، ج ٣، ص ٧٨.
 (٣) القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٣٩٢.
 (٤) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٤٢.
 (٥) قنواتي، الاب شحاته، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعهد الوسيط، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، ص ١٦٤.
 (٦) هو عبد الطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد البغدادي الشافعي الملقب بابن اللبان (٥٥٧-٦٢٩هـ/١١٦١-١٢٣١م) طبيب بغدادي رحل إلى مصر ثم إلى بلاد الروم وحلب وعاد إلى مسقط رأسه، تأثر البغدادي بابن سينا، وجابر بن حيان، وأبن وحشية، وارسطو، كتب البغدادي سيرة حياته بنفسه له مؤلفات عديدة أهمها كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعانية بارض مصر. ينظر: لجنة، موسوعة العلوم الاسلامية، ج ٢، ص ٦٠.
 (٧) ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٨٢.



ومع أن أغلب مقالات موسى بن ميمون الطبية ليس من نتاج قريحته ، بل فيها كثير من مدونات أطباء الاغريق والمسلمين واليهود وغيرهم من الأطباء، فإنه يظهر في غيرها من مصنفاته قوي الحجة ذا مقدرة نادرة في تنظيم الموضوعات تنظيمياً منطقياً دقيقاً تظهر نظريات جديدة تعرض على العامة والخاصة ملماً بكل ما صنف في علم الطب باللغة العربية ويأتي بأمثله كثيرة منوعة عند الحاجة (١).

وقد ساعدت كتابات الطبيب القرطبي ابن ميمون الفلسفية والدينية على تعرف المترجمين له واهتمامهم بمؤلفاته كافة فترجمت مبكراً. وأنتشرت كتاباته في كل انحاء أوربا (٢). وذكر أن موسى بن ميمون القرطبي عاش حياة مليئة بالخطر موفورة بالشجاعة (٣)، حتى وفاته سنة ٥٦٧ هـ ودفن في مقبرة طبرية في فلسطين مع اخوانه اليهود وذلك بوصية من عنده (٤).

ولموسى بن ميمون دعاء جميل العبارة رفيع المعاني فيه تمسك بالسلوك المهني، وتفرغ إلى الله تعالى للأخذ بيده في خدمة الصنعة وفي مضمون هذا الدعاء كثيراً مما ورد في قسم ابقراط إذ يقول موسى ((ربي أسند قلبي ليكون أهلاً لخدمة الفقير والغني على السواء وخدمة الصديق والعدو، والصالح والشرير على السواء ربي دعني أن لا أرى في المريض إلا الآمه وإزعاجه ، ولتبقى نفسي صافية نقية قرب سريره، وابتعد عني سيء الافكار وخبيثها عند معالجته لأبذل خالص علمي وقني، ربي هب المرضي الثقة بي وبفني، وأجعلهم يتبعون أوامري ووصاي، وأبعد عن سريرهم المشعوذين والدجالين وأبعد عنهم أقاربهم الذين يبذلون لهم النصائح السقيمة والخطرة. وإذا رماني الجهلاء بسهام انتقاداتهم الطائشة فاجعل يا ربي تعلقي بفن الطب ترساً يقيني هجماتهم الجارحة لابقى أميناً على خدمة ومحافظة شرفي وشرف الطب ضدهم)).

و((ربي هبني الأناة والصبر، وطيب النفس، وسعة الصدر عند سرير المرضى الجهلاء والعنودين، وإمنحني القناعة في كل شيء إلا القناعة في حب الطب وتقدمه، وأبعد عني فكرة التفاخر والتباهي بقدرتي على انجاز كل شيء، والنجاح في كل أمر. وهبني القوة والارادة، وأجعل مني أهلاً لتوسيع معارفي الفنية لأتمكن بها من اكتشاف الأمور الهامة في خدمة فن الطب ، والتي لم استطع اكتشافها في الماضي، او لم تخطر على بالي قبل هذا)).

((ربي أملاً نفسي حباً عميقاً لفني ولجميع الناس ولا تسمح بأن يلوث التعطش للربح والمجد الباطل فني، فإن أعداء الحق والظالمين يستطيعون بسهولة أن يقتصوني عن انجاز واجبي الشريف في صنع الخير والصالح نحو عبادك)) (٥).

(١) ولفنسون، موسى بن ميمون ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) لجنة ، موسوعة العلوم الاسلامية ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٣) م ، ن ، ج ، ٥ ، ص ١٧١ .

(٤) القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٣١٩ .

(٥) القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٣١٩ .

- مؤلفاته

اما عن مؤلفاته فان عدد مصنفات ابن ميمون القرطبي الطبية عشرة بي مقالة ورسالة دونت جميعها باللغة العربية في مصر وبأزمة متفرقة بين سنة (٥٦٤هـ-١١٦٧م) ونقل اغلبها إلى العبرية وبعضها إلى اللاتينية^(١). وضمن مؤلفاته هذه ذكر الأطباء ابن جلجل والغافقي وأبا المطرف عبد الرحمن بن وafd اللخمي وابن زهر وابن رضوان^(٢).

١. فصول القرطبي أو فصول موسى : وهي اكبر رسائله الطبية حجماً وشهرة وقد ألفها بين سنة (١١٨٧-١١٩٠م) وتشتمل على ١٥٠ قانوناً استخلصت من مؤلفات جالينوس وغيره من الأطباء وعليها اثنين واربعين تعليقاً ونقداً تحليلياً تبدأ كل منها كالآتي: قال موسى :

((وقد ورد في هذه الرسالة ذكر لثلاثة من أطباء المسلمين هم ابن زهر الذي ورد اسمه ٢٦ مرة والتيمي الذي ورد اسمه ٢٠ مرة وابن رضوان الذي ورد ذكره ثلاث مرات ، وكان من أطباء القرن الحادي عشر للميلاد)).

والكتاب يقع في خمسة وعشرين فصلاً : يبحث في التشريح ووظائف المخلوقات الحية والأمراض الباطنية، وعلامات الداء وتشخيصه، وأسبابه وعلاجه ويبحث في الحميات ويوضح طرق تمرين الطبيب على معالجتها، ويبين المسهلات والمقيات ويتعرض لأمراض النساء وتدبير الصحة والرياضة والاستحمام والصيدلة، كما يناقش في النهاية جالينوس فما ورد عنه بالتناقض في آرائه مناقشة دقيقة، وقد أصبح هذا الكتاب من المراجع التي يعتمد عليها الأطباء منذ القرن الثاني عشر^(٣).

وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال برقم (٨٦٩٩٨٦٨) وكذلك مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس برقم (٣٠٦٥) Hebreu نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (٣٠٦٥) ومخطوطة مكتبة غوطة المانيا Cottia، رقم (١٩٣٧) ومكتبة رضا رامبو - الهند برقم (٣٢٩٥)^(٤).

(١) لجنة ، موسوعة العلوم الإسلامية، ج ٥ ، ص ١٧١.

(٢) علي بن رضوان: هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد ونشأ وتعلم الطب والمنطق في مصر وهو في الخامسة عشر من عمره وهو من اسرة فقيرة فأضطر الى التكسب مرة بالتجيم ومرة بصناعة الطب وأخرى بالتعليم حتى اشتهر بالطب واستمر في نجاحه واشترى املاكاً مما يكفيه نفعه أيام الشيخوخة اشتهر بعد أن اكمل نقل كتاب الحسن بن الهيثم في ضوء القمر وشكله تشكيلاً حسناً يدل على تبحره في هذا الشأن ، وكانت شخصيته واضحة من خلال آرائه ومنها قوله ((ينبغي لكل إنسان أن ينتحل البق الصناعات به وأوقفها له)) وهو يسعى في طريق الفضيلة قنلاً ((العيش عندي في الفضيلة الذ من كل عيش)) ومن كلامه في الطبيب الفاضل يقول ((أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء والرواية والطبع)) . وأعتد في دراسته ومراجعته على كتب ابقراط ، وجالينوس ، وديسقوريدس ، والجزار ، والرازي ومن كتبه مقالة في شرف الطب، رسالة في بقاء النفس بعد الموت، القفطي، تاريخ الحكماء ، ص٢٨٨ ؛ ينظر : ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٦١٢٨٨ ، ٥٦١ ، ٦٢٢ .

(٣) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٤٣-١٤٤ .

(٤) العامري ، كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ، ص ١٧٠ .



٢. مقالة طبية عرفت باسم (السموم والتحرز من الأدوية القتالة) وكذلك عرفت (الرسالة الفاضلية) لانه الفها بناء على طلب من صديقه الوزير القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني^(١).

وفي هذه المقالة يبرز فيها الطبيب القرطبي ابن ميمون تجاربه الطبية الخاصة وآراءه الشخصية في علم الطب. وهي ليست من الرسائل الموضوعة للجماهير لأن كل ما فيها من اصطلاحات وبحث في المشاكل الطبية يدل على انه وضعها للأطباء وخدمهم.

وتشتمل المقالة على مقدمة وفيها يمدح صديقه القاضي ويذكر فضله في استحضار عقاير طبية من بلاد نائية وزعها على المرضى ويذكر انه ألح عليه في وضع رسالة عن السموم وكيفية معالجة عض الحيوانات ولدغات الحشرات السامة أما عن المقالة فهي في فصلين : أما الفصل الاول يصف فيها الطبيب القرطبي موسى العقاقير والأدوية التي يعالج بها المصاب والعض أو اللسع.

أما الفصل الثاني فهو عن السموم المختلفة وهو يعتمد في كثير منها على الطبيب ابن زهر الاندلسي، وقد ترجمت هذه المقالة إلى اللاتينية^(٢).

وهي موجودة مخطوطاً في المكتبة الوطنية بباريس الرقم بالعبرية ، 1211 (f01.123.155) ومخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمديرد برقم ومخطوط 893-3 في معهد المخطوطات العربية القاهرة برقم ١١٨. ومخطوط بيروت برقم (٢٨٥-١)^(٣).

٣. مقالة في تدبير الصحة وضعها للملك الافضل على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الذي تولى عرش مصر (٥٩٥-٥٩٧هـ) / (١١٩٨-١٢٠٠م). وقد وضع له هذه المقالة نتيجة ما أصابه من مرض بسبب افراطه في اللهو والانغماس في الشهوات حتى أدى إلى اختلال أحواله وسوء تدبيره وقبيح سيرته حتى اصبح عصبي المزاج منقبض النفس^(٤).

وقد وجدت هذه المقالة منذ سبعمئة سنة تحت عنوان (كتاب الطب القديم) ووجدت مكتوبة بخط اليد من حوالي ٤٣٠ سنة في أحد الاديرة القبطية القديمة ولم يطبع إلا هذه المرة. ويقول في مقدمته طبيبنا موسى بن عبد الله الاسرائيلي ما يأتي:

((ورد علي كتاب من مولانا السلطان الملك الافضل ابن مولانا السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله تعالى يشكو تحجر الطبع وتيبسه في كل الاوقات حتى انه لا يكاد يأتي. وقد تحدث له في بعض الاوقات كآبة وفكرة واستيحاش وتوقع موت وأنه كثير التخم ويجد في هضمه ضعفاً في اكثر الاوقات فوضعت التدبير في اربع فصول^(٥)):

(١) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢، ص ٤١٦٠.

(٢) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص ١٤٧.

(٣) العامري، كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين، ص ١٧٠-١٧١.

(٤) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص ١٤٧.

(٥) الطب القديم، ص ٩.

الفصل الأول : في تدبير الصحة على العموم في الناس كاهم.
الفصل الثاني: في تدبير المريض على العموم حيث لا يوجد طبيب أو يوجد طبيب مختص لا يوثق بعلمه.

الفصل الثالث : في تدبير على الخصوص بسبب هذه العوارض التي يشكو منها .
الفصل الرابع : يشتمل على فصول تجري مجرى الوصايا النافعة على العموم، والخصوص للأصحاء والمرضى في كل زمان وكل مكان^(١).

وضمن مقالته هذه هنالك نبذة ينصح فيها الطبيب وهي أنه ليست مهمته وصف الأدوية والعقاقير للمرضى فحسب ، بل انه مهمته المثلى هي علاج الحالات النفسية إذ يقول بهذا الصدد ((ومعلوم لدى مولانا أدام الله أيامه أن الانفعالات النفسانية لها تأثير عظيم في الجسم بين الظاهر للكل ، فإن الإنسان القوي البنية الجهير الصوت النافر الوجه إذا فاجأه خبر يحزنه حزناً عظيماً تغير لونه، وذهبت نضارة وجهه، وانحنت قامته، وانخفض صوته، ولو اراد رفعة بجهد لما قدر، وضعت قوته، وانخفض نبضه، وغارت عيناه، وبرد سطح جسمه ، وقلت شهوته ، وكل هذا التأثير هو نور الحرارة الغريزية والدم داخل البدن ، وبالعكس فإن الشخص ضعيف الجسم ، المائل اللون، الضعيف الصوت إذا اتصل به أمر يسره سروراً عظيماً قوى جسمه ، وارتفع صوته، وأثار وجهه ، وأسرعت حركاته ، وأرتفع نبضه ، وسخن سطح جسمه ، وظهر الفرح والسرور عليه ظهوراً لا يستطيع أن يكتمه ، وسبب هذا هو حركة الحرارة الغريزية والدم نحو ظاهر البدن . وكذلك حالات المنهزم والظافر ببينة، إذ يكاد المنهزم لا يبصر لقلّة الروح الباصر وتبدده. أما الظافر فإنه يزيد نور بصره زيادة عظيمة حتى يخيل إليه أن النور قد زاد ونما، وهذا المعنى واضح لا يحتاج إلى دليل؛ لهذا كان على الأطباء واجب هو العناية بالحركات النفسانية وتفقدتها في حالتها الصحية والمرضى قبل كل شيء في أن يكون كل مريض وكل صحيح مسروراً منبسط النفس بعيداً عن الانفعالات الموجبة للإنقباض، ولهذا تدوم صحة الجميع...)^(٢).

ومن كلام الطبيب القرطبي ابن ميمون بخصوص نسبة هواء المدن لهواء الصحارى والبراري ، ضمن القسم الثاني من الفصل الرابع يقول ((ان نسبة هواء المدن لهواء الصحارى والبراري كنسبة الماء الكدر الجوهري للماء الصافي اللطيف. وذلك أن المدينة لأرتفاع مبانيها وضيق طرقها وكثر ما يتخلل الهواء من تنفس ساكنيها ومن فضلاتهم وموتاهم وجيف دوابهم وعفونة ما يتعفن من مأكلهم يصير كل هوائها راكداً غليظاً بخارياً حبابياً وتصير الأرواح كذلك بتدريج والتشخيص منه لا يشعر بما أصابه. وإذا لم يكن في الامكان ترك المدن لأننا نشأنا فيها وقد أعتدنا عليها فلا أقل من أن نقصد المدينة المكشوفة الافاق ولا سيما من جهة الشمال والشرق المرتفع على الجبال والبلاد. والقليلة الأشجار والمياه .

(١) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢ ، ص ٦٠.

(٢) الطب القديم، ص ١٤٧-١٤٨؛ ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ٣١-٣٢.



وإذا لم يكن في الامكان التنقل في البلاد فلا أقل من سكن اطراف المدينة ما يلي الشمال والشرق ومنها وتكون منازل السكن عالية البناء واسعة الفناء يخترقها ريح الشمال وتدخلها الشمس فإن الشمس تحلل عفونات الهواء وتصفية ما يلزم أبعاد لإدخانات عن محلات الجلوس والنوم بعناية ما في الامكان ولا يحتاج مع ذلك لتطبيب الهواء وتقطيره بالروائح الزكية والبخور الندى بحسب اختلاف الهواء نفسه اصل في ابتداء كل تدبير من تدبيرات البدن و النفس)) (١).

ومن كلامه في المأكّل المتعفنة والمأكّل الحلوّة وغير الحلوّة ((لا ينبغي لاحد من الناس في مكان من الأماكن ولا في زمان من الأزمنة أن يتناول طعاماً قد بدأه الفساد ولا كدراً ولا مغير الرائحة ولا فاتراً ولا شيئاً من العفونات وهي كالسوموم وقد نهى نفس الأطباء عن أكل الطعام البائت لانه قد بدأت العفن وأن لم ينتن. وليجعل الإنسان طعام أطفاله من الاغذية الحلوّة فالحلو هو انفع المغذيات كما ذكر جالينوس. وكذلك يكون شرابهم من الماء أشد حلاوة وأصفاه فإذا سئم الطفل الاطعمة الحلوّة فليغيره طعامه ببسر من الحامض أو بما في الاطعمة من الملوحة ظاهرة أو قبض كطبخ بماء حصرم أو خل أو ليمون أو مري الشعير أو حب الرمان أو السماق أو السفرجل فإن هذه الاطعمة وأن كانت غير صادقة الحلاوة وقليلة الغذاء ففيها منافع لكونها لا تسأم ومنها ما يذيب البلغم من المعدة ويشتهي كطبخ المري ومنها ما يقاوم العفونة كالأطعمة التي يقع فيها الخل وما للليمون ومنها ما يقوي المعدة ويسد فمها كالذي يطبخ بالسماق وحب الرمان)) (٢).

ويقول قنوتاي في كتابه ((لعل هذا الكتاب أكثر كتب ابن ميمون الطبية أصاله وأهمية لأنه يشمل بوصايا تتعلق بصحة الجسد والغذاء ، وفضلاً بليغاً عن صحة النفس ووجوب ترويضها بواسطة الفلسفة)) (٣).

٤. رسالة في البواسير وعلاجها أو (الرسالة الطبية في البواسير) وسميت كذلك زاد الميسر في علاج البواسير وهو كتيب مكون من سبعة فصول:

الفصل الأول: كلام كلي في تحديد الهضم .

الفصل الثاني: الكلام في الأغذية التي تجنب من هذا المرض.

الفصل الثالث: الكلام في الأغذية التي تقتصد من هذا المرض .

الفصل الرابع: في الأدوية المفردة والمركبة التي يعتمد على اخذها .

الفصل الخامس: في الأدوية الموضوعّة التي ينبغي أن يداوم استعمالها .

الفصل السادس: فيما يعتمد عليه من التدبير عند هيجان هذا المرض.

الفصل السابع: فيما يدبر لهذا المرض على جهة البخورات (٤).

(١) الطب القديم ، ص ٣٤-٣٥ .

(٢) م ، ن ، ص ٤١ .

(٣) الاب شحاته ، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعهد الوسيط ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩م ، ص١٦٦

(٤) ابن ميمون القرطبي ، زاد المسير في علاج البواسير، ورقة ٣ .

وفيما يأتي جزء من مقدمة هذه الرسالة وهي عن مخطوطة قال أبو عمران موسى بن عبد الله القرطبي ((بأن شاباً من أهل النباهة وشرف البيت وجلاله القدر يعينني أمره وتعين على خدمته أصابته بواسير في مقعده وكانت تهيج به بعض الاوقات وقد طيب لها كما جرت العادة إلى أن يسكن المه وذكرت له الوجه المشابه من هذا المرض وهو التدبير الجيد في حال الصحة من غير ملل ولا ضجر بالاقتصار على تناول ما ينفع وما ينبغي وترك كل شيء يضر))^(١).

ويوجد هذا الكتاب مخطوط في مكتبة طوب سراي احمد، استنبول

Topkapi sarayindaki Ahmet salis kutu phanesi-Istanbul, n 20, 1-1.

ونسخة مصورة منه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم القلم ١١٥٤.

ومخطوط دار الكتب المصرية - القاهرة رقم ١٧٧٤.

وكتب عنه دراسات بمختلف اللغات^(٢).

وترجمت المقالة إلى العربية سنة ١٩٢٤ وكذلك ترجمت الى اللاتينية من قبل المستشرق كرونر اعتماداً على مخطوطة وجدت في مكتبة بودليانا باكسفورد ونشرت بنصها العربي سنة ١٩٢٤^(٣).

وفيها آراء للطبيب الرازي وللفيلسوف ابن سينا وللطبيب الأندلسي ابن وافد^(٤).

وقد نشرها كرونر بحروف عبرية مع ترجمة المانية سنة ١٩١١. وفي دار الكتب المصرية مخطوطة منها باسم (رسالة في أدوية البواسير)^(٥). وطبع النص العربي مقروناً بالترجمتين العبرية والالمانية^(٦) ومخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم Hebreu (fol. 121 v-135) 2202-4 بالعبيرية n. 122 طب مخطوط المكتبة الازهرية، القاهرة (٣٨١)، تيمورية (١١٨) طب، الاحمدية (٢ / ٥٠٩٣)^(٧).

ومخطوط تحت عنوان (زاد المسير في علاج البواسير) في دار المخطوطات العراقية برقم (٣/٣٦٦٤٧).

٥. كتاب المختصر : وهو اختصار لكتب جالينوس في الطب، وقد اشترك تلميذه

يوسف بن عقين معه في وضع هذا المختصر^(٨).

وفيه يقول القفطي ((وصنف موسى مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس بزيادة جمة على ستة عشر، فجاء في غاية الاختصار وعدم الفائدة لم يفعل فيه شيئاً))^(٩).

(١) م ، ن ، ورقة ١ .

(٢) العامري ، كشاف عن مشاهير الاطباء، الاندلسيين ، ص ١٧١ .

(٣) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٤) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٥٠-١٥١ .

(٥) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٦) قنواتي ، تاريخ الصيدلة والعقاقير، ص ٦٥ .

(٧) العامري ، كشاف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٨) البغدادي، هدية العارفين، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .

(٩) ينظر : ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٨٢ .



ويشير الققطنى فى هذا المختصر قائلاً : ((وعمل كتاباً فى الطب جمعة من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة عشر اخرى ، وارادان لا يغير حرفاً إلا أن يكون واو العطف أو فاء وصل، وانما ينقل فصولاً يختارها))^(١).
وتوجد (المختصرات) و (مختصر كتاب جالينوس) مخطوط فى المكتبة الوطنية بباريس، الرقم بالعبرية (1211. N.) .

ومخطوط برلين . n. 231, Kolglichen Bibliothek zu Berlin

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمديرى الرقم n. 802^(٢).

٦. مقالة فى الربو: وضعها لآحد نبلاء الإسكندرية الذى كان يشكو من الآم رأسه حتى لم يتحمل وكان مصاباً بضيق النفس وقد بحث ابن ميمون الأسباب التى تؤدى الى ظهور هذا الداء، وأشار الى الأجواء الملائمة للمصابين به ، ونصح المريض بالحضور الى مصر لأن جوها يلائم فى أحوال كثيرة حالة المصابين بهذا المرض ، ثم أشار فيها الى الأطباء الذين يعانون بهذا المرض عناية خاصة وذكر لهم ما حدث لبعض أطباء المغرب الذين عالجوا الأمير على بن يوسف وكان ضحية جهلهم، وقد ترجمها العالم الفرنسى ارمنجو (Armengand Blasius) الى اللاتينية حوالى سنة ١٣٠٢، وقد ترجم النص العربى بالعبرية مؤلف مجهول بعد وفاة موسى بثلاث سنوات (١٢١١هـ/١٢١١م)^(٣).

وتوجد نسخة منها مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العربى n1211^(٤).

٧. مقالة فى شرح أسماء العقار^(٥): وجدت نسخة منها فى استنبول بخط كبير العشابين ابن البيطار الأندلسى^(٦). وقد عنون ابن البيطار المقالة (كتاب شرح العقار تأليف الرئيس أبى عمران موسى بن عبد الله الإسرائيلى المغربى)^(٧).
وقد جمع فيها موسى أسماء العقار من مؤلفات عربية شتى كما أدمج فيها أسماء عقاقير كانت متداولة على السنة الناس فى الأندلس والمغرب ومصر والشام^(٨).

(١) تاريخ الحكماء ، ص ٣١٩ .

(٢) العامرى، كشف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين، ص ١٧١.

(٣) السامرانى، مختصر تاريخ الطب، ج ٢ ، ص ٥٩ ؛ ينظر : الزركلى، الاعلام، ج ٨ ، ص ٢٨٤.

(٤) العامرى، كشف مشاهير الأطباء الأندلسيين ، ص ١٧١.

(٥) ابن ابى اصيبعة، عيون الأنباء، ص ٣٨٣.

(٦) ضياء الدين ابن البيطار : الحكيم الاجل العالم أبو محمد عبد الله بن احمد الغافقى النباتى ابن البيطار أوحد زمانه وعلامة العرب فى معرفة النبات، ولد فى مالقة وسكن ضواحي اشبيلية حيث لازم شيوخ العلم وأخذ عنهم ، زار بلاد افريقية، ومصر ، والشام ، والرومان، واليونان ، ودرس أعشابها ونباتاتها، والتقى بعلماء النبات فيها وتلمذ على ابن الرومية وهو الذى يعد التجربة والمشاهدة هى اساس لدراسة النباتات والاعشاب وقوى الأدوية ، وكتابه الجامع فى الأدوية المفردة طبع بفترات عديدة وبغناوين مختلفة منها (جامع او مجمع المنافع البدينية) و (المنافع البدينية فى علم الطب) . ينظر : م ، ن ، ص ٦٠١-٦٠٢ ؛ لجنة ، موسوعة العلوم الإسلامية، ج ٣ ، ص ٦٦.

(٧) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٥٣ .

(٨) م ، ن ، ص ١٥٣ .

فيها يذكر ابن ميمون مصادره من علماء الأدوية وهم ابن جلجل الأندلسي، وأحمد بن محمد الغافقي، وأبي المطرف بن وافد اللخمي، وابن سمجون، ومروان بن جناح^(١).

وقد وجد مخطط ابا صوفيا -استنبول
Aya-sofya kutuphanes Istanbul.

تحقيق ودراسة بالفرنسية:

.^(٢) Max meyerhof, le cair1, 40 n. 3711.

وقد نشرها مارهوف بالقاهرة سنة ١٩٤٠ على اساس المخطوط ٣٧١١ ، ايا صوفيا^(٣).

٨. مقالة في شرح فصول ابقراط^(٤). وضعها على شروح وترجمات حنين بن اسحاق ، وترجمت المقالة الى اللغة العربية وكانت لها ترجمة اخرى لمترجم مجهول^(٥). وهذه المقالة موجودة على شكل مخطوطة في مكتبة الاديرة - غرناطة.

B.delsacromonte ,Granada , n V111 .2 (fol .15).

تحقيق دراسة Hermann kroner 1960^(٦).

٩. مقالة في الجماع : وضعها السلطان حماة الملك المظفر ابي سعيد عمر بن نور الدين (٥٧٥-٥٨٨هـ / ١١٧٩ - ١١٩٢م). وقد قسم المؤلف مقالته إلى تسعة عشر فصلاً صغيراً بحث فيها أحوال المخالطة الجنسية والأدوية وما يفيد الباة من الأدوية والأغذية وما يضر به ويضعفه وأضداد ذلك من الأعراض النفسانية^(٧).

وقد استخدم في مقالته هذه قانون ابن سينا وكتاب التيسير لابن زهير. وقد ترجمت المقالة إلى العبرية^(٨).

١٠. مقالة في بيان الأعراض : هي آخر ما وضعه ابن ميمون القرطبي في الطب، وقد دونت حوالي سنة (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) الفها للملك الأفضل ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب حينما كان مريضاً انهكته الأسقام^(٩).

أما قصة هذه المقالة فهي ((ان الأطباء قد وضعوا تقريراً عن حالة الملك الصحية وضحوا فيه الأعراض والأوجاع . ولم يرق هذا التقرير في عينيه بسبب عدم

(١) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢، ص ٥٩.

(٢) العامري ، كشف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ، ص ١٧١ .

(٣) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٧٤ .

(٤) ينظر : الزكلي ، الاعلام ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ ؛ لجنة ، موسوعة العلوم الاسلامية ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٥) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٥٢ .

(٦) العامري ، كشف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ، ص ١٧١ .

(٧) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢، ص ٥٩.

(٨) لجنة ، موسوعة العلوم الاسلامية، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٩) ينظر : ابن ميمون القرطبي ، الطب القديم ، ص ٩ .



اتفاق هؤلاء الأطباء على حالته ومن ثم طرق المعالجة ، لذلك أوفد الملك الأفضل رسولاً إلى موسى بن ميمون في الفسطاط بمصر وكان حينها قد شاخ ولا يستطيع الخروج من منزله . وقد بحث موسى جميع التقارير التي وصلت إليه. أرسلها وارسل معها رده الذي يقول ((ورد على المملوك الأصغر الكتاب المتضمن تفصيل تلك الأعراض التي عرضت لمولانا خلد الله ايامه ، وتبين أسباب تلك الأعراض وأزمة حدوثها، والأخبار بكل جزئية يفتقر الطبيب للسؤال عنها بكل عرض منها، وسطر فيه ما أشار الأطباء بعمله مما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه، وعلم المملوك الأصغر علماً يقيناً أن ذلك الكتاب عن املاء مولانا بلا شك ، والمملوك يقسم بالله تعالى بان فضلاء أطباء عصرنا يقصرون عن معرفة تلك الشكوى، فكيف يعبرون عنها وينظمونها ذلك النظام، ولذلك رأى المملوك الأصغر أن يكون جوابه لملك الرقة أدام الله ظله كلام طبيب لطبيب لا كلام طبيب لمن ليس هو من أهل الصناعة، إذ قد تبين للمملوك كمال مولانا في معرفة تلك الأعراض وأسبابها، وقد علم المملوك تلك الأعراض المستقرة الآن وهي التي يرام دفعها وقد ذكر مولانا المملوك الأصغر ما أشار به كل طبيب وأمره بأن يذكر ما عنده في أقوالهم ... أما قول من قال من الأطباء الخ)) ثم ينتقل بالبحث في التقارير، فتارة يميل إلى قول فئة من الأطباء، وتارة يميل إلى رأي فئة أخرى وتارة يخرج على جميع ما ورد من الآراء دون أن يتعرض لكرامة أحد وبعد أن نتناول التقارير بالبحث في تسعة عشر فصلاً صغيراً يعرض إلى الملك نصائحه وإرشاداته الخاصة فيما يجب أن يأكل أو يشرب في الصيف أو في الشتاء حتى يسترد قوته ونشاطه الطبيعي. إلى ان يقول في نهاية المقالة ما يأتي : ((لقد كان أعظم آمال المملوك الأصغر أن يباشر خدمه مولانا بجسمه وكلامه لا بقرطاسه وقلمه ، لكن سوء مزاجه الأصلي وضعف بنيته الطبيعية حجبت بينه وبين لذات كثيرة. ولا أقول لذات بل أقول خيرات أعظمها وأسناها مباشرة خدمة مولانا ، فإله الشكر على كل الحالات، والحمد لله دائماً على كل حال مهما تغلبت الأحوال ولا ينتقد مولانا على مملوكه الأصغر ما ذكره في مقالته هذه من استعمال الشراب والأغاني التي يكره الشرع عليهما، أن المملوك لم يأمر بأن يفعل ذلك وإنما ما ذكر بما تقتضيه صناعته، وقد علم المستشرقون كما علم الاطباء ان الخمر فيها منافع للناس، ويلزم الطبيب من حيث هو طبيب أن يخبر بالأمر النافع سواء أكان ذلك حراماً أم حلالاً، والمريض مخير أن يفعل أو لا يفعل. وأن سكت الطبيب عن وصف ما ينفع حراماً كان أو حلالاً فقد غش ولم يبذل النصيحة، وقد علم أن الشرع يأمر بما ينفع وينهي عما يضره ، والطبيب يخبر بما ينفع الجسم وينبه على ما يضره في هذه الدار، والفرق بين الأوامر الشرعية والمشورات الطبية أن الشرع يأمر بامتنال وينفع من الأجل ويجبر عليه ، وينهي عما يضر من الأجل ويعاقب عليه ، والطب يشير بما ينفع ويحذر مما يضر ولا يجبر على هذا ولا يعاقب على ذلك، بل يعرض الأمر على المريض على جهة المشورة والمريض المخير، والعلة على ذلك بينة لأن الضرر ما يضر من جهة الطب ونفع ما ينفع لا يحتاج لجبر، ولا عقاب ، وتلك الاوامر والنواهي الشرعية لا تتبين في هذه الدار ضررها، بل ربما يخيل إلى الجاهل أن

كان ما قيل أنه يضر لا يضر وكل ما قيل أنه ينفع لا يضر. أما الشريعة فتبحث على فعل الخيرات، وتعاقب على الشرور، كل ذلك إحساناً ينياً ورفقاً بنا لجهلنا، رحمة لنا لضعف ادراكنا فهذا قدر ما رأى المملوك ان يقدمه بين يدي ملك الرحمة خلد الله أيامه، ورأى مولانا الأعلى والسلام، والواهب العقل الحمد بلا نهاية^(١).

وقد ترجمت هذه المقالة إلى العبرية وكذلك ترجمت إلى اللاتينية.
وعثر على مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس، الرقم ، العبرية (١٦٠).
دراسة وتحقيق Herman kroner ، ١٩٢٨

(٢) Ariel.Bar-sela, Hebbel. E. Hojjand Elias Faris

الخاتمة

(١) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .
(٢) العامري، كشاف عن مشاهير الأطباء الاندلسيين، ص ١٧١.



أن علم الطب من العلوم التي تستحق الدراسة والبحث كونه يتعلق بحياة الانسان وصحته وسلامة المجتمع. أن مدينة قرطبة الاسلامية كانت اكبر مركز طبي في العالم في العصور الوسطى وذلك بفضل اطبائها ومؤلفاتهم الطبية لما احتوته على نظريات وتجارب علمية دقيقة تفوقت على ما كتبه اليونان قبلهم . يعد ابن ميمون القرطبي احد اطباء قرطبة الذين خدموا الانسانية بمؤلفاتهم الطبية والتي نالت سمعة طبية واسعة بين مدن الاندلس وذلك بترجمة العديد من المؤلفات العالمية الى مختلف اللغات وتدريسها في العديد من الجامعات الاوربية .

العلوم الطبية في بلاد الرافدين دراسة تاريخية

أ.م. و عماو طارق توفيق

قسم التاريخ / كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

emad.tariq@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الخلاصة

الكلمات المفتاحية: طب – بلاد الرافدين – تاريخ
واجهت الإنسان منذ إن وجد على سطح البسيطة مشاكل واهوال منها الأمراض وقد حاول تفسير ظواهرها وتجنبها ويجاد العلل والدواء لها، وغالباً ما فسرها على أنها نتيجة غضب الآلهة وهي المسؤولة عن حدوث المرض والمسؤولة عن شفاء المريض. منذ العصور الحجرية عرف الإنسان مبادئ طبية بسيطة لعل الجراحة اقدمها، وفي العصور التاريخية اتضحت المعالم والأسس الطبية في بلاد الرافدين وصلت قمته في العصور البابلية والآشورية، وأضحى التنظيم موجوداً فضلاً عن ظهور الطبيب ومعه التخصص نتيجة توسع المدن ونموها إلى ممالك، أصبح للطب تخصصات منها الجراحة، والصيدلة وغيرها مثل طب العيون والولادة، الأطفال وغيرها، فضلاً عن اللجوء للكهنة قصد الرقي والمعالجة وإرضاء الآلهة كونها بيدها الشفاء، ولم يتخل الكهنة عن التكهن بشفاء أو وفاة المريض وفق ملاحظات يلاحظها الكاهن المعالج عن طريق ملاحظة الطيور واتجاه حركتها يميناً أو يساراً وغير ذلك.

هدف البحث إظهار دور الطبيب الرافديني وشهرة الطب العراقي ووصوله إلى مناطق خارج بلاد الرافدين من مثلاً الحثيين ومصر الفرعونية، ولا أدل من شهرة الطب في بلاد الرافدين اتخاذ شعار الطب من الموروث السومري الرافديني. توصلنا إلى التعريف بالمنجزات الطبية والتخصصات الخاصة به فضلاً عن الدواء وتحضيره من الأعشاب وبروز مدن تخصصت بنوع محدد من العلاجات، فضلاً عن نسبة المهنة إلى إلهة الطب وهي حامية أيسن كولا مع كلبها. تعاملوا مع مختلف الأمراض ومنها النسائية والتوليد فضلاً عن علاج الأطفال. إن الطب تطور في بلاد الرافدين وتشعبت تخصصاته وأصبح هناك الطبيب والمعالج الروحاني أو الكاهن والجراح، إذ عرفت جراحة العيون والكسور والعمليات القيصرية.

Conclusion

Key words : Medicine - Mesopotamia - History

Since he was found on the surface of the Earth, people faced problems and horrors, including diseases, and he tried to explain their phenomena, avoid them, find ills and cures for them, and often interpret them as a result of the wrath of the gods, who are responsible for the occurrence of disease and responsible for healing the patient.

Since the stone ages, man has known simple medical principles, perhaps the oldest of which surgery is, and during historical eras, medical features and foundations became clear in Mesopotamia, and it reached its peak in the Babylonian and Assyrian eras and a clear organization existed, in addition to the appearance of the doctor and with him specialization as a result of the expansion of cities and their growth into kingdoms, medicine became specialties, including surgery, pharmacy and others such as ophthalmology, childbirth, children and others, as well as to resort to the priests in order to advancement of metal abyss and pleasing to the gods as her own healing, did not give up the priests to speculate on healing or death of the patient according to the notes go unnoticed priest processor by observing the birds and the direction of its movement right or left and other.

The research aims to show the role of the doctor 's Mesopotamian and defamed Iraqi medicine and access to areas outside of Mesopotamia, for example, Hittites, Pharaonic Egypt and the exchange of medicine known in Mesopotamia take medicine slogan inherited from the Sumerian Mesopotamian.

We reached an introduction to the medical achievements and specialties related to it, as well as medicine and its preparation from herbs and the



emergence of cities that specialize in a specific type of treatment, as well as the attribution of the profession to the goddess of medicine, who is the protector of Aisen Cola with her dog. They dealt with various diseases and from the obstetrics and gynecology as well as the treatment of children.

Medicine developed in Mesopotamia and its specialties branched out, and there became the physician, spiritual healer or priest and surgeon, as eye surgery, fractures and caesarean sections became known.

المقدمة

شكلت حضارة بلاد الرافدين نموذجاً انسانياً في الأصالة والإبداع والتميز فكانت العلوم والمعارف أسلوباً حضارياً مؤثراً في طريق الرقي والتقدم.

وعلى العموم كانت العقيدة الدينية في صلب الموضوع من حيث تشخيص المرض وأسلوب المداواة وعلة المرض التي تكون للآلهة اليد الطولى في سببه وعلاجه فضلاً عن العلاج الروحي والذي يتم بالإيحاء أو الرقي والدعاء.

يوجد نوعان من العلوم الطبية هما الطب البديل وعلاجه من خلال الأعشاب والآخر المتعلق بالآلهة وهو الطب الروحاني.

إن الهدف من البحث إبراز الجذور التاريخية لعلم الطب وبيان الإنجازات التي وصل إليها العراقيون القدامى في هذا المضمار. وقد توصلنا إلى عد المنجزات الطبية لبلاد الرافدين أصيلة تتلاءم مع روح العصر والبيئة.

الطب الرافديني

بالرغم من قلة المعلومات المتعلقة بالنصوص الطبية بسبب قلة ما ترجم من الرقم المتعلقة بالطب إلا إن المتاح أعطانا صورة واضحة عن التقدم في تشخيص الأمراض وعلاجها. ويمكن القول إن العصر البابلي القديم ولاحقاً العصر الآشوري شهد قفزة نوعية في التخصص فضلاً عن القوانين التي نظمت مهنة الطب، وأشارت إلى بعض التخصصات لاسيما الجراحة وتجبير العظام فضلاً عن طب الأسنان وأمراضها خاصة الماء الأزرق وذلك يبدو جلياً في قانون حمورابي (المواد ٢١٥-٢٢٦) فضلاً عن العمليات القيصرية والقبالة^(١).

يبدأ الطبيب مشواره المهني بتأدية القسم الولاء للملك في أيام محددة^(٢) منها اليوم السادس عشر من نيسان^(٣).

يسمى الطبيب (بل اوباني) وتعني سيد الإبهام^(٤) فضلاً عن (أسو) الذي يختلف عن الآشيو أو العراف في تشخيص أعراض المرض، الآسو ينظر للمرض بوصفه مركباً من مقدمة ونتائج وليس بتأثير قوى خارقة أو فوق طبيعية^(٥).

يعني الآسو الخبير بالماء أو الزيت وكان يحمل معه حقيبة فيها تعاويذ وجرة فضلاً عن الأعشاب^(٦).

نلاحظ إن الآسو يجمع في مهنته بين التشخيص في المرض وسببه والعلاج بالأعشاب بالرغم من عدم إمكانية معرفتنا الدقيقة بأهميته ودوره في المهنة الطبية. اشتهرت بلاد الرافدين بالطب وبروز أسماء أطباء مشهورين منذ العصور منهم أور-لوكال-ادينا الذي عاش في مملكة لكش السومرية (تل الهبة قرب الشطرة) ومردوخ -ماكور الذي ورث المهنة عن أبيه الطبيب سين-اشاريد، وفي العصر البابلي تطور الطب فنلاحظ لمعان اسم راباشا-مردوخ الذي عمل في البلاط الحثي بوصفه طبيب الملك والقصر مما يشير إلى الشهرة العالمية للطب العراقي القديم^(٧).

أوضحت الرسائل الملكية المتبادلة بين الملوك في العصر البابلي القديم جانباً من العلوم الطبية والأدوية وأنواع الأمراض فضلاً عن أشهر الأسماء الطبية إذ يأتي في المقدمة الطبيب ميرانوم الذي استدعاه الملك الآشوري شمشي-أدد إلى بلاطه، ولا نعلم اختصاصه، بيد أنه عموماً استمرت شهرة الأطباء وعلمهم في البلاط الآشوري في العصر الآشوري الإمبراطوري فكان منهم إراد-شم-اوصر وأيضاً إيككار والمعاصرون لأسرحدون وأشور بانيبال^(٨).

لم تكن المهنة حكراً بيد الرجال بل توجد طبيبات خدمن في البلاط الملكي واقتصرت على الشؤون النسائية^(٩).

لما كان الدين يتحكم في شؤون السياسة والدولة والمجتمع، كانت لكل مهنة آلهة، وفي موضوعنا كولا (بتشديد الكاف) والتي يرافقها الكلب، ومن أبرز ألقابها السيدة التي تحيي الموتى^(١٠). ويعتبر الإله نورتا زوجها من الآلهة الطب ولقبه الطبيب القوي، فضلاً عن عدها إلهة السموم والدواء، فيما نجد إن أيا إله الأرض هو الأعلى عند البابليين وأيضاً نكشزيديا وقد صور بالعصا التي تلتف عليها الأفعى^(١١).

من المعلوم إن نكشزيديا ابن ننزو وهو إله الطب كذلك ومركز عبادته لكش، ومن وظائفه الصحة والشفاء من خلال التعاويذ السحرية، رمز له بثعبانين ملتفين حول شجرة أو عصا وذيلهما متصلان وهما متقابلان بوجهيهما، وهذا الرمز ظهر منذ الألف الثالث ق.م مما يدل على قدم تعلم العراقيين القدامى مهنة الطبابة، إن الأفعى تمثل الشفاء والخلود بوصف سمها ترياقاً طبياً ضد الأمراض، وتجدد جلدها يعني الشباب والخلود وهذا مغزى العلاقة بين الأفعى والصحة والشفاء، وعليه أصبح الرمز المذكور رمزاً عالمياً للطب^(١٢).

إن كولا إلهة مملكة أيسن وحاميتها وصفت في المدونات المسمارية انها طبيبة الرؤوس السود الكبيرة وكان رمزها الكلب والذي عثر على عظامه مدفونة مع تماثيلها في قبور أيسن، وفي العصر السومري الحديث انتشرت عبادتها في البلاد، وكانت وظيفتها الشفاء والتطبيب، من أسمائها نن-كراك أي سيدة الماء العذب وعلى النقيض من شفاؤها كانت تستدعى لإثارة الأوبئة للأشرار وهي الآسو بوصفه أحد ألقابها، ومن أحد النصوص وصفت نفسها "أنا الطبيبة أعرف كيف أشفي. إنني أحمل معي نصوص الشفاء وكل



الأعشاب وأملك حقيقية فيها تعاويذ فعالة". اختصت بمعالجة الجرحى بوصفها المسؤولة عن تضييد مختلف الجروح، وقد يتساءل البعض عن العلاقة بين الإلهة والكلب؟ المعروف إن الكلب يلعق جروحه باستمرار مما يقود لشفائها، وعليه عده القدامى كامل الشفاء ومساعداً للآلهة^(١٣).

استمرت عبادة كولا طيلة العصور التاريخية وصولاً للعصر الهلنستي أو الإغريقي من الإلهات الأخرى باو أو بابا وهي سومرية أدمجت بآلهة الشفاء وعبدت في لكش واختصت بالسحر ولقبت بسيدة التعزيم، آلهة التعاويذ السحرية والولادة الخاصة بلکش، وفي العصر البابلي القديم سميت طبيبة ذوي الرؤوس السود التي تشفي من الأمراض وكان رمزها الإوز^(١٤).

كانت زوجات بعض الآلهة تختص بالولادة ومنها صربانيتم زوجة مردوخ ونليل زوجة أنليل والملقبة (السيدة مفتوحة الساقين)^(١٥).

وحسب العقائد الدينية القديمة السائدة وقتذاك تعد الإلهات الطبيبات بنات إله السماء آنو وأغلبهن ارتبطت بأصول زراعية والماء كون وسيلة العلاج آنذاك هي الأعشاب وعلاقتها بالماء معروفة واله الماء والأرض أيا^(١٦).

وحتى في العالم الأسفل أو عالم الموتى توجد إلهات للطب منها الإله الطفل دومو الملقب كاهن التعويذات الكبير ابن كولا وهو طبيب إلهي^(١٧).

أما نركال إله العالم الأسفل والموت فضلاً عن الأوبئة والأمراض وبحسب العقيدة السومرية هو يد مرض الطاعون وهو إله الحرارة المميته المؤدية للموت، فيما اعتقده الآشوريين بشكل حشرة تنقل وباء الطاعون^(١٨).

وإله الطاعون إيرا المعبود منذ العصر الأكدي^(١٩)، كان الطاعون من أشد الأمراض فتكاً بالبشرية ويعد وباءً قاتلاً لم تتمكن البشرية من إيجاد العلاج له، ولذا فسره العراقيون على كونه انتقاماً إلهياً وهو ما عبرت عنه أسطورة خاصة بع تمثّل قصيدة شعرية مدونة باللغة البابلية تلخصت إن إلهة ایرا سلط الوباء على بابل وقد غزاها الأعداء بعد خداع مردوخ وإبعاده عن بابل فضلاً عن تسليط الحروب والدمار^(٢٠).

أما نين-أزو هو احد آلهة العالم الأسفل منذ العصر السومري القديم وصولاً للعصر السومري الحديث أو المتأخر ويعني اسمه سيد الطب أو السيد الطبيب، ومن أشهر وظائفه إله الأطباء والتطبيب وشفاء المرضى^(٢١).

ارتبط قسم من العالم الأسفل بوجود شياطين مسببة للأمراض منها كيلو وليتو، والأخيرة مسببة للأمراض الجنسية للرجال فضلاً عن الناماتو المسؤولين عن إيذاء الناس بالصوت والعرض فضلاً عن إيذاء الرضع وتأخير الولادة^(٢٢).

اشتهرت مدن في بلاد الرافدين بالتخصص في جانب طبي معين، وكانت غالباً مراكز عبادة آلهة تأتي في المقدمة أيسن مركز عبادة كولا التي وصلت شهرتها إلى الخليج العربي كونها مركز الطب البابلي وموقع شفاء المرضى^(٢٣). وفي المعابد احتوت على المشافي الخاصة بها المخصصة لعلاج المغنين والمنشدين أيضاً المغنيات والمنشدات، ولم تكن بلاد الرافدين تخلو من المدارس التي تعلم مهنة الطب في الوركاء وبورسبيا في

القرن الأول ق.م، وتعد مدينة بورسيبا أشهر المدن المتخصصة في علاج أمراض القلب^(٢٤).

إن وجود مراكز متخصصة في علاج أمراض دون أخرى يدل على مدى التقدم الطبي فضلاً عن الأصالة والشهرة، وقد أسهمت المعابد في تدريس الطب، من جهة ثانية كان الأطباء في العصور القديمة يحملون حقائبهم معهم وفيها الأعشاب والتعاويد، جرة ماء، الضمادات، المبضع والسكين، أما مظهرهم العام فهم حليقي الرؤوس ولباسهم بسيط^(٢٥). أفادتنا القوانين بأن الحلاقين كانوا يمتنون الطب، وربما كانوا مساعدين للأطباء، إذ كانوا يقومون بقلع الأسنان، فضلاً عن وجود القابلات المأذونات المختصات بالولادة، ودلت النصوص المسمارية على وجود التدرج الطبي مثل رئيس الأطباء ونائب الطبيب ومعاون الطبيب^(٢٦).

المعارف والتخصصات الطبية:

في العصر الآشوري الحديث انتظم الأطباء في مجالس أو نقابات، وهذا يشير لوجود تخصصات وتوسع القاعدة الصحية ومهامها في الإمبراطورية الآشورية.

لقد شخّص الأطباء العديد من الحالات المرضية نذكر منها العلاج النفسي باستخدام السحر والتعاويد من قبل المعزم الأشببتو فضلاً عن تشخيص المرض وعلاجه بالعقاقير أو الأعشاب الطبية (الأشوتو)^(٢٧).

شخصوا الأمراض النفسية ولجأوا للتشريح وعرفوا وظائف الأعضاء منذ العصور التاريخية المبكرة، وعليه عد القلب مستودع الفهم والذكاء، أما الكبد فهو مستودع العواطف والحياة كونه يحتوي على كمية كبيرة من الدم، بوصف الدم يمثل الجزء الحيوي المطابق للروح^(٢٨).

لم يكن تمييز الشرايين والأوردة واضحاً عند أطباء بلاد الرافدين لكنهم سموا دم الوريد بدم الليل ودم الشرايين بدم النهار إشارة إلى اللون القاتم في الحالة الأولى والفاتح في الثانية^(٢٩).

بالنسبة للدورة الدموية لم تكتشف إلا في العصر العباسي لاحقاً، وعموماً يقوم الطبيب بوصف الأعراض واحتمال الحياة أو الموت إذ تبدأ الصيغة "إذا.... يليها التشخيص.... النتيجة" تستند أسس الحياة والموت على جانب المريض الأيمن والأيسر، الأيمن فأل حسن أي يعيش، الأيسر سيء أي الموت^(٣٠).

هذا الجانب يخص التنبؤات المعتمدة على الاتجاه والمواضع وهو خاص بالمعزمين^(٣١). يعود السبب في نشوء الأمراض إلى اقتراف الذنوب التي تقود لتخلي الآلهة عن الشخص فيسقط فريسة سهلة للشياطين والأرواح الشريرة، وعليه فهو عقاب لاقتراف الذنوب^(٣٢).

من المنجزات الطبية تقسيم الأمراض وفقاً للتشخيص، منها العضوية والنفسية، إذا عجز الطبيب عن العلاج يلجأون إلى المعزم أو العراف. كان يتم فحص المريض صباحاً ويعودوه ليلاً، مثلما قلنا سابقاً بالنسبة للنساء هناك طبيبات يقمن بعلاجهن، من الأمراض



المعروفة في بلاد الراءدين اليرقان وله أثنان وثلاثون أسلوب علاج مع وجود علامات يتعرف عليها الطبيب فيما يخص نجاه أو موت المريض فضلاً عن الفترة الزمنية لطول المرض أو زواله مثالها "إذا كان المريض مدة ثلاثة أيام يضع يده على بطنه ووجهه أصفر فإنه يموت"^(٣٣).

ومثال "إذا كان المريض مدة خمسة أيام وخرج الدم من فمه في اليوم السادس فسوف يخف مرضه، إنه مرض سيتو".

بحسب مفهومنا إن الحجامه كانت من وسائل العلاج الناجحة، أما من أمراض العيون المشخصة المعروفة الماء الأزرق، وعموماً لجأ الأطباء للفحص السريري ودرجة حرارة المريض، فضلاً عن تغير لون الجلد، وبشأن علاج الصرع على سبيل المثال لجأ الأطباء إلى وضع إصبع صغير لرجل متوفى عليه زيت متعفن وقطعة نحاس توضع في جلد معزى ويلف على وتر وفي العضلة ويضعها حول رقبة المريض وسوف يشفى"^(٣٤).

وصف داء الشقيقة بألم الرأس المستمر من شروق الشمس إلى غروبها، والنفكاف تورم تحت الأذن لكنهم لم يعرفوا علاجها، ومن الأمراض الشائعة حينذاك السل الرئوي والموصوف بسعال مستمر وبلغم كثيف ممزوج بالدم مع تنفس أشبه بصوت الناي والجلد بارد وأيضاً الأقدام مع تعرق المريض الشديد"^(٣٥).

كان التشخيص يتم وفق كل عضو إذ تتبع أعراض المرض العضو المريض، كانت الحمى تحدد وفق أربعة مستويات، منها تو وهي صداع قوي واضطراب مع ألم بطني مدة قصيرة، شملت امراض الرأس الجمجمة والدماغ والوجه وسببها شيطان أو شبح ولعلاجها استخدم الشب والسماق واعشاب وخلطها بالعسل وربطها بالرأس، أما امراض الإذن فشملت الطنين، الصفير وسببها شبح وتلخص العلاج لاسيما التقيح أو الألم الموصوف "إذا خرج من أذن رجل ماء أو صديد أو دم، نظف داخل الأذن وانفخ مسحوق الشب داخلها بواسطة أنبوب وصب بها خل الـ *tabatu* وخل الـ *ensu* وأمزجها بالعسل غير المصفى وأدخلها في الإذن بقطنة ملفوفة"^(٣٦).

استعمل الشب مادة علاجية مع عشبة النيجلا ذات الأزهار الزرقاء أو البيضاء فضلاً عن طحنه مع خلاصة الورد والنترات وخلطه مع زبدة الـ *himetu-ghee* حيث يستعمل مرهم فضلاً عن علاج اليرقان"^(٣٧).

كان مرض التهاب السحايا معروفاً باسم قات ايظمي، وكان الاعتقاد سابقاً في العصور القديمة إن مرض التهاب السحايا وداء الشقيقة يرجع لبقاء الأشخاص تحت أشعة الشمس لمدد طويلة أي ضربة شمس وضحتها نص "إذا كان رأس إنسان قد أصابه ضربة حر النهار وصار يشتكى وجع بجسمه وتورم برأسه....."^(٣٨).

شاعت أمراض العيون وقد برع الأطباء في علاجها فضلاً عن الجراحين المتخصصين بها ذكروا في قوانين حمورابي وشملت إصابات محجر العين والجفون والرمد، فسرت النصوص أسباب أمراض العيون السحر، واضطرابات الهواء الجاف، الغبار ولفاح

الأزهار، ومن الاضطرابات البصرية العمى المؤقت والغشاوة، تقيح فوق مقلة العيون، تساقط شعر الأهداب.

ولعلاجها وصف الأطباء مستحضرات منها التوابل النباتية التي يكثر فيها الستريكس "شجرة اللبني" وهو نبات عطري فضلاً عن المراهم، الملح، النحاس، وأكسيد الزنك والحديد، وكانوا يحذرون مرضاهم من تناول الكراث والكزبرة، أما أولئك الذين يشكون ألماً في الأذن فحذروا من تناول الباقلاء.

لعلاج حكة الجفن الوصفة الآتية "حرق جلد حمار ويستعمل رماده" أو حرق التبن وخلطه بدهن كلية الكباش ووضعها على الجفون المريضة، أما العشى الليلي فوصف "إذا كان الرجل يرى في النهار ولا يستطيع في الليل فإنه مصاب بمرمد القمر"^(٣٩).

عزى الأطباء سبب ضعف البصر إلى الرأس "عندما يرتجف الرأس وفيه حرارة وعندما ترتفع حرارة الرأس وينحني وكأنه وضع على نار (إشارة لارتفاع الحرارة) ويقف الشعر فإن حرارة الدماغ تصيب الجمجمة وتصاب العيون بالضعف وتتهمر الدموع ويظهر القلق"^(٤٠). وأمراض الفم مثل تشقق الشفاه ورائحة الفم واللحاب والجفاف علاجها استخدام الخردل والبلوط مع جذر عرق السوس أو زيت التتوب وزيت الصنوبر.

الشلل يوصف "الرجل الذي يعاني من التواء فمه مع الم على الجهة اليمنى أو اليسرى ولا يستطيع الكلام فإنه نوع من الشلل لا ينفع معه دواء"، ونفس الشيء ينطبق على الشلل النصفي الناتج من جلطة قلبية أو دماغية، ولتنظيف الفم واللوزتين استعملوا الغرغرة فضلاً عن معالجة آلام واصفرار الأسنان.

أمراض الجهاز التنفسي تضمنت السعال والبلغم وضيق التنفس وآلام الصدر والسل الرئوي، وقد وصف أطباء العصر الأشوري ضيق التنفس بأنه "إذا عانى المريض من سعال مصحوب بخرخشة في الصدر وإذا القصبة الهوائية تصدر صوت دندنة وإذا كان لديه بلغم، اطحن الورد مع الخردل واخلطهما مع الزيت النقي وقطر على لسانه واملأ الأنبوب وضع فيه الخليط وانفخه باللوزتين وفيما بعد يشرب البيرة عدة مرات وسيتعافى"^(٤١).

مرض ذات الرئة تتلخص أعراضه بالحمى والألم في الصدر مع سعال وبلغم كثير وهزال الجسم وثقل الساقين، كذلك كان الرشح شائعاً، ولعلاجه "تغلى قطعة من الأرنوكلوس وتخلط بالماء المغلي والحليب المحلى والزيت النقي وتشرب على الريق فيشفى".

توصل الأطباء إلى حقيقة طبية مفادها إن المعدة أساس كثير من الأمراض، وقد قيل في الأثر إن المعدة بيت الداء، ولعلاج التهابات المعدة كان السحر أحياناً له الدور فيها، مثلاً "إذا تألم أو عانى شخص من وجود مغص في داخله وإذا رفض داخله تقبل الطعام واستقرغه من الفم، تقيأ، وإذا كانت معدته تؤلمه بنقطة معينة وإذا كان يتقيأ من دون



توقف، وإذا كان لحم جسمه عديم الحركة والحيوية وإذا كانت غازات كثيرة تتحرك بداخله وتخرج من أسفل بطنه هذا الرجل يعاني من احتقان الأمعاء أو سوء الهضم^(٤٢).
عالج الأطباء البواسير والنزف المخرجي والناصور باستخدام الضمادات والمراهم والتحاميل، فعلى سبيل المثال علاج البواسير "تغلف إصبعك برقاقة كتانية وتغمس بالعسل وتفرك بقوة فتحة المخرج إلى أن يسيل الدم وعندما يتوقف تمزج الشمع بالسيلكورن (لا نعرف ماهيته) ثم بالنيجل (نوع من الأعشاب) المطحون سابقاً وتصنع منه تحميلة تدخل بالمخرج"، فضلاً عن أمراض الصفراء، أكد البابليون على حقيقة طبية أخرى تشير إلى ضرورة الاعتدال بالأكل والشرب عند العطش من خلال المثل القائل "تأكل عندما تجوع وتشرب عندما تعطش"، وقد كانت على والاصفرار يعني اضطراب الكبد وعليه اليرقان يسمى المرض الأصفر والأكثر خطورة داء الصفراء المزمع ahhazu نسبة إلى الشيطان المسمى بنفس الاسم أي (ahhazu)^(٤٣).
من أمراض الجهاز البولي والتناسلي البول الدموي، السيلان، الضعف الجنسي والعنه^(٤٤).

انتقلت العدوى من الشخص المريض إلى السليم عن طريق الملامسة واستعمال أدواته الشخصية، هذا ورد في النصوص الأدبية منها ملحمة كلكامش "انتقال الجذام عن طريق الملامسة" كما ورد في المقطع "يلخلع الثوب الذي يغطي أعضاءه".
ورسالة من مملكة ماري تحذر الاتصال بسيدة من القصر لإصابتها بمرض جنسي مع التوصية بعدم شرب الماء من كأسها أو الجلوس على مقعد استعملته أو الفراش الذي نامت عليه، المرجح إصابتها بالسفلس^(٤٥).
اعتنى الطب بصحة المرأة والطفل والحامل على وجه الخصوص، بهذا الصدد أجريت العمليات القيصرية وأشارت لها ملحمة أيتانا والنسر السومرية^(٤٦).
^(٤٧)، واستخدموا الاختبار، المرأة حامل إذا الرubsu امتص massitu وذاب بالماء والعكس يعني كونها عاقر فضلاً عن استخدام الفتائل في علاج الأمراض النسائية^(٤٨).
عولج الأطفال منذ الولادة وصولاً إلى الكبار البالغين، فضلاً عن الطب البديل كان الطب المتعلق بالاستعانة بالمعزم لطرد الأرواح الشريرة أو إرضاء الآلهة المسببة للأمراض وهو طب السحر أو الروحاني ويمكن القول إن المعزم يعزو الحالات المرضية لقوى خارقة^(٤٩).

كان المعزم يعالج بطريقة الإيهام وقد يكونون قد عرفوا أمراض انفصام الشخصية والذهان والهلوسات المرئية ومحاولات الانتحار^(٥٠).
كان للمعزم تأثير مباشر في العلاج وتقف كاهنة الأفاعي musahhatu في مقدمة المعزمين وفي التأثير النفسي للمريض^(٥١).

توارث المعزمون المهنة عن آبائهم، وكانوا يتفحصون العلامات في طريقهم إلى بيت المريض وعليه يقررون نجاة أو موت المريض، إذا شاهدوا كلباً أسود أو خنزير أسود المريض سيموت والعكس معناه سيعيش، إذا واصل المريض بكاؤه شاكياً من جمجمته هذا يعني يد الإله، ورؤية الكسرة ملقاة على الأرض يدل إلى تجنب أو المباشرة مع

المريض، إذا تواجد زائر في بيت المريض ومر نسر في السماء يميناً سيعيش المريض ويساراً يعني موته^(٥٢).

وبشأن التشخيص إصابة الرجل برأسه من جهة اليسار سببها يد شمش وسموت، والإصابة من الجهة اليمنى سببها يد أدد^(٥٣).

من ناحية أخرى "إذا كان وجه المريض أصفر وأسود فإنه سيموت، أما إذا كان وجهه ينضح عرقاً حرارة أو يشع حرارة سيشفى، وإذا كان مغطى ببثور بيضاء فإنها يد شمش وسيشفى وإن كان مغطى ببثور سوداء فإنها يد عشتار وسموت^(٥٤).

كان كاهن التعزيم الأشيبو يضطلع بدور مهم في تشخيص المرض وسببه وممارسة الطقوس والتعاويز المساهمة في طرد الأرواح الشريرة والشياطين والأشباح.

يذكر أنه توجد ثلاثة أنواع من المخلوقات تسبب الأمراض:

١- الموتى ٢- أرواح المتولدين من اتحاد الشياطين مع الإنسان ٣- الشياطين التي أرواحها من نفس طبيعة الآلهة وهي تقوم بأفعال شريرة.

من أمثلة الشياطين المسببة للأمراض ليلو المذكر ولينتو المؤنثة وهؤلاء يتواجدون ليلاً، وعشاكو شيطانة الحمى والسل ونركال إله الموت والطاعون وسولو المسبب لأمراض الصدر وغيرهم^(٥٥).

الجراحة والأدوية

كانت الوصفات تذكر لكل الأمراض مثل الم الأقدام وعلاجها خارجياً برش الدواء على العضو المصاب ويمسح بالزيت، ولا توجد في الوصفة الجرعة ولا عدد المرات الواجب أخذها كدواء.

الجراحة في بلاد الرافدين علم متميز، ومن المرجح معرفتها قبل العصور التاريخية وتطورت المعارف الجراحية في العصور التاريخية، من أبرز العمليات الجراحية ما يخص العين ونعني إزالة الماء الأزرق، وإزالة الجزء الملتهب من العظام فضلاً عن تجبير كسور العظام.

بلغت أجرة الجراح في عصر الملك حمورابي عشرة شيفلات فضة عند نجاح العملية لشخص نبيل لكن فشل العملية يعني قطع اليد لاسيما إذا كانت العملية قادت لتلف العين (المادة ٢١٥ قانون حمورابي)، أما أدوات الجراح فشملت المبضع البرونزي والسكين وغيرها.

مارس الحلاقون عمليات قلع الأسنان التالفة وتجبير العظام^(٥٦).

عموماً توصل الجراحون إلى كون الأسنان التالفة والامها وراء ارتفاع حرارة المريض فكان العلاج قلعها، فضلاً عن عمليات بتر الأعضاء المتضررة^(٥٧).

التشريح لم يشمل الإنسان بل الحيوان بقصد استخدام عضو الكبد أو الطحال للعرافة والعتور على نماذج الكبد دليل ما أشرنا إليه.

من الأمثلة على عمليات جراحية هو العثور على جماجم مثقوبة في لكش قرب الشطرة يفيد بوجود تشريح محدود للجماجم منذ العصر الحجري الحديث أو المتأخر إذ رسم



الكاهن دائرة على سطح الجمجمة الخارجى وبوساطة سكين من حجر الصوان يتم قشط وقطع أخدود على الدائرة وإزالة العظم دون ثقب الجمجمة^(٥٨).
بعض الآراء ترى إن العراقيين القدماء عرفوا التشريح ووظائف الأعضاء ونوع الأمراض التي تصيب كل عضو^(٥٩).

من العمليات الجراحية العمليات القيصرية، مع العلم أنه لتسهيل الولادة كانت تتدحرج اسطوانة خشبية على بطن الحامل من الأعلى إلى الأسفل لتسهيل خروج الوليد، وشملت العمليات كذلك محجر العين وهو ربما الانسداد أو "الكتراك" وإزالة الدم من الكبد وذات الجيب الصديدية فوق الفقرة ما بين الضلعين الثامن والتاسع.

العقاقير وتشمل ادوية مصنوعة من مواد مختلفة مثل طين النهر والعسل وزيتوت البحر والأرز، التفاح، زيت الشجر، درع السلحفاة، الصفصاف، التنوب، التين، القرفة الصينية^(٦١).

تتم طريقة إنتاج العقاقير باستخدام البيرة كوسيط إذ كانت البذور تسخن مع الزعتر والصمغ وتخلط بالبيرة وتستعمل كشراب فضلاً عن الاستعمال الخارجى للبيرة مع الماء لإنتاج عقاقير ترش على المريض بعد غلي المواد المسحونة وتصفيته وأحياناً غليها بغية الحصول على الخلاصة المطلوبة^(٦٢).

علاوة على طرق السحن والنقع والاستخلاص المائي والزيتي تتوفر طريقة الترشيح مع الزيوت الأساسية المعطرة دون إن تحدد الكميات المستعملة في التركيب وهي ربما كانت معلومة الأوزان والمقادير لدى الطبيب أو المعالج فضلاً عن كونها من أسرار المهنة^(٦٣).

من خلال نص مؤرخ للألف الأول ق.م مقسم لثلاث اعمدة تضمن وجود أكثر من ١٥٠ مادة علاجية، اهمية النص انه يتضمن في العمود الأول النبات المستعمل، العمود الثاني المرض المعالج، العمود الثالث طريقة تركيب الدواء، مع التوصية بالصيام، وكانت طرق تحضير الدواء تشمل التقطير، التبخير، التصفية ويتم نفخ السوائل من خلال قسبة أو عن طريق الفم^(٦٤).

تصنف مصادر الأدوية إلى ثلاثة أنواع: النباتية، الحيوانية، الكيماوية أو المعدنية، ومع العقاقير كانت المراهم عوامل مساعدة في العلاج فضلاً عن الضمادات^(٦٥).

كان التدليك والفتائل من وسائل العلاج المتبعة في الطب العراقي القديم الذي توصل أطباؤه إلى تشخيص انتقال العدوى عن طريق الملامسة لاسيما أمراض الجذام والجرب وتوصلوا إلى العلاقة بين الذباب والأمراض وانتشار الأوبئة^(٦٦).

من الفروع الطبية الطب البيطري فكانت الحيوانات الاقتصادية تحظى برعاية خاصة كونها ذات قيمة مهمة للمجتمع والمملكة ومنها لأهميتها في النقل لاسيما الخيول لذا أفردوا لها نصوصاً خاصة^(٦٧).

فضلاً عن توفر أطباء للثيران والحمير، وقد أشار المشرع البابلي حمورابي إلى وجود عمليات جراحية تجرى للثيران والحمير وهي مهمة كونها واسطة النقل والتجارة والزراعة، لذا لا عجب من تحديد أجرة الطبيب بسدس شغل فضة إن نجحت العملية

(المادة ٢٢٤) وفي حالة الفشل وموت الحيوان فعلى الطبيب دفع غرامة تعادل ربع قيمة الحيوان للمالك (المادة ٢٢٥)^(٦٨).

الخاتمة والاستنتاج:

يتضح مما ذكرناه إن العلوم الطبية في الموروث العراقي القديم تعود في جذورها إلى العصور الحجرية المتأخرة وتطورت عبر المسيرة التاريخية لبلاد الرافدين حتى غدت مدناً بعينها مشهورة في مجال طبي دون غيرها، ووصلت الشهرة الطبية للأطباء خارج حدود بلاد الرافدين، وأصبح تبادل المشورة الطبية والاستعانة بالأطباء لدى البلاط الملكي خارج الرافدين أمراً شائعاً، وهذا يدل على أهمية الطب وتقدمه وانتشار شهرته في الشرق القديم، وفي الوقت ذاته اطمئنان المرضى وثقتهم بالشفاء وإيمانهم به. يمكن القول إن التخصص في الطب بدأ في العصور الحجرية المتأخرة وكان محدوداً لاسيما الجراحة وأخذ مدى واسعاً في العصور التاريخية لاسيما العصر البابلي القديم وصولاً للعصر الآشوري المتأخر، والطب أصيل النشأة في بلاد الرافدين وتطور إذ لم يكن جامداً، والعلوم الطبية لبلاد الرافدين شملت مناح عديدة اعتمدت التشخيص والعلاج فضلاً عن الطب الروحاني المستند على إرضاء الآلهة كونها هي من تسببت بالمرض وهي من تشفي، ولم تكن الدلائل والمشاهدات غائبة عن التشخيص، أي إن التفاؤل والتشاؤم سمة المعزم.

الهوامش

١. طه باقر، "موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية"، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٩٦-٩٥.
٢. صلاح رشيد الصالحي، "بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم"، ج ٣، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٧، ص ١٩٦.
٣. مرغريت روثن، "علوم البابليين"، تعريب د. يوسف صبحي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٩-٨٠.
٤. سامي سعيد الأحمد، "الطب العراقي القديم"، مجلة سومر، مجلد ٣٠، ١٩٧٤، ص ٨٤.
5. E. Ritter, "Magical-Expert, Asipu and physician Asu, Notes on two complementar profession in Babylonian Medicine" AS, 16, 1965, pp: 301-302.
٦. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص ٨٦.
٧. نفس المصدر، ص ٨٤.
٨. المصدر نفسه، ص ٨٥.
٩. المصدر نفسه، ص ٨٧.
١٠. مرغريت روثن، مصدر سابق، ص ٧٤.
١١. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص ٩٠.
١٢. حسين عليوي عبد الحسين السعدي، "وظائف الآلهة في بلاد الرافدين"، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص ١٦٠.
١٣. المصدر نفسه، ص ١٦٥-١٦٦.
١٤. المصدر نفسه، ص ١٦٨.
١٥. المصدر نفسه، ص ١٧١.
١٦. خزعل الماجدي، "الأموريون الساميون الأوائل" طبعة أولى، دمشق، ٢٠١٦، ص ٢٤١.
١٧. المصدر نفسه، ص ٢٥٦.
١٨. حسين عليوي، مصدر سابق، ص ١٧٥-١٧٦.
١٩. المصدر نفسه، ص ١٨١.
٢٠. طه باقر، "مقدمة في أدب العراق القديم"، بغداد، ٢٠١٠، ص ١٧٠.
٢١. حسين عليوي، مصدر سابق، ص ١٨٤.



٢٢. المصدر نفسه، ص١٩١-١٩٢.
٢٣. عباس علي الحسينى، "مملكة ايسن بين الإرت السومري والسيدة الأمورية"، دمشق، ٢٠٠٤، ص٢١-٢٤.
٢٤. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٨٥.
٢٥. المصدر نفسه، ص٨٧.
٢٦. خزعل الماجدى، "بخور الآلهة، دراسة فى الطب والسحر والأسطورة والدين"، ألمانيا، ٢٠١٩، ص١٦٩.
٢٧. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٧٩-٨٠.
٢٨. المصدر نفسه، ص٨٨.
٢٩. المصدر نفسه، ص٨٩.
٣٠. المصدر نفسه، ص٩٠.
٣١. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص١٩٩.
٣٢. المصدر نفسه، ص٢٠٩.
٣٣. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٨٩.
٣٤. خزعل الماجدى، مصدر سابق، ص١٧٧.
٣٥. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص١٠٠-١٠٢.
٣٦. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص٢٢٧-٢٢٨.
٣٧. مارتن ليفى، "الكيمياء والتكنولوجيا الكيمائية فى وادى الرافدين"، ترجمة د. محمود فياض المياحى، بغداد، ١٩٨٠، ص٢١٩.
٣٨. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٩٥.
٣٩. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص٢٣٠.
٤٠. المصدر نفسه، ص٢٢٦.
٤١. المصدر نفسه، ص٢٣٢.
٤٢. المصدر نفسه، ص٢٣٣-٢٣٤.
٤٣. المصدر نفسه، ص٢٣٥.
٤٤. طه باقر، موجز...، مصدر سابق، ص٩٦.
٤٥. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٩٣.
46. J. Wilson, "Further contribution to the Legend of Etana", JNES, 33/2, 1974, p. 240.
47. E. Reiner, "Babylonian Birth prognoses", ZA, 72/2, 1982, p. 127.
48. Ibid, pp. 129-132 لانعرف ماهية massitu, rubusu.
٤٩. مرغريت روثن، مصدر سابق، ص٧٥.
50. J. Wilson, "An introduction to Babylonian psychiatry", AS, 16, 1965, pp. 290-291.
51. Ibid, p. 293.
٥٢. عبد اللطيف البدرى، "التشخيص والإتذار فى الطب الأكدي"، بغداد، ١٩٧٦، ص٩-١٣.
٥٣. المصدر نفسه، ص٢٣.
٥٤. المصدر نفسه، ص٥٥.
٥٥. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص٢١٦، ٢٢١.
٥٦. خزعل الماجدى، بخور...، مصدر سابق، ص١٧١.
٥٧. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٩٤.
٥٨. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص١٩٤، هامش ٦١٧.
٥٩. المصدر نفسه، ص٢٢٤.
٦٠. المصدر نفسه، ص٢٤١-٢٤٢.
٦١. مارتن ليفى، مصدر سابق، ص٢٠٤-٢٠٦.
٦٢. المصدر نفسه، ص٢٠٩.
٦٣. المصدر نفسه، ص٢١٠-٢١١.
٦٤. خزعل الماجدى، مصدر سابق، ص١٨١.
٦٥. S. Denning-Bolle, "Wisdom in Akkadian Literature", Leiden, 1992, p. 50.
٦٦. سامى سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص٩٣.
٦٧. مارتن ليفى، مصدر سابق، ص٢٠٢.
٦٨. صلاح رشيد الصالحى، مصدر سابق، ص٢٠٢.



الطب في بلاد الرافدين (في ضوء المصادر المسمارية)

أ.م.و. سعد سلمان فهد
جامعة بغداد/كلية الآداب

أ. و. كاظم عبد الله عطيه
جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

dr.kadhim.abdullah@gmail.com

الملخص:

بان المنتبع لتاريخ العالم باسره يجده قد شهد عبر تاريخه الطويل الممتد بامتداد وجود الانسان على هذه المعمورة العديد من الحضارات كانت قد جسدت صورا متعددة لمجمل الاعمال التي قام بها الانسان التي تبرز تفاعله مع البيئة التي نشأ فيها بمختلف صورها واشكالها ، بيد ان هذه الحضارات وان وكانت موعلة في القدم الا انها لم تكن على مستوى واحد من الثراء والعطاء الانساني والاصالة، فتارة نجد بعض من هذه الحضارة تنسم بفتور عطائها وقلة ثرائها وتأثرها بالحضارات الاخرى واستنباطها الوان حضارية عديدة منها، في حين نجد اخرى ومنها حضارة بلاد الرافدين تنماز بثراء عطائها الفكري والمادي بحيث اثرت في العديد من الحضارات الاخرى وكان لها الفضل الكبير في ارساء الجذور الاول لمختلف العلوم والمعرفة.
الكلمات الافتتاحية: الطب – بلاد الرافدين- الكتابات المسمارية- الامراض- الاطباء – الاعشاب - الادوية

Abstract

The observer of the history of the entire world finds that he has witnessed throughout his long history extending the

extension of man's existence on this globe, many civilizations have embodied multiple images of the entirety of the actions that man did, which highlight his interaction with the environment in which he grew up in various forms and forms. However, these civilizations, even if they were It is very old, but it was not on the same level of wealth, human giving and originality. Sometimes we find some of this civilization characterized by its sluggishness, lack of richness, and its influence with other civilizations and devising many civilized colors from them, while we find others, including the civilization of Mesopotamia, characterized by the richness of its intellectual and material giving It influenced many other civilizations and had a great merit in laying the first roots for various sciences and knowledge

ان من اهم مصادر معلوماتنا عن حضارة بلاد الرافدين هي الكتابات المسمارية المدونة والتي تعود في تاريخها منذ تاريخ اختراع الكتابة(بحدود ٣٥٠٠ ق.م) فصعودا، اذ ابرزت هذه الكتابات العديد من المعلومات المتعلقة بالتاريخ الديني والسياسي والاقتصادي وغيرها من معلومات اتصلت بشكل مباشر مع المجتمع و حياة الفرد.

وتبرز العلوم المختلفة كواحدة من الموضوعات التي تناولتها النصوص المسمارية وفي مقدمة هذه العلوم يبرز علم الطب كعلم له علاقة وثيقة بحياة الانسان وديمومة بقائه، فقد كانت الامراض التي يصاب بها الانسان محط قلق و ارباك له وربط في بعض الاحيان هذه الامراض بالشياطين والارواح الشريرة، فكان لزاما عليه ان يقصد من يستطيع ان يبعد عنه المرض فلجأ الى الطبيب الذي كان يشخص حالته ويقدم له الدواء والنصح بغية شفائه.

وفي استقراء اولي للنصوص المسمارية يمكن القول ان هناك انواع عديدة من الامراض بعض منها جسدي والاخر نفسي، كما تنوعت العلاجات المستخدمة في الاستطباب بتنوع الحالات المرضية وبعض منها كان يعطى عن طريق تناولها مباشرة والاخر كان يعطى عن طريق التدخين في حين نجد بعض الامراض المتعلقة بالحالات النفسية او الروحية تعالج بقراءة بعض الصلوات والادعية وغيرها من الامور التي تزرع في نفس المريض الطمأنينة والراحة النفسية. ومن دراسة النصوص المسمارية المنشورة في بطون البحوث والكتب المتناثرة ذات العلاقة بهذا الموضوع ارتى الباحثان ان يقسما مادة البحث على المحاور الآتية:-

اولا:- المقدمة و اهم التسميات المتعلقة بالطبيب.

ثانيا:- اهم الاعشاب والنباتات الطبية.

ثالثا:-اهم الادوية والعلاجات.



رابعاً:- انواع الاستطباب.
 خامساً:- بعض الامراض .
 سادساً:- الالهة والطب.
 سابعاً:- القانون والطب.
 ومن ثم الاستنتاجات
 اهم المختصرات المستخدمة في البحث

اولاً:- اهم التسميات المتعلقة بالطبيب وما يتعلق به:-

تعد بلاد الرافدين واحدة من البلدان الغنية بالتنوع في تضاريسها وبيئتها وفي مواردها الطبيعية، ونتيجة لهذا التنوع فقد تنوعت ايضاً امور عديدة كانت ترتبط بنحو او باخر بهذا التنوع من قبيل طبيعة المنطقة السكنية والافادة من مواردها الطبيعية في تحقيق الاستمرارية والعيش بسلام وكذلك انعكس ايضاً على الجوانب الفنية والعمارية بل حتى الفكرية، ولم يكن الطب بمعزل عن هذا التنوع والتأثيرات الحاصلة فيه، فقد تختلف الامراض من منطقة الى اخرى، ويختلف الطب من مكان الى اخر على ان هذه المهنة اعتمدت بالدرجة الاساسية على التراكم المعرفي والخبرة بنوعية الامراض وطرائق معالجتها، وعبر مر العصور ولاسيما فيما يتعلق بالعصور التاريخية خلف لنا سكان بلاد الرافدين معلومات جيدة تتعلق بهذه المهنة يمكن من خلالها الباحث ان يتوصل الى الخطوط العريضة لملامح هذه المهنة ومن ثم معرفة جذورها وماهيتها وتفصيلها الدقيقة، بيد ان اهم ما يتعلق بهذه المهنة هو الطبيب او الحكيم الذي كان وما زال يتمتع بمكانة اجتماعية جيدة اصفته عليه طبيعة مهنته التي تتعلق بشكل مباشر بحياة الانسان، لذا نجد ان يكرم وتغدق عليه الهدايا المتنوعة(--- العربية، وعربة اتارتو attartu والخيل والفضة والاوناني التي اعطيتها للطبيب---)

ان اهم التسميات التي اطلقت على الطبيب او الحكيم باللغة السومرية المصطلح LU2.A.ZU والذي يقابله بالاكديّة asû^(١)، اما كبير الحكماء او الاطباء فقد اطلق عليه المصطلح السومري (LU2.).GAL A.ZU) ويقابله بالاكديّة rab asî^(٢)، وكذلك اطلق عليه(اي كبير الاطباء او الحكماء)المصطلح السومري A.ZU.GAL والذي يقابله بالاكديّة azugallu، وقد اطلق هذا اللقب على الاله دامو ddamu بوصفه رئيس او كبير الاطباء^(٣)، ولم تقتصر مهنة الطب على الرجال دون النساء فهناك الطبيبة التي اطلق عليها المصطلح الاكدي asātu، واطلق على رئيسة الطبيبات او الحكيمات المصطلح السومري A.ZU.GAL MAḪ والذي يقابله بالاكديّة azugallatu وهو لقب اطلق على الالهة نن-ايسينا dnIN.isinna وكذلك على الالهة كولا dGU.LA والتي سميت ايضاً بسيدة الحياة bēlet balāti^(٤).

وكان للطبيب العدة الخاصة به التي كانت تحفظ بحقيبة جلدية محمولة عرفت هذه الحقيبة باللغة السومرية بالمصطلح KUŠ.TUN2.A.ZU والتي يقابلها بالاكديّة takaltu asî^(٥)، اما الضماد الذي عادة ما يستخدمه الطبيب في معالجاته فقد

ورد على نحو LU2.A.ZU.šindu/šindu ša^(١) ويلاحظ التطابق اللفظي والمعنوي ما بين الكلمة الاكدية šimdu مع كلمة ضماد العربية. ، اما مهنة الطب او الطبابة فقد اطلق عليها بالسومرية المصطلح (LU2.A.ZU).A.ZU او NAM.A.ZU والذي يقابله بالاكديّة المصطلح asûtu^(٧)، وكذلك اطلق على مهنة الطب المصطلح الاكدي azugallûtu^(٨).

اختص الطبيب في بلاد الرافدين بمعالجة معظم الامراض التي تصيب الانسان كما ارتبط مع فئات وطبقات المجتمع بشرائحه كافة واولهم الملك الذي كان له طبيب خاص به واسرته.

كما ان كفاءة وقدرة الطبيب تختلف من طبيب الى اخر لذا يصار في احيان معينة الى طلب الطبيب الماهر لعلاج حالات معينة ولاسيما اذا ارتبطت الحالة بالملك والحاكم---انا الان ارسلت الطبيب المتمرس هم سمحوا له بإعداد الدواء الى ملك المدينة---^(٩). وفي نص اخر(---فلان الطبيب الذي ارسله لي الملك سيدي لكي يعتني بي قد شفاني---)^(١٠)، ولا يقتصر الاستطباب على الرجال دون النساء اذ ممكن ان يعالج النساء رجال اطباء(--- الفتاة فلانة مريضة جدا وهي لا تستطيع حتى ان تأكل الخبز، دع سيدي الملك ان يرسل لها طبيبا لكي يفحصها---)^(١١).

ويتعرض الطبيب الى الوفاة مثل بقية البشر وبهذه الحالة يستبدل بطبيب اخر ينوب عنه دون تأخير لان حالة المرض تستدعي السرعة في العلاج ومن ثم فان اي تأخير يمكن ان يؤدي الى تطور حالة المريض وصعوبة شفائها (---الطبيب قد مات حديثا، على سيدي الملك ان لا يؤخر الطبيب (البديل) دعه يهتم بصحة عبيدك (ناسك)---)^(١٢)، كما ان مهمة الطبيب ليست فقط للعلاج فحسب بل في احيان كثيرة يقوم بعملية التفحص والتحميص والتدقيق ولاسيما اذا ما عولج المريض من طبيب اخر غير كفوء الذي عادة ما يشخص المرض ويعطي علاج معين فمهمة الطبيب الماهر تفحص هذا العلاج وتشخيص مدى صلاحيته وتأثيره (---انا الان ارسلت الطبيب اليك دعه يتفحص على الفور الدواء ومن ثم عد لي---)^(١٣). ان ارسال الطبيب الى مثل هذه الحالات او حالات مشابهه اخرى يستلزم الحصول في حالات معينة على الموافقات المبدئية ولاسيما من الملك او الحاكم الذي بدوره يوافق او لا يوافق على ارسال الطبيب او العلاج المناسب (---انا وافقت ان ارسل اليك الطبيب مع الدواء الفعال---)^(١٤)، كما تشير نصوص مسمارية الى ان الطبيب بوصفه احد موظفي الملك يقوم بالقسم بالولاء للملك مع ثلة من موظفين اخرين كالكتبة وطاردي الارواح الشريرة وغيرهم من الموظفين(---الكتبة، العرافون، طاردوا الارواح الشريرة، الاطباء، مراقبوا الطيور(و) موظفوا القصر الساكنون في المدينة سوف يقسموا بالولاء(للملك)في اليوم السادس عشر من شهر نيسان---)^(١٥)، وهي اشارة واضحة الى ان هؤلاء لابد ان يكون ولانهم مطلق للملك وان الطبيب الخاص بالملك يرتبط عمله بحياة الملك بشكل مباشر وبالتالي لابد ان يتم اختياره على وفق اسس وقواعد تعتمد على الولاء اولا ومن ثم الكفاءة وغيرها.



وقد توكل للطبيب ايضا مسؤولية فحص الموظفين والعاملين ويكون هذا الفحص بمعية اشخاص اخرين مساعدين (--طبيب الحي (مع الموظفين الاخرين) حينما يتفحصوا الاشخاص الحاضرين سوف يسجلوا اي موظف غير مفحوص---)^(١٦).
لقد كان للطبيب مكان خاص بأعشابها وادويته اشبه ما يكون بالمذخر او الصيدلية وفي بعض الاحيان يتم خزن وحفظ الادوية التي يحتاجها في هذه الاماكن حتى اذا ما احتاجها فانه يستطيع بسهولة ان يحصل على ما يريد من علاج وعشب ودواء وهناك اشارات مسمارية تعزز هذا الرأي (--عشر شقلاط من الشب اعطيت الى فلان الطبيب لكي يتم خزنها كدواء---)^(١٧)، وفي احيان معينة يكون العمل مشتركا للقضاء على الامراض ولاسيما تلك المتعلقة بالحالات التي ترتبط بالأرواح دون الاجسام كالتلبس والوسواس وغيرها من الامراض النفسية التي تتعلق بالأرواح الشريرة (او الجن والعمارة)، ويشترك في حالات كهذه الاطباء مع طاردي الارواح الشريرة الذين يعملون سوية لمعالجة مثل هذه الحالات--- دعهم يعينوا طارد ارواح شريرة واحد وطبيب واحد لخدمتي ودع هؤلاء يمارسوا شعائرهم سوية---)^(١٨).

ثانيا:- اهم الاعشاب والنباتات الطبية :-

تعد حضارة بلاد الرافدين واحدة من اهم الحضارات التي اثرت الجانب الانساني للبشرية وهدمت الوان حضارية متعددة في شتى اصناف العلوم والمعرفة واحدى هذه العلوم معرفة مكامن القوى العلاجية التي تكتنزها النباتات والاعشاب المتنوعة بتنوع بيئته، بيد ان هذه المعرفة اعتمدت بالدرجة الاساس على تجارب عديدة قام بها الانسان عبر مر العصور ولم تكن هذه التجارب ناجحة جميعها ولكن بالمحصلة النهائية ابرزت لنا الخبرة العملية في حقل العلاج الطبي المعتمد على الاعشاب والنباتات، لقد ترك لنا العراقيون القدماء العديد من المصطلحات والكلمات التي تشير الى انواع متعددة من الاعشاب والنباتات الطبية، كما انهم اشاروا الى استخدامات بعض منها وطرائق علاجها ولما كانت هذه الاعشاب والنباتات الطبية هي الاداة الرئيسة لعمل الطبيب وجدنا من المهم ان نذكر اهمها.

aktam- :- كلمة اكدية تمثل احدى النبات المهمة التي استخدمت للأغراض الطبية ولاسيما في مدة العصر البابلي القديم والعصر البابلي الوسيط ويقابله بالسومرية **Ú LUL.AZ**^(١٩)، استخدم هذا النبات في استطبابات عديدة فكانت بذوره تستخدم في علاج التهاب الرئة وعلاج السعال^(٢٠)، كما يتم غلي هذا النبات مع الجعة للحصول على ضمادات التي تستخدم للأغراض الطبية ولاسيما تلك المتعلقة بالجروح والكسور--- انت اغليت الجعة مع نبات الاكتام **aktam** وجعلت منها كضمادة وهي مازالت ساخنه---)^(٢١)، اما عندما يتم مزجه بنباتات طبية اخرى فتكون الخلطة متجانسة وتصلح لأغراض العلاج الجلدي--- انت خلطت العديد من النباتات ومن ضمنها نبات الاكتام **aktam**، افرك(الخلطة) به(بالمرض) وسوف يتعافى(المريض)---)^(٢٢)، كما تستخدم لعمل التحاميل التي توضع في شرج المريض بعد ان يتم خلط بذور هذا النبات مع مواد طبية اخرى ثم تمزج الخلطة بالشحم--- انت مزجت بذور نبات الاكتام **aktam** مع

مواد طبية اخرى بالشحم وعملت تحميلة ووضعتها في شرح (المريض)---(٢٣).
وتستخدم بذور هذا النبات ايضا كدواء للمرأة المتوحمة بعد ان يتم مزجها بالطحين او ان يتم قلائها مع الجعة ومن ثم توضع على مهبلها)--- بذور نبات اکتام aktam دواء للمتوحمة تمزج مع الطحين او يتم قلاءها مع الجعة ويوضع على مهبلها)---(٢٤)، كما يمكن تنقيع هذا النبات مع نباتات مختلفة وتغلي الخلطة ثم يستحم بها الانسان المريض (--- انت نقعت نبات الاکتام aktam مع نباتات مختلفة بالماء وغليتها ثم استحمت بها- (---(٢٥)، ويستخدم هذا النبات لعلاج الام المفاصل والورك بعد ان يتم وضعه في الماء وتجفيفه بالفرن ثم تدليك الورك فيه(٢٦).

ومن الاستطبابات الاخرى التي تستخدم هذا النبات هو علاج بعض امراض العيون اذ يتم غلي هذا النبات مع الجعة وتركه يبرد ثم تقطر فيه العين المصابة (--- انت اغليت نبات الاکتام aktam في البيرة ومن ثم قطرت به عينه)---(٢٧).

butnātu- :- يمثل هذا المصطلح الاكدي احدى النباتات العطرية التي تستخدم للاستطباب ولاسيما لعلاج امراض الرئتين(٢٨).

tulalu- :-يمثل هذا المصطلح الاكدي نبات عادة ما يستخدم كعلاج لمرض المرارة بعد ان يخلط بمواد اخرى(---نبات التوالل tullal واوراق شجرة الطرفاء وحراشف الافعى هو علاج (لمرض) المرارة، (اذ انه) يسحق ويعطى مع البيرة او الخمر)---(٢٩).

arīḫu- :نوع من الاعشاب الطبية يستخدم لعلاج احد الامراض الذي يطلق عليه اسم شردو šurdū (نوع من الامراض)(٣٠).

duprānu- :- وهو مصطلح اكدي يعبر عن شجر العرعر ويقابله بالسومرية GIŠ.ŠIM.DUP.RA.AN وهو يستخدم كعلاج لاحد الامراض الذي يدعى الماء الاحمر(---شجر العرعر دواء لعلاج الماء الاحمر(وهو نوع من انواع الامراض)(٣١).

ḥarmunu- :-المصطلح الاكدي لنبات يستخدم لأغراض العلاج ولاسيما في حالات ضيق التنفس ويقابله بالسومرية ḤAR.ḤUM.BA.ŠIR ويستخدم ايضا كعلاج ضد مرض الدوران الذي ورد بالصيغة الاكديّة rapādu والذي يقابله بالسومرية SA.AD.NIM(٣٢).

galgaltu - دواء وهو يمثل نوع من انواع النباتات لا يعرف بالضبط لأي مرض يستخدم(٣٣).

ḥašānu - :- وهو احد النباتات المستخدمة في العلاج الطبي اذ تستخدم لعلاج المثانة اذ يسحق هذا النبات ويتم مزجه مع الزيت والجعة ثم يتم شربه(---لعلاج ضيق المثانة انت سحقت ḥašānu (والمصاب)شربته في الزيت والجعة الجيدة)---(٣٤)، ويستخدم ايضا لعلاج (مرض)الرئتين (---انت سحقت الخشانو وجعلته يشربه على الريق)---(٣٥).

ḥašḫūr api/abi -:-احد المصطلحات الاكديّة التي تطلق على نبات ينبت في



المستنقعات يستخدم كعلاج لقطع نزيف الدم ،ويرد بالصيغة السومرية
U2.GIŠ.ĤAŠĤUR.GIŠ.GI^(٣٦).

- kamantu: نبات الكامانتو kamantu هو علاج لمرض šibiṭ sari
يسحق ويفرك مع الزيت ويتم شربه^(٣٧).

- Zē malāḥi: اسم نبات يستخدم كدواء ضد حمى الصيتو šitu^(٣٨).

ثالثاً:- اهم الادوية والعلاجات:-

استخدم العراقيون القدماء طرق مختلفة للعلاج وتنوعت هذه العلاجات بتنوع
الامراض ذاتها فبعضها كان علاجاً نفسياً والآخر كان جسدياً، كما ان العلاج الجسدي
تنوع من حيث الاستخدام فتارة يكون شراباً عن طريق الفم وتارة يكون بوضعه على
الجسد حينما يتعلق الامر بالأمراض الجلدية والجروح كالضمادات(---الدواء الذي
استخدمه طبيبك في الضماد كعلاج لي كان فعالاً---)^(٣٩)، وتارة يوضع بشكل تحاميل ،
او يوضع انبوب بالعضو الذكري للرجل (--- انت وضعت لدواء في قضيبه من خلال
انبوب نحاسي---)^(٤٠)، او يوضع بشكل قطرات للعين او للأنف وتسمى الجرعة او
الدواء المأخوذ عن طريق الأنف بالمصطلح الاكدي tahittu والذي عادة ما كان يسخن
ويوضع في الأنف (--- الجرعة قمت بتسخينها في الفرن بغية وضعها في انف
المريض---)، وان من الامور المهمة بهذا الصدد ان هذه القطرات او الدواء الذي
يوضع في انف المريض يتم وضعه من خلال انبوب معمول من القصب وهو بذلك يمثل
البدائيات الاولى لما يعرف في الوقت الحاضر بالقطرات(---انت ملات الانبوب بالدواء
ووضعت في خياشيمه---)^(٤١).

لقد اطلق المصطلح الاكدي našû على من يجرب الدواء^(٤٢)، ولا يختلف
اعطاء الدواء للكبار منه للصغار اذ ان الطريقة الامثل لتناول الدواء للطفل يكون من
خلال ارضاعه عن طريق والدته التي تضع الدواء على حلمة ثديها ليتناوله الطفل حين
الرضاعة (---انت وضعت الدواء) على حلمة ام الطفل الرضيع لذلك هو سوف يرضع
مع الحليب الدواء وسوف يتعافى---)^(٤٣)، وقد ورد الفعل المعبر عن امتصاص الدواء
بصيغته الاكدي على نحو šadādu (بمعنى يمتص او يرضع الدواء) والذي يقابله
باللغة السومرية المصطلح (GID2.DA)^(٤٤).

لقد ربط الاطباء تناول العلاج في بعض الحالات بكشف الطالع او الفال فاذا
كانت مؤشرات ايجابية كانت الامور جيدة للعمل واستخدام الطب(---مؤشرات الفال
مناسبة للعمل وللأشياء المتعلقة بالطب---)^(٤٥)، اما اذا كانت مؤشرات سلبية كان مدعاة
لترك استخدام الطب والسحر على حد سواء(---الفال مؤشرات سلبية لاستخدام الطبيب
او السحر---)^(٤٦)، وفيما يلي اهم الادوية المستخدمة لعلاج الامراض:-

- aršuzuzil ولا يعرف بالضبط لأي الامراض يستخدم^(٤٧).

- U2 ša2-mi UŠ2 parāši^(٤٨)، علاج يستخدم لنزف الدم ورد .

- Imdi gabri: مصطلح اكدي يمثل نوع من انواع الادوية ولا يعرف بالضبط

- لأي الامراض يستخدم^(٤٩).
- :šadīdu - مصطلح اكدي يمثل نوع من انواع الدواء^(٥٠).
- : U2 ša2.mu ra-pa-di ħarpis يمثل هذا المصطلح دواء يستخدم لعلاج مرض الرابادو rapādu^(٥١).
- ħilsu - زيت مستخلص يستخدم كدواء(---امزج الخليصو في الزيت واجعله يشربه وسوف يشفى---)^(٥٢).
- : ħūqu - هو دواء مستخلص من نبات U2 ħu-qu ولا يعرف بالضبط لأي مرض يستخدم^(٥٣).
- : Išburnatu - هو دواء ضد مرض asû^(٥٤).
- : Šammi SAL.NU.U3.TU مصطلح يستخدم كعلاج للمرأة العاقر^(٥٥).
- : šada urī - دواء او نبات يستخدم كدواء^(٥٦).
- : U2.ĤAR.MEŠ ša šeḡa ša-am-ru دواء يستخدم لشفاء الرئتين المنتفختين بالهواء^(٥٧).
- : U2 GA-a-nu - دواء يستخدم للحمى الداخلية^(٥٨).
- : U2 ša2-mi šurde-e هو دواء ضد مرض šurdu ولعله الطفح^(٥٩).
- : tarmuš - المصطلح الاكدي لدواء يستخدم لأمراض المعدة ويقابله بالسومرية^(٦٠) U2.TAR.MUŠ.
- : trapsu - دواء لا يعرف استخدامه^(٦١).
- رابعا:-انواع الاستطباب:-

تنوعت الاستطبابات وطرائق العلاج المستخدمة في علاج الامراض وفيما يلي اهم هذه العلاجات:-

١-الضمادات:- استخدمت الضمادات في علاج الجروح والحروق على حد سواء وكانت تعمل من قطع القماش المتنوع وتختلف احجامها تبعا لاستخدامها وعادة ما تستخدم هذه الضمادات لتثبيت الدواء على مكان المرض كان يكون دواء مضاد لأمراض الجلد كالطفح الجلدي) الدواء الذي وضعه لي طبيبك بضماده جيد جدا وعلى اية حال اي طفح جلدي يظهر فانه يعالجه في الحال--)^(٦٢).

٢-الشراب:- من اكثر الانواع استخداما في طرق العلاج هو الشراب وتختلف الادوية التي يشربها المريض تبعا لاختلاف الامراض فبعض منها يتعلق بالمعدة اذ يشربها المريض لكي يتقيء ويتخلص من كل الاكل الملوث الذي اكله بيد ان هذا الدواء في احيان معينة لا يكون فعالا (--اذا ما المريض تناول الدواء ولم يتقيء ولم تتحرك امعائه--)^(٦٣)، وقد يكون فعالا في احيان كثيرة(---انا جربت الدواء لحمى setu فهو فعال، الشخص قد شرب منه(الشخص المريض) انه كان فعالا)^(٦٤).

وقد يكون الدواء مرا او ذا طعم غير مستساغ لذا يتم خلطه بالجة وتناوله(-سورق البلوط هو دواء للمرارة ويشرب مع الجعة--)^(٦٥)، وارتبط تناول الدواء



بصورة منتظمة بالعلاج الذي يجلب السعادة والطمأنينة للشخص المريض(---دعني اتناول الدواء واستعيد صحتي واشعر بالسعادة---)(^{٦٦})، في حين يؤدي تناول ادوية معينة الى تعرق الجسم(---يجب عليه ان يتعرق بسبب هذا الدواء---)(^{٦٧}).

ان مفهوم المرض الذي يصيب الانسان يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الدينية وعزي امر المرض الى عدم رضى الالهة من الشخص المريض وانزالهم عقوبة عليه(---الشر الذي يوجد بجسدي والعقاب الذي عاقبني به الاله والالهة، من خلال هذا الدواء عسى ان اكون بصحة جيدة---)(^{٦٨}). وقد يصاحب شرب الدواء ممارسة بعض الاعمال المرتبطة بالمعتقد الديني من قبيل تلفظ عبارات معينة والقيام بحركات مصاحبة(---جعلته يقول (التعويدة) ثلاث مرات وهو يسجد ويشرب هذا الدواء قائلا الاتي (انا شربت عشبة الحياة لسيدتي وانا شفيت) هو قال هذا لثلاث مرات (ولكل مرة) يسجد فيها---)(^{٦٩}). كما ان هناك ادوية تأخذ لطرد الحسد وعيون الشر(---الدواء المتعلق بعدم تأثير عين الشر على الرجل هو يدهن الرجل بدهن العرعر---)(^{٧٠}).

٣-الدهون (الزيوت) والقطرات:- يعد التدخين من الممارسات المهمة التي استخدمها سكان العراقيون القدماء كجزء من الطقوس الدينية المهمة وقد استخدم نوع من الدهون التي تستخدم لمسح العيون لغرض الاستطباب من الامراض التي تصيب العين(--- انت فركت عينه بالدواء المسمى suādu ---)(^{٧١})، او ان توضع هذه الدهون في مكان المرض او ان يتم شربه(--- انت خلطت الدواء بزيت مصفى، اجعله يشربه) او وضعه عليه) فانه سوف يشفى(---)(^{٧٢}).

اما فيما يتعلق بالتقطير فعادة ما يستخدم لأمرض العين اذ يتم تقطير الدواء بعين المريض عن طريق انبوب صغير(--- انت سحقت المادة الصمغية(المستخلصة من)النحاس والدواء الابيض وبواسطة انبوب من البرونز انت قطرته بعينه(---)(^{٧٣})، ومما يلاحظ في هذا النص ان الانبوب المستخدم في التقطير مصنوع من المعدن .

ويستخدم لسان الكلب كعلاج لمرض السعال اذ يستخرج منه سائلا يقوم المريض بشربه لكي يتعافى(--- لسان الكلب يستخدم للسعال، سائل هذا اللسان يعطى للشخص ليشربه(---)(^{٧٤})، كما يستخدم لسان الكلب ايضا للملسوع بلدغة افعى او لعضة الكلب ايضا(--- لسان الكلب هو دواء يستخدم لعضة الكلب ولسعة الافعى(---)(^{٧٥}).

٤-الخلطات:- تستخدم خلطات معينة بغية استخدامها لعلاجات خاصة وعادة ما تستخدم هذه الخلطات للأمراض الجلدية (---انت سحقت ووضعت الدواء على جلد(الشخص المريض)ووضعت جعة مع البساق وضمدت به الجلد(---)(^{٧٦})، اذ يلاحظ ان خلط الدواء مع الجعة والبساق ووضعها على جرح الميت كضمدات دواء توضع في مكان الجروح او القروح.

كما يخلط العسل والزيت والجعة مع الدواء ثم تعطى على شكل قطرات في لسان المريض ليتم ابتلاعه(---انت قطرت الدواء على لسانه وهو مخلوط بالعسل والزيت والجعة ومن ثم ابتلعه(---)(^{٧٧}).

وكذلك يستخدم الدواء بعد خلطه بالحليب و بالجعة لمعالجة الامراض النفسية

ومنها مرض يعرف بمحنة اورباتو urbatu فعند شرب هذه الخلطة سيتفاعل الدواء بالجسم ويؤدي الى تقيء المريض ومن ثم معاقته(--- ان الدواء(استخدم) لإزالة محنة الاورباتو urbatu انت وضعت الحليب في الجعة هو شربها وسوف يتقيء---)^(٧٨).

خامسا:- بعض الامراض:-

لقد ذكرت لنا النصوص المسمارية بعض الامراض التي كانت تصيب الانسان ومنها مرض الجرب الذي ورد باللغة الاكدية على نحو garābu ،ويطابق هذا المصطلح مثيله باللغة العربية جرب من حيث اللفظ والمعنى،وقد ورد باللغة السومرية على نحو GANA والدواء ضد مرض الجرب يدعى Šam-me ga-ra-bi^(٧٩)، اما الشخص المصاب بالجرب فقد ورد بالصيغة الاكدية على نحو Ša garābi والذي يرادفه بالسومرية) (LU2.GIG.GAN)^(٨٠).

وهناك مرض اخر ذكر في النصوص المسمارية على نحو ḥammu ولعله ذاته الحمى بالعربية^(٨١)،اما المصطلح الاكدي zēzēnu فهو يمثل احد الامراض التي لا يعرف ماهيتها (---اذا ما اخذ المريض الدواء(المعين) ولم يتقيء فان هذا الرجل يعاني من مرض الزيزينو zēzēnu)---)^(٨٢).

سادسا:- الالهة والطب:-

من المعروف ان المجتمع العراقي كان وما يزال مجتمع يؤثر فيه الدين بشكل كبير وان الالهة قديما قد غطت حيزا واسعا من تفكير الانسان و اعماله، وقد انعكست هذه العلاقة في الوان حضارية متعددة اتصل بعضها بالجانب الفكري كالأدب والقصاص والملاحم والاساطير وبعض الاخر اتصل بالجانب المادي كالعمارة والفن وغيرها من الامور الاخرى .

ان اهم ما يقال على العلاقة بين الالهة والبشر انها علاقة انعكاسية فكل الامور التي يتسم بها البشر انعكست بنحو او باخر على الالهة التي انفردت بقضية الخلود عن البشر الذين كتب عليهم الموت،ومن هذا الانعكاس نجد العديد من الالهة قد حملت القابا وظيفية كالفلاح والمزارع والمقاتل والنجار وغيرها من المهن التي عمل بها سكان بلاد الرافدين وبالتالي كانت مهنة الطب واحدة من هذه المهن التي تلقب بها الالهة واهم هذه الالهة هي الالهة كولا الذي امتاز بمعرفته بالتعاون والتعاويد وطرائق الشفاء(---كولا الذي امتاز بالتعزيم والشفاء والذي كان عظيما في ممارسة الطب)---)^(٨٣) كما تذكر نصوص اخرى الاله ايا باعتباره احد الالهة العارفين بفنون الطب والذي يعلمه لمن يحب وان هذا الفن(فن الطب)هو سر من اسرار الالهة(ان الاله ايا عهد لي معرفة الطب سر الالهة)^(٨٤) في حين ذكرت النصوص ان الالهة نن-كراك من الالهة التي تتسبب في مرض الانسان ولاسيما تلك الامراض التي تتعلق بالمفاصل والاطراف(عسى الالهة نن-كراك ان تسبب له المرض الخطير في اطرافه والذي لا يمكن تهدئته والذي من طبيعته لا يمكن ان يكتشفها الطبيب والتي لا يمكن ان يخفف مع الضمادات)---)^(٨٥) اما الاله دامو ddamu فقد اطلق عليه لقب رئيس او كبير الاطباء azugallu^(٨٦)، في



حين اطلق على الالهة ن-ايسنا dnIN.isinna لقب رئيسة الطبييات وهو لقب اطلق على الالهة كولا ايضا^(٨٧).

سابعا:- القانون والطب:-

لم تذكر لنا القوانين التي سبق قانون حمورابي اي مواد قانونية تتعلق بأجرة الطبيب او اي شيء يتعلّق به، اما قانون حمورابي فقد ذكر الطبيب في اكثر من مادة قانونية، ان واحدة من هم هذه القوانين تذكر عملية الطبيب وفتح لمحجر عين الرجل واجور الطبيب في مثل هكذا عمليات التي حدد بنحو عشرة شبقلات من الفضة^(٨٨) (اذا اجرى طبيب عملية لرجل بسكين العمليات وانفذ حياة الرجل، وفتح محجر عين رجل بسكين العمليات وانفذ عين الرجل، فعليه (اي الطبيب) ان يستلم عشرة شبقلات من الفضة)^(٨٩)، وحددت هذه المادة الطبقة التي ينتمي اليها الشخص المريض والذي يجري العملية فاذا كان من الموالي خفف اجر الطبيب (اذا كان (الرجل) من الموالي، فعليه(اي الطبيب) ان يستلم خمس شبقلات من الفضة)^(٩٠)، اما اذا كان عبدا فعلى صاحب العبد ان يدفع شقلين فقط للطبيب(اذا كان عبد رجل، فعلى صاحب العبد ان يدفع للطبيب شقلين من الفضة)^(٩١). لقد عالجت هذه المواد القانونية مسألة التباين في الدخل الاسري والتباين في الطبقات المجتمعية وراعت على نحو كبير الاشخاص محدودي الدخل فكلما كان الانسان اقل مرتبة من حيث البناء الطبقي والفقير كلما قلة اجور العمليات.

اما المادة ٢١٨ من قانون حمورابي فقد ذكرت مسألة مهمة جدا وهي قدرة الطبيب على اجراء العمليات الجراحية بحيث انها اوردت ان الطبيب الذي يتسبب بموت الانسان نتيجة العملية فان العقوبة تكون شديدة جدا وهي قطع يد الطبيب بحيث انه لا يستطيع بعدها ممارسة عمله مرة اخرى، ان صرامة العقوبة في هذه المادة القانونية والمتعلقة بعدم نجاح العملية من قبل الطبيب المختص ناتج عن ارتباط مثل هكذا عمليات بحياة الانسان بشكل مباشر وكذلك للحد من العمليات التي يقوم بها اطباء غير مؤهلين او مزورين(اذا اجرى طبيب عملية لرجل بسكين العمليات وسبب وفاة الرجل او فتح محجر عين الرجل واتفق عين الرجل فعليهم ان يقطعوا يده)^(٩٢)، بيد ان هذه العملية اذا اجريت لعبد مملوك فان عقوبة الطبيب ان يعرض صاحب العبد بعبد اخر وهذا ما نصت عليه المادة القانونية (٢١٩) اذا اجرى طبيب عملية لعبد مولى بسكين العمليات وسبب وفاته، فعليه ان يعرض عبدا بعبد)^(٩٣)، اما اذا اتلف عين العبد بعملية جراحية فانه يعرض صاحب العبد بنصف ثمنه كما اشير الى ذلك في المادة ٢٢٠(اذا فتح (طبيب) محجر عينه (اي العبد) بسكين العمليات واتفق عينه، فعليه ان يدفع فضة نصف ثمنه)^(٩٤). اما المادة ٢٢١ من قانون حمورابي فذكرت احكام العلاج بالجبيرة او الضمادات (اذا جبر طبيب عظم رجل مكسور او شفى عضلة مصابة، فعلى صاحب الإصابة ان يدفع للطبيب خمسة شبقلات فضة)^(٩٥)، اما اذا كان المصاب مولى فعليه ان يدفع ثلاث شبقلات^(٩٦)، في حين اذا كان المصاب عبد رجل فعلى صاحب العبد ان يعطي للطبيب شقلين من الفضة وهذا ما اشارت اليه المادة القانونية ٢٢٣^(٩٧).

ولا يقتصر الطب على الطب البشري بل تعدى ذلك الى الطب البيطري فقد عالجت بعض قوانين حمورابي هذا النوع من الطب ولاسيما فيما يتعلق بالثيران والحمير على اعتبار انهما اكثر الحيوانات استخداما من قبل الانسان من حيث عملهما في الحقول والمزارع، اذ اوردت المادة القانونية ٢٢٤ معالجة الطبيب للثور او الحمار (اذا عالج الطبيب ثورا او حمارا جرحا كبيرا (اي اجرى عملية) لثور او حمار فشفاه، فعلى صاحب الثور او الحمار ان يدفع للطبيب سدس الفضة! اجرة له)^(٩٨)، اما اذا تسبب هذا الطبيب بوفاة الثور او الحمار فعليه ان يدفع لصاحبه خمس ثمنه وهذا ما اوردته المادة القانونية ٢٢٥^(٩٩).

الاستنتاجات:-

- ١- تنوعت الالوان الحضارية لبلاد الرافدين بتنوع بيئته واثرته هذه الالوان بامتداد جذور هذه الحضارة التي تمتد بامتداد وجود الانسان على هذه المعمورة.
- ٢- ان اهم مصادر معلوماتنا عن حضارة بلاد الرافدين هي الكتابات المسمارية بشقيها السومري والاكدي والتي امدتنا بمعلومات قيمة جدا عن هذه الحضارة وغطت جوانب عديدة منها.
- ٣- برزت العلوم المتعددة كواحدة من اهم المميزات الحضارية لبلاد الرافدين وكان الطب واحد من اهم هذه العلوم.
- ٤- عزا سكان بلاد الرافدين الالصابة بالأمراض نتيجة عدم رضا الالهة عن الشخص وكذلك ارتبطت هذه الامراض بالشياطين والارواح الشريرة.
- ٥- تنوع الطب في بلاد الرافدين فكان هناك الطب النفسي والطب الجسدي كما كان هناك الطب البشري والطب البيطري، كما كان هناك طبيبا خاصا بالملك والعائلة المالكة وحاشية الملك وكان هناك طبيبا عاما ايضا.
- ٦- ابرزت لنا النصوص المسمارية تسميات عديدة للطبيب وادواته والعديد من المصطلحات المتعلقة التي تتعلق بمهنة الطب.
- ٧- لم تقتصر مهنة الطب على الرجال من دون النساء بل تعدى ذلك الى وجود رئيسات للطبيبات اللواتي وقفن على راس الطبيبات من حيث المسؤولية ومزاولة العمل.
- ٨- استخدمت انواعا عديدة من الاعشاب وتنوع استخدامها بتنوع الامراض وطرائق معالجتها.
- ٩- تنوعت الادوية والمعالجات المعطاة للمريض بتنوع الامراض وكذلك تنوعت طرق الاستطباب.
- ١٠- في بعض الاحيان يكون العمل مشتركا ما بين الطبيب وطارد الارواح الشريرة ولاسيما اذا كانت الامراض نفسية.
- ١١- كان هناك اماكن لحفظ الادوية الطبية وهي اشبه ما تكون بالصيدليات الصغيرة يتم دخر الدواء فيها للإفادة منه عند الحاجة.
- ١٢- اوردت لنا النصوص المسمارية ملامح عن الجذور الاولى لاستخدام بعض



- الادوات المستخدمة فى طرق العلاج كالأنبوب المستخدم فى تقطير العين بقطرات علاجية والذي يوازى القطرات فى الوقت الحاضر وكذلك التحاميل التى توضع فى شرح المريض والتى لازالت تستخدم حتى وقتنا الحاضر.
- ١٣- يتم تناول الاطفال الرضع لأغلب ادويتهم عن طريق وضع الدواء على حلمة ثدى الام ليتسنى للطفل ارضاع الدواء مع الحليب.
- ١٤- ارتبط تناول الدواء فى حالات معينة مع كشف الطالع الذى تكون اشاراته ايجابية فى احيان معينة ويكون الوقت مناسباً للعلاج والدواء، ويكون غير مناسباً فى احيان اخرى فيتترك حينها تناول الدواء.
- ١٥- تنوعت طرق الاستطباب وتناول الدواء واهمها الضمادات، الشراب، التدهين، القطرات والخطاط.
- ١٦- ارتبطت بعض الالهة بمهنة الطب ومنه الاله ايا والالهة كولا.
- ١٧- اوردت لنا القوانين العراقية القديمة ولاسيما قانون حمورابى العديد من المواد القانونية المرتبطة بمهنة الطب وحددت اجور الطبيب تبعاً للمستوى الطبقي والمعاشي للمريض.
- الهوامش:

- 1-CAD,A/2,P.344:b
2-ADD,470,r.19;CAD,A/2,P.347:b
3-PBS,8/2,141;Jean tell sifr,77,i:2;CT,8,18C:2
4-BBSt,No.7,ii,29;UET,6,393:14;CAD,A/2,P.529:a
5-CAD,A/2,P.344:b
6-KAR,40:5ff
7-Köcher BAM,228:17;CAD,A/2,P.351:b
8-CAD,A/2,P.529:b
9-KUB,3,67:12;CAD,A/1,P.345:b
10-ABL,Vol.3,274:6;CAD,A/2,P.346:a
11-ABL,Vol.3,341:13;CAD,A/2,P.346:a
12-CAD,A/1,P.345;ARMT,13,147:29ff
13-ARM,4,65:14
14-CAD,A/2,P.345:b;JCS,1,244,r.14
15-ABL,VOL.1,33:8;CAD,A/2,P.346:a
16-CAD,A/2,P.346:a
17-KAJ,223:9;CAD,A/2,P.346:a
18-ABL,Vol.11,1133,r.11;CAD,A/2,P.346:a
19-CT,37,32,IV,15ff;CAD,A/1,P.282:a
20-KAR,203,iv-vi,25 and28;CAD,A/1,P.282
21-KAR,202,r.iv,26;CAD,A/1,P.282:b
22-MAT,36,2:10;CAD,A/1,P.282:a
23-KAR,201:44;CAD,A/1,P.283:a
24-KAR,203,i-iii,19;CAD,A/1,P.283:a
25-KAR,195:20;CAD,A/1,P.283:a
26-CAD,A/1,P.283:a
27-AMT,8,1:3+12,8:11;CAD,A/1,P.283:a
28-CAD,B,P.358:a
29-CAD,T,P.464:a

- 30-CAD,A/1,P.267:a
31-KAR,203,r.i-ii7;CAD,D,P.189:b
32-
3BRM,4,32:24;CAD,H,P.105:a;Sjöber,A.W.,JCS,Vol.25,No.3(1973),p.141;sachs,A.,JCS,Vol.6(1952),p.66
33- CAD,G,P.14:b
34-KAR,203,i-iii,pharm;CAD,H,P.138:a
35-KAR,203,iv-vi,32and dup; CT,14,35,K.4180a:30;CAD,H,P.138:a
36-CT,14,36,79-7-8,22,r.3;CAD,H,P.139:b
37-CAD,Š/1,P.389:a
38-KAR,203,i-iii,50; CAD,Z,P.151:a
39-ARM,4,65:5;CAD,A/2,P.345:a
40-CAD,U/W,P.184:b
41-CAD,T,P.79:a
42-CAD,N/1,P.107:a
43-Labat TDP,222:40;CAD,A/1,P.187:b
44-CAD,Š/1,P.27:b
45-CAD,A/2,P.351:b
46-CAD,A/2,P.351:b;Boissier DA,11,I,8
47-PBS,2/2,P.107:32;CAD,A/1,P.310:a
48-CT,14,36,79-7-8,22,r.3;CAD,D,P.78:a
49-CAD,G,P.6:b;AMT,4,1:5
50-Scheil Tn.II,77;CAD,G,P.125:a
51-CAD,H,p.105:a
52-CAD,H,P.187:b
53-CT.41,29,r.15f;CAD,H,P.244:a
54-CAD,I/J,P.234
55-CT,14,36rm;CAD,S,P.290:a
56-CT,14,31,K.8846+:27ff;CAD,Š,P.55:b
57-KAR,203,iv-vi,26;CAD,Š,P.127:a
58-CAD,Š/2,P.148:a
59-CAD,Š/3,P.343:a
60-köcher BAM,1,ii,52
61-CAD,T,P.239:b
62-ARM,4,65:12ff;CAD,H,P.178:a
63-CAD,Š,P.96:a
64-CAD,Š/1,P.214:a
65-CAD,A/1,P.355:a
66-KAR,73:22;CAD,Š/1,P.211:a
67-CAD,Z,P.169:a
68-CAD,Š/1,P.211:a
69-KAR,73:28ff;CAD,Š/3,P.216:a
70-KAR,203,i-iii,16
71-AMT,16,1:2;CAD,E,P.307:b
72-CAD,E,P.383:b
73-AMT,9,1:39;CAD,H,P.189:a
74-köcher BAM,1,ii,45;CAD,L,P.209:a
75-CAD,L,P.209:a
76-STT,92,iii,19ff;CAD,S,P.277:a



- 77-CAD,§/1,P.215:b
78-CAD,§/2,P.148:a. حول بقية الخلطات تنظر الصفحات ٨ و ٩ من هذا البحث.
79-CAD,G,P.46:a
80-CAD,G,P.46:a
81-CAD,H,P.69:a
82-CAD,Z,P.99:b
83-KAR,73:25;CAD,T,P.450:a
84-CAD,H,P.227:a
85-CH,§Xiv,59;CAD,A/2,P.346:b
86-PBS,8/2,141;Jean tell sifr,77,i:2;CT,8,18C:2
87-BBSt,No.7,ii,29;UET,6,393:14;CAD,A/2,P.529:a
٨٨- الشيقل يعادل حوالي ٤, ٨ غم، براجع: رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد (١٩٧٩) ص ٤٠.
89-CH,§215:55;CAD,A/2,P.346
90-CH,§214
91-CH,§216
92-CH,§218
93-CH,§219
94-CH,§220
95-CH,§221
96-CH,§222
97-CH,§223
98-CH,§224
99-CH,§225

المصادر:

1. Alfred,B.,Documents Assyriens relatifs aux presages,Paris(1974).(=Boissier DA).
2. Bottéro,J, ("Lettres DE MUKANNIUM"), ARMT, 13,Paris(1954).
3. Chiera,E. Old Babylonian Contracts, Philadelphia (1922),(=PBS,8/2).
4. Clay,A.T.,Documents from the temple of nippur dated in the reigns of cassite rulers,Philadelphia(1912).(=PBS,Vol.2/2).
5. -----,and Morgan,J.P.,Babylonian records in the library of J. Pierpont morgan,Vol.4,new haven(1923).(=BRM,4).
- 6-Dossin,G.,Archive royales de mari,paris(1951).(=ARM,4).
- 7- Ebeling,E.,Keilschrifttexte aus assur religiosen in halts,Leipzig(1910). (=KAR).
- 8-----, Keilschrifttexte aus assur juristischen inhalts,autographiert von erich ebeling,Leipzig(1927).(=KAJ).
- 9- Figulla,H.H.,and Weidner,E.F.,Keilschrifttexte aus boghazköi,Vol.1, Leipzig(1916).(=KBo,Vol.1).
- 10- Gadd,C.J., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets,&C.in the british museum,CT,41(1941).
- 11-----,and Kramer,S.N.,Literary and religious texts first part, Philadelphia(1963).(=UET,6).
- 12- Gelb,I.,J,and others the Assyrian dictionary,Chicago(1964ff).(=CAD).

- 13- Goetze,A.,A new letter from rameses to hattusilis,JCS,Vol.1 ,No.3 (1947) PP.241-251.
- 14-----,((A new letter from rameses to ḥattušiliš)),JCS,Vol.1 (1947) ,PP.241-251.
- 15- Gurney,O.R.,and others,The sultantepe tablets,London(1957).(=STT).
- 16- Harper,R.F., Assyrian and Babylonian letters,Chicago(1892).(ABL,Part,1).
- 17- Harper,R.F.,Assyrian and Babylonian letters,Chicago(1896).(ABL,Part,3).
- 18-----, Assyrian and Babylonian letters,Chicago(1912).(ABL,Part,11).
- 19-----, The Code of -ammurabi King of Babylon, London(1904) .(=CH).
- 20- **Jean**,C.F., Tell sifr textes cuneiforms conserves au british Museum ,Paris,(1931).(= jean Tell sifr).
- 21- Johns,C.H.W.,Assyrian deeds and documents, Cambridge (1901) .(=ADD).
- 22- King,w., Babylonian boundary stones and memorial-tablets in the british museum,London(1912).(=BBSt).
- 23- Köcher,F, Die babylonisch-assyrische Medizin in Texten und Untersuchungen,Berlin(1963).(=köcher BAM).
- 24- Labat,R., Traite akkadien de diagnostics et prognostics Medicaux ,leiden(1951).(=labat TDP).
- 25- Lacheman,E.R., Miscellaneous Texts from Nuzi,the Palace and Temple Archives, (=HSS,14),Landon(1950).
- 26- Pinches,T.G.,Cuneiform texts from Babylonian tablets,&c.,in the british Museum,London(1899).(=CT,Vol.8).
- 27- Sachs,A.,((Babylonian horoscopes)),JCS,Vol.6(1952),pp.49-75.
- 28- Scheil,V., Annales de Tukulti Ninip II, roi d'Assyrie 889-884,Paris (1909).(=scheil Tn.II).
- 29- Schroeder,O.,Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts .wissenschaftliche veröffentlichung der deutschen orient-gesellschaft 35,Leipzig(1920).(=KAV).
- 30- Smith,s., Cuneiform texts from Babylonian tablets,&c.,in the British Museum, London(1923).(=CT,Vol.37).
- 31- Sjöber,A.W.,((Der vater und sein missratener sohn)),JCS,Vol.25,No.3(1973) ,p.105-169.
- 32- Thompson,R.C., Cuneiform texts from Babylonian tabliets c. in the british Museum, London(1902).(CT,Vol.14).
- 33- Thompson,R.C., Assyrian medical texts, oxford(1923).(=AMT).
- 34- Weidner,E.F, Keilschrifturkunden aus Boghazkoi,vol.3,Berlin(1922)(= KUB,3)



علم العقاقير عند العرب المسلمين

و. لمنة عمير حمزة

الجامعة العراقية-كلية التربية للبنات-قسم التاريخ

المستخلص

يحتل علم العقاقير مركزا اساسياً ومهماً بين العلوم الصيدلانية، ومن الممكن اعتباره من أقدم العلوم التي مارسها الإنسان منذ ان وجدت الخليقة ، ما أن تكونت الحضارات القديمة حتى بدأ الاهتمام والعناية بالعقاقير والأدوية واضحا من اجل توفير العلاجات الضرورية لشفاء الأمراض ، فقد خلفت لنا تلك المجتمعات تراثا طبيا أنتقل الى العرب المسلمين الذين كان لهم الاثر الكبير في وضع اسس علم العقاقير ، لقد اضاف العرب لعلم العقاقير بناءً على تجارب علمية غاية في البراعة مبنية على شروط واضحة ، كما انهم تفننوا في طرق تحضير العقاقير بأطباعهم طرائق مختلفة، كانت نتاجات العرب المسلمين بصناعة العقاقير والأدوية متنوعة الأصناف، أما النتاجات العلمية والتي تشمل مؤلفات ومصنفات العلماء العرب المسلمين المهتمين في هذا المجال ، ومن الجدير بالذكر ان استخدام العقاقير (الأدوية المفردة) من قبل عشابين وصيدلة واطباء (مشاركة واندلسيين) كان كبيرا وواضحا مما نجده من اهتمامهم بتدوين أسماء هذه العقاقير فمؤلفاتهم ومصنفاتهم خير دليل على ذلك والتي غالبتها

كانت في الأدوية المفردة ، والسبب في ذلك انهم كانوا يفضلون استخدام الأدوية المفردة ، ويتجنبون استخدام الأدوية المركبة .
الكلمات المفتاحية : العقاقير، التجربة، النبات، تحضير الدواء، التأليف.

Abstract

Pharmacology occupies a basic and important center among the pharmaceutical sciences, and it is possible to consider it as one of the oldest sciences practiced by man since the creation of creation, as soon as the ancient civilizations were formed until the interest and attention to drugs and medicines began to be evident in order to provide the necessary treatments to cure diseases. These societies left us a legacy. Medically I turn to the Muslim Arabs, who had a great influence in laying the foundations of pharmacology . The Arabs have added to pharmacology based on scientific experiments with a goal of ingenuity based on clear conditions, and they have mastered the methods of preparing drugs with their followers in different ways. The products of the Arab Muslims were in the manufacture of drugs and medicines of various types, as for the scientific products, which include the books and works of interested Arab Muslim scholars In this area . It is worth noting that the use of drugs (single medicines) by herbalists, pharmacists, and doctors (Eastern and Andalusian) was great and clear, which we find from their interest in writing down the names of these drugs. Single drugs, and avoid using combination drugs.

المقدمة

في البدء لأبّد من القول ، ان كلمة "عقار" (بالضم لا بالفتح كما هو شائع) مشتقة من الكلمة العبرية "عقّار" ومعناها " أصول النبات" لأن أساس الأدوية عند الشرقيين كان أصل الأعشاب المستعملة للعلاج ثم ضمنت الادوية الحيوانية والمعدنية (١) .
ويقابل كلمة عقار باليونانية "فارمكون" ، وكانت هذه الكلمة في الأصل تدل عند الشاعر هوميروس (٢) على نوع من الفعل السحري لبعض أعشاب لها لأثر طبي لكنه في نفس الوقت سام فأنزع منها هذا الضرر وأصبحت الكلمة تدل فقط على صفة الشفاء (٣) .

١- قنواطي ، الأب ج. شحاتة ، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، (مصر، دار المعارف ، ١٩٥٩م) ص ١٢ .

٢- هوميروس : من أهم وأقدم الكتاب اليونانيين والرومانيين ، وهو شاعر أغريقي شهير ، وهو كاتب الملحمتين الإلياذة والاولديسة ، قام بتخليد حرب طروادة الشهيرة شعرا بدقة متناهية . ينظر: موقع www.arageek.com

٣- قنواطي ، المرجع نفسه ، ص ١٢ .



يحتل علم العقاقير مركزا اساسياً ومهماً بين العلوم الصيدلانية، ومن الممكن اعتباره من أقدم العلوم التي مارسها الإنسان منذ ان وجدت الخليقة، فمن المعلوم أن النبات سبق الانسان بوجوده على هذه الارض، وقد كان وما يزال المصدر الرئيسي لغذائه، وقد جرته التجارب التي مر بها إلى الأهتمام إلى عدة انواع من النباتات والأعشاب يستعملها عند شعوره بالمرض. وقد تطور الأمر حتى دخل استعمال العقاقير الى مرحلة التطيب منذ قديم الزمان حيث، مارسها قدماء المصريين، وسكان وادي الرافدين، إذ أستفادوا من بعض الأعشاب في معالجة المرضى، واكثر الأهتمام انهم كانوا يستعملونها مفردة دون خلط بعضها ببعض ليكون منها دواء مركبا متعدد الفوائد^(١).

ولما ورث اليونانيون معارف البابليين والمصريين في الاعشاب وتأكدوا بالتجربة من فوائدها في الصحة والمرض، اولوا أمر هذا الموضوع عناية خاصة إذ تطور أستخدام العقاقير على يد اليونانيين نتيجة للتزواج الحضاري بين الفكر اليوناني (الهلنستي) وفكر حضارات العالم العربي القديمة وولادة ما يسمى بالعصر الهلنستي، وصاروا يقتتلون جذورها بحذر واصول حتى لا يفسدوا مفعولها الصحي والشفائي^(٢). وكان أول من اهتم بأمر الأعشاب ودون خصائصها الطيبة ، وفوائدها في علاج الامراض هو ديسقوريدس^(٣) الذي قال عنه جالينوس في مستهل كتابه " الادوية المفردة " " انب تصفحت اربعة عشر مصحفا في الأدوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديوسقوريدس " ^(٤) ونفهم من هذا النص أن الاختصاص في علم مفردات الأدوية كان قد سبق ظهور كتاب جالينوس في هذا الموضوع ثم جاء من بعده بحوالي نصف قرن نقولا الدمشقي صاحب كتاب "النبات"^(٥).

وكان من المتوقع جدا ان يهتم الاعراب بمعرفة طبيعة ما بنبت في صحرائهم من الشجر والاعشاب ، بعد ان افادوا منها عن طريق الصدفة أو التجربة في علاجات حالات الأسهال والامساك وأيقاف النزف الدموي ، وتجفيف العين الرطبة ، أو تخفيف آلام المعدة والضررس ، وبقيت أعشاب الصحراء عندهم في الأستعمال بطريقة بدائية في هذه الحالات المرضية ، حتى ظهور مترجمات الطب اليوناني في القرن الثالث الهجري ثم جاء العلماء العرب اللذين كانت بحوثهم ومؤلفاتهم رائدة في هذا المجال ، ومنهم من تخصص في علم العقاقير وزاد فيه ، فقدموا مؤلفات وبحوث تتصف بالعمق والشمولية

^١- السامرائى ، كمال ، مختصر تاريخ الطب العربى ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥م) ج٢، ص٣٥٢.

^٢- السامرائى ، المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٥٢

^٣- ديسقوريدس : طبيب يوناني عاش (٤٠-٩٠م) تقريبا، ولد في عين زربة في قيليقية حوالي سنة ٤٠م ، درس الطب في الاسكندرية ثم في أثينا حيث تتلمذ على ثيوفراستوس ، أستفاد من رحلاته لتعميق معارفه السريرية والنباتية وأستمد منها لتأليف كتابه يعد أول وصف للأدوية للمزيد ، ينظر: القفطى ، جمال الدين ابى الحسن بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٨م) صص ١٣- ١٥

^٤- ابن أبى اصبيحة ، موفق الدين ابى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحك نزار رضا، (بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ، ١٩٦٥م) ، ص ٥٩

^٥- القفطى ، المصدر نفسه، ص٣٣٦

والدقة حيث توسعوا في تفاصيل استعمالات كل نبتة وما يدخل منها في علاج الامراض المختلفة . منهم على سبيل المثال لا الحصر ابن سينا صاحب كتاب " القانون في الطب" ، والرازي وكتابه "الحاوي في الطب" ، والبيروني وكتاب " الصيدنة في الطب" للبيروني ، وابن البيطار مؤلف كتاب "الجامع لمفردات الاغذية والأدوية" ، وغيرهم من العلماء .

وللوقوف على أبداعات العرب في مجال علم العقاقير سنستعرض في هذا البحث تصنيف العقاقير الطبية ، ونتائج العلماء العرب العملية والعلمية في "علم العقاقير" ، فالنتائج العملية تشمل طرق تحضيرهم للعقار كـ (التنظيف والتصفية ، التجفيف ، الحرق، السحق ، الطبخ، الشوي، القلي ، التحلية، المجاورة ، والتحصير الكيماوي) ، الادوية التي صنعها العرب مثل (السوفوف ، اللعوقات ، الترياق ، الاشيافات، الحبوب ، الجورشنات ، الأشربة) ، أما النتائج العلمية فقد تضمنت أهم مصنعات ومؤلفات العلماء العرب في علم العقاقير ، وذلك بأستعراض تماذج من هؤلاء العلماء وهم (الرازي ، ابن سينا ، موسى بن ميمون ، ابن الرومية ، واخيراً ابن البيطار)وعرض نتاجاتهم العلمية ، ثم وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع .

أولاً : تصنيف العقاقير الطبية

لقد صنف علماء اليونان ومنهم جالينوس العقاقير الى ثلاثة أصناف : غذائية ، وعقاقير سامة ، وعقاقير غير سامة ، ق نقل ابن ربن الطبري (ت٢٤٧هـ) قول جالينوس في هذا الصدد وهو " كل شيء يتربى الناس به هو غذاء ، وكل ما غذى فهو حلو ، وكل شيء يغير الطبيعة فهو دواء، ومن الاذوبة ما هو سم للناس وغذاء للطير مثل الغريبون^(١) فإنه غذاء للزازير ، ومنه ما هو غذاء للناس وسم للدواب التي لا دم لها مثل الزيت فإنه سم للناس " ^(٢).

اما العلماء العرب المسلمون فقد صنفوا العقاقير الى ثلاثة اقسام ايضا ، وكل قسم يضم جملة من اصناف العقاقير، يأتي في مقدمتهم العالم الحسين بن عبدالله المعروف بـ (أبن سينا) (ت ٤٢٨هـ) أشار الى ذلك بقوله "من الأدوية [يقصد العقاقير] بعضها النباتية ، وبعضها الحيوانية ، وبعضها المعدنية ، والمعدنية أفضلها ما كان من المعادن المعروفة" ^(٣). وهنالك أيضا البيروني (ت ٤٤٤هـ)^(٤)، وعبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي (ت ٤٦٧هـ) ، وأبن البيطار(ت ٦٤٦هـ) وغيرهم ، فمثلا ابن وافد الغافقي ذكر أصناف

^١- الغريبون ، صمغ فتاك للمعدة ، يقفل خلال ثلاثة أيام ، ينظر : ابن البيطار، ضياء الدين عبدالله بن احمد المالقي (ت ٦٤٦هـ) ، الجامع لمفردات الادوية والاعذية ،(بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٥٨م) ، ج٣ ، ص٤٣ .

^٢- الطبري، أبو الحسن علي بن سهل (ت ٢٤٧هـ) ، فردوس الحكمة في الطب ، تح: محمد زبير الصديق ، (برلين، د/م ، ١٩٢٨) ، ص٣٣٩ .

^٣- ابن سينا ، الحسين بن عبدالله (ت ٤٢٨هـ) ، القانون في الطب، (بيروت ، د/ت) ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

^٤- البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٤هـ) ، الصيدنة في الطب ، تح: الحكيم محمد سعيد وراتا أحسان ، (باكستان ، مؤسسة همورد الوطنية ، ١٩٧٣م) ، ص٩ .



العقاقير الثلاثة عند حديثه عن محتوى كتابه في المقدمة بقوله " القسم الثاني في قسمة الادوية الثلاثة النباتية ، والحيوانية ، والمعدنية"^(١) م

من خلال أقوال العلماء العرب في أصناف العقاقير تقسم اذن الى:-

١- العقاقير النباتية : وتشمل الجشائش الطبية ، البذور ، الاوراق ، ثمر الشجر ، الأصول ، الصموغ

٢- العقاقير الحيوانية : وتشمل الأدماء (جمع دم) ، الالبان ، البيض ، الافرازات ، المرارات ، الزيل ، فضول الحيوانات) .

٣- العقاقير المعدنية : وتشمل الأرواح مثل الزئبق ، الكبريت ؛ الاجساد كالذهب والحديد ؛ الاحجار مثل اللازورد والفيروز ؛ الزاجات كالشب ؛ والاملاح مثل الملح الهندي^(٢) .

ولما كان علم العقاقير يركز على النواتج الدوائية ضمن العقاقير الطبية ، وغالبا ما يتعامل مع هذه المنتجات بشكلها الاساسي غير المستخلص في الأجزاء النباتية مثلا ضمن الأوراق ، او الاغصان او الجذور) ، لذا كان العشابون يتحققون اي من الاجزاء يكون العقار أفيد ، وكذلك بمواعيد جمع العقاقير نت النباتات وجنيها أو قطفها ، وكيفية ادخالها محتقظة بفوائدها من دون أن يتطرق إليها الفساد ، فمثلا قال ابن سينا " ان المجتني في صفاء الهواء أفضل من المجتني في حالة رطوبة الهواء ، وقرب العهد بالمطر فمثلا عقار (الأثل)^(٣) يجمع في الصيف،وعقار(شقاقل)^(٤) يجب أن تجمع عند الحصاد في اخر الربيع"^(٥) ، كما حددوا الفرق بين النباتات حسي اماكن وجودها ، فهذا ابن ربن الطبري يذكر " ان ما ينبت في الجبال اليابسة كان أقوى مما ينبت في السهل"^(٦)

أما العقاقير الحيوانية والمعدنية ، فالحيوانية يجب ان تؤخذ من الحيوانات الشابة وفي زمان الربيع ، وتختار اصحها اجساما وأتمها أعضاء ، وان ينزع منها ما ينزع بعد الذبح ، ولا يؤخذ من الحيوانات الميتة لإمراض تحدث فيها^(٧) ، اما المعدنية فتؤخذ عند اعتدال الجو، وصحة الهواء وصفاء الجو^(٨) .

^١ - ابن وافد الغافقي ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٦٧ هـ) ، الأدوية المفردة ، ضبطه ووضع حواشيه: احمد حسن بسبيج، الطبعة الأولى، (لبنان ، دار الكتب العلمية ن١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ص٧.

^٢ - ينظر: تبن وافد ، المسدر نفسه ، ص٤٣؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والاعذية ، الاجزاء الاربعة .

^٣ - الأثل : نبات خشن الاوراق ، لازهر له ، له ثمر كالحمص ملتصق في اغصانه ، من فوائده العلاجية اذا طبخ يحسن قوى الكبد ينظر: الانطاكي، داود بن عمر(ت ١٠٠٨ هـ) ، تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب ، (بيروت ، مطبعة الأعلمي ، ٢٠٠٠م) ، ج١، ص٢٢ .

^٤ - شقاقل: نبات له عروق في غلظ السبابة والابهام وعقده بنبت في كل عقدة ورقة ، وله بزر اسود كالحمص من فوائده الطبية : ينفع أوجاع الظهر ، واوجاع الطحال شربا ، ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٣٦ .

^٥ - ابن سينا ، المصدر نفسه ، ج١، ص٦٥ .

^٦ - ابن ربن الطبري ، المصدر نفسه ، ص٤٠ .

^٧ - المجوسي ، علي بن عباس (ت ٣٧٢ هـ) ، الكامل في الصناعة الطبية ، (مصر، د/م ، ٢٠١٤م) ص ٢١٧ .

^٨ - الانطاكي ، تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب ، ص٣٣ .

كما قسموا العقاقير الطبية المفردة إلى أربع درجات : دواء مفرد من الدرجة الاولى لا يؤثر في البدن تأثير ملموس ، ودواء مفرد من الدرجة الثانية (يؤثر ولا يضر) ، ودواء مفرد من الدرجة الثالثة (يضر ولا يبلغ) ، ودواء مفرد من الدرجة الرابعة.^(١)

فالبايونج مثلاً حار جاف يأخذ صفة النار في الدرجة الثانية^(٢) ، والقرع بارد رطب في الثانية يجمع الحرارة^(٣) ، والقرنفل حار يابس في الثالثة^(٤) .
وصنفوها أيضا بحسب تأثيرها في الجسم الى عدة مجموعات وأعطوا لكل مجموعة منها أسما تبعاً لتأثيراتها ، فمنها الأدوية الملطفة (المليئة) ، والمرخية، المنضجة ، الهاضمة ، كاسرة الرياح في البطن، المخدرة ، المحرقة ، المدرة ، المقيئة.^(٥)

وكان الأطباء العرب يفضلون استخدام الأدوية المفردة على الأدوية المركبة ، وهذا ما دعى اليه الطبيب الصيدلي علي بن عباس المجوسي (ت ٣٧٥هـ) حين قال : "أن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف فلا تعالج بدواء قوي مركب ، ولا تستعمل الادوية المجهولة"^(٦) ، وقال الطبيب الصيدلاني أقتصر داود بن عمر الانطاكي (ت ١٠٠٨هـ): "لا يعدل الى مفردين ما امكن العلاج بواحد"^(٧) ، فإن لم ينفع العلاج بالأدوية المفردة فآللجوء الى الادوية المركبة.وقد وضح اطباء الاندلس سبب ادعوتهم الى استخدام الأدوية المركبة ، فهذا الطبيب الصيدلاني أبين وافد الغافقي أكد أن اللجوء الى الدواء المركب لا يكون الا في حالة الاضطرار اذ قال " اضطر الى الدواء المركب منها لم يكن في التركيب بل أقتصر على الأقل ما يمكنه منه"^(٨) ، أما الطبيب الصيدلاني علي بن الحزم القرشي المعروف بأبن النفيس (ت ٦٨٨هـ) فبذكر أن سبب اللجوء الى الدواء المركب يكون اما في حالة كسر قوة الدواء المفرد او اضعافها فانلا : "أنا لا نؤثر على الدواء المفرد دواء مركبا اذا تم الغرض بالمفرد ، ولكننا قد نضطر الى المركب تارة لتقوية قوة الدواء ، وتارة لأضعافها"^(٩) .

^١ - ينظر: البيروني ، المصدر نفسه ، ص ٧

^٢ - البيروني ، المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

^٣ - المصدر نفسه، ص ٧٥

^٤ - المصدر نفسه ، ٨٣

^٥ - ابن سينا، المصدر نفسه، ج ١- صص ٢٣٢٣٦

^٦ - الكامل في الصناعة الطبية ، ص ٤٧ .

^٧ - تذكرة اولي الالباب والجامع للهبج العجاب ، ص ٣١ .

^٨ - ابن وافد الغافقي ، الادوية المفردة ، ص ٥٦

^٩ - ابن النفيس ، علي بن الحزم القرشي (ت ٦٦٨هـ) ، المهذب في الكحل المجرب، تج: محمد ظاهر الوفاي وآخرون ، (الدار البيضاء ، مطبعة التجاح الجديدة ، ١٩٨٨م)، ص ٢٠ .



ومن الجدير بالذكر ان استخدام العقاقير (الادوية المفردة) من قبل عشائين وصيدالة واطباء (مشاركة واندلسيين) كان كبيراً وواضحاً مما نجد من أهتمامهم بتدوين أسماء هذه العققير فمؤلفاتهم ومصنفاتهم خير دليل على ذلك فهذا أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٤هـ) ذكر (١٠٣٦) عقار في كتابه "الصيدنة في الطب" الصيدلاني ابن وافد سجل اسم (١٤٤) عقار في كتابه "الادوية المفردة" ، كما نجد العشاب ابن الرومية أحمد بن مفرج (ت ٦٣٧هـ) فقد عرفنا على (٨٦) عقار^(١) ، والعشاب ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) الذي اعطانا سجلاً شاملاً عن الأدوية المفردة ضمه كتابه "الجامع لمفردات الادوية والاغذية" فقد ذكر (١٤٠٠) عقار منها (٣٠٠) عقار جديد .

ثانياً : طرق تحضير الدواء من العقاقير المفردة

سجل صيدالة واطباء العرب عدة عمليات لأعداد الدواء وجعله صالحاً للعلاج تمر بها العقاقير الطبية الخام، ومن هذه العمليات :

١- التنظيف والتصفية

وعى اولى العمليات التي يلجا إليها الصيدلي في عملية تحضير الدواء للتخلص من الشوائب والأتربة والغبار عن طريق غسلها بالماء^(٢) . كما أن بعض المواد الأولية التي يتألف منها الدواء ذات حرارة عالية كالنورة (الجبر) فيستفاد من عملية الغسل في تبريده وابقائها معتدلة^(٣) ، ويحتاج لعملية الغسل لتصغير بعض اجزاء العقاقير وتصفيتها وتهيتها للسحق كغسل التوتيا بالماء^(٤) .

وهناك عدة وسائل استخدمت في عملية التنظيف والتصفية منها :

أ - طريقة الغرايبيل والمناخل^(٥) .

ب - التقطير: طريقة يستعملها الصيدلي في حالتي تحضير الدواء والأستدلال عليه اكد ذلك ان الأنطاكي قانلاً: "والتقطير يعد أحسن طريقة لتحضير الأدوية أو التخلص من الشوائب التي لا يمكن التخلص منها بالطرق الاعتيادية"^(٦) . وكان يستخدم في التقطير اجهزة معينة مثل القرعة والانبيق ذكر ذلك الأنطاكي بقوله "إنا اذا جهلنا مزاج مفردة وضعما منه قدرا في القرعة وركبنا الانبيق

^١- ينظر : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية .

^٢- ابن البيطار ، ضياء الدين عبدالله بن احمد المالقي (ت ٦٤٦هـ) ، الدرر البهية في منافع الابدان الانسانية ، نج: محمد عبدالله الغزالي ، (دمشق، د/م ، ١٩٥٩م) ، ص ٢٧ .

^٣- ابن سينا، القانون في الطب ، ج ٣ ، ص ٣٣٨

^٤- ابن سينا، القانون في الطب ، ج ٣ ، ص ٣٣٨

^٥- الانطاكي ، تذكرة اولى الابواب والجامع للعجب العجاب ، ص ٢٥ .

^٦- المصدر نفسه ، ص ٢٥

وأستطرقناه فيسيل منه بالضرورة جزء زبدي ، ويتخلف آخر ،
ويصعد اخر" (١).

٢- التجفيف :

تستخدم هذه الطريقة لأزالة الرطوبة العالقة بالمادة الأولية . العقاقير الخام) ، لا سيما الأجزاء المباتية التي تفسدها الرطوبة ، ونكون عملية التجفيف بعد تنظيف العقاقير من طينها(٢). وقد أثبتت التجارب أن أفضل طريقة للتجفيف تكون في الشمس لمدة يوم كامل ثم في الظل اليوم الثاني وهكذا يتم التبادل بين الحرارة والظل حتى يجف العشب بصورة بطيئة وتدرجية والغرض من هذه الطريقة هو عدم الاضرار بالزيوت الطيارة والمواد الفعالة في النبات (٣).

فمن النباتات التي يستفاد منها بعد التجفيف شجرة السبستيان لها جب كحب الزيتون يجمع ويجفف ويستعمل زبيبا ، له فوائد عظيمة نافعة لحرقة من لدغ الصفراء في الكلى (٤)، وايضا وايضا نبات قافلة الذي يعد من الأفاوية العطرية وهو حب اكبر من النبق من فوائده اذا جففت وسحقت وشربت نفعت أستطلاق البطن (٥).

٣- الحرق :

طريقة يستخدمها الصيدلي من أجل الحصول على المادة الفعالة التي يريدتها في العقار مثال على ذلك حرق الاملاح المختلفة للحصول على القلي ، والقلي شب يؤخذ من الملح ينفع من البهق والجروح وينفع من الجرب (٦).

٤- السحق :

عملية بسيطة يلجأ إليها الصيدلي في تحضير الأدوية ، بان يؤخذ العقار ويضرب بالهاون ألا ان يصبح مسحوقا، مع الحفاظ على مفعوله الدوائي ، وضح ابن سينا ذلك قائلا : " ليس كلما صغر الجرم حفظ قوته بقدره وعلى نسبة صغره ، بل يجوز أن يبلغ النقص بالجسم إلى حد لا يفعل من فعله

١- المصدر نفسه ، ص ٢٨

٢- الهاروني ، داود بن النصر المعروف بـ (كوهين العطار) (كان حيا سنة ٦٥٨هـ) ، منهاج الدكان ودرنور الأعيان في اكمال تراكيب الأدوية النافعة للأبدان ، (القاهرة ، د/م ، ١٣٠٥هـ) ، ٢٥ .

٣- ابن وافد ، الادوية المفردة ، ص ٤٠ .

٤- ابن البيطار ، ضياء الدين عبدالله بن احمد المالقي (ت ٦٤٦هـ) ، الجامع لمفردات الادوية والأغذية ، (بغداد ، مكتبة المشي، ١٩٥٨م) ، ج ٣ ، ص ٤١ .

٥- المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤ .

٦- الأتطاكي ، المصدر نفسه ، ص ٤ .



الذى بخصه شيء " (١) . مثل السقمونيا يجب ان تسحق بغاية الرفق كي لا ينالها حرارة مفسدة تبطل مفعولها العلاجي (٢) .

٥- الطبخ :

الكثير من العقاقير المستخدمة في تحضير الأدوية لا ترسل مفعولها العلاجي الا في الطبخ ، مع مراعاة درجات الحرارة (٣) ، فهذا الطبيب الصيدلاني امية بن عبد العزيز المعروف بـ (ابن ابي الصلت) (ت ٥٣٩هـ) نقل عنه عند ذكره (السنامكي) قال: " هو نبات الذي يتداوى به من المرة الصفراء ، والبلغم ، ويغوص إلى أعماق الأعضاء لذلك ينفع من النقرس وعرق النسا ووجع المفاصل والشربة منه في المطبوخ اربعة دراهم إلى سبعة دراهم " (٤) .

٦- التحضير الكيماوي :

للحصول على بعض المركبات يلجا الى طريقة التحضير الكيماوي مثال على ذلك : الزنجار توضع صفائح النحاس في الخل مدة طويلة حتى يتحول الى محلول اخضر اللون ، ويحضر الأسفيداج من معاملة الرصاص بالخل حيث يحصل على خلات الرصاص (٥) .

ومن الجدير بالأشارة هنالك طرق أخرى يلجا اليها العشابون والصيدالة في تحضير العقاقير المفردة للحصول على أدوية نافعة مثل : الشوي والقلي ، والتحلية وغيرها .

ثالثا: الأدوية المصنعة من العقاقير المفردة (الادوية المركبة)

الادوية المركبة مزيج من دوائين مفردين أو اكثر ، تصنع على اشكال مختلفة تدخل في المجموعات التالية :

١- السفوفات : تعني العقاقير المسحوقة مفردة أو مركبة ، وتعد من اقدم التراكيب اليونانية التي وردت في الأقراباذينات والتي تعني تركيب الأدوية المفردة وقوانينها (٦) ، نقل عن ديسقوريدس قوله: " كان أبقرات يسحق الإودية ويأمر باستعمالها" (٧) ، مثلا (سفوف الكمون) سجله ابن البيطار " إذا نفع الكمون بالخل وجفف وسحق واخذ سفوفا قطع شهوة الاكل" (٨) .

١- القاتون في الطب ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

٣- ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والاعذية ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

٤- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

٥- المصدر نفسه ج ١ ، ص ٣١ .

٦- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٨هـ) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، د/

ت) ج ١ ، ص ١٣٨ ،

٧- الانطاكي ، تذكرة أولي الالبلب والجامع للعجب العجاب ، ص ٢٠٨ .

٨- الدرر البهية ، ص ٣١ .

الجورشنات : وهي خليط من الأدوية التي تساعد على الهضم وتقوي القلب ، وهي من الأدوية التي لم يحكم سحقها ، وتطرح على نار هادئة شرط تقطيعها رقاقا^(١) أغلب محتوياتها البهارات العطرية كالزنجبيل والأفاوية تعجن بالعسل غالبا لأصلاح المعدة ، وتحليل الرياح الغليظة من البطن ، ويحلل اوجاع القولون من الرياح^(٢) .

٢- اللعوقات : من الأدوية المركبة التي تعلق باللسان^(٣) ، تصنع غالبا بخلط مساحيق العقاقير بالعسل والسكر، وهي تؤخذ بالفم وتحبس فيه ، ويصل منها شيء بعد شيء الى الرئة لتخفيف الكحة وعلاجها ، وعلاج اوجاع الصدر^(٤) ومن اللعوقات التي صنعها صيادلة واطباء العرب على سبيل المثال " لعوق ضيق النفس" والذي تكون طريقة عمله نقلاً عن الطبيب الصيدلاني ابن سينا " بأن يؤخذ كزبرة خضراء ، وعناب خمسون حبة يمرس ويصفى ويحل عليه سكر أبيض رطل، ، وربع عسل ، وربع فانيد ، يوضع الجميع على النار ، وعند نزولها من النار يضرب فيه السوس وصبغ عربي ، رشه من كل واحدة درهم ، يخلط المخلوط خلطاً جيد ويستعمل لعقاً"^(٥)

٣- الأقراص (الحبوب) : اجسام كروية جامدة تصنع من عجينة بها مواد طبية ثم تجفف في الظل ، يقول الطبيب الصيدلاني الزهراوي (ت ٤٠٠هـ) " أن الأقراص اكثر ثباتا من السوفوفات ، واكثر نفعا واسهل في الاستعمال اثناء السفر وفي المنزل"^(٦) ، ويذكر احد الباحثين أن الطبيب الزهراوي أدخل الأقراص المكبوسة وذلك بضغط الهجينة في قوالب خاصة تحمل اسماء الأقراص^(٧) .

٤- الأشيافات : تستعمل لأمراض العين ، تعجن وتقطع الى أشكال مستطيلة وتجفف في الظل وتستعمل محكوكا^(٨) ، وهي على أنواع منها " أشياف بيضاء بيضاء تنفع للرمد والقروح ، وأشياف حمراء تنفع لخشونة الأجفان والجرب ويقايا الرمد والحكة ، وأشياف صفراء تنفع من الرطوبة ، وأشياف خضراء تنفع من ثقل الأجفان وأثار القروح والبياض"^(٩) .

١- الهاروني ، منهاج الدكان ودستور الأعيان ، ص ٣٧١

٢- ابن سينا القانون في الطب ، ج٣ ، ص ٣١٦

٣- الهاروني ، تامصدر نفسه ، ص ٢٤٦

٤- ابن سينا ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٦١ .

٥- ابن سينا ، القانون في الطب ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ،

٦- أبو القاسم خلف بن عباس (ت ٤٠٠هـ) ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، مخطوطة محفظة في مكتبة مركز احياء

التراث العلمي العربي ، يبداد تحت رقم ٢٢ ، ورقة ١٠ .

٧- حميدان ، زهير ، اعلام الحضارة العربية الاسلامية (دمشق، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٩٦م) ، ص ١٥٥ .

٨- الغساني ، يوسف بن عمر(ت ٦٩٤هـ) ، المعتمد في الادوية المفردة ، صححه وفهرسه : مصطفى السقا الطبعة الثالثة ،

(بيروت ، دار الكتب العلمية ، د/ت ٩ ، ص ٥٦ ،

٩- ابن هبل ، مهذب الدين علي بن احمد (ت ٦٠١هـ) ، المختارات في الطب ، (الهند ، حيدر اباد ، دائرة المعارف العثمانية

١٩٧١ ، ١٢٩ ،



- فمثلاً ذكر الغساني طريقة عمل أشياف لعلاج الرمد " بأن يؤخذ أسفيداج الرصاص مغسول ... ، وصمغ عربي ، زانزورت ، وافيون ، ويسحق الجميع ويعجن ببياض البيض ، ويشيف ويجفف في الظل ويستعمل" (١) .
- ٥- الترياق : ينفع الترياق من سموم الحيوانات ، وينفع أيضا من الوباء والصرع ونفث الدم ، كما له خاصية تقوية الأعضاء والحواس (٢) ، والترياق يتم تركيبه من عشرات المفردات الدوائية ، كل القدماء يعتقدون ان المداومة على تناوله ينفع في حفظ الصحة وأزالة المرض من شر السموم (٣) . ومن الترياقات " الترياق الفاروق " الذي وصفه ابن سينا قائلاً " من أجل الأدوية المركبة وافضلها لكثرة منافعه وخصوصا السموم من النواهش كالحيات والعقارب والسموم المشروبة ، ومن الصرع والرعشه والجذام يتألف من عشرات العقاقير الخام " (٤)
- ٦- الأشربة : مفراها (شراب) سوائل اساسها السكر والماء وبها مواد علاجية وقد أعطانا العشابين والصيدالة أمثلة كثيرة منهم ابن البيطار أذ قال " نبات انيسون إذا عقد منه شراب بالسكر يقطع العطش البلغمي " (٥) ، والطبيب سفيان الاندلسي الذي قال " الكرفس إذا شربت عصارته بعد التصفية مضاف عليه السكر نفعت من العطش المتولد عن بلغم مالح في المعدة ويسكن أوجاعها " (٦)

رابعاً : النتاجات العلمية للعلماء العرب في علم العقاقير

الحق ان علم العقاقير من العلوم التي جذبت أنتباه علماء المسلمين ، فأستطاعوا أن يميزوا عصر حضارتهم بأعتبارة أول عصر من عصور الحضارة عُرفت فيه المركبات الدوائية ، فقد أضافوا الى الأدوية التي كانت معروفة قبلهم مركبات عديدة من اختراعهم ، وألفوا أول كتب في العقاقير كما ذكرنا سابقا ، عرف العلماء العرب (عشابين ، صيادلة، أطباء) علم العقاقير وأخذوه في بداياتهم له عن اليونان ، حيث اعتنوا بكتاب (الحشائش) (الأدوية المفردة) الذي وضعه ديسقوريدس ، وترجموه عدة مرات : أشهرها اثنتان ، ترجمة حنين بن اسحاق في بغداد (٧) ، وترجمة ابي عبدالله الصقلي في قرطبة (٨) . وفي وقت لاحق قام العشابون والصيدالة المسلمون بفضل خبرتهم

١- المعتمد في الأدوية المفردة ، ص ٤١٢

٢- ابن هبل ، المختارات في الطب ، ٢١٦

٣- ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٢ ، ص ٣٠٠

٤- المصدر نفسه، ج ٢ ، ص ٢١٠

٥- الجامع لمفردات للأدوية والاعذية ، ج ١ ، ص ٦٠

٦- المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٥٥

٧- ابن أبي أصيبعة، عيون الأتباء في طبقات الاطباء، ص ٢٦٢

٨- ابن جلجل ، ابو داود سلمان بن حسان (ت ٣٧٧هـ) ، طبقات الاطباء والحكماء ، نح: فؤاد السيد ، (القاهرة ، مطبعة

المعهد الفرنسي للدراس الشرقية ، ١٩٥٥م) ، ص ٩٢

وممارساتهم بالزيادة على هذا الكتاب واستدراك ما فات ديسقوريدس ، ومن ثم التأليف والتصنيف بغزارة في علم الصيدلة وعلم النبات . وكان من ذلك "معجم النبات" لابي حنيفة الدينوري ، و "الفلاحة النبطية" لابن وحشية ، و " الفلاحة" فقد استفاد المصنفون في علم الادوية كثيرا من هذه الكتب وأمثالها .

وقد جرت بعض المحاولات لعلماء المسلمين للأستفادة من الأعشاب المحلية ، كان من بينها تصنيف ما يشبه المعاجم على هيئة جداول ، تحتوي على أسماء النباتات المختلفة باللغات العربية واليونانية والسريانية والفارسية ، والبربرية ، وتشرح اسماء الأدوية المفردة ، ومن المحاولات التطبيقية في هذا المجال ما قام به رشيد الدين الصوري ^(١)، الذي كان يخرج الى المواضع التي بها النباتات يرافقه رسام فيشاهد النبات ويسجله ، ثم يُريه للرسام في الرسام في المرة الاولى وهو في طور الأنبات ، او لا يزال غصنا ، ثم يُريه إياه في المرة الثانية بعد اكتماله وظهور بذره ، وفي الثالثة بعد نضجه ويبيسه ، ويقوم الرسام بتصويره في جميع هذه الاطوار ^(٢)

ولعل من أبرز العلماء العرب ومآثرهم وجهودهم في هذا المجال نذكر منهم:

١- أبو بكر الرازي (٣٢٠هـ) :

محمد بن زكريا الملقب بـ"جالينوس العرب"، ولد في الري ^(٣) ، شغف في بداية حياته بالموسيقى وكان يعزف على العود بمهارة ، ثم أنكب على دراسة الفلسفة وألف فيها كتبا عديدة ، بعدها توجه الى دراسة الطب حتى أصبح من اعلم أطباء عصره وأمهرهم ، وقد أثار اهتمامه بالطب تردده على البيمارستان والتحدث مع كبار صيادلتها وأطبائها ومعاينة المرضى ، وقد وصف ابن أبي أصيبعة نقلا عن البيروني هذا النشاط خير وصف حين قال عنه: " وكان دائم الدرس شديدا لاتباعه ، يضع سراجة في مشكاة على حائط يواجهه ، مسنداً كتابه إليه ، وإذا غلب علي النعاس سقط الكتاب من يديه فأيقظه ليعود إلى ما هو عليه " ^(٤) ، وأضاف ابن أبي اصيبعة نقلا عن احد معاصريه " لم يكن يفارق المدارج وما دخلت عليه قط إلا ورايته ينسخ إما يسود أو يبيض " ^(٥)

^١- أبو رشيد الصوري : هو رشيد الدين بن ابي الفضل بن علي ، عالم بالنبات والطب ، صحب الملك العادل الأيوبي ، ولد في مدينة صور وتوفي بدمشق سنة ٦٣٩هـ ، انظر: الصفي، صلاح الدين بن ابيك (ت ٧٩٤هـ) ، الوافي بالوفيات ،

أعتناء: يوسف نجم ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١) ، ج١٤ ، ص ٨٤ .

^٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الأطباء ، ص ٥٩٣

^٣ المصدر نفسه ، ص ٤١٤

^٤- المصدر نفسه ، ص ٤١٦

^٥- المصدر نفسه ، ٤١٦



أما أشهر مؤلفاته المبتكرة في ميدان العقاقير، كان كتاب "سر الاسرار" ويشتمل على ثلاثة أبواب : معرفة العقاقير ، ومعرفة الآلات ، ومعرفة التدابير

أما معرفة العقاقير تنصب على معرفة انواعها الثلاث : وهي الترابية ، النباتية ، والحيوانية .

الترابية وتشمل

- الأرواح كالزئبق ، النوشادر،الزرانخ .
- والأجساد كالذهب والفضة ، والنحاس
- اللازورد كالفيروزج،والشاذنج
- الزاجات كالزاح الاسود ، والشبوب
- لأملاح كالملاح الطيب ، والملاح المر

أما معرفة الآلات يقصد بها الآلات التي تستعمل لتحضير العقاقير فهي نوعان : نوع لتذويب الأجساد ، والأخر لتدبير العقاقير .

وتدبير العقاقير يتم بالعمليات التي كانت تستعمل في تحضير العقاقير : كالتنظيف : والتصفية ، والسحق وغيرها ، والتي أشرنا إليها آتفا (١) .

أبن سينا

هو علي بن الحسين المعروف بـ (أبن سينا) ، ولد في مدينة آفشة بالقرب من بخارى ، وقد أبدى منذ طفولته استعداداً مدهشاً للتعليم ، فحصل معظم علوم عصره وهو لم يبلغ الثانية عشرة (٢) كالفلسفة والطب ، فمثلا تحدث هو عن براءته في علم الطب قائلاً: " ثم رغبت في علم الطب وصرتُ أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أن برزت فيه في أقل مدة ، حتى بدا فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب ، وتعهدتُ المرضى فأنفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتسبة من التجربة ما لا يوصف ... وأنا في هذا الوقت من أبناء ستة عشر سنة " (٣) .

وكان الكتاب الأساسي الذي ألفه في الطب هو " القانون في الطب" ، وهو أكبر موسوعة طبية وصلت إلينا من القرون الوسطى ، ويشتمل على خمسة اجزاء ، منها الجزء الثاني والخامس ، في الجزء الثاني يدرس ابن سينا المفردات الطبية أو الادوية المفردة الغير المركبة وهما قسمان :

القسم الأول درس ما هية الدواء ومفعولة وطريقة حفظه ، مثبتة بالواح

وضعها ابن سينا مبين فيها أثر كل دواء على كل عضو .

والقسم الثاني : يحتوي على المفردات نفسها مرتبة ترتيبا ابجديا

اما الجزء الخامس ذكر ابن سينا الأدوية المركبة المجربة في مرض.

١- الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ت٠ ٣٢٠هـ ، سر الاسرار في الطب والكيمياء ، (بيروت ، دارالكتب العلمية ، د/ت) ، صص ١٨ - ٢٥

٢- أبن أبي اصبيعة ، عيون الانبياء في طبقات الأطباء ، س ٣٤٧ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٤٣٨

٢- ابن ميمون (ت ٦٠١هـ)

ابو عمران موسى بن عبدالله المعروف بأبن ميمون القرطبي أو الاسرائيلي ، ولد في قرطبة سنة ٥٢٩هـ ، وكان والده عالماً مشهوراً ، تتلمذ أبن ميمون على يديه (١) ، وبعد دخول الموحدين الى قرطبة رحل الى مراكش ، وأثناء تنقلاته لم يتوقف ابن ميمون عن تحصيل العلوم فألى جانب تفقهه بالديانة الأسرائيلية، درس أرسطو ومفسريه من اليونانيين والعرب ، كما أنه درس الكتب الطبية لأبقراط وجالينوس والرازي وأبن سينا وغيرهم من الأطباء (٢) . و ألف فيه كتباً كثيرة ، فمن مؤلفاته الخاصة بالعقاقير " شرح أسماء العقار " ، وقد وضح أبن ميمون القصد الذي من أجله ألف المقالة إذ قال :

" قصدي في هذه المقالة شرح أسماء العقاقير الموجودة في ازمنتنا ، المعروفة عندنا، المستعملة في صناعة الطب ، في هذه الكتب الموجودة لدينا، ولا اذكر من الأدوية المعروفة إلا ما ترادفت عليه أسماء اكثر من واحد إما بحسب اختلاف اللغات أو بحسب اللغة الواحدة لأن الدواء الواحد قد يكون له أسماء كثيرة عند أهل اللغة " (٣) وقد رتب أسماء الأدوية طبقاً لترتيب الحروف الابجدية .

٣- ابن الرومية (ت ٦٣٧هـ)

ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج بن عبدالله بت ابي الخليل الأموي الأشبيلي المعروف بابن الرومية والمشتهر بـ(العشاب) ، ولد في مدينة اشبيلية سنة ٥٦١هـ ، نشأ وتعلم على في بيئة علمية إذ تعلم على يد أبيه وجده ، كما اخذ الحديث والفلسفة والطب على يد جماعة من الأئمة (٤) . كما فاق أهل زمانه في معرفة النبات ، وقعد في دكانه لبيعه ، قال عنه ابن الأبار " وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ، ولم أخذ عنه ، ولم أستجزه ، وسمع منه جل أصحابنا " (٥)

إذاً أجمع عند أبو العباس النباتي علمان انفرد بهما ، ثل أن اجتمعا عند غيره من قبل وهما علم الحديث وعلم النبات ، وقد رحل في طلبهما ،

١- القفطي ، ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٣٩٥

٢- القفطي ، المصدر نفسه ، ص ٣٩٦

٣- القرطبي ، أبي عمران موسى بن عبيدالله الاسرائيلي ت ٦٠١هـ) ، شرح اسماء العقائر ، نشره وصححه وراجعاه:

ماكس مايرهوف ، (بغداد ، كتبة المثنى ، ١٩٦٤م) ص ٥

٤- كالفقيه علي بن حزم القرطبي ، وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرسيني ، وأبن العطار وسمع من أبن زرقون أبي الحسين ، وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر الاحاديث ومن الموصل من الحافظ أبي القوت السجزي وابي الفتح أبن البطي وغيرهم ينظر الذهبي، محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، تذكرة الحفاظ ،(حيدر اباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٨هـ) ، ج٢ ، ص ١٤٢٦ .

٥- ابن الأبار ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت ٦٥٨هـ) ، التكملة لكتاب الصلة ، عنب بنشره وصححه : عزت العطار القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والتشتر ، ١٩٥٦م) ، ج١ ، ص ١٢١



فزار مصر والشام والحجاز ، وأقام في كل منهما زمناً يأخذ عن شيوخهم علم الحديث ويبحث في منابها عن الاعشاب (١) ، وتتلذذ على يديه الكثير من طلاب العلم والشريعة والعلوم الطبيعية وخاصة علم النبات مثل العالم ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) الذي ورث عن ابو العباس بن الرومية طريقة البحث (٢)

- وفيما يخص علم النبات ، له فيها تصنيف مفيدة ، نافعة وهي :
- الرحلة النباتية ، ألفها بعد عودته من رحلته الى المشرق ودون فيه نتائج رحلاته ومشاهداته ، وهذا الكتاب مفقود ولكنه نقل منه الكثير ، لا سيما تلميذه ابن البيطار في كتابه " الجامع لمفردات الادوية والاعذية" ، وقد أضاف أبو العباس أصنافاً جديدة في علم النبات التي أكتشفها خلال رحلته وبلغ عددها عشرون نباتاً من مجموع سبعة وتسعين وردت في كتاب ابن البيطار المذكور أعلاه.
 - تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس
 - شرح حشائش ديسقوريدس وادوية جالينوس والتنبيه على أوهام ترجمتها
 - رسالة في تركيب الأدوية
 - التنبيه على أغلاط الغافقي في أدويته (٣) .
- ٤- ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ)

ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد ، ولد في الأندلس بمدينة مالقة وتلقى تعليمه عن أبي العباس بن الرومية ، رحل الى الشرق وجاب أفريقيا واسيا ، ثم أستوطن مصر حيث عينه السلطان الكامل رئيساً للعشابين ، ولما مات السلطان ذهب ابن البيطار الى سوريا وأقام في دمشق حيث توفي سنة ٦٤٦هـ (٤)

ومن أبرز مؤلفات ابن البيطار في مجال علم النبات والعقاقير الطبية فكانت "

- لأبن البيطار مؤلف شهير عُد اكبر موسوعة خاصة بالأدوية المفردة وصلت إلينا من القرون الوسطى وهي كتاب " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" ، ويشتمل الكتاب على أكثر من (١٥٠٠) عقار يذكر ابن البيطار أمام كل واحدة منها النص المقابل لديسقوريدس وجالينيوس أولاً ، ثم يدلي بما ورد في هذا الصدد عن علماء العرب في القرون الأولى للإسلام . ثم يضيف نصوص أخرى ، وقد وصل عدد الأصناف التي أضافها العرب ولم تكن معروفة عند اليونانيين أربعمئة مادة طبية .

١- ابن ابي اصيبعة ، غيون الاتباء في طبقات الاطباء ، ص ٥٣٨

٢- ابن ابي اصيبعة ، المصدر نفسه ، ص ٥٣٨

٣- المصدر نفسه ، ص ٥٣٨

٤- المصدر نفسه ، ص ٦٠١

- كتاب المغني في الأدوية المفردة ، وهو كتاب يعتبر بالمرتبة الثانية بعد كتاب الجامع لأهميته ، حيث رتب فيه ابن البيطار الادوية التي تعالج كل عضو من أعضاء جسم الإنسان بشكل مفصل وبسيط ، وشرح فيها كافة الأدوية الضرورية للأطباء في علاجاتهم .
- كتاب الغبانة والغلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام ، حيث شرح فيه الأدوية المذكورة في كتاب ديسقوريدس ، الخاصة بالنبات والحيوان^(١)

الخاتمة

أما اهم الاستنتاجات التي يمكن أن نسلط الضوء عليها بموضوع بحث " علم العقاقير عند العرب المسلمين "

- ١- يعد علم العقاقير من أقدم العلوم ، وذلك لان العقاقير قد ظهرت كأقدم طريقة يعالج بها الانسان جروحه قبل أن يفكر في تشخيص مرضه ، حيث كانت الغريزة أو الصدفة الطريقة التي أستدل بها ان ورقة ما او عشب ما او اي جزء من شجرة هي السبب في ايقاف نزفه أو تضميد جراحه .
- ٢- لقد أستخدم الانسان العقاقير من مواردها الثلاث : النباتية ، الحيوانية ، والمعدنية ، ولكن المصدر النباتي طغى على بقية الموارد نظرا لأستعمالة بكثرة
- ٣- ما أن تكونت الحضارات القديمة حتى بدأ الاهتمام والعناية بالعقاقير والأدوية واضحا من اجل توفير العلاجات الضرورية لشفاء الأمراض ، فقد خلفت لنا تلك المجتمعات تراثا طبيا أنتقل الى العرب المسلمين الذين كان لهم الاثر الكبير في وضع اسس علم العقاقير
- ٤- لقد اضاف العرب لعلم العقاقير بناء على تجارب علمية غاية في البراعة مبنية على شروط واضحة ، كما انهم تفننوا في طرق تحضير العقاقير بأتباعهم طرق مختلفة ك (التنظيف والتصفية ، التجفيف ، الحرق ، السحق ، الطبخ ، الشوي، القلي،التحلية، المجاورة ، والتحضير الكيماوي) .
- ٥- كانت نتاجات العرب المسلمين بصناعة العقاقير والأدوية متنوعة في أصناف هذة ك(السفوف ، اللعوقات ، الترياق ، الاشيفات، الحبوب ، الجورشنات ، المرهم ، الأشربة) .
- ٦- أما النتاجات العلمية والتي تشمل مؤلفات ومصنفات العلماء العرب المسلمين المهتمين في هذا المجال ، ووجدنا أن غالبتها كانت في الأدوية المفردة والمركبة ، يأستثناء علماء الاندلس اللذين غلب عليهم الاهتمام بالأدوية

^١- ابن ابي اصيبعة ،المصدر نفسه ، ص ٦٠١



المفردة والسبب في ذلك انهم كانوا يفضلون استخدام الأدوية المفردة ،
ويتجنبون استخدام الأدوية المركبة .
بعد هذا كله لا يصح الا أن نقول أن الجهود التي بذلوها العلماء العرب المسلمين
وننتاجاتهم العملية والعلمية كانت اصيلة وكثيرة ، وانها ساهمت بشكل مباشر بتطوير
علم الصيدلة خاصة والطب عامة .

ابن الامشاطي

مظفر الدين ابو الثناء محمود بن أحمد بن
حسن العنتابي، القاهري، الحنفي (٩٠٢هـ)
(الطبيب والفقير) نظرة إنصاف وإستكشاف

و. شريف علي الأنصاري

كبير باحثين بمركز المخطوطات في مكتبة الإسكندرية

ملخص

مظفر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل العينتابي، القاهري، الحنفي، المعروف بابن الأمشاطي؛ ولد في حدود سنة ٨١٢ هجرية (١٤٠٩ م)، بالقاهرة المحروسة وبها نشأ، وتوفي في شهر ربيع الأول بالقاهرة سنة ٩٠٢ هجرية (١٤٩٦ م)، وبها دفن.

أسفاره؛ زار دمشق مرات، وحج، وجاور مدة، وتقدم في الصنائع والفنون، واعتنى بالسباحة ورمي النشاب والرمي بالمدافع، ورابط في بعض الثغور، وسافر للجهاد. تعلم الطب وعمل به حتى صار رئيس الأطباء، ودرسه بجامع طولون والمنصورية، واقتصر عليه في أعوامه الأخيرة. له العديد من المؤلفات المهمة التي ما زالت مخطوطة.

الكلمات المفتاحية وترجمتها: ابن الأمشاطي، مخطوط الأسفار في حكم الأسفار. الطب الوقائي أو حفظ الصحة في الحضارة العربية الإسلامية.

Ibn al-Amshati

Muthaffar al-Din Abu al-Thana'a Mahmoud ibn Ahmad ibn Hassan



al-Aintabi, al-Qaheri, al-Hanafi (902 A.H.)

(Physician and jurist)

A fair look and an exploration

Dr Sherif Ali Al-Ansari

Senior Researcher at the Manuscripts Centre

Bibliotheca Alexandrina

Summary

Muthaffar al-Din Abu al-Thana'a, Mahmoud ibn Ahmad ibn Hassan ibn Ismaïl ibn Ya'aqoub ibn Ismaïl al-Aintabi (the Antepian), al-Qaheri (the Cairene), al-Hanafi (follower of the Hanafi school), known as Ibn al-Amshati. He was born around 812 AH (1409 CE), in Cairo, where he was raised, and died in the month of Rabi al-Awwal in Cairo in 902 AH (1496 CE), where he is buried.

His travels: He visited Damascus several times. He went to al-Hijaz for pilgrimage, where he stayed there for a while, seeking blessings. He was skilful in arts and crafts. He also practised swimming, archery and cannoning. He engaged in securing several coastal cities, and travelled for struggling against enemies. He learnt medicine and practised it until he became the chief physician. He taught it at the Mosques of Tulun and Mansouriya, the old name of al-Azhar, where he only worked in the latter during his last years. He has many important works that are still unverified manuscripts.

Key Words, Ibn al-Amshati, al-asfar fi hokm al-asfar" Papers on recommendations on health" preservation during travels: a manuscript Preventive medicine or health preservation in the Arab Islamic civilisation.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وقدوتنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام... أما بعد؛ تعددت مظاهر ابداعات الحضارة العربية الإسلامية كما تعددت إسهامات العلماء العرب والمسلمين وابداعاتهم العلمية، وأكثر الأمور إجحافًا للعلم والحضارة هو غض الطرف عن إسهامات هذا العالم أو ذلك؛ وكأن أمه لم تلده، أو كأنه لم يأت إلى الدنيا، أو أمسى نسيًا منسيًا. وعالمنا اليوم الذي سوف تناوله بالبحث والدراسة ودراسة مؤلفاته العلمية هو ابن الأمشاطي، هو خير دليل ينطبق عليه هذا الإجحاف.

(١) اسمه ولقبه:

هو مظفر الدين أبو التثناء محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل العيني (العنتابي) القاهري، الحنفي، المعروف بابن الأمشاطي؛ لأن جده لأمه الشيخ الخير شمس الدين كان يتجر فيها، ولد في حدود سنة 812 (اثنتي عشرة وثمان

مئة) هجرية الموافق 1409 ميلادية بالقاهرة ، وبها نشأ، وهو ابن الإمام شهاب الدين العنتابي- ويخفف بالعيني- وشقيق الشمس محمد الماضي.

(٢) دراسته:

قلنا سابقاً أنه نشأ بالقاهرة فحفظ القرآن والنقاية في الفقه لصدر الشريعة، والكافية في النحو لابن الحاجب، ونظم نخبة شيخنا للعز الحنبلي المسمى نزهة النظر، والتلويح في الطب للخجندي، واشتغل في الفقه على السعد بن الديري والأمين الأقصراني، والشمسي وابن عبيد الله، وعن الثاني أخذ أيضاً في النحو وغيره، وعن الثالث والشرف ابن الخشاب أخذ الطب بل أخذه بمكة عن سلام الله، وكذا سمع عليه بقراءة الخطيب أبي الفضل النويري في الشمسية.

وأخذ الميقات عن الشمس المحلي، وسمع على الشمس الشامي في ذيل مشيخة القلانسي، وعلى البدر حسين البوصيري رقيقاً للسنباطي مقروء أبي القاسم النويري من أول سنن الدارقطني وهو ثلاثون ورقة، وعلى شيخنا وآخرين. وأجاز له جماعة ودخل لدمشق غير مرة، وحضر عند أبي شعر مجالس من وعظه، وكذا حج غير مرة وجاور وسمع على التقي ابن فهد وأبي الفتح المراغي، وزار الطائف رقيقاً للبقاعي ورابط في بعض الثغور، وسافر في الجهاد.

(٣) العلوم والمهارات التي برع فيها:

اعتنى بالسباحة والتجليد وبرمي الشباب وعالج وثاقف ورمى بالمدافع، وعمل صنعة النفط والدهاشات^(١) وأخذ ذلك عن الأستاذين، وتقدم في أكثرها إلى غيرها من النكت والصنائع والفنون والبدائع وباشر الرئاسة في عدة مدارس، وكذا الطب بل درّس فيه، وصنف وتدرّب فيه جماعة صارت لهم براعة، ومشى للمرضى فللرؤساء على وجه الاحتشام ولغيرهم.

درس الطب بجامع طولون والمنصورية بعد الشرف بن الخشاب نيابة عن ولده ثم استقللاً إلى غير ذلك من الجهات، وناب في القضاء عن السعد بن الديري فمن بعده على طريقة جميلة، وأعرض عن سائر ما تقدم من الصناعات والفضائل سوى الطب.

(٤) مؤلفاته:

(أولاً) شرح من كتبه الموجز للعلاء ابن النفيس شرحاً حسناً في مجلدين كتبه عنه الأفاضل وتداول الناس نسخه وقرض له غير واحد^(٢).
(ثانياً) شرح للمحة لابن أمين الدولة.
(ثالثاً) القول السديد في اختيار الإمام والعبيد^(٣).

(١) ما يعترى الإنسان من حالة ناشئة عن حدوث أمر غير متوقع ومفاجئ "استولت عليه الدهشة- أمرٌ يثير الدهشة".
(٢) توجد نسخة من المنجز شرح الموجز ، لابن النفيس (الجزء الأول)، ٣٩ سطراً، ٥٧ ورقة، فيلم رقم ٤٤ ، رقم المخطوط 245 طب (الطب الكتاب الأول) من مقتنيات مكتبة الإسكندرية.
(٣) المخطوط محقق تحقيق محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة ناشرون.



(رابعاً) شرح النقاىة، وهو مؤلف فى الفقه الحنفى، واستمد فىه من شرح شىخه الشمنى، وكان قد قرأه علىه وأذن له فى التدرىس والإفتاء.
(خامساً) الأسفار فى حكم الأسفار. (وهو المخطوط موضوع البحث).

(٥) ملامح شخصىته:

هو إنسان زائد التواضع والهضم لنفسه مع العفة والشهامة خفة الروح ومزىد التودد لأصحابه، والبر لهم والصلة لذوى رحمه، والرغبة فى أنواع القربات، والتقلل بأخرة من الإجماع بالناس جهده، والإقبال على صحبة من يتوسم فىه الخىر كإمام الكاملية ثم ابن العمرى، وله فىهما مزىد من الإعتقاد.

ولما مات أخوه ورثه وضم ما خصه من نقد وثمان كتب ونحوها لما كان فى حوزته، وأرصد ذلك لجهات جدها سوى ما فعله هو وأخوه قبله من صهرىج بالقرب من الخانقاه السرىاقوسىة وسبع، وغير ذلك وعمل تربه.

وحدّث بالقليل أخذ عنه بعض الطلبة، وصحبته^(١) سفراً وحضراً فما رأيت منه إلا الخىر والتفضىل، وبنىنا ود شدىد وإخاء أكىد، بل هو من قدماء أحابنا وممن رغب فى استكتاب القول البىدىع من تصانىفى، وكان یجىء یوم فى الأسبوع لسماعه، وكان تصنىفى: الإبتهاج بأذكار المسافر الحاج من أجله، ومع ضعف بدنه ودنياه لا یتخلف عن زىارتى فى كل شهر غالباً مع تكرار فضله وتقلله.

وسمعتة یحكى أنه رأى وهو صبى فى یوم غىم رجلاً یمشى فى الغمام لا یشك فى ذلك ولا یتماىرى، ووصفه البقاعى بالشىخ ابن الفاضل وقال الطیبى الحاذق ذو الفنون وأنه وُلِدَ فى حدود سنة عشر انتهى... رغب عن جملة من وظائفه كتدرىس الظاهرىة لتلمیذه العلامة الشهاب ابن الصانع^(٢).

توفى ابن الأمشاطى رحمه الله - فى القاهرة، وبها دفن، فى ربىع الأول سنة 902 سنة (الثنتین وتسعمائة هجرىة)، الموافق 1496 (ست وتسعین وأربعمائة وألف).
تعقیب على ترجمة ابن الأمشاطى:

(أولاً) تتضح من ترجمة ابن الأمشاطى أنه نشأ فى عائلة اشتهرت بالعلم مثل والده وجده لأمه وأخیه.

(ثانىاً) حفظه للقرآن الكرىم والمختصرات سواء الفقىة أو اللغوىة و غیرها، وما كان علیه معظم العلماء العرب والمسلمین، وهو ما افتقدناه الآن.

(١) الكلام هنا نقلًا عن صاحب الترجمة.

(٢) شمس الدین محمد بن عبد الرحمن السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجیل، بیروت - لبنان، ج ١٠، ص ص ١٢٨، ١٢٩، ولمزىد من المعلومات انظر؛

محمد بن على الشوكاتى: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ج ٢، ترجمة رقم 536، ص ص ٢٩٢، ٢٩٣.

خیر الدین الزركلى: الأعلام، دار العلم للملایین، ط ١٥، بیروت - لبنان، ٢٠٠٢ م، ج ٧، ص ١٦٣، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفین، مؤسسة الرسالة، ط ١، بیروت-لبنان، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ٧٩٤.

(ثالثاً) تنوع معارفه العلمية؛ فمنها الطبية والفقية وغيرها، كما تنوعت أعماله، إلا أنه يبدو عليه حبه الشديد للطب والعمل به وتدريسه، وهو ما ظهر من خلال عزوفه عن كل الأعمال وتخليه عنها، إلا الطب، وذلك في أواخر أيامه.

(رابعاً) قصة رؤيته رجلاً يمشي في الغمام، وابن الأمشاطي صبي، هي نوع من اضعاف الإحساس النفسي الداخلي على الواقع الخارجي، وهو ما ينتشر بكثرة في اعتقاد اليابانيين بوجود أرنب يطحن أرز في اناء على وجه القمر، وهذا التصور هو في حقيقته لرغبتهم وحبهم للأرز الذي تفتقده أراضيهم، وتصعب زراعته هناك.

وهو ما أكده الشوكاني بتحليله لنص عبارة السخاوي بقوله: "قال السخاوي أنه سمعه يحكي أنه رأى وهو صبي في يوم ذي غيم رجلاً يمشي في الغمام لا يشك في ذلك، ولا يتمارى انتهى؛ ويمكن أن يكون رأى قطعة من قطع السحاب متشكلة بشكل إنسان؛ فإن الناظر في أطباق السحاب إذا تخيل في شيء منها أنه على صورة حيوان أو شيء من الجمادات خيل إليه ذلك إذا أدام النظر إليها، ولعل سبب ذلك كونها متحركة دائماً، ولطافة الهواء وكان للحاسة المتخيلة فيما كان كذلك اختراعاً يخالف ما جرت به عادتها من عدم تخيل ما يخالف المحسوس بحاسة البصر عند المشاهدة"^(١).

الأسفار عن حكم الأسفار

وبتحليل مخطوط الأسفار عن حكم الأسفار، موضوع البحث، يتضح الكثير من الآراء العلمية نوجزها بعد قليل، ولكن علينا التعريف بالنص المخطوط وبيان فهرستها كما يلي:

أولها: الحمد لله الذي أمر بالأسفار؛ للتفكير والإعتبار وأداء فرائض الحج والإعتمار، وجهاد المتمردين من الكفار، وجعل في الطب من الأسرار ما يحفظ الصحة ويبرئ الأضرار... وبعد؛ فلما عزم على سير الأبرار واحتزم لزيارة النبي المختار... وجواز تلك المشاعر الكبار بالذل والانكسار وجاء كرم الغفار؛ لمحو الذنوب والأوزار ورفع الدرجات في دار القرار، خلاصة الأعصار وإمام أهل الأمصار عين أعيان ساكني الأقطار... المقر الأشرف الكريم العالي الأمامي العالي العلامي الكمالي أبو المعالي محمد الجهني البارزي الشافعي ناظر دواوين الإنشاء الشريفة بالديار المصرية، وسائر الممالك الإسلامية... وكان من القواعد الكبار، حب المصالح ودرء المفسد والمضار، وكان من أهمها حفظه والإختيار والتزود بما لعله ينفع لدى البراري والقفار، حيث لا صاحب ولا جار ولا عقاقير ولا عقار.

رأيت أن أجمع لحضرتة السماء وحرمتة العليا كتاباً أرشد فيه إلى ذلك سالگاً فيه أجمل المسالك بحمد الله، حاوياً لأسرار كتب هذا الفن الكبار، مغنياً عن حمل تلك الأسفار جامعاً لانتشار ما تفرق منها على سبيل الإختصار فلذلك سميتها: الأسفار عن حكم الأسفار... أن يتحفه بالقبول فلا ينبغي له غبار، ويسعفه بالكمال فلا يحتاج إلى اعتداد... ورتبته على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة.

(١) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ٢، ص 293.



بيان فصول المخطوط

- (١) المقدمة: فى بيان الحاجة إلى وضع هذا الكتاب.
- (٢) الفصل الأول: فىما ىنبغى للمسافر فعله.
- (٣) الفصل الثانى: فى أمر السفر فى الحر.
- (٤) الفصل الثالث: فىما ىتعلق من ذلك بالرىاح الملتهبة.
- (٥) الفصل الرابع: فى شأن السفر فى الشتاء.
- (٦) الفصل الخامس: فى حفظ الأطراف.
- (٧) الفصل السادس: فى حفظ اللون.
- (٨) الفصل السابع: فى حفظ أمور المىاه.
- (٩) الفصل الثامن: فى حفظ أحوال المسافر فى البحر.
- (١٠) الخاتمة: فىما ىبغى للمسافر أن ىصحبه؛ وفىه فصلان:
الأول: فى الأدوية المفردة.
الثانى: فى الأدوية المركبة.

ومن ثم احتسب المؤلف عدد فصول الكتاب، وهى عشرة فصول.
الخاتمة: وأما ما ىقطع الدم فالزاج القبرىسى أو الشبّ المحرق، وأما ما ىحتاج إليه من السنونات فسنون ىجلو الأسنان، زبد البحر ىحرق ورماد الصّدف ورماد أصل القصب الفارسى... وسنون تشد اللثة والأسنان، قرن أیل ىحرق ملح أندرانى ىحرق هلىلج أصفر ورد من كل واحد جزء جُلنار نصف جزء.
هذا آخر ما أردنا عمله تم الكتاب بعون الملك الوهاب والله اعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، على ىد أقل عباد الله وأحوجهم... محمد بن على بن محمد بن عمر القلتى الأزهرى... فى شهر ربىع الأول سنة 979 .
الوصف: نسخة جىدة، كتبها محمد بن على بن محمد بن عمر القلتى الأزهرى فى شهر ربىع الأول سنة 979 هجرىة، بقلم نسخ فى تسع ورقات، كل ورقة تحتوى على واحد وثلاثىن سطرًا تقرىبًا، وىحتوى كل سطر على اثنتى عشرة كلمة تقرىبًا، بمقدمتها فهرس، كتبت العناوىن بخط كبرى، مقابلة، بأولها ترجمة للمؤلف ومؤلفاته، بها أثار رطوبة وطمس، وهى ضمن مجموعة معهد المخطوطات العربىة بالقاهرة فىلم رقم (٤)، مخطوط رقم (٣١٧) طب الكتاب الثانى، ومكان الأصل مدرسة ىحىى باشا الجلىلى – الموصل، رقم الكتاب (٨)، ماس المخطوط الأصلى ٢٤.٥ × ١٥ سم، حسب ما ورد فى بطاقة الفهرسة.

أورد المؤلف فىها الكثر من المعارف والنصائح الطبىة التى ىجب أن ىتوخاها المسافر فى سفره، وسوف نعرض لبعض من تلك النصائح الطبىة التى أوردها فى هذه المخطوطة.

الأوجه العلمىة فى مخطوط الأسفار عن حكم الأسفار:

(أولًا) فى المقدمة وهى بمثابة تهىئة لموضوع الكتاب ككل؛ فقد جاءت بعنوان: فى بيان الحاجة إلى وضع هذا الكتاب؛ ىذكر المؤلف أن مسألة السفر نفسها هى خروج من

مكان إلى آخر، ومن حالة إلى حالة، وقد تختلف الحالتين عن بعضهما بعض، ومن ثم فيكون لها تأثيراً سلبياً على الأخلاط التي تؤثر على صحة المسافرين، وأن الخروج عن المعتاد دفعة واحدة يجذب أمراضاً خطيرة؛ ويذكر ابن الأمشاطي: "ولذلك وجب على المسافرين أن يعرف ما يضره وينفعه؛ ليحرص على مداواة نفسه؛ لئلا يصيبه شيء من ذلك" (١)

ثانياً) أهدي ابن الأمشاطي هذا الكتاب إلى المقر الأشرف أبو المعالي محمد الجهني البارزي الشافعي، وهو ناظر دواوين الإنشاء الشريفة بالديار المصرية، وسائر الممالك الإسلامية، وهذا الموضوع وهو اهداء المؤلفين العرب والمسلمين إلى الحكام والساسة، وتخصيص المؤلفات لهم.

بل تعدى بهم الحال إلى تضمين أسماء الحكام في عناوين مؤلفاتهم مثل: الذخيرة الخوارزمية لخوارزم شاه، والزيج السلطاني ويسمى أيضاً الرصد الجديد أو الرصد الجديد السلطاني أو الزيج السلطاني الكوركاني وهو نتاج مجموعة من الفلكيين المسلمين وأهدي إلى أولغ بيك، والزيج الإيلخاني الذي أهده نصير الدين الطوسي إلى هولاءكو خان.

وهذه الأمثلة دليل واضح على مدى اهتمام الحكام والساسة بالعلم والعلماء، ونظير ذلك شعور العلماء المسلمين بالتقدير والاحترام لهؤلاء الحكام.

(ثالثاً) جاء الفصل الأول بعنوان: فيما ينبغي للمسافر فعله، وابتدأه بالاستفراغ؛ أي استفراغ الأخلاط الرديئة من بدنه لكن مع مراعاة الأصول العشرة وأوردها ووضحها. أورد ابن الأمشاطي بعض العبارات تدل على علمه واطلاعه على الأعضاء الداخلية في بدن الإنسان، ولن يتسنى له ذلك إلا بمعرفته ودراسته وممارسته للتشريح. كما أورد بعض الصفات تدل على معرفته العميقة لخصائص الأطعمة والعلاجات التي يستعملها ويصفها للمرضى؛ فيذكر:

"وهذا صفة: لب حب القرع، ولب حب القثاء، وبذر البقلة الحمقاء من كل واحد خمسة دراهم... يدق الجميع ناعماً ويعجن ناعماً... ويعمل حباً كبيراً مفرطاً ويمسك في الفم، فإن لم يوجد هل يوجد فليمسك في فمه قطعه... أو درهماً أظلساً فكون ذلك يُسكن العطش، ويُقل الحاجة إلى شرب الماء.

وأما الثاني الذي يُمنع المسافرين من تناوله فالأغذية المعطشة مثل السمك المالح، والطري، والمملحات، والجبن العتيق، والباقلاء المطبُوخ، والأشياء الحريفة والحلوة، وإذا شرب الماء بالخل كان القليل منه كافياً في تسكين العطش؛ حيث لا يوجد ماء كثير" (٢)

(١) ابن الأمشاطي: الأسفار عن حكم الأسفار، (ق ٢ أ، ب)، وهي ضمن مجموعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة فيلم رقم (٤)، مخطوط رقم (٣١٧) طب الكتاب الثاني، ومكان الأصل مدرسة يحيى باشا الجليلي - الموصل، رقم الكتاب (٨).
(٢) المصدر السابق: (ق ٣ أ).



وتعكس الفقرة السابقة الدقة البالغة عند ابن الأمشاطى؛ فنجده يذكر اسم النبات وكمية كل نوع وطريقة دقه وخالطه، وكيفية تشكيله وطريقة تناوله والبديل عن هذه الطريقة إذا لم تتيسر هذه الطريقة.

(رابعاً) يتحدث ابن الأمشاطى في الفصل الثانى عن السفر فى الحر: فىذكر نوع الأطعمة والأشربة التى يجب أن يتناولها من أراد السفر فى الحر، كما يذكر أنه إذا اضطر إلى ذلك، فعليه عن يغطى رأسه وصدره، وأن يدهن ببعض الأدهنة مثل دهن البنفسج؛ فهو بارد رطب للدماغ نافع أيضاً من الصداع، وكذلك دهن الورد والبنفسج يستعمل ساعة بعد ساعة ويدهن على صدغيه.

(خامساً) يتحدث ابن الأمشاطى فى الفصل الثالث، وهو بعنوان: فيما يتعلق من ذلك بالرياح الملتبهة؛ فىذكر تعريف السموم: " وهى ربح ملتبهة حارة جداً تيبس الأبدان وتنشفها، وإن وصلت إلى داخل (يقصد البدن) أضرت ضرراً بيئاً"^(١)، ثم ذكر الإشارات الواجب اتباعها؛ فىذكر: " فىنبغى لمن يسافر فيها أن يستر وجهه وأنفه، ويصبر على قلة الاستنشاق والتنفس؛ لأن استنشاق السموم يؤدى إلى الهلاك، أو إلى أمراض صعبة"^(٢)، ثم ذكر الأطعمة الواجب على المسافر أن يأكلها، والأدهان والروائح التى يجب عليه أن يستنشقها ويداوم عليها.

كما نصح بتجنب الجماع للمسافر فى ربح السموم.

(سادساً) وفى الفصل الرابع، جاء بعنوان: فى شأن السفر فى الشتاء فنجد ابن الأمشاطى ينهى المسافر عن السفر فى الشتاء، فإن لم يكن هناك بُدٌّ، فعليه بتوخي الحذر وأن يواصل السفر نهاراً ويستريح ليلاً، وإذا نزل فى بيت للراحة عليه يكون بعيداً عن الرياح دافئ، وأوصى بالأدهان والروائح التى يجب أن يداوم عليها، وينصحه قائلاً: " وأن لا يركب خالياً من الغذاء؛ لأن الحرارة تفور فى بدنه فوراً من الضد، فإن سافر وليس فى أحشائه شيء بالغ التحليل فى اضعاف القوة، فحينئذ تأمره بتناول غذاء حسن له، وأن يصبر إلى أن يستقر فى أسفل معدته وينحدر عنها"^(٣).

(سابعاً) جاء الفصل الخامس بعنوان: فى حفظ الأطراف عن تطرق الفساد إليها من البرد وعلاجها: يتحدث ابن الأمشاطى هنا عن حفظ الأطراف من البرد وسبل الوقاية والعلاج إذا لزم الأمر؛ فىنصح بضرورة تدليك الأطراف فى البرد وأن تدهن بالأدهان والمرام، كما ذكر أنواع الأصواف التى تلف فيها الأطراف، ونصح كذلك بضرورة ألا ينظر المسافر فى الثلج والجمد؛ لأنه يضعف البصر.

كما ربط بين صحة ما ذهب إليه بالتجريب الذى هو الأداة الرئيسية لقبول صحة ما ذهب إليه.

(ثامناً) الفصل السادس وجاء بعنوان: فى حفظ لون المسافر وما يعرض له أثناء سفره: ويذكر هنا بعض الأدوية التى تساعد على ذلك.

(١) المصدر السابق : (ق ٣ ب) .

(٢) المصدر السابق : (ق ٣ ب) .

(٣) المصدر السابق : (ق ٤ ب) .

(تاسعاً) الفصل السابع وجاء بعنوان: في حفظ أمور المياه؛ يتحدث ابن الأمشاطي عن كل ما يخص المياه، وما يحفظ صحة الماء من الفساد، وأفضل المياه وطبيعة الأرض التي يجري عليها النهر، وكذلك تحدث عن مياه الآبار وغيرها.

(عاشرًا) الفصل الثامن وجاء بعنوان: في حفظ أحوال المسافرين في البحر؛ فلقد ذكر ابن الأمشاطي جميع الأحوال والأعراض التي تعرض لراكب البحر، فيذكر: "الراكب في البحر يتخيل أن دماغه وبدنه يدوران، وأن الأشياء تدور عليه فلا يملك نفسه أن تثبت؛ وسبب ذلك أن الأخلط الرقيقة تهيج عند حركة السفينة، ويتحرك حركة غير طبيعية، وتقابلها الروح بحركة طبيعية مضادة لتلك الحركة... وقد يعرض قيء وغثيان"^(١). وجملة ما ذكره ابن الأمشاطي هو ما فسره العلم الحديث فيما يعرف بدوار البحر، وهو ما يصيب ركاب السفينة. كما نصح ابن الأمشاطي المسافرين بالبحر بأن يتناول بعض الأطعمة ذات طبيعة قابضة للبطن؛ حتى لا يحدث قيء وغثيان.

(الحادي عشر) تحدث ابن الأمشاطي في الخاتمة أنها تضم فصلين؛ الفصل الأول في الأدوية المفردة؛ وأخذ يورد أسماء الأدوية التي يمكن أن تؤخذ بشكل مفرد ولها تأثير فعال في قبض البطن.

بينما تحدث في الفصل الثاني عن الأدوية المركبة التي يمكن للمسافر أن يأخذها معه؛ وهي الأدوية التي تتركب من أكثر من دواء سواء كانت من الأشربة، والربوب، والمعاجين، والحبوب، والشيفات^(٢)، والأقراص، والسنونات^(٣)، والأكحال وشيفات العين، والأدهان، والمراهم، والدّرورات، والسفوف^(٤)، وتحليل ما أورده ابن الأمشاطي يتبين أن:

(١) كانت لدى ابن الأمشاطي خبرة كبيرة بالتراكيب العلاجية؛ فجدده يذكر الدواء ويذكر طريقة تحضيره وطريقة تخزينه إن لزم الأمر، وكذلك الإناء الذي يوضع فيه وطريقة تصفيته ويصف شكله ومقدار اعطائه للمريض، وعدد المرات، كل هذه الأشياء تؤكد أن خبرته في تراكيب الأدوية كانت كبيرة جدًا.

(٢) كان ابن الأمشاطي على علم ببعض الأدوية غير العربية أو التي لها أصول في الحضارات القديمة، فيذكر مثلًا: "أما المعاجين التي تشتد الحاجة إلي حملها فخمسة؛ الأول معجون الأطريفيل؛ ولقطة الأطريفيل معربة من اللغة الهندية، تقع على الهليلج، الكابلي، والبليلج والأملج"^(٥)؛ ونلاحظ هنا تتبع ابن الأمشاطي لأصول بعض المصطلحات الطبية خاصة التي لها أصول في الحضارات السابقة واللغات الأخرى.

ملاحظات على النص:

- (١) المصدر السابق : (ق ٦ أ) .
- (٢) هي أدوية للعين ونحوها . (https://www.almaany.com)
- (٣) السُّونُ: ما سُنَّ به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان وتطريتها. (ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت-لبنان، ١٩٩٧ م، ج ٦، ص ٣٩٨، مادة سون).
- (٤) السَّقُوفُ: اسم لما يَسْتَقْفُ. (المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٨٢، مادة سفوف).
- (٥) المصدر السابق : (ق ٧ أ) .



(١) التعريفات: دائماً ما كانت التعريفات واضحة جلية، وهي أول ما يبدأ بها ابن الأمشاطى؛ وذلك حتى لا يكون في المصطلحات إلتباس بينه وبين القارئ، فيذكر مثلاً: "قربما أوقع في الجوع المسمى بُولِيمُوس: وهي بضم الباء الوحدة وكسر اللام واسكان التحتية وضم الميم وآخره مهملة، وهذا النوع من الجوع يسمى جوع البقر؛ وهو جوع الأعضاء مع شبع المعدة، فيكون الأعضاء طالبة للغذاء والمعدة عاقفة له، وسببه سوء مزاج بارد".

وبتحليل التعريف السابق نجده يتحدث عن المصطلح ويضبطه شكلاً، ثم يذكر اسمه ووصفه وموضعه ويوضح سببه في النهاية.

(٢) يمكن من خلال استخراج التعريفات التي وردت في المخطوطة أن يجتمع لدينا تعريفات للكثير من المصطلحات قد تخلو معظم المراجع من صياغتها، ومن ثم أمكننا أن نكشف اللثام عن جانب مهم من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، لم ترد ضمن كتب تعريفات العلوم.

(٣) تنسم التعريفات الواردة في المخطوط، بأنها تعكس جانب مهم من جوانب التعريف بالمصطلحات الطبية في القرن العاشر الهجري، قد تكون مغلقة أمام كثير من الباحثين قد يتناولوا مخطوطات هذا القرن أو ما يليه من مخطوطات بالبحث والدراسة.

(٤) منهجية العرض: إن القارئ لمخطوط ابن الأمشاطى يتبين منهجية العرض؛ فكل فصل مرتبط بما قبله وما بعده، ويتبين تسلسل الفصول وأيضاً تسلسل منهجية عرض المعلومات داخل الفصل، فنجده يبدأ بتعريف المصطلح ويذكر التحذيرات الواجب اتباعها، فإذا حدث المرض للمسافر يذكر الأدوية من الأدهان والروائح التي يجب أن يحافظ عليها، وفي بعض الأحيان يورد أسماء الأدوية الأخرى.

(٥) اعتمد ابن الأمشاطى على التجريب في التأكد على صحة آرائه؛ فيذكر: "وقال بعض المجربين أنه غمس العضو في ماء بارد فوجد لذلك منفعة، وكان الأذى يندفع عنه، ويؤكد ذلك الفاكهة الجامدة إذا وضعت في الماء البارد يخرج الجمد عنها"^(١).

الخاتمة

مما سبق نتضح لنا منزلة ابن الأمشاطى العلمية، وأهمية مؤلفاته، وستتضح لنا ملامح المنهج العلمي الذي اتبعه في تأليفه لمؤلفاته، وهل ظهرت ملامح المنهج العلمي من الملاحظة وفرض الفروض وتحليل الفروض والوصول لصياغة النتائج في غيرها من المؤلفات العلمية، كما تبدو لنا أيضاً أهمية وضرورة الاهتمام بإسهامات هذا العالم الجليل الذي لم ينل حظه من الدراسة والإهتمام.

وحتى الآن تنتظر مؤلفات ابن الأمشاطى المخطوطة أن تمتد إليها يد الباحثين إليها؛ لتخرجها من الظلمات إلى النور ومن برائن مخازن المخطوطات إلى رفوف المكتبات محققة وفي قشالة أنيقة بها وبمؤلفها، فهل من مجيب؟؟!!

(١) المصدر السابق: (ق ٥ أ) .

تاريخ الطب في العراق:

دراسة قياس علمي

(١٤)



و. محمد سعير العطار

طبيب، وكتورة في الطب العربي، باحث مستقل، (البحرين)

Email: msa190@gmail.com

ملخص:

العراق او ما كان يعرف ببلاد ما بين النهرين مهدٌ للحضارات مثل الحضارة السومرية و الأكدية و البابلية و الآشورية؛ ومن هذه الحضارات وصلتنا أقدم الوثائق بشأن تاريخ الطب في مجالات التشخيص و العلاج فضلاً عنالقوانين المنظمة لممارسة الطب والعقائد المتعلقة بذلك. بعد قرون من تلك الحضارات البائدة، تأسست في هذه البلاد اكبر حركة ترجمة فكانت مكتبة بيت الحكمة كأحد أشهر المراكز العلمية في العالم القديم و الذي ترك بصمته على كل المسيرة العلمية في العالم.

مع هذا التاريخ الثري من المعرفة البشرية، يُتوقع ان يهتم الباحثون العراقيون بمجال تاريخ العلوم الطبية، و لهذا تم تصميم هذه الدراسة حيث تم البحث في قاعدة بيانات «المجلات الاكاديمية العلمية العراقية» منذ بدء تأسيسه حتى منتصف عام ٢٠١٩ عن المقالات المعنية بتاريخ الطب.

توصلت الدراسة الى ١٤٧ عنواناً مرتبب بتاريخ الطب و هو ما يمثل نسبة ٠.٠٠١ من البحث العلمي في العراق؛ و تهتم اغلب المقالات بحقية ازدهار الحضارة العربية بمعدل ٩١ مقال (٦٢%) ثم المقالات العامة التي لا يمكن تصنيفها لحقية زمنية بمعدل ٣١ مقال (٢١%) ثم مقالات تاريخ الطب قبل الاسلام بمعدل ١٤ مقال (٩.٥%)؛ تعرف البحث على ١٤٥ باحثاً لهم اهتمام بتاريخ الطب لكن لأغلبهم اي ١٢٣ (٨٥%) مقال واحد هو يعني عدم وجود مختص او متفرغ لهذا المجال، كما شهدت الدراسة ضعف التعاون الاكاديمي إذ ان ١١٩ (٨١%) من المقالات كتبها مؤلف واحد و البقية مؤلفين فقط؛ لاحظت الدراسة ايضاً تزايد الإهتمام بالبحث و النشر في مجال تاريخ الطب بشكل عام ولكن يبقى من الضروري بذل المزيد من الإهتمام بجودة الدراسات و العناية بالمجلات الشاغرة في البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الطب، الطب العربي، قياس علمي، العراق

Abstract:

Iraq, what was known as Mesopotamia, is a cradle of famous civilizations like Sumerians, Akkadians, Babylonians, and Assyrians and where oldest written documents about diagnosis, healing arts, medical laws, and myths originate from. Centuries later, in Islamic civilization, the biggest translation movement started in this era and House of Wisdom (Grand Library of Baghdad), the famous academic center established, and affected all lands of the old world.

By this rich history of human knowledge, it is expected that Iraqi researchers exciting investigation of this field, so the «Iraq academic scientific journals» database from its beginning until now explored for the history of medicine articles.

The search resulted in 147 items, which categorized by historical period (ancient time, from Islam to 7th Hijri century, form 7th Hijri century to modern-day and contemporary) and subject. The outcome shows growing up research in this field; however, the quality of studies and attention to a novel topic should be considered.

Keywords: medical history, scientometric, Iraq, Arabic medicine

مقدمة:

(أ) ملخص عن تاريخ الطب في العراق:

تُعد جغرافية العراق الحديثة حاضنة مجموعة من اقدم واهم الحضارات الإنسانية مثل الحضارة السومرية و الأكديّة و البابليّة و الآشورية؛ و إذ تنافس حضارة ما بين النهرين حضارة وادي النيل في القدم، إلا أنها تتميز عليها أنها تتوسط حضارات العالم القديم، فحضارات الفرس في شرقه و حضارات الشام و مصر في غربه؛ حضارة دلمون العريقة –حضارة شرق شبه الجزيرة العربية- في جنوبه و الحضارة الحيثية و الرومانية في شماله؛ من هذا المنطلق اصبحت جغرافية العراق محط تبادل معرفي واسع بين الحضارات القديمة و ساهم في تراكم التجربة الطبية انها كانت محط وصول الكثير من الأوبئة كما أن منخفضات اراضيها الغارقة بالمياه الراكدة و الدافئة جعلتها مستوطناً للكثير من الأمراض مثل الملاريا و البلهارسيا وبقية الامراض الطفيلية.^(١)

يمكن تصنيف تاريخ الطب في العراق لعدة فترات هي:

(١) حقبة ما قبل التاريخ: و تشمل المعلومات المستقاة من الآثار المكتشفة في العراق حتى ظهور الحضارة السومرية حوالي ٤٠٠٠ ق.م..

^١ - مختصر تاريخ الطب العربي، السامرائي، كمال (دار النضال، ١٩٨٩)، ١.٤٨.



(٢) **حقبة حضارات ما بين النهرين [٤٠٠-٥٣٨ ق.م.]:** بداية هذه الحقبة ما نعرفه منذ الحضارة السومرية حتى حوالي ٥٣٨ ق.م. حينما استولى الفرس في عهد كوروش الثاني على بابل. بغض النظر عن اصل السومريين الغامض -حيث ان اللغة السومرية لا تزال تصنف على انها لغة منعزلة- فإن كل حضارات العراق التالية تُعد من الحضارات السامية العربية؛ فالأكديون [٢٤٠٠-٢٢٠٠ ق.م.] من الأقوام السامية - العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية؛ كما هم العموريين و البابليين و الآشوريين و الكلدانيين.^(١)

(٣) **حقبة الاحتلال قبل الاسلام [٥٣٨ ق.م. - ٦٣٥ م.]:** و تبدأ من انقراض حكم الكلدانيين بيد الملك كوروش الثاني الأخميني سنة ٥٣٨ ق.م. حتى ظهور الاسلام. تتميز هذه الحقبة بأن «العراق صارت مسرحاً للحروب المدمرة بين الفرس و اصحاب البلاد، و بين الفرس و الرومان؛ ففاست منهما بابل و آشور و دياراتها من التخریب ما لا يمكن ان تنتعش فيها حضارة ذات معالم واضحة. و هكذا كانت ديار ما بين النهرين تحت الاحتلال الفارسي و البرثي و اليوناني و السلوقي و اليوناني حتى ظهور الاسلام»^(٢).

(٤) **حقبة ازدهار الحضارة الاسلامية العربية [٦٣٥-١٢٥٨ م.]:** احتضنت العراق في هذه الحقبة اهم حواضر العالم القديم؛ فقد صارت الكوفة عاصمة الخلافة الاسلامية في عهد علي بن ابي طالب؛ ثم صارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية حتى سقوطها بيد المغول [٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.]; لا شك ان هذه الحقبة حملت اكبر قدر من التراث الطبي العربي عامة و العراقي خاصة. يُقسم معظم مؤرخي الطب هذه الحقبة الى عصر الترجمة و التمثل و عصر الإزدهار و التأليف. و ليس من المبالغة ان عُد عصر الترجمة و التمثل عصرأ عراقياً بامتياز برز في بيت الحكمة ببغداد ليكون بعد ذلك عصر الازدهار و التأليف في سائر بلاد الحضارة الاسلامية العربية.

(٥) **حقبة ضعف و انحطاط الحضارة الاسلامية:** من الصعب دراسة هذه الحقبة التاريخية في العالم الاسلامي بشكل عام نظراً للانحطاط السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي عامة مع بروز فترات ازدهار في انظمة الحكم المحلية المتفككة و المتنازعة. كما ان من العسير وضع حدود زمنية لهذه الحقبة و الحقبة اللاحقة حيث انها متغيرة بحسب البلاد و الاحداث السياسية فيها، فمثلاً لو اعُتبر تأسيس شركة الهند الشرقية [١٦٠٠-١٨٧٤ م.] بداية للاحتلال الاوروبي في شبه القارة الهندية، و الحملة الفرنسية على مصر [١٧٩٨ م.] بداية ذلك في الشام و مصر؛ لوجد ان الحقبة الزمنية بين الحداثين يقارب القرنين.

لعل دراسة هذه الحقبة في العراق يشوبها المزيد من الصعوبات كونها وقعت كما في حقبة الاحتلال قبل الاسلام- ضحية بين القوى الاقليمية المتصارعة؛ فمثلاً امتد الصراع

^١- المرجع السابق، ٤٢-١-٤٥.

^٢- المرجع السابق، ٤٥-١-٤٦.

الصفوي العثماني حوالي القرنين [١٥٣٢-١٧٣٦ م.] و كانت العراق ضحية هذا الصراع. لعل النص التالي يلخص وضع النظام الصحي في العراق إبان هذه الحقبة: «كان الطب في حالة بائسة جداً في عموم ربوع العراق إبان العهد العثماني و يقوم بمزاولة هذه المهنة طبقة من الأفاقين و المشعوذين. و كانت تجتاح البلاد من أقصاها إلى ادناها الأمراض و الأوبئة مثل الطاعون و الجدري و الهيضة و التايفوس، و تزهق ارواح الكثيرين و الأعداد من البشر مبهتة القرى و القصبات و المدن الى خراب. هذا اضافة الى الأمراض المتوطنة التي نهشت جسد الفلاحين و الطبقة العاملة في الحقول مثل البلهارسيا و الديدان و الملاريا. و لم يكن في ولاية بغداد الا مستشفى واحد حتى عام ١٩١٤ في عهد مدحت باشا، و مستشفى آخر في كربلاء إضافة الى بعض دور الحجر المتواضعة و غير الكافية على الحدود مع ايران»^(١).

٦) **حقبة وصول العلوم الحديثة والتاريخ المعاصر:** بدأت هذه الحقبة في العراق عام ١٩١٤ م. مع بدء الحرب العالمية الاولى حيث انزلت حكومة الهند البريطانية الشرقية جيشاً في الخليج العربي بين الكويت و البصرة. طبيباً وُصفت هذه الحقبة بـ «قامت الحملة البريطانية و أطبؤها بعد احتلال العراق بمهمة علاج المدنيين مثل (..) بجهد عظيم لتطوير الواقع الصحي للعراق من جهة، و لترسيخ سلطاتها و كسب أصدقاء و مودة من شرائح المجتمع العراقي كافة و ثقة الجماهير العراقية بعلمية الأطباء البريطانيين في علاج الناس و وضع الخطط للقضاء على الامراض المتوطنة و الوافدة في الريف و المدن، و نجحوا و الحق يقال في هذا النحو و لكن ليس بالقدر المطلوب». لعل ابرز محطات هذه الحقبة في العراق هي: (١) تأسيس الجمعية الطبية البغدادية عام ١٩٢٠ م.؛ (٢) افتتاح كلية الطب العراقية عام ١٩٢٧ م.؛ (٣) تأسيس نقابة ذوي المهن الطبية عام ١٩٥٢ م.^(٢) رواد هذه الحقبة من الأطباء في العراق كانوا خريجي الجامعات العثمانية و الفرنسية و الشامية؛ و من الملاحظ بالنسبة لهذه الحقبة في تاريخ العراق انها تأخرت ما يقارب القرن بالنسبة للبلاد المجاورة، فقط تأسست مدرسة دار الفنون في إيران عام ١٨٥١ م. و هي جامعة اسست لتدريس العلوم الحديثة بأمر ميرزا تقي خان المعروف بأمر كبير؛ اما الكلية السورية البروتستانتية (تعرف اليوم بالجامعة الامريكية في بيروت) فقد تأسست عام ١٨٦٦ م.

ب) أهمية دراسة تاريخ الطب:

١) **الأهمية من حيث القوى الناعمة:** يُعد تاريخ اي بلد أو أمة احد أهم الأجزاء التي تشكل الهوية الثقافية الجامعة لشعبه (عناصر الهوية الثقافية هي: المفاخر الثقافية، التاريخ، النظام الاجتماعي، التقاليد، اللغة، الدين و المذهب) و الذي تقوم عليه الأجزاء اللاحقة (مثل النظام السياسي و النظام الاقتصادي و النظام الأمني - العسكري)؛ و ان

^١- تاريخ و محطات سيرة ذاتية تؤرخ لكلية الطب العراقية، الهاشمي، هاشم مكي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ٢٠٠٩)، ١٧.

^٢- المرجع السابق، ١٧-٢١.



كان التاريخ السياسى قابلاً للنقد كونه تاريخ الأنظمة الحاكمة، فإن تاريخ الجهود العلمية للأمم هو تاريخ شعوبها الجامع الذى تفتخر بما فيه من منجزات و تتبجل بما تحويه من مفاخر حتى بغض النظر عن سائر العناصر مثل الدين؛ و عليه فإن تاريخ العلوم و الفنون التراثية تُعد «للأمة كالحسب و النسب للفرد؛ و هي على هذا، الرصيد المكين الذى يحفظ للشعوب مكانتها في سجل التاريخ»^(١).

نظراً لما يعانیه الوطن العربى قاطبة و العراق خاصة من حربٍ ناعمة تُشن عليه من مختلف القوى السياسية و في ظرف الضعف الحضارى المشهود فإن الإهتمام بهذا الجانب من التاريخ و إمداد الإعلام و سائر أدوات تشكيل الثقافة به، ضرورة وطنية و قومية بيّنة.

٢) **الأهمية التطبيقية في النظام الصحى:** لعل عبارة مؤرخ الطب الشهير الدكتور كمال السامرائى «لا بد من الإشارة الى اننا اذا استثنينا القرآن الكريم و آداب اللغة العربية اللذين سيطلان تراثين خالدين الى يوم الدين، فإن أكثر العلوم و الفنون التراثية ليس منها فوائد تطبيقية حالياً إلا بقدر يسير جداً»^(٢) تلخص ما كان يعتقد به الكثير من مؤرخو الطب و الأطباء في القرن الماضى حيث كانت بلادنا الشرقية و هي في اضعف فترات تمكنها الحضارى منبهة بالطب الغربى الوافد و هو في اوج عنفوانه، و لكن سرعان ما زال السراب و ظهر من نقص الطب الغربى و منهجه الإختزالى Reductionism في البحث العلمى ما قوض اسسه من الداخل و هو ما عُرف بالطب القائم على البراهين؛ فنهضت مناهج الطب البديل في العالم و إهتم به الباحثون في المعمورة ليكون ضمن باقة الخدمات الصحية في مستوياته الثلاث الوقائية و العلاجية و التأهيلية و هو ما تدعوا اليه الدول منظمة الصحة العالمية في استراتيجيتها للطب الشعبى للأعوام ٢٠٠٢-٢٠٠٥ و الأعوام ٢٠١٤-٢٠٢٣م. و حيث ان الطب العربى بجانب الطبيّن الصينى و الهندى من اهم المدارس الطبية في العالم، فالإهتمام به للأغراض التطبيقية ضرورة ملحة للنظام الصحى^(٣).

٣) **الأهمية كرافد للبحث و الفكر العلميين:** بخلاف ما كان يظنه مؤرخو الطب الشرقيين في القرن السابق و متبعوهم لأن ممن إنحصر نشاطه العلمى في الجانب التاريخى فقط؛ لتاريخ الطب فائدة عظيمة لرفد الطب الراجح بأفكار البحث العلمى في مجالات عدة سيما مجال استكشاف الأدوية او ال Drug discovery و هو من المجالات الهامة في البحث العلمى لدى الدول المتقدمة لكنه يستنزف زمناً طويلاً و يتطلب ميزانية هائلة حيث تقدر تكلفة كشف دواء جديد واحد حوالى ٨٠٠ مليون دولار،

^١ - مختصر تاريخ الطب العربى، السامرائى، كمال، ١٠٦.

^٢ - المرجع السابق، ١١١.

^٣ - استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب الشعبى ٢٠٠٢-٢٠٠٥، منظمة الصحة العالمية (جنيف): منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٢، ٥-٢٠٠٢؛ استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدى (الشعبى) ٢٠١٤-٢٠٢٣، منظمة الصحة العالمية (جنيف): منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٣.

و يستغرق زمناً يتراوح بين العشرة الى السبعة عشر عاماً^(١)؛ لهذا كان من اجدى ما وجدوه هو البحث في يناييع مناهج الطب الشعبية اولا للحصول على ما تمت تجربته لقرون و ثبت جدواه منذ عصور، و ان انكروا فضل الشعوب عليهم بداية و تأمروا عليه نهاية؛ الا ان تاريخ ممارساتهم واضح فالكثير من الأدوية الرائجة ليست غير اعادة تصدير لما اقتبسوه اولا ف «الغربيين انفسهم في اول عهود الاستعمار، كانوا يلجأون عند المرض الى الأطباء المحليين من الأهالي، و ذلك حسب أوامر إدارتهم، بزعم أن هؤلاء الأطباء أدرى بالأمراض المحلية»^(٢)؛ و لا يزال اهتمام الباحثين و مراكز الأبحاث العالمية منصب بما عند شعوبنا غير خاف و ان حاولوا «إخفائه»، و لعل ابرز برهان على هذا هو ما تبدأ به مراجع علم تصميم الأدوية بعناوين مثل «كل شئ يبدأ من الطب الشعبي»^(٣). يوضح الجدول ١ بعض الأمثلة للأدوية الرائجة اليوم و التي إكتشفت من ممارسات مدارس الطب الشعبي.

1 - "The Value of Drug Repositioning in the Current Pharmaceutical Market"، E.L. Tobinick، Drug News & Perspectives 22، (٢٠٠٩)؛ عدد ٢، doi:10.1358/dnp.2009.22.2.1303818؛ "Target-Based Drug Discovery: Is Something Wrong?"، F Samsdodd، Drug Discovery Today 10، (٢٠٠٥)؛ عدد ٢ (١٥ يناير)، doi:10.1016/S1359-6446(04)03316-1. ٤٧-١٣٩

٢ - الطب الاميريالي و المجتمعات المحلية، أرنولد، دافيد، ترجمة فهمي، مصطفى ابراهيم، عالم المعرفة ٢٣٦ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ١٩٩٨).

3 - Drug Design: Methodology, Concepts, and Mode-of-Action، Gerhard Klebe، Ed. (Berlin, Heidelberg: Springer Berlin Heidelberg، 2013)، 41، doi: 10.1007/978-3-642-17907-5.



جدول ١: أمثلة لأدوية اكتشفت من مشاهدة الإستخدام الشعبى للنباتات

الدواء	النبات	الإستخدامات، و مصدر اكتشافه
Salicylic acid (Aspirin®)	Salix alba L.	من أشهر مضادات الإلتهاب ومسكنات الألم؛ إستخدم نبات الصفصاف لذات الغرض منذ آلاف السنين.
Morphine	Papaversomniferum L.	أشهر مخدر وأكثرها استخداما حتى اليوم، استخدم نبات الخشخاش لذات الغرض من آلاف السنين.
Codeine	Papaversomniferum L.	من أشهر المسكنات، مستخدمة في الكثير من الأدوية؛ إستخدم نبات الخشخاش لذات الغرض منذ آلاف السنين.
Digoxin(Lanoxin®)	Digitalis sp.	من أشهر الأدوية القلبية؛ استخدمت أنواع نبات القمعية لذات الغرض من القدم.
Quinine	Cinchona calisaya Wedd.	من أشهر الأدوية المضادة للملاريا، تعرف عليه العالم من مشاهدة استخدام سكان امريكا الجنوبية له لمعالجة الحميات.
Artemisinin	Artemisia annua L.	اكتشفته السيدة تو يويو لعلاج الملاريا المقاومة من مصادر الطب الصيني، و فازت بجائزة نوبل عام ٢٠١٥ م. لذلك؛ ذكر ذات الأثر المذكور في الطب الصيني بشأنه في مصادر الطب العربي (انواع نبات الشيح).
Colchicine	Colchicum sp.	من أشهر ادوية مرض النقرس؛ استخرج من نبات السورنجان المذكور في الطب العربي لذات المرض.

ج) أهمية دراسات القياس العلمي:

يمكن تلخيص أهمية دراسات القياس العلمي في المحاور الآتية:

- ١) ترسم دراسات القياس العلمي النشاط البحثي الحاصل في المجال المعني، و من هذه الصورة يمكن تحديد المسارات البحثية اللازمة مستقبلاً و بعبارة اخرى هي الخريطة التي يتم على إثرها التخطيط لما سيتم بناؤه لاحقاً في مجال من المجالات العلمية.
- ٢) توفر دراسات القياس العلمي الأدوات اللازمة للبحث، حيث انها توفر قواعد البيانات المرتبطة بمجال البحث؛ و لهذا اهتم علماء العرب بهذا الفن حيث ألفوا الكثير من المصنفات لخصر و فهرسة كتب العلماء السابقين؛ يصف البيروني هذا المفهوم في كتابه الفهرست: «ذكرت - لا زلت ذاكرأ و به مذكوراً- أنك تشوقت الى الإحاطة بزمان محمد بن زكريا بن يحيى الرازي، و الإطلاع على كمية كُتبه التي عملها و أسمائها، لتطرق بذلك الى طلبها؛ و أن ما تحقق لديك من ذكاء قريحة، و زكاء فطنة، و بلوغه من الصناعة أقصى مداها، شوقك الى معرفة أول من ابتدأ بالطب و استنتبته. و هذا و إن كان بحثاً خبيراً، فإنك لم تأت بالنزاع شيئاً فرياً»^(١).

^١- فهرست كتابهاي رازي و نام هاي كتاب هاي بيروني، البيروني، محمد بن احمد، تحقيق محقق، مهدي (تهران: دانشگاه تهران، ١٩٩٢).

المصادر:

- استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) ٢٠١٤-٢٠٢٣. منظمة الصحة العالمية. جنيف: منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٣.
- استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب الشعبي ٢٠٠٢-٢٠٠٥. منظمة الصحة العالمية. جنيف: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٢.
- الطب الامبريالي و المجتمعات المحلية. أرنولد، دافيد. ترجمة فهمي، مصطفى ابراهيم. عالم المعرفة ٢٣٦. الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ١٩٩٨.
- تاريخ و محطات سيرة ذاتية تؤرخ لكلية الطب العراقية. الهاشمي، هاشم مكي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ٢٠٠٩.
- دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب. حمارنة، سامي خلف. حلب: معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٠.
- فهرست كتابهاي رازي و نام هاي كتاب هاي بيروني. البيروني، محمد بن احمد. تحقيق محقق، مهدي. تهران: دانشگاه تهران، ١٩٩٢.
- مختصر تاريخ الطب العربي. السامرائي، كمال. دار النضال، ١٩٨٩.
- Drug Design: Methodology, Concepts, and Mode-of-Action.** Klebe, Gerhard, Berlin, Heidelberg: Springer Berlin Heidelberg ٢٠١٣،. doi:10.1007/978-3-642-17907-5.
- "Target-Based Drug Discovery: Is Something Wrong?"**Samsdodd, F. **Drug Discovery Today** 10٤٧-١٣٩: (٢٠٠٥، ١٥ يناير)، عدد ٢،. doi:10.1016/S1359-6446(04)03316-1.
- "The Value of Drug Repositioning in the Current Pharmaceutical Market".** Tobinick, E.L. **Drug News & Perspectives** 22١١٩: (٢٠٠٩)، عدد ٢،. doi:10.1358/dnp.2009.22.2.1303818.



من هذا المنطلق، تم تصميم هذه الدراسة كبداية لدراسات أعمق و أشمل في مجال تاريخ الطب.

منهج البحث:

(١) تم تحميل و استخراج كل البيانات من قاعدة بيانات المجالات الاكاديمية العلمية العراقية والذي يقع في الرابط <https://iasj.net> في منتصف عام ٢٠١٩ م، وذلك بهدف معالجة البيانات بحسب الأدوات التي توفرها برامج إدارة قواعد البيانات، حيث لا يوفر الموقع اعلاه هذه الإمكانيات.

(٢) تم البحث في حقول العنوان العربي و الملخص بكل ما يخص تاريخ الطب، وذلك بعبارة مثل: «طب*عربي» و «طب*شعبي» و «بیمارستان» و «طبقات الاطباء» و كذلك الاعلام مثل: «ابن سينا» و «الرازي» و «ابن زهر» و «بختيشوع» و «فارابي» و «ابن رشد» و «البيروني» و «الكندي» و «ابن الجزار» و كذلك المواضيع المعنية بالطب مثل: «اطعمة» و «اشربة» و «العلاج» و «الاعشاب» و «النباتات الطبية» و امثالها.

(٣) تم حذف المكرر و ما ليس له علاقة بمجال البحث يدوياً بحسب تشخيص الباحث، لتتشكل قاعدة بيانات خاصة بالمقالات المعنية بتاريخ الطب و العلوم المرتبطة به فقط.

(٤) تم تصنيف المقالات بحسب الحقبة الزمنية من حيث تاريخ الطب (قبل الإسلام، من بداية الإسلام حتى القرن السابع الهجري، من القرن السابع الهجري حتى الحقبة المعاصرة، و الحقبة المعاصرة)؛ و تم استخراج البيانات المعمولة من حيث القياس العلمي.

(٥) لتكتمل صورة البحث، اعد الباحث جدولاً بالكتب المنشورة في مجال تاريخ الطب و هي مرفقة كملحق للبحث.

النتائج:

(١) توصل البحث لـ ١٤٧ مقال مرتبط بمجال الدراسة من بين ١٤٨.٨٩٢ مقال في قاعدة البيانات حين اعداده (منتصف عام ٢٠١٩)؛ و هو ما يشكل ما نسبته ٠.٠٠١ من البحث العلمي المنشور في الدوريات العراقية. (ملحق ٤)

٢) يظهر الرسم البياني التالي عجلة النمو العلمي في نشر المقالات بشكل عام و المعنية بتاريخ الطب بشكل خاص؛ و يظهر منها سرعة المجتمع العلمي العراقي بنشر المقالات بشكل عام لكن هذه العجلة اضعف في مجال نشر المقالات المعنية بتاريخ الطب.



٣) يظهر من نتائج البحث ان معظم المقالات او ١١٩ (٨١%) كتبها مؤلف واحد؛ و الباقي او ٢٨ مقال كتبه مؤلفين (١٩%). يدل هذا المعيار على ضعف التعاون الأكاديمي بين الباحثين في هذا المجال؛ بناء على هذه النتيجة، لا يمكن بذل المزيد من الجهد في رسم شبكة التعاون العلمي بين الباحثين.

٤) تعرف البحث على ١٤٥ مؤلف لهم إهتمام بالكتابة في مجال مرتبط بتاريخ الطب، لكن لـ ١٢٣ (٨٥%) مؤلف منهم مقال واحد فقط في هذا المجال؛ و لـ ١٨ (١٢%) منهم مقالين؛ و هذا يعني عدم وجود متخصص او متفرغ للكتابة في مجال تاريخ الطب في العراق. (ملحق ٢). لا يوفر موقع قاعدة بيانات المجلات الاكاديمية العراقية بيانات الإنتماء المؤسسي للباحثين، لهذا لا يمكن استخراج المزيد من البيانات بشأن المراكز النشطة في مجال البحث التاريخي.

٥) بحسب تصنيف المقالات بحسب الحقبة الزمنية للبحث، ظهر ان اكثر المقالات اعتنت بحقبة ازدهار الحضارة العربية بنتيجة ٩١ مقال (٦٢%)؛ تلا ذلك المقالات التي لا يمكن تصنيفها بحسب حقبة زمنية كونها عامة (مثلاً: التشخيص في الطب العربي) بنتيجة ٣١ مقال (٢١%)؛ ثم المقالات بشأن تاريخ الطب قبل الاسلام بنتيجة ١٤ مقال (٩.٥%)؛ اما مقالات الحقبة المعاصرة فكانت ٩ مقالات (٦%)؛ و في النهاية لم تحظ حقبة ضعف الحضارة العربية بغير مقالين (١.٣%).

٦) نشرت ٥٦ دورية مقالات مرتبطة بتاريخ الطب؛ ٢١ (٣٧.٥%) مقال منها في «مجلة التراث العلمي العربي» و ٩ (١٦%) منها في «مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية» و البقية في سائر المجلات. توفر مجلة مختصة في مجال تاريخ الطب و العلوم عند العرب فرصة يمكن للباحثين العراقيين الاستفادة منها بشكل أمثل. (ملحق ٣)

المناقشة و التوصيات:



تقترح هذه الدراسة ما يأتي:
(١) بذل المزيد من الاهتمام بدراسة تاريخ الطب و التراث العلمى العربى، فنسبة البحث ٠.٠٠١% لا تتناسب مع التراث الثرى الذى تحظى به الحضارة العربية و الاسلامىة.
(٢) اكمال دراسة القياس العلمى فى مجال تاريخ الطب فى سائر الدوريات العربية و كذلك قواعد البحث العالمىة.
(٣) التقييم النوعى للدراسات المنشورة فى مجال تاريخ الطب؛
(٤) زيادة التعاون الاكادىمى بين الباحثىن العراقىين من جانب، و أشقائهم فى الوطن العربى و العالم الاسلامى من جانب آخر.
الملاحق:
الملاحق التالىة متواجدة على العنوان التالى:

<https://doi.org/10.5281/zenodo.4384044>

ملحق ١: الكتب التى ألفها عراقىون بشأن تاريخ الطب
ملحق ٢: اسماء المؤلفىن الذىن لهم مقالات مرتبطة بتاريخ الطب مرتبة بحسب عدد المقالات لتى الفوها
ملحق ٣: المجلات التى نشرت ابحاث متعلقة بتاريخ الطب مرتبة بحسب عدد المقالات.
ملحق ٤: عناوىن المقالات المتعلقة بتاريخ الطب

اسهامات امراة المسلمة في علم الطب والصحة في الحضارة العربية الاسلامية

الدكتورة هيفاء سليمان الامام

استافة الحضارة العربية الاسلامية في الجامعة اللبنانية الرولية

رئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية والحكمة

الملخص:

تمتعت المرأة العربية المسلمة بحضور في مختلف المجالات العلمية والثقافية، وقامت بأدوار سياسية واقتصادية وشرعية وتعليمية وطبية، وساهمت بشكل كبير في إغناء الحركة العلمية والفكرية والأدبية ، فبذلك تكون قد ساهمت بدور كبير في بناء صرح النهضة العلمية وفي إقامة أسس الحضارة العربية الإسلامية. كرم الإسلام المرأة ورفع من قدرها ومنحها حقوقاً حرمت منها مثيلتها في بلدان أخرى في ذلك العصر. فبينما كانت المرأة الأوروبية في ذلك الوقت تُعامل على أنها أقلُّ درجة



من الرجل، كانت المرأة العربية تتوسّط الرجال وتتصدّى برفقتهم للعدوِّ وتشاركهم حماية الدولة، وتقوم بمهامّ التطبيب والجراحة رغم صعوبتها. ويتفق اغلب المفسرين القدامى والمعاصرين في التذكير أن رسالة القرآن الكريم هي دعوة عالمية تخص بشكل تام ومتساو كلاً من الرجال والنساء. من هنا عرضنا في هذه الدراسة بعض النماذج المشعة التي تدل على مساهمة المرأة المسلمة في العلوم والثقافة بشكل عام وعلى دورها الفاعل في علم الطب بشكل خاص. فالنساء المسلمات بصفة عامة برعن في ثلاث مجالات هي: جراحة الحروب، القبالة وأمراض النساء، والكحالة وأمراض العيون، ولعل أهمها كان المجال الأول، إذ كان يعتمد على النساء بشكل أساس. الكلمات المفتاحية : المرأة المسلمة-علم الطب عند المسلمين- الحضارة العربية الاسلامية- مكانة المرأة -دور المرأة.

Summary

Arab Muslim women enjoyed a presence in various scientific and cultural fields, played political, economic, legal, educational, and medical roles, and contributed significantly to the enrichment of the scientific, intellectual and literary movement, thus contributing a major role in building the edifice of scientific renaissance and in establishing the foundations of Arab-Islamic civilization .

Islam honored women raised their values and granted them rights that were denied to them in other countries of the time. While European women at the time were treated as less likely than men, Arab women mediated with men, confronted the enemy, shared state protection, and performed medical and surgical despite their difficulty .

The majority of old and contemporary commentators agree that the message of the Qur'an is a universal call that belongs entirely and equally to both men and women.

Here we presented some radioactive models that show the contribution of Muslim women to science and culture in general and their active role in medical science in particular. Muslim women, in general, are brilliant in three areas: war surgery, midwifery, gynecology, case and eye diseases, the most important of which was the first area, which was mainly based on women .

key words : Muslim women - Muslim medical science - Arab Islamic civilization - the status of women - the role of women

المقدمة:

أسهمت النساء -على الأقل خلال القرون الأولى بعد وفاة النبي (ص)- في روعة تلك الحضارة، وإن كان التاريخ لا يذكرهن اليوم، ولا غرابة في ذلك ما دامت روح رسالة الإسلام جاءت لتخرج الرجال والنساء من حالة (الجهل) إلى حالة (العلم)، هذا العلم الذي يقول عنه رسول الإسلام ﷺ إنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقد تمكن النساء والرجال، متشبعين بقوة المعرفة معززين بالإيمان، من إعطاء أفضل ما لديهم، وترك بصماتهم في دورة التاريخ الإنساني.

اشكالية الدراسة:

قدم المسلمون والعرب اسهامات عدة -في مختلف جوانب العلوم الطبية- للحضارة العالمية لأن علومهم كانت قائمة على البحث والتجربة والاختبار سواء في المختبرات أم في البيمارستانات (المستشفيات) اضافة الى ما استفادوا منه من الحضارات السابقة. وكان للنساء المسلمات دور بارز في حقول العلم المتعدد وخاصة في علوم الصحة و الطب، من هنا جاء السؤال في هذا البحث يستوضح هل هناك نساء مسلمات احترفن مهنة الطب في التاريخ الاسلامي؟؟ ومن هن أبرز طبيبات الاسلام وما هي تراجمهن وانجازتهن؟؟

اهمية البحث:

ان اهمية البحث في موضوع دور المرأة في علم الطب ابان عصور الاسلام، تكمن في تأكيد ولفت النظر الى ما كانت عليه المرأة المسلمة من مكانة علمية واجتماعية وما وصلت اليه احوال المسلمين من ازدهار علمي واجتماعي في العصور الوسطى، حيث وصلت الحضارة الاسلامية الى أوج ازدهارها وعطائها العلمي وذلك بسبب عدم اهمال قدرات جميع مكونات المجتمع خاصة قدرات النساء ودورهن البارز والجليل.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث الى تعزيز انتماء اجيال الأمة وتنمية عناصر بناء شخصيتهم ودعم فخرهم بانتمائهم الى اعرق امة كانت صديقة الشمس حين كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعريفهم على دور النساء في بناء الحضارة الإسلامية والذي قلما يُلتفت إليه، سواء على المستوى التاريخي أو الفكري، رغم انهن كن يعملن بنشاط للبحث والإنجاز العلمي الواضح في كل مناحي العلوم ، ومنها علم الطب.

منهجية البحث

اتبعت في هذه الورقة المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء وعرض تاريخ النساء المسلمات ومكناتهن ودورهن في بناء حضارة مترامية الأطراف في جميع نواحي العلوم .
الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة المصادر عن الطب والأطباء الا ان المعلومات الخاصة بدور النساء في مهنة الطب كانت قليلة ومتناثرة لذا احتجنا الى كثير من الجهد لتجميع المعلومات عنهن . والعمل على استنباط ما بين السطور من اجل الحصول على معلومات واضحة عن مساهمة النساء المسلمات في مهنة الطب ، ذلك على امل ان نسد



الثغرة ونحقق الفائدة المرجوة لسد الفراغ في المكتبة التاريخية الاسلامية، من هنا اعتمدت في هذه الدراسة على المصادر والمراجع التالية :

١. ابن ابي اصبعية: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نسخة بيروت، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة- بيروت ١٩٦٥
٢. بلال غيث، بحث دور المرأة المسلمة في العلوم ومساهمة العرب في الحضارة الإنسانية، جريدة الخليج -الشارقة ٢٠٠٨/٣/٢٦
٣. أبي الفرج الأصبهاني ٩٦٧/٥٣٥٦م، اخبار النساء في كتاب الأغاني، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، الطبعة الخامسة، دون تاريخ نشر.

٤. حسان حلاق ، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية- بيروت ١٩٩١
٥. عبد الرحمن المصطاوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبي ، أعلام النساء ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٦. عمر فروخ وماهر عبد القادر وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية -بيروت، ١٩٩٠

٧. هدى السعدى و أميمة أبو بكر، النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية من سلسلة أوراق الذاكرة مؤسسة المرأة والذاكرة سنة ٢٠٠٤م.
- المبحث الأول: مكانة المرأة في الحضارة العربية الاسلامية:**

١- مكانة المرأة في العصور الوسطى عامة :

حتى قرون قليلة مضت كانت المرأة في أوروبا تُعامل على أنها مخلوق من الدرجة الثانية أو الثالثة؛ بل وأنزلت منزلة أقل من منزلة الرقيق، فكانت في نظر القساوسة ورجال الدين شراً لا بُدَّ منه، وإغواءً طبيعياً، وكرثة مرغوباً فيها، وفتنة مهلكة، وشراً عليه طلاء، وكانت من وجهة نظرهم- صورة حواء التي خسر بسببها الجنس البشري جنات عدن، وأداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم. وجعلوا المرأة خاضعة للرجل؛ لضعف طبيعتها الجسميّة والعقليّة معاً، وجعلوا الرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، وفرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، وعلموا أبنائهم أنّ محبة الآباء أكثر وجوباً من محبة الأمّهات، ورأوا أنّ الله قد خلق الرجل لا المرأة في صورته هو، وعليه فالزوجة يجب أن تكون خاضعة لزوجها؛ بل يجب أن تكون له أقرب ما تكون إلى الخادمة.

وحين وُضعت القوانين المدنيّة جاءت أشدَّ عداءً للمرأة من القانون الكنسي؛ فقد كان كلا القانونين يُجيزان ضرب الزوجة، كما ينصُّ على ألّا تُسمع للنساء كلمة في المحكمة "لضعفهن"، ويُعاقب على الإساءة للمرأة بغرامة تُعادل نصف ما يُفرض نظير الإساءة نفسها للرجل، وقد حرم القانون النساء حتى أرقاهنَّ مولداً من أن يُمتلن ضياعهنَّ في برلمان إنجلترا أو في الجمعية العامّة للطبقات بفرنسا، وكان الزواج يُعطي الزوج الحقَّ الكامل في الانتفاع بكلِّ ما لزوجته من متاع وقت الزواج والتصرّف في ريعه، ولم يكن يُرخص للمرأة أن تكون طبيبة، واعتبروها رجساً كبيراً، وفرضوا عليها -في بعض

الأوقات- أذا تأكل اللحم، بل وفرض عليها الامتناع عن الضحك والكلام في ظروف معينة؛ فقبل قرون -وفي بريطانيا تحديداً- كان مصير المرأة كثيرة الكلام إلباسها قناعاً حديدياً مع وضع قطعة من الحديد في فمها حتى لا تتكلم، وبعض الأفعنة كانت تحتوي على جرس، ثم يتم سحب المرأة في الشوارع والأسواق كنوع من التعذيب والعقاب لها!! كما قد كانت بعض القبائل العربية في الجاهلية تند البنات حية خشبية العار^(١) وهذا قد تغير مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أعطى للمرأة مكانتها داخل المجتمع وساوى بينها وبين الرجل في عدة أمور. فالاسلام كرم المرأة ورفع من قدرها ومنحها حقوقاً حرمت منها مثلتها في بلدان اخرى في ذلك العصر^(٢).

٢- مكانة المرأة في الاسلام:

جاء في جريدة المونيتور الفرنسية وهي تتحدث عن المرأة في الإسلام وتصور احترامه لها: "لقد أحدث الإسلام ونبيه تغييراً شاملاً في احترام المرأة العربية في المجتمع الإسلامي، فمنحها حقوقاً واسعة تفوق في جوهرها الحقوق التي منحناها للمرأة الفرنسية".

فالإسلام حفظ للمرأة المسلمة مكانة محترمة ، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، ومنحها الحقوق كافة التي يتمتع بها الرجل؛ فلها حق التعبير عن رأيها، ولها ذمتها المالية المستقلة، ولها حق التعلم والتعليم، ولها حق العمل، وغير ذلك من الحقوق التي حرمت منها المرأة في عصور الظلام الأوربية.

فبينما كانت تُعامل المرأة في أوروبا في ذلك الوقت على أنها أقل درجة من الرجل، كانت المرأة العربية تتوسط الرجال وتتصدى برفقتهم للعدو وتشاركهم حماية الدولة، وتقوم بمهام التطبيب والجراحة رغم صعوبتها.

أ- مكانة المرأة المسلمة في القرآن :

ينفق اغلب المفسرين القدامى والمعاصرين في التذكير أن رسالة القرآن الكريم هي دعوة عالمية تخص بشكل تام ومتساو كلاً من الرجال والنساء^(٣)، وباستثناء بعض الآيات التي خاطبت على الخصوص الرجال أو النساء، فإن معظم آيات القرآن تتوجه بالخطاب لهما معا على حد سواء ودون تمييز. وبهذا المعنى ينبغي إعادة قراءة بعض المفاهيم الأساسية لهذه الرؤية القرآنية العادلة، التي للأسف غالباً ما كان يُنظر إليها على أنها خطاب موجه بشكل أولى للرجال بل اعتبرت خطاباً مقصوراً على الرجال فقط. لكن هذه المهمة التي جعلت من البشر، رجالاً ونساء، ممثلين للإرادة الإلهية على

(١) اصبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م صفحة ٤٤٢

(٢) اصبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة ٤٤١

(٣) اصبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة ٤٤٥-٤٤٦



الأرض، هي أيضاً قبل كل شيء مسؤولة كبيرة تتمثل في الحفاظ على الخلق وثوراته وكنوزه الطبيعية، إن مسؤولة استعمال هذه الموارد دون استنزاف تتمثل في احترام القوانين الطبيعية وحماية مواردها.

ولتحليل دور المرأة في بناء هذه الحضارة، ينبغي، في مرحلة أولى، النظر وإعادة اكتشاف المفاهيم القرآنية التي مكنت من تشييد حضارة إسلامية أثرت بوضوح في جميع العالم، ولها أفضل على البشرية جمعاء لا يمكن إنكارها، ثم في المرحلة الثانية، إعطاء قيمة لإسهامات هؤلاء النساء أنفسهن في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ب- دور المرأة المسلمة في بناء الحضارة :

كانت المرأة المسلمة تتمتع بالقوة والنفوذ، وتساهم في السلطة إلى جانب زوجها، فقد ان المرأة شاركت الرجل في مجال التربية والتعليم، وفي الأحداث الثقافية والفكرية. فنجد الفقيهات والطبيبات والمعلمات، والنسآحات، وكان منهن المدرسات أو أمينات المكتبات. وشغف النساء المثقات كذلك بجمع الكتب وإنشاء المكتبات.

ولو أخذنا مثلاً واحداً يتعلق بتأسيس العلوم الإسلامية، ندرک جيداً أن ثمة آلاف النساء اللواتي كن خلال القرون الأولى المتتالية من الأوائل من بين أخريات في تأسيس العلوم الإسلامية، وبالخصوص علم الحديث الذي يعد من العلوم الأساسية في مجال العلوم الإسلامية.

وعليه فدور النساء العالمات كان فريداً في تاريخ البشرية قبل العصر الحديث، ولا يوازي الدور العظيم والبارز الذي لعبته في تطور وحفظ المعرفة الدينية الإسلامية خاصة السنة النبوية.

لقد أسهمت نساء عالمات كثرات في بناء العلوم الدينية واستمرارها، وقد عوملن خلال المراحل الأولى باحترام وتكريم كبيرين.

ونجد في كثير من المخطوطات التاريخية لكثير من العلماء أسماء لنساء عالمات درسن لجموع مختلطة في حلقات دراسية، وفي هذه الحلقات الدراسية العلمية لم يكن هناك إبعاد لهن وكن يحضرن بصفتهن طالبات ومعلمات.

لقد اشتهرت إلى غاية القرن العاشر الهجري النساء العالمات المعروفات أمثال المسندات اللواتي يصادقن على صحة متن الحديث، ونجد أسماءهن في مخطوطات شهادات الإجازات التي يسلمن لطلبتهن الذين يحضرون دروسهن حيث توجد توقيعاتهن، وبقيت النساء العالمات يعطين الإجازات علناً حتى زمن الفتح العثماني.

نلاحظ اليوم أن المسلمين اعتادوا فقط على أسماء بعض النساء في عصر النبوة، في حين يجهلون آلاف النساء العالمات الموجودات خلال القرون الأولى بعد الجيل الأول، وهذا يشكل فراغاً كبيراً في ذاكرة هذه الحضارة، ونهمل بُعداً في تاريخنا المتميز.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم العلوم الإسلامية عند الجيل الأول تشمل كل العلوم وليس فقط العلوم الدينية، الطب والفلك والأدب العربي إلخ ..

إن التزام النساء بالعلوم الإسلامية عموماً (علم الكلام والتاريخ والشريعة والنحو) ودورهن البارز في إغناء المعرفة والتعليم كان دوراً لا يمكن إنكاره، لكنه بدأ يتراجع

منذ القرن العاشر الهجري، حيث بدأ اسم النساء في العلوم الإسلامية ينقص بشكل ملحوظ.

بعد القرن السادس عشر الميلادي إذن بدأ عدد النساء العالمات ينقص جذرياً، وبدأ تهميشهن شيئاً فشيئاً، بعدما أصبحت وظيفة العلماء رسمية، هذا التراجع الذي عرفته إضافات النساء يعكس التراجع الذي عرفته الحضارة الإسلامية عموماً.

وحرمان النساء وإقصائهن عن دائرة العلم شبيهه بوأد البنات وهن على قيد الحياة في عصر الجاهلية، وعليه فمن يجرمهن من العلم يجرمهن بكل بساطة من أن يعشن حياة حرة ككل إنسان له عقل وذكاء ويقبرهن وهن على قيد الحياة! إن إقصاء النساء عن دوائر العلم وحسبهن في الحريم حيث اعتبرن مجرد أجساد لقضاء متعة أو وقت فراغ أو شهوة تافهة، وبذلك بدأ رسمياً دفن كل ما يمثل غنى الحضارة الإسلامية.

ولكن كلما شاركت النساء في بناء العلوم الإسلامية عموماً، كن غائبات في بناء الفقه الإسلامي، وعلى هذا المستوى صادفنا أحكاماً إقصائية للنساء ومفاهيم فقهية تعزز تهميش النساء وإقصائهن من مجال المعرفة الاجتماعي والفكري.

وقد زامن تراجع العالم الإسلامي مع تراجع الفكر الإسلامي وإسهامات النساء العلمية عموماً، كلما هوت الحضارة الإسلامية أصبحت النساء مختفيات والفكر الإسلامي منغلقاً على ذاته، في حالة السبات هذه والضعف حيث وجدت كل المكونات التي هيأت الأرضية (الاستعمار والقابلية للاستعمار) لكارثة الاستعمار، لقد تم قصر المعرفة الدينية على ما ألفه الأولون، ولم يكن للعالم المسلم ليدافع عن نفسه ضد المستعمر إلا هذه التقاليد والعادات الثقافية، فحاصر المسلمون أنفسهم خلف ذواتهم وحافظوا على ما بقي لديهم من تقاليد وخاصة (حماية) النساء من العنف الاستعماري.

فأصبحت النساء رهينة مزدوجة رهينة من جهة تخلف الفكر والعلم الإسلاميين، ورهينة من جهة أخرى للصدمة الناتجة عن اللقاء مع الحداثة الداخلة عن طريق الاستعمار الثقافي، من هنا بدأ تطوير الصورة المهينة عن النساء في الإسلام الموجودة اليوم والتي روجت لها المدرسة الاستشراقية التي سبقت الاستعمار.

مع أن النساء كن بارزات علمياً وثقافياً خلال القرنين التاسع والعاشر بفضل الإسلام سلطته الدينية التي لا جدال فيها للمعرفة والعلوم، فقد أصبحن في نهاية القرن التاسع عشر ممنوعات حتى من دخول المعرفة والتعليم باسم الإسلام!

بعدما كانت النساء في العصر الوسيط قاضيات ومحدثات ومفتيات ومفسرات ومعلمات أصبحن بعد دخول الحداثة ممنوعات من كل وظيفة بدعوى الحفاظ على الهوية أو الحماية من المستعمر الذي يمثل قيماً حدائية لا تتوافق مع الإسلام، كل ما يعده المستعمر أو الغرب قيماً كونية حتى وإن كانت هذه القيم في أصلها إسلامية في معناها الأخلاقي، كان المسلمون يحتجون عليها باعتبارها رمزاً لما يرد من الخارج الإمبريالي.

إلى غاية اليوم وفي مناقشاتنا المعاصرة لما بعد الحداثة لازال إصلاح الفكر الإسلامي وتحرير النساء يعاني من هذا الانقسام في الفكر حيث لا نستطيع الانفكاك عن هذه



الرؤية المزدوجة التي تفرض علينا رفض كل ما نظنه دخيلاً على ثقافتنا لمجرد أنه غربي، إذ نخلط بين ما هو إضافة كونية وما هو إضافة خاصة بثقافة ما، لقد شاطر المسلمون خلال العصر الذهبي قيمهم الكونية مع باقي الإنسانية، ولا أحد حاكم القيم الإسلامية في ذلك العصر على أنها غير مقبولة لكونها قادمة من ثقافة مختلفة، بل بالعكس استعاد الغرب كل القيم الإسلامية للعصر وطورها لتصبح على ما هي عليه اليوم.

٣- الحقوق القانونية للمرأة في الإسلام^(١).

أ- الحقوق المدنية : المراد بالحقوق المدنية ما يشمل حق التملك والتدبير والتصرف وتكوين العلاقات في المسائل العامة وما إلى ذلك كله. من هنا فإن حقوق المرأة المسلمة المدنية تفوق حقوق كل امرأة في مختلف القوانين والحضارات القديمة والمحدثة. وقد تطور حال المرأة في التاريخ بالنسبة لهذه الناحية تطوراً عديداً كان آخر أمره أن ظفرت المرأة بقسط من المساواة مع الرجل في كثير من جوانب الحياة. فالمرأة في الإسلام مخاطبة مثلها مثل الرجل، حيث إنها قادرة على أن ترتفع لأعلى درجات السمو الروحي والقرب من الله، كما أنها قادرة أن تلعب أدواراً كبيرة في الحياة العامة مثلما يلعبها أخوها، فلقد حاول الإسلام أن يوزع المسؤولية بين الرجل والمرأة، ويخصص لكل واحد منهما ناحية من نواحي العمل الجدير به، إذ أنه لم يمنع المرأة من أي عمل تختاره لنفسها.

كما قد احتفظ الإسلام للمرأة قبل كل شيء بشخصيتها، فجعل اسمها بعد الزواج لا يتغير باسم زوجها، ولم يجعل الزواج علاقة بقضية التركات المالية أو غيرها مما تنبني عليه القوانين الوضعية حيث أعطاهم حق التصرف فيما ملكته أو تملكه^(٢).

ب- حق المرأة في العلم^(٣): تجسد تعلم المرأة ابتداءً من الجيل الأول للنساء القدوة المؤمنات الصالحات العالمات والمعلمات زوجات النبي الكريم (ص) وغيرهم من كان لهن دور كبير في إرساء تعاليم الحضارة العربية الإسلامية، إلى العصور الزاهية للعلماء النسائي والحضور الاجتماعي الإيجابي وكذا المساهمة في بناء الحضارة الذي قد شهد له الكثير من داخل الحضارة وخارجها، تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقن المحاضرات في المساجد، ويفسرن أحكام الدين، فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تتال منهم منهم تصرّيحاً لتدرس هي بنفسها ما تعلمته فتصبح أستاذة وعالمة، كما لمعت من بينهم أديبات وشاعرات والناس لا تبدي في ذلك غضاظة أو خروجاً عن التقاليد". كما أنه لا بد من الإشارة كذلك إلى أن نساء الأندلس، وفي محاولة منهن للبحث والتحصيل، كن يسافرن من مدينة إلى أخرى طلباً للعلم، وخير مثال على ذلك نجده

(١) صبحي الصالح، المرجع السابق، صفحة ٤٦٠

(٢) صبحي الصالح، المرجع السابق، صفحة ٤٦١

(٣) صبحي الصالح، المرجع السابق، صفحة: ٤٤٤-٤٤٥

مع ابنة فائز القرطبي المجهولة الاسم والتي رحلت إلى غرناطة للتلمذ على يد المقرئ أبي عمر الداني. وحين علمت بمرضه استفسرت عن من يشابهه في العلم للأخذ عنه ما تيسر من العلم، أما أم الحسن بنت اللواء، فكانت لصيقة بالباقي بن مخلد مثلها في ذلك مثل التلامذة الرجال .

ج- أماكن تلقي العلم للنساء المسلمات : كانت المرأة المسلمة تخرج من بيتها من أجل العلم، وكان المكان الأول الذي اتخذته المرأة وجهة للتعلم هو المسجد وذلك منذ عصر النبوة، كما كانت حجرات أمهات المؤمنين منارات للإشعاع العلمي والثقافي، فقد كن يستقبلن النساء اللواتي يسألن عن أمور دينهن، وقد أخذ العلم عن عائشة رضي الله عنها لوحدها حوالي ٢٩٩ من الصحابة والتابعين، منهم ٦٧ امرأة كلهن يقصدن بيتها الذي كان بمثابة مدرسة وجامعة لمختلف العلوم، وهناك أم سلمة رضي الله عنها التي اشتهرت بالعلم وخاصة في مجال الفقه، فقد روي عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغوا حوالي ١٠١، منهم ٢٣ امرأة.

ولقد تطورت أماكن التعلم مع تطور وازدهار الحضارة العربية الإسلامية حيث نشأت المدارس وتخصصت كل مؤسسة في مجال محدد، كانت هناك مدارس خاصة بالنساء خاصة في المدن الكبرى كبغداد والشام ومصر والأندلس والمغرب.

المبحث الثاني: علم الطب عند المسلمين بشكل عام

اهتم المسلمون بصناعة الطب اهتماماً كبيراً^(١)، فتسابقوا لدراسته بكل نظرياته وقوانينه واصوله العملية والنظرية ومنذ بداية الاسلام وحتى اليوم نجد ان تاريخ الدولة الاسلامية حافل بأسماء اطباء عظماء خدموا دولتهم والعالم اجمع واسماؤهم ما زالت تتردد حتى اليوم في الاوساط الطبية في الشرق والغرب^(٢) . فمنذ عصر النبوة كان الرسول ﷺ يحث الصحابة دائماً على البحث عن الشفاء بوسائل العلاج والتطبب المعروفة مما شجع المسلمين على وضع علم الابدان في مصاف واحد في اهميته مع علم الاديان^(٣) .

١- مصدر العلوم الطبية عند المسلمين:

فالتب او علم الابدان العلم الحافظ للصحة الموجودة والراد للصحة المفقودة^(٤)، يعد من اكثر العلوم التي اولاهها المسلمون رعايتهم واهتمامهم . وقد بدأ اهتمامهم بهذا العلم منذ بداية عهد الاسلام حينما كان الرسول ﷺ كما ذكرنا سابقاً يحث المسلمين على دراسة

(١) حسان حلاق، تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت، طبعة اولى، ٢٨/١٤٤٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص: ١٧

عمر فروخ وماهر عبد القادر وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية بيروت، طبعة اولى، ١٠/٥١٤١٠م، ص: ١٦٤-١٦٦

(٢) حسان حلاق، المرجع نفسه، ص: ١٨-١٩

(٣) ابن قيم الجوزية : الطب النبوي، تحقيق محمد فتحي ابو بكر،الدار المصرية اللبنانية، طبعة ثانية ١٩٩٤م

(٤) ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة -بيروت ص: ٧



الطب والتخصص فيه^(١). ومن اجل دراسة هذا العلم دراسة مستفيضة اتجه المسلمون الاوائل الى قراءة التراث الطبى اليونانى والفرعونى والهندي والبابلى وقد كان للتراث الطبى اليونانى اكبر الاثر على الاطباء المسلمين حيث ان حضارة اليونان تعتبر من اكثر حضارات العالم ثراءً في الانتاج الطبى عكف الاطباء المسلمون على دراسة التراث الطبى اليونانى باجتهاد فقاموا بقراءته كله وترجمته ترجمة تفصيلية ثم اضافوا اليه خلاصة تجاربهم وملاحظاتهم العلمية الدقيقة واخرجوا نظريات طبية جديدة ما زال العالم يتحدث عن عظمتها حتى اليوم^(٢).

وبسبب اهمية كتب التراث الطبى اليونانى كان من الواجب على طالب الطب ان يبدأ دراسته بقراءة اشهر كتبها مثل كتب **ابقراط وجالينوس**^(٣). ثم بعد ذلك كان الطالب ينتقل الى كتب مشاهير الاطباء العرب ولقد كان الطالب يعتمد اساساً على اسلوب الحفظ عن ظهر قلب وكانت فكرتهم في ذلك تقوم على اساس ان الحفظ يحفظ المادة العلمية عبر السنين في حالات ضياع او تلف الكتاب او المصدر^(٤).

٢- منهج دراسة الطب وممارسته عند المسلمين

ولم يكن هناك منهج محدد او كتب معينة يجب ان ينتهي الطالب من دراستها حتى ينال الاجازة ولكن كان كل استاذ يعطي الطالب الاجازة وفقاً لتقديره وبوجه عام لم تتطلب دراسة الطب السفر والترحال الكثير مثلما كانت تقتضى دراسة العلوم الدينية . وربما كان هذا من العوامل التي يسرت هذا المجال للمرأة في المجتمع المسلم . كانت هناك ثلاثة طرق رئيسية يستطيع من خلالها طالب الطب ان يحصل على الاجازة ويصبح طبيباً ممارساً للمهنة :

أ- **دراسة الطب في المستشفيات**: حيث كان الطالب يتدرب على مهنة الطب تدريباً عملياً فيقضى وقته مع المرضى يتابع حالاتهم المختلفة وتطورات امراضهم . والى جانب الدراسة العملية كان هناك جانب نظري لدراسة الطب في المستشفيات حيث ان معظم المستشفيات في العالم الاسلامى كانت تحتوي على قاعات للمحاضرات ومكتبات كبيرة^(٥).

ب- **دراسة الطب في مدارس خاصة متخصصة** : غالباً ما كان يقوم اطباء مشهورون بإدارة مثل هذه المستشفيات .

ج- **طريقة التدريس الخصوصى** : وهي حينما يلازم طالب واحد او طالبان على الاكثر طبيباً مشهوراً للتعلم منه وغالباً ما يلازم الطالب استاذة في العيادة والمستشفى والزيارات المنزلية يتعلم منه طريقة فحص المريض وتشخيص الامراض . وفي كثير من الاحيان يكون الاب هو الاستاذ او المعلم الخصوصى لابنه او لابنته حيث ان توارث

(١) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق، ص:٨

(٢) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٢

(٣) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ١٩

(٤) هدى السعدي واميمة ابو بكر . النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية من سلسلة اوراق الذاكرة في مؤسسة المرأة والذاكرة سنة ٢٠٠٤م، ص: ٧.

(٥) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص: ٨

مهنة الطب بين ابناء الاسرة الواحدة كان امراً شائعاً في العصور الاسلامية الاولى والوسطى .

والى جانب هذه الطرق الرئيسية في تعلم الطب، كانت هناك **طريقة تعلم الطب بالممارسة والخبرة العملية** بدون دراسة رسمية او منهجية . الا انه رغم وجود عدد كبير من النساء المسلمات الممارسات لطب العامة في هذه الطبقات هناك ادلة على وجود عدد لا بأس به من الطبيبات اللاتي درسن من خلال القنوات الرسمية وفي سياق مجتمع الصفة وتعلمن على ايدي كبار الاطباء مثل القوايل اللاتي تعلمن الطب من الطبيب الاندلسي المعروف الزهراوي وعملن مساعدات له^(١) .

٣- اماكن ممارسة الطب في التاريخ الاسلامي:

وبعد ان ينتهي الطالب من دراسة الطب باي من الطرق السابقة الذكر يبدأ في ممارسة المهنة مباشرة في المستشفيات والعيادات او في بيوت المرضى . ويزور الطبيب المريض الغني في بيته حيث ان الاغنياء فقط كانوا قادرين على جلب الاطباء لعلاجهم في بيوتهم بينما يذهب ابناء الطبقة المتوسطة والفقيرة الى المستشفيات للعلاج حيث كان العلاج بالمجان . ويعد المؤرخون ان **خيمة رفيدة** احدى المسلمات الاوليات اول مستشفى في الاسلام وقد كان يتم فيها تضييد جروح المسلمين وعلاجهم في الحروب . وبعد هذه البداية التي وضعت اساسها امرأة في المجتمع الاسلامي الاول بدأ المسلمون يهتمون بالمستشفيات وعملوا على تطويرها وازدهارها في العصور التي تلت^(٢) . وقد ذكر لنا **المؤرخ احمد عيسى في كتابه تاريخ البيمارستانات** ان طبيبة تعرف باسم **ابنة شهاب الدين الصائغ** كانت تعمل بدار الشفاء المنصوري اكبر مستشفى في مصر في العصور الوسطى وكان لها دور بارز فيه وستحدث فيما بعد عن هذه الطبيبة بالتفصيل. والى جانب عمل المرأة في المستشفيات عملت المرأة ايضاً في العيادات وقامت بزيارات منزلية لمداواة مرضاها مثلها مثل الرجال فقد ذكر **الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك**^(٣) ان ابو الحسن المتطبب بباب المحول قال : **جاءتني امرأة ... فقالت لقد طفت لعلاج جرحي فوصفوا لي هذا المكان اريد ان تعالج شيئاً في كتفي قلت لها : انا كحال وهنا امرأة تعالج النساء وتعالج الجراحات فانظري مجيئها فقعدت فقامت معها الى المتطبية لما جاءت اوصيتها بها فعالجت جرحها واعطتها مرهماً وهذا المكان الذي يتحدث عنه الطبري هنا هو مثل العيادة العامة بها تخصصات كثيرة من ضمنها هذه الطبيبة الجراحة التي تعمل في نفس المكان مع الاطباء الرجال ويرشحها الرجال لمن يحتاج الى جراحة .**

(١) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص:٩

(٢) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٣

(٣) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة عز الدين -بيروت ١٩٩٢ جزء اول ، ص: ٣٨٣-٣٨٤



اما عن زيارات المرأة الطبية لمرضاها في البيوت فقد كانت كثيرة حيث ان القوابل والعاملات في مجال النساء والولادة كن يقمن بعملهن هذا في البيوت وقد تحدث ابن الحاج في كتابه المدخل الذي جاء فيه تسجيل لبعض جوانب حياة النساء في القاهرة المملوكية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي عن كيف كان الناس يستقبلون القابلات في بيوتهم والترتيبات التي كانت تقوم بها القابلة استعدادا لذهابها إلى بيت الحامل والمهام الخاصة بالتوحيد ورعاية الأم والطفل بعد الولادة .

٤- طرق العلاج وال مداواة واساليبه عند المسلمين

وبعد أن عرضنا الأماكن التي كان يمارس فيها الطبيب أو الطبيبة مهنة الطب نود أن نعرض أساليب العلاج وطرق المداواة التي كانت متبعة في هذه العصور (١). وقد لاحظنا أن المؤرخين لم يقدموا لنا وصفا دقيقا لطرق علاج المرضى في هذه الفترة المعنية وقد يكون السبب في هذا ان طرق العلاج نفسها لم تكن دقيقة فنجد مثلا ان ابن أبي أربعة أشهر من آخر للأطباء لم يعطينا وصفا دقيقا لكيفية تشخيص الأمراض ومساواتها او اي تفاصيل للأدوية المركبة وطرق تركيبها ولكننا علمنا من كتب الحسبة معلومات عن بعض الممارسات الجراحية التي مارسها الأطباء في العصور الإسلامية الأولى والوسطى والتي كان من أشهرها وأهمها أسلوب الكي والقصد والجحامة والى جانب هذه الإجراءات الجراحية البسيطة عرف الأطباء في هذه العصور العمليات الجراحية المعقدة مثل جراحات البطن والفتق والدوالي والبواسير والنواصير كذلك عرفوا جراحات المسالك البولية وجراحات النساء والجراحات الخاصة بالأطفال هكذا كله فضلا عن جراحات الأورام والعظام وجراحات الحروب ولكن على الرغم من تطور أساليب الجراحة وتنوعها الا ان الأطباء في هذه العصور كانوا يفضلون تجنب التدخل الجراحي ويحاولون معالجة المرضى بالأدوية والعقاقير . وقد كان للمرأة نصيب كبير في مجال الجراحة وسنرى فيما بعد كيف ان الجراحات بوجه عام وعلى غير ما نتوقع او نعرف كانت من المجالات التي اشتغلت فيها ايضاً المرأة الطبية الى جانب القبالة والتوليد والكحالة والعيون . اما بالنسبة للأدوية والعقاقير كان الاطباء في هذه العصور يهتمون بدراسة انواع العقاقير المختلفة ويحاولون اعداد وتجهيز انواع مختلفة من الترياق والدواء . وفعلاً نجح الاطباء المسلمون في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في اكتشاف واعداد ثلاثة الاف نوع من الدواء لم تكن معروفة لغيرهم من الاطباء في البلدان الاخرى ولقد كانت هناك ثلاث فئات في المجتمع مرتبطة باعداد الادوية والعقاقير

- ١_ الشرابون: يبيعون عقاقير عبارة عن سوائل غالباً ما تصنع من العسل .
- ٢_ العطارون: يبيعون الاعشاب الطبية المختلفة والى جانبها يبيعون العطور والبهارات.

(١) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٠

٣_ الصيادلة المتخصصون: على علم كبير بصناعة وحفظ الادوية والعقاقير البسيطة والمركبة^(١).

ومن المؤكد ان النساء عملن في مجال تركيب الادوية حيث تقابلنا تفاصيل عارضة عن استخدام النساء لقطرات او مراهم قمن بتركيبها مثل الطيبية السالفة الذكر في الطبري وزينب بنت بني اود ستأتي لاحقاً والتي كانت تكحل من به رمد فتعالجه كذلك ذكرت لنا المصادر ان ابن سينا كان يستخدم قطرة بطب العيون ركبتها امرأة خبيرة بصناعة الطب . كما نقرأ ايضاً عن ست الشام خاتون وهي شقيقة توران شاه من ملوك بني ايوب المتوفية سنة ٦١٦ هـ فكانت تتبنى وتشرف على تصنيع بدارها اشربة وسفوفات وعقاقير بمبلغ عظيم ليفرق على الناس .

وترتبط مهنة الطب في المجتمعات الاسلامية بوظيفة المحتسب وهو الموظف المختص بضبط الاخلاق العامة والاشراف عليها في الدولة الاسلامية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢) . وكان المحتسب يشرف على جميع المهن في المجتمع بما فيها مهنة الطب والصيدلة وكان يشترط على الطبيب ان يأخذ قسماً قبل الحصول على الاجازة لممارسة المهنة ويتأكد من قدرة الطبيب على تشخيص المرض والعلاج يطلب سائر الاطباء بما شرحه يوحنا بن ماسويه المتطبب في كتابه المعروف بمحنة الطبيب فمن وجده قيماً بجميع ما حوته شروطه فصلاً فصلاً امره في معيشته ومن كان بضد ذلك صرفه عن هذه المعيشة ويمضى في الدروس فيلزم قراءة الكتب قبل انتصابه لمداداة الناس لما في ذلك من الضرر الواقع بالمرضى وقد دون المحتسبون في كتاباتهم اصول مهنة الطب وشروط ممارستها وعلاقتهم بالمباشرة بالاطباء وعلى رأسهم شيخ الاطباء او رئيس الاطباء الذي كان يتولى هذا المنصب بتعيين من المحتسب .

وعلى الرغم من ان المحتسب ذكر تفاصيل دقيقة عن مهنة الطب الا انه لم يذكر شيئاً عن المرأة الطبية ولكن في اغلب الظن ان المحتسب حينما تحدث عن الطبيب كان يقصد اي شخص يمارس مهنة الطب رجلاً كان او امرأة فمن المؤكد انه كانت هناك علاقة مباشرة بين المحتسب والمرأة الطبية حيث ان المحتسب كان يشرف على مهنة الطب بكل تخصصاتها بما فيها مجال النساء والولادة الذي كان مليئاً بالنساء طبيبات وقوابل وممرضات^(٣) .

المبحث الثالث: ذكر النساء المسلمات البارزات في العلوم الطبية

بالرغم من الحضور الذي خلده المرأة العربية والمسلمة في مختلف المجالات، وقيامها بأدوار سياسية واقتصادية وشرعية وتعليمية وطبية وإسهامها الكبير في إغناء

(١) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص: ١٢

(٢) صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة ٣٢٨-٣٣٠

(٣) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص: ١٤



الحركة العلمية والفكرية والأدبية^(١) والدور الذي قامت به في بناء صرح النهضة العلمية وفي إقامة أسس الحضارة الإسلامية، إلا من خلال اطلاننا على كتب التراجم والطبقات^(٢)، نجد أن حضورهن فيها قليلاً إذ أصبحت أعدادهن تتناقص بشكل ملحوظ، يرجع ذلك إلى التقاليد التي كانت تسود المجتمع الإسلامي آنذاك فتم حجب الدور الفعال التي لعبته النساء في مختلف مجالات العلوم. فقد نبغ في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي الألاف من العالمات المبررات والمتفوقات في أنواع العلوم وفروع المعرفة وحقول الثقافة العربية الإسلامية.

أولاً: طبيبات في عصر النبوة:

ورغم فرادة تلك الإنجازات وأهميتها، نجد القليل من المعلومات المتوافرة عنها، وفي محاولة لاكتشاف هذا الجزء من التاريخ الإسلامي، نتناول في هذا الموضوع السير الذاتية لمجموعة من النساء اللواتي كان لهن أدوار ملموسة في حقل الطب والداواة على وجه الخصوص^(٣)، ومعظمهن ينتمين للعصر الإسلامي الأول - عصر الرسول (ص) والصحابة رضي الله عنهم - فيحسب كتاب "النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية"، فإن النساء تخصصن بصفة عامة في ٣ مجالات: جراحة الحروب، القبالة وأمراض النساء، والكحالة وأمراض العيون، فهناك ٧ طبيبات من ٢٤ طبيبة تخصصن في جراحة الحروب بينما ١١ اشتغلن في القبالة وأمراض النساء، واثنان فقط عملتا في مجال طب العيون، والبقية لم تحدد تخصصاتهن، ولعل أهمها كان المجال الأول، إذ كان يعتمد على النساء بشكل أساسي في إخراج السهام من جرحى الحروب وتطهير الجروح والمحافظة على نظافتها ووقف النزيف وأحياناً البتر والكي^(٤).

وإذا أردنا أن نتصور دورهن بشكل أدق، فقد كانت مسؤولياتهن تتراوح بين الإسعاف المباشر في ميادين القتال بين السهام والخيول إلى نقل الجرحى تجاه الخطوط الخلفية إلى خيم الداواة، ثم نقل الجثث على ظهور الجمال إلى أماكن الدفن، فبعدما هاجر النبي عليه السلام إلى المدينة، ومع بداية مرحلة جديدة من مراحل الدعوة كُتب على المسلمين فيها المواجهة المسلحة مع أعداء دينهم، تطوّر دور المرأة المسلمة وارتقى إلى مستوى الأحداث؛ فشاركت في الغزوات طبية تُداوي المرضى وتعالج الجرحى وتعدّ الدواء، وفي هذه الغزوات أدرك المسلمون حاجتهم للمستشفى الميداني الحربي، فضربت خيام تستقبل الجرحى والمصابين، وأصبحت المرأة عنصراً أساسياً في خدمات التمريض والإسعاف وتضميد الجراح، وجبّ العظام، ووقف النزيف، والإشراف على المرضى، وكانت مهمتهنّ جدّ خطرة وعظيمة؛ فهنّ يقتحن ساحة القتال لإخلاء المصابين. من هنا ساهمت المرأة بخيرتها في الطب وكذا الصيدلة في الغزوات

(١) سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء لثاني، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ٢، ١٩٩٩، ص: ١٠١٠.

(٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نسخة بيروت، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥.

(٣) عمر فروخ وآخرون، المرجع السابق، ص: ١٦٦.

(٤) هدى السعدي واميمة ابو بكر. المرجع السابق، ص: ١٤.

والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي ﷺ و كذلك بعد وفاته، وخير مثال على ذلك:

١- **رفيدة بنت سعد الأسلمية**^(١) الخزرجية الأنصارية التي ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة في تمييز الصحابة ، وهي من جيل الصحابيات، كانت أول طبيبة وممرضة في الإسلام؛ اصلها من المدينة المنورة اسمها الأصلي كعبية بنت سعد الاسلمي ، تنتمي إلى قبيلة بني أسلم، إحدى قبائل الخزرج في المدينة المنورة. سميت برفيدة، اي من الرفادة وهو العطاء المستمر واعطاء الخير والاعانة سميت بذلك لعطائها وخيرها الملموس في حياة المسلمين في صدر الاسلام اي في وقت الرسول والصحابة.

وكانت هذه المرأة من اوائل الذين دخلوا في الاسلام وان كان التاريخ اهمل الحديث عنها وعن ميلادها ووفاتها الا انها تركت بصمات كبيرة في المجتمع. فقد نشأت في اسرة طيبة ، ابوها سعد الأسلمي كان طبيباً من زمن الجاهلية وكان يتعامل بالكهانة وهو طب غير مشروع في الاسلام، وقد استنكرت رفايدة العلاج بالكهانة التي كان يستعملها والدها، حيث كان لديها فتاعة داخلية بأن هذا الاسلوب خاطئ وخاصة ان ابوها كان يحب المال ويعمل على كسبه بهذه الطرق.

كانت رفايدة تسمع عن الدين الجديد وكانت وتتأثرة به، وقد شعرت بأن هناك ما هو مشترك بينه وبين فكرها الانساني الخير، فاحبت ان تتعرف على الرسول (ص) ، لذا قررت لقاء مبعوثه الى المدينة مصعب بن عمير ودار بينهما حوار علمي حتى اقتنعت بمبادئ هذا الدين الجديد، فكانت مكسباً له، حيث تعمقت فيه ، ووجدت ضالتها فيما يتماشى مع رسالتها في الطب والتمريض .

كانت رفايدة الاسلامية من كريمات النساء والصحابيات المجاهدات، بايعت الرسول ﷺ بعد الهجرة واشتركت في غزوتي الخندق وخيبر وكانت رضي الله عنها قارئة وكاتبة وتعلمت الطب فتفوقت في هذا العلم وهذا المجال على قريناتها من النساء والرجال. ولما دخلت في الاسلام استقبلت الرسول (ص) اثناء الهجرة وذهبت اليه لتعرض عليه ان تكون خادمة للدين وطلبت منه الاذن للمشاركة معه في الغزوات لتمرير الجرحى ومداواتهم ، فاذن لها ولم يعاملها على انها امرأة بل رحب بها وشجعها. وكانت صاحبة ثورة واسعة ومهارة في صنع الادوية وتضميد الجروح قد استهوتها حرفة التمريض ومهنة التطبيب.

واحبت مهنتها وعملت فيها معتمدة على مبادئ الدين الرحوم السموح الخير، وكانت في أوقات السلم والرخاء، دربت وعلمت الكثيرات من الفتيات ونساء الصحابة على فنون الإسعاف والتمريض، والطب وقد خرجت مجموعات من النساء وذلك قبل غزوة خيبر.

(١) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٢



وحيث أصبحن قدرات على مزاولة المهنة، قسمت فريق الممرضات إلى فريقين: أحدهما يعمل في النهار والآخر في الليل. وحيث كان جيش المسلمين يستعد لهذه الغزوة، ذهبت رفيده ومجموعة من الممرضات المتطوعات الى رسول الله ﷺ يطلبن منه الاذن للمشاركة بعلاج الجرحى ومساعدتهم وقد اذن لهن عليه الصلاة والسلام بالذهاب فشاركن في غزوة خيبر، حيث كن يعالجن الجرحى ويقمن بواجباتهن، فلما انتهت المعركة جاء رسول الله ﷺ وتقديرًا من النبيّ (ص) لهذا الجهد، كان يُعطي رفيده حصّة مقاتل اي سهماً كاملاً كما يعطي الرجل المجاهد، لدورها المهم الذي كانت تقوم به. كما كان الرسول (ص) يعطي وسام الشرف والتقدير للمرأة في عصره، ويكرم المجدّات منهن بمنحهنّ قلائد، ويؤسّم لهنّ من الفياء^(١)؛ فقد منح النبي (ص) أميمة بنت قيس الغفارية^(٢) قلادة تقدير علقها بيده الشريفة في عنقها، فكانت لا تُفارقها أبداً، وظلت في عنقها حتى ماتت، وأوصت أن تُدفن معها رضي الله عنها.

كان العرب قديماً يطلقون اسم جميل على الممرضات او الطبيبات وهذا الاسم كان الأواسي او الآسيات^(٣) وفي هذا الاسم معنى الموأسة لان المريض يحتاج الى الموأسة اثناء الامه ومعاناته . فقد اسست رفيده من الآسيات فريق عمل كن صديقتها، حيث كان لهن دور كبير في انقاذ عدد كبير من الجرحى من الجنود والقادة وكان وجودهن له دور كبير كن يحملن الادوات على الجمال ويحضرن بناء مجموعة من الخيام تمثل مستشفيات متنقلة. كان من ضمن صديقات رفيده ممرضة مشهورة اسمها ام عطية نسيبة بنت الحارث التي ذكرها ابن الاثير تخصصت في الكحالة، واخرى اسمها الربيع بنت معوض من المدينة كانت من اوائل المسلمات المبايعات للرسول عند الشجرة، وقد تخصصت بجراحة الحروب. وام سليم ومعاذ الاسلامية ممرضات معالجات كن يسمين الآسيات .

ومن هؤلاء الآسيات: ليلى الغفارية التي اشتهرت بإجراء العمليات الجراحية البسيطة، وكعبية بنت سعد بن عتبة، من المدينة عاصرت الرسول (ص) وتخصصت بالجراحة والحروب وذكرها ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير، وكريمة بنت كلثوم الحميرية، ومعاذ الغفارية وهي من المسلمات الاوائل في المدينة تخصصت بجراحة وحروب ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة، وحمنة بنت جحش بن رباب تُكنى أم حبيبة، أخت زينب بنت جحش زوج النبي (ص) وأم سنان السلمية. وسلمى ام رافع مولاة الرسول ﷺ من المدينة التي ذكرها ابن حجر وهي متخصصة في جرحى الحروب.

(١) اصبحي الصالح، المرجع السابق، صفحة ٣٦٨

(٢) عبد الرحمن المصطوي، اشراف عبد المجيد طعمة حلي، اعلام النساء، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ ص: ٢٨

(٣) وجدنا كلمة "آسى" في لسان العرب بمعنى طبيب وهي الكلمة المستخدمة في كثير من المصادر اشارة الى هؤلاء المجاهدات الصحابيات.

إنَّ وجود المرأة المسلمة في هذا الميدان وبهذه الصفة ليثبت ويُؤكِّد عظمة الإسلام في تقديره للمرأة، ومنحها حقًا من حقوقها في مشاركة الرجل في الدفاع عن الدين، وقيامها بعملٍ من أرفع الأعمال وأجلها؛ وهو معالجة المرضى والمصابين، كما أنَّ قيامها بهذا الدور الخطر ليؤكِّد جدارتها به، ونجاحها فيه، وليس أدلَّ على ذلك من رضا رسول الله ﷺ عن فعلهنَّ وثنائه عليهنَّ.

من اقوال الممرضات المرافقات لرفيدة كانت تقول ام ربيع : "كنا مع الرسول (ص) نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى الى الخيام". كن يداوينهم مؤقتًا ثم يعيدونهم حسب الحالة. ثم كانوا يرجعون الحالات الصعبة الى المدينة . ومن اقوال ام عطية الانتصارية^(١): "غروت مع الرسول (ص) سبع غزوات" هذا دليل على مشاركتهن مشاركة معالة في المعارك .

ولم تكن رفيدة بنت سعد الاسلامي أول طبيبة فحسب بل كانت ايضاً أول معلمة طب في الاسلام واول من جعلت من مهنة الطب رسالة انسانية وليست تجارة للربح المادي والآنى.

والاعجب من هذا، انها كانت تشتري الادوات من مالها الخاص وكانت ايضاً تنفق من مالها على الفقراء والمساكين كان تفكيرها الى الاعلى والهدف رضى الله ولم تشتغل في الدنيا لاجل الدنيا بل من اجل الناس وبهذا العمل تتقرب من الله عز وجل. ورفيدة تمتعت بمكانة كبيرة عند الرسول (ص) بسبب عملها المنظم والعلمي . وكرست نفسها للتمريض والعناية بالمرضى، فأصبحت معالجةً خبيرةً وبدأت تصاحب النبي محمد(ص) في غزواته، إذ اعتاد الرسول أن يأمر بنقل الجرحى إلى خيمتها حتى تتمكن من معالجتهم وتضميد جروحهم^(٢) .

وعندما لم تكن في ميادين القتال لأداء واجبها، كانت تنتظر عودة المنتصرين ومعهم الجرحى إلى المدينة لمدواتهم وتقديم العلاج لهم، مثلما فعلت بعد انتهاء غزوة بدر حيث أسست مستشفى متنقل باسم "خيمة رفيدة"، وكانت تنقل أدواتها فوق ظهور الجمال ثم تقيمها بالقرب من معسكر المسلمين، وبذلك أصبحت "خيمة رفيدة" أول مستشفى ميداني في الإسلام. وهذه الخيمة كانت عبارة عن خيمة إسعافية تستقبل فيها الجرحى والمصابين؛ لتقوم بإسعافهم بمساعدة بعض الصحابيات الجليلات، فتسعفهم وتداويهم بمعرفتها الطبية، وخبرتها العلاجية المعروفة في ذلك الوقت.

وكانت رضى الله عنها رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أول ممرضة عسكرية في الإسلام، ولُقبت بالفدائية لجرأتها في اقتحام ميدان المعركة، وعدم رهبتها من أسنة الرماح. وممَّا يُؤكِّد براعتها وحنكتها ودرابته .. حسنُ تصرفها مع الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضى الله عنه ، الذي اصابه جرح غائر، فأمر الرسول

(١) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٢

(٢) عبد الرحمن المصطاوي ، الرجع السابق، ص: ١٠٧



بحمله الى خيمتها وهي صاحبة ، فحين رأته انغراس السهم في صدره تصرفت بحكمةٍ ووعي وأسرت بايقاف النزيف، ولكنها أبقت السهم في صدره؛ لأنها كانت تعلم أنها إذا سحبتة أو أخرجته سيحدث نزيفاً لا يتوقف من مكان الإصابة، عرفت رفيده كمرضة لطيفة ومتعاطفة ومنظمة إلى حد كبير، عملت أيضاً كاختصاصية اجتماعية، للمساعدة في حل المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالمرض، بالإضافة إلى مساعدتها لأطفال المحتاجين ورعاية الأيتام والفقراء. وعكست بريادتها الثقافية الإسلامية التي خصت المرأة بمكانة رفيعة .

ويروى عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يغزو بأمّ سليم ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويذاوين الجرحى".

تردد اسمها عدة مرات في الوثائق التاريخية وأذكار السابقين، إذ كتب أحمد شوكت في كتابه "تاريخ الطب وأدابه وأعلامه"، أن رفيده كانت طبيبة متميزة، لذلك اختارها الرسول (ص) لتؤدي العمل في خيمة متنقلة، كما روى مسلم عن عائشة زوجة الرسول (ص) أنها قالت: "أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، رماه رجل من قريش في الأكل (كوع اليد أو الوريد المتوسط في اليد) فأمر الرسول رفيده أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب".

يقول ابن كثير ان رسول الله (ص) قال لاصحابه حين اصيب سعد بن معاذ بالسهم اجعلوه في خيمة رفيده وذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة في يميز الصحابة كيف ان رفيده عندما رأته غراس السهم في صدر سعد تصرفت بحكمة ووعي كبير فأسرت في ايقاف النزيف اولاً ولكنها ابقت السهم في صدره مكانه لأنها كانت تعلم انها اذا سحبتة او اخرجته سيحدث نزيف لا يتوقف من مكان الاصابة وكانت تعالين في وقت السلم ايضاً كانت قدوة حسنة في عصرها وكانت مثل نبيل ليقثنين بها في هذه الاعمال الجليلة.

وقال أيضاً ابن إسحاق في السيرة: "كان رسول الله (ص)، قد جعل ابن معاذ في خيمة لامرأة من بني أسلم يقال لها رفيده في مجلسه"، وقال الرسول (ص) للقوم حين أصاب السهم ابن معاذ بالخندق "اجعلوه في خيمة رفيده حتى أعوده من قريب".

وروى البخاري في الأدب المفرد عن محمود بن لبيد قوله: "ولما أصيب أكلُّ سعد يوم الخندق، فقيل حولوه عند امرأة يقال لها رفيده، وكانت تداوي الجرحى وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره". وقد سماها ابن سعد كعبية، فقال: "كعبية بنت سعد الأسلمية بايعت بعد الهجرة، وكان لها خيمة بالمسجد تداوي الجرحى".

٢- الشفاء بنت عبد الله العدوية^(١): كان لدى الشفاء بنت عبد الله حضور قوي في التاريخ الإسلامي، حيث كانت واحدة من النساء الحكيمات في ذلك الوقت، وكانت

(١) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٢

متعلمة في وقت الأمية، واستغلت علومها ومعارفها في الإدارة العامة والتطبيب، ولم تهمل تعليم غيرها، فكانت أم المؤمنين حفصة بنت عمر إحدى تلميذاتها، وعُرفت لاحقاً بلقب أول معلمة في الإسلام. اسمها الكامل الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية، فهي "بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدى بن كعب القرشية العدوية"، وأمها هي بنت أخت جدة سيدنا محمد (ص) لأبيه. وكانت شهرتها هذه من قبل الإسلام، حيث كانت شهيرة بالرقية وبأنها من القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة في أيام الجاهلية. ولكن اسمها الحقيقي "ليلي" وكانت تكنى بأبى سليمان، إلا أنها فضلت تغييره إلى "الشفاء" إشارةً إلى مهنتها كمرضة وطبيبة، واشتهرت آنذاك بمهاراتها في مداواة الأمراض الجلدية^(١)، وتحديداً بـ"رقية النملة"، وهو مرض جلدي أو نوع من أنواع التقرحات التي تصيب الجلد، فأمرها النبي ﷺ بتدريب النساء الأخريات. كانت "الشفاء بنت عبد الله العدوية"، نموذج آخر للمرأة المثقفة المتعلمة ذات الشخصية القيادية التي اشتهرت بعلمها ومعارفها ودورها المؤثر في دولة الإسلام منذ بداياتها قبل الهجرة وحتى بعدها، ولم تشتهر بحسبها ولا نسبها ولا زوجها على الرغم من أنها تنتسب إلى قبيلة كبيرة. وكانت "الشفاء العدوية" من أوائل الذين دخلوا الإسلام من قبل الهجرة، وتحملت ما تحمله المسلمون الأوائل من إيذاء المشركين وحين أذن الله بالهجرة، هاجرت معهم. وبعد أن دخلت "الشفاء" الإسلام وهاجرت مع النبي ﷺ رفضت أن تمارس عملها السابق في الرقية قبل أن تستشير الرسول ﷺ، فيروي عنها ابن منده، أنها ذهبت للرسول ﷺ وقالت: "يا رسول الله إني كنت أرقى برقى الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك، قال: "فاعرضيها"، قالت: فعرضتها عليه، وكانت ترقى من النملة، فقال: "أرقى بها وعلميها حفصة". إلى هنا تنتهي رواية ابن منده، وزاد أبو نعيم: "باسم الله صلب خير يعود من أفواهاها، ولا يضر أحدًا، اكشف البأس رب الناس". قال: "ترقى بها على عود كركم سبع مرات، وتضعه مكانًا نظيفًا، ثم تدلكه على حجر بخل خمر مصفى، ثم تطليه على النملة". وهكذا استمرت "الشفاء" في عملها وعلاج المسلمين حتى لقبت بـ"صاحبة النملة" في إشارة إلى قدرتها على علاج هذا المرض. لم تشتهر "الشفاء" فحسب بقدرتها على العلاج ولا معرفتها القراءة والكتابة وإنما أيضًا عرفت بالعقل الراجح والاتزان حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقدر لها ذلك ويثق برأيها وكان يهتم به ويقدمه على غيرها أيضًا. وعُرف أيضًا أنه ولاها مسؤولية في السوق، إلا أن كتب الأثر لم تحدد طبيعة المهام ولا المسؤوليات التي تولتها الشفاء العدوية في السوق، ولكن ما روى عنها يدل على أنها كانت تتولى مسؤولية السوق حيث روى عن أبو خيثمة أنه قال: رأيت الشفاء بنت عبد الله فنيأنا يقصدون في المشى ويتكلمون رويدًا، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نساك، فقالت: "كان والله عمر إذا تكلم

(١) عمر فروخ وآخرون، المرجع السابق، ص: ١٦٨



أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقاً". هذا المنصب الذى تولته "الشفاء" يضرب مثلاً مشرقاً على تمكين المرأة فى الإسلام وتوليها زمام الأمور طالما كانت مؤهلة لذلك، وهو أيضاً ما يكذب ادعاءات الظلاميين عن أن النساء لا يجب أن تتولى سلطة ولا أمراً ولا يجب يؤخذ برأيها، بل أن البعض يتماذى ويقول إن النساء لا يجب أن يتعلمن وهو ما تكذبه بشكل كامل قصة "الشفاء بنت عبدالله العذوبية" التى كانت من القلائل الذين تعلموا القراءة والكتابة تولت مهمة تعليمها لنساء المسلمين، وكانت تتولى بالإضافة إلى ذلك مهمة متابعة تعليم الصبيان، كما أن الرسول ﷺ جعلها معلمة لزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب(رض). وقد منحها النبي ﷺ داراً عند الدكاكين بالمدينة فنزلتها مع ابنها سليمان وأصبحت تلك الدار مركزاً علمياً للنساء، ورغم العلم الذى اكتسبته الشفاء قبل دخولها الإسلام، فإنها لم تمارسه إلا بعد أن عرفت حكم الشرع فيه، فلما سمح لها النبي بممارسة ما تتقن من مهارات خدمت به الناس وعلمت غيرها القراءة والكتابة ومعالجة الأمراض والجروح وصاحبت النبي ﷺ فى غزواته لتداوي الجرحى.

٣- أميمة بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية^(١): أمية أو اميمة بنت قيس الغفارية المتخصصة فى جرحى الحروب، كانت زعيمة الطبيبات ولم تبلغ سن السابعة عشر من عمرها بعد. (ليس لها ترجمات كثيرة فى كتب التراجم) ، وقد ذكرها ابن الأثير فى اسد الغابة وابن سعد فى كتابه الإصابة فى تمييز الصحابة ، وقال: أسلمت وباعت بعد الهجرة شهدت مع رسول الله ﷺ، خَيْر. أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق قال: حدثني سليمان بن سَحِيم، عن أمية بنت أبى الصلت، عن امرأة من بني غفار قالت: "جئت رسول الله (ص) فى نسوة من بني غفار، فقلنا: "يا رسول الله، إنا قد أردنا أن نخرج معك فى وجهك هذا إلى خيبر". ذكره ورواه أبو داود فى سننه . كذلك أسد الغابة فى الطبقات الكبير: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة، عن سليمان بن سَحِيم، عن أمّ عليّ بنت أبى الحكم، عن أمية بنت قيس أبى الصلت الغفارية قالت: جئت رسول الله (ص) ، فى نسوة من بني غفار فقلنا: إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا، تعني خيبر، فدأوى الجرحى وتعين المسلمين بما استطعنا. فقال رسول الله ﷺ: "على بركة الله" قالت فخرجنا معه ... فلما فتح الله لنا خيبر رَضَخ لنا من الفىء ولم يسهم لنا، وأخذ هذه القلادة التى ترى فى عنقي فأعطانيها وعلّقها بيده فى عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً. فكانت فى عنقها حتى ماتت وأوصت أن تُدفن معها.

(١) عبد الرحمن المصطوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبى ، أعلام النساء ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى ٢٨:ص٢٠٠٢/هـ١٤٢٣م، ص:٢٨

٤- أم العلاء الأنصارية^(١) من المدينة عاشت في عصر النبوة وكانت من المسلمات الأوائل المبايعات للرسول ﷺ تخصصت في تمريض المرضى وعلاجات غير محددة وقد ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة.

٥- وإضافة إلى دور نسبية بنت الحارث المعروفة أيضاً باسم أم عطية التي صاحبت الرسول في ٧ غزوات، وكانت في كل مرة ترعى الجرحى في ساحات المعارك وتزودهم بالماء والطعام والإسعافات الأولية.

٦- سودة بنت مسرح ومن القوالب طيبة نساء وولادة- اللاتي اشتهرن في زمن النبوة، و سودة بنت مسرح، هي التي كانت تُقبل فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ثانياً: طبيبات الحضارة الإسلامية في عصر ما بعد النبوة :

فكما في صدر الاسلام كذلك في العصور التالية له، فإن المرأة العربية المسلمة لم تقف أمام علم الطب موقف العازف منه؛ بل غشيتنه ومارسته مثل:

١- أم الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي^(٢) التي تعلمت الطب من والدها أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي، الذي يعد من أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب الذي جاء الأندلس قادماً إليها من المغرب، وقد كان ملماً بصناعة الطب معتنياً بها، ولي قضاء بلوشة، وهي مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً. وقد مات في الطاعون.

وكان قد أسهم بحظ وافر في تكوين ابنته ام الحسن العلمي، إذ تشير كتب التراجم إلى أنها أخذت عنه صناعة الطب. ولم تكن ملمة بأصول صناعة الطب فحسب، وإنما كانت تدرسه لطلابها إيماناً واقتناعاً منها بأن العلم لا يؤخذ من بطون الكتب ولكنه يؤخذ من حلقات الدرس والعلم. لم يذكر المؤرخون معلومات دقيقة عن تاريخ ولادتها أو وفاتها، ولا نعرف سوى أنها عاشت في خلال القرن الثامن الهجري، أي أنها ولدت وعاشت قبيل سنة ٧٥٠هـ وهي سنة وفاة والدها.

ونستخلص هنا ان بنت أحمد ترعرعت في أحضان الكتب و الحلقات العلمية، فأجادت قراءة القرآن بقواعده وشاركت أبها البحث في قضايا الطب.. لم تكن أم الحسن بارعة في الطب وحده بل برزت في الشعر أيضاً ، وصفها ابن الخطيب بأنها كانت نبيلة حسبية وقد تركت فراغاً بعد وفاتها نظراً لمكانتها الكبيرة لدى الجميع .. وهذا ما وصلنا من شعرها:

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤالي لا أبغي به بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس

٢- زينب طبيبة بني أود^(٣): كانت أول طبيبة برعت في مجال الرمد وعلاج أمراض العيون . وهي طبيبة من بني أود كانت عارفة بأعمال الطب ومشهورة بين العرب

(١) عبد الرحمن المصطاوي ، مرجع سابق، ص: ٣٨

(٢) عبد الرحمن المصطاوي ، مصدر سابق ، ص: ٣٤

(٣) عمر فروخ وآخرون ، المرجع السابق، ص: ١٦٦



بمداواة مرضى العيون من الالتهابات والجراحات الصعبة^(١)، فمن كان يمرض بين القبائل ويصاب فى عينه كان يتجه إليها لشهرتها بسرعة تداويها. فقد اشتهرت فى أواخر الدولة الأموية ذكرها ابن ابي اصيبعة فى طبقات الأطباء ، وقد جاء فى كتاب أعلام النساء لكاتبه عمر رضا، وكانت تعالج بالمواد الطبيعية والأعشاب وكانت الوحيدة على مستوى القبائل والأطباء فى ذلك الوقت، حيث أخذت شهرة كبيرة بالعلاج. وقال أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب الأغاني الكبير: "أتيت إلى امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمد كان قد أصابتنى، فكحلتنى ثم قالت: "اضجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك، ولم تتركنى أذهب حتى شفيت".

٣- **الطبيبة عائشة ابنة محمد ابن الجيار**، محتسب مدينة سبتة خلال القرن ٨هـ، فقد تلقت الطب على يد صهرها الطبيب المشهور محمد الشريشي الذي عاصر السلطان أبي عنان المريني، واحتل مكانة مميزة عند الخاصة والعامة. علمها علم الطب وأسرار الأدوية والعقاقير والمياه وعلاماتها، وبسبب علمها الكبير وسمو أخلاقها انتمتها سلاطين بني مرين على صحة حريمهم، لقد كانت الطبيبة الخاصة لنساء السلطان، نبغت فى الصناعة الطبية لقد كانت عارفة بالعقاقير، وكذلك بالمياه وعلاماتها . فهي نموذج المرأة التي ترسخ فكرة موسوعية الطبيب ونبوغه فى معارف متعددة سواء كان ذكرا أم أنثى ، ولطالما أجازها الأمراء بالهدايا والتحف. هذا يعنى بأن صيتها فاق مسقط رأسها ليبلغ دار الملك آنذاك الحاضرة فاس، من ثم إلى باقي حواضر المغرب المريني، لأن ملوك بني مرين، وخصوصا منهم أبا الحسن وأبا عنان كانا يتنافسان فى العمران ودعم العلوم وأهلها، فانتشرت فى عهديهما البيمارستانات بكل ربوع مملكتها، وازدهرت العلوم، ومنها العلوم الطبية. عمرت الطبيبة عائشة طويلا، إذ توفيت عن عمر ناهز السبعين سنة. ولا ريب، أنها استفادت من بيئتها، وأفادت معاصريها ذكورا وإنثاء. فنقل العلوم من فرد إلى آخر ومن أمة إلى أخرى لا يتم إلا إذا كان هناك تقارب بين الأفراد والشعوب فى مستوى الثقافة ونوعها.

بالفعل، كانت لأطباء سبتة دكاكينهم على غرار أطباء باقي حواضر المغرب، بل أطباء الحوض المتوسط. وهم بذلك حافظوا على إرث قديم ممثل فى توفر جهاذة الطب منذ العصور السابقة للإسلام على دكاكين يستقبلون فيها مرضاهم ويعرضون فيها مفرداتهم الطبية. فضلا عن ذلك، كان أطباء سبتة ملمين بكتب الطب القديم، ككتب **الأطباء الإغريق أبقراط وديسقوريدوس وجالينوس**. استفادوا أيضا من كتب الأطباء المسلمين المتأخرين، ومنهم **الرازي وابن سينا وابن طفيل والزهرابي** وغيرهم كثير.

كانت الخزانة الموجودة شرقى صحن الجامع العتيق بسبتة توفر هذا النوع من الكتب لقرائها. ولعل الأمر كان كذلك بالنسبة لباقي حواضر المغرب، ومنها بغداد المغرب فاس وحاضرة دار الحكمة مراکش. فمنذ العصر المرابطي شكلت كتب جالينوس مرتكز الدراسات الطبية، وكان مؤلف الطبيب **علي بن العباس المجوسي** "الملكي" أو

(١) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: ٢٢

” كامل الصناعة ” هو أول مؤلف يبدأ التلاميذ في معرفته، في حين لم يعتمد الطبيب الوالد أبو العلاء ابن زهر، المعاصر ليوسف بن تاشفين المرابطي، على كتاب **القانون لابن سينا** الذي كان أحد التجار قد استقدم نسخة منه منذ هذه المرحلة. ونرى بأن هذا المصدر أضحى معتمداً خلال عصر الطببية عائشة سالفة الذكر من لدن الأطباء المعاصرين لها، وكانت هي نفسها عارفة بالعقاقير، فلا شك أنها استفادت من ذخائر الكتب الطبية، وعلى رأسها كتب المفردات الطبية التي كانت تجارتها رائجة، إلا أننا لا نجد أدنى إشارة حول استمرار تداول أطباء المرحلة **لمؤلف أبي حنيفة الدينوري الخاص بالنبات**، إذ شكل أهم الكتب التي أتقنها أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر بن زهر خلال القرن السادس الهجري (توفي ٦٠٢ هـ)، كما لا نعرف مدى استفادت الطببية السبتاوية من كتب **ابن البيطار** وعلى رأسها كتاب **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**. ولا شك أن كتب علماء النبات وسائر الأطباء كان رائجاً عهد الطببية عائشة وبعد ذلك بالحواضر الكبرى المغربية، ومنها سبتة.

٥- طبيبات بني زهر^(١):

لا يمكن فصل الطب طيلة ثلاثة قرون عن هذه عائلة آل ابن زهر، بذكورها وإناثها، وخدمتهم في بلاط الأندلس ثم المرابطي والموحدي من بعدهم، واشتغال نساء طبيبات في ذلك العصر يدلّ على أن المرأة لم تكن بمعزل عن المشاركة في العلوم الطبيعية التطبيقية. لم تقتصر نوايا هذه الأسرة وما قدموا للطب من إسهامات جليلة على الرجال فحسب، بل كان لنسائها أيضاً دور فعال^(٢)، فلقد خرّجت هذه العائلة طبيبات ذاع صيتهن في الأرجاء..

وقد امتدح **جورج سارتون**، صيدلي ومؤرخ بلجيكي كان يعد مؤسس علم تاريخ العلوم، ابن زهر في كتابه **”المدخل إلى تاريخ العلوم”**، فقال: **”إن أبا مروان تميز عن غيره في حقل الطب في شرق وغرب الدولة الإسلامية، بل إنه أعظم طبيب في عصره في العالم أجمع.”** من هنا يتبين سر عبقرية ذكور وإناث عائلة ابن زهر في مجال الطب. كان «ابن زهر» طبيب المعتمد بن عباد في أشبيلية، وأضحى طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين عندما جاء مع عائلته إلى المغرب قادما من الأندلس بعد فتح المرابطين لها. ولا عجب أن تنقطع بنات ابن زهر وحفيداته لخدمة البيت المالكي، وبرعت نساء عائلة ابن زهر في الطب بفضل براعة جدّهم ابن زهر، الذي توارثوا عنه مهنة التطبيب، فهذا الطبيب كانت له أبحاث أبحاثهم تختصّ بعدد من الأمراض منها قروح الرأس، خاصة لدى الأطفال، من قرع وداء الثعلب وداء الحبة والصلع وغيرها.. وأمراض الرأس والأذنين وأمراض الأنف وأمراض الفم وأورامه وأمراض العين، كما تناول ابن زهر أمراض الرقبة وأمراض الرئة وأمراض القلب والكبد والمعدة وأمراض الصدر والكلي، ويشار إلى كتابه في علم الأغذية، الذي يستحق العناية والتقدير، فهو يشتمل على مبادئ

(١) عمر فروخ وآخرون، المرجع السابق، ص: ١٦٩

(٢) حسان حلاق، المرجع نفسه، ص: ٢٢



علم الصحة العامة كذلك. من هنا تفهم مهارة نساء ابن زهر المشتغلات في ميدان الطب والعلاجات^(١) ومساهمتهن في تطبيق وعلاج نساء حكام المرابطين والموحدين، حيث طبقت شهرة الإناث المنتميات إلى عائلة «ابن زهر» الأفاق في العهد الموحدى، حيث أجزلن عطاءهن لخدماتهن المتميزة في مجال الطب. فهذه **أخت الطبيب الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان أبي العلاء بن زهر**، أشهر أطباء عصره، نجدها تشرّبت مهنة الطب من عائلتها وأضحت عالمة بصناعة الطب والمداواة، ولها خبرة جيدة في ما يتعلق بمداواة النساء، وكانت تدخل على نساء المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. وأكد ذلك ابن أبي أصيبعة قائلا: «إن أخت الحفيد وابنتها كانتا تدخلان إلى نساء المنصور.» كانت لأخت الطبيب الحفيد أبي بكر سمعة مرموقة في علاجها للمرضى، وخاصة النساء منهم، حيث أصبحت من أشهر الأطباء في عصرها، كانت مولدة ماهرة، إلى جانب قدرتها على العلاج العام لسائر أمراض النساء.. وعند وفاتها خلفتها ابنتها، التي امتهنت الطب وذاع صيتها في الولادة وعلاج بعض أمراض النساء المستعصية، وكانت مقصد النساء من كل حدب وصوب. أمّا **أم عمر بنت أبي مروان بن زهر** فكانت طبيبة دار المنصور، وكانت تداوي نساء القصر وأطفاله وكانت تُستفتى في الطب.. وتتلذذت على يد «أم عمر» ابنتها، المعروفة بابنة **أبي العلاء**، وبدورها كانت عالمة بصناعة الطب والولادة، وامتازت بمعرفتها لصناعتها ومهارتها في الطب النظري والتطبيقي.

فالمنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى، كما ذكرنا سابقا، لم يكن يقبل لمداواة نساؤه وأطفاله وإيمائه إلا أم العلاء بنت أبي مروان عبد الملك بن زهر، أخت الحفيد، التي تعلمت الطب على يد والدها، وتميزت في الولادة وأمراض النساء، وربما كانت تستفتى لرجالهم.. وعندما توفيت احتلت ابنتها مكانتها في القصر المالك. لقد كانت كوالدها ماهرة في التوليد. وفاطمة حفيدة ابن زهر هي ابنة الطبيبة السابقة الذكر، وحفيدة ابن زهر، تعلمت الطب من أمها وخالها ابن الحفيد، فصارت لها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، رافقت أمها منذ صغرها، وكانت تدخل معها إلى نساء المنصور الموحدى، ثم خلفت مكانها بعد وفاتها وقد حظيت الطبيبة بعناية خالها حيث كانت تلازمه في البلاط والمنزل، ولاشك أنها أخذت منه الشيء الكثير، وقرأت كتبه القيمة واتبعت توجيهاته. وتوفيت فاطمة في نفس الوقت مع خالها الحفيد ابن زهر بعد تناولها للسم كما سلف ذكره.

كانت لـ«ابنتي زهر» رئاسة الطب النساء داخل القصر الملكي، وهذا يشير إلى ارتقاء شأن الطب والطبيبات في هذا العصر وما صاحبه من كثرة المؤلفات الطبية. لقد خلد التاريخ اسم ابن زهر، واستمرت عطاءات العائلة في مختلف الأزمنة رغم الصراعات السياسية التي عاصروها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء لم يكن يتوقف تحت أي ظرف كان.. من هنا يتضح أنّ النساء في المغرب

(١) اسلمى الخضراء الجيوسى، المرجع السابق، ص: ١٠١٢

والأندلس لم يكن سجينات بيوتهن واحتلن مكانة رفيعة^(١). وأطباء آل زهر من الذكور والإناث علا شأنهم في الدولتين المرابطية والموحدية، وكان الملوك، وإن اختلفت نظمهم ودولهم، يُعلون شأن العلماء، ولو كانت لهم صلات حميمة بملوك الدول السابقة^(٢).
يقال إنه لكل قاعدة استثناء، لأنه إذا كانت معظم النساء الطبيبات، ومنهن بنات ابن زهر، استفدن من أسرهم في تعلم الطب، ومكنتهن مهارتهن من جهة ووسطهن الاجتماعي من جهة من الشهرة والنبوغ، فهناك أطباء مشهورون استفادوا من خبرة النساء، نذكر منهم على سبيل المثال **غلام الحرة زوجة المنصري حاكم مدينة شفشاون المغربية** الذي تعلم الطب على يد قابلة، لم يحفظ اسمها، كانت عارفة كذلك بالحنائش والأدوية. وقد اعتمد الطبيب المشهور **أبو القاسم الزهراوي** هو نفسه على النساء في معالجة مرضاه، إذ كان يقف خلف ستار خفيف ويعطي للقابلات إرشاداته التي تناسب الحالات العسرة.
٦- تُفيدنا كتب التراجم بعدد كبير من الطبيبات عرفن في العصور الإسلامية المختلفة، كان منهن **أم الحسين بنت أحمد بن عبد الله الهاشمي** التي كانت طبيبة أدبية وأن **زينب بنت محمد بن الحسن، وزينب بنت محمد الحسينية الشهيرة تعلمت السيمياء (الكيمياء)**، وأن **سارة الحلبية** كانت طبيبة ماهرة، وتكتب خطاً جيداً، وتحل الذهب بمعرفة وخبرة، وأن **مريم بنت كوشيار الجيلي** كانت من أهم علماء الفلك في القرن العاشر، وأسهمت في تطوير صناعة آلة مقياس النجوم (الأسطرلاب). وهناك الطبيبة **فريدة الكبرى** التي ذكرها الأصفهاني في كتاب الأغاني حيث عاشت في العصر الأموي وهي جارية من الحجاز جاءت إلى الشام، وقد تخصصت بعلاج امراض النساء وفي الكحالة^٣.

كما وقد ذكر الأصفهاني في كتابه الأغاني عدد لا بأس به من الطبيبات في العصور الإسلامية، مثل **خرقاء العامرية** من الجزيرة العربية عاشت في العصر الأموي وتخصصت في الكحالة، و**سلامة القس** جارية وشاعرة ومغنية، من المدينة انتقلت إلى الشام في العصر الأموي، وقد تخصصت في امراض النساء والتوليد، و**حبابة**^(٤) من

(١) سلمى الخضراء الجبوسي، المرجع السابق، ص: ١٠١١

(٢) سلمى الخضراء الجبوسي، المرجع السابق، ص: ١٠٠٨-١٠٠٩

(٣) ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: ١٨١ و أبي الفرج الأصبهاني ٩٦٧/٥٣٥٦م، اخبار النساء في كتاب الأغاني، ص: ٤١-٤٧

(٤) عبد الرحمن المصطوي، المرجع السابق، ص: ٨٠

المراجع:

١. أبي الفرج الأصبهاني ٩٦٧/٥٣٥٦م، اخبار النساء في كتاب الأغاني، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، الطبعة الخامسة، دون تاريخ نشر.
٢. ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نسخة بيروت، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة بيروت، ١٩٦٥
٣. ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، نسخة المكتبة التوفيقية -القاهرة ١٩٨٣



٤. احمد مختار العبادى :محاضرات فى الحضارة الاسلامىة، مطبعة كرىدىة بىروت ١٩٧٨.
٥. آدم ملىز : الحضارة الاسلامىة فى القرن الرابى الهجرى، ملىد ١ و ٢ تعرىب ملىد عبد الهادى ابو رىدة ، دار الكتاب العربى – بىروت الطبعة الخامسة.
٦. الطبرى، ابو جعفر ملىد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة عز الدين - بىروت ١٩٩٢ جزء اول
٧. أمىمة أبو بكر و هدى السعدى. النساء ومهنة الطب فى الملىمعات الإسلامىة من سلسلة أوراق الذاكرة مؤسسة المرأة والذاكرة سنة ٢٠٠٤م.
٨. بلال غىث، بىث دور المرأة المسلمة فى العلوم ومساهمة العرب فى الحضارة الإنسانىة، جرىدة الخلىج -الشارقة ٢٠٠٨/٣/٢٦
٩. حسان حلاق ، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربىة- بىروت ١٩٩١
١٠. سلمى الخضراء الجىوسى، الحضارة العربىة الإسلامىة فى الأندلس، الجزء لثانى ، مركز دراسات الوحدة العربىة -بىروت، ط٢ ، ١٩٩٩
١١. صبحى الصالح، النظم الإسلامىة نشأتها وتطورها، دار العلم للملایین-بىروت، ط٢، ١٩٦٨م.
١٢. عبد الرحمن المصطاوى ، اشراف عبد الملىد طعمة حلبى ، أعلام النساء ، دار المعرفة-بىروت، طبعة اولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
١٣. عمر فروخ : عبقرىة العرب فى العلم والفلسفة، المكنبة العصرىة بىروت، الطبعة الرابعة
١٤. ماهر عبد القادر وعمر فروخ وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربىة بىروت، ١٩٩٠
١٥. ملىود مهدى، فى صدر الإسلام .. المرأة العربىة بطلة فى المعارك! ٢٢-٢-

٢٠١٨

ملحق :

أسماء الطبیبات البارزات فى العصور الإسلامىة الوارد ذكرهم فى هذا البىث:

١. ابنة شهاب الدين الصانع
٢. أخت الطبیب الحفید أبى بكر ملىد بن أبى مروان أبى العلاء بن زهر
٣. ام احمد
٤. ام اسىة
٥. أمّ الحسن بنت أبى جعفر الطنجالى
٦. أمّ الحسین بنت أحمد بن عبد الله الهاشمى
٧. ام الربىع
٨. أمّ العلاء الأنصارىة
٩. أمّ العلاء بنت أبى مروان عبد الملك بن زهر
١٠. ام سلمى

جوارى الخليفة الأموي التي تخصصت في امراض النساء والتوليد، وقد توفيت سنة ١٠٥هـ في البصرة **ومتيم الهاشمية** التي كانت جارية وشاعرة وعارفة بالأدب والغناء وتخصصت بعلاج امراض النساء والتوليد، توفيت ٢٢٤هـ في البصرة، و**رحاص** كانت جارية ومغنية وطبيبة تخصصت في علاج امراض النساء في بغداد توفيت ٢٤٥هـ، و**محبوبة**، ايضا جارية من العراق تخصصت في امراض النساء والتوليد توفيت سنة ٢٤٧هـ، و**فضل جارية المتوكل** الخليفة العباسي كانت شاعرة وطبيبة نساء وتوليد، وهي من بغداد توفيت ٢٥٧هـ.

١١. أم سنان السلمية
١٢. ام عطية نسيبة بنت الحارث
١٣. أم عمر بنت أبي مروان بن زهر
١٤. أميمة بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية
١٥. جارية ابي عبدالله الكناني
١٦. حباية
١٧. حمنة بنت جحش بن رباب تُكَيّ أم حبيبة
١٨. خرقاء العامرية
١٩. الربيع بنت معوض
٢٠. رحاص
٢١. رفيدة بنت سعد الأسلمية
٢٢. زينب بنت محمد الحسينية الشهرية
٢٣. زينب بنت محمد بن الحسن
٢٤. زينب طبيبة بني أود
٢٥. سارة الحلبيّة
٢٦. ست الشام خاتون
٢٧. سلامة القس
٢٨. الشفاء بنت عبد الله العدوية
٢٩. عائشة ابنة محمد ابن الجبار
٣٠. **فاطمة** حفيدة ابن زهر
٣١. فريدة الكبرى
٣٢. فضل جارية المتوكل
٣٣. كريمة بنت كلثوم الحميرية
٣٤. كعبية بنت سعد بن عتبة
٣٥. ليلي الغفارية
٣٦. متيم الهاشمية
٣٧. محبوبة
٣٨. مريم بنت كوشيار الجيلي
٣٩. معاذ الغفارية



كما ان هناك عدد من الطبيبات والقابلات مثل ام اسية التي عاشت في مصر خلال حكم الدولة الطولونية وكانت قابلة اولاد السلطان خمارويه، ذكرها ابن الداية في حسن العقبى، وام احمد القابلة ايضا التي برعت في ممارسة مهنة طب النساء والقابلة وقد اشتهرت لانها كانت تعالج وتولد لوجه الله عاشت في مصر خلال العصر المملوكي، ذكرت في تحفة الأحاباب للسخاوي، وجارية ابي عبدالله الكنائي من المغرب العربي التي برعت في علم الطبائع والتشريح توفيت في القرن الخامس هجري، ذكرها ابن عذارى في البيان المغربي، وابنة شهاب الدين الصائغ من مصر التي عاشت سنة ١٠٣٦ وقد تولت مشيخة الطب في عصرها وذكرت في خلاصة الأثر للمحبي.

الخاتمة:

وفي الختام نستخلص انه لا يمكن إعادة بناء الحضارة الإسلامية بدون اعتبار إضافات النساء المسلمات وإسهاماتهن الحيوية في كل المستويات الاجتماعية. وعليه لا بد من إعادة تقييم هذه الإسهامات ودورهن في بناء الحضارة بهدف إيقاظ روح الابتكار في المجتمعات العربية الإسلامية اليوم. ذلك لان أهمية إعادة بناء الفكر الإسلامي يكون في جزء كبير منه، من خلال إسهامات جميع مكونات المجتمع لبناء عصر إسلامي جديد. ولكن يجب أيضا إعادة تعريف مصطلحات هذا الإصلاح للفكر الإسلامي الذي مع كل الجهود المبذولة لم يبدأ بعد.

لا أحد يشك اليوم في أهمية إسهام النساء في انتقال المعرفة والقيم في المجتمعات المعاصر، ولكن ثقل العادات الثقافية وبعض القراءات الإقصائية للنساء يمثل حاجزاً حقيقياً لبناء مجتمع متساوٍ ينطلق من نهضة الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التي لن تستطيع أن تكون نموذجاً للتقدم إلا عندما تستعيد العلم الكوني باعتباره ذو فائدة للإنسانية كلها وأن الرجال والنساء المسلمين يساهمون على حد سواء في هذه الحضارة الإنسانية العالمية.

وبهذا العرض نلاحظ ان المجتمعات الإسلامية استفادت من مهارات النساء العلمية وخاصة الطبية، وقدراتهن المتنوعة في الحيز العام، علماً بأن غالبية الطبيبات المذكورات في كتب التاريخ كن على علاقة وثيقة بالحكام أو صفوة المجتمع، ما يعني أن المؤرخين ركزوا في أحاديثهم على النساء المشهورات، ما يجعلنا نعتقد أن هناك عددًا أكبر من الطبيبات المسلمات اللاتي لم تُذكر أسماءهن ولم تصل إلينا بسبب مكانتهن الاجتماعية المتواضعة.



انجازات العرب فى علم الجراحة

م.و فياض (عمر زعيان)
وزارة التربية، الكلية التربوية المفتوحة
fiadhahmed@yahoo.com

المخلص

الجراحة الطبية أو ما تسمى فى مصطلح الأطباء والناس اليوم بـ "العملية الجراحية" تعد إحدى فروع الطب المختصة علاج الأمراض بالعمل الجراحي فضلاً عما يتبعه من عناية واهتمام فيما بعد اجراء هذا العمل، وكان لدى العرب معلومات جراحية منذ القدم، اذ عرفوا من الجراحة الحجامه والفصد والكي فضلاً عن تجبير الكسور، الا انها لم تكن تجرى من قبل الطبيب وانما كانت من اعمال الحلاقين والحجامين ذوي الخبرة والمعرفة تحت اشراف وارشاد الاطباء الذين كانوا يستقون معلوماتهم الجراحية من كتب ابقراط وجالينوس وغيرهم، وقد ورث العرب ذلك من اليونان وورثوا الخوف من اجراء العمليات الجراحية لما لها من مساس بحياة الانسان، ولكن هذه النظرة الممتهنة للجراحة عند العرب لم تدم طويلاً، فبظهور عباقرة العرب المسلمين فى الطب سار هذا العلم خطوات نحو التجديد والابداع، ومع مرور الوقت كونوا افكاراً جديدة فى علم الجراحة والتشريح اسهمت بشكل كبير فى معرفة جسم الانسان وطريقة عمله، ومن الجدير ذكره ان العرب استقادوا من طب الشعوب المجاورة لهم ولا سيما الكلدان واليونان ولم تقتصر معرفتهم بالطب على ما اخذوه من هذه الشعوب فحسب بل كان شأنهم فى الطب شأن العلوم الأخرى فأخذوا ونقحوا ما أخذوه واطافوا له الكثير مما استنبطوه من تجاربهم ومشاهداتهم.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن ينتظم بمقدمة وسبعة محاور وخاتمة احتوت اهم النتائج، تضمنت المحاور نشأت علم الطب عند العرب والتعريف بالجراحة فى اللغة والاصطلاح ونشأت علم الجراحة، فضلاً عن اسهامات العرب وانجازاتهم فيها، واحتوت الدراسة ايضاً على (طب الكحالين) وجراحة العيون وعمليات الفحص والتشخيص، ومن ثم عمليات التخدير لتخفيف الألم عن المريض.

Abstract

Medical surgery, or what is called in the term doctors and people today, the surgical operation is considered one of the branches of medicine specialized in treating diseases by operating in addition to the care and attention after performing this work. Arabs had surgical information since ancient times. They knew cupping, phlebotomy and cauterization and splinting fractures which were not performed by a doctor, but rather by barbers and pilgrims with experience and knowledge under the supervision and guidance of doctors who were drawing their surgical information from the books of Hippocrates, Galen, and others. The Arabs inherited that from Greece and inherited the fear of performing the operations because of their prejudice to human life, but this disparaging view of surgery among the Arabs did not last long. With the emergence of Arab Muslim geniuses in medicine, this science proceeded towards innovation and creativity, and with the passage of time they formed new ideas in the science of surgery and anatomy. It greatly contributed to the knowledge of the human body and its way of working, and it is worth noting that the Arabs benefited from the medicine of the neighboring peoples, especially the Chaldeans and Greece. Draw it from their experiences and observations.

The researcher finds it necessary for the research to be organized with an introduction and seven axes and a conclusion that contained the most important results. The axes included the emergence of the science of medicine, the definition of surgery in language and convention, the emergence of the science of surgery, as well as the contributions and achievements of the Arabs in it. The study includes ocular medicine, eye surgery and investigation operations and then Anesthesia operations to relieve pain for the patient.

المقدمة

استوعب العرب التراث الطبي القديم، واعتمدوا على المصادر القديمة وعلى تجاربهم ومشاهداتهم في تأليف كتبهم الخاصة بصناعة الطب، وكانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة المعمول معظمها من اعشاب البادية وبالاشرية ولا سيما العسل الذي كان العلاج المعتمد عندهم في امراض البطن، وكانوا يعالجون بالجراحة والحجامة والفتد والقطع والكي بالنار.

ان لدراسة الطب العربي فوائد كثيرة في مجال قواعد الغذاء والعقاقير وعلم الصحة والعلاج، فضلاً عن انها تقدم ابلغ الدروس لمعرفة اداب هذه المهنة وشروط ممارستها، والقيم الانسانية العليا التي يجب ان يتحلى بها الطبيب او الصيدلاني، وكان للأطباء العرب انجازات رائعة في الطب السريري والتعرف على علامات المرض وفي المستشفيات (البيمارستانات) التي كانت جامعات لتعليم الاطباء وتدريبهم فضلاً عن معالجة وخدمة المرضى.



وكان علم الجراحة الذي هو فرع مهم من فروع علم الطب من الصناعات الممتنة عند العرب في بداية الامر وعلى الطبيب المحترم ان يتسامى عن ممارستها فكانوا يسمونها (صناعة اليد) اذ جعلوها من اختصاص الحجامين والحلاقين الذين يقومون بالعمليات الجراحية البسيطة كالفصد والبتير والكي تحت اشراف وارشاد الاطباء الذين كانوا يستقون معلوماتهم الجراحية من كتب ابقراط وجالينوس وغيرهم، ولكن هذه النظرة الممتنة للجراحة عند العرب التي ورثوها من الغرب لم تدم طويلاً، فبظهور عباقرة العرب المسلمين في الطب سار هذا العلم خطوات نحو التجديد والابداع، فبرعوا في مداواة الجروح وتفتيت الحصى داخل المثانة وفي التشريح واجراء العمليات الجراحية، فضلاً عن اختراع انواع عديدة من الالات الجراحية لاستعمالها في مختلف انواع العمليات كجراحة الأنف والأذن والحجرة وفي جراحة الفم والأسنان وفي الجراحة العامة، وبرع العرب ايضاً في استأصال الأورام السرطانية والزوائد اللحمية، والتميز ببنها، اذ وضعوا بعض العلامات التي يمكن للطبيب أن يميز بها نوعية الورم هل هو خبيث فيتنجبه، أم هو من الزوائد اللحمية التي يمكن استئصالها ومداوتها بالجراحة، فضلاً عن براعة العرب في علاج الكسور وأستأصال اللوزتين وغيرها.

موضوع بحثنا ينطلق من السؤال الآتي: هل كان للعرب دوراً في علم الجراحة؟ وما هي مشاركاتهم وانجازاتهم فيه؟

اقتضت ضرورة البحث أن ينتظم بمقدمة وسبعة محاور وخاتمة احتوت على اهم النتائج، تظمنت المحاور نشأت علم الطب عند العرب والتعريف بالجراحة في اللغة والاصطلاح ونشأت علم الجراحة، فضلاً عن مشاركات العرب وانجازاتهم فيها، واحتوت الدراسة ايضاً على (طب الكحالين) وجراحة العيون وعمليات الفحص والتشخيص، ومن ثم عمليات التخدير لتخفيف الألم عن المريض.

اولاً- نشأة علم الطب والصيدلة عند العرب

أستفاد العرب قديماً من طب الشعوب المجاورة لهم ولا سيما الكلدانية واليونانية ولم تقتصر معرفتهم بالطب على ما اخذوه من هذه الشعوب فحسب بل كان شأنهم في الطب شأن العلوم الأخرى فأخذوا ونقحوا ما أخذوه واطافوا له الكثير مما استنبطوه من تجاربهم ومشاهداتهم^(١).

من الاسباب المهمة التي كانت وراء نشأة علم الطب، جامعوا الاعشاب او ما يسمى (العشابون)، كانت لديهم معلومات كبيرة وكثيرة عن شتى انواع النباتات والاعشاب، وعرف الأنسان منذ اقدم العصور منافع ومضارها النبات، فمنه المغذي ومنه السام، ومنه المكدر المنغص ومنه المنعش المنشط، عرفوا كل ذلك بالتدرج وبعد تجارب واخطاء لا تعد ولا تحصى، وقد تنبه اليونانيون منذ وقت مبكر جداً من تاريخهم الى ان

الهوامش

^١ فهد، بدري محمد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨، ص١٦٧؛ المر، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، ط٦، مؤسسة الكتاب المدرسي، لبنان، ١٩٨٣م، ص٨١.

خصائص النبات انما تتجمع في الغالب في جذوره، ولذلك اطلقوا على العشابين اسم (اصحاب الجذور) او (مقتلعي الجذور) Rhisotomoi^(١). ومن الجدير بالذكر ان الصيدلة^(٢) في العصور القديمة كانت جزء لا يتجزأ من الطب، فلم تكن منفصلة عنه، فكان الطبيب صيدلانياً في الوقت نفسه الى ان جاء العرب وفرقوا الصيدلة عن الطب، أن العرب هم اول من اوجد مهنة الصيدلي، وهم المؤسسون الحقيقيون للصيدلة^(٣)، واستطاع العرب من تطوير هذا العلم من مجرد تجارة العقاقير والتوابل الى انشاء مدارس تدرس فيها الصيدلة وعلومها ووضعوا الكتب الخاصة بالتركييب^(٤)، ومما لا يقبل الشك كان للعرب قدم سبق على سائر الامم في انشاء الصيدليات، وتنظيم مهنة الصيدلة، وهناك الكثير من المآثر للعرب في علم الصيدلة لا مجال لحصرها ولوجود الكثير من الدراسات التي تطرقت اليها.

يعد لقمان الحكيم اقدم اطباء العرب، وفي عصر ما قبل الاسلام ذكرت المصادر العربية اسماء عدد من أطباء العرب ومآثورات بعضهم الطبية، وفيها عدد من انواع الأمراض التي كانت منتشرة قبل الإسلام مع ذكر الاعراض التي تصاحب هذه الأمراض، ومن اشهر هؤلاء الأطباء الحارث بن كلدة الثقفي^(٥)، وزهير بن جناب الحميري، وزينب^(٦) طبيبة بني اود^(٧).

- الطب في صدر الاسلام والخلافة الراشدة

لم يختلف الطب في صدر الاسلام عما كان عليه في الجاهلية، لكن بمجيء الاسلام كانت الدعوة الى عبادة الله عز وجل وترك اساليب الشعوذة والسحر والكهانة فحرم الإسلام ذلك كله ودعا الى استعمال العقل والاعتماد على البحث والتجربة والتفكير

^١ مرجحاً، محمد عبد الرحمن، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ص ١٢٥.
^٢ الصيدلة: هي علم يبحث في الدوائيات من حيث معرفة خواصها الكيميائية والطبيعية وتأثيرها الطبي، وكيفية استحضر الأدوية ومزجها وتهيأتها للاستعمال الطبي وفي مدلولها الحديث فأنها علم وفن معاً، فهي علم يبحث في اصول الأدوية طبيعية كانت ام تخليقية، وخواصها الفيزيولوجية والكيميائية والفيزيائية وفعاليتها الدوائية وطرق حفظها وتحليلها، فضلاً عن انها علم وفن يختص بطرق تحضير الأدوية من مواردها الأولية وصرفها بشكل مستحضرات وتوفير الارشادات للمريض. ينظر: الراويده، عبد الرؤوف، الوجيز في علم الدواء، دار المستقبل، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٥٥؛ قنواطي، الأب جورج شحاته، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العصر القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، ص ١١.

^٣ مرجحاً، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٢٨.

^٤ مرجحاً، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٢٨.

^٥ الحارث بن كلدة الثقفي، الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج واسمه عمير بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قفيف طبيب وحكيم العرب المشهور، ولد قبل الاسلام، من اهل الطائف، اختلفوا في اسلامه، رحل الى بلاد فارس وأخذ الطب عن أهلها. وعرف الداء والدواء، وكان النبي ﷺ يأمر من به علة أن يأتيه فينظف عنده، عاصر الخلفاء الراشدين وبقي الى ايام معاوية بن ابي سفيان، له كتاب (محاوره في الطب بينه وبين كسرى انوشروان)، توفي نحو سنة (٥٠ هـ / ٦٧٠ م). ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ج٧، ص ٤٩؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار

الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. ج١، ص ٢٨٣؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ١٥٧، ١٥٨.

^٦ زينب، طبيبة "بني أود" كانت تعالج المرضى وحازت على شهرة كبيرة بين العرب. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢١١/٨)

^٧ مرجحاً، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٧٤.



والتأمل^(١)، وجاءت السنة النبوية المطهرة لتحت على التداوى، اذ جاء على لسان النبي ﷺ الكثير من النصائح التي افاد منها المسلمون في مختلف الاوقات والاماكن، بعضها في الطب وبعضها في الصحة والمرض وبعضها في الوقاية من العدوى واخرى في فضائل الاطباء^(٢)، فعن ابي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله أنزلَ الذَّاءَ والدَّوَاءَ، وجعل لكلِّ داءٍ دواءً، فَنَدَّأَوْا، ولا تَدَّأَوْا بحرام»^(٣)، وورد عن النبي ﷺ استعمال العسل فقال عليه الصلاة والسلام " عليكم بالشفائين العسل والقران"^(٤)، وهذا مصداقة قول الله ﷻ " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)"^(٥)، واوصى عليه الصلاة والسلام بالبان الابل للتداوى، والاحتجام واستعمال الماء البارد للحمى وعزل المناطق الموبوءة وعدم الذهاب اليها، ونها عن السحر^(٦)، فضلاً عن ذلك فقد اهتم المسلمون بنشر الثقافة الطبية ولا سيما بترجمة كتب الاقدمين وتأسيس المعاهد العلمية لتخريج الأطباء فأنشأوا البيمارستانات^(٧) التي اصبحت الكليات العملية للطب الى جانب المدارس النظرية، وتشير المصادر الى ان اول بيمارستان انشأ في الإسلام كان في المدينة المنورة يوم الخندق على شكل خيمة ضربها النبي ﷺ في المسجد وجعل فيها امرأة من اسلم تقوم بخدمة الجرحى تسمى (رفيدة)^(٨)، ويروي الطبري^(٩) ان النبي ﷺ قال لقومه حين أصيب سعد بن معاذ بسهم في معركة الخندق اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب.

ثانياً – علم الجراحة لغة واصطلاحاً

^١ باشا، احمد فؤاد، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٨٧.

^٢ فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص١٦٧.

^٣ مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت:٦٠٦هـ)، جامع الأصول في احاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، ط١، مكتبة الحلواني، ١٣٩١ هـ-١٩٧١م، ج٧، ص٥١٢.

^٤ ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد(ت:٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، دار احياء التراث العربي، بيروت، دب، ج٥، ص١١٣.

^٥ سورة النحل، الايات ٦٨، ٦٩.

^٦ فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص١٦٧.

^٧ البيمارستان : وهو معرب من مقطعين، بيمار تعني المريض، وأستان تعني المأوى بمعنى "دار المرضى او بيت المرضى"، وهو محل معد لإقامة المرضى فيه ومعالجتهم (المستشفى في وقتنا الحاضر). ينظر: الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض (ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دب، ج١٦٦، ص٥٠٠؛ عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت:١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م، ج١، ص٢٧٤؛ رضا، احمد، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠ هـ-١٩٦٠م، ج٥، ص٢٧٩؛

^٨ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٢، ص٣٢٤؛ الخربوطلي، علي حسني، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٢٦٦.

^٩ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر (ت:٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ج٢، ص٥٨٦.

الجراحة لغة: جمع جراح، وجرحه يجرحه جرحاً والجرح، جمعه جروح، وفي القرآن المجيد (والجروح قصاص)^(١)، والجراحة تأتي بمعنى الطعن والضرب، وجرحه أكثر فيه الجراحات^(٢)، (ورجل) جريح (وامرأة جريح)، ويقال: رجال جرحى، ونسوة جرحى^(٣)، والجرح: الشق في البدن، وجروح وجراح خاص فيما كان بغير الوجه والرأس، لأن ما كان فيهما يسمى الشجة^(٤)، ويستعمل أحياناً الجرح بمعنى العيب، والانتقاص، فيقال: جرحه بلسانه جرحاً أي عابه وانتقصه، ومنه جرحت الشاهد إذا أظهرت فيه ما ترد به شهادته^(٥).

الجراحة اصطلاحاً: علم باحث عن أحوال الجراحات العارضة لبدن الإنسان، وكيفية برئها وعلاجها، ومعرفة أنواعها، وكيفية القطع إن احتيج إليها، ومعرفة كيفية المراهم والضماطات وأنواعها، ومعرفة أحوال الأدوات اللازمة لها، وعلم الجراحة جزء من علم الطب^(٦).

وجاء تعريفها أيضاً كما اشار الشنقيطي بأنها "إجراء جراحي بقصد إصلاح عاهة، أو رتق تَمَرَّق، أو عطب أو بقصد إفراغ صديد أو سائلٍ مَرَضِيٍّ آخر أو لاستئصال عضو مريض، أو شاذ"^(٧).

وعلاج الجراحة على نوعين منها البسيطة ومنها المركبة، فالبسيطة هي التي لا يذهب منها شيء من جوهر العضو، والمركبة ما ذهب منها شيء من ذلك^(٨).

ثالثاً- نشأة علم الجراحة

كان انسان العصور القديمة له المام بالجراحة الطبية كما ذكرت ذلك بعض المراجع العلمية ولكن بصورتها البدائية التي تُعد بداية لما وصلت اليه الجراحة في العصر الحاضر من رقي وازدهار^(٩)، وتبين من خلال الصور المنحوتة والآثار المنقوشة أن قدماء المصريين كانوا على معرفة ببعض المهام الجراحية لا سيما ما يتعلق منها بجراحة الأسنان^(١٠).

^١ سورة المائدة / الآية ٤٨.

^٢ ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج١، ص٤٨٥.

^٣ الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٣٣٧.

^٤ أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٦٠.

^٥ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج٢، ص٤٢٢؛ المختار الشنقيطي، محمد بن محمد، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٥.

^٦ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني، (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ج١، ص٥٨١.

^٧ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٣٩.

^٨ ابن الفخ، امين الدولة ابي الفرج ابن موفق الدين يعقوب بن اسحق (ت: ٦٨٥هـ)، العمدة في الجراحة، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، ج١، دت، ص ٩١.

^٩ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٤٦.

^{١٠} المصدر نفسه.



وفى العصر البابلى القديم^(١) وجدت بعض الأثار المكتوبة تشتمل بعض موادها على أحكام تتعلق بالجراحة، وميز حمورابى (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) فى قانونه بين الطبىب والجراح والطبىب البىطرى، وحدد اجور كل منهم رافةً بالمواطن ولحمائته من الجشع والاختار التى يتعرض لها^(٢)، وذكر أن الطبىب الجراح لو عالج مريضاً بالجراحة ثم مات ذلك المريض أو تلف عضو من أعضائه بسبب الجراحة فإنه يعاقب بقطع يده^(٣)، ونصت على ذلك المادة (٢١٨): " اذا أجرى طبىب عملية لرجل بسكين للعمليات وسبب وفاة الرجل ، او فتح محجر عين الرجل واتلف عين الرجل فعليهم ان يقطعوا يده"^(٤)، فضلاً عن فقرات اخرى تبين مقدار الأجرة التى تعطى للطبىب الجراح إذا عالج مريضاً بالجراحة ثم شفى ذلك المريض من علته^(٥)، وقد نصت المادة (٢١٥) على ذلك " اذا أجرى جراح عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وانقذ حياة النبيل او اذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وانقذ عين النبيل فىأخذ عشرة شىقلات^(٦)، من الفضة اجرة له"^(٧)، وفيما يخص الطبىب البىطرى فقد نصت عليه المادتين (٢٢٤ و٢٢٥) من قانون حمورابى فالمادة (٢٢٤) تنص " اذا أجرى جراح بىطرى عملية كبيرة على ثور او حمار وانقذ حياته فيدفع مالك الثور او الحمارالى الجراح البىطرى سدس شىقل من الفضة اجرةً له" وقد بين القانون أيضاً المكانة الكبيرة التى كان يحظى بها الطبىب فى المجتمع العراقى القديم، اما فيما يخص الادوات الطبىبة فقد ذكرت فى عدد كبير من النصوص المسمارية منها: شفرات الصيدلانى والاناييب المعدنية، والة بضع(سكين الحلاق) التى كانت تستخدم فى الجراحة العامة^(٨).

اما فى العصر الإسلامى فعدت الجراحة الطبىبة صنعة ممتهنة، كان الاطباء المسلمون يترفعون عن العمل بها وادائها، وكانوا يسمونها "عمل اليد" او(صناعة اليد)، وكانت آنذاك من مهام الحلاقين والحمامين الذين يقومون بالحجامة والكى، والفصد

^١ العصر البابلى القديم: تطلق هذه التسمية على المدة الزمنية المحصورة ما بين سقوط سلالة اور الثالثة (٢٠٠٤ ق.م) وبين نهاية سلالة بابل الاولى ١٥٩٥ ق.م، إذ انها دامت اربعة قرون تألفت فيها عدة دويلات جزرية، تمكنت من دخول البلاد من جهة الغرب واستقرت فى مدن مختلفة. ينظر: الشىخلى، عبد القادر، الوجيز فى تاريخ العراق القديم، دار الرافدين، ط٢، بيروت، ٢٠١٤م، ص١٧٢.

^٢ الشىخلى، عبد القادر، الوجيز فى تاريخ العراق القديم، ٢٠١٤م، ص٢٩١.

^٣ المختار الشنقىطى، أحكام الجراحة، ص ٤٧.

^٤ على، تاريخ العراق قديمه وحديثه، ص٦٧.

^٥ المختار الشنقىطى أحكام الجراحة ، ص ٤٧.

^٦ شىقلات:شىكل: كلمة عبرية تعنى (وزن) أو الوزنة وكانت تُنطق شىقل، وهو مقياس وزنى استخدمه العبرانيون القدامى لوزن الذهب والفضة، وقد أصبح الشىكل عملة فيما بعد، واغلب الظن أن نظام العملات بين العبرانيين كان يتبع النظام البابلى، فالبابليون كانوا أهم الشعوب التجارية فى الشرق الأدنى القديم، وقد شاع الشىكل كعملة أيام الحشمونيين، وقيل ان الشىقل وحدة وزن اكديبة تعادل حالياً حوالي (٨،٤غم)، وقيل هو المثقال من الفضة. ينظر: المسبرى، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج١٣، ص ٣٣١، ج ١٠، ص ٤٦٢؛ على، فاضل عبد الواحد، تاريخ العراق قديمه وحديثه، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٦٧.

^٧ على، تاريخ العراق قديمه وحديثه، ص٦٧.

^٨ الشىخلى، الوجيز فى تاريخ العراق القديم، ص٢٩٢.

وبتر بعض الأعضاء تحت إشراف ومراقبة الأطباء وإرشاداتهم^(١)، ثم لم تمض مدة حتى نبغ علماء الطب المسلمون في تطوير الجراحة الطبية والإسهام في تقدمها حتى وصلت إلى درجة عالية من الدقة والمهارة^(٢)، في وقت كان اليونانيون يحرمون الجراحة ويحتقرون ممارستها، فضلاً عن ذلك فقد كانت مدارس الطب عندهم تحضر تعليم الجراحة في القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر، بأعتقادهم أنها لا تليق بالأطباء المحترمين وأنه لا يجوز لهم تغيير خلق الله، ووصلت بهم الحال إلى إصدار مرسوم يقضي بأهمال تعليم الجراحة^(٣).

رابعاً - انجازات العرب في علم الجراحة

كما وفق العرب في الطب وفقوا أيضاً في فن الجراحة واسدوا له خدمات جليلة، فأبو القاسم الزهراوي (ت: ٤٠٤هـ)^(٤) الجراح الأندلسي قد ادخل تجديداً كثيرة في علم الجراحة، وعلى مداواة الجروح وتفتيت الحصى داخل المثانة وفي التشريح واجراء العمليات^(٥)، والزهراوي أكبر جراح عربي، وابرع من استعمل الآلات في الجراحة، ويعد كتابه " الجراحة" من أهم ما أنتجه العرب في هذا المجال، فكان يضم أكثر من مائتي شكل للآلات الجراحية التي كان يستعملها المؤلف، فضلاً عن ما يتعلق بتفتيت الحصى داخل المثانة^(٦)، فضلاً عن ذلك كان بارعاً في القيام بعمليات في الجهاز التناسلي الأنثوي، واوجد مرآة خاصة وآلة لتوسيع باب الرحم^(٧)، ونجح أيضاً في عملية شق القصب الهوائية الذي اجراها على خادمه باديء الامر. اما نزيف الدم فقد عالجه ووفق فيه بربط الشرايين الكبيرة^(٨)، كما انه علم تلامذته كيفية تخييط الجروح بشكل داخلي على ان لا يترك شيئاً مرئياً منها، والتدرج المثمن في جراحات البطن وكيفية التخييط بأبترتين وخيط واحد مثبت بهما^(٩)، واستعمل في جراحات الامعاء الخيوط المعمولة من امعاء القطط، ومنعوا استعمال الاوتار الجلدية في خياطة الجروح بعد

٧ ول ديورانت: ويليام جيبس ديورانت (ت: ١٤٠٢هـ) قصة الحضارة، تقديم: محيي الدين صابر، تعريب: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ١٣، ص ١٨٩؛ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥١.

٢ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥١.

٣ المعاصيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٦-٢٦٧.

٤ الزهراوي، خلف بن عباس الزهراوي، كان طبيباً فاضلاً مشهوراً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي قال عنه ابن حزم "وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطب، لنصدقن". ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٨٥؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة،

١٩٦٧م، ص ٢٨٦؛ ابن أبي اصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موقف الدين (ت: ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٥٠١؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج ١٣، ص ٢٣١.

٥ موراني، حميد وعبد الحلیم منتصر، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتاب، الموصل، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ص ٦٠؛ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١؛ المعاصيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٦.

٦ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١؛ المعاصيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٦.

٧ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٠.

٨ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، [ج ٢، ص ٣١٠؛ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦١.

٩ مرجعاً، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٩١؛ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٠.



العمليات الجراحية، واما استعمال خيط الشعر للعمليات الجراحية فيعود الى الطبيب المشهور ابو بكر الرازي^(١)، والزهر اوي اول من اوصى بأن يرفع الحوض والارجل في كل العمليات الجراحية التي تجرى في النصف السفلي من الانسان قبل كل شيء^(٢)، وهذه الطريقة اقتبستها اوربا مباشرةً ونسبتها الى الجراح الالماني (ترندلنبورغ)، وعنه اخذت اوربا ايضاً في تجبيس الكسور طريقة ترك فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة^(٣).

ويُعد الرازي اكثر من اهتم بالجراحه واولاها عنايته الكبيرة، فهو أول من فرق بين نوعي النزيف (الشرياني، والوريدي)، وتوصل ايضاً الى بعض الطرق التي استطاع بواسطتها إيقاف النزيف الشرياني والسيطرة عليه، كما تكلم عن الكسور وكيفية جراحتها وتجبيرها، والرازي أول من استعمل الفتائل في أثناء العمل الجراحي، وأول من استعمل الأنابيب التي يمر فيها الحديد والقبح، والإفرازات السامة^(٤).

واول من وصف عملية الشق لأستخراج الحصاة هو الجراح علي بن عباس المجوسي^(٥)، فضلاً عن ذلك ابدع العرب في مداواة الجروح المعدية ووجدوا مضادات للجراثيم فحصلوا على (البنسلين) ودواء الهليون، وضعوا منها مراهم وعالجوا جراحاتهم الملتببة^(٦).

ويُعد الطبيب المشهور عبد الملك بن زهر^(٧) أول طبيب جراح قام بوصف جراحة الجهاز التنفسي في كتابه الفريد "التيسير في المداواة والتدبير"^(٨)، فضلاً عن وصفه عملية أستخراج حصى الكلى وفتح القصبه الهوائية، اما طريقة توسيع مجرى البول فكانت من اكتشاف الطبيب المشهور ابن الذهبي^(٩).

^١ الرازي: محمد بن زكريا أبو بكر الرازي الطبيب المشهور، ولد ونشأ بالري، قدم إلى بغداد وأقام بها، برع في الشعروالادب والعلوم العقلية منذ صغره، كان ممن استشارهم عضد الدولة البويهبي في موضع بناء اليبمارستان العضدي، له الكثير من المؤلفات في الطب منها "الهاوي" في ثلاثين مجلد تقريباً، و"الجامع"، وهو ايضاً من الكتب الكبار، وكتاب "الأعصاب"، وله ايضاً كتاب "المنصورى" المختصر المشهور، ومن كلامه: مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، مهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب، ومن كلامه ايضاً: إذا كان الطبيب عالماً والمرضى مطيعاً فما أقل لبث العلة، عُمي الرازي في آخر حياته، توفي سنة ٣١١هـ. ينظر: ابن ابي اصبيعة، عيون الأنباء، ص ٤١٥، ٤١٤؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج٢، ص١٥٨، ١٥٩، ١٩٢.

^٢ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٠-٦١؛ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١؛ المعاضدي، تاريخ الحضارة العربية والاسلامية، ص ٢٦٦.

^٣ مرجب، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٩١.

^٤ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٣.

^٥ المجوسي: علي بن العباس المجوسي من فضلاء الاطباء، فارسي الأصل يعرف بابن المجوسي صنف للملك عضد الدولة البويهبي كتابه المسمى ب(الملكي) الذي حصل شهرة كبيرة جمع فيه علم الطب، فمال الناس اليه واستحسنوه الى ان ظهر كتاب القانون لابن سينا فمالوا اليه وتركوا الملكي. ينظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت: ٦٤٦ هـ)، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٧٨.

^٦ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٢.

^٧ ابن زهر: عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن زهر أبو مروان الأيادي، ولد في أشبيلية ما بين عام ٤٨٤ و عام ٤٨٧ هـ، وهو من أسرة مشهورة بالطب، ويعتبر أعظم أطبائها بلا نزاع، له مؤلفات منها: التيسير، الأغذية، توفي سنة ٥٥٧ هـ. ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ج٢، ٥١٧، ٥١٩؛ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٣.

^٨ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٣.

^٩ فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص ١٧٢.

وبرع العرب أيضاً في العلاج بالكي، وعلاج كسر العظام وخلعها^(١) بالطريقة الجراحية المعروفة الآن التي تسمى (رد المقاومة المفاجيء)^(٢)، كما برعوا في جراحة الأنف والأذن والحنجرة وفي جراحة الفم والأسنان وفي الجراحة العامة، وعلاج الأورام بالبطن، والشق، ووصف العمل الجراحي اللازم لعلاجها^(٣)، فضلاً عن عمليات جراحية أخرى كاستئصال اللوزتين وعملية فتح الخراج^(٤) الموجود في اللهاة وقطع اللحم النابت في الأذن وعملية ثقب الأذن المسدود^(٥)، والعمليات القيصرية (بقر البطن لاستخراج الجنين)، ومن الانجازات المهمة للعرب في علم الجراحة التمييز بين الأورام السرطانية والزوائد اللحمية، حيث وضعوا بعض العلامات التي يمكن للطبيب أن يميز بها نوعية الورم هل هو خبيث فيتجنبه، أم هو من الزوائد اللحمية التي يمكن استئصالها ومداواتها بالجراحة^(٦).

وزيادة على ما سبق فإننا نجد الأطباء العرب قد اعتنوا بجانب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الجراحة الطبية، وهو علم التشريح^(٧)، بعد ان كانوا يستنكفون من تشريح الأجسام الحية أو جثث الموتى، ويتطور العلوم الطبية اضحى علم التشريح مفتاحاً لفهم علم الجراحة وإتقانها، وبهذا يقول الزهراوي "من لا يبرع في التشريح لا بد أن يقع في خطأ قد يؤدي بحياة المريض"^(٨)، فأذا تعلم الطبيب التشريح وأتقنه تمكن من أداء مهمة الجراحة بيسر وسهولة دون أن يعرض حياة المريض للخطر^(٩)، ونبغ الأطباء العرب في تشريح الشرايين والأوردة الرئوية وأول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى في العالم الطبيب العربي "ابن النفيس"، فضلاً عن ذلك فهو أول من تحدث عن تنقية الدم في الرئتين، وكان قد سبق في هذا المجال علماء كثر أمثال "سرفيتوس" و"وليم هارفي"، وانتقد نظرية جالينوس ونظرية ابن سينا في ما يتصل بمجرى الدم الوريدي بين البطين الأيمن والبطين الأيسر^(١٠).

^١ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١؛ المعاضيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٦.

^٢ المعاضيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٤.

^٣ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٦٠-٦٣.

^٤ خراج: جمع خراجات وأخرجة وخرجان، الخراج ما يظهر على البدن من قروح، أو ما يخرج بالبدن من الجروح والبثور، والدمامل، فيجتمع الصديد في جزء متورم ملتهب من الجسم ينشأ عادة من عدوى بكتيرية. ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٨٦؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٦٢٨.

^٥ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٢.

^٦ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٢؛ فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص ١٧١.

^٧ علم التشريح: بالراء المهملة في اللغة إظهار الشيء وكشفه يقال شرحت الغامض إذا فسرتة ومنه تشريح اللحم. وفي اصطلاح الأطباء عبارة عن علم تعرف به أعضاء الإنسان بأعيانها وأشكالها وأقذارها وأعدادها وأصنافها وأوضاعها ومنافعها، وعلم التشريح علم يبحث في تركيب الأجسام العضوية بتقطيعها وفحصها. ينظر: التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٤٥؛ مصطفى، إبراهيم واخرون، المعجم الوسيط، ط١، مجمع اللغة العربية، دار

الدعوة، القاهرة، دت، ج ١، ص ٤٧٨.

^٨ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٥٤-٥٥.

^٩ المصدر نفسه.

^{١٠} المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١؛ المعاضيدي، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٦.



خامساً- طب الكحالين (جراحة العيون)

اهتم الاطباء العرب اهتماماً كبيراً بأمراض العيون نظراً لانتشارها في البلاد العربية والبلاد الإسلامية الحارة^(١)، ونبغوا في معرفتها وعلاجها، تبين ذلك من تأليفهم فيها واستنباطهم الكثير من الآلات المستعملة في جراحها وأشهر كتبهم (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق^(٢)، وكتاب (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى^(٣)، كما برع العرب ايضاً بما قدموا من انواع الضمادات والمساحيق والمراهم واللزوك، فضلاً عن ذلك فكانوا اول من استعمل الخمرة المعقمة ضد التقيح، وصنعوا مراهم تجف مع الوقت (كشماعات) للجروح الحديثة^(٤).

سادساً - الفحص الطبى

تُعد مرحلة الفحص الطبى^(٥) عند العرب من أولى المراحل الممهدة للجراحة الطبية، ولم تكن تختلف كثيراً عما هو عليه في الوقت الحاضر، فكانوا يفحصون المريض بدقة ويسألونه عن سبب شكواه وعن طريقة عيشه وعاداته، كما كانوا يفحصون البول ويجسسون النبض، وهل سبق وان أصيب بأمراض او لا، وكذلك سؤاله عن مناخ بلاده وعن الحالة الصحية لعائلته وما الى ذلك مما قد يفيدهم في التشخيص ومن ثم في تقرير نوع العلاج المطلوب، وكانوا يلاحظون في الفحص ايضاً لون الجلد وحالته من حيث كونه بارداً ام حاراً^(٦)، واعتمد الاطباء العرب على مراقبة التنفس في تشخيص المرض ومراقبة الحرارة ايضاً^(٧).

سادساً: التخدير:

التخدير لغة: تخدر يتخدر، تخدرأ، فهو متخدر^(٨)، وتخدر: فتر واسترخى، وتخدرت ساقه من شدة البرد^(٩) وتخدر المريض: تعطل إحساسه بأثر التخدير، أو بمادة طبية تعطل الإحساس مؤقتاً، ونام متخدراً بعد أن أعطاه الطبيب حقنة البنج^(١٠).

التخدير اصطلاحاً: علم التخدير او (التبنيج) جزء من علم الجراحة^(١١)، وهو تعطيل الإحساس بدواء مخدر منعا للألم عند إجراء عملية جراحة، ويسمى (التخدير

^١ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨٤.

^٢ حنين بن اسحق: هو حنين بن اسحق أبو زيد العبادى ، ولد سنة ١٩٤ هـ، برع في الطب والادب، كان رئيس مدرسة المترجمين التي أنشأها الخليفة المأمون في بغداد، ويعد اعظم مترجم عربى للتراث الاغريقي، وينسب اليه انه نقل الى العربية كل مصنفات جالينوس الطبية، وترجم ايضاً معظم مؤلفات الطبيب الاغريقي ابقراط بالتعاون مع تلامذته، توفى سنة ٢٦٤ هـ، ينظر: ابن ابى اصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٥٧، فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص ١٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ١٣١.

^٣ فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ص ١٧٢.

^٤ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٧٠.

^٥ الفحص الطبى: هو بداية العمل الطبى الذي يقوم به الطبيب، ويتمثل في فحص الحالة الصحية للمريض فحصاً ظاهرياً، بملاحظة العلامات أو الدلائل السريرية كمظهر المريض وجسمه. ينظر: المختار الشنقيطى، أحكام الجراحة، ص ٢١١.

^٦ الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشافعي (ت: نحو ٥٩٠ هـ)، نهاية الرتبة الطريفة في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دت، ص ٩٤؛ المعاضيدى، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٦٣.

^٧ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨٢.

^٨ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٦١٧.

^٩ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٦١٦.

^{١٠} التهاونى، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ٢، ص ١٤٩٢؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٦١٧.

الجراحي^(٢). وعملية التخدير المرحلة التي يتم بها تهيئة البدن للجراحة اللازمة، وتتسم بالخطورة نظراً لما يسببه التخدير في بعض الأحيان من مضاعفات خطيرة قد تنتهي بوفاة المريض^(٣).

العرب اول من استعمل المخدر (البنج) العام في العمليات الجراحية، فكان التخدير العربي فريداً من نوعه يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها كلما ارادوا تخفيف الامهم^(٤)، واستعمل العرب الافيون كمخدر في العمليات الجراحية، ونسب اليهم ايضاً استعمال الأسفنج المشبعة بالمخدر لتخفيف الالم وتسهيل الجراحة^(٥).

الاستنتاجات

ان البحث قيد الدراسة قد كشف الكثير من النتائج فيها مفاخر حققها العرب في مجال الطب ولا سيما الجراحة، وبعد هذه اللمحة المختصرة عن انجازات العرب في علم الجراحة تبين الاتي:

تطور علم الجراحة عند العرب تطوراً كبيراً وعلى يد اطباء بارعين امثال ابوالقاسم الزهراوي والرازي وعبد الملك بن زهر وغيرهم، كما عدّ العرب اول من استخدم (البنج) العام في العمليات الجراحية، فكان التخدير العربي فريداً من نوعه يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها كلما ارادوا تخفيف الامهم، ونبغ الأطباء العرب في تشريح الشرايين والأوردة الرئوية، وتطور العلوم الطبية اضحى علم التشريح ضرورياً لفهم وإتقان علم الجراحة ، واكد ذلك الطبيب المشهور ابو القاسم الزهراوي بقوله "من لا يبرع في التشريح لا بد أن يقع في خطأ قد يؤدي بحياة المريض" ، فأذا تعلم الطبيب التشريح وأتقنه تمكن من أداء مهمة الجراحة ببسر وسهولة دون أن يعرض حياة المريض للخطر، كما استطاع العرب من أنشاء مدارس تدرس فيها العلوم الطبية بمختلف اقسامها وتخصصاتها ووضعوا الكتب الخاصة بذلك، فضلاً عن اهتمام العرب بترجمة الكتب الطبية للشعوب القديمة كالهنود واليونان ولا سيما كتب جالينوس وابقراط، و خلاصة القول ان لدراسة الطب العربي فوائد كثيرة في مجال علم الصحة وقواعد الغذاء والعقاقير والعلاج ، فضلاً عن الدروس المستنبطة لمعرفة اداب هذه المهنة وشروط ممارستها، والقيم الانسانية العليا التي يجب ان يتحلى بها الطبيب سواء كان جراحاً ام صيدلانياً، واكد البحث ايضاً على براعة العرب في جراحة العيون

^١ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص ٦١٧، ٦٤٧.

^٢ التهلوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص ١٤٩٢؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص ٦١٨.

^٣ المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة، ص ٢٦٧.

^٤ موراني، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦١.

^٥ مرجعاً، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٧٧؛ المر، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨١.



وعمليات الفحص والتشخيص، ويعود الفضل الى الأطباء العرب في اختراع انواع مختلفة من الالات الجراحية المستعملة في مختلف انواع العمليات الجراحية. ولا شك أن عملا كهذا لا يمكن أن يكون كاملا أسأل الله سبحانه السداد والرشاد في القول والعمل، فمنه الهداية وبه التوفيق والحمد لله أولا وآخرا.

أسبل عليها رداء الحكم والكرم	بالله يا قارنا كتبي وسامعها
أو أصلحنه تثب إن كنت ذا فهم	واستر بلطفك ما تلقاه من خطأ
وكم حسام نبا أو عاد ذو تلم	فكم جواد كبرى والسبق عادته
والعذر يقبله ذو الفضل والشيم	وكلنا يا أخي خطأ ذو زلل

مفاهيم وسائل رياضية عربية اسلامية

أ.و. خضير عباس (المنشرداوي)
وكتورااه في تاريخ الرياضيات
أستاذ تاريخ العلم / جامعة زلاخو
Kama981@yahoo.com

خلاصة البحث:

احتلت الرياضيات العربية الإسلامية احتلت مركز الصدارة في السلم الحضاري العالمي وتركت الأثر الواضح في مختلف مجالات المعرفة وخاصة الرياضيات منها، وقد أشاد اغلب مؤرخي العلم ورجاله على أهمية الفكر الرياضي العربي الإسلامي وذلك لإصالة النظريات والقوانين والمفاهيم والمسائل الرياضية في مختلف مجالات تلك العلوم وهي الحساب والجبر والمثلثات والهندسة وأصبحت تلك



النظريات والمسائل الأساس الأول لتقدم الفكر والمعرفة الرياضية ليس عند العرب والمسلمين وانما على مستوى العالم بأكمله ومن تلك الإنجازات الرياضية الأرقام ونظام الترقيم العشري تلك الأرقام وذلك النظام الذي يُستخدم الان في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي هذا البحث وضمن تخصصنا تطرقنا الى ذلك مجموعة من تلك الأفكار والمسائل والنظريات الرياضية التي توصل لها علماء الرياضيات العرب والمسلمين على سبيل المثال وليس الحصر ومنها : الصفر والوضع المكاني للأعداد، الأعداد السالبة، خاصية التوزيع في الضرب، قانون ضرب الإشارات، العنصر المحايد في الضرب، الكسور العشرية وابتكار العرب والمسلمين للفاصلة العشرية، الأعداد التامة والزائدة والناقصة وقواعد ايجادها، الأعداد المتحابية وقاعدة ثابت بن قرة الحراني لإيجادها، نظرية حساب الخطأين، الحل العكسي للمسائل الحسابية. نظرية مجموع عددين مكعبين لا عدداً مكعباً.

ان الدقة والمنهج العلمي السلم الذي اتبعه علماء الرياضيات العرب والمسلمين إضافة الى عقليتهم التواقفة للعلم والمعرفة هي التي قادت عملة الإبداع في الفكر الرياضي وجعل الرياضيات العربية الإسلامية تحنل مكانا مرموقا ضمن سلم العلم والمعرفة.

الكلمات المفتاحية: رياضيات / تراث علمي/ حضارة

Summary:

Arab-Islamic mathematics has occupied the forefront of the global civilization ladder and left a clear impact in various fields of knowledge, especially mathematics, and most historians of science and its men have praised the importance of Arab-Islamic mathematical thought in order to authenticate theories, laws, concepts and mathematical issues in various fields of those sciences, namely arithmetic, algebra and triangles And engineering, and those theories and issues became the first basis for the progress of mathematical thought and knowledge not among Arabs and Muslims, but at the whole world level. Among these mathematical achievements are the numbers and the decimal numbering system those numbers and that system that is used now in the east and west of the earth.

In this research and within our specialization we dealt with a group of those ideas, questions and mathematical theories that Arab and Muslim mathematicians have reached, for example but not limited to, including: zero and the spatial position of numbers, negative numbers, the distribution property of multiplication, the law of sign multiplication, the neutral element in multiplication Decimal fractions, Arabs and Muslims inventing the decimal point, the perfect, plus and minus numbers and the

rules for finding them, the mathematical numbers and the base of Thabit bin Qurra al-Harrani to find them, the theory of calculating the two errors, the inverse solution of arithmetic problems. The theory of the sum of two cubic numbers, not a cubic number.

The accuracy and scientific method of peace followed by Arab and Muslim mathematicians in addition to their mentality of eagerness for knowledge and knowledge is what led the creativity in mathematical thought and made Arab mathematics

Key words: mathematics / scientific heritage / civilization

المقدمة:

لقد احتلت الحضارة العربية الإسلامية مركز الصدارة في السلم الحضاري العالمي وتركت الأثر الواضح في مختلف مجالات المعرفة وخاصة الرياضية منها ، وقد أشاد أغلب مؤرخي العلم ورجاله على أهمية الحضارة العربية الإسلامية عامة وعلى أصالة الفكر الرياضي العربي وأثره على الفكر الرياضي الغربي ، فقد أكد سارتون على نضوج المعرفة العربية وأوضح بان العلماء العرب كانوا يتزعمون لواء الحركة العلمية بكل جوانبها ، فقال بحقهم: (... إذا انزلناهم المنزلة الحقّة من بيئتهم ووازننا بين الجهود العربية وبين العصر الوسيط فإن تفوق الجهد العربي الساحق يصبح حقيقة ماثلة رائعة وعلينا ان نذكر انه من منتصف القرن الثامن حتى أواخر القرن الحادي عشر كانت الشعوب التي تتكلم العربية تتقدم موكب الإنسانية^(١). أما روم لاندو فبين بأن أثر العرب على الغرب لم يقتصر على علم دون آخر وأن معارف الغرب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما قدمه العرب والمسلمين ، فقال: (إن الحضارة الغربية ابتدأت من الفلسفة والرياضيات الى الطب والزراعة مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير الى درجة نعجز معها عن فهم الحضارة الغربية إذا لم تتم لنا معرفة الحضارة العربية)^(٢).

لقد تقدمت الحضارة العربية الإسلامية بكل اتجاهاتها المختلفة ومنها المعرفة الرياضية حيث اثبت العرب والمسلمين أصالة فكرهم الرياضي من خلال أعمالهم التي اتسمت بالدقة والشمولية وهذا ما جعلها ان تترك الأثر الكبير على المعرفة الرياضية وحتى المعاصرة منها ، وقد اعترف كبار علماء الغرب بجدية الفكر الرياضي العربية واهميته ، فقد ذكر روم لاندو بأن هنالك صفتين أساسيتين للرياضيات العربية كانت في مقدمة الأسباب التي أدت بها ان تحتل ذلك الموقع العلمي المتقدم في سلم المعرفة ، حيث قال : (إذا أردنا ان نوجز قلنا إن الصفتين المتميزتين للرياضيات العربية هما شجاعة المشتغلين بها وحرية التفكير ... لقد كانوا تواقين دائماً الى وضع النظريات موضع الاختبار ولم يملوا التجربة في أيما يوم من الأيام)^(٣). ثم انه عدد بعض أعمالهم الرياضية

^١ جورج سارتون، تاريخ العلم والإنسية الجديدة ص ١٦٦.

^٢ روم لاندو ، الإسلام والغرب ص ٢٤٥.

^٣ روم لاندو، الإسلام والعرب ص ٢٥٤.



الرائدة والتي منها : (... اصطناع الأرقام العربية والنظام العشري واختراع الجبر وفق مفهومه الحديث ووضع أسس حساب المثلثات وخاصة الكروية منها...) (١). وذكر فؤاد سزكين ان للعرب والمسلمين المكانة المرموقة في تاريخ المعرفة الرياضية حيث انهم قد أتوا باعمال رائعة ، حيث قال : (إذا أردنا ان نعرف عمل الرياضيين العرب منذ بداية المرحلة الإبداعية مجملاً فيصح ان نقول إنهم أتوا بالبرهان على كثير مما عرضه الإغريق من مسائل تقضايا رياضية دون برهان ، وأنهم صححوا مفاهيم رياضية كثيرة مما وجدوه عند الأسلاف وأنهم طوروا كل ما ورثوا عن الأسلاف، لعبوا دورهم في تاريخ الرياضيات كما فعلوا في جميع نواحي العلوم بشعور قوي إنهم مبدعون ويستطيعون ان يكونوا مبدعين) (٢). وأوضح جورج سارتون بأن: (أعظم الابتكارات العربية في الرياضيات والفلك كانت شيئين، علم الحساب الجديد، وعلم المثلثات الجديد) (٣).

لقد تعددت المعرف الرياضية العربية الإسلامية فقد بحثوا بكل فروعها من حساب وجبر ومثلثات وهندسة إضافة الى دورهم الكبير في تطوير الأرقام واطافة الصفر وإيجاد النظام العشري تلك الأرقام التي تسمى الآن في مشارق الأرض ومغاربها بالأرقام العربية، وكون كافة الشعوب المعاصرة تستخدم الآن أيضا في معاملاتهم الرياضية ذلك النظام الذي اوجده العرب والمسلمين الا وهو النظام العشري.

كذلك في الكثير من أعمالهم ونظرياتهم الرياضية سبقوا الغرب بتلك الاعمال ومنها بحثهم في الكسور العشرية وإيجاد فاضلة الكسر العشري، وهم اول من بحثوا في الكسور الاعتيادية وتصلوا الى ابتكار الخط الفاصل بين البسط والمقام ، ويرجع لهم الفضل في البحث في علم اللوغاريتمات وإيجاد النسب والقوانين الخاصة بذلك العلم، وهم اول من بحث في الأعداد السالبة وطبقوا مختلف العمليات الرياضية عليها ، كذلك يرجع لهم الفضل في التوصل بما يسمى بمثلث باسكال وانهم سبقوا باسكال بعدة قرون وكان الأدق علميا ان يسمى بمثلث الكرجي لكونه اول من توصل لذلك المثلث، وانهم اوجدوا فروعاً رياضية جديدة ومنها الهندسة التحليلية وذلك باستعمال الحل الجبري للمسائل الهندسة والحل الهندسي للمسائل الجبرية، والعرب والمسلمين يرجع لهم الفضل في تأسيس علم المثلثات الكروية وإيجاد جميع نسبة المثلثية، كذلك هم اول من بحث في علم تسطيح الكره، وانهم اول من اثاروا الشكوك على هندسة اقليدس ومهدوا الامر لإيجاد هندسة أخرى وهي الهندسة اللا إقليدية، ولكن للأسف الشديد تسببت تلك الهندسة الى علماء الغرب ومنهم نيكولاي لابوفسكي المتوفى سنة ١٨٥٦م ، وجورج برنهارد ريمان المتوفى سنة ١٨٦٦م، في علماء الرياضيات العرب والمسلمين قد سبقوا أولئك بعدة قرون من الزمن (٤).

(١) المصدر السابق ص ٢٤٧.

(٢) فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية ص ٧١.

(٣) جورج سارتون ، الثقافة الغربية في رعاية الشرق ص ٧٩.

(٤) انظر تفصيل ذلك في : المنشدادي ، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٦٢١-٦٣٤.

ونحن بهذا البحث الموجز سنذكر نماذج من الاعمال الرياضية التي ابدع بها علماء الرياضيات العرب والمسلمين ، ومن تلك الأعمال:

□ الصَّفَرُ والوضع المكاني للأعداد:

كان للمسلمين الدور المهم والاساس في إيجاد نظام العشري حيث اخذوا فكرة الترقيم بالموز التسعة عن الهنود وقاموا بتهذيبها وتوحيدها وفق صيغتين رقميتين وذلك بعد إضافة الصفر لها وبذلك دخلت تلك الأرقام المفهوم العلمي وأصبحت الأساس لنظام الترقيم العشري التي يُستخدم الان في مشارق الأرض ومغاربها .

□ الاصل العربية الإسلامية لاستخدام الصفر ودلالاته العلمية:

اتفقت جميع المصادر على كون العرب هم الذين توصلوا الى فكرة الصفر واستخدامه العلمي بعد اضافته الى الرموز التسعة ويكونوا بذلك قد توصلوا الى فكرة النظام العشري.

فمن حيث المفهوم اللغوي للصفر ، الصَّفَرُ الشيءُ الخالي، يقال: صَوَّرَ يَصْفِرُ صَفْرًا وصفورا فهو صيفر ، وصَفَرَ الشيءَ : خلا ، ويقولون : ما لَهُ صَفَرٌ إناؤُهُ: هلكتُ ماشيئُهُ^(١) وذكر المسعودي ، بأن العرب سموا شهر صَفَرُ بهذه التسمية لكون المدن كانت تخلوا من أهلها لخروجهم الى الحرب ، أو لكونهم بغزواتهم للقبائل كانوا يتركون من لقوا صفراً من المتاع حتى أن كلمة الجوع كان من مرادفاتها كلمة الصفر^(٢) ومن قول العرب : (نعوذُ بالله من صَفَرِ الإناءِ وقرعِ الفناءِ)^(٣) وقد وردت لفظة الصفر في الكثير من الأشعار سواء في فترة قبل الإسلام او بعده ومنها، قول حاتم الطائي^(٤):

ترى أن ما أهلكتُ لم يكُ ضررني
كذلك قول احد الشعراء^(٥):
وأنَّ يدي مما بخلتُ بهِ صِفْرُ

إذا صَفَرْتُ عيابُ الودِ منكم

ولم يكُ بيننا فيها ذمام

من ذلك يظهر لنا ان لفظة صعر عربية الأصل حيث استخدمن في اللغة والشعر .

وقد ورد اصطلاح الصفر أيضا على لسان الرسول الكريم حيث قال: ((إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يُسْتَحْي من عبده إذا رفع يديه الى السماء أن يردَّهما صفرًا))^(٦).

ويظهر من قول الرسول ان اصطلاح الصفر يعني الخلو او الفراغ وهو المعنى نفسه الذي يفسر به الصفر في المفهوم الرياضي.

اما من حيث الصفر اصطلاحا فان معنى الصفر وفق المفهوم الرياضي عند العرب وهو بمقام العلامة التي توضع للدلالة على المنزلة الخالية من منازل الأعداد^(٧).

^(١) ابن فارس ، مجمل اللغة ، مادة : صفر .

^(٢) تاج العروس، مادة : صفر.

^(٣) المرزوقي، الأزمنة ، مجلة المورد المجلد ١٣ العدد ٣ ص ٢٧٧ .

^(٤) ديوان حاتم الطائي ص ٥٠ .

^(٥) المرزوقي، الأزمنة ص ٢٧٧ .

^(٦) ابن ماجه ، السنن ٣/٣٣١ .



وقد اتخذ رسم الصفر عند العرب شكلين، الأول على شكل دائرة صغيرة والثاني على هيئة نقطة^(٢).

ومن النصوص القديمة التي توضح رسم الصفر على شكل دائرة ما ذكره المؤرخ اليعقوبي عند كلامه على منازل الأعداد، فقد ذكر: (...وإذا خلا بيت (خانة) منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دائرة صغيرة)^(٣).

اما الشكل الثاني للصفر فكان على صورة نقطة به الصورة (.). وقد كان للنقطة أهمية كبيرة في الأبجدية العربية حيث كانت بمنزلة المميز والضابط بين الحروف لأن تغييرها من حرف لآخر مثل حرفي الراء والزاء. كذلك نلاحظها في الأرقام وعملها في تغير قيمها تبعاً لعدد النقاط التي توضع عن يمينها^(٤).

□ الوضع المكاني للأعداد:

ان المقصود بالوضع المكاني للأعداد تغير قيمة العدد تبعاً للمرتبة التي يقع فيها كما هو الحال في النظام العشري الذي يتخذ العدد (١٠) أساساً فيه حيث ان ذلك النظام يقوم على أساس المنزلة او المرتبة اذا ان لكل رقم فيه قيمتين، قيمة ذاتية في نفسه وقيمة منزلية في مرتبته بين الأرقام الأخرى.

ان الوضع المكاني للأعداد والنظام العشري يعود الفضل في ايجاده الى العرب والمسلمين لكون الحضارات السابقة ومنها الهندية لم تتوصل الى ذلك النظام وذلك لعدم معرفتهم بالصفر^(٥).

لقد استخدم الخوارزمي في مسائله الحسابية والجبر الأرقام التسعة مع الصفر على أساس تغيير الوضع المكاني وفق المفهوم العلمي الصحيح فقد ذكر: (عند اجراء عملية الطرح وإذا لم يكن فيها باق ، نضع صفراً ولا نترك المكان خاليا حتى لا يحدث لبس بين خانة الأحاد وخانة العشرات والصفر يجب ان يكون عن يمين الرقم لأن الصفر عن يسار الاثنين مثلاً لا يغير من قيمتها ولا يجعل منها عشرين)^(٦).

مع ملاحظة ان أسلوب انتقال قيمة الأعداد في النظام العشري تنطبق مع طريقة الكتابة العربية من اليمين الى اليسار وهذا ما يضيف عليها الطابع العربي الأصيل.

وقد أشار اليعقوبي الى نظام مرتبة الأعداد وكيفية تغير قيم الأعداد بقوله: (... الأول منها هو واحد وهو عشرة وهو مائة وهو الف وهو مائة الف وهو الف الف وهو عشرة آلاف ألف وهو مائة الف الف وعلى هذا الحساب فصاعداً. والثاني وهو عشرون....)^(٧).

^(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٧٠/١ البيروني، التفهيم لآوائل صناعة التنجيم ورقة ١٦.

^(٢) ابن المغربي، شرح نزهة النظر ورقة ٥.

^(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٧٠/١.

^(٤) شرح مرشدة الطالب الى أسنى المطالب ورقة ٦.

^(٥) مجموعة من الباحثين ، معجم الرياضيات ص ٧٥؛ العدد لغة العلم ص ٣٢.

^(٦) المصدر نفسه.

^(٧) تاريخ اليعقوبي ٦٥/١؛ كذلك انظر: البغدادي، التكملة في الحساب ص ٣٣؛ ابن الياصمين، تلقيح الأفكار في العمل برسم

الغيار ورقة ٨

ان تلك النصوص وعشرات من القوانين الرياضية والمسائل التطبيقية عليها وفق النظام العشري تثبت بالدليل القاطع ان العرب والمسلمين هم اول من توصل الى ذلك النظام أي النظام العشري وعندهم انتقل الى اوربا وبقية انحاء العالم حيث الان الكل يستخدمون النظام العشري الذي توصل له المسلمون وذلك بإضافة الصفر الى الأرقام التسعة والتعرف على حالة انتقال القيمة العددية للعدد وفق ذلك النظام.

□ الأعداد السالبة:

ان التوصل الى مفهوم الاعداد السالبة يعد من الإضافات المهمة التي اضافها العرب والمسلمون الى رصيد المعرفة الرياضية. وكما هو معلوم ان الرياضيين في الحضارات القديمة السابقة للإسلام لم يناولوا في ابحاثهم الرياضية الاعداد السالبة ، وإنما يرجع الفضل في البحث في تلك الاعداد الى علماء الرياضيات المسلمين وفي مقدمتهم الخوارزمي الذي أشار لها إشارة صريحة في كتابه الموسوم (الجبر والمقابلة) كذلك قام باجراء مختلف العمليات الحسابية والجبرية عليها ومما ذكره من الأمثلة عليها: (عشرة إلا واحداً في عشرة إلا واحداً)^(١).

اما طريقة حله كما ذكر : (فالعشرة في العشرة مائة ، والواحد الناقص في العشرة عشرة ناقصة والواحد الناقص أيضاً في العشرة عشرة ناقصة فذلك ثمانون ، والواحد الناقص في الواحد الناقص واحد زائداً فذلك احد وثمانون)^(٢). ومن ذلك وبحسب التعبير الرياضي المعاصر^(٣):

$$(١-١٠) (١-١٠) = (١-١٠) = ١٠٠-١٠٠-١٠٠=٨١$$

ان ذلك المثال وغيره من الأمثلة الأخرى الواردة في كتاب (الجبر والمقابلة) توضح معرفة الخوارزمي للاعداد السالبة وكيفية اجراء مختلف العمليات الرياضية عليها . كذلك تضمن كتاب (المنازل السبع) لابي الوفاء البوزجاني إشارات كثيرة وواضحة الى الاعداد السالبة وطرق اجراء العمليات عليها ، ومنها المائل الأتي الذي ذكره: قوله: (لو اردنا ان نضرب ثلاثة في خمسة) فطريقة الحل :

(نقصنا فضل العشرة على احد العددين من الآخر فيحصل عندنا دين اثنين ، فاذا اخذنا لكل واحد عشرة ، ثم ضربنا فضل العشرة على الخمسة في فضلها على الثلاثة كان خمسة وثلاثين فإذا قضينا منها الدين وهو عشرون صار الباقي خمسة عشر وهو ما يكون من ضرب خمسة في ثلاثة)^(٤).

ومن ذلك وبحسب التعبير الرياضي المعاصر لما ذكره البوزجاني: $٥ \times ٣ = ١٠ - ٣ = ٧$

$٧ - ٥ = ٢$ (دين اثنين بحسب تعبير البوزجاني)

^(١) الخوارزمي، والمقابلة ص ٣٧.

^(٢) المصدر السابق

^(٣) المنشدأوي، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٣١١.

^(٤) البوزجاني، المنازل السبع ص ١٨٩.



- $2 \times 10 = 20$ (دين عشرين بحسب تعبير البوزجاني)

$$10 = 5 \times 2$$

$$10 = 3 \times 7$$

$$35 = 7 \times 5$$

وهو الناتج الصحيح $15 = 20 - 35$

من ذلك المثال نلاحظ حالتين الأولى الإشارة الى الاعداد السالبة وكيفية التعامل معها فقد أشار لها إشارة صحيحة وادلق عليه اصطلاح: (دين) مثلا: (-٥) بحسب تعبيره: (دين ٥).

ومما هو جدير بالملاحظة اننا الان في بعض الحالات عند تبسيط خطوات الحل نطلق التسمية العربية نفسها على تلك الاعداد حيث اننا نعلم بان المقصود ب: (دين ٥٠) هو: (-٥٠).

ان البحث في الاعداد السالبة للأسف الشديد يُنسب الان الى علماء الغرب ومنهم العالم الإيطالي ليوناردو البيزي حيث ذكر بانه اهتدى اليها أي الاعداد السالبة عند معالجته لمسألة رياضية مالية فقد ذكر بانه ليس هناك طريق لحلها إلا باستخدام عدد سالب فقد قال: (لقد برهنت على ان لا حل لهذه المسألة إلا اذا قبلنا بان الرجل الأول مدين)^(١).

ان نسبة ذلك الابتكار العربي الأصيل الى علماء الغرب يعد من الأمور الخاطئة في تاريخ الرياضيات حيث كما اوضحنا بان العرب سبقوهم بمئات من السنين ، فالعالم الخوارزمي كان قد توفي بعد سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م، والبوزجاني توفي حوالي سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م، في حين ان العالم الإيطالي ليوناردو البيزي كان قد توفي سنة ١٢٤٠م . مع ملاحظة ان الأخير كان من احد التلاميذ الذين درسوا الرياضيات العربية الإسلامية في مدارس الاندلس وعنها اخذ معارفه الرياضية وبطبيعة الحال كانت المباحث العربية الإسلامية في الاعداد السالبة من ضمن تلك المعارف الرياضية التي تعلمها في المدارس العربية ونقلها فيما بعد الى الغرب^(٢).

□ خاصية التوزيع في الضرب:

لقد أشار علماء الرياضيات الى خاصية التوزيع في الضرب بوضوح تامة ووفق أسئلة تطبيقية على ذلك ومنهم الخوارزمي بقوله : (إنه لا بد لكل عدد يضرب في عدد ان يتضاعف احد العددين بقدر ما في الآخر من الأحاد، فإذا كانت عقود ومعها أحاد او مستثنى منها أحاد فلا بد من ضربها اربع مرات، العقود في العقود، والعقود في الأحاد، والأحاد في العقود، والأحاد في الأحاد ، فإذا كانت الأحاد التي مع العقود زائدة جميعا فاضرب الرابع الزائد ، واذا كانت ناقصة جميعا فاضرب الرابع الزائد أيضا ، وان كان احدهما زائدا والآخر ناقصا فاضرب.....)^(٣).

^(١) يرغامني، الرياضيات ص ٨٩.

^(٢) المنشدوي، تاريخ الرياضيات ص ٣١٣.

^(٣) الخوارزمي، الجبر والمقابلة ص ٢٧.

ان قول الخوارزمي ذلك يحتل أهمية كبيرة في تاريخ الرياضيات وذلك بانه يتضمن إشارة صريحة وواضحة الى قاعدة التوزيع في الضرب والمستعملة الان ضمن مناهج الرياضيات الحديثة، وقد أوضح الخوارزمي ذلك بمجموعة من الأمثلة منها: (فإذا قيل لك: عشرة إلا شيئاً ومعنى الشيء الجذر، في العشرة : فاضرب عشرة في عشرة يكن مائة، والاشياء في عشرة يكون عشرة اجذار ناقصة فيعدل مائة إلا عشرة أشياء)^(١). وقوله: (عشرة إلا شيئاً في عشرة إلا شيئاً، قلت: عشرة في عشرة بمائة ، و إلا شيئاً في عشرة عشرة ناقصة وإلا شيئاً في عشرة عشرة أشياء ناقصة ، وإلا شيئاً في الأشياء مال زائد فيكون ذلك مائة ومالا إلا عشرين شيئاً)^(٢).

من القول الأول نلاحظ:

$$١٠(١٠س) = ١٠٠ - ١٠س$$

ومن القول الثاني:

$$١٠(١٠س) = ١٠٠ - ١٠س + ١٠س(تربيع) = ١٠٠ - ٢٠س + ١٠س(تربيع)$$

يتضح من الأمثلة السابقة التي ذكرها الخوارزمي انه وضح القاعدة التوزيعية في الضرب ، إضافة الى قوانين ضرب العلامات او الإشارات التي يمكن ان نوضحها وفق الآتي^(٣):

$$(+س) \times (+ص) = (+صس)$$

$$(-س) \times (-ص) = (+صس)$$

$$(+س) \times (-ص) = (-صس)$$

$$(-س) \times (+ص) = (-صس)$$

□ قانون ضرب الإشارات:

ان قانون ضرب الإشارات يعد من القوانين المهمة سواء في الحساب او الجبر والمقابلة وقد تطرق الى ذكره الكثير من العلماء المسلمين ومنهم الخوارزمي وابن البناء المراكشي المتوفى سنة ٧٢١هـ فقد أشار له ابن البناء المراكشي إشارة صريحة بقوله: (ضرب الزائدين او الناقصين احدهما في الآخر زائد، وضرب الزائد في الناقص ناقص، والناقص في الزائد ناقص)^(٤).

كذلك عبر ابن الياسمين عن ذلك شعرا بقوله^(٥):

وضرب كل زائد وناقص في نوعه زيادة للفاحص

وضربه في ضده نقصان فافهم هداك الملك الديان

ومن ذلك وفق التعبير الرياضي المعاصر:

$$(+)(+) = (+)$$

^(١) المصدر السابق ص ٢٨.

^(٢) المصدر السابق.

^(٣) المنشد اوي، تاريخ علم الرياضيات ص ٢٥٠.

^(٤) ابن البناء المراكشي، تلخيص اعمال الحساب ص ٧٦.

^(٥) ابن الياسمين، الارجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة ص ٥٦.



$$(+)=(-)\times(-)$$

$$(-)=(-)\times(+)$$

$$(-)=(-)\times(-)$$

□ العنصر المحايد في الضرب

خاصية العنصر المحايد في الضرب هي من الخصائص الرياضية المهمة التي نستعملها الان في الرياضيات المعاصرة ، حيث يعتبر الواحد هو العنصر المحايد في الضرب فقد توصل لها علماء الرياضيات المسلمين ومنهم ابن البناء المراشي وذلك بقوله: (إذا ضربت عددا في واحد او ضرب واحد فيه فذلك العدد على حاله لا يتضاعف)^(١).
ومن ذلك^(٢):

$$3=1\times 3$$

أو:

$$س=1\times س$$

□ الكسور العشرية وابتكار العرب والمسلمين للفاصلة العشرية

سبق علماء الرياضيات العرب والمسلمين غيرهم في التوصل الى ابتكار الكسور العشرية والعمليات الحسابية عليها إضافة ولكن للأسف الشديد نُسب ذلك الابتكار الرياضي الى العالم سيمون ستيفن^(٣) المتوفى سنة ١٦٢٠م في حين ان علماء الرياضيات المسلمين سبقوا ذلك العالم بعدة قرون .

فقد بحث العالم الرياضي أبو الحسن الإقليديسي المتوفى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م في كتابه (الفصول في الحساب الهندي) عن الكسور العشرية والعميات الحسابية عليها والاشارة الى الفاصلة التي تفصل العدد الصحيح عن الكسر واعتبر من الرواد في ذلك المجال الرياضي. فقد ذكر عن كيفية زيادة على عدد عُشره خمس مرات ، فقال: (فإننا نفرض ذلك العدد على حسب ما جرت به العادة، ثم نعيده تحتح بحطيطة منزلة، فنعلم بذلك عُشره زميده عليه ، فنكون قد زدنا عليه عُشره مرة واحدة)^(٤): فاعدناه تحتح بحطيطة منزلة وعلمنا على منزلة الأحاد فصار ذلك...

كذلك العالم غياث الدين الكاشي كان أيضا من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الكسور العشرية واجراء مختلف العمليات الحسابية عليها واطلق عليها تسمية (الكسور الإعشاري) فقد خصص الباب السادس من المقالة الثالثة من كتابه (مفتاح الحساب) للبحث في الكسور العشرية حنة انه بين كيفية كتابة الكسور العشرية بقوله : (ينبغي ان نكتب الاعشار في يمين الأحاد وثاني الاعشار في يمين الاعشاؤر وثالث الاعشار في يمين ثانيها وهكذا الى حيث بلغ فتكون الصحاح والكسور في سطر واحد)^(٥).

^(١) ابن البناء المراكشي، تلخيص اعمال الحساب ص ٥١؛ كذلك انظر : البيهشي، الرسالة العلانية ورقة ٢

^(٢) المنشداوي، تاريخ علم الرياضيات ص ٥٢٥.

^(٣) عن سيمون ستيفن، أنظر: مطلب، تاريخ علوم الطبيعة ص ١٧؛ مقدمة في تاريخ الرياضيات ص ٣٥٦.

^(٤) البوزجاني، الفصول في الحساب الهندي ص ١٥٠.

^(٥) الكاشي، مفتاح الحساب ص ١٢١.

وكانت طريقته في التعبير عن الأعداد الحاوية على الكسور العشرية بالآتي^(١):
 ٥٠١ ٣٥٨ وذلك بكتابة العدد الصحيح بلون غامق والعدد الكسري باللون الفاتح.
 وذلك للدلالة على الكسر العشري: ٣٥٨/٥٠١
 أو: بالشكل الآتي:
 ٣٥٨ صحاحا، ٥٠١ ثال الاعشار
 ان ذلك يوضح الاصاله العربية الإسلامية للتعامل مع الكسور العشرية حيث عندما
 نقارن كيفية كتابة الكسور العشرية وفق المنظور العربي الإسلامي وكيفية كتابتها وفق
 المنظور الغربي إضافة الى ملاحظة تاريخ توصل العلماء العرب والمسلمين لها مقارنة
 بالتاريخ الذي توصل به علماء الغرب لها ستوضح امامنا حقيقة اصالة الفكر الرياضي
 العربي والإسلامي ، وذلك^(٢):

اسم العالم	تاريخ وفاته	طريقة التعبير عن الكسر العشري
أبو الحسن الإقليدسي	بعد سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م	٣٥٨٥٠١
غياث الدين الكاشي	ح ٨٢٨هـ/١٤٢٤م	٣٥٨ ٣٥٨٥٠١ صحاحا، ٥٠١ ثال الاعشار
سيمون ستيفن	١٥٨٥م	١٧(٢)،(١)،(٠) ١٧ وذلك عن الكسر ١٧/٢٨

□ الأعداد التامة والزائدة والناقصة:

قسم علماء الرياضيات العدد على اقسام مختلفة وقد اوجد العلماء العرب والمسلمين
 القوانين والعلاقات الخاصة بتلك الأعداد وفق أسس رياضية قادت الى نتائج صحيحة
 ومن أصناف تلك الأعداد:

□ العدد التام:

هو كل عدد إذا جمعت أجزاؤه كان مجموعها مساوياً لجملته من غير زيادة او نقصان،
 مثل: ستة، وثمانية وعشرين^(٣).
 أي أننا عند جمع كل عوامل عدد من الأعداد التامة فحاصل الجمع يساوي العدد نفسه^(٤).
 مثلاً: أجزاء العدد ٦=١،٢،٣.
 ومجموعها: ٦=١+٢+٣ وهو عدد تام
 وكذلك:

أجزاء العدد ٢٨=١+٢+٤+٧+١٤ وهو عدد تام
 وتكون الأعداد التامة من الأعداد القليلة الوجود والتي تتصف بالترتيب والنظام حيث يجد
 منها عدد واحد في كل من الأحاد والعشرات والمئات والألوف وتبدأ دائماً بالرقم (٦) أو
 (٨) إضافة الى كونها دائماً أعداداً زوجية وهي^١: ٦، ٢٨، ٤٩٦، ٨١٢٨.

^(١) المصدر السابق.

^(٢) البوزجاني، الفصول في الحساب الهندي ص ٥٢٥، المنشاوي، تاريخ علم الرياضيات ص ٢٨٦؛ برغاميني، الرياضيات
 ص ٢٤.

^(٣) رسائل اخوان الصفا ١/٦٥.

^(٤) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٥٩.



ومن خواص العدد التام أنه: (إذا ضرب في ثمانية وزيد عليه واحد كان مجذوراً)^(٢).

$$\text{عدد تام } 1+8 \times = \text{ عدد مجذور}$$

مثال ذلك:

$$49 = 1 + 8 \times 6$$

$$49 \text{ تحت الجذر } = 7$$

$$225 = 1 + 8 \times 28$$

$$225 \text{ تحت الجذر } = 15$$

$$3969 = 1 + 8 \times 496$$

$$3969 \text{ تحت الجذر } = 63$$

$$65025 = 1 + 8 \times 8128$$

$$65025 \text{ تحت الجذر } = 255$$

□ العدد الزائد:

هو العدد الذي تكون مجموع أجزائه أكثر منه، مثل الإثني عشر، والعشرين . وذلك اننا اذا جمعنا قواسم كل عدد من العددين السابقين فسيكون مجموعهما أكثر منها^(٣)، حيث إن:

$$\text{العدد } (12) \text{ أجزاؤه } = 1, 2, 3, 4, 6$$

$$\text{ومجموعها } = 1+2+3+4+6 = 16$$

$$\text{اذن العدد } 12 \text{ عدد زائد}$$

كذلك:

$$\text{العدد } 20 \text{ أجزاؤه } = 1, 2, 4, 5, 10$$

$$\text{ومجموعها } = 1+2+4+5+10 = 22$$

$$\text{اذن العدد } 20 \text{ عدد زائد}$$

□ العدد الناقص:

هو كل عدد إذا جمعت أجزاؤه كانت اقل منه^(٤)، مثل: أربعة ، وعشرة.

$$\text{فالعدد عشرة ، أجزاؤه } = 1, 2, 5$$

$$\text{ومجموعها: } 1+2+5 = 7$$

$$\text{اذن العدد } 10 \text{ هو عدد ناقص}$$

$$\text{وكذلك العدد أربعة ، أجزاؤه } = 1, 2 \text{ ومجموعها } 1+2 = 3$$

$$\text{اذن العدد } 4 \text{ هو عدد ناقص}^{(٥)}$$

□ قواعد إيجاد الاعداد التامة والناقصة والزائدة:

^(١) بحوث رياضية مقارنة للفترة العربية الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٣ رص ٢٠٦.

^(٢) ابن البناء، الشفاء ، الفن الثاني في الحساب ص٣٢.

^(٣) أخوان الصفا، رسائل أخوان الصفا ١/٦٥، البغدادي، التكملة في الحساب ١/٢٢٧

^(٤) المدخل الحفظي الى صناعة الأرقام في ص ٢٣

^(٥) المنشداوي، تاريخ علم الرياضيات ص ٣٠٢.

ساهم العلماء العرب والمسلمين بوضع مجموعة من القوانين الخاصة بتلك الاعداد وطرق استخراجها وفق أسس علمية صحيحة ، ومن أولئك العلماء ابن البناء المراكشي الذي خصص لتلك الاعداد رسالة من رسائله وهي (رسالة في الاعداد التامة والزائدة والناقصة) ومن تلك الطرق، وبحسب قوله: (ان ترتب اعداد يكون الواحد أولها والذي يليه اثنين ثم تتبع ذلك كل عدد هو زوج زوج على توالي ازواج الأزواج هكذا : ١،٢،٤،٨،١٦،٣٢،٠٠٠ فإذا جمع الواحد الى الاثنين كان المجتمع منهما ثلاثة وهو عدد اول ،فإذا ضرب في اخر المجموع وهو الاثنان كان الخارج ستة وهو عدد تام،فإذا جمع الواحد الى الاثنين الى الأربعة كان المجتمع سبعة وهو اول ،فإذا ضرب في خرج المجموع وهو الأربعة كان الخارج ثمانية وعشرين وهو عدد تام ،وإذا جمع الواحد الى الاثنين الى الأربعة الى الثمانية كان المجتمع خمسة عشر فإذا ضرب في اخر المجموع وهو ثمانية كان الخارج مئة وعشرون وهو عدد غير تام)^(١).

ولتوضيح ذلك:

نأخذ الاعداد : (٣٢،١٦،٨،٤،٢،١) ونستخرج الاعداد التامة بحسب قاعدة ابن البناء المراكشي:

$$٣ = ٢ + ١ \text{ وهو عدد اولي}$$

$$\text{اذن } ٦ = ٢ \times ٣ = ٢ \times (٢ + ١) \text{ وهو عدد تام}$$

$$٧ = ٤ + ٢ + ١ \text{ وهو عدد اولي}$$

$$\text{اذن } ٢٨ = ٤ \times (٤ + ٢ + ١) \text{ وهو عدد تام}$$

$$١٥ = ٨ + ٤ + ٢ + ١ \text{ وهو عدد غير اولي}$$

$$\text{اذن } ١٢٠ = ٨ \times ١٥ = ٨ \times (٨ + ٤ + ٢ + ١) \text{ وهو عدد غير تام}$$

ووفق التعبير الرياضي المعاصر يكون ابن البناء المراكشي قد توصل الى صياغة فكرة يعبر عنها في الرياضيات المعاصرة بالشكل الاتي^٢:

$$\text{إذا كان } ٢ = ١ - (٢ \text{ أس } ٢) \text{ عدد اولي سهم } ٣ = ١ - (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ٦ \text{ عدد تام}$$

$$\text{إذا كان } ٣ = ١ - (٣ \text{ أس } ٢) - ١ = ٧ \text{ عدد اولي سهم } (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ٣ \text{ عدد تام}$$

$$\text{إذا كان } ٤ = ١ - (٤ \text{ أس } ٢) - ١ = ١٥ \text{ عدد غير اولي سهم } (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ٣ \text{ عدد تام}$$

$$\text{إذا كان } ٥ = ١ - (٥ \text{ أس } ٢) - ١ = ٣١ \text{ عدد اولي سهم } (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ٣ \text{ عدد تام}$$

$$\text{لذا إذا كان } (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ١ \text{ عدداً اولياً، فإن } (٢ \text{ أس } ٢) - ١ = ١ \text{ عدد تام.}$$

إيجاد الأعداد الزائدة:

^١ ابن البناء المراكشي، رسالة في الاعداد التامة والزائدة والناقصة والتامة ، ضمن حوليات الجامعة التونسية ص ١٩٥ .
^٢ (المتشداوي، تاريخ علم الرياضيات ص ٣٠٤: العلوم الرياضية في الحضارة العربية الإسلامية ١٢١/١ .



وضع علماء الرياضات العرب والمسلمين مجموعة من القواعد الرياضية لإيجاد الأعداد الزائدة ومن تلك الطرق ووما ذكرها عالم الرياضيات ابن البناء المراكشي : (أن تضع اعداد زوج الزوج الواحد أولها هكذا : ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ... فإذا جمع من الواحد الى ما اردت من اعداد زوج الزوج على التوالي ، وإذا ضربت اخرها في عدد اول اقل من المجموع المفروض في المسألة فإن الخارج عدد زائد وقدر زيادته على زيادة اجزائه على مجموع قدر ما زادت جملمته على المضروب فيه ، وبيانه انه اذا جمع من الواحد الى الأربعة كان المجموع سبعة فإذا ضربت الأربعة التي اخر مجموع في المسألة في ثلاثة يخرج اثنا عشر وهو زائد....^(١) .

ولتوضيح ذلك: نضع اعداد زوج الزوج هكذا (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢)

فجمع من الواحد الى الثمانية : ١+٢+٤+٨=١٥

ثم نضرب الثمانية في عدد اولي اقل من مجموع الذي هو (١٥)

فنحصل على الاعداد الزائدة الآتية: ٨×٣=٢٤ عدد زائد

٨×٥=٤٠ عدد زائد

٨×٧=٥٦ عدد زائد

كذلك: إذا جمعنا من الواحد الى ستة عشر : (١+٢+٤+٨+١٦=٣١)

ثم نضرب الستة عشر في عدد اولي اقل من المجموع الذي هو ٣١ فنحصل على الاعداد

الزائدة الآتية: ١٦×٣=٤٨ عدد زائد

١٦×٥=٨٠ عدد زائد

١٦×١١=١٧٦ عدد زائد

١٦×١٣=٢٠٨ عدد زائد

إيجاد الأعداد الناقصة:

تكون قاعدة إيجاد الأعداد الناقصة وفق الآتي : ؛أن نضع اعداد زوج الزوج المبتدأة من

الواحد هكذا : (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ...) ثم نبدأ بالجمع من واحد الى ما لا أردت

وتضرب آخر المجموع في عدد أول اكثر من المجموع فما خرج فهو ناقص ، وبيانه: إذا

جمع من الواحد الى الأربعة كان المجموع سبعة فإذا ضرب الأربعة في عدد أول أكثر

من السبعة مثل أحد عشر يكون الخارج أربعة وأربعين وهو عدد ناقص ، وإذا ضربت

في ثلاثة عشر كان الخارج اثنين وخمسين وهو عدد ناقص...^(٢) .

لتوضيح تلك القاعدة الرياضية^(٣):

نضع اعداد زوج الزوج هكذا: (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ...)

ثم : ١+٢+٤=٧ بجمع أعداد زوج الزوج المبتدأ من الواحد

٤×١١=٤٤ وهو عدد ناقص وذلك بالضرب في عدد أول أكثر من السبعة

٤×١٣=٥٢ عدد ناقص

^(١) ابن البناء المراكشي، رسالة الاعداد التامة والزائدة والناقصة ص ١٩٩ .

^(٢) المصدر السابق ص ١٩٩ .

^(٣) المنشدواي، تاريخ الرياضيات عند العرب ص ٣٠٦ .

$$٤ \times ١٧ = ٦٨ \text{ عدد ناقص}$$

$$٤ \times ١٧ = ٦٨ \text{ عدد ناقص}$$

$$١٥ = ٨ + ٤ + ٢ + ١ \text{ كذلك}$$

$$٨ \times ١٧ = ١٣٦ \text{ عدد ناقص وذلك بالضرب في عدد أول أكثر من الخمسة عشر}$$

$$٩ \times ١٩ = ١٧١ \text{ عدد ناقص}$$

الأعداد المتحابية وقاعدة ثابت بن قرة الحراني لإيجادها:

احتلت الأعداد المتحابية أهمية كبيرة لدى علماء الرياضيات العرب والمسلمين لكونها تشكل جانبا مهما من جوانب العلوم الرياضية.

وقد ذكر العلماء المسلمين تعريفا لاصطلاح الأعداد المتحابية على أنها : (عددان إذا جمع كل جزء لكل واحد منهما على حدة كانت جملة ذلك مثل العدد الآخر الذي هو قرين العدد الذي جمعت أجزاؤه^(١)).

وبتعبير آخر : أنهما عبارة عن عددين يتركب كل واحد من أجزاء صاحبه ، كما يتركب صاحبه من أجزائه^(٢).

ويقال للعددين متحابان إذا كان مجموع أجزاء احدهما يساوي الثاني، ومجموع أجزاء الثاني يساوي الأول ، مثل العددين^(٣):

$$٢٢٠ ، ٢٨٤ \text{ يكونان متحابين ، لأن: مجموع أجزاء (قواسم) العدد ٢٢٠ هي:}$$

$$٢ + ٤ + ٥ + ١٠ + ١١ + ٢٠ + ٢٢ + ٤٤ + ٥٥ + ١١٠ = ٢٨٤$$

$$\text{مجموع أجزاء العدد ٢٨٤ هي: } ١٤٢ + ٧١ + ٤ + ٢ + ١ = ٢٢٠$$

لذلك يقال للعددين : ٢٢٠ ، ٢٨٤ متحابان

وقد وضع العلماء العرب والمسلمين قواعد وقوانين لإيجاد الأعداد المتحابية ومنهم العالم ثابت بن قرة الحراني الذي كان السابق في ذلك المجال الرياضي حيث لم يسبقه احد وانه أي ثابت بن قرة الحراني قال : (... وأما الأعداد المتحابية فلم أجد واحداً منهما^(٤) ذكرها ولا صرف من عنايته إليه شيئاً، فلما خطر ببالي أولها واستخرجت لها برهاناً ، ... فإنما مثبت ذلك من بعد أن أقدم مقدمات يحتاج إليها ...)^(٥).

ثم ان ابن ثابت الحراني توسع في شرح تلك القواعد الرياضية المبكرة لإيجاد تلك الأعداد ويمكن ان نعبر عن تلك القوانين التي ذكرها ان نعبر عنها وفق التعبير الرياضي المعاصر:^(٦)

$$أ = ٣ \times (٢ أس ن - ١)$$

^(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٣٩٥؛ ثابت بن قرة ، الأعداد المتحابية ص ٢٦.

^(٢) ابن سينا، الشفاء ، الفن الثاني الحساب ص ٢٨؛ كذلك أنظر : البوزجاني، المدخل الحفظي لصناعة الارثماتيقي ص ٢٤.

^(٣) المنشداوي، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٣٠٧.

^(٤) قصد ابن ثابت الحراني بقوله ذلك نيقوماخس وإقليدس وهما من اهم علماء الرياضيات في الحضارة اليونانية.

^(٥) ثابن بن قرة ، الأعداد المتحابية ص ٢٣.

^(٦) المنشداوي ، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٣٠٨-٣٠٩؛ شخت ، تراث الإسلام ١٧٦/٣.



ب=٣×(٢أس ن-١) - ١
ج=٩×(٢أس ن-١) - ١
وكانت : أ، ب، ج اعداداً أولية ، ن عدد صحيح موجب ، فإن:
س=(٢أس ن) × ب = عددان متحابان
ع=(٢أس ن) × ج
مثال ذلك: ن=٢
فإن: أ=٣×(٢أس ن)-١=٣×٢-١=٥
ب=٣×(٢أس ن)-١=٣×٤-١=١١
ج=٩×(٢أس ن)-١=٩×٨-١=٧١
وان الأعداد (١١،٥،٣) هي أعداد أولية ، حينئذ ينتج ان العددين :
س=(٢أس ن)×١١×٥=٥×١١×٤=٢٢٠
ص=(٢أس ن)×٧١×٤=٤×٧١×٢=٢٨٤
وهما عددان متحابان (٢٢٠ ، ٢٨٤) وذلك: لأن قواسم كل منهما يساوي قواسم العدد الثاني.

نالت قاعدة ثابت بن قره الحراني اهتمام مؤرخي العلم ورجاله ومنهم العالم كاجوري الذي قال : (أن قاعدة الحراني هي اول نموذج معروف لعمل أصيل في الرياضيات عند العرب)^(١). اما هوارد إيفز فذكر: (إن قاعدة إيجاد الاعداد المتحابه لثابت بن قره من الاعمال العربية الأصيلة)^(٢).

□ نظرية حساب الخطأين

نظرية حساب الخطأين من الجوانب الأصيلة في العلوم افرياضية عند العرب والمسلمين حيث عن طريق تلك النظرية وقوانينها نستطيع ان نجد قيم المجهولات العددية المجهولة وفق قيم رياضية صحيحة ودقيقة غاية الدقة .
ومن العلماء المسلمين الذين بحثوا بحساب الخطأين ابي كامل شجاع بن مسلم ، وقسطا بن لوقا البعلبكي ، والحسن بن الهيثم وابن ساعد السنجاري، وابن الهائم المقدسي ، وغيرهم من علماء الرياضيات العرب والمسلمين.
وتقوم فكرة تلك النظرية وفق مفهوم علماء الرياضيات المسلمين:
أن نأخذ مقداراً ونسميه بالمال أو المفروض الأول ثم نعوضه بحسب ما ورد في منطوق المسألة فإن وافق الناتج المفروض الأول كان المفروض هو الجواب المطلوب ، وإن لم يطابقه فنأخذ الفضل بينه وبين المطلوب ونسميه بالخطأ الأول ، ثم نأخذ مقداراً آخر كيف اتفق ونسميه بالمال الثاني ونتصرف به مثل الأول، فإن لم يحصل المطلوب ، فنأخذ الفضل ونسميه بالخطأ الثاني ، ثم بعد ذلك نطبق العلاقات الآتية:^٣

^١ (Cajori :Ahistory of Mathematics .p.140.

^٢ (لإيفز ، مقدمة في تاريخ الرياضيات ص ٣٠٩.

^٣ (ابن ساعد السنجاري، مخطوطة اللباب في علم الحساب ورقة ٢٣؛ المنشاوي، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٣٤٠.

الحاصل الأول = المال الأول × الخطأ الثاني

الحاصل الثاني = المال الثاني × الخطأ الأول

المطلوب = $\frac{\text{الفصل بين الحاصلين}}{\text{الفصل بين الخطئين}}$ (إذا كان الخطأين زائدين أو ناقصين)
أو:

المطلوب = $\frac{\text{مجموع الخطئين}}{\text{مجموع الخطئين}}$ (إذا كان الخطأ مختلفين)

مثال تطبيقي على قوانين حساب الخطئين:

إذا كان لزيد عشرة إلا نصف ما لعمر ، ولعمر عشرة إلا تسعي ما لبكر ، ولبكر

عشرة إلا سدس ما لزيد . فما هو مقدار ما لكل منهم؟

خطوات الحل بحسب العلاقات الرياضية التي ذكرها ابن ساعد السنجاري:

نفرض ما لزيد = ٣

يكون ما لبكر = ١٠ - ٣ × ٦/١ = ٩ × ٢/١

يكون ما لعمر = ١٠ - ٩ × ٢/١ × ٩/٢ = ٧ × ٩/٨

فيكون ما لزيد = ١٠ - ٧ × ٩/٨ × ٢/١ = ٣ × ١٨/١

اذن الخطأ الأول = ٣ - ٦ × ١٨/١ = ٣ × ١٨/١

ثم نفرض ما لزيد = ٩

فيكون ما لبكر = ١٠ - ٩ × ٦/١ = ٨ × ٢/١

فيكون ما لعمر = ١٠ - ٨ × ٢/١ × ٩/٢ = ٨ × ٩/١

فيكون ما لزيد = ١٠ - ٩/١ × ٢/١ = ٥ × ١٨/١٧ وهو خطأ

اذن الخطأ الثاني = ٩ - ٥ × ١٨/١٧ = ٣ × ١٨/١

الحاصل الأول = ٣ × ٦٨/١ × ٣ = ٩ × ٦/١

الحاصل الثاني = ٩ × ١٨/١ × ٣ = ٢٧ × ٢/١

اذن المطلوب = $\frac{٢٧ \times ٢/١ + ٩ \times ٦/١}{(٣٦ \times ٣/٢) / (٦ \times ٩/١)}$

= $\frac{٦ \times ٢/١٢}{٦}$ وهو ما لزيد = ٦

فيكون ما لبكر = ٩ = ٦ × ٦/١ - ١٠

فيكون ما لعمر = ٨ = ٩ × ٩/٢ - ١٠

فيكون ما لزيد = ٦ = ٨ × ٢/١ - ١٠

وبذلك يثبت علماء الرياضيات العرب والمسلمين اصالة فكرهم الرياضي من خلال تلك

العلاقات الرياضية التي تستخدم لحل المسائل الحسابية وفق طرق رياضية مبتكرة

تؤدي الى نتائج صحيحة.

□ طريقة الحل بالعكس:

وهذه من الطرق الرياضية المبتكرة التي توصل لها علماء الرياضيات العرب والمسلمين

والتي اطلقوا عليها تسمية الحل بالعكس او طريقة التحليل والتعكس .



وتقوم هذه الطريقة على الأبتدأ بحل المسألة الرياضية من آخر ما ورد في منطوق تلك المسألة صعوداً الى الأعلى مع عكس المعطيات فيها حيث ن نصف عند التضعيف ، وننقص في الزيادة، ونقسم في الضرب،، ونربع عند التجذير وهكذا، وعند ذلك نحصل على الناتج المطلوب^١.

مثال ذلك: ما هو العدد الذي إذا ضرب في نفسه وزيد على الحاصل اثنان ونصف وضعف وزيد على الحاصل ثلاثة وقسم المجتمع على خمسة وضرب الخارج في عشرة حصل خمسون^٢؟

فتكون خطوات الحل:

$$٥ = ١٠ \div ٥٠$$

$$٢٥ = ٥ \times ٥$$

$$٢٢ = ٣ - ٢٥$$

$$١١ = ٢ \div ٢٢$$

$$٩ = ٢ - ١١$$

٩ تحت الجذر = ٣ وهو العدد المطلوب

مثال اخر ذكره ابن ساعد السنجاري:

مال زدت عليه نصفه واربعة دراهم، ثم على المبلغ نصفه واربعة دراهم، بلغ عشرين؟
الحل بحسب خطوات ابن ساعد السنجاري^٣:

$$١٦ = ٤ - ٢٠$$

$$١٠ \times ٣ / ٢ = ١٦ \times ٣ / ١ - ١٦$$

$$٦ \times ٣ / ٢ = ٤ - ١٠ \times ٣ / ٢$$

$$٦ \times ٣ / ٢ - ١٦ \times ٣ / ١ - ١٠ \times ٣ / ٢ = ٤ \times ٩ / ٤ = ٦ \times ٣ / ٢ \times ٣ / ١ - ١٠ \times ٣ / ٢$$

وللتأكد صحة حل ابن ساعد السنجاري:

$$١٠ \times ٣ / ٢ = ٩ / ٩٦ = ٩ / (٣٦ + ٢٠ + ٤٠) = ١ / ٤ + ٩ / ٢٠ + ٩ / ٤٠ = ١ / ٤ + ٩ / ٤٠ \times ٢ / ١ + ٤ \times ٩ / ٤$$

$$٢٠ = ٣ / ٦٠ = ١ / (٤ + ١٦ + ٣٢) = ١ / ٤ + ٣ / ١٦ + ٣ / ٣٢ = ٤ + ١٠ \times ٣ / ٣٢ \times ٢ / ١ + ١٠ \times ٣ / ٢$$

وبذلك يثبت صحة الناتج الذي توصل له علماء الرياضيات العرب والمسلمين بتلك الطريقة الحسابية التي ابداع بها أولئك العلماء.

□ **نظرية مجموع عددين مكعبين لا عدداً مكعباً:**

هذه النظرية تعد من الجوانب الرياضية العربية الإسلامية التي توصل لها علماء الرياضيات المسلمين وتكمن أهميتها خاصة في علم الجبر لكونها تقوم على اكتشاف خاصية جبرية جديدة يمكن ان نوضحها بالشكل الآتي:

لنأخذ عددين وليكن : ٦٤ ، ١٢٥ وهما عددان مكعبان وذلك لأن:

^١ مؤلف مجهول، مخطوطة رسالة في الحساب، ورقة ١٠؛ ابن ساعد السنجاري، مخطوطة اللباب في علم الحساب، ورقة

٢٢؛ ابن الهانم المقدسي، مخطوطة الوسيلة في علم الحساب، ورقى ٢٥،

^٢ العاملي، الأعمال الرياضية ص ٨٢.

^٣ ابن ساعد السنجاري، اللباب في علم الحساب، ورقة ٢١.

٦٤، ١٢٥ وهما عددان مكعبان وذلك لأن:

$$4 \times 4 \times 4 = 64$$

$$5 \times 5 \times 5 = 125$$

لذلك فإن: $125 + 64 = 189$ وهو عدد غير مكعب ، وبذلك تثبت صحة تلك النظرية التي توصل لها علماء الرياضيات العرب والمسلمين خلال مسيرتهم العلمية. لقد اتفق اغلب مؤرخي العلم ورجاله^١ على الاصاله العربية لهذه النظرية ، ولكن للأسف الشديد انها تُنسب الآن الى العالم الفرنسي فرما^(٢) المتوفى سنة ١٦٦٦م في حين ان العرب والمسلمين بحثوا في هذه النظرية وحاولوا البرهنة عليها قبل فرما ومن أولئك العلماء الخنجدي^(٣) المتوفى سنة ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م الذي يعد من اوئل العلماء المسلمين الذين تناولوا هذه النظرية والبرهان عليها. ومن العلماء الاخرين الذين بحثوا في هذه النظرية الرياضي الكرجي^(٤) وعالم الرياضيات الفلكي عمر الخيام^(٥). وبذلك اتضح لنا بان تلك النظرية ما هي إلا نظرية عربية توصل لها العلماء العرب والمسلمين وبرهنوا عليها وفق براهين رياضية دقيقة قبل ان يتوصل لها عالم الرياضيات الفرنسي بياردي فرما بعدهم بعدة قرون من الزمن.

□ الخاتمة والنتائج:

للإنجازات الرياضية العربية الإسلامية أهمية خاصة لكون المفاهيم والقوانين والمسائل الرياضية التي توصل لها علماء الرياضيات العرب والمسلمين أصبحت من المصادر الأساسية للفكر الرياضي في جميع الحضارات اضافة الى كونه اصبح أيضاً مصدرا من مصادر الرياضيات المعاصرة وعلى سبيل المثال ان كافة شعوب العالم تستخدم الأرقام العربية وفق السلسلتين المشرقية والمغربية. ومن خلال بحثنا هذا ذكرنا نماذج من الأفكار الاصلية لأولئك العلماء ولإصاله تلك الأفكار فإنها الان تستخدم ضمن مناهج الرياضيات المعاصرة ومنها:

^١ (أرنولد ، تراث الإسلام ج ١ / ٧٥٨ ؛ شخت ، تراث الإسلام ج ٣ / ٦١٧؛ دانزج ، العدد لغة العلم ص ٤٥؛ المنشداوي ، تاريخ علم الرياضيات عند العرب ص ٣٤٤.

^٢ بياردي فرما المتوفى سنة ١٦٦٦م من كبار الرياضيين الفرنسيين في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت له مباحث رياضية مهمة وخاصة في نظرية الأعداد ، إضافة الى ذلك أنه عمل مستشاراً لملك فرنسا لمدة سبعة عشر عاماً. أنظر: مطلب ، تاريخ علوم الطبيعة ص ١٢٢؛ الدفاع ، العلوم الرياضية ، ج ١ / ٣١٧؛ إيفز ، مقدمة في تاريخ الرياضيات ص ١٤٤.

^٣ حامد بن خضر الخنجدي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م كان من علماء الرياضيات المسلمين وخاصة في علم المتناثات إضافة الى علم الفلك ، من مؤلفاته: الآلة الشاملة في الفلك ، رسالة في تصحيح الميل وعرض البلد. أنظر: شخت ، تراث الإسلام ج ٣ / ١٧٦ > ٦

^٤ أبو بكر محمد بن الحسين الكرجي ، من أعظم علماء الرياضيات في القرن الرابع الهجري ، من مؤلفاته: البديع في الحساب ، الفخري في الجبر. صالح زكي - اثار باقية ٢ / ٢٦٥؛ الزركي، الاعلام ٩ / ٣١٣؛ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٢٨٢؛

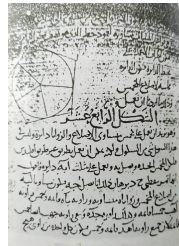
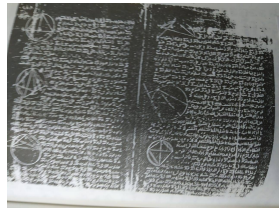
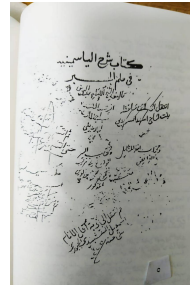
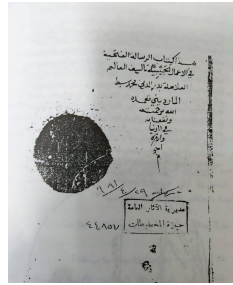
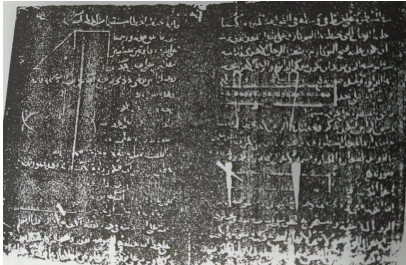
Cajori:History of Mathematics..p.107.Smith:History of Mathematics.Voi.1;p.284.:

^٥ عمر بن إبراهيم الخيام المتوفى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٤١م كان من العلماء المهتمين في علم الجبر والهندسة والفلك إضافة الى الفلسفة والشعر ، من مؤلفاته:مصادرا اقليدس ، الرسائل الجبرية. عمر فروخ، تاريخ الفكر العلمي الى أيام ابن خلدون ص ٦٨٤؛ طوقان ، تراث العرب العلمي ص ١٨٤ / ٣٧٧؛ الأسلوب العلمي ص ٣؛ الدوميني ، العلم عند

العرب ص ٤١٠ > Smith:History of Mathematics.Voi.1;p.860..



- الصفر واثبات أصالته العربية الإسلامية لكون شعوب الحضارات القديمة ومنها اليونانية والهندية والصينية وغيرها لم تتوصل اليه وان الصفر بمفهومه العلمي ابتكار عربي إسلامي اصيل.
- النظام العشري والوضع المكاني للأعداد حيث نتيجة لابتكار الصفر من قبل العرب و اضافته لرموز الأرقام التسعة توصلوا الى الوضع النظام الرياضي المرن الا وهو النظام العشري الذي جمع الأمم تستخدم الان ذلك النظام لسهولته ودقته.
- كذلك اثبتنا من خلال بحثنا هذا اصالة ابتكار العرب والمسلمين للأعداد السالبة واجراء مختلف العميات الرياضية عليها بما فيها الاعمال الحسابية والهندسية والجبرية إضافة الى استخدامها في مسائل علم المتثلثات.
- التوصل الى معرفة خصائص الصرب ومنها خاصية التوزيع وخاصية العنصر المحايد في الضرب وقانون ضرب الإشارات أي الزائد في الزائد والناقص في الناقص والزائد في الناقص والناقص في الزائد.
- سبق علماء العرب والمسلمين في التوصل الى الكسور العشرية ومعرفة علامة الكسر العشري واجاء مختلف العمليات الرياضية على تلك الكسور وحتى تسميتها بالكسور العشرية تسمية عربية.
- البحث وفق أسس علمية بالأعداد الزائدة والناقصة والتامة والمتحابة وإيجاد القوانين الخاصة بإيجاد تلك الاعداد.
- التوصل الى الكثير من النظريات الرياضية التي اثبتنا في بحثنا هذا اصالة نظرية حساب الخطأين ونظرية مجموع عددين مكعبين لا يكون عددا مكعبا.
- كذلك ارفقنا البحث بنماذج مصورة لمجموعة من أوراق مخطوطات مختارة في العلوم الرياضية تثبت اصالة الفكر الرياضي العربي الإسلامي



علم الرياضيات في الأندلس (٣١٦ / ٥٤٨٠ - ٩٢٨ / ١٠٨٧ م)

أ.م.و قاسم عبد سعرون (الحسيني)
جامعة ميسان / كلية التربية / قسم التاريخ

الملخص

دلت الدراسات والأبحاث التاريخية التي تناولت علم الرياضيات، أنّ الكتابة في تاريخ هذا العلم لا سيما عند المسلمين بشكل شامل ودقيق يُعد من الأمور الصعبة والمعقدة، ذلك لأنّ النصوص الرياضية التي خلفها المسلمون في عصر ازدهار حضارتهم مازالت مغمورة في مختلف مكتبات العالم، ولم يُنشر إلا النزر اليسير منها رغم جهود بعض الباحثين واهتمامهم في علم الرياضيات، ولعلّ ذلك يعود لطمس الحقيقة، ونسبة الأمر إلى غير أهله، لأنّ المسلمين في نظرهم مجرد نقلة لمعارف اليونان. أهتمّ الأندلسيون بعلم الرياضيات اهتماماً كبيراً وتُعدّ الحقبة التاريخية الممتدة ما بين (٣١٦-٥٤٨٠/٩٢٨-١٠٨٧ م^(١)) في الأندلس، عصر نضوج فكري، وتطور علمي شمل مجالات الحياة كافة، حيث كان لعلم الرياضيات نصيباً كبيراً من هذا التطور، وحظي هذا العلم برعاية واهتمام حكام الأندلس، فتطور تطوراً كبيراً، وبرزت مجموعة من علماء الأندلس كان لهم دور كبير في تطور علم الرياضيات وازدهاره، لا سيما بعد أنّ اخترعوا الصفر، ونظام الأعداد العربية الأمر الذي ساعد في تذليل الصعوبات في حل المسائل الرياضية المعقدة التي تعتمد على الدقة والكمال إذ لا مجال للزيادة فيها. إذ كان لنظام الأعداد العربية دور كبير في إدراك الكمال في طرق الحسابات الرياضية الذي مهدّ لمعرفة خصائص الأعداد الزوجية والفردية وما بينها من العلاقات الرياضية التي ساعدت على إيجاد الجذور التربيعية والتكعيبية. وقد دلت الأبحاث والدراسات التاريخية أن العرب هم من اكتشفوا علم الرياضيات وطوروه،

(١) - عصر الخلافة الأموية في الأندلس، وعصر أمراء الطوائف.



وعملوا على نقله بطرق مختلفة إلى العالم أجمع، بعد أن كانت الأندلس بوابة لنقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.
الكلمات المفتاحية: الرياضيات، الأندلس، علم الفلك، علم التنجيم، المجريطى.

Summary

Historical studies and research that dealt with mathematics indicated that writing in the history of this science, especially for Muslims in a comprehensive and accurate manner, is a difficult and complex matter, because the mathematical texts left by Muslims in the era of the prosperity of their civilization are still immersed in various libraries of the world, and only a few have been published. Little of it despite the efforts of some researchers and their interest in the science of mathematics, and perhaps this is due to the obscure of the truth, and the attribution of the matter to others, because in their view Muslims are just a transfer of knowledge of Greece. Andalusians paid great attention to mathematics, and the historical period extending between (316-480 AH / 928-1087 AD) in Andalusia was an era of intellectual maturity, and a scientific development that included all areas of life, where mathematics had a great share of this development, and this science received care and attention The rulers of Andalusia developed a great development, and a group of Andalusian scholars emerged who had a major role in the development and prosperity of mathematics, especially after they invented the zero and the Arabic number system, which helped overcome the difficulties in solving complex mathematical problems that depend on accuracy and perfection. As the Arabic number system had a great role in realizing perfection in the methods of mathematical calculations, which paved the way for knowing the properties of even and odd numbers and the mathematical relationships between them that helped find square and cubic roots. Historical research and studies have indicated that the Arabs were the ones who discovered and developed mathematics, and worked to transfer it in various ways to the whole world, after Andalusia was the gateway to the transfer of Islamic civilization to Europe.

Key words: Mathematics, Andalusia, Astronomy, Astrology,

المقدمة

دلّت الدراسات والأبحاث التاريخية التي تناولت علم الرياضيات ، أنّ الكتابة في تاريخ هذا العلم لا سيما عند المسلمين بشكل شامل ودقيق يُعد من الأمور الصعبة والمعقدة ، ذلك لأنّ النصوص الرياضية التي خلفها المسلمون في عصر ازدهار حضارتهم مازالت مغمورة في مختلف مكتبات العالم ، ولم يُنشر إلا النزر اليسير منها رغم جهود بعض

الباحثين واهتمامهم في علم الرياضيات ، لا سيما تلك التي بدأت في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ولعل ذلك يعود لطمس الحقيقة، ونسبة الأمر إلى غير أهله، لأنَّ المسلمين في نظرهم مجرد نقلة لمعارف اليونان^(١).

أنَّ علم الرياضيات يُعد من العلوم التي تعتمد على البرهان، واثبات الشيء إذ لا مكان فيه للجدل ولا للفلسفة الأمر الذي يتوافق مع الهندسة التي تعتمد على الدقة والكمال إذ لا مجال للزيادة فيه^(٢).

أكدت الدراسات التاريخية أنَّ اسبانيا قبل فتح المسلمين لها سنة ٧١١/٥٩٢م، لم يكن فيها نشاط في علمي الرياضيات والهندسة الأمر الذي أكده أحد المؤرخين بالقول: ((كانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلى أن فتحها المسلمون سنة ٧١١/٥٩٢م، لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة))^(٣). وقد عللَّ بعض الباحثين تراجع علم الرياضيات لدى الأندلسيين في بادئ الأمر ، بسبب تشدد فقهاء الأندلس وموقفهم من هذا العلم حتى أنهم تجاوزوا عن الحساب وأباحوا الاشتغال به ، إلا فيما يتصل بالعمليات المعقدة المتصلة بقسم الموارد^(٤). إذ كان حرص المسلمون على معرفة مواقيت الصلاة ، وتحديد اتجاه القبلة وضبطها أحد الأمور الرئيسية التي دفعتهم للاشتغال بهذا العلم، يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي تلعبه الرياضيات في شحذ الذهن والتعلم في حل مسائل الحياة العلمية^(٥). وقد ألف العرب المسلمون كُتُبَ عدة في هذا المجال إلا أننا سنقتصر فقط على ذكر إسهامات علماء الأندلس في هذا العلم ، أي ما يخص دراستنا في الجانب الأندلسي ، إذ عُثر على مؤلفات متعددة أبرزها معاملات الزهراوي^(٦)، وكتاب القانون في الحساب لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد القلصاوي الأندلسي (ت ٤٨٦/٥٨٩١م)^(٧)، وكتاب التفسير لمؤلفه محمد بن عبدون الجبلي (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)^(٨) ، وكتاب ثمار علم العدد لمؤلفه العالم الرياضي الكبير المجريطي (ت ٣٩٨ / ١٠٠٧م)^(٩) ، وكذلك كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات لمؤلفه اصبح بن محمد بن الشيخ المهدي (ت ٥٤٢٦/١٠٣٤م)^(١٠).

(١) - المغربي ، الباهر في الجبر ، ص ١-٢ .

(٢) - الجابري ، ابن رشد ، ص ١٧٥ .

(٣) - صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٦٢ .

(٤) - بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٧٧ ؛ العامري ، الحياة العلمية ، ص ٢٣٠ .

(٥) - عرابي ، علوم الفلك ، ص ٣٣ ؛ صرصاق ، الحياة العلمية ، ص ٢٤٠ .

(٦) - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١/ ٤٨٤ .

(٧) - بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٥٦ ؛ صرصاق ، الحياة العلمية ، ص ٢٤١ .

(٨) - صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٨١ .

(٩) - بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٤٨ .

(١٠) - ابن الخطيب ، الإحاطة / ١ / ٤٢٨ .



أهتَمَ الأندلسيون بعلم الرياضيات اهتماماً كبيراً ، وحظيَ هذا العلم بمكانة مهمة ومما يدل على ذلك ما ذكره الشاعر أبي محمد عبد الله بن محمد بن جزى حينما مازح بعض مقرئيه قائلاً :-

ياناصباً علم الحساب حباله لقناص ظبي سارح الألباب
أن كنت ترجو الحساب وصاله فالبدر يرزقنا بغير حساب^(١)

كان للرحلات العلمية دوراً مهماً في تطور علم الرياضيات في الأندلس ، إذ رحلَ علماء الأندلس إلى المشرق واكتسبوا قدراً لا بأس به من العلوم والمعارف من علماء المشاركة ، وحينما عادوا إلى بلادهم قاموا بنشر هذه العلوم وتعليمها لتلاميذهم ، إذ لم تكن الفائدة مقتصرة على ذلك بل أنها كانت تبادلية فحينما وفد علماء المشاركة إلى الأندلس أيضاً تعلموا معارف وعلوم عدة عملوا على نشرها في بلدانهم ، الأمر الذي أدى إلى تطور العلوم عند العرب شمل مجالات الحياة المختلفة ، فتطورت الحركة العلمية وازدهرت هذه البلدان^(٢).

ونظراً لتطور علم الرياضيات، ولتفوق رياضي الأندلس في مجال هذا العلم فقد استنجدَ بفقهاء غرناطة^(٣) في الكثير من المرات لحل إشكالات فقهية تتعلق بالزكاة والمواريث^(٤)، أو بقياسات الأراضي، وخبر مثال على ذلك ما حدث مع الرياضي أبي محمد عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري (ت ٥٧٤/٣٤٤م) ، الذي اشتهر بذكائه ونبوغه في علم الرياضيات، حيث عُرضت عليه مسألة في تونس مفادها أن رجل فرط في إخراج أموال الزكاة لسنوات عديدة وطلبَ منه أن يجد لها حلاً وفق طريقة الأربعة أعداد فسارع بإبداء حل فريد نقله عنه فقهاء تونس^(٥) ، والأمر نفسه حصل مع أبي محمد بن عبد الله بن محمد الشراط الذي استدعى إلى الخدمة السلطانية إذ أوكلت إليه مهمة تعليم الأمراء نظراً لمكانته العلمية ، وبراعته في علم الرياضيات وإتقانه لهذا العلم^(٦).

دور العرب في تطور علم الرياضيات .

يعترف الغرب بفضل العرب على الحضارة الإنسانية ، وأنَّ الغرب مدين للحضارة الإسلامية لا سيما في مجال الرياضيات ، ومعرفة الأرقام ومن ضمنها الصفر الذي ساهم في حل مشاكل كثيرة ومعقدة في مجالات الحياة كافة، إذ ساهم الصفر في حل كثير من المعادلات الرياضية ببسر وسهولة ، وأصبح من الميسور على العلوم الرياضية أن تتقدم بهذا الصفر الذي عده جمهور العلماء من أهم فتوحات العلم ، وفيما يخص ذلك أشار المؤرخ إير قائلاً : ((أن فكرة الصفر تُعتبر من أعظم الهدايا العلمية

(١) - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٣/٣٩٧ .

(٢) - نجادي ، علوم الرياضيات ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) - غرناطة : مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة بالبيرة فحلت وانتقل أهلها إلى غرناطة.، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٤٥ .

(٤) - بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٤٤٧ .

(٥) - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٣/٤١٤ .

(٦) - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٣/٤٤١ .

التي قدمها المسلمون إلى غرب أوروبا^(١). كان العالم جبريت دي أوريك أول من أخذ بالأرقام العربية ، وادخلها إلى أوروبا ، ثم ألف كتاباً شرح فيه استخدام الأرقام العربية وأهميتها في تسيير أمور الناس ، وبعد مدة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية نتيجة لكثرة أعمال العالم ليوناردو دي بيزا الذي تعلم الرياضيات وأتقنها على يد معلم عربي من بلاد المغرب وتحديداً من مدينة بجاية^(٢)، حيث ألف ليوناردو سنة ١٢٠٢م كتاباً شرح فيه الأرقام العربية ، ووضح كيفية استخدامها، وأعد هذا التاريخ بداية حقيقة لتبني أوروبا للأرقام العربية ، وبداية علم الرياضيات في أوروبا^(٣). وقبل تبني أوروبا الأرقام العربية كانت الأرقام الرومانية هي السائدة في المعاملات اليومية، إذ زادت هذه الأرقام صعوبة حل معظم العمليات الحسابية ، وأخرت بصورة ملموسة دراسة النظرية الرياضية^(٤).

أن تبني أوروبا للأرقام العربية تم بفضل نشر كتاب Liber abaci ، لمؤلفه العالم ليوناردو سابق الذكر ، إذ بين هذا العالم أن العلامات العشر تعمل على تبسيط العمليات الحسابية وتوسيع مجالها، فما أن اتضحت هذه الفائدة للأذهان حتى تبناها الناس في معظم أغراضهم وتعاملاتهم اليومية ، لا سيما في المجال العملي فضلاً أن هذه الأرقام ساعدت على دخول بعض الكلمات العربية إلى اللغات الأوربية فالكلمة الفرنسية Chiffre ، والكلمة الألمانية Zero ، والكلمة الإنكليزية CIPHER ، وكلمة Zero الإنكليزية كلها كلمات مشتقة من الكلمة العربية (صفر) ، ومعناها الخالي والذي رسمه العرب على شكل حلقة^(٥). وقد أطلقت العربية على العلامات المستخدمة لبيان خلو موقع معين (الأحاد ، العشرات ، المئات ، ... ألخ) ، وإذا كانت هذه العلامة تُعبر عن فكرة صعب الاهتداء إليها فأن ابتكارها أصلاً جاء متأخراً عن وضع الأرقام التسعة الأخرى ، إذ وجد مستخدم الأرقام التسعة صعوبة في استخدام الصفر لذا فأنهم كانوا يتزكون مكانه خالياً ومع ذلك أصبحت الكلمة الدالة على علامة الصفر تُطلق في بعض اللغات الأوربية على العلامات العشر جميعاً علماً أن كلمة صفر بالسين قد أثرت في الاستعمال الأوربي للكلمة^(٦). كذلك يُذكر أن هذه الأرقام أثبتت وجودها فيكفي كتابة أربعة أرقام كنسبة لتسجيل عام بنائها، وأستهوت تلك الأرقام السهلة الناس في أوروبا

(١) - نقلاً عن يونس ، أثر العرب ، ص ٣٢ .

(٢) - بجاية : بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالاندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن، وإنما سمي الإقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ما ضمنوا منه من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى أرش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم. ويقرب بجاية كان جامع الإقليم الأعظم إلا أنها كانت حارات مفترقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على من كان فيها من العرب وصر الأمر لهم فجمعوها وبنوا سورها وامتثلوا في ذلك ببنية قرطبة وترتيبها، وجعلوا على أحد أبوابها صورة تشبه الصورة التي على باب القنطرة . ينظر : الحميري ، الروض المعطر ، ص ٧٩ .

(٣) - مظهر ، حضارة الإسلام ، ص ٧٨ .

(٤) - وات ، فضل الإسلام ، ص ٨٨ .

(٥) - البنوي سراج ، صناعات الحضارة ، ص ١٧٥ .

(٦) - وات ، فضل الإسلام ، ص ٨٨-٨٩ .



فكتبوها على مقابر الموتى^(١)، ثم دخلت رويدا رويدا إلى تعاملات الدول الأوروبية وأخذت تحل محل الأرقام الرومانية الطويلة التي كانت تشغل صفحات كثيرة. وكان من الصعب على الناس أن يتعلموا كتابة الأرقام العربية الجديدة وقراءتها^(٢)، فنظموها في أراجيز تربط بين شكل الأرقام العربية وأشكال أخرى مألوفة لكي يسهل قراءتها وحفظها^(٣).

تأسيساً على ما تقدم يبدو أن نظام الأعداد العربية أسهم في إدراك الكمال في طرق الحسابات الرياضية الذي مهد لمعرفة خصائص الأعداد الزوجية والفردية وما بينها من العلاقات الرياضية التي ساعدت على إيجاد الجذور التربيعية والتكعيبية.

كان للعرب قدم سبق في تطوير علم الرياضيات وفروعه المختلفة، ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ظهر العالم جابر بن افلح الاشبيلى، وذاع صيته واشتهر نتيجة لاختراعه علم الجبر إذ كان متحققاً لعلوم الإغريق والرومان واللاتين، وعمل على تحقيق علامات تغيير الفصول ومنازل الشمس، فقام بتجارب ودراسات خرج منها بملاحظات وآراء أثبتتها في مؤلفيه كتاب في الفلك وكتاب في علم النجوم أطلق عليه كتاب الهيئة أو إصلاح المجسطي، وللعالم جابر بن أفلح فضل كبير في تطور علم الرياضيات واختراع الجبر الذي مازالت أوربا إلى يومنا هذا تطلق عليه هذا الاسم (الجبر) بسبب تشابه المصطلح مع اسم عالمنا جابر بن افلح^(٤)، إذ كان العرب أول من نهج فيه نهجاً علمياً دقيقاً، ناهيك عن علم المثلثات الذي يرجع الفضل في اكتشافه إلى علماء العرب، وعدوه علماء مستقلاً عن علم الفلك بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل برع العرب في وضع القواعد الأساسية لعلم الهندسة التحليلية حينما استعانوا في المسائل الجبرية بالهندسة^(٥). ونظراً لاكتشاف العرب علم الجبر، وأهليتهم في ريادته وتسميتهم لهذا العلم بالجبر، انتقلت هذه الكلمة إلى سائر لغات العالم واستخدمت بوصفها مصطلحاً يطلق على عمليات رياضية تخص هذا العلم^(٦)، حيث ازدادت أهمية هذا العلم لا سيما بعد أن ادخل العرب المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة وحلوا المعادلات الرياضية ذات الجذور التكعيبية^(٧).

اتسعت أبحاث علماء عرب الأندلس في علم الرياضيات، لا سيما في علم الجبر إذ عمل علماء الأندلس على تطويره، وبرعوا فيه ووصلت مؤلفاتهم إلى أوربا وترجمت أعمالهم وبرز علماء منهم احتلوا مكانة مهمة في علم الرياضيات، فالخوارزمي ألف كتابين هامين تطرق الأول منهما إلى الحساب والجبر والمقابلة، عالج

(١) - يحيوي - دور الأندلس، ص ٧٢-٧٣.

(٢) - يونس، أثر العرب، ص ٣٣.

(٣) - يحيوي - دور الأندلس، ص ٧٣.

(٤) - بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٥٦.

(٥) - يونس، أثر العرب، ص ٣١-٣٢.

(٦) - عبد الرحمن، الجامع، ص ٣٩٥.

(٧) - لوبون، حضارة العرب، ص ٤٥٥؛ صرصاق، الحياة العلمية، ص ٢٤٠.

فيه مجموعة من المشاكل الرياضية ، وعمل على إيجاد حلولاً لهذه المشاكل . أما الكتاب الثاني كان كتيباً تعليمياً صغير الحجم في علم الحساب ، شرح فيه المؤلف استخدام نظام الأعداد كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة ، وقد ذاعت شهرة هذه المؤلفات ، وترجمت إلى اللغة الإسبانية ثم تُرجمت إلى اللغات اللاتينية، إذ وصلت النسخة المترجمة إلى ألمانيا ويعود تاريخها إلى عام ١١٤٣/٥٣٨م ، وهي نسخة مكتوبة بخط اليد ، وموجودة في مكتبة البلاط في فيينا، وعُثر على نسخة ثانية منه في مدينة دير سالم ، إذ لم يلبث الألمان أن جعلوا من الخوارزمي أسماً يسهل عليهم نطقه فأسموه (Algouzmur) ، كذلك لم يقتصر الخوارزمي على تعليم الغرب كتابة الأعداد والحساب إذ ما زالت القاعدة الحسابية (Algoriymus) حتى اليوم تحمل اسمه كعلم من أعلامها إذ عمل أنصاره في إسبانيا وألمانيا وانكلترا على نشر طريقته الرياضية حتى أنهم عرّفوا بالخوارزميين (Algorithiker) ، فانتشرت الأرقام العربية التسعة يتقدمها الصفر في أنحاء أوروبا^(١) . وقد دفعت هذه الأمور مجتمعة مؤرخي الرياضيات الغربيين بأن يؤمنوا أن العرب هم أساتذة علم الرياضيات في عصر الحضارة الأوروبية ، وأن لهم فضلٌ كبير على الحضارة الإنسانية ، وأنهم أول من وضع اللبنة الأولى في أساس هذا العلم .

التطور التاريخي لعلم الرياضيات في الأندلس .

أنّ ظهور علم الرياضيات في الأندلس كان متأخراً بالمقارنة مع بقية العلوم ، وأنّ بداياته الأولى في الأندلس كـان في عهد الإمارة الأموية في الأندلس وتحديدًا في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٥٢٣٨ / ٨٢١-٨٥٢م)^(٢) ، الذي اشتهر بشغفه الكبير بالمطالعة والبحث في العلوم ، واقتناء الكتب واستجلابها من المشرق^(٣) . فتطورت العلوم في عهده تطوراً كبيراً ، أما في عهد ابنه الأمير محمد (٢٣٨-٥٢٣/٢٧٣م)^(٤) ، فقد تطور علم الرياضيات في الأندلس لاسيما أنّ الأمير محمد اشتهر باهتمامه بالحركة العلمية اهتماماً لا نظير له ، وعُرف ببراعته في علم الحساب ، وتطلعاته الكبيرة لتطوير هذا العلم في الأندلس ، حتى أنّ ابن عذاري^(٥)

(١) - يحيوي ، دور الأندلس ، ص ٧٠-٧١ .

(٢) - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو المطرف وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من حكام بني أمية بالأندلس. بويع له يوم وفاة أبيه الحكم المعروف بالريضي يوم الخميس ثلاث - وقيل لأربع - بقين من ذي الحجة سن ست ومائتين. وكانت إمارته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. وكان فصيحاً مفوهاً شاعراً، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغي والسعيات. وهو الذي استكمل فخامة الملك بالأندلس، وكسا الخلافة أبهة الجلالة. وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور، وشيد القصور، وتوفي سنة ٥٢٣م .

ينظر : ابن الأبار ، الحلة السرياء ، ١١٣/١ وما بعدها ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٠/٢ وما بعدها .

(٣) - حسبلوي ، الحياة الفكرية ، ص ١٦٢ ؛ يحيوي ، دور الأندلس ، ص ٦٩ .

(٤) - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، كنيته أبو عبد الله وأمه تدعى بهير ولد سنة ٥٢٧ / ٨٢٢م ، تولى الإمارة الأموية في الأندلس سنة ٥٢٣/٨٥٢م ، بعد وفاة أبيه مباشرة ، إذ بويع وأعلن أميراً في وقت كان أبوه ما يزال مسجاً على فراش الموت ، وأن أولو العقل كانوا يميلون إليه لرجاحة عقله ، وحسن سيرته فبايعه الناس ونبذوا بيعة أخيه الأكبر عبد الله . توفي سنة ٥٢٧٣/٨٨٦م . ينظر : ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ٥١/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩٣/٢ وما بعدها .

(٥) - البيان المغرب ، ١٠٧/٢ .



خصه بالقول : ((... ، وكان من أعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة ، وكان متى أعضل منها شيء رجع إليه فيه ...)) . إذ ظهرت بوادر الاشتغال بالفلك والرياضيات بين عدد من العلماء ، وممن اشتهروا بهذا العلم العالم عباس بن فرناس ، ومسلم بن أحمد ، ويلحق بهم المنجم الفلكى المنسوب لـجزيرة الخضراء^(١) ويـدعى الضبى ، وقد وصف أنه فى الفلك كبطلبوس^(٢) .

أما فى حقبة الخلافة الأموية (٣١٦-٥٤٢٢ / ٩٢٨-١٠٣٠م) ، شهدت الأندلس نهضة علمية كبيرة جداً ، إذ تطورت المعارف والعلوم تطوراً كبيراً ، فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٥٣٥٠ / ٩١٢-٩٦١م)^(٣) ، أحدث ثورة علمية فى عصره واسعة النطاق سلك فى قيامها طرقاً وأساليب مختلفة ، كان أبرزها تشجيعه للعلماء والأدباء والمتفقيين وحثهم على البحث والتحصيل والتصنيف حتى قيل أن فى أيامه كثر العلماء وأدلو بما عندهم ، وألفت التواليف وصنفت التصنيفات^(٤) ، ثم جاء ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٥٣٦٦ / ٩٦١-٩٧٦م)^(٥) لحكم الأندلس فسار على النهج الذى اتخذه أبوه فى الاهتمام بالحركة العلمية ، فتطورت الأندلس تطوراً علمياً كبيراً ، وأصبحت قبلة للناظرين ومكاناً يقصده طلبة العلم فازدهرت العلوم وتقدمت ، إذ عمل الحكم على استجلاب الكتب والمكتبات من العراق ومصر ومختلف بقاع العالم ، فضمت مكتبات الأندلس أمهات الكتب قديمها وحديثها الأمر الذى ساعد على ظهور علماء تخصصوا بمختلف العلوم فتطور العلم وذاعت شهرة الأندلس^(٦) . برز فى هذا العصر علماء كثر أبرزهم العلامة مسلمة بن أحمد المجريطى الذى يمثل مدرسة علمية زاهرة فى علوم الرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم ، وتخرج على يديه إعداء كبيرة من علماء الفلك أمتد تأثيرهم إلى عصر أمراء الطوائف (٤٢٢-٥٤٨٤ / ١٠٣٠-١٠٩١م)^(٧) .

(١) - الجزيرة الخضراء : ويقال لها جزيرة أم حكيم وبينها وبين قشتالة أربعة وستون ميلاً ، وهى على ربوة مشرفة على

البحر سورها متصل به . ينظر : الحميرى ، الروض المعطر ، ص ٢٢٣ .

(٢) - البشري ، الحركة العلمية ، ص ٥٧٩ .

(٣) - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي ويلقب بالناصر لئىن الله ويكنى بابى المطرف كما يلقب بعبد الرحمن الثالث تمييزاً له من سلفيه عبد الرحمن الأول (الداخل) وعبد الرحمن الثانى (الأوسط) . ولد فى سنة ٢٧٧هـ / ٨٩١م ، ونشأ فى بلاط الإمارة وبرعاية جده الأمير عبد الله . ينظر : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ٧/١ ، ابن الأبار ، الحلة السرياء ، ١٩٧/١ ، الذهبى ، تاريخ الإسلام ، ص ٣٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨ .

(٤) - ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٣٠٦/٢-٣٠٧ .

(٥) - الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، كنيته أبو العاص أمه اسمها مهرجانا أو مرجان ، نقش خاتمه الحكم بقضاء الله راض ، كان ذا صفات حسنة ، محباً للعلم وجمع الكتب مالم يجمعه احد من الملوك قبله واشتراها بأعلى الأثمان ، عرف بتدينه الشديد وكان ذو فضل وورع ومن عدل الحكام واتقاهم وأحسنهم سيرة وأرفعهم قدراً وأعلامه ذكراً ، توفي سنة ٥٦٦هـ . ينظر : الحميدى ، جنوة المقتبس ، ص ١٣-١٤ ؛ الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٨-٢١ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٦) - ابن بشكوال، الصلة ، ١/٢ ؛ ابن الأبار ، الحلة السرياء ، ٢/٢٠٢ ؛ أبو صالح ، جهود الحكم ، ص ١٠٩-١٢٩ .

(٧) - عصر أمراء الطوائف : هو العصر الذى انفرطت فيه غرى وحدة الدولة بالأندلس على اثر انتهاء حكم أسرة بنو عامر وسقوط الخلافة الأموية فى الأندلس ، وتجزأت البلاد إلى ست وعشرين دويلة متناحرة فيما بينها ، وأصبح التاريخ الأندلسى مطبوعاً بالصراعات بين ملوك الطوائف ، وبتدخل الملوك المسيحيين فى الشؤون الداخلية للأندلس أكثر فأكثر ، فتدهورت

أحتل المجريطي مكانة بارزة عند أهل الأندلس وعظم تأثيره في ازدهار علمي الرياضيات والفلك^(١) ، وحظيت مجالسه العلمية بشهرة كبيرة فتوافدت عليه جموع غفيرة من طلبة العلم وازدحمت حلقاته الدراسية ، فاستفاد منه طلبة العلم بمعارف كثيرة نُشرت في أروقة العلم فذاعت شهرته في أرجاء الأندلس^(٢) ، وخصه ابن حزم^(٣) بالقول : ((سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه فيقول : أنه لم يؤلف في الأزياج مثل زيح مسلمة وزيج ابن السمح^(٤) وهما من أهل بلدنا)) .
تتلذذ على يد المجريطي عدد من علماء الرياضيات في الأندلس أبرزهم :-

١- أصبغ بن محمد بن السمح الغرناطي (ت٥٤٢٦/١٠٣٤م) أشتهر بغزارة علمه ومعرفته في علم الرياضيات وإمامه بعلم الهندسة أيضاً متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم ، ولم يكتفِ بذلك بل كانت له عناية بالطب وله مؤلفات شهيرة شملت علوماً مختلفة ، فالف كتاباً بالهندسة أسماه المدخل إلى علم الهندسة في تفسير كتاب إقليدس ، كما ألف كتاباً أسماه ثمار العدد والمعروف بالمعاملات وكتب طببيعة العدد ، وقد دفعه حبه لعلم الهندسة أن ألف فيها كتاباً ضخماً تفصى فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني^(٥) ، أما فيما يتعلق بالدراسات الفلكية فقد ألف أصبغ بن محمد كتابين في آلة الإسطرلاب أحدهما في التعريف بكيفية صنعها ضمنهما في مقالتين ، أما الكتاب الآخر خُصص لكيفية العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها وهو مقسم على مائة وثلاثين مقالة ، كما أنه صنفَ زيحاً على طريقة الهند المعروفة بالسند هند وهو كتاب كبير يقع في جزئين أحدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول^(٦) .
تمتع أصبغ بن محمد بشهرة واسعة ، وأحتل مكانة مهمة بين أوساط المجتمع الأندلسي وتحلى بمنزلة علمية كبيرة إذ كانَ لمؤلفاته شهرة كبيرة أثنى عليها بعض المؤرخين ووصفت بأنها مؤلفات حسنة ، ومصنفه في التأريخ يُعد مفخرة من مفاخر الأندلس^(٧) .

قدمَ السمح جهوداً علمية كبيرة لأجل تطور علم الرياضيات في الأندلس ، تمثلت في مؤلفاته الكثيرة والتي نالت شهرة واسعة في أوساط العلم والعلماء ، وبعد

أحوال الأندلس. ينظر: ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣ / ١٨٥ ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار أفريقيا ، ص ٩٨ ؛ ابن

الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ .

(١) -البشري ، الحركة العلمية ، ص ٥٨٠ .

(٢) - صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٦٩ .

(٣) - رسالة في فضل الأندلس ، ص ١٨٥ .

(٤) - أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي أشتهر بغزارة العلم ونال مكانة مهمة عند الحكم المستنصر ، ألف كتب كثيرة أبرزها زيح الذي ألفه على أحد مذاهب الهند . توفي سنة ٥٤٢٦ هـ . ينظر : المقري ، نفع الطيب ، ٢ / هامش رقم (٢) ، ص ١٧٦ .

(٥) - بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٤٩ .

(٦) - صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٦٩-٧٠ ؛ طوقان ، تراث العرب ، ص ٣٣٦ ؛ البشري ، الحياة العلمية ، ص ٣٦٥ .

(٧) - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٤٢٨/١ .



ظهور الفتنة في قرطبة^(١) غادرها متوجهاً إلى غرناطة وبها أستقر له المقام عند أميرها حبوس بن ماكسن الصنهاجي^(٢) ، فأهتم به وبالغ في إكرامه وأحسن معاملته^(٣) .

٢- أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي المعروف بابن الصفار (٥٤٢٦ / ١٠٣٤ م) . أحد تلامذة العالم الجليل المجريبي ، تتلمذ على يديه ، ونهل من علمه وساهم في تطور الحركة العلمية في الأندلس ، وكانت له حلقة علمية في جامع قرطبة يلقي فيها دروسه ويعلم تلامذته الكثير من العلوم^(٤) .

٣- العلامة أبو مسلم بن خلدون (٥٤٤٩ / ١٠٥٧ م) من أشرف إشبيلية^(٥) ، كان عالماً في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب ، مشبهاً بالفلاسفة في إصلاح أخلاقه وحسن سيرته^(٦) ، تتلمذ على يد عالم الأندلس الرياضي الشهير المجريبي ، برع في علم الهندسة و الفلك وذاعت شهرته في الأندلس ، وتردد عليه طلبة العلم وألف حلقة علمية ضمت عدد كبير من طلبة العلم فأخذوا عنه العلم ونشروه^(٧) . كما برز في عصر الخلافة الأموية في الأندلس رواد في علم الرياضيات كان لهم دوراً كبيراً في تطور العلوم ومنهم العالم الرياضي الشهير أحمد بن نصر الذي ألف كتاباً في علم الهندسة فأتى عليه ابن حزم وعد كتابه مفخرة من مفاخر الأندلس في الرياضيات ، وأن كتابه المذكور لم يؤلف مثله^(٨) . ونظراً للدور الكبير الذي لعبه المجريبي في تطور علم الرياضيات في الأندلس ولبراعة الأندلسيين في هذا العلم وكثرة مؤلفاتهم العلمية خصهم ابن خلدون^(٩) بالقول : ((ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تأليف فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خلدون من تلامذة مسلمة المجريبي))

لم يكن علم الرياضيات حكراً على الرجال فقط بل كان للمرأة نصيباً في هذا العلم فنتج سجلت المرأة الأندلسية حضوراً بارزاً في ميادين العلم كافة فكان للعالمة لبنى دوراً مهماً في تطور علم الرياضيات في الأندلس ، حيث عملت لبنى كاتبة للخليفة الحكم

(١) - قرطبة : قاعدة بالأندلس وأهم مدانها ومستقر خلافة الأمويين بها ، وآثارهم بها ظاهرة ، وفضائل قرطبة و مناقب خلفائها أشهر من أن تذكر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٧ / ٥٣-٥٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٦ .

(٢) - حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي يكنى أبا مسعود ملك البيرة وغرناطة وما والاها . القسوة يصغي الأدب ، وكان غليظ العقاب ، فارساً شجاعاً جباراً مستكبراً كامل الرجولية ، توفي في مدينة غرناطة سنة ٤٢٨هـ ورث الملك ابنه باديس بن حبوس . ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٤٧٧/١ .

(٣) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٣٩/٢-٤٠ .

(٤) - صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٧٠ .

(٥) - اشبيلية : مدينة بالأندلس جليبة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون ، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي معناه - المدينة المنبسطة - ويقال إن الذي بناها يوليوس القيصر وإنه أول من تسمى قيصر . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٨ .

(٦) - صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٧١ .

(٧) - المقرئ ، نفح الطيب ، ٣ / ٣٧٦ .

(٨) - رسالة في تفضيل الأندلس ، ص ١٨٤-١٨٥ .

(٩) - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١ / ٦٣٧ .

المستنصر ومستبصرة بالحساب حتى أن الضبي خصها بالقول : ((كانت حاذقة بالكتابة ، نحوية ، شاعرة ، بصيرة بالحساب مشاركة في العلم ...))^(١) .
لم يكن ما ذكر حكرًا للمسلمين بل كان لأهل الذمة نصيباً في تطور العلوم في الأندلس ولعل ذلك يعود لسياسة التسامح الكبيرة التي اتبعها حكام الأندلس مع هذه الفئة ورعايتهم لها ، إذ أكدت المصادر والمراجع التاريخية أن الخليفة الحكم المستنصر أهتم بالعلم والعلماء وقام برعاية الأسقف والعالم ريثموند الألبيري، المسمى باسمه العربي، ربيع بن زيد حيث كان أثيراً لديه متمتعاً برعايته الكبيرة، وذلك للمكانة العلمية التي تمتع بها هذا الأسقف وبراعته في علوم الرياضيات والفلك والفلسفة^(٢) .

ازدهرت الحركة العلمية في الأندلس ، نتيجة لاهتمام السلطات الحاكمة ومنهجها في تطوير العلم ورعاية العلماء، وقد نتج عن ذلك أنّ اتسعت آفاق الفكر العلمي ، وضعفت عوامل الازدراء والكراهية لبعض العلوم، إذ لم تعد الناس في الأندلس تنظر للمشتغلين بعلوم الرياضيات والفلك نظرة امتهان أو احتقار بل تغير الحال ، وصار لهذين العلمين مكانة مرموقة بين العلوم ومن يعمل بهما يحظى باحترام كبير حتى أنّ بعض علماء الرياضيات تسيدوا المجالس وعملوا بمهنة القضاء وخير دليل على صحة كلامنا هو تولى العالم محمد بن أحمد بن الليث (ت ١١٤/٥٤٠٥ م) منصب القضاء في الأندلس^(٣) .

أما في عصر أمراء الطوائف شهدَ علمي الرياضيات والفلك تطوراً كبيراً في الأندلس ، ولعلّ سبب ذلك يعود لاهتمام أمراء الأندلس بالعلوم والمجالس الأدبية والعلمية ، إذ يُذكر أن المقنتر بن هود (٤٣٨-٤٧٣/٥٤٧-١٠٤٧-١٠٨١ م) ، وأبنة يوسف المؤتمن (٤٧٣-٤٧٧/٥٤٧٧-١٠٨١ - ١٠٨٥ م) ، أهتموا بالعلم ورعاية العلماء فازدهرت الحركة العلمية وتطورت علوم الرياضيات والفلك والفلسفة والمنطق، وغدت مدن الأندلس وحواضرها مكاناً يقصده طلبة العلم من كل مكان^(٤) . كذلك أهتم حكام بني هود هود في سرقسطة^(٥) بالحركة العلمية فازدهرت العلوم الرياضية وبرز علماء أبرزهم : أبو عثمان سعيد بن محمد بن البيغونس أشهر ببرايعته في الفلسفة وعلم الرياضيات وتتلذذ على يديه العالم مسلمة المجريطي، وأبن جلجل، ولهُ مشاركات في ميدان الطب ذكره صاعد الأندلسي^(٦) قائلاً: ((كان من أهل طليطلة^(٧)) ثم رحل إلى قرطبة

(١) - الضبي ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم (١٥٩٦) ، ص ٧٣٢ ، وينظر ايضاً ابن بشكوال ، الصلة ، ٣ / ترجمة رقم

(١٥٤٣) ، ص ٩٩٢ .

(٢) - بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٤٨؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني ، ص ٥٠٧ .

(٣) - صاعد الأندلسي، طبقات الأمم ، ص ٧٣ .

(٤) - نجادي ، علوم الرياضيات، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٥) - سرقسطة : مدينة في شرق الأندلس وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر أهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمسكن متصلة الجنات والبساتين ، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم من جبل قلعة أيوب ومن غير ذلك ، فتجتمع هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة . ينظر: الحميري ، الروض المعطار ص ٣١٧ .

(٦) - طبقات الأمم ، ص ٨٣ .



لطلب العلم بها فأخذ عن مسلم بن أحمد علم العدد والهندسة وعن محمد بن عبدون ، وسليمان بن جلجل وأبن الشناعة ونظرأهم في الطب ... ، قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيراً منه)).

أما في مملكة بني عباد سطع نجم العالم أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي القرطبي ، وكان بارعاً في علم الرياضيات ، كذلك برز في قرطبة العالم مختار بن عبد الرحمن بن شهر الرعيني في علمي الرياضيات والهندسة والفلك ، وتولى القضاء في مدينة المرية^(٢) ، ثم في قرطبة توفي سنة ١٠٤٣/٥٤٣٥م ، ومن مملكة طليطلة برز المؤرخ والعالم الرياضي صاعد بن أحمد واشتهر بغزارة علمه وبراعته في علمي الرياضيات والفلك ، وألف كتاب أسماه أصلاح حركة الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين ، حيث قام بتصحيح أخطاء الفلكيين وتقويم أعمالهم ومنها تصحيح الأخطاء التي وقع فيها المجريطي^(٣) .

العلاقة بين علم الرياضيات وعلم الفلك .

أنَّ المتتبع لتراجم علماء الأندلس يجد أنَّ أغلبهم جمع في دراسته بين علمي الرياضيات والفلك، ولعلَّ ذلك يعود للارتباط الوثيق بين الدراسات الرياضية والدراسات الفلكية وهو أمر راجع بلا شك إلى حاجة الفلكي إلى الحساب والهندسة، وهما علمان ضروريان فالحساب علم يحتاجه الإنسان لمعرفة الفرائض والضرائب وتمشية أمور الناس اليومية ، أما الهندسة يحتاجها الإنسان في البناء والري ومعرفة حركة الكواكب والنجوم^(٤) ، الأمر الذي ينطبق على علم الازياج الذي يُعد وسيلة هامة يعتمدها الفلكي في دراسته وأبحاثه الفلكية^(٥) . وقد عرفه ابن خلدون^(٦) قائلاً : ((هو صناعة حسابية على قوانين عددية ، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك ، يُعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسابان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية ، وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين وتسمى الازياج)). وقد برع العرب في هذا العلم عدة واستخرجوا مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلاً وتقويماً^(٧) ، وألّفوا فيه كتبٍ مثل

(١) - طليطلة : مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجاره خمسة وستون ميلاً ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .
(٢) - المرية : بالأندلس، مدينة محدثة أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٣٧ .
(٣) - صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٦٩-٧٣ .
(٤) - نجادي ، علوم الرياضيات ، ص ٢٤٩ .
(٥) - البشري ، الحركة العلمية ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .
(٦) - تاريخ ابن خلدون ، ١/٦٤٢-٦٤٣ .
(٧) - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١/٦٤٢-٦٤٣ .

مؤلفات البتاني^(١)، وابن الكمام^(٢). ورغم تقدم الأندلس في المجال العلمي، إلا أن المتتبع لتاريخ هذه العلوم يلمس أن هناك تأخراً في تطور هذه العلوم (الرياضيات والفلك)^(٣)، وعدم ازدهارها إلا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولعل ذلك يعود لكره فقهاء الأندلس لهذه العلوم، وانصراف الناس لدراسة علوم الدين واللغة، واتهام من يعمل بها بثمة الزندقة والتكفير والإلحاد فأحصى الاشتغال بهذه العلوم في فئة محددة من الناس الأمر الذي أثر سلباً على تطور العلوم الرياضية في الأندلس في حقبة من الحقب التاريخية. ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن ثمة علاقة وثيقة بين العلمين إذ لا يمكن فصلهما لاعتماد أحدهما على الآخر، وأن كان علم الفلك أكثر اعتماداً على الرياضيات لذا فمن النادر أن نجد في تراجم علماء الأندلس من يكون فلكياً فقط أو رياضياً فقط.

تطورت العلوم الرياضية والفلكية تطوراً كبيراً في الأندلس لا سيما خلال عصري الخلافة وأمراء الطوائف، إذ برزت في هذا العصر مجموعة من أكابر الرياضيين والفلكيين الذين أضاعت بحوثهم درب الباحثين، لا سيما باحثي الغرب وكان أبرزهم :-

١- أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة (ت ٩٠٨/٥٢٩٦م)، لأنه كان يشرق في صلاته، وكان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها، وعمل في علم الحساب والنجوم^(٤).

٢- يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة (٩٢٧/٥٣١٥م)، من أهل قرطبة، وكان بصيراً بالحساب والنجوم والنحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والأخبار والجدل، ودخل إلى المشرق، وقيل: إنه كان معتزلي المذهب^(٥).

(١) - البتاني : أبو عبد الله محمد بن جابر الحراني الأصل البتاني الحاسب، يُنسب إلى بتان، وهي ناحية من أعمال حران. عمل بالتنجيم واشتهر بأنه صاحب الزيج، الصابي له الأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة. وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين، إلى سنة ست وثلاثمائة، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين. وكان أوجد عصره في فنه، وأعمال تدل على غزارة فضله وسع علمه. وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، عند رجوعه من بغداد، بموضع يقال له قصر الحض، وله من التصانيف " الزيج " وهو نسختان: أولى وثانية، والثانية أجود وكتاب " معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك " ورسالة في " مقدار الاتصالات "، وكتاب شرح فيه أربع أرباع الفلك، ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات، وشرح أربع مقالات بطليموس، وغير ذلك. ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٤/٥.

(٢) - ابن الكمام : محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكبي من أهل بلش يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الكمام كان من جلة صدور الفقهاء الفضلاء زهداً وقناعة وانقباضاً، عُرف بدمائة الخلق، ولين الجانب وحسن اللقاء والسداجة الموهبة بالغفلة، والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة، أشتهر في علم القراءات، يرحل إليه، ويعول عليه، إتقاناً ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط محدثاً ثبتاً، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيهاً متصرفاً في المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العوة، وتجول في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروي وقيد وصنف وأفاد، وتصدر للإقراء بغرناطة وبلش وتخرج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به. ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٦٢-٦٠/٣.

(٣) - عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ص ٥٦-٥٧.

(٤) - ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ١٢٥/٢.

(٥) - المقرئ، نفع الطبيب، ٣٧٥/٣.



- ٣- أصبغ بن السمع الغرناطى (سابق الذكر) ، أشتهر بغزارة علمه فى الهندسة والفلك وله كتب كثيرة فى مجال الهندسة وله زيغ فلكى^(١) .
- ٤- أبو مسلم عمرو بن أحمد ابن خلدون الحضرمى (سابق الذكر) .
- ٥- عبد الله بن أحمد السرقسطى، كان نافذاً فى علم الهندسة والعدد والنجوم، ومحمد بن الليث، كان بارعاً فى العدد والهندسة وحركات الكواكب، وابن حى قرطبى بصير بالهندسة والنجوم، رحل عن الأندلس برحلة علمية إلى المشرق سنة ١٠٥٠/٥٤٤٢م^(٢) . تتلمذ على يديه عدد من علماء الأندلس برعوا فى مجال العلوم الرياضىة والفلكية أبرزهم : ابن برغوث^(٣) الذى أشتهر ببراعته فى العلوم الرياضىة ، وتلميذه أبو الحسن مختار الرعنى^(٤)، وكان بصيراً بالهندسة والنجوم .
- ٦- أبو الحكم عمر الكرمانى ، (ت ٥٤٥٨ / ١٠٦٦م) ، قرطبى الأصل ومن الراسخين فى علم العدد والهندسة، دخل المشرق واشتغل بمدينة حران^(٥) ، وهو أول من دخل برسائل إخوان الصفا إلى الأندلس^(٦) .
- ٧- أبو إسحق بن أبراهيم بن يحيى الزرقالى القرطبى (ت ١٠٨٧/٥٤٨٠م) ، صاحب الجداول الفلكية الشهيرة وأصله من طليطلة ، ويعرف عند الغرب باسم Azarquiel ، أشتهر بكثرة جداوله الفلكية التى عُرفت بالدقة والضبط حتى أنها كانت تُفضل على الجداول الفلكية القديمة ، إذ ساهم الزرقالى فى تطور علم الرياضيات فى الأندلس تطوراً كبيراً ، حيث أن له معرفة واسعة بحساب المثلثات لا سيما المثلث الكروى ، إضافة إلى أن جيب الزاوية واستعماله كان معروفاً فى كتابات الزرقالى ، ونظراً لأهمية مؤلفاته وإنجازاته فى علم الرياضيات فقد ترجمها الغرب إلى اللاتينية^(٧) . وقد كان الزرقالى واحداً من علماء عصره الأفاضل فى علم الحساب والرصد وعلل الأزياج ، ولم تأت الأندلس بمثله من حين فتحها المسلمون إلى وقتنا هذا مع ثقب الذهن وأحكام ما يتناول من الآلات النجومية ، وذكره صاعد الأندلسى قائلاً : ((بأنه أبصر أهل زمانه بالفلك ، وفهم علومه وابتكاره لعدد من آلات الرصد))^(٨)

(١) - صاعد الأندلسى ، طبقات الأمم ، ص ٧٠ .

(٢) - المقرئ ، نفح الطيب ، ٣/٣٧٦ .

(٣) - ابن برغوث الواسطى : محمد بن عمر بن محمد يُعرف بابن برغوث عُرف بحسن سيرته واعتدال أخلاقه متقناً للعلوم الرياضىة ومختصاً بها ، ومولعاً بعلم الأفلاك وحركات الكواكب وأرصادها ، كذلك كان مولعاً بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والقرآن . ينظر : صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٧١ .

(٤) - أبو الحسن مختار الرعنى : قاضى المرية أشتهر بحلواته ووقاره وغزارة علمه . ينظر : المقرئ ، نفح الطيب ٣/٣٨١ .

(٥) - حران : مدينة من ديار مضر قديمة عتيقة، لا يدرى متى بنيت يقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام ويقال هارن، وإليه تنسب حران، وهى مدينة الصابنين ولهم بها تل عليه مصلام، وهم يعظمونه وينسبونوه إلى إبراهيم عليه السلام، وهى من غر البلاد لكنها قليلة الماء والشجر ولها رساتيق وعمارات . ينظر : الحميرى ، الروض المعمار ، ص ١٩١ .

(٦) - المقرئ ، نفح الطيب ، ٣/٣٧٦ ؛ العامرى ، الحياة العلمية ، ص ٢٤٠ .

(٧) - عباس ، تاريخ الأدب ، ص ٣٦٦ .

(٨) - طبقات الأمم ، ص ٧٣ .

٨- أبو الوليد هشام الوقيشي (ت ٥٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) ، يُعد من أشهر علماء عصره تتلمذ على يديه أبو القاسم سعيد بن أحمد الطليلطي صاحب كتاب طبقات الأمم ، أشتهر الوقيشي في إتقانه علم الهندسة والفلسفة والنحو واللغة . ومن إشعاره قوله :-
قد بيّنت فيه الطبيعة أنّها بـدقيق أعمال المهندس ماهرة
عنيت بمبسمه فخطت فوقه بالمسك خطأ من محيط الدائرة^(١) .

وقد برزت ثلاث شخصيات رياضية ساهمت في تطور علم الرياضيات في الأندلس هم : أبو عامر يوسف بن أحمد المؤتمن ملك سرقسطة، وأبو زيد عبد الرحمن بن السيّد، الذي ظهر في بلنسية^(٢) بين (٤٥٦-٤٩٠هـ / ١٠٦٣-١٠٩٦م) ، وكان معلم الفيلسوف والفيزيائي الشهير محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة (٤٦٣-٥٣٣هـ / ١٠٧٠-١١٣٨م) ، وقاضي جيان^(٣) أبو عبد الله محمد بن معاذ (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) . وإلى وقت قريب لم يُعرف أن المؤتمن كتب رسالة مهمة تسمى الاستكمال^(٤)، إلى أن اكتشف البروفيسور هوخندك أربع مخطوطات غير كاملة تحتوي أجزاء من العمل تتعلق بنظرية الأعداد ، والهندسة المستوية، ودراسة مفاهيم النسبة (Elements) لإقليدس، وهندسة الكرة والمجسمات الأخرى والقطوع المخروطية. وثبتت الأجزاء الموجودة من كتاب "الاستكمال" أن المؤتمن كان يملك مكتبة ملكية مهمة تحوي أجود الكتب المتوافرة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لدراسة الرياضيات . وعلى الرغم من ذلك فإن معالجة المؤتمن للمسائل الهندسية لم تقتصر على مجرد إعادة إنتاج ما في المصادر التي اعتمد عليها ، وإنما قدم في كثير من الحالات حلولاً ناجحة تثبت أنه كان هندسياً بارعاً .

أما بالنسبة للعالم ابن سيده ، فإن المصادر التاريخية لم تزودنا بمعلومات وافية عنه ، نظراً لأن مؤلفاته لم يعثر عليها ، ولم يبق أي شيء منها ، فقد كتب في المتواليات الحسابية، مقتدياً في ذلك بالتقليد المتبع في كتاب الحساب (Arithemic) لنيقوماخوس الجرسني، وقد قدّم تلميذه ابن باجة بعض المعلومات في بحثه في الهندسة ، الذي درس فيه الأشكال الهندسية كالقطوع المخروطية والمنحنيات المستوية التي هي أعلى في درجتها من الدرجة الثانية ولا تنتمي إلى القطوع المخروطية . كما درس بعض المسائل التقليدية (الكلاسيكية) مثل تثليث الزاوية وتحديد المتناسبات المتوسطة^(٥) .

(١) - المقرئ ، نفح الطيب ، ٣/٣٧٦ .

(٢) - بلنسية : مدينة تقع في شرقي الأندلس ، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً ، وهي مدينة سهلة وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة الفطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط وقلاع . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٣) - جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغللات القمح والشعير والباقلی وسائر الحبوب، وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً، وبها مسجد جامع وعلماء جلة . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

(٤) - بالنتيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٥٤ .

(٥) - سامسو ، العلوم الدقيقة في الأندلس ، ٢/١٣١٨-١٣١٩ .



أما العالم الرياضى ابن مُعاذ فقد نُشر له ودرس اثنان من مؤلفاته : (المقالة فى شرح النسبة) (تعليق على مفهوم النسبة)، وكتاب (المجهولات) ، ويتناول المؤلف الأول سؤالاً أثار اهتمام المؤتمن ، وهو أن الرياضيين اليونان عدوا أن النسبة لا توجد إلا عندما يكون ناتج القسمة بين مقدارين عدداً منطقياً (جذرياً)، على الرغم من أن أقليدس قد قبل، على ما يبدو، إمكانية وجود النسبة فى حالة العلاقة بين كميتين تعطى القسمة بينهما عدداً أصم ، ويعتبر كتاب ابن معاذ دفاعاً بارعاً عن تعريف أقليدس للنسبة، وأول مثال معروف . كذلك يعتبر (كتاب المجهولات) أول بحث فى الهندسة الكروية ألف فى الغرب الإسلامى، وأول مثال معروف على هذا الفرع المعرفى الرياضى وجد مستقلاً عن علم الفلك . وبينما استخدم الرياضيون والفلكيون اليونانيون أداة مثلثية واحدة، وهى المعروفة بمبرهنة منيلاوس التى أرست العلاقات بين المقادير الستة (الأضراس والزوايا) المنتمية إلى مثلثين كرويين، وقد بذل العرب دوراً مهماً فى تطوير علم الهندسة فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى^(١) ، طوروا سلسلة من المبرهنات الجديدة اتسمت بالدقة ، وساهمت فى توضيح العلاقات بين مقادير أربعة تنتمى إلى المثلث الكروى ذاته. وقد ترتب على هذا العمل نوع من (الثورة فى علم المثلثات) ، وأدخل ابن معاذ سناً من هذه المبرهنات الجديدة لبلاد المغرب . فمؤلفه كتاب المجهولات هو بحث كامل فى علم المثلثات الكروى، درس فيه حل جميع الحالات الممكنة للمثلثات الكروية. ومن الواضح أنه كان مطلعاً على العمل الرياضى والفلكى الذى كان يجرى فى المشرق ويقوم به البيرونى وسابقوه ومعاصروه ، وكانت المراجع التى عاد إليها من بين مجموعة وصلت إلى الأندلس وأوروبا اللاتينية فى حالات نادرة جداً. وكان ابن معاذ أول شخص فى الغرب الإسلامى يستخدم طريقة فى الاستكمال الداخلى التربيعى ويحسب جدولاً لظلال الزوايا أخذت فيه قيمة الميل^(٢) .

(١) - سامسو ، العلوم الدقيقة فى الأندلس ، ١٣١٨/٢-١٣٢٠ .
(٢) - سامسو ، العلوم الدقيقة فى الأندلس ، ١٣١٨/٢-١٣٢٠ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- قائمة المصادر
- ابن الأبار ، أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى ، (ت ٥٦٥٨ / ١٢٦٠م) .
- ١- الحلة السبىراء ، حقه وضبط حواشيه ، حسين مؤنس ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥
- ابن أبى أصيبعة ، أبو العباس احمد بن سديد الدين القاسم بن خلف بن يونس الخزرى الانصارى ، (٥٦٦٨/١٢٦١م) .
- ٢- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥
- ابن أبى دينار ، أبى عبد الله الشيخ محمد بن أبى القاسم الرعنى القيروانى ، (٥١١٠ / ١٦٩٨م) .
- ٣- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس ، ٥١٢٨٦ .
- ابن يشكوال ، أبى القاسم خلف بن عبد الملك ، (ت ٥٧٨ / ١١٨٣م) .
- ٤- كتاب الصلة ، القسم الأول والثانى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ابن حزم ، أبى محمد على بن أحمد بن سعيد ، (ت ٤٥٦٤ / ١٠٦٣م) .
- ٥- رسالة فى فضل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٧
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبى عبد الله محمد بن الخطيب السلماني ، (ت ٥٧٧٦ / ١٣٧٤م)

- ٦- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ٢ ، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٧- _____ ، تاريخ اسبانيا النصرانية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (٥٨٠٨/٤٠٦م) .
- ٨- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس ، خليل شحادة ، راجعه سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠٠٠ .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، (٥٧٤٨/١٣٤٧م)
- ٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩ .
- ابن سعيد ، أبي الحسن علي بن موسى ، (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .
- ١٠- المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف ، القاهرة، د.ت
- صاعد الأندلسي ، أبي القاسم صاعد بن أحمد ، (٥٤٦٢/١٠٧٠م) .
- ١١- طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢ .
- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) .
- ١٢- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللباني ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- ابن عذاري ، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي ، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م) .
- ١٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٢ و ج ٣، تحقيق ج.س كولان وإيفي بروفنسال ، ط ٢ . بيروت ، دار الثقافة . ١٩٨٠م .
- ابن الفرضي ، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي ، (٥٤٠٣/١٠١٢م) .
- ١٤- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، ط ٢ ، غني بنشره وصححه وراجعها السيد عزت العطار الحسيني ، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- المقري ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، (١٠٤١/١٦٣١م) .
- ١٥- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ٢- قائمة المراجع العربية والأجنبية .
- بالنثيا ، أنجل جونثالث .
- ١٦- تاريخ الفكر الأندلسي نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت . البشري ، سعد عبد الله صالح .
- ١٧- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م ، مكتبة الإسكندرية ، ١٩٩٧ .
- الجابري ، محمد عابد .
- ١٨- ابن رشد سيرة وفكر (دراسة ونصوص) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ طوقان ، قدري .
- ١٩- تراث العرب في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بيروت و القاهرة ، د.ت . العامري ، محمد بشير حسن وأريج كريم حمد العتابي .
- ٢٠- الحياة العلمية في الثغور الشمالية الأندلسية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٤ عباس ، إحسان .
- ٢١- تاريخ الأدب الأندلسي عصر السيادة ، ط ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ . عبد البديع ، لطفي .
- ٢٢- الإسلام في اسبانيا ، ط ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ . عبد الرحمن ، مرحبا محمد عبد الرحمن .
- ٢٣- الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط ٢ ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٨ . عنان ، محمد عبد الله



الخاتمة

- ١- أن الكتابة في تاريخ علم الرياضيات ومعرفة أسرارهِ وجذورهِ التاريخية ، لا سيما عند المسلمين بشكل شامل ودقيق يُعد من الأمور الصعبة والمعقدة .
- ٢- لم يكن علم الرياضيات معروفاً أو مكتشفاً في اسبانيا قبل فتح المسلمين لها ، إذ لم تشهد شبه الجزيرة الأيبيرية أي نشاط علمي في العلوم الرياضية وأنَّ ظهور علم الرياضيات في الأندلس كان متأخراً بالمقارنة مع بقية العلوم .

- ٢٤- دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية) العصر الأول القسم الثاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧ . لوبون ، غوستاف .
 - ٢٥- حضارة العرب ، ط٣ ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦ . مظهر ، جلال .
 - ٢٦- حضارة الإسلام وأثرها في الترفي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٤ . المغربي ، السمول .
 - ٢٧- الباهر في الجبر ، تحقيق صلاح احمد ورشدي راشد ، مطبوعات وزارة التعليم العالي ، جامعة دمشق ، سوريا ، ١٩٧٢ . النبوي ، سراج .
 - ٢٨- صنّاع الحضارة الإسلامية ، ط١ ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ٢٠٠٩ . وات ، مونتجمري
 - ٢٩- فضل الإسلام على الحضارة العربية ، ط١ ، ترجمة حسين احمد أمين ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ١٩٨٣ . يونس ، فتحي علي .
 - ٣٠- أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوربية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- الإطاريح والرسائل الجامعية والبحوث المنشورة
- البشري ، سعد عبد الله صالح .
 - ٣١- الحركة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٥٤٨٨ / ١٠٣٠-١٠٩٥ م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٦ .
 - بياكروزا ، مياس .
 - ٣٢- المؤلفات الأولى عن الإسطراب في اسبانيا العربية، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد ٣، مدريد ، ١٩٥٥ . حسيلوي ، نسيم .
 - ٣٣- الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية (١٣٨-٥٤٢٢ / ٧٥٦-١٠٣١ م) ، رسالة ماجستير جامعة الجزائر ، ٢٠٠٠-٢٠٠١ .
 - ساسو ، خوليو .
 - ٣٤- العلوم الدقيقة في الأندلس ، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، الجزء الثاني ، تحرير سلمى الجبوسي الخضري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ .
 - ابو صالح ، وائل .
 - ٣٥- جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس ، مجلة النجاح للأبحاث ، المجلد الثاني ، العدد السادس ، ١٩٩٢ .
 - يحيوي ، حورية .
 - ٣٦- دور الأندلس في نقل العلوم إلى أوربا من سقوط طليطلة إلى سقوط غرناطة (٤٧٧-٥٨٩٧/١٠٨٥-١٠٩٢ م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أكلي محمد أولحاج ، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠١٤-٢٠١٥ .
 - نجاوي ، بوداعة .
 - ٣٧- علوم الرياضيات والفلك في الأندلس من عصر الخلافة إلى سقوط دولة المرابطين ، بحث منشور في الشبكة الدولية للانترنت .

- ٢- أنّ علم الرياضيات يُعد من العلوم التي تعتمد على البرهان ، واثبات الشيء إذ لا مكان فيه للجدل ولا للفلسفة الأمر الذي يتوافق مع الهندسة التي تعتمد على الدقة والكمال في قياس الأشياء .
- ٣- كان للرحلات العلمية دوراً مهماً في تطور علم الرياضيات في الأندلس ، إذ رحل علماء الأندلس إلى المشرق واكتسبوا قدراً لا بأس به من العلوم والمعارف من علماء المشاركة ، وحينما عادوا إلى بلادهم قاموا بنشر هذه العلوم وتعليمها لتلامذتهم .
- ٤- أسهم نظام الأعداد العربية في تطور علم الرياضيات وحل الكثير من المسائل الرياضية المعقدة التي لا تحتمل التأويل .
- ٥- أن اختراع الصفر كان له دور كبير في تطور علم الرياضيات ، وحل المسائل الرياضية المعقدة .
- ٦- أرتبط علم الرياضيات بعلم الفلك والهندسة والجبر، إذ ثمة علاقة وثيقة بين هذه العلوم وعلم الرياضيات، إذ لا يُمكن فصل هذه العلوم عن بعضها البعض.
- ٧- شهدت الساحة العلمية في الأندلس ظهور عدد كبير من علماء الرياضيات، الذين افنوا حياتهم لأجل تطور هذا العلم واكتشاف مكانه، وتدريسه لطلبة العلم.



الحِسَابُ بِنِظَامِ الْجَمَلِ
وَنِظَامِ التَّشْفِيرِ الْمُغَارِبِيِّ

و. جمال عناق

جامعة العربي (التبسي) - تبسة - (الجزائر)
djamel.annak@univ-tebessa.dz

الملخص

هذه الدراسة ركزت على موضوع الأرقام والحروف والجمل وحتى طريقة التشفير عند المسلمين في بلاد الغرب الإسلامي وشملت هذه الدراسة ما يأتي:
-علاقة الأرقام بالحروف.
-تدوين الأرقام والحروف في الوثائق التاريخية.
-نظام التشفير، وعلم إخفاء المعلومات.
الكلمات المفتاحية: الجمل - الحساب - التشفير - المغرب - الترقيم.

Abstract

This research, concentrated on the issue of numbers, letters, sentences, and even the method of coding for Muslims in the Islamic West, and this study included the following:

- Roots, history of science.
- The relationship of numbers to letters
- Recording numbers and letters in historical documents
- Encryption system, the science of steganography

Key words: Abjad numerals - arithmetic - Cryptology - Maghreb - numbering

المقدمة:

لا شك ان احتكاك العرب -حتى قبل إنتشار الإسلام- بأمم كثيرة كالفرس والهند وكنتيجة للتعاملات التجارية، ولحاجتهم إلى الحساب فقد أخذوا من الهنود علم الأرقام التي يطلق عليها الأرقام الغبارية التي انتشر استعمالها في المشرق العربي واستمر ذلك الى اليوم وبقيت مستخدمة في بلاد المغرب الى عهد قريية على اقل تقدير الى غاية القرن التاسع عشرة الميلادي، و هو ما تثبته الكثير من الوثائق التاريخية في استخدامها للأرقام الغبارية، والحساب بنظام الجمل وقيام من يعلمون بهذا الحساب بعمليات التشفير في تعاملاتهم السرية .

-أهمية الموضوع: تظهر أهمية مداخلتنا هذه من حيث أنها ستعمل على إبراز العلاقة بين الحرف والرقم في الحضارة العربية كضرورة تجارية واقتصادية، وأيضاً إظهار أهمية استخدامات الحساب بنظام الجمل، وكذا عمليات التشفير السرية التي كانت تتم في مختلف المعاملات الولا سيما بين المتراسلين من خلال نماذج وثنائية.

الرموز المشرقية الهندية الهوائية (٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩) وللمعرفة شيفرة الأرقام لا بأس أن نذكر من خلال هذا الجدول (الجدول رقم: ٠١) الكلمات التقنية للأبجدية العربية المشرقية والمغربية: والاختلاف الوحيد في مقادير الحروف بين المغاربة والمشاركة هو ما يوضحه هذا الشكل في حروف:

س=300	س
ص=60	ص
ش=1000	ش
ض=90	ض
ظ=800	ظ
غ=900	غ

الجدول رقم ٢

٢- كيفية حساب الجمل: لنعرف أولاً حساب الجمل: الحساب لغة: العد، يقال: حسب الشيء يحسبه حساباً: عده. والحسب العد والإحصاء. والجمل بتشديد الميم..
و أما اصطلاحاً فقول في تعريفه: ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من واحد إلى الألف على ترتيب خاص^(١).
سنعطي أمثلة على حساب الجمل لكي تتضح الصورة فمثلاً كلمة غضنر نقسمها حسب أرقامها إلى:

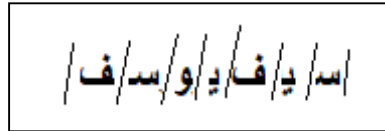




الشكل رقم ٠١

فتعطينا في المجموع: ١٨٥٧

مثلا آخر فلو كان اسمك: سيف يوسف وانت من مواليد ١٩٨٣، وتريد أن تعرف مجموع ارقام اسمك وتنتسر على تاريخ ميلادك فتكون العملية بعد تقطيع حروف الكلمة كالاتي:



س=٦٠/ي=١٠/ف=٨٠+ي=١٠/و=٦/س=٦٠/ف=٨٠

فمجموع الحاصل وهو =٣٠٦ هذا بالحساب المشرقي، اما بالحساب المغربي فالاختلاف هنا هو في الحرف السين الذي مقداره =٣٠٠-٦٠=٢٤٠ ونظيفا الى الحساب السابق:

وهو: ٤٨٦=٨٠+٦٠+٠٦+١٠+٨٠+١٠+٢٤٠

أما اذا أراد ان يعطي لتاريخ ميلاده صيغة حرفية فسيكون الآتي:

١٠٠٠=غ+٩٠٠=ظ+٨٠=ف+٠٣=ج.

فجمع الحروف فنتحصل على كلمة: غظفج. (حساب المشرق)

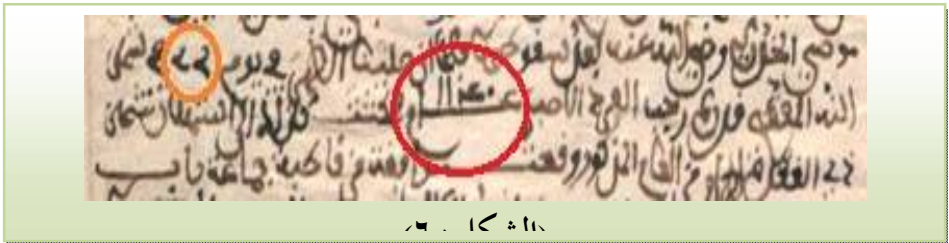
و اما بالحساب المغربي فالخلاف في حرف: ش=١٠٠٠+٩٠٠=غ+٨٠=ف+٠٣=ج

فجمع الحروف فنتحصل على كلمة: شغفج. (حساب المغرب)

ويشير السيد بريسيبييه، الذي كان أستاذ اللغة العربية في المدرسة الجزائرية، في كتابه المعنون: "دورة عملية ونظرية في اللغة العربية"، إلى أن سكان بلاد المغرب يتبعون نظاماً آخر لتصنيف الحروف الرقمية. يتشاركونها في تسع كلمات تقنية، وفقا لترتيب الأرقام التي تشير إلى عدد الوحدات، والعشرات، الخ. وفيما يلي هذه الكلمات التقنية التسع:

ايغش dygach, 1-10-100-1.000	وج was'akh, 6-60-600
بكي bakar, 2-20-200	زعة za'adz, 7-70-700
جلس djalas, 3-30-300	حعض h'afaz', 8-80-800
صت damat, 4-40-400	ضصع t'ad'ough, 9-90-900
هنت hanats, 5-50-500	

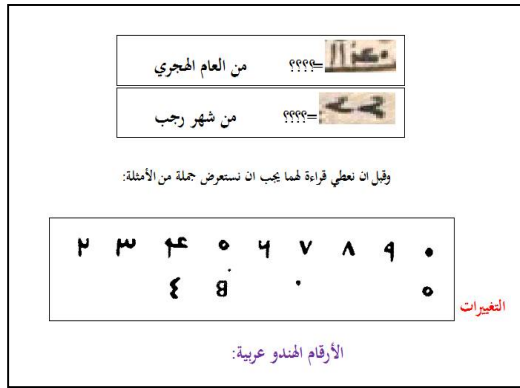
الشكل رقم ٠٢



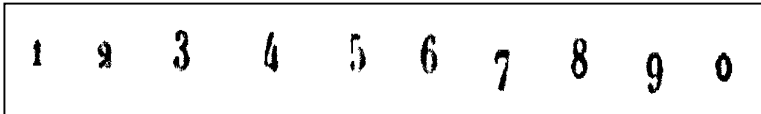
الشكل رقم ٣ .

ويسمى هذا التصنيف بتصنيف: (ايقش) (ayqach)، وهي الكلمة التي نتجت عن مزيج من الحروف الواردة في المجموعة الأولى^(٢).
ثانياً:- تدوين الأرقام في الوثائق والمخطوطات التاريخية:
١- الترقيم في بلاد المغرب الإسلامي:

لعل من بين ما يجده العاكفون على تحليل الوثائق التاريخية ولاسيما التجارية والعقارية أو الوقفية منها وجود مدونات رقمية في هذه الوثائق، وكما قلنا سابقا فان هذه الأرقام إما يكون مصدرها مشرقى أو عثمانى ونحن في هذه الأسطر سنقدم بعض النماذج الرقمية لكي يسهل تعلمها وقراءتها. وكما نلاحظ في الشكل ٠٤ وبالرغم ان الوثيقة تعود تاريخها إلى سنة ١٨م كتبت بخط مغاربي^(٣) إلا أنها استخدمت رقمين مشرقيين وهي ظاهرة بقيت كما قلنا الى عهد قريب. وهذين الرقمين هما:



الشكل رقم ٤ .



الشكل رقم ٥ .

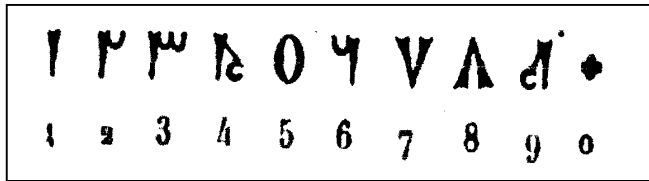
(٢٤٨)



الأرقام المغربية والعالمية الحديثة

يتم استخدام صيغتي اللغة العربية بالتبادل ؛ لكن متغير ٥ بالكاد يتم استخدامه عندما يتم استبدال النموذج الأول من هذا الرقم بالنقطة التي عادةً ما تحدد الصفر. علاوة على ذلك ، فإن الحفاظ على النقطة في مثل هذه الحالة يحدث في بعض الأحيان دون التسبب في أي خطأ.

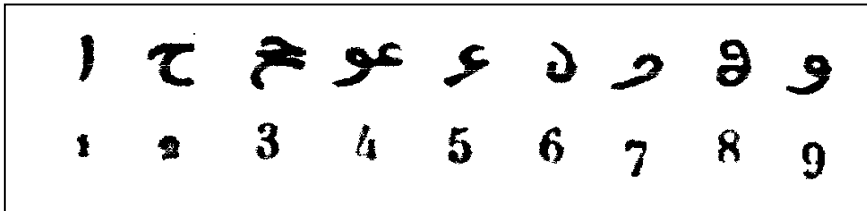
ونلاحظ أيضا الشكل ٠٦ استخدام ولاسيما الأتراك الأرقام المزخرفة المستخدمة في تأطير الساعات الجدارية وهي مرتبطة أيضا بالأرقام الهندية. الشكل ٠٦ والمتغيرات الرئيسية في هيئة الأرقام نجدها في أرقام: ٠-٩-٤



الشكل رقم ٠٦

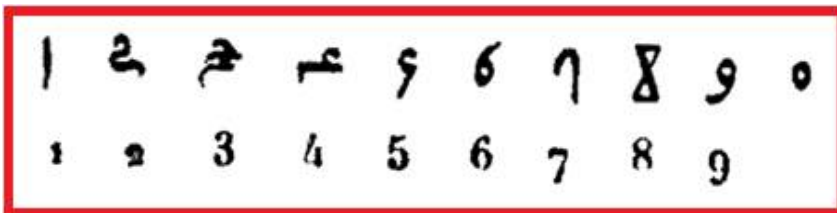
٢-الأرقام الغبارية:

في بعض المخطوطات العربية المتعلقة بالرياضيات، أو الفلك ، هناك أرقام يطلق عليها إسم: الأرقام الغبارية (ghobar) ، ويختلف شكلها إلى حد ما عن الأشكال العادية. اسم الأرقام الغبارية ghobâr ، فمن حيث المبدأ كانوا يكتبون الأرقام على الغبار أو الرمل.



الشكل رقم ٠٧

في هذا النوع من الترقيم لا يستخدم الصفر ؛ بل يشار إليه بواسطة وضع نقطة فوق الرقم لتدل على العشرات أو نقطتين لتدل على المئات أو ثلاث نقاط لتدل على الآلاف وهكذا.. مثال الشكل ٠٨ :



الشكل رقم ٠٨

ولعله من الشكل ٠٩ ومن خلال الاطلاع على الوثائق والكتب المخطوطة المتعلقة بالرياضيات وعلوم الفلك والاسيما في بلاد المغرب سيتم اعتبار الارقام الاتية:



الشكل رقم ٠٩

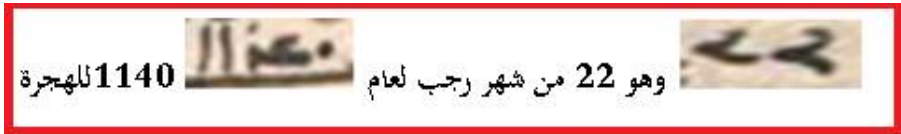
هي الارقام التي كانت مستخدمة والى وقت قريب في التعاملات اليومية المختلفة. ويمكننا

ايضا
ايجاد
الرقمين
الذي



وضحهما هذا الشكل ١٠:

الشكل ٠٩

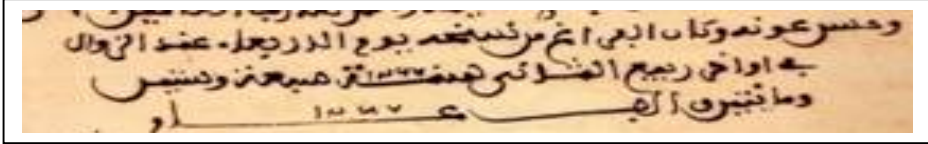


الشكل رقم ١٠



ويمكن ملاحظة ذيل الاثنان أو ميلانها أو الأربعة قصيرة الذيل ايضاً، فيقع خطأ قراءة الرقم الصحيح ولاسيما وأنها عادة كتاب ذلك الزمن وبسبب خشونة قط القلم لاحظ هذه سنة ١٢٦٧هـ، في رقم ٦ كتب حتى انه يكاد يشبه السبعة. أيضاً.

الشكل رقم ١١



٣- كيفية استخدام الكسور في النظام النقدي:

غالبًا ما تتم كتابة الكسور العادية بالارقام التي نستخدمها في تعاملاتنا اليومية، مثل الكسور المحددة للوحدة النقدية ، والتي هي تنقسم إلى ثمانية أجزاء في العديد من الأماكن ، ومن المناسب أن تشير ، على يمين العدد الكلي ، إلى الجزء الأول من الكسر ، مع الحرص للتأكيد عليه. على سبيل المثال:

نشير الى جمع الكسور مثلاً بخمسة اسداس، ثلاثة ارباع وهكذا فمن المعروف ان علوم العدد قوية عند العرب والدليل على ذلك فانهم طبقوا هذه الوحدة النقدية ثمانية اثمان، فهذا الكسر نعبر عنه ب ٠٢ (2١) ثمن من ثمانية بمعنى هو ربع.

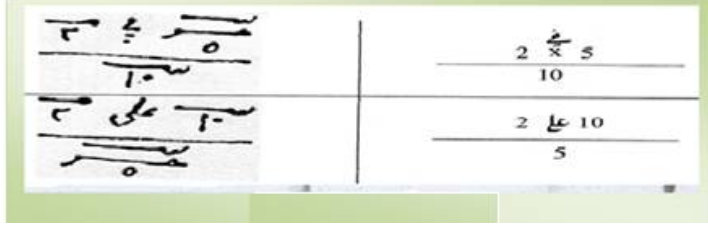
(5) (خمسة ثمن من ثمانية) وهو خمس، فلو نعطي مثال واقعي يقول احدهم: "و قدر اماتته، عينا عينا مائتا دينار اثنتان، ودينار واحد وربع، مع أربعة عشر دينارا، ونصف الدينار". لنحول هذا النص إلى أرقام بتطبيق الوحد النقدية وهي الثمن^(٤):

معناه (201 دينار و $\frac{2}{8}$) ومعناه الربع	$\frac{201}{8}$
معناه (14 دينار و $\frac{4}{8}$) ومعناه النصف	$\frac{14}{4}$

الرمز	المصري	المغربي	الرمز المشترك	العدد الكسري	العدد الكسري المقروء
٠	/	٠	٠	٠	nisf (vulg. nouf).
١	١	١	١	١	tsoulta.
٢	٢	٢	٢	٢	tsoultaïn (tsoultaïn).
٣	٣	٣	٣	٣	roub'.
٤	٤	٤	٤	٤	tsaldtant ãrbã'.
٥	٥	٥	٥	٥	khoums.
٦	٦	٦	٦	٦	souls.
٧	٧	٧	٧	٧	khamsat ãddã.
٨	٨	٨	٨	٨	soub'.
٩	٩	٩	٩	٩	tsoumn.
١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	tous'.

الجدول رقم: ٠٣

وهذا مثال آخر لابن الهائم في شرح الارجوزة صفحة ٣٤ب يشرح عملية استخدامه للكسر العشري بطريقتين للحصول على الناتج. و هو: ١٠ أو ٠.٥ . بقوله ((الأ ترى أنك لو ضربت خمسة أجزاء شيء في مَالَيْن، كما عرفت، لكان الخارج عشرة أشياء))^(٥) أنظر الجدول ٠٤ الموهو:



الجدول رقم: ٠٤

٤- طريقة إيجاد وحساب السنة الهجرية بالنسبة للميلادية:

كثيرا ما نصطدم نحن الذين اصبحنا لا نورخ بالتاريخ الهجري على عكس آباءنا وأجدادنا الذين كانوا يؤرخون بالتاريخ الهجري، ولان معظم أحداث تاريخنا اصبحنا نورخها بالتاريخ الميلادي فقد أصبح من الضرورة معرفة السنة الميلادية التي توافق السنة الهجرية، بحيث نأخذ في الحسبان أن دورة العام القمري الهجري مدته ٣٣ عاماً، ودورة العام الشمسي الميلادي مدته ٣٦ سنة، وان سنة ٦٢٢ ميلادية هي السنة التي هاجر فيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة . فيجب أن تضاف إلى ٦٢٢ عدد السنة الهجري باضافة العدد الكسري $\frac{4}{33}$ المرتبط بدورة العام القمري: ونجري هذه العملية:

$$1440 + 622 = 1440 \frac{4}{33}$$

ثالثاً:- نظام التشفير، وعلم إخفاء المعلومات:

١- ماهية نظام التشفير وإخفاء المعلومات:

لقد سبق وان تطرقنا في العنصر الثاني من هذه الدراسة الى كيفية حساب الجمل بتحويل الحروف الى ارقام معلومة باستخدام حساب ابجد هوز ، وقلنا ان في بلاد المغرب يستخدم اهله نظاما ابجديا مخالفا لما هو موجود في المشرق، فالى جانب



استخدام حساب اجد هوز يوجد نوع ثالث يستعملونه في تأريخ المنتسحات، وترقيم اوراق المخطوطات، وفي عمليات وثائق المحاكم الشرعية، وصار يعرف بالقلم الفاسي^(١) بالمغرب الأقصى، ليتطور هذا النظام وليصبح أداة للتشفير، وكطرق بديلة في إخفاء المعلومات في أدبيات المراسلة والترسل.

والذي يعتمد على استعمال مجموعة من الحروف الأبجدية العربية تعبر عن أسماء الطيور، وفي أبيات الشعر لتشفير رسالة مخفية، وبالإضافة إلى ذلك، فقبل نهاية القرن السادس عشر، ابتكر المغاربة طرقًا أخرى في إخفاء المعلومات كأسلوب للتشفير الرقمي الذي استخدم في عهد الملك المغربي المنصور الذهبي، والذي استند إلى استخدام دالة هاش "حساب الجمل" مع الأعداد الصحيحة، وكذلك شبكة مليئة بحروف من أبيات الشعر في شكل طاولة شطرنج لتشفير خطاب من ثلاثة أرقام تمثل وضع الحرف في الشبكة. وبالتالي كان الشعر هو المفتاح السري الذي يختاره شخصان لتبادل الرسائل السرية^(٧).

وبين القرن السادس عشر والتاسع عشر، كان هناك استخدام مكثف لوظيفة التجزئة "حساب الجمل" من خلال تشفير الأرقام بالحروف ولتشفير الكلمات بالأرقام من أجل ضمان الأفعال المالية والقانونية كما في شهادات الميراث أو الزواج^(٨). فهذه نظرة عامة على بعض الأفكار التي استخدمها المغاربة والتي طورت اليوم باستخدام تقنيات الكمبيوتر الجديدة؛ ومع ذلك، هناك بلا شك العديد من الأفكار الأخرى، التي يمكن العثور عليها، في الوثائق والمخطوطات القديمة. مثل هذه الوثيقة.

٢- كيفية استخدام نظام التشفير:

يعتمد نظام تشفير وإخفاء المعلومات على طريقة لا يفهمها إلا أصحابها لأنه يتخذ السرية في المعاملات المختلفة، والذين لهم مصلحة في إخفاء معلوماتهم المهمة. ورغم قلة الباحثين في هذا العلم الذي قالت عنه الوثيقة انه من اغلا وجوه الإكتناه^(٩) فقليل هم من يدركونه، لذا فاننا سنحاول تبسيطه، وهذا بالاعتماد على احد الوثائق (الوثيقة رقم ٠٢) التي لم يذكر تاريخها إلا أنه من الممكن ان نؤرخها بأواخر القرن ١٩م. من خلال استخدامها لكلمة: "التلغرافات".

وهذه الوثيقة نشرها الدكتور عبد المالك عزيزي^(١٠) ونحن نعيد نشرها كما هي لأهميتها في شرح طريقة التشفير. و تبتدأ الوثيقة ب:

- السطر ٠١: الحمد لله وحده هذا ولما كان الكلام بالارقام من اغلا وجوه الاكتناه
السطر ٠٢: التي يستعين بها على نيل المرام اتخذ هذا المسطور
السطر ٠٣: مشتتلا على اسماء من يكون معهم تداول الكلام مبتدأ فيهم
السطر ٠٤: باسم الجناب المولوي اعزه الله ثم وزراء الحضرة

- السطر ٥٠: الشريفة وأهل الوضائف المخزنية ثم ماهو كثير
السطر ٥٦: الاستعمال من الالفاظ وقد جعل لكل فرد
السطر ٥٧: مما ذكر عدد من الغبار مرقوم بازايه خاص به فكل
السطر ٥٨: ما اريد التكلم في شأنه بالمكاتبة او
السطر ٥٩: التلغرافات فيرقم ماله من الغباري ويجعل
السطر ١٠: خط على هذا الشكل _____ بهذا (بجنب) كل كلمة تميزا
السطر ١١: لها عن التي بعدها وحيث كان الغرض قد لا
السطر ١٢: يتعلق بغير تلك المفردات ضمن هذا المسطور
السطر ١٣: جميع حروف ابجد (...) وجعل لكل حرف منها عدد من
السطر ١٤: الغبار لا يطلق على غيره فاذا اريد التكلم بها
السطر ١٥: يرقم ما لكل حرف من الغباري وتوضع نقطة
السطر ١٦: هكذا (نقطة) دلالة على الفرق بين الحرف والحرف واذا
السطر ١٧: اريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل (A) علامة عليه
-الشرح:

من خلال ما جاء في الوثيقة فإن صاحبها يعلل بأنه وبسبب كثرة الوزارات والوظائف، وأيضا كثرة المستخدمين في مختلف دوائر الحكم، والمُلك في بلاد المغرب الأقصى و عددهم، فإن ذكر أسمائهم وأسماء آبائهم مع كثرة الألفاظ، ولكي لا يقع الخلط، والسقَط فإنه استُعِيظ عن ذلك باستخدام حساب الجمل بحيث أن لكل فرد من هؤلاء خصص له عدد غباري خاص به يعوض حروف اسمه دون سواه.
ومثال ذلك من خلال ما جاء في الوثيقة، ولكي نبسط الامر:
سنأخذ مثلا ثلاثة أسماء لأفراد: محمد- عمر- أسامة . ونحسب قيم كل حرف من اسمائهم (بنظام حساب الجمل):



عمر = ع (200)، م (70)، ر (10). و يفرق بين عدد الأحرف
باستخدام النقطة هكذا: 200 . 70 . 10.

زيد = ز (20)، ي (1000)، د (8) يفرق بين عدد الأحرف
باستخدام النقطة هكذا: 20 . 1000 . 8.

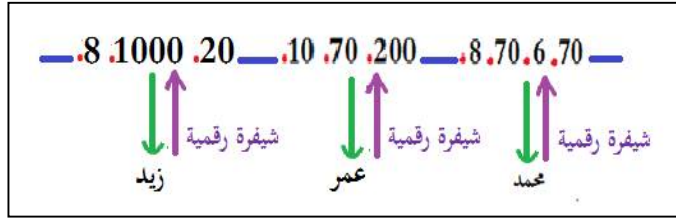
زيد = ز (20)، ي (1000)، د (8) يفرق بين عدد الأحرف
باستخدام النقطة هكذا: 20 . 1000 . 8.

الشكل ١٢

(٢٥٤)

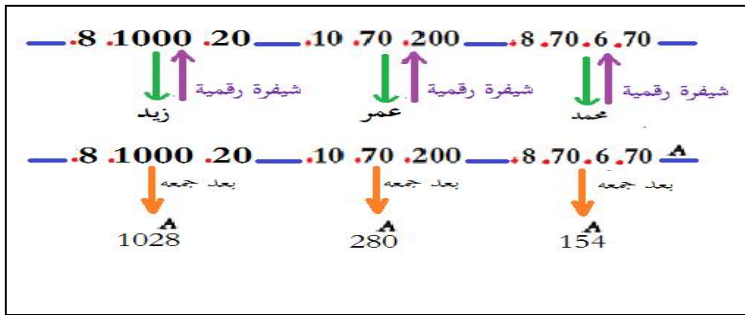


وبعدھا تفرق هذه الأعداد كما قال صاحب الوثيقة (فى السطر العاشر) بمطمة للدلالة على التفرقة بين اسم وآخر، وهكذا توزع أرقام الحروف، وكذا أسماء الأفراد المخفية بشيفرة رقمية هكذا:



الشكل ١٣

ودرءا لكل التباس او خلط بين الأرقام فقد اقترح صاحب الوثيقة استخدام هذا الشكل: (A) والغاية منه التفريق فى الصفحة الواحدة بين الأعداد الأفقية والعمودية بعد جمع الأرقام هكذا:



الشكل ١٤

ثالثاً:- رموز الاختصارات:

وعلاوة مما سبق استعراضه فقد وضع العلماء أيضا فى مسألة الاختصار رموزا فهموا منها الدقة والصحة فقد ذكر ياقوت بن زكريا: "ان شيوخنا من أهل الأدب يتعاملون بان الحرف اذا كتب عليه صح (بصاد) و (حاء)، فان ذلك علامة لصحة الحرف: لئلا يتوهم متوهم عليه خلا ولا نقصا، فوضع حرف كامل علا حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون (حاء) ، كان علامة على ان الحرف سقيم إذا وضع حرف غير تام ليبدل نقص الحرف على اختلاف الحرف، ويسمى ذلك الحرف أيضا ضبة اي ان الحرف مقفل بها لم يفهم"^(١١).

ولقد عملنا على جمع بعض الرموز المتكررة، والمبهمة للقارئ، إضافة للمختصرات التي رأيناها في الوثائق قمنا بتفصيلها في هذا الجدول رقم ٥٠:

الرمز	معناه
	انتهى
	بفره
	ابده الله
	سبدي
	مولانا محمد (كما الدال) تدمج مع اللهم في كلمة محمد) ولا يظهر خط الربط بينها وبين حرف الدال
	بما في ذلك
	و لارض احمد (وسميتها مثل كلمة محمد) بن قاسم
	سكن (الهمزة هنا استبدلت بثلاث نقط)
	حفظ / تعالى / المحطم
	لدمية اسم امراه (لاحظ اضافة حرف دال صغير حتى لا يؤول راه) الفلاني
	الحمد لله تعالى وحده
	سدد (الله الجميع)
	امريا
	اواسط

الجدول رقم: 08

الجدول رقم ٥٠

نتائج البحث:

وفي الأخير ومما سبق نستطيع القول ان البدايات الاولى في تكوين هذا العلم عند المسلمين حسب الكثير من الاراء كانت بعد القرن الثاني الهجري وبالتحديد بعد الكندي وتلميذه احمد البلخي .. وبالرغم من اسبقية اقوام الهند واليونان والفرس في علوم التشفير والحساب الا ان العرب والمسلمين استطاعوا ان يبرعوا فيه ويجدوا العديد من الحلول للمسائل الحسابية والفلكية التي كانت تشغلهم .

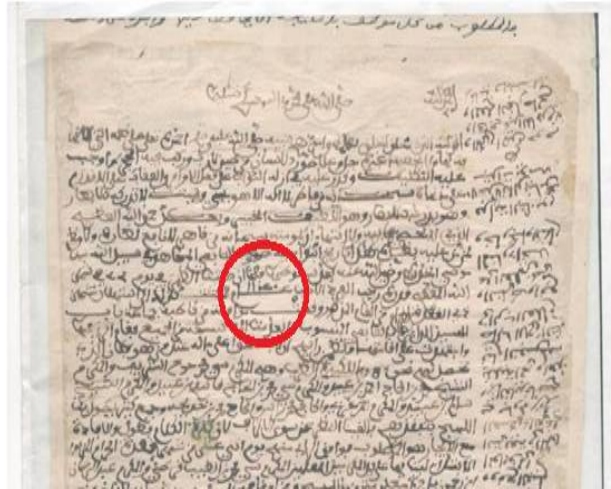
ومما سبق نصل الى هذه النتائج:

- ١- كان سكان بلاد المغرب يستخدم اهل نظاما ابجديا مخالفا لما هو موجود في المشرق
- ٢- الأمازيغ المغاربة و العرب المشاركة كلاهما ساهما في بلورة وتطوير حساب الجمل
- ٣- سكان بلاد المغرب يتبعون نظاماً آخر لتصنيف الحروف الرقمية
- ٤- ضرورة الاهتمام بالتاريخ الهجري والعودة الى العمل والتأريخ به.

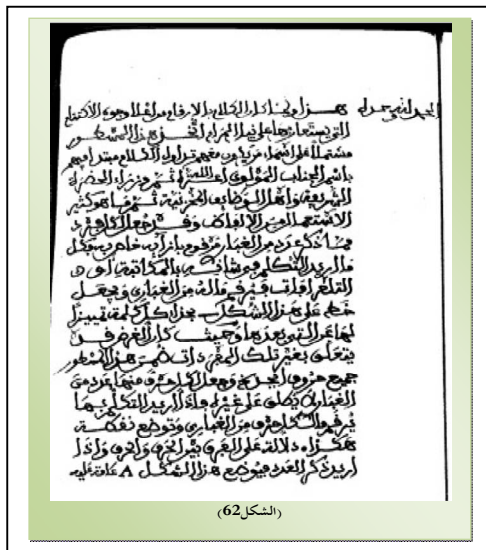


٥- ابتكر المغاربة طرقًا أخرى في إخفاء المعلومات كأسلوب للتشفير الرقمي، ويعتمد هذا النظام على إخفاء المعلومات على طريقة لا يفهمها إلا أصحابها لأنه يتخذ السرية في المعاملات المختلفة، والذين لهم مصلحة في إخفاء معلوماتهم المهمة.

٦- علم الاكتناه هو علم يختص بدراسة المخطوطات وتمحيصها وتاريخها بدقة. ولا يُعني بعلم دراسة فحسب، بل هو اشتقاق جديد للباحث من اكنته الشيء إذا تعرف عليه، واستنتب منه نتائج علمية، فهو معرفة ما وصل إلينا من تراث مكتوب أو منقوش أو مرسوم ثم دراسة واستنباطه المواد التي دخلت في صناعة كل ذلك.



الوثيقة رقم ٠١



الوثيقة رقم ٠٢

الهوامش:

١)حاتم عبد الرحيم التميمي، حساب الجمل في كتب التفسير، جامعة القدس، فلسطين..أيضا: طارق بن سعيد القحطاني، اسرار الحروف وحساب الجمل(رسالة ماجستير) كلية الدعوة واصول الدين، جامعة ام القرى، السعودية، ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص ١٦-٢٠. (Pihan, (A. P), Notice sur les divers genres d ecriture,Paris..٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ١٦-٢٠)
(٣) الوثيقة رقم: ٠١

(Bresnier(L-J),Cours Pratique Et Theorique De Langue Arabe,2eme Id ;Alger.1915.,P 343-344.
(Mahdi Abdeljaouad, Le manuscrit mathématique de Jerba : Une pratique des symboles algébriques maghrébins en pleine maturité, Septième Colloque Maghrébin sur l'Histoire des Mathématiques Arabes (Marrakech, 30-31 mai et 1er juin 2002).P29
٦)السامرائي قاسم، علم الاكتناه العربي الاسلامي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ٢٠٠١، ص ٢١٤

(Ibrahim A. Al-Kadit, ORIGINS OF CRYPTOLOGY: THE ARAB CONTRIBUTIONS
:http://ljk.imag.fr/membres/Bernard.Ycart/mel/hm/AlKadi_cryptology.pdf
٨)عبد المالك عزيزي، التشفير العربي وعلم إخفاء المعلومات في المغرب:
https://link.springer.com/chapter/10.1007/978-3-030-16458-4_4

٩)كلمة الإكتناه كلمة عربية يقابلها في اللغات الأوربية: **Codicology** و **Paleography** وهما مصطلحان لمعنى كلمة الإكتناه التي تهتم بالمكتبة والورق علم الخطوط اشكالها وانماطها..الخ يرجع الى: السامرائي قاسم، المرجع السابق، ص ١٧-١٨-١٩-٢٠

١٠)عبد المالك عزيزي، المرجع السابق، نفس الرابط..
١١)بن قربة، ابحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الاسلامي وحضارته، دار الهدى، الجزائر، ص ٢٥٩ .

المصادر والمراجع:

- ١) بن قربة، ابحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الاسلامي وحضارته، دار الهدى، الجزائر.
- ٢) حاتم عبد الرحيم التميمي، حساب الجمل في كتب التفسير، جامعة القدس، فلسطين..
- ٣) السامرائي قاسم، علم الاكتناه العربي الاسلامي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ٢٠٠١.
- ٤) طارق بن سعيد القحطاني، اسرار الحروف وحساب الجمل(رسالة ماجستير) كلية الدعوة واصول الدين، جامعة ام القرى، السعودية، ٢٠٠٨/٢٠٠٩.
- ٥) عبد المالك عزيزي، التشفير العربي وعلم إخفاء المعلومات في المغرب:
https://link.springer.com/chapter/10.1007/978-3-030-16458-4_4
- ٦) الوثيقة رقم: ٠١

1) Abdeljaouad Mahdi, Le manuscrit mathématique de Jerba : Une pratique des symboles algébriques maghrébins en pleine maturité, Septième Colloque Maghrébin sur l'Histoire des Mathématiques Arabes (Marrakech, 30-31 mai et 1er juin 2002).

2) Bresnier(L-J),Cours Pratique Et Theorique De Langue Arabe,2eme Id ;Alger.1915.,P 343-344.

3)Ibrahim A. Al-Kadit, ORIGINS OF CRYPTOLOGY: THE ARAB CONTRIBUTIONS

4)Pihan,(A. P), Notice sur les divers genres d ecriture,Paris.



الزراعة في التراث

م. رولاء عبد الستار علي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد
yasa_2008@yahoo.com

م. و. رشا عيسى فارس
مركز احياء التراث العلمي العربي
Rasha.eassa12@gmail.com

الملخص

عرف العرب الزراعة واطلقوا عليها مهنة الفلاحة ، وقد ابدعوا في التقنن في زراعة اصناف مختلفة من المحاصيل الزراعية في مختلف انحاء الجزيرة العربية، وعملوا على تطوير اساليب الزراعة من اختيار الأراضي التي تلائم كل محصول، كما اهتموا بعملية الزراعة والغرس والسقي والحصاد. وكان نتيجة ذلك انتشار الزراعة في معظم انحاء الجزيرة العربية وإنتاج بمختلف المحاصيل. وسنحاول في هذا البحث المتواضع أن نتابع مراحل العمل الزراعي ابتداء من اختيار الأرض، وعملية الزرع، واهم البذور الجيدة، وتعهد النباتات بالسقي والاهتمام الى حين نضوجها، وعملية الحصاد ، وسوف نتطرق الى اهم المناطق الزراعية في العصر الاسلامي.
الكلمات المفتاحية الزراعة ، المحاصيل، البذور

Summary

The Arabs knew agriculture and called it the profession of cultivation, and they innovated in the cultivation of different varieties of agricultural crops in various parts of the Arabian Peninsula, and they worked to develop agricultural methods from choosing the lands that fit each crop, as well as concerned with the process of cultivation, planting, watering and harvesting.

The result of this was the spread of agriculture in most parts of the Arabian Peninsula, with various crops.

key words: Agriculture , crops, Seeds.

المقدمة

الحمد لله الذي أوصانا بطلب العلم. وسهل لنا الطريق اليه والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي اصلها ثابت وفرعها في السماء وعلى اله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة التي دنت لهذه الامة وقطوفها المثمرة .

تعد شبه الجزيرة العربية منطقة صحراوية ذات مناخ قاس فلم تستفد من البحار المحيطة بها ، الا ان الموارد المائية في هذه البيداء والمتمثلة بالامطار التي كانت تسقط عليها والادوية التي تجري فيها والعيون والينابيع وعمليات الاستفادة من المياة الجوفية عن طريق الابار واعمال الري المتمثلة بالسدود وغيرها من طرق الري جعلت من الزراعة نشاطاً رئيسياً تعدى ان يكون نشاطاً هامشياً او ان يكون الغرض منه الاشباع الذاتي او التبادل البسيط بل صار تبادلاً واسعاً ادى الى ان حركة التجارة. على الرغم من ان العرب احتقروا كل من يمتهن الزراعة وفضلوا عليها باقي المهن حتى انهم الفوا حياة الغزو.

ومهما يكن الامر فلقد مارس العرب الزراعة واطلقوا عليها اسم الفلاحة والتي عرفت بانها العلم الذي يهتم بالنبات من حيث غرسه والتعهد به بالسقي والتنمية الى ان ينضج ثم يبدأ حصاده ، وتعرف ايضاً بانها علم يتدبر النبات من اول نشوئه الى اكتمال نضوجه وذلك باصلاح الارض وتسميدها وسقي النبات وحمايته من الافات الزراعية

تحلل الدراسات التاريخية السابقة لظهور الاسلام اهمية كبيرة لدى الباحثين ذلك رغبة منهم في الوقوف على اصالة السلف وعلى عمق الفكر العربي ورفيه منذ اقدم العصور، ان مادة البحث قد تناثرت في ثنايا العديد من الكتب والمراجع الامر الذي تطلب منا صبراً وتحمل في جمعها وترتيبها ويأتي في مقدمة هذه المصادر القران الكريم حيث اعتمدنا على معظم اياته الكريمة في الرسالة كلها. وكتب الصحاح والحديث النبوي الشريف الكتب التاريخية فلها مكانة مميزة فلقد غطت معلوماتها فصول الرسالة كلها واهم هذه الكتب كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) وكتاب (اخبار مكة) لابي الوليد بن محمد بن عبد الله الازرقى (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) وكتاب (فتوح البلدان) لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) وكتاب (الفلاحة) لابن بصال (ت ٤٩٩هـ/١٠٥م)

المبحث الأول: الزراعة عند العرب:

الاعشى الكبير يقول:

خربت بيوت نبطية فكانما
لسنا كما جعلت اباد دارهم
لم تلق بعدك عامراً متعهداً
تكريت تنظر حبيها ان يحصدا^(١)

وهنا يهاجم الاعشى قبيلة اباد لانهم يمارسون الزراعة وينتظرون ان يحصد حبيهم بعد الزراعة ، ولعل هذا الاحتقار للزراعة جاء لكونهم ينظرون اليها مهنة دخيلة وهي من اصل ارامي غير ان هذا الادعاء يبطل امام الاراضي الواسعة التي كانت تزرع في اليمن ومنذ اقدم العصور^(٢) وهذا يدل على اصالة الزراعة عند اليمنيين ومنذ اقدم



العصور). ولم تقتصر الزراعة عليها بل شملت عمان والبحرين وهجر واليمامة ومناطق العراق والشام ومناطق متفرقة اخرى.^(٣) وشملت الزراعة بها مختلف المحاصيل والفواكه والخضر^(٤) ومهما يكن الامر فلقد مارس العرب الزراعة واطلقوا عليها اسم الفلاحة والتي عرفت بانها العلم الذي يهتم بالنبات من حيث غرسه والتعهد به بالسقي والتنمية الى ان ينضج ثم يبدأ حصاده ، وتعرف ايضاً بانها علم يتدبر النبات من اول نشؤه الى اكتمال نضوجه وذلك باصلاح الارض وتسميدها وسقي النبات وحمايته من الافات الزراعية. والزراعة تأتي بمعنى الحراث^(٥).

وتعد الزراعة اقدم وجوه المعاش اذ انها بسيطة وفطرية وطبيعية وبقية الصنائع متأخرة عنها وذلك ان اكتشافها جاء بدافع الغريزة اذ استطاع الانسان القديم ان يكتشف ان البذور اذا سقطت بالارض وغطتها التربة وتوالت عليها الامطار تبدأ بالنمو والنضج الى ان صارت الزراعة نشاطاً مارسه الانسان لدرجة انه زرع ما يفيض عن حاجته للخبز والبيع.^(٦) ويذكر ان اول من مارس الزراعة والحراث هو ادم (ع) بالهام من الله تعالى ثم شيت بن ادم (عليهما السلام) ، ثم ادريس (ع) ثم كان الطوفان الذي فرقههم فنسوا كل ما تعلموه في سابق امرهم. وقابيل بن ادم (ع) مارس الزراعة قيل شيت ابن ادم (عليهما السلام)، وقيل ادريس (ع) ذلك لانه قدم قرباناً الى الله ليتزوج اخته كان حزمة من الزرع الرديء^(٧)، وهذا ما اعطاه الأسبقية في ممارسة الزراعة بعد ادم (ع) واعطى دليل على قدم معرفة العرب بالزراعة^(٨).

المبحث الثاني/ مراحل العمل الزراعي

ان الزراعة تتضمن العديد من المراحل يتم خلالها نضج المحصول واهم هذه المراحل هي:

اولاً : اختيار الارض

أ – انواع الاراضي : لا بد من اختيار الارض التي تلائم المحصول الذي يزرع بها ، فالارض هي اساس النبات الذي ينمو فيها فهي اعظم أجزاء النبات. وهي جزء لا يتجزأ من مظاهر الزراعة^(٩) ، والاراضي الزراعية ذات الوان وانواع مختلفة تتميز فيما بينها من حيث جودتها للزراعة^(١٠).

١ - اختيار الارض من حيث اللون وتشمل :

أ – الاراضي السوداء : وهي الاراضي التي يكون سوادها دليلاً على الحرارة فيها وهي ارض تسقط عليها الامطار اكثر من غيرها ، وتنجح في هذه التربة زراعة المحاصيل الزراعية كافة خاصة في فصل الشتاء اما في فصل الصيف فلا بد من سقيها بالماء الكثير والا هلك النبات بها^(١١). ومن الاراضي السوداء في الجزيرة العربية هي الحرر والحره هي الارض التي تكونت بفعل البراكين بل هي اثر من اثارها^(١٢) وهي ذات شكل مستدير وان كان فيها شيء مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع ولقد اشتهرت هذه الحرر بالخصب والنماء وكثرة المياه ومنها حرة خيبر ويذكر انها خير القرى العربية^(١٣).

ب – الاراضي البنفسجية: ان اهم ما يوجد بها وبصورة كبيرة زراعة الاشجار.^(١٤)

ج - الاراضي الحمراء: ويغلب عليها الحرارة واليبوسة لهذا فهي من الاراضي التي تحتاج الى تقليب دائم فيعمل هذا التقليب على التقليل من صلابتها^(١٥) ولا تحتاج هذه التربة في اول زراعتها الى سماد وهي تربة قليلة الادغال والعشب وتصلح هذه التربة للزرع الحشائش الدائمة الخضرة وللأشجار (١٦).

ج - الاراضي الصفراء : تكون فائدتها اقل من الأراضى الأخرى وتحتاج الى سماد ولكن هذا السماد لا يمازجها سريعاً كما في باقي الاراضي لذا تحتاج الى تقليب مستمر وتكرار عملية تسميدها^(١٧). اما اذ ازدادت صفرة الارض لدرجة يكون فيها الصفار فاقعاً فهي لا تصلح للزراعة^(١٨).

الاراضي البيضاء : فهي اراض باردة، تحتاج الى سماد كثير ، كما انها لا تحتل الماء الكثير لبرودتها ولكنها تحتاج الى التقليب الكثير^(١٩).

٢- اختيار الاراضي من حيث المنطقة وتشمل:

أ - الاراضي الجبلية: يغلب عليها طابع البرودة وليس لها مساماً مفتوحة^(٢٠)، تصلح لزراعة بعض النباتات مثل الزيتون والخروب والزعور والاجاص واللوز والتين والفسق والبلوط لكنها تحتاج الى الماء الكثير والسماد^(٢١).

ولقد عُرف عن اهل اليمن بزراعتهم للجبال التي تسقط عليها الامطار بفعل الرياح الموسمية حيث استخدموا نظام المدرجات واهم النباتات التي زرعت بهذه الطريقة هي الكروم^(٢٢)، كما استغل العرب الاراضي الواسعة بين الجبال ، والتي تسمى (الدارة) وهي رمل مستدير وسط فجوة ، وفي الغالب تنبت بها الاعشاب والنباتات الصحراوية كما انها كل ما اتسع واحاطت به الجبال في غلظ او سهولة وفضلها العرب كمناطق للسكن بها كونها خصبة^(٢٣)

ب - الاراضي الرملية : هي اراض تتأثر بالجو المحيط بها فهي حارة في فصل الصيف وباردة في فصل الشتاء وهذا يؤدي النبات الذي يغرس بها^(٢٤) وهي من الاراضي التي تحتاج الى سماد كثير ولكن يكون احتياجها للماء قليلاً . وينبت في هذه التربة نوعاً من الشجر يسمى (الالاة)، وهو شجر اصفر مر الطعم ثمرته تشبه سنبله الذرة^(٢٥)، كما ان الماء يدخل الى اعماقها بسهولة عند السقي فتبدو للعيان كأنها لم تسقى، واجود الاراضي هي التي لا يكثر بها التشققات اذ اشتد عليها الحر واذا كثر المطر لا يكون فيها زلق ولا يطول مكوث الماء على وجهها^(٢٦).

طرق معرفة الاراضي الصالحة للزراعة

استخدم العرب طرق عديدة لمعرفة جودة الاراضي الزراعية ومنها :

Kيقوم العرب بحفر الارض على قدر شبر ثم يقومون باخراج التراب منها بعدها يتم تقطيت التراب المستخرج وبعدها يرد التراب فان امتلئت الارض ولم يزداد التراب دل على ان الارض جيدة^(٢٧) أما اذا زاد التراب عن كميته دل على جودتها ايضاً. واذا نقص التراب ولم يملأ الحفرة دل على ان الارض ليست صالحة للزراعة^(٢٨)



ملاحظة ما يثبت على الارض من نبات من حي^(٢٩) كثرته فكلما كثر النبات ونما نمواً جيداً دل هذا على صلاحية التربة للزراعة.

اذا سقيت التربة ولوحظ ان الطين اكثر من الرمل دل هذا على ان التربة جيدة وصالحة للزراعة، واذا حوت التربة حجارة كبيرة عمل هذا على افساد جودة التربة^(٣٠) كون الحجارة تصبح حارة في فصل الصيف فتحرق جذور الشجر وبعكسه في الشتاء فهي تكون باردة وتضر هذه البرودة جذور الشجر^(٣١).

شم رائحة التراب : فلرائحة التراب اهمية في الكشف عن جودته فاذا كان ذا رائحة رديئة دل على عدم صلاحه، ويكون علاج هذه الحالة بسقيه بالماء العذب في النصف من نيسان واول ايار^(٣٢).

تذوق التراب عن طريق خلطه بالماء فان كان ذا طعم مالح فان زراعة بعض المحاصيل والنباتات لا تنجح^(٣٣)، ولكن تنجح فيه زراعة النخيل وحتى ان المالح نفسه يكون سماداً مهماً لانجاح زراعة النخيل ويتم علاج التربة المالحة عن طريق قلبها بعد سقوط المطر^(٣٤).

ثانياً - عملية حراثة الارض وقلب التربة .

ويراد بمعنى قلب التربة^(٣٥)، هو ان تحرث التربة ويجعل اسفلها اعلاها واعلاها اسفلها مرة بعد مرة فالتراب الذي اسفل فيه رطوبة وبرد والذي اعلاه يكون حاراً ويابساً فاذا قلبت صار الاعلى اسفل والاسفل اعلى وهذا يعمل على معادلتها واصلاحها للزرع^(٣٦) كما ان التربة اليابسة لابد من حرارتها بعمق حتى تضمن عملية قلبها كما ان لحراثة الارض اهمية في تنقيتها من الشوائب الضارة بالزرع قبل الشروع بالبيزر والعمل على التخلص من بقايا ما كان مزروعاً سابقاً لانه يضر بالنوع الجديد^(٣٧)، ويكون موعد حراثة الارض هو فصل الشتاء وواخر الربيع^(٣٨). وقبل البدء بالحراثة لا بد من قلب التربة بالمدق لكسر وسحق الحجارة ان وجدت ليضمن نجاح عملية الحراثة^(٣٩)، واحياناً يقومون بسقي الارض من الابار لتكون الحراثة اسهل والين واذا سقط المطر اكتفوا بذلك وبدوا بالحراثة^(٤٠).

وعملية الحراثة تعني نشر الحب في التربة وهذا يعني ان تقلب الارض في الوقت نفسه مع طرح البذور بها^(٤١) والحراثة تكون اما على شكل الواح طويلة^(٤٢)، او مربعات تتخللها السواقي والقنوات وبعدها تكون عملية الزرع والغرس والمحراث هو الالة التي يحرث بها اذ تشقق اسنانها المتجهة نحو الارض التربة وتفتيتها وتهشمها^(٤٣).

ويتم سحب هذه الالة اما من قبل الانسان نفسه او الحيوان كالثيران والحمير او الخيول والجمال حسب كثرة الحيوان وتوفره^(٤٤) واستخدمت الابقار في الحراثة ولعل خير دليل هو قوله تعالى: *قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ*^(٤٥) واحياناً يحرث الفلاح الارض بنفسه او يستخدم اشخاصاً للحراثة مقابل اجر^(٤٦) واستخدم العرب في الحراثة العديد من الالات لحفر الارض كالمحفر والمعول والمخدة كما استخدموا العتلة وهي حديدة ذات راس عريض اسفلها خشبة تستعمل لحفر الارض^(٤٧).

ثالثاً - عملية الغرس والزرع

بعد تهيئة الارض يقوم الفلاح بنشر البذور وتكون عملية نشرها بصورة متساوية ومنظمة (.) واستعمل العرب لذلك الملقه وهي خشبة عريضة تجرها الثيران وهي ثقيلة تسوى بها

الارض وتدفن بها الحبوب وتملس الارض^(٤٨) واحياناً يقوم الفلاح بوضع البذور بالحفر ثم يغطيها بالتراب كي يمنع الطيور من اكلها والحفاظ عليها من اثار الجو^(٤٩) ولا بد من اختيار البذور ذات المواصفات الجيدة السمينة وتجنب البذور الرقيقة والمهزولة ، واذا كانت ذات الوان وانواع مختلفة واريدها معرفة اجودها يتم زرع كل صنف على حدة وبعد نموها يحكم على الأفضلية فيما بينها^(٥٠) واحياناً تكون عملية الزراعة عن طريق الغرس ، وذلك بغرس قضبان من صنف من اصناف الاشجار^(٥١) او يتم زرع نواة النبات وهذا ما يحدث في الجوز واللوز والتمر حيث تؤخذ نواة التمر وتزرع على ظهرها في حفرة عمقها ذراع وتغطي بالتراب واحياناً يغرس النخيل بشكل فسائل^(٥٢)، ويكون الغرس ايضاً بواسطة الاقلام من الشجرة المراد زرعها على ان تكون الشجرة ذا صفات جيدة يسمح بالزراعة منها^(٥٣)، وافضل اوقات الغرس بالبلاد القليلة المطر وهو فصل الخريف وذلك حتى لا تتضرر الاغراس برطوبة الجو^(٥٤)، كذلك يرتبط الغرس بسقوط الغيث^(٥٥)

رابعاً - السقي

تعهد النبات بسقيه بما يحتاج اليه من الماء^(٥٦)، وذلك اما عن طريق مياه الامطار او سقي النبات من مياه العيون والابار العذبة . وهذه المياه تكون موافقة لجميع انواع الخضر والنباتات وخاصة المطر الذي هو احمد المياه^(٥٧)، كذلك الاستفادة من مياه الامطار باقامة الصهاريج والاستفادة من مياه الودية باقامة السدود والاحباس^(٥٨) ، وغيرها من عمليات السيطرة والاستفادة من الموارد المائية بسقي المزروعات لزيادة رقعة الاراضي الزراعية^(٥٩).

وبعد ذلك هناك العديد من العمليات يتم من خلالها الاعتناء بالنبات منها :

- ١ . اضافة السماد الذي تكون مادته الاساسية فضلات الحيوانات والطيور^(٦٠) واحيانا تكون عملية السماد وتقوية التربة قبل الحراثة للزرع وذلك عندما يقوم الفلاح بجمع الاعشاب والادغال وحرقتها فوق سطح التربة المراد زراعتها وهذا يعمل على تقوية التربة^(٦١). وتكون عملية السماد كل عام وذلك لفائدة النبات^(٦٢).
- ٢ . حماية الحقول المزروعة من عبث الطيور وقد استخدم العرب وسائل عديدة منها ما يسمى (اللعن) وهي دمية على هيئة رجل^(٦٣). والخيال ايضا دمية كهيئة الرجل تخاف منه الطيور فلا تخرب الحقول المزروعة^(٦٤).
- ٣ . بعد ان تبدأ الاشجار بالنمو تبدأ الثمار بالظهور والنضوج لا بد من تعديل الاغصان المائلة. كما لا بد من استئصال النباتات الضارة^(٦٥).



٤ • يجب الانتباه الى الافات الزراعية التي تصيب الزرع وتلحق الضرر به^(٦٦) ومن الافات الزرعية الجرذان التي تضر النخيل والاراضي المهيئة للزرع^(٦٧) كذلك الاعداد الضخمة من الجراد الذي يهاجم الحقول ويسبب مجاعة كبرى^(٦٨). وهناك امراض تصيب الزرع منها البثق وهو داء يصيب الزرع لكثرة المطر والشقران وهو داء يصيب ساق النبات ثم يصعد الى ثمره ، والريقان يصيب الزرع بصفار ، والمدق داء يصيب النخل فلا تحمل ثماراً بعدها^(٦٩). وهناك نقوش يمانية بينت كيف يندرع الفلاحون الى الالة المقه لينجيبهم من الافات^(٧٠) وافات الزرع الكثيرة منها البرد والمطر والطيور التي تأتي على الزرع وتأكّل ثمره والدود وعفن الثمار التي تصيب رؤوس الشجر والعطش الذي يصيب الثمر بسبب انقطاع ماءها واحتباس السماء^(٧١).

خامساً : عملية الحصاد

بعد نضوج المحصول تبدأ عملية حصده ويستعمل المنجل لذلك خاصة في الحبوب^(٧٢) ولقد ورد ذكر المنجل في شعر العرب حيث جاء في قول عنتره بن شداد بنواظر زرق ووجه اسود واصافر يشبهن حد المنجل^(٧٣). وترد لفظة (فقل) وهي بمعنى الحصاد^(٧٤). وفقل وهي البيادر التي تجمع بها الحبوب بعد ان تجف وتتضج وبعدها يدوسها الفلاحون بأرجلهم لت هشيم السيقان والحصول على الحب واذا كانت كمية المحصول كبيرة استخدموا الحيوانات^(٧٥). اما قطف الثمار يسمى الصرام^(٧٦) او الجداد. وتعني قطف الثمار بعد نضجها وجمعها . بعدها يؤخذ المحصول الناضج اما للخرن او للبيع وكان اهل اليمن يخزنون الحبوب في مخازن تحت الارض لحفظها وتسمى هذه الطريقة بـ(المدفن) وهي طريقة استخدمها اغلب العرب في شبه الجزيرة العربية^(٧٧).

المبحث الثالث/ مناطق شبه الجزيرة العربية واهم المحاصيل المزروعة فيها

تنوعت المحاصيل الزراعية واختلفت انواعها ، ويذكر ان ادم (ع) لما هبط الى الارض كان معه ثلاثون قضيباً من اصناف الثمر منها ما له قشر مثل الجوز والفسق ومنه ما لثماره نوى مثل الزيتون والتمر ومنه ما ليس له نوى مثل التفاح والكمثرى^(٧٨). وغيرها من الثمار التي اختلفت في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وسوف اذكر مناطق شبه الجزيرة العربية واهم ما زرع فيها :

اولاً : بلاد الحجاز

أ • يثرب :

تعد يثرب من المناطق الزراعية الرئيسية في الحجاز نتيجة لانتشار الاودية والعيون والابار بها^(٧٩). وترتيبها ذات النوع البركاني الخصب^(٨٠) اضافة الى طيب جوها وهوائها^(٨١) وقيل ان اليهود سكنوها لانهم وجدوا في التوراة ان نبياً يهاجر من العرب الى بلد فيه نخل بين حدتين فسكن قسم منها تهامة واخرون خيبر الا انهم عندما عرفوا المدينة تأكدوا من انها هي المقصودة (٨٢) ، ولقد هاجر الرسول (ع) اليها ودعا لها مثل ما دعا ابراهيم (ع) الى مكة فقال (ع) : اللهم اني ادعوك للمدينة بما دعاك بمثله ابراهيم لمكة هو ان يرزقهم الله بثمرات وان يجعل أفئدة الناس تهوى اليهم يعني ان

يجلب لهم انواع الثمر^(٨٣) هذه العوامل شجعت على قيام زراعة ناجحة فقد ذكر ان الرسول (ص) التقى الصحابي الجليل سعد بن معاذ الاوسي (رض) فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): "ما هذا الذي بيدك يا سعد ، فقال من اثر المسحاة، اضرب وانفق على عيالي فاكرمه النبي وقال (هذه يدٌ لا تمسها النار)

وهذا يبين ممارسة الزراعة من قبل اهل يثرب وانتاجها للعديد من المحاصيل الزراعية الا ان النخيل كان في مقدمة ما انتج بها^(٨٤) والنخلة من المنتوجات الزراعية المباركة لا توجد الا في البلاد الاسلامية وعن النبي ان(صلى الله عليه وسلم) قال : " اكرموا عمتم النخلة " وسماها عليه الصلاة والسلام بـ(عمتنا) لانها خلقت من فصيلة طين ادم (ع) وهي تشبه الانسان في استقامته وانه اذا قطع راسها هلكت واذا قطع جزء منها لا يعود^(٨٥) ولقد ورد النخيل في العديد من الايات القرآنية منها قوله تعالى :وَأَيُّ لُهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ^(٨٦).

وقوله تعالى : وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ^(٨٧).

فلقد ذكرها بصورة مباشرة في القران الكريم ١٧ مرة والكلمات التي لها صلة وثيقة بالنخيل (١٠ مرات)^(٨٨).

وامتازت يثرب بانتاج انواع كثيرة من التمور اهمها واجودها هو تمر "الصيحاني" الذي لا يوجد في غيرها من البلاد كذلك يزرع بها (حب البان) الذي يحمل الى سائر البلاد كذلك تزرع بها الحبوب مثل الشعير والحنطة ولعل خير دليل على ذلك غزوة السوق^(٨٩)

عندما غزى ابو سفيان المدينة ولما شعر به الرسول لاذ بالهرب وقام بالقاء اكياس السوق التي جلبها من المدينة^(٩٠).

ونجحت بها زراعة كل من العنب وانواع الفواكه والخضر مثل الترنج^(٩١) والسفرجل^(٩٢) ولم تقتصر الزراعة على يثرب فقط بل اشتهرت مخاليفها بالزراعة ومنها خيبر فعندما فتح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيبر ودخلها بجيشه فستقبله اهل خيبر وقد خرجوا بمساحيهم وهذا دليل على انها بلدة مارست الزراعة وعرفتها (٩٣) كما عرفت بمزارع ذات النخيل وحدائق ومياه تجري^(٩٤) ولقد فتحها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنوة وقسم تمرها بين اليهود والمسلمين النصف بالنصف^(٩٥) وكذلك وادي الصفراء بها من اكثر الوديان زراعة ونخيل وحدائق^(٩٦).

ب . الطائف :

سميت الطائف لانها في طوفان نوح (ع) انقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالارض حتى ارست موضعها^(٩٧) وهي بلدة طيبة الهواء الا انها شديدة البرد حتى ان الماء يجمد فيها لطيب هوائها وليس في الحجاز موقع يجمد الماء فيه سواها^(٩٨) والزراعة في الطائف مهنة رئيسية لغزارة المياه وخصوبة التربة فضلاً عن المناخ



الملائم لهذا كثرت بها الفواكه وهي تشابه فاكهة الشام^(٩٩) وكذلك عرفت الطائف بزراعتها العديدة للنخيل والموز^(١٠٠) اضافة الى شهرتها بزراعة العنب وزبيبها المعروف بحسنه وتجهيزه الى سائر البلاد واكثر فواكهة مكة كانت منها^(١٠١) ولقد ذكر العنب في القرآن الكريم في العديد من الايات الى جانب ذكر النخيل كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^(١٠٢). وقوله تعالى ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(١٠٣). حتى ان الزبيب يسمى (الطائفى) لشهرة الطائف به^(١٠٤). وان الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) امر ان تأخذ زكاتهم زبيباً^(١٠٥). كذلك انتجت الطائف الحبوب والتمور الطرية^(١٠٦) وتنتج الحنطة بشكل كبير في الطائف بحيث ان حواضر الحجاز كلها تعتمد عليها خاصة مكة^(١٠٧).

ج . مكة :

تقع مكة بين شعاب الجبال في وادي غير ذي زرع عند بيت الله الحرام^(١٠٨). قال تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ^(١٠٩). حيث تفتقر للاشجار المثمرة^(١١٠). والمياه الجارية والابار^(١١١). ومياهها ان وجدت فهي قليلة لا تكفي لنمو بعض الاعشاب التي تكفي لرعي المواشي اضافة الى نمو بعض الشجيرات الصحراوية في الجبال المحيطة بها^(١١٢). هكذا فان مواردها ضئيلة لهذا فلم تحتل الزراعة مكاناً في اقتصادها بل اعتمدوا على التجارة في توفير كل ما تحتاج اليه من غلات زراعية^(١١٣) وذلك لان الخارج من مكة يلاحظ الاودية العديدة والمياه الجارية والابار والمزارع المتصلة وخاصة الطائف التي جلبوا منها الزبيب واستعملوا في سقاية الحجاج اضافة الى امتلاك المكيين الكثير من الضياع والبساتين فيها وكذلك عملوا على الاستيراد من المدينة المنورة وهذا ما ذكرناه عن غزوة السوق^(١١٤) كذلك اعتاد اهل مكة على شراء التمر منها وكانوا يعرفون انواع التمور واجودها ولعل خير دليل على ذلك ذكر بان الله سبحانه وتعالى عندما ذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم تخويفاً لقريش فان ابي جهل قال(يامعشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد) قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها تزقماً^(١١٥) فانزل الله قوله تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ^(١١٦) أي ليس كما يدعى ابو جهل .

ثانياً - اليمن

مارست اليمن الزراعة ، وذلك لتمييز تربتها بالخصوبة وكذلك وجود المناخ وتوفير المياه فلم يقتصر على زراعة السهول الفسيحة بل زرعو سفوح الجبال ومنحدراتها وبرعو بمشاريع الري وبناء السدود والقنوات لهذا فلقد تنوعت محاصيلها الزراعية لدرجة انها كانت تسمى اليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها^(١١٧) كما عرفت ببلاد العرب السعيدة وللسبب نفسه^(١١٨).

وفيها انواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر^(١١٩) وهي من البلاد التي تزرع بالسنة اربع مرات وتحصد كل زرع في ستين يوماً^(١٢٠) والمحاصيل التي تزرعها اليمن كثيرة . فمن الحبوب تزرع اليمن القمح (النسول) و (بر العلس)^(١٢١) وكذلك البر والميسانى والهلباء التي تزرع في منطقة نجران^(١٢٢) وقد عثر على قطعة من المرمر منحوت عليها صورة سنابل القمح وهذه القطعة موجودة في متحف صنعاء وهي دليل على زراعة القمح في اليمن^(١٢٣) كذلك عرفت اليمن زراعة الشعير وذلك في العديد من مناطق اليمن حيث يزرع في فصلي الشتاء والصيف^(١٢٤)

اما الذرة فتزرع باليمن بالوانها فمنها الابيض والاصفر والاحمر والغبراء^(١٢٥). وعرفت ظفار بزراعتها للذرة^(١٢٦) وكان اليمانيون يستخرجون منها شراب اسمه المرز وقد نهاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنه حيث ذكر ان رجلاً من اهل اليمن اتى الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال له ان لنا شراباً يقال له المرز من الذرة فسأل الرسول(صلى الله عليه وسلم) له نشوة ، قال نعم ، قال فلا تش(صلى الله عليه وسلم) ربوه^(١٢٧) ، كما زرع في اليمن الدخن واستعمل كعلف للحيوانات^(١٢٨) ويكثر النخيل باليمن وخاصة في حضرموت^(١٢٩) ويذكر ان ينبع فاقت يثرب في كثرة النخيل الذي بها^(١٣١) حيث كانت النخلة رمزاً للشمس كما جعلها قبلهم السومريون^(١٣٢) كما زرع النخل في نجران فلقد عرفت اليمن انواع مختلفة من التمور كالملاحى والنواسى والزيادى والفارسى والجرشى والرومى^(١٣٣).

كما زرع العنب فيها بانواعه المختلفة ، ففي صنعاء وحدها سبعون نوع منه^(١٣٣) وقد زرع العنب في اليمن باقامة المدرجات^(١٣٤)، اما الفواكه فلقد تنوعت هي الاخرى في اليمن ففيها ما لا يعد ولا يحصى من الفواكه فلقد زرع فيها اصناف الخوخ والتين والكمثرى والاجاص والتفاح الحلو والحماض واللوز والجوز والسفرجل والرمان ويزرع ايضاً قصب السكر والموز الذي امتاز بكثرتة وخاصة في صنعاء والقضاء والبطيخ^(١٣٥) كما تتجج بها زراعة القطن^(١٣٦)، وزرعت بها انواع من النباتات ذات الاستخدامات الطبية فلقد ذكر عن اليمن ان اربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون الا باليمن هي الورس والكندر والخطر والعقيق^(١٣٧).

فالورس نبات اصفر يشبه الزعفران تصبغ به الثياب وعرفت ظفار بزراعة اشجار البخور^(١٣٨) كما زرعت باليمن اللبان وهو شجرة صغيرة تقطع فصل الصيف فيسيل منها صمغ ذو لون اصفر ذو رائحة طيبة ويعد مادة اساسية عند تقديم النذور للالهة كما استخدم في التحنيط^(١٣٩). واشتهرت ظفار بتصدير اللبان والبخور ، كما زرع في اليمن المر واستخدم ايضاً في التحنيط وعلاج بعض الامراض^(١٤٠) فضلاً عن ذلك زرعت باليمن نباتات طبية عديدة اخرى مثل البصل والثوم لعلاج القلب والسكر^(١٤١) وزرع الجزر الذي استفاد منه في امراض الكلى والبن الذي استفاد منه في تنشيط الذاكرة واراك الذي استخدم في الالتهابات والقضاء على البكتريا والحناء لعلاج بعض الامراض الجلدية والحرمل لتسكين الام الولادة والكافور لعلاج التهابات الرئة^(١٤٢)



فضلاً عن زراعة اصناف من الورد والياسمين والنرجس والسوسن وكلها ضرب من الرياحين استخدمت لصناعة العطور^(١٤٣).

الخاتمة

استطعنا بفضل من الله سبحانه وتعالى اكمال دراستنا لموضوع البحث فغطينا جوانبه قدر استطاعتنا متوصلين الى نتائج عدة:

- لم ينظر للزراعة نظرة ازراء بل على العكس من ذلك كان للزراعة دور كبير وفعال وقد دخلت بجميع مجالات الحياة وصارت اهم السلع التجارية وبهذا صارت بصماتها الواضحة في الحياة
- اضافة الى ذلك اصبحت الزراعة علم تعرف العرب من خلاله التربة الجيدة وملائمة كل نوع لنبات معين حسب خصائص كل تربة والوانها وماتحويه
- تعددت طرق الزراعة واختلفت وسائلها وكل ذلك كان ابتكار من العرب لتسهيل العمل وزيادة الأنتاج
- كما امتهن الزراعة العديد من القبائل العربية وتنوعت المحاصيل بها من الخضار والفواكه
- برزت العديد من المناطق العربية التي امتازت بزراعة نوع معين من المحاصيل الزراعية كالطائف التي عرفت باجود النواع العنب ومكة التي اشتهرت باطيب انواع التمور
- اخيراً أتمنى ان يكون بحثنا هذا قد اعطى صورة عن تطور الزراعة وممارستها بشكل مهنة مستقلة عكس الدور الفعال على المستويات كافة لأثر الزراعة على الحياة العامة للعرب في الإسلام .

الهوامش :

- (١) الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، ديوان الاعشى الكبير ، تحقيق :محمد حسن ، القاهرة- ١٩٥٠ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (٢) غويدي ، اغناطيوس ، محاضرات في تاريخ اليمن ،مصر- ١٩٨٧، ص ٦٦ - ٦٧ .
- (٣) خليل ، محسن ، في الفكر الاقتصادي العربي ،تونس- ١٩٨٨ ، ص ٣٨ .
- (٤) معروف ، ناجي ، اصالة الحضارة العربية ، ط٣ ، بيروت - ١٩٧٥ ، ص ١٥٨ .
- (٥) كحالة ، عمر رضا ، العلوم العلمية في العصور الاسلامية ، دمشق - ١٩٧٢ ، ص ١٦٩ .
- (٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، ج ١، بيروت - ١٩٨١، ص ٣٢٢ .
- (٧) طاش كبرى زادة ، مصباح السعادة ومفتاح السيادة ، بيروت - ١٩٨٥ ، م ١، ص ٣٠٨ .
- (٨) العيني ، عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، بيروت - لات ، ج ١١، ص ١١٠ .
- (٩) مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط٢ ، بيروت - ١٩٨٢ ، ص ٥٥٠ .
- (١٠) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج ١، ص ٢٤٦ ؛ ابن كثير ، قصص الانبياء ، ص ٤٧ .
- (١١) ابن البصال (ت ٤٩٩هـ/١١٠٥م)، الفلاحة ، لندن- ١٩٦٧، ص ٥٤ .
- (١٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، بيروت - ١٩٧٧ ، ج ٢٧، ص ٢٤٧ .
- (١٣) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، بيروت - ١٩٧٩ ، ص ١٣ .
- (١٤) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٥ .
- (١٥) حمزة ، فؤاد ، قلب جزيرة العرب ، ط٢ ، الرياض - ١٩٦٨ ، ص ٥٧ .
- (١٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢، ص ٢٤٥ .
- (١٧) البكري ، منذر عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٦٣ .
- (١٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، لات ج ١، ص ٣٠٨ .
- (١٩) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٣ .
- (٢٠) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٧ .

- (٢١) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ .
- (٢٢) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٦ .
- (٢٣) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٣ - ١٤ .
- (٢٤) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٠ - ٤٦ .
- (٢٥) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤١ - ٤٣ .
- (٢٦) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ .
- (٢٧) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٢ - ٤٣ .
- (٢٨) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .
- (٢٩) الحضرمي ، عبد الرحمن عبد الله ، الحضارة اليمنية ، مجلة دراسات يمنية ، ع ٤٤ ، صنعاء - ١٩٩٢ ، ص ١٢٠ .
- (٢٩) الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب ، الدارات ، مجلة المشرق ، ط ١ ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت - ١٨٩٨ ، ص ٢٥ .
- (٣٠) الاصمعي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق : حسن الياسين ، بغداد - ١٩٥٩ ، ص ٦
- (٣١) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج ١ ، ص ٣٨٧)
- (٣٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ١٤ .
- (٣٣) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن - لا . ت ، ص ٣٣ .
- (٣٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ١٤ .
- (٣٥) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ .
- (٣٦) المصدر نفسه ص ٢٢ .
- (٣٧) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٤ .
- (٣٨) الاشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، لام ، لا . ت ، ص ٦ .
- (٣٩) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٥ .
- (٤٠) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ - ١٥ .
- (٤١) الاشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، ص ٧ .
- (٤٢) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ - ١٥ .
- (٤٣) علي ، جواد ، المفصل ٣٣ .
- (٤٤) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٤ - ١٥ .
- (٤٥) المصدر نفسه ص ٣٣
- (٤٦) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ٦
- (٤٧) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٦ - ٥٧ .
- (٤٨) ابن العوام ، الفلاحة ، بيروت - ١٩٧٨ ، ص ٤ .
- (٤٩) مصدر السابق ، ص ٧٧ .
- (٥٠) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند ، مجلة الاكليل ، ع ١٤ ، ص ٦ ، صنعاء - ١٩٨٨ ، ص ٤٦ .
- (٥١) النابلسي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٧ .
- (٥٢) ابن العوام ، الفلاحة ، ص ١٠
- (٥٣) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ٢ ، بيروت - ١٩٧٨ ، ج ١ ، ص ٧ ، ص ٣٥
- (٥٤) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية ، بغداد - ١٩٨٦ ج ١ ، ص ٤٦٠ .
- (٥٥) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة الري ، ص ٤٦ .
- (٥٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٢ ، ص ٢٠٥ .
- (٥٧) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري ، ص ٤٦ - ٤٧ .
- (٥٨) كحالة ، عمر رضا ، العلوم العلمية في العصور الاسلامية ، ص ١٧١ .
- (٥٩) علي ، جواد ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٤٥ .
- (٦٠) كحالة ، عمر رضا ، العلوم العلمية في العصور الاسلامية ، بيروت - ١٩٨٧ ، ص ١٧٦ .
- (٦١) ابن منظور ، لسان العرب ، القاهرة - ١٩٧٦ ، مادة عتل ، مج ١١ ، ص ٤٢٣ .
- (٦٢) ابن سيده ، المخصص ، بيروت - ١٩٧٧ ، مج ٣ ، ص ١٥٤ .
- (٦٣) سورة البقرة ، اية : ٧١ .
- (٦٤) الاشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، ص ١١ .
- (٦٦) ابن وحشية ، النخيل ، ورقة ، ص ٣ - ١ .
- (٧٦) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٦ - ٦٦ .



- (٦٨) قسطوس ، الفلاحة ، المطبعة الوهابية ، مصر - لا . ت . ص ٧٠ .
(٦٩) ابن العوام ، الفلاحة ، ص ٣٥ .
(٧٠) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .
(٧١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٣٩ - ٤٠ .
(٧٢) علي ، جواد ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٢١٣ .
(٧٣) العيسى ، عنتره بن شداد، ديوان عنتره ،، دار صادر ، بيروت - ١٩٥٨ ، ص ٢٠٢)
(٧٤) الاشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، ص ١٠ .
(٧٥) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري ، ص ٤٦ .
(٧٦) قسطوس ، الفلاحة ، ص ٧٢ .
(٧٧) ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١٣ ، مادة لعن ، ص ٣٨٩ .
(٧٨) م ، ن ، مج ١١ ، مادة خيل ، ص ٢٣١ .
(٧٩) قسطوس ، الفلاحة ، ص ٧٢ .
(٨٠) فهد ، توفيق ، علم النبات والزراعة ، ص ١٠٧ .
(٨١) ابن سيده ، المخصص ، بيروت ، لا . ت ، مج ٣ ، ص ١١٩ .
(٨٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ .
(٨٣) العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٤٠ .
(٨٤) مالك ، ابي عبد الله بن انس ، المدن الكبرى ، مج ٥ ، ج ١٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد - ١٩٧٠ ، ص ٣٧ .
(٨٥) الايرياني ، مطهر علي ، تاريخ اليمن ، القاهرة - ١٩٧٧ ص ١٣٤ .
(٨٦) سورة يس ، الايات : ٣٣ ، ٣٤ .
(٨٧) سورة يس ، الايات : ٩ ، ١٠ .
(٨٨) جليل ابو الحب،ملاحم النباتات الزراعية في القران الكريم، ندوة التربة والزراعة عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداد - ١٩٨٨ ، ص ٩٣ .
(٨٩) ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١١ ، مادة فقل ، ص ٥٢٩ .
(٩٠) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري ، ص ٥٢ .
(٩١) ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١٢ ، مادة صدم، ص ٣٣٦ .
(٩٢) م ، ن ، مج ٣ ، مادة جند ، ص ١١٢ .
(٩٣) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري ، ص ٥٢ .
(٩٤) العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٣٢)
(٩٥) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ .
(٩٦) الايريبي ، ابو عبد الله محمد بن محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، نسخة مصورة عن جامعة روما - لا . ت ، ص ١٤٣ .
(٩٧) الجاحظ ، البلدان ، تحقيق : صالح احمد العلي ، كتاب مستل من مجلة الاداب ، مطبعة الحكومة ، بغداد - ١٩٧٠ ، ص ١٤٨٥) ابن النجار ، محمد بن محمود ، اخبار مدينة الرسول المعروف (بالدرة الثمينة) حققه : صالح محمد جمال ، مكة - ١٩٤٧ ، ص ٩ - ١٠ .
(٩٨) علي ، جواد ، مصطلحات الزراعة والري ، ص ٥٢ .
(٩٩) الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق : جار عبد الله الحسيني ، لا . م - لا . ت ص ٢٣ .
(١٠٠) ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة - ١٩٥٧ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
(١٠١) ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١٩٧ .
(١٠٢) سورة التحل ، ايات : ١٠ - ١١ .
(١٠٣) سورة المؤمنون ، اية : ١٩ .
(١٠٤) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت - ١٩٦٠ ، ص ٢٤٨ .
(١٠٥) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٠٦-١٠٧ .
(١٠٧) الطبري . ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم ، طه ، القاهرة - لا . ت . ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .
(١٠٨) دروزة ، محمد عزه ، تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، ج ١ ، صيدا - ١٩٦١ ، ص ١٨٢ .
(١٠٩) سورة ابراهيم ، من الاية : ٣٧ .
(١١٠) العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٩٤ .
(١١١) الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
(١١٢) ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ص ١٣١ .

- (١١٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٩١ .
(١١٤) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٤ .
(١١٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٥٩ ؛ العبيدي ، عبد الجبار متي ، الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الاخير حتى قيام الدولة الاموية ، بغداد - ١٩٨٢ ، ص ٥٠ .
(١١٦) سورة الدخان ، الايات : ٤٣ - ٤٦ .
(١١٧) الثور ، هذه هي اليمن ، ص ١٩٧ .
(١١٨) الهمداني ، صفة ، ص ٩٠ .
(١١٩) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٤٣ .
(١٢٠) ابن سيده ، المخصص ، مج٣ ، ص ٧١ .
(١٢١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٣ .
(١٢٢) العبيدي ، عبد الجبار ، الطائف ودور قبيلة ثقيف ، ص ٥١ .
(١٢٣) دروزة ، تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، ص ١٨٢ .
(١٢٤) ابن حوقل ، صورة الارض ، بيروت - ١٩٤٥ ، ص ٣٥ .
(١٢٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٤٣ .
(١٢٦) ابن الفقيه ، مختصر البلدان ، ص ٣٤ .
(١٢٧) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٦٤ .
(١٢٨) العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٩٤ .
(١٢٩) محمود عواد ، الايلاف ، مجلة المنارة ، م ١ ، ج ١٤ ، الاردن - كانون الثاني ١٩٩٦ ، ص ١٤ .
(١٣٠) الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .
(١٣١) العبيدي ، عبد الجبار ، الطائف ودور قبيلة ثقيف ، ص ١١٤ .
(١٣٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٣ .
(١٣٣) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٧ .
(١٣٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .
(١٣٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، هامش ص ٣٦٢ .
(١٣٦) م ، ن ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .
(١٣٧) العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٤٠ .
(١٣٨) الثور ، هذه هي اليمن ، ص ١٩٧ .
(١٣٩) الهمداني ، صفة ، ص ٩٠ .
(١٤٠) عبد الله ، يوسف محمد ، اوراق في تاريخ اليمن ، ج ١ ، ص ٩ .
(١٤١) ابن الفقيه ، مختصر البلدان ، ص ٣٤ .
(١٤٢) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٦٤ .
(١٤٣) ابن منظور ، لسان العرب ، مج ٦ ، مادة علس ، ص ١٤٦ .



رموز علمية تكرينية في تاريخ وتراث العلوم الحكيمية

السير (ابراهيم فاضل) الناصري
القصر الثقافي في تكريت

ملخص البحث

ان البحث في تاريخ العلوم العقلية (الحكيمية) او كما يسميها القدماء بعلوم الأوائل سوف يغدو غير مكتمل الموضوعية ما لم يتضمن حديثا عن الذين نبغوا في هذه العلوم ، نقلوها، او نشروها او شاركوا في ابتكارها وفي نهضتها وتطورها. فالعلوم والعلماء وجهان لمعامل حضاري واحد اذ بقدر ما يكون للعلوم من افضال تكون للعلماء من منازل.

وهكذا وتفاعلا مع شعار مؤتمركم السديد ودعوته الرحبة يتهيأ لي الدافع للإسهام بهذا البحث.

- تم اختيار مادة البحث : وهي تسليط الضوء على مواجيز من السير العلمية لثلة من العلماء التكراتة البارزين في ميدان العلوم الحكيمية (علوم الهندسة والفلك والكون والفلسفة والمنطق والطب).

- اعتمد البحث عنواناً هو : (رموز تكرينية علمية في تاريخ وتراث العلوم الحكيمية).

- تكمن أهمية البحث : في كونه يعالج اسماء شخصيات علمية تكرينية لها وزنها واثرها في تراث العلوم عند العرب بيد انها لم تأخذ حقها من التعريف كما ولقد طوى شهير أدوارها وغطى لمعان اخبارها التقادم وبذلك فان البحث هو نصفه لأسماء وتجليه لآثار.

- يهدف البحث الى: التعريف بثلة من العلماء التكرينيين الذين اتخذوا العلوم العقلية مركبا لهم في خدمة الحياة مع استجلاء منجزاتهم واثارهم في المجالات العلمية والتعريف فيها كـ يحيى بن عدي ويحيى بن جرير والمكين جرجس بن العميد ويحيى بن صاعد ورومانوس الطبيب وغيرهم.

- امتدت حدود البحث المكانيّة من تكريت المدينة التاريخية التي حملت اسمها تلك الشخصيات المبحوثة الى مجموعة من الحواضر المدنية العراقية او العربية ، من التي حلت او اشتهرت فيها تلك الشخصيات كمثل بغداد والموصل والبصرة ثم دمشق

السورية والقاهرة المصرية . اما حدود البحث الزمانية فأخذت التحديد الزمني الذي يشكل عمر الحضارة العربية الاسلامية.

-تم اعتماد المنهج التاريخي في اعداد هذا البحث ؛ من خلال التعريف بهذه الشخصيات العلمية مع ذكر اخبارها وادوارها واثارها واخبارها.

- تم الوصول في هذا البحث الى بعض النتائج أهمها :

□ التعريف ببعض الشواخص العلمية التي تجسد المشاركة الحضارية لبعض من هذه الشخصيات كالمارستانات والمكتبات والمراسد والمدارس.

Summary

Research on the history of mental (wisdom) sciences, or as the ancients called it the sciences of the early generations, will become incomplete with objectivity unless it includes a conversation about those who excelled in these sciences, transferred them, published them, or participated in their creation, renaissance and development. Science and scientists are two sides of one civilized laboratories, for as much as science has advantages, scientists have homes.

Thus, in interaction with the sound slogan of your conference and its generous invitation, I am motivated to contribute to this research.

The research subject was chosen: it sheds light on briefs from the scientific biographies of a group of prominent Takartist scholars in the field of wisdom sciences (engineering sciences, astronomy, cosmology, philosophy, logic and medicine.)

-A title was adopted for the research, which is: (Tikrit Scientific Symbols in the History and Heritage of Ruling Sciences.)

-The importance of the research lies in the fact that it deals with the names of Tikrit scientific figures who have their weight and their impact on the heritage of science among the Arabs, but they did not take their right to the definition, as a famous person has folded their roles and covered the gloss of their news of prescription and thus the research is half of names and manifestation of antiquities

-The research aims to: Introduce a group of Tikritian scholars who have adopted mental sciences as a component for them in the service of life, while clarifying their achievements and their effects in the scientific fields and defining them as Yahya bin Uday, Yahya bin Jarir, Makin Gerges bin al-Ameed, Yahya bin Saed, Romanos the doctor and others.

he spatial boundaries of the search extended from Tikrit, the historical city whose name bore these investigated figures to a group of Iraqi or



Arab civil cities, from which these personalities settled or became famous, such as Baghdad, Mosul, Basra, then Damascus, Syria and Cairo, Egypt. As for the temporal boundaries of research, it took the temporal determination that constitutes the age of the Arab Islamic civilization.

The historical methodology was adopted in preparing this research; By introducing these scientific figures while mentioning their news, roles, implications and news.

In this research some results were reached, the most important of which are:

•Introducing some of the scientific figures that embody the civilized participation of some of these figures, such as schools, libraries, observatories and schools.

الكلمات المفتاحية : رموز تكريتية - تراث العلوم

Key words: Tikrit symbols – Science heritage

المقدمة

لاشك ان البحث في تاريخ العلوم العقلية (الحكمية) او كما يسميها القدماء بعلوم الأوائل سوف يغدو ليس بتمام الموضوعية ان لم تتضمن فقرات طرحه حديثا عن سير وتراجم اولئك العلماء الذين اشتغلوا فيه او علموه او نقلوه، او اسهموا في استخلاص بعض نتائجه او سرعوا في تطوره. فالعلوم والعلماء وجهان لمعامل حضاري واحد وكلاهما يتم ويديم الاخر ثم انه بقدر ما يكون للعلوم من فضائل تكون للعلماء من منازل مما يوجب إجلالهما على السوية.

وما يدعو للأسف الشديد بأن هنالك ثلة من العلماء العباقرة من العرب والمسلمين الذين قدموا للبشرية عصاره أفكارهم وشاركوا مشاركة فعالة في ترصين أسس الحضارة الإنسانية وتسريع عجلة تطورها قدر أن تبقى أسماؤهم وأعمالهم مغيبة من ضمير أبناء هذه الأمة وأجيالها. والدراسة ترفع همة المسلمين في تاريخهم الذي ابتعدوا عنه، وصاروا يسخرون منه ومن ماضي أجدادهم الذين سادوا العالم بالعلم في وقت كان العالم غارقاً بالجهل والظلام.

وعلى هذا الأساس اقدم هذه المشاركة المتواضعة مظهرا القيمة العقلية لدور واثر ابناء تكريت عبر خضم التفاعل الحضاري في العصر الوسيط عارضا جوانب اشراقاتهم العلمية في المشرق اذ امدوا الحالة العلمية بالمؤلفات والترجمات وانغمسوا في معترك النهضة العقلية مثلما أعانوا الحياة العقلية عند بدء تفتحها على التزوّد من ينابيع المعرفة وآفاق الفكر.

تاريخ تراجم الرجال

ان تاريخ الرجال او علم تراجم الرجال ومعرفة اخبارهم والوقوف على نتاجات اسفارهم وضوع ادوارهم العلمية والفكرية والروحية وجمعها وتوثيقها انما هو في بادئ امره علم عربي إسلامي بامتياز، بيد انه ما فتىء ان ينتشر واضحى من اهم العلوم التي عرفت في الإنسانية الحية. اتحف الله تعالى البلدان في سائر الأوطان بمن يوثق لهم تراجم رجالهم من فضلاء وعلماء فاحكموا النظر وترجموا للرجال ولكنفهم من العوائل . واهتم كل من الموثقين باطار ومنهج فمنهم من ترجم لعلماء عصر ومنهم من ترجم لعلماء بلد ومنهم من ركز على علماء مدينته ومنهم من ترجم لرجال نهل منهم او درسوا على يديه وهكذا.

تكريت وتاريخ تراجم الرجال

بما ان امر التراجم من الأهمية والاهتمام كما اسلفنا فيها انني اليوم اختار ان اضع بحثا في علماء من مدينتي التاريخية تكريت الرافدينية فانجز فيه الكتابة في تراجم بعض الشخصيات العلمية المنسوبة اليها والحاملة لاسمها ذلك لكوني وجدت ان هذه الشخصيات كانت قد شغلت حيزا كبيرا في عهود معينة من مراحل سفرها الحضري، كما نبغت وازهرت في امكنة وازمنة متلاحقة دون ان تحظى بتوثيق ومنها تولدت لدي الفكرة لهذا البحث الذي يختص بتراجم مجموعة من علماء تكريت ومشاركاتهم في ميدان العلوم والهندسة، من حيث علوم الفلك والكون والطب والمراسد الفلكية والتطبيقات الفلكية ويسلط الضوء على بعض انجازاتهم من خلال الوقوف على بعض الآثار من التي وضعوها.

لقد اخذت في هذا البحث علماء ابتعدت عنهم الاضواء ولم يأخذوا حقهم من الشهرة كما لم يأخذوا حقهم في التعريف برغم مشاركتهم العلمية، وعلماء ، ولم يجدوا من يُنصفهم، أو يُنصف أعمالهم التي لا تزال مخطوطات متفرقة على أرفف المكتبات يعلوها غبار الزمن. أي في الوقت الذي أورخ فاني أيضا أحببت ذكر غير المعروف والتطرق إلى المنسي محاولا جلي شيئا من الغبار عنها ومجتهدا في ان عطيتها ولو جزءا بسيطا من حقها علينا كخلفاء لها باللغة أو الأرض، إن لم تكن بالفكر وحب المعرفة.

تجلى دور واث العلماء التكريتيون في العديد من النواحي والفعاليات والأنشطة المعرفية منها : ترجمة الكتب الخاصة بالطب والمنطق والفلسفة والهندسة عن اليونانية (الاعريقية) والفارسية والهندية والسريانية، وفي ذات الوقت ترجمة التراث العربي في العلوم والمعارف الى ما ذكرنا من لغات

أيضا تأليف المصنفات ووضع لمؤلفات في الطب والهندسة والفلك والمنطق من التي بقيت عمدة العالم في هذه العلوم حتى اواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. كذلك اقامة المراسد الفلظية و(البيمارستانات) في البلدان التي قطنوها او العمل في التي كانت قائمة.



الشخصية التكريتية في العوالم العلمية

شارك العلماء العلماء التكرارة اقرانهم في تأسيس انموذج الحضارة الخاص بامتهم فكان لهم حضورهم الميداني في شتى العلوم والمعارف العلمية التي استوعبتها تجربة حضارتهم. فترك العديد من هؤلاء العلماء بصماتهم المؤثرة في مسيرة العلوم ، ويعترف التاريخ لهؤلاء العلماء بالفضل الكبير في عملية التطور العلمي التاريخي للعرب والمسلمين بل للإنسانية.

وشغل الطب المقام الأعلى من إتمام بعض أبناء تكريت من طالبي المعارف والعلوم فانصروا اليه فدرسوه ومارسوه وتميزوا فيه وكتبوا فيه المصنفات ؛ وكان منهم: أطباء عيون، ويسمّون (الكحّالين)، ومنهم جراحون، وفاصدون (الحجّامون)، ومنهم المختصّون في أمراض النساء، وهكذا. وكان من عمالقة هذا التخصص المبهرين من التكريتيين : يحيى بن جرير والفضل بن جرير والتاج الكحال ورومنوس ، الذين يُعدون من اعلم علماء الطبِّ وصناعته في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ولهم فيه من الإنجازات.

وإذا طويينا تلك الصفحة المشرقة للطب وانتقلنا الى الفلك فإننا نجد أنفسنا أمام عمالقة مبهرين من التكرارة يُعْتَبَرُونَ من ابرز حكماء الفلك والتنجيم في التاريخ الانساني، إن لم يكونوا من أعظمهم لعل منهم يحيى بن السديد وأبو نصر بن جرير ثم اذا انتقلنا الى علوم الهندسة والرياضيات وتحرينا من حاز فيها على المنزلة العالية لبسق لنا اسم صاعد بن يحيى وأبو زكريا اما علوم الفلسفة والمنطق فيال حظ تكريت الوافر والزاهر اذ تألق في سماء معرفها الحكمية الفيلسوف الحكيم والمنطقي العليم يحيى بن عدي الذي كانت له الاعمال المبهرة والادوار الكبيرة والذي بعلمه تبوء رئاسة المدرسة الفلسفية وهكذا دواليك الامر في النواحي الأخرى ومنها العلوم النحوية واللغوية والآداب النقلية ومنها الترجمة. وصفوة القول ان العلماء التكرارة قد وغلوا مسالك الفهوم وارتقوا مدارج العلوم ثم انهم بعد ان هبت ريحهم وبعد صيتهم اكرموا الإنسانية بضوع شهدهم.

التعريف بالحاضرة تكريت

تكريت مدينة متوسطة الحجم والحال ، تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة، الى الشمال من بغداد بنحو (١٦٥ كم) شمالا. وتعد من المدن العتيقة، واسمها من تراث لغوي قديم تصريفه يعني القلعة او الثغر. تقلبت عليها الايادي منذ الازل مارة بأدوار حضارية مختلفة ومتنالية كالأكديّة والاشورية والبابلية والسلوقية والآرامية فالعربية فكانت في كل تلك العصور قلعة ذات أهمية تلاققت في شموخها بابل واشور جاعلة منها الحرز غير المكين لدواهي الدور وتوجت سفرها العتيق ذلك بان اوضحت في المائة المسيحية السادسة حاضرة للمشرق السرياني اذ صارت منذ ذلك التاريخ منبعثق للأعلام ومعهد للعلماء الذين توجوا هامتها بتاج مجد فاخر وزينوا جيدها بعلق عز نفس .

ثم عادت فباشرت مشوار سفرها الحضاري المشرف ضمن حضارة العرب المسلمين منذ فتحها في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في(١) حزيران من عام (٦٣٧م) الموافق في (٢) جمادى الاولى من عام(٥١٦) فأضحت محط رجال الرسالة

السماح ومنبعث دعائها من الفضلاء بعد ان تم استحداثها على مستوى كورة إسلامية ناهضة وقاعدة فتوح نابضة. ثم ما فتئت ان صارت من اهم أعمال الخلافة الراشدة ومن ثم الاموية فكانت كثيرة الموارد والخراج يجمع منها بكثرة . وحينما اشرق العصر العباسي بدوره الذهبي باتت أوفر نصيبا من غيرها في الاهتمام والأهمية في كافة النواحي الحضرية. سيما بعد أن أضحت حاضرة الخلافة سامراء بقربها فضلا على ان ابناءها كانوا من المتعلمين والمهتمين في العلوم والثقافة لانها كما قلنا قد كانت قبل الإسلام احد اهم مراكز الثقافة الامر الذي أتاح توفر الأجواء الثقافية فيها فغصت بالخلق من شتى الأعراق وحفلت بالمساجد ومصانع الحرف والأسواق والحمامات واهتمت ببناء المدارس والربط ودور الحديث ودور الإقراء وصار لها دور بارز في الحركة الفكرية التي ازدهرت في العالم الإسلامي وأنجبت العديد من العلماء المسلمين والنصارى في فنون المعرفة وابواب الفكر واعتزت بجماعة من العلماء الأعلام من الذين أشارت إليهم المصادر ولاسيما كتب التاريخ والتراجم والبلدان وفنون الادب. أما أخبار الأعلام من أبناءها فلقد كان لهم حضور واضح في كتب الطبقات فيقول السمعي عنها في كتابه الانساب: (بلدة كبيرة ... خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين)^(١) وأما ياقوت الحموي فيقول عنها في كتابه معجم الادباء : (وينسب إليها من أهل العلم والرواية جماعة)^(٢) .

كوكبة من العلماء التكريتيين

خلال العصور الوسيطة التي شكلت العصر الذهبي للعرب والمسلمين أخرجت مدينة تكريت التاريخية التي عدت من اهم المراكز الثقافية والعلمية حينها لفيها من العلماء العاملين من الذين يشهد لهم التاريخ بالباع الطويل في رفق الحضارة العالمية بالعطاءات والاكتشافات وفيما يلي نبذ لتراجم بعضا منهم فلنقرأ ونكتشف ما قاموا به من أعمال، وما بذلوه من جهود:

(١) يحيى بن السديد:

هو يحيى بن سهل السديد أبو بشر المنجم التكريتي. كان هذا الرجل من اهل تكريت وكان عالما بالنجوم وتسييرها واحكامها مصيبا فيما يعانیه من ذلك مشتهرا به، كثير الرحلة الى بغداد والاجتماع برؤوسها ومقدمي اهل الدولة ولهم معه مذكرات ومحاورات وكان هلال بن الصابي كثير المذاكرة له والخذ عنه في تاريخه وحكايات جرت بتكريت سكونا الى صحة روايته ولم يزل على ذلك الى ان قتله أبو المنيع قراوش العقيلي امير الموصل وما يضاف إليها من المدن^(٣) .

(٢) يحيى بن عدي :

(١) . السمعي . كتاب الانساب ، المجلد الثالث، باب التاء والكفاف ، لقب التكريتي

(٢) . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، المجلد الاول . مادة تكريت ، ص ٤٥٠

(٣) . جمال الدين القفطي . اخبار العلماء بإخبار الحكماء . ص ٢٧٣



هو الارخن الحكيم ، المنطقي والفيلسوف ذا الفكر السديد، يحيى بن عدي بن حميد^(٤). ابصر النور في تكريت سنة (٢٨٠ هـ) / (٨٩٣ م) ثم عندما كبر رزق نكاء وقادا وهمة بعيدة وطموحا الى العلم والعلى عظيما لم تكف تكريت لتغذية عبقريته فتركها الى بغداد وهو في عمر الشباب مشتغلا بالعلم ومجاورا لأهل العلم^(٥) بعد ان اخذ قسطا من التلمذة على يد ابي بشر متى بن يونس وابي نصر الفارابي وهما رئيسا المدرسة الارسطاطالية^(٦). اليه انتهت رئاسة اهل المنطق في زمانه ومعرفة العلوم الحكمية في زمانه وكان اوحد دهره^(٧) ملازما للنسخ بيده ولعل من الكتب التي خطها بيده كتب استاذه أبو نصر الفارابي^(٨). كتب الكثير من كل فن وكان يكتب خطا قاعدا بينا وله من التصانيف في التفاسير والنقول، وله عدد من المؤلفات في المنطق والفلسفة وعلم الكلام ايضا وله في الترجمة واللغة والنسخ الوافر من الاثار والاخبار. وعمل خلال حياته على ترجمة الكثير من الكتب الإغريقية إلى اللغة العربية، مستعينا بمعرفة اللغة السريانية، لعل منها كتب أفلاطون وأرسطو أيضا كتب ثافرس واهمها كتاب ما وراء الصنعة. شارك فضلا عن ذلك بإغناء البحث العلمي عن طريق عددٍ من المقالات والأبحاث تجاوز عددها الخمسين مؤلفا، ويعدّ كتاب "تهذيب الأخلاق" من أشهر أعماله مات في بغداد سنة اربع وستين وثلاثمائة للهجرة^(٩). قرأ الحكمة على يديه العديد من العلماء منهم؛ الطبيب والمترجم حسن ابن سوار^(١٠) والفيلسوف أبو بكر بن كردة القومسي^(١١)، فضلا على أبو سليمان السجستاني وعيسى بن زرعة وأبو علي السمع وأبو القاسم عسى بن علي وأبو حيان التوحيدي ومسكويه^(١٢). قال عنه شمس الدين الشهرورزي: (كان حكيما كاملا من افضل تلامذة ابي نصر الفارابي وله تصانيف كثيرة وشرح كتب ارسطو ولخص مصنفات ابي نصر... وكان كثير الاشتغال والحقيق والتصنيف والبحث والاشتغال لا يستريح ليلا ولا نهارا وكان يسكن بغداد)^(١٣). ولقد وصفه أبو حيان التوحيدي قائلا: (كان شيخا لين العريكة مبارك المجلس)^(١٤). وقد اطرى عليه العمري قائلا: (يحيى بن عدي أبو زكريا المنطقي ، حكيم، علمه والودق شيان وقلمه والبرق سيان وكان

(٤) . ابن القفطي. اخبار العلماء باخبار الحكماء، ص٢٧٠.

(٥) . قاشا . تكريت حاضرة الكنيسة ، ٢٥١.

(٦) . جاد حاتم . يحيى بن عدي وتهذيب الاخلاق، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥ ، ص١٣.

(٧) . المصدر السابق . ص٢٧٠

(٨) . ظهير الدين البيهقي . تاريخ الحكماء، ص٣١

(٩) . القفطي اخبار العلماء باخبار الحكماء. ص٢٧١

(١٠) . الشهرورزي . تاريخ الحكماء . ص٢٩٦

(١١) . الشهرورزي. تاريخ الحكماء . ص٣٤٠

(١٢) . جاد حاتم . يحيى بن عدي وتهذيب الاخلاق. ص١٣

(١٣) . الشهرورزي . تاريخ الحكماء . ص٣١٦

(١٤) . التوحيدي ، الامتاع والموانسة. الجزء الأول. ص٣٧

اول حاله علما في ملته ومعلما لأهل قبلته وعرف بالمنطق مع انه بعض علومه ، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومه واضاءت له من الادب لمع نمت فضائله واتمت هلاله والبدور الكوامل متضائلة^(١٥). كما وصفه المؤرخ غريغوريوس ابن العبري قائلا: (وفي هذا الزمان اشتهر يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا التكريتي المنطقي نزيل بغداد ، اليه انتهت رئاسة اهل المنطق في زمانه .. وكان ملازما للنسخ بيده كتب كثيرا من الكتب وكان يكتب خطا قاعدا بينا في اليوم واللييلة مائة ورقة واكثر وله تصانيف وتفاسير ونقول عدة^(١٦). ايضا ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في تاريخ الاطباء فقال عنه:

(واليه انتهت الرئاسة ومعرفة الحكمة .. وكان اوحد دهره^(١٧) . وكذلك البيهقي، ظهير الدين قد قال عنه: (كان حكيما كاملا ...وله تصانيف كثيرة وكان يشرح كتب ارسطو ويلخص تصانيف الفارابي^(١٨) . ولقد بلغت مؤلفاته الخمسة وسبعون، تنوعت ما بين الفلسفة والمنطق والطب والحكمة، منها ترجمة عن السريانية لكتب الاولين ومنها مقالات في المنطق والفلسفة ومنها في الاخلاقيات وتهذيبها ومنها جاءت بشكل رسائل وتعليقات وتفاسير ولعل كتابه الموسوم تهذيب الاخلاق يجيء قمة ما كتب في الاخلاقيات وتهذيب النفوس لا بل هو باكورة الفلسفة الأخلاقية وهو قد سبق كتاب مسكويه بذات الاسم^(١٩) .

(٣) ثاودسيوس رومانوس:

هو رومانوس الطبيب التكريتي الأصل ، اليعقوبي الملة . المشهور في التاريخ الكنسي بثاودسيوس البطريرك . ولد في تكريت في النصف الاول من المائة التاسعة الميلادية . قرأ العلم في دير قرتمين او قرطامين في شرقي طور عابدين من ضواحي مذيات . كان متينا الانشاء بالسريانية، تعلم اليونانية ودرس علم الطب وحذق فيه وبرع فعد من مهرة الاطباء . رسم بطريركا للكرسي الانطاكي في مدينة امد في شباط عام (٨٨٧) ميلادي خدم البطريركية مدة ثمانين سنوات ثم مات في دير قرتمين في حزيران سنة (٨٩٦م) . له من التأليف : كناش نفيس في الطب وكتاب شرح لتفسير ايرثاوس المنحول ورسالة في حكم الفلاسفة الرمزية^(٢٠) . وجاء عنه كونه من الحكماء الرياضيين وكان ذا شهرة استحقتها عن جدارة وله تصانيف في الرياضيات

(١٥) . العمري . مسالك الابصار، تحقيق احمد زكي، ص ٣٣٦

(١٦) . ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص ٢٩٦ ؛ اسحق ارملة . الزهرة الذكية ، ص ٥٠ .

(١٧) . ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء . الجزء الاول، ص ٢٣٥

(١٨) . البيهقي. تاريخ الحكماء، ص ٩٧

(١٩) . جاد حاتم. يحيى بن عدي. ص ١٥

(٢٠) . اللؤلؤ المنثور ، ص ٣٤٨



والهندسة^(٢١). كما ورد اسمه عارضا في كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل^(٢٢). وذكر صاحب كتاب اللؤلؤ المنثور ان لثاوذوسيوس التكريتي رسالة تنطوي على مئة واثنى عشر حكمة فيثاغورسية أضاف اليها شروحا يسيرة بالسريانية والعربية نشرها زوتبرغ في المجلة الاسيوية مج ٨ ، اما مؤلفاته في الطب فلقد جاء في كتاب الزهرة الذكية انه صنف كتابا عرف باسم (تأليف ثاوذسيوس البطريرك)^(٢٣).

٤) ابو نصر بن جرير:

هو يحيى بن جرير التكريتي المكنى أبو نصر التكريتي من أهالي تكريت سكن بغداد وكان كثير الاطلاع في العلوم كالطب والأدوية والفلك ثم تبحر في علوم الطب فكان طبيبا فذا وحكيما متميزا في تخصصه بل هو من العلماء الأطباء الفضلاء ومن كتاب السريان وفلاسفتهم الاجلاء من الذين كتبوا باللغة العربية واللغة السريانية معا. نبغ واشتهر في منتصف المائة الحادية عشرة الميلادية. ذكره ابن اصبعة في كتابه عيون الانباء وقال انه كان موجودا سنة (٤٧٢م) وكان كاخيه الفضل في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب ولقد ذكر عنه انه كانت له اهتمامات اخر غير الطب منها الفلسفة والمنطق والتاريخ^(٢٤) وذكر ياقوت الحموي عنه انه كان أستاذ الحسين بن شبل البغدادي في الفلسفة والطب^(٢٥) وحسبما جاء عنه ان له من المؤلفات منها: كتاب (المختار في الاختبارات الفلكية وعلم النجوم) وكتب في صناعة الطب وفي الباه ومنافع الجماع ومضاره كذلك رسالة في منافع الرياضة وجهة استعمالها^(٢٦) أيضا كتاب منطقي لاهوتي اسمه (المصباح المرشد الى الفلاح) وذكر له ابن الشحنة كتاب في التاريخ سماه (الجامع للتاريخ)^(٢٧) كما انه له كتب في الطب لم تصل الينا^(٢٨).

٥) ابو سعد بن جرير:

اسمه الفضل ويكنى ابو سعد وهو شقيق الطبيب يحيى بن جرير. ولد في تكريت ونشأ فيها ثم طلب العلم في بغداد حتى أصاب منه حظا وافرا واصبح طبيبا حاذقا وفيلسوبا كبيرا واتقن اللغة العربية وأدابها كونه يتكلم السريانية ونقل اليها الكثير من السريانية كان طبيبا كثير الاطلاع في العلوم فاضلا في صناعة الطب حسن العلاج وخدم بصناعة الطب للأمير نصير الدولة بن

(٢١) . اسحق ارملة . الزهرة الذكية . ص ٤٦

(٢٢) . طبقات الأطباء . ص ٧٢

(٢٣) . اسحق ارملة . الزهرة الذكية . ص ٤٦

(٢٤) . ابن ابي اصبعة . عيون الانباء . ج ١ . ص ٢٤٣

(٢٥) . الحموي . معجم البلدان . مج ١ . ص ٤٥٠

(٢٦) . وفيات الاعيان . مج ٢ . ص ٦٦

(٢٧) . الدر المنتخب في تاريخ حلب . بيروت . ص ٩١

(٢٨) . فواد قزنجي . أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين . دار دجلة . ص ١٧٧

مروان. الف رسالة طبية في اسماء الامراض مثلما له كتاب في القرابين. توفي في أواسط القرن الحادي عشر^(٢٩).

(٦) . هبة الله بن ملكا :

اسمه هبة الله ابن ملكا او ملكان وكان طبيبا ومهتما بنسخ الكتب الطبية القديمة والصناعة الطبية . كان حيا في عام ٦٤٣ هجري من اثاره نسخه لكتاب (المية في الصناعات الطبية)^(٣٠) .

(٧) . صاعد بن يحيى :

هو صاعد بن يحيى بن الفضل بن عبدالله بن احمد التكريتي المهندس: كان حيا في عام (١١٤٥م) ومن اثاره الخطية نسخه لكتاب (الزيج الجامع)^(٣١) في علم الفلك للعالم الفلكي المسلم المهندس كوشيار بن لبنان بن باشهري الجيلي (ت ٤٢٠هـ) : اذ أنه كتبه بخط يده في عام (٥٦٦ هـ) عن نسخة بخط المصنف كوشيار ، وتحر نقلها على ما هي عليه حتى أنه وافقه في بعض المواضع على تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ، وتوحيد الجمع والتثنية محافظة لنسخ الأصل بعينه ليكون ذلك وأكد في النقل^(٣٢) .

وقد ترجم له ظهير الدين البيهقي في "تاريخ حكماء الإسلام" ص ٣٢ ، فقال (كان مهندساً ملء إهابه ، داخلاً بيوت هذا الفن من أبوابه ، وكفاه معرفاً زيجه المعنون بأبع ، ثم زيجه المعنون بالجامع ..)^(٣٣) .

(٨) . التاج التكريتي الكحال:

طبيب عيون (كحال) تكريتي الأصل من سكنة مدينة دمشق عرف بطب العيون أي الكحالة لم يرد عنه سوى نهايته المؤسفة حيث انه صلب في سنة (٦٢٨) هجرية لقتله جماعة ختلا في بيته جاء ذلك في كتاب تاريخ الإسلام للامام الذهبي في الوفيات للعام المذكور^(٣٤) .

(٩) . إبراهيم الحكيم:

هو إبراهيم بن عدي الحكيم وهو اخو يحيى بن عدي وكان اخص خواص ابي نصر الفارابي وملازما له ومدون تصانيفه ولإبراهيم تصانيف كثيرة في النفس وسائر العلوم^(٣٥) .

(٢٩) . ابن ابي اصيبعة . عيون الانباء . مج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٣٠) . إبراهيم فاضل الناصري . كتاب اخبار الجالية التكريتية في البلاد المصرية . ص ٧٢ .

(٣١) . وهي من محفوظات مكتبة بلدية مدينة الإسكندرية في جمهورية مصر .

(٣٢) . إبراهيم الناصري . كتاب اخبار الجالية التكريتية في البلاد المصرية . ص ٧٢ نقلا عن فهرست خزانة معهد

المخطوطات العربية في القاهرة

(٣٣) . ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٩١

(٣٤) . الامام شمس الدين الذهبي . تاريخ الإسلام . مج ١٣ ، ص ٢٧٤

(٣٥) . ظهير الدين البيهقي . تاريخ الحكماء . ص ١٠٩



١٠ . أبو رائطة التكريتي:

هو حبيب بن خدمة المشهور بلقب ابو رائطة ولد في تكريت . كان فيلسوفا مرموقا كما وكان عالما متبسطا في علمي المنطق والفلسفة على ما وصفه ديونيوس التلمحري في كتابه وعنه نقل ميخائيل الكبير في تاريخه وله مقالات ورسائل باللغة العربية وتعد اقدم تأليف وصل الينا خبره باللغة العربية لعلماء سريان اذ انه يعد اول من كتب باللغة العربية عند السريان مثلما انه خدم الآداب العربية في ولوجه بمجال الترجمة اذ نقل كتب سريانية فلسفية كثيرة الى العربية^(٣٦).

١١ . دنحا الفيلسوف:

هو أبو زكريا دنحا التكريتي متفلسفا جدلا منطقيا ، نظارا جرت له مناظرات عدة في تكريت وفي بغداد مع الكثير من العلماء العرب المسلمين منها مناظرته المنطقية واللاهوتية مع المسعودي في الكنيسة الخضراء بتكريت في سنة (٩٢٥) ميلادي واتى المسعودي على ذكر هذه المناظرة مع الفيلسوف دنحا في كتاب له اسمه سر الحياة فضلا على كتاب التنبيه ولقد وصفه بقوله انه فيلسوفا مثاليا حاذقا . له عدد من الرسائل في العقائد والملل و كتاب في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم واخبارهم^(٣٧).

١٢ . أنطوان الفصيح:

عالم لغوي تكريتي الأصل من ال جورجيين كان من أئمة السريانية حيث كان قد اكب على دراسة اللغة السريانية فتبحر في أصولها وبيانها كما درس اليونانية أيضا، وقد وصلت الينا بعض مؤلفاته في اللغة واللاهوت والادب أهمها كتاب معرفة الفصاحة او فن الفصاحة وهو كتاب نفيس في ثلاثين فصلا في البلاغة وفي وشي الكلام وتحبيره وفي آداب فن الكلام . يعد الربان أنطوان التكريتي حامل البلاغة عند السريان في زمانه . توفي نحو (٨٤٠ م)^(٣٨). ولقد وصفه اغناطيوس الأول في قوله: (اما أنطون التكريتي الفصيح ، اللاهوتي الشاعر ، امام البيان فلم نجد له في فصاحته التي سار فيها في الرعيل الأول اندادا لنضمه الى طبقتهم)^(٣٩).

١٣ . ربان باباي الملفان :

هو الحكيم نير العقل قوي الشكيمة سليم البنية متناسق التركيب عذب الصوت الملفان باباي الطوباوي الجبلتي من أبناء قرية جبلتا من ضواحي تكريت الشرقية عاش في عهد الجاثليق صليبا زخا . كان من المهتمين بالنعومات والترانيم الموسيقية ولقد أسس مدارس لتعليم في الموسيقى والانشاد في بلدته

(٣٦) . اغناطيوس الأول. اللؤلؤ المنثور، ص ٣٣٢

(٣٧) . المسعودي. التنبيه والاشراف، ص ١٣٢؛ اغناطيوس ، اللؤلؤ المنثور ٣٥٦

(٣٨) . اغناطيوس . اللؤلؤ المنثور. ص ٣٣٦

(٣٩) . نفس المصدر السابق. ص ١٨٩

وفي بعض البلدان التي خدم فيها كقديس مثل كفر عوزيل في منطقة حدياب وفي بلدة سفسفا من بلاد مركا وفي دير بوصيل في منطقة كارا وفي دير شاهيرا وفي دير قوري وفي خردس وفي بيت ادري ثم في حطرا ومقبتا ودرعاوثا وقوب ووادي برزي وفي كوبي وفي دير مار احا وأخرى في بيت قرداغ وفي حنس وفي بيت رستاق وفي بيت نرقوس وفي . هذه هي المدارس التي أقامها او جددتها هذا الحكيم ويقال انه شيد ستين مدرسة للموسيقى وعلم واهل ستين معلم من بين تلاميذه وعهد الى كل منهم إدارة احدى تلك المدارس بعد ان كرّس لها الموارد الأساسية لدوامها وربما يظن البعض انه كان حاذقا في فن الموسيقى فقط بينما الحقيقة ان المصنفات التي وضعها في شتى الفنون والمواضيع تزيل تلك الظنون فله مقالات في وتعاليم كثيرة حينما يطلع عليها المرء سيرى انه كان وافر المعارف متبحرا في النظريات منها اثنان وعشرون ترجمانا مرتبا على الحروف الابجدية ورسائل كثيرة واناثيد وفيرة ووضع الحانا مثيرة وانهى مشواره الرسالي بان عاد الى بلدته جبلتا وعاش فيها شيخوخة عميقة وهو مزدان بكل الاعمال التي علمها وانجزها^(٤٠).

١٤ . احواداه:

القديس احواداه اليعقوبي ، اصله من باعربايا . رسمه القديس يعقوب البرادعي راعيا للكنيسة اليعقوبية . يعد اول مطرافوليطا دشن كرسي تكريت المفرياني المشرقى السرياني. جاء عنه كونه ممن اشتغل بالفلسفة من جهابذة السريان في حقبة الربع الأخير من القرن السادس الميلادي حيث صنف فيها عدة مؤلفات منها : كتاب الحدود في مواضع المنطق كافة ومقالة في القضاء والقدر وفي النفس والانسان كونه العالم الأصغر ومقالة في تركيب الانسان من جسد ونفس^(٤١).

١٥ . الحسن بن البهلول :

الحسن بن بهلول الأواني الطيرهاني الذي مسقط راسه قرية اوانا من ضواحي تكريت جنوبا^(٤٢). المعروف بالحسن بن البهلول بالمصادر العربية أو بار بهلول بالمصادر السريانية والغربية. هو علامة ولغوي سرياني عاش في القرن العاشر الميلادي. اشتهر بتأليفه أحد أهم المعاجم السريانية-العربية. لا يعرف الكثير عن تاريخ حياته غير أن اسمه ذكر من بين الذين دعموا تنصيب عبد يشوع الأول كمطران على كنيسة المشرق عام (٩٦٣م). ويعد المعجم الذي يعزى إليه أحد أهم المصادر عن اللغتان السريانية والعربية الكلاسيكية في العصور الوسطى، اذ ترجم المعجم إلى عدة لغات كالفارسية والأرمنية في وقت مبكر، كما تمت ترجمته إلى

^(٤٠) . توما المرجي. كتاب الرؤساء. ترجمة البير ابونا. ص ١٢٧

^(٤١) . اغناطيوس الاول . اللؤلؤ المنثور، ص ١٥٨

^(٤٢) . توما المرجي. كتاب الرؤساء. ص ٩٨



الفرنسية من قبل اللغوي روبنس دوفال ومنها إلى الإنكليزية. كما قام بار بهلول بتأليف العديد من الكتب اللاهوتية وأرخ سير السريان المشاركة والمغاربة. ومن مؤلفاته كذلك كتب عن تفسير الأحلام والغيب^(٤٣).

١٦ . ابن ابي الكرم التكريتي

تكشف لنا احدى المخطوطات المودعة في خزانة معهد المخطوطات العربية في القاهرة واحدا من المشتغلين في الفلسفة من التكراتة اذ تظهر مخطوطة شرح عيون الحكمة للرئيس ابن سينا المودعة ضمن هذه الخزانة فيلسوفا تكريتيا اسمه يوسف بن إبراهيم بن ابي الكرم التكريتي وهو الذي نقل بخط بيده هذه المخطوطة المنوه عنها^(٤٤). **الخاتمة**

وهكذا فاننا في هذه البحث، الذي شاركنا به ضمن محاور وقائع مؤتمر المنيف حاولنا ان نبرز عددا من الرموز العلمية التي انجبتهم مدينة تكريت الحاضرة التاريخية

.^(٤٣) The Early Muslim Tradition of Dream Interpretation By John C. Lamoreaux.p164

^(٤٤) . . إبراهيم فاضل الناصري. اخبار اثار الجالية التكريتية في البلاد المصرية. ص ٧١

المصادر والمراجع

١. الرؤساء . توما المرجي. ترجمة وتحقيق البيير ابونا. بغداد، ١٩٩٠م
٢. موسوعة تكريت. الجزء الثاني . مجموعة مؤلفين . دار الحرية ، بغداد، ١٩٩٦
٣. التنبيه والاشراف. المسعودي. ليدن ١٨٩٣م
٤. اخبار العلماء باخبار الحكماء. الوزير جمال الدين القفطي لبيزك . دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٥م
٥. عيون الانباء في تاريخ الأطباء ابن ابي اصيبعة. مصر ١٨٨١م
٦. أصول الثقافة السريانية فؤاد قرانجي. دار دجلة . بغداد ٢٠١٠م
٧. وفيات الاعيان. ابن خلكان. القاهرة ١٣٦٧هجري
٨. تكريت حاضرة الكنيسة السريانية. سهيل قاشا. بيروت ١٩٩٤م
٩. اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية. اغناطيوس فرام الأول برصوم. حلب ١٩٩٦
١٠. الزهرة الذكية. القس اسحق ارملة. مطبعة الاجتهاد ، بيروت ١٩٠٩م
١١. مسالك الابصار . بن فضل الله العمري. القاهرة ١٩٢٤م
١٢. الامتاع والموانسة. أبو حيان . القاهرة ١٩٥٣م
١٣. تاريخ الحكماء. الشهر زوري شمس الدين . تحقيق عبدالكريم أبو شويرب . باريس . دار بيبيلون، ٢٠٠٧م.
١٤. تاريخ الحكماء . ظهير الدين البيهقي . تحقيق محمد كرد علي. دمشق ١٩٤٦م.
١٥. طبقات الاطباء والحكماء. ابن جلجل. مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م
١٦. تاريخ الإسلام. الامام الذهبي. المجلد ١٣. بيروت ٢٠٠٦م
١٧. جاد حاتم . يحيى بن عدي وتهذيب الاخلاق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٥
١٨. اخبار واثار الجالية التكريتية في البلاد المصرية. عمان. ٢٠١٨

العراقية، ممن كانت لهم أدوار واثار في العلوم العقلية أي العلوم الحكمية والتي تسمى بعلوم الأوائل. فان كنا قد اصبنا فلنا حسنتان وان كنا قد توهمنا او اخطأنا فلنا حسنة واحدة.



تحقيق القسم الرابع من مخطوطة خبرة الفقهاء للفرغانى

أورىاض سعىر لطف
سرىر مركز احياء التراث العلمى العربى

ملخص البحث [خبرة الفقهاء ، مخطوطة ، الفرغانى]
فى الحقىقة ان فكرة المخطوطة الرئىسة هى تناولها علما فرعىا من علوم الفقه الاسلامى الواسع ، الا وهو علم الالغاز الفقهى وهذه المخطوطة فى عنوانها وموضوعها تشد رجال المعرفة الفقهىة لما لها من غموض يدعو الى التفكير ، ولغزىة تعصف بالأذهان من اجل اختبار الذكاء الفقهى ، وهو مسعى لكثىر من طلاب المعرفة الفقهىة. هذا القسم يحتوى على(١٣) مسألة تبتدأ من المسألة (٥٩) وتنتهى ب(٧١) فى ابواب الصلاة .

Summary [Khubrat Al_fukahaa, manuscript, Al Farghany]

In fact, the main idea of the manuscript is to take note of a branch of Islamic jurisprudence, which is the science of jurisprudential jurisprudence and this manuscript in its title and subject to the men of knowledge of jurisprudence because of its ambiguity calls for thinking, and the brainstorming mood to test the intelligence of jurisprudence, Of students of knowledge jurisprudence. This section contains (13) questions starting with the question (٥٩) and ending with (71) in the doors of pray.

المقدمة

ىتناول هذا البحث دراسة وتحقيق القسم الرابع من مخطوطة خبرة الفقهاء للفرغانى والمخطوطة كما قلنا فى القسم الاول من تألىف فقىه فارسى الاصل اسمه يوسف بن يعقوب بن طلحة ، فعربها الفقىه شرف الدين احمد بن اسد الفرغانى ثم اشتهرت المخطوطة باسم الاخير. المخطوطة كما وضحنا فى القسم الاول وحيدة فرىدة، وعلى الرغم من محاولاتنا فى البحث لم نستطع اىجاد ولو نسخة أخرى لغرض التطابق .

فكان منا بذل الجهد ومزيدة لغرض اخراج المخطوطة قدر المستطاع على غاية صاحبها.

الذي شدنا في المخطوطة انها في علم تأليفه قليلة وفائدته عظيمة وهو علم الالغاز الفقهية ، وهو علم يشد طلبه العلم لاختبار تحصيلهم وكذلك من غير طلاب العلم الذين يتقدمون الى الوظائف العليا في الدولة فكان طريق ترشيحهم على منهج مسائل المخطوطة.

المخطوطة في مسائلها قد تكون صعبة جدا لأنها تتركب في بعض المسائل من احدى عشرة مسألة صغيرة فيكون جوابها بتفكيك منطوق

المسألة وتحليلها الى عواملها الاساسية ثم بعد ذلك يتم الاجابة عن جميع وجوه التحليل. كان القسم الاول والثاني من المخطوطة قد تضمن تقديمها ووصفا عن المخطوطة ومؤلفها ومترجمها ما استطعنا لذلك سبيلا ، وما اسعفتنا به المراجع والمصادر وقد انتهينا الى المسألة (59) في القسم الثالث فهانئا نستكملها في هذا القسم.

الاستنباطات الشخصية من المخطوطة

من خلال عملنا يتبين لنا عددا من الاستنباطات المتعلقة بهذه المخطوطة في الحقيقة ان موضوع المخطوطة وعنوانها تشد رجال المعرفة الفقهية كثيرا لما لها من غموض ولغزية تعصف بالاذهان من اجل اختبار الذكاء الفقهي ولا ابالغ اذا قلت ان هذا الهدف هو مسعى لكثير من طلاب المعرفة الفقهية ورجالها اذ ان الكثير قرأ وطالع العديد من التأليف الفقهية في شتى المذاهب وشتى الموضوعات الفقهية فعندما يعرض عليه عنوان غريب يجد نفسه منساقا وراءه وبشوق ليشبع نهمه من هذه المعرفة التي لم يحسب جدواها .

اعترف مرة اخرى وعلى الرغم من ميزات هذه المخطوطة الا انها تتعب المحقق كثيرا وذلك للأسباب الاتية:

- ١- مجهولية مؤلفها الا نتفا من الاستنباطات الشخصية للمحقق.
- ٢- عدم توفر نسخ اخرى يمكن عرض النسخ بعضها على بعض هذا الامر يحتم على المحقق ان يلتزم الحذر في ايراد أي معلومة بصورة اجتهادية .
- ٣- مجهولية مترجمها ايضا سوى نتفا من الاستنباطات الشخصية المبنية على بعض الالفاظ التي وردت في المخطوطة.
- ٤- ضعف في خط الناسخ في بعض موضوعات المخطوطة.

الوصف العام للمخطوطة

المخطوطة من تأليف فقيه حنفي عاش في القرن السادس الهجري وفي عهد الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ويدعى ذلك الفقيه الحنفي بابي يوسف يعقوب بن يوسف بن طلحة



ويبدو ان هذا الفقيه الحنفي وعلى الرغم من قلة الكلام عنه في طبقات الحنفية كان مشهورا على صعيد الدولة التي كانت تسمى بالدولة الغزنوية نسبة لعاصمتها غزنة من بلاد الافغان افغانستان حاليا.

فيبدو ان ابا يوسف هذا الفقيه طلب منه او بمبادرة فردية شخصية منه ان يؤلف هذه الرسالة المكونة من ثمانية وعشرين بابا في اغلب ابواب الفقه المشهورة على شكل اسئلة واجوبة لكنها في غوامض المسائل وغرائبها كل ذلك لا سباب اختبارية او لنقل فحص الكفاءة والتأهيل لشغل المناصب الادارية والسياسية او القضائية.

ولكون الفقه هو العلم الذي تحمله المخطوطة كان يعالج قضايا الناس ومشاكلهم وكان يعاون السلطات الثلاث الحاكمة في الدولة على تحقيق اهدافها عزمنا النية بعد التوكل على الله في محاولة لتحقيق المخطوطة خدمة للعلم والدين ، رغم اني اعترف وبصراحة انني اخفقت في مساعي لايجاد نسخة خطية اخرى اطمئن بها نفسي لجهدى المتواضع المبذول في تحقيقها ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وعدم التوفيق.

وبحكم تخصصنا بالبحث العلمي ايقنا يقينا لا ليس فيه ان الحقيقة لن تقف عند واحد فمن وجد حقيقة واعتقد بها نهاية العالم فقد بدا جهله من هناك كما يقول العلماء .

فمن هنا ومن صفحات البحث اقر واعترف اعتراف دين وسلف لكل باحث في المستقبل يجد شيئا اخر ولو يسيرا يعضد ما يتعلق بالمخطوطة او المؤلف او الناسخ ان يبعث لنا ما عثر عليه وسيجدنا شاكرين له وسيجدنا اذنا صاغية لكل مايجود به علينا من كرم الحقيقة خدمة لطلاب العلم والعلم .

ومن زاوية اخرى ايها القارئ الكريم انه كما يقولون ان الضرورات تبيح المحظورات فعندما يجد الانسان في خزانة علم الفقه ولاسيما المقارن مايعتقده انه كنز لا يتمالك نفسه من اجل ان ينشره خدمة للمسيرة العلمية وارفادا لعناصر الثقافة المحلية والعالمية لاننا لسنا بمنعزلين عن المخالطة والتأثير او التأثير بالعالم ، ومن دواعي حملي على جانب السلامة والتبرئة انني اعلم بحوثا ولست بقاصد منفعة كما ظهر لي لبعض الاخوة الذين اعرفهم فحسبي هنا هو نيبي وللناس نواياهم والله المطمع وهو المقيم فاسال الله ان يجعل لنا ذلك ثقلا في ميزان حسناتنا .

ومن عادة المحققين انهم يقدموا فصلا دراسيا عن حياة مؤلف الكتاب وعن شيوخه ورحلاته العلمية واهم انجازاته الاخرى ، ولكن من تقديرات

العزير العليم ان هذه المخطوطة وعندما ينظر المتابع في صحائفها العلمية ومسائلها الدقيقة الجميلة يجد ان العلم الذي تبخته هو الفقه

الحنفي هذا ما كتب عليها في الغلاف انها من اجوبة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان ولو ان كثيرا ما يكون النساخ ليس لهم دراية ولا خلفية بالعلم الذي ينسخ به اذ هو مجرد رجل قد يترزق من هذا الذي ينسخه ، فالخطا الذي يرد في عمله وارد ومشهور عند المجتمع المعرفي المتخصص وبذلك فعلية تدقيق المعلومات واحدة واحدة كل ذلك من منهج المحقق.

فاحيانا التحقيق يكون اشبه بمنهج الغوص في قضايا العلم لا استخراج خباياه وهذا مالمسته بعد تفرغي للقراءة المتخصصة والغوصية لاستحصال الحقائق فاحيانا تفاجأ بحقيقة ما ولكن لا تستطيع عمل شئ لقوة ما اشتهر على الساحة من نقيض الحقيقة.

تحقيق النص

مسألة (٥٩)

رجل رمى الجمار في المحمل^(١) او على ظهر اخر يجزيه ذلك ام لا ويخرج الى رمى من اخرى؟

جوابه

المسألة على وجهين: ان استقر على المحمل وعلى ظهر اخر يرميه ثانيا وان وقع من المحمل او من ظهر الرجل على الارض لا يرميها ثانيا.

مسألة (٦٠)

رجل وقف بعرفة^(٢) ، ولم ينوي الوقوف والحج يجزيه ، ولو طاف حول البيت في طلب واجب ومانوى الطواف لا يجزيه مالفارق بينهما؟

جوابه

الطواف قد يكون للعبادة وقد يكون لغيره في طلب غائب وغير ذلك فكان محتملا فلا بد من النية ، اما الوقوف بعرفة لا يكون الا من جهة العبادة اذ لا يحتمل شئ اخر فلا يحتاج الى النية.

مسألة (٦١)

محرم قتل قملة^(٣) يجب عليه الجزاء وان كان برغوثة لا يجب شئ، مالفارق بينهما؟

جوابه

القملة تتولد من وسخ بدنه فكانه حك بدنه ، اما البرغوثة^(٤) انما يتولد من الارض والتراب فلا يكون من بدنه.

مسألة (٦٢)

الحاج اذا طاف اربع كرات ثم واقع اهله لا يجب عليه شئ ، والمقيم اذا طاف اربع كرات ثم واقع اهله يجب عليه الدم، كيف هذا؟

جوابه

الطواف في الحج يكون بعد الحلق ، فاذا طاف اربعة اشواط فقد اتى باكثر الطواف فصار حلالا فلا يجب عليه بالمواقعة^(٥) شئ ، واما الطواف في العمرة يكون قبل حلق الراس فلا يصير حلالا بالطواف اربع كرات، فالمواقعة حرام له في هذه الحالة فيلزمه الدم كما اذا واقع قبل الطواف.

مسألة (٦٣)

رجل رمى سهمها في الحل الى الصيد فاصابه وهو في الحرم يجب عليه الجزاء وان ارسل كلبا الى الصيد في الحل فعدا الكلب وراجعته حتى اخذه في الحرم لا يجب عليه شئ ، مالفارق بينهما؟



جوابه

نفاذ السهم ومضيه مضاف الى اختيار الرجل وضعفه الا ترى انه يختلف بقوة الرجل وضعفه: اما نفاذ الكلب غير مضاف الى فعله فلا يكون ذلك جنائية وهو انما ارسل الكلب في الحل.

مسألة (٦٤)

رجل قطع غصن شجرة اصلها في الحرم : يجب عليه الجزاء ، وان قتل صيدا على ذلك الغصن لا يجب عليه الجزاء ؟

جوابه

العبرة في الاغصان اصل الشجرة لانها اتباع للشجرة وهي شجرة الحرم اما الصيد ليس يتبع للشجرة ، بل هو اصل بنفسه فيتعين مكانه.

مسألة (٦٥)

رجل فقير يؤمر بان يستقرض فيحج كيف يكون؟

جوابه

هذا رجل غني ماحج حين وجبت في ذمته ثم اتلف ماله، يؤمر بان يستقرض فيحج عنه.

مسألة (٦٦)

عبد تزوج بغير اذن مولاه اربع نسوة فاجاز السيد الانكحة كلها هل يجوز النكاح ام لا ؟

جوابه

المسألة على وجهين : ان تزوجهن في عقد واحد لا يصح نكاح الكل ، وان تزوجهن في عقود متفرقة صح النكاح الثالث والرابع، وابطل الاول والثاني.

مسألة (٦٧)

رجل زوج عبد انسان امراتين باذنهما بغير اذن السيد ، ورجل اخر زوج امراتين كذلك ثم اعتق العبد قبله الخبر ، أي الانكحة يجوزها وكيف الحكم في ذلك؟

جوابه

ان اجاز الثنتين الاوليين او اجاز الثنتين الاخريين او اجاز واحدة من الفريق الثاني جاز نكاحهن ، وان اجاز الفريقين لا يجوز نكاح واحدة منهن ولا يحل له الا بعقد جديد ويجوز له اجازة الرابعة اذا لم تكن في جملتهن.

مسألة (٦٨)

رجل تزوج امرأة على ان يكون اعتاق^(٦) عبده صداق^(٧) هذه المرأة ، يعتق هذا العبد بنفس العقد ام لا ويجب على غير هذا ام لا ؟

جوابه

المسألة على اربعة اوجه:

ان كان عبدا معينا عتق العبد وصح النكاح ويجب مهر المثل^(٨)، وان كان عبدا غير معين^(٩) صح النكاح ويقع العتق على المرأة ولا يجبه لها مهر المثل ، وان تزوجها على ان يعتق العبد ولا يقول عنك صح النكاح ولا يعتق العبد مالم يعتقه الزوج ويجب مهر المثل لها وبصير العبد مهرا لها ويكون الزوج وكيلها في عتق العبد ولو منعت

الزوج عن العتق فالعبد ملك للمرأة فلا يعتق، وان لم تعتقه حتى اعتقه فقد اعتق من مال المرأة

مسألة (٦٩)

رجل وكل وكيلا حتى يزوج له امرأة بالف درهم فتزوج بالف وزاد لها من ماله شيئا يجوز له ذلك ام لا ؟

جوابه

المسألة على وجهين:

ان زاد لها شيئا معلوما مثل الهدية فان كان مع المهر المسمى يكون الفاصح^(١٠) النكاح ، وان كان اكثر من الف لا يصح حتى يجيز الزوج وهو فضولي في هذا العقد حيث خالف الموكل.

مسألة (٧٠)

رجل تزوج ام ولد الغير بغير انن سيدها ثم اعتقت واجازت ايجوز النكاح ام لا؟

جوابه

المسألة على وجهين :

ان دخل بها قبل العتق^(١١) صح النكاح لانها وجبت عليها العدة^(١٢) من السيد ولا يصح النكاح في العقد لانه لا يجب عليها العدة من سيدها وان لم يدخل بها لا يجوز النكاح.

مسألة (٧١)

رجل وكل غيره حتى يتزوج امرأة ، فزوج الوكيل امرأة فخان الولي والولي الاخر انكر النكاح ايجوز لهذا الرجل المواقعة والمقام معه ؟

جوابه

المسألة على وجهين:

ان كانت المرأة دون البلوغ او كانت مجنونة ايجوز الولي الاخر

الخاتمة

- ١- المخطوطة بأقسامها جميعا تمثل نشاطا فكريا مميزا يحسب للمؤلف، والمترجم ، والناسخ.
- ٢- مشكلة المخطوطة انها وحيدة ، فعملية التطابق هنا تستحيل والعمل يكون اشق ، والواجب فيه توخي الحذر والتدقيق.
- ٣- من مشكلات المخطوطة ايضا ضعف معرفة الناسخ بعلم الفقه الاسلامي والنحو ايضا فضمائر التذكير توثت ، وضمائر التأنيث تذكر ، اخطاء في النسخ كتكرار الكلام والاسطر ثم اخطاء نحوية قليلة يقع فيها الناسخ ولا مشكلة في ذلك باعتقادنا لان اغلب النساخ الذين ينسخون هم ممن يرتزقوا على النسخ فتراه ينسخ بسرعة حتى يفضي المجال له لنسخ مخطوطة اخرى.
- ٤- مع كل هذه الصعاب والمشكلات الا ان مسائل المخطوطة المترابكة مع بعضها والغريبة تشد من نهم القارئ لمعرفة المزيد او اختبار العقل بهذه المسائل.



Conclusion

1. The manuscript in all its sections represents a distinct intellectual activity calculated by the author, the translator and the transcriber.
- 2 - the problem of the manuscript it is single, the process of matching here is impossible and work is more difficult, and duty in it . Be careful and check.
- 3 - of the problems of the manuscript also the weakness of the knowledge of the scribe Islamic jurisprudence and grammar, too, the memories of recall feminine, and the consciences of feminization remember, errors in the repetition of repetition of words and lines and then a few grammatical errors in which the transcriber is not a problem in our belief because most of the transcribers who copy are those who relive copies Vtrah copies quickly enough to give him the space to copy another manuscript.
- 4 - With all these difficulties and problems, but the issues of the manuscript overlapping with each other and strange draws the reader's mind to learn more or test the mind these matters.

الهوامش

- ١ - المحمل: بفتح فسكون فكسر جمع محامل ، الهودج ، وهو مركب يركب عليه على البعير. معجم المعاني الجامع .
 - ٢ - عرفة : جبل معروف في مكة ، يجب على الحجاج الوقوف فيه يوم التاسع من ذي الحجة ، وقيل سمي عرفة لان ادم تعارف على حواء (عليه السلام) بعد ان فقدتها بعد نزوله من الجنة. ينظر لسان العرب لابن منظور، ٣٦٨/٤.
 - ٣ - القملة : حشرة متطفلة تُصيب الإنسان وتمتصُ دمه، ومنها قملُ الجسم، وقمل الرأس، وأنواعُ أخرى تُصيب الحيوان والجمع : القملُ ، وهي أنواعٌ : قملةُ الرأس، قملةُ الجسد، قملةُ العانة، وهي تتغذى بدم الإنسان. معجم المعاني الجامع
 - ٤ - البرغوث: حشرةٌ من فصيلةِ البُرغوثيات، من رثيةِ عديمةِ الأجنحةِ لها جسمٌ خفيفٌ مضغوطٌ، به بطنٌ مُسعٍ وأطرافٌ مُتخصصةٌ في القفز، ورأسها مزودٌ بفكوكٍ قاضيةٍ حادةٍ، وخرطومٌ تمتصُ به دم الإنسان أو الحيوان، تنقلُ الجراثيم، لسعتها حادةٌ. معجم المعاني الجامع
 - ٥ - الموافقة: هي كناية عن النكاح ولا يختلف تعريفها في الفقه عن اللغة ، الا ان الفقهاء ذكروا تفاصيل اخرى في شرط تحقق الموافقة وهو مجرب ادخال الحشفة في القبل وان لم ينزل ، فبمجرد الادخال يتحقق . لسان العرب لابن منظور ، ج٨ ، ص ٥٧.
 - ٦ - اعتاق : إعتاقُ عبْدٍ : تحريره، تخليصه من الرقِّ والعبودية. معجم اللغة العربية
 - ٧ - الصداق : مهرُ المرأة ؛ ما يُعطى للزوجة من المال شرعاً
 - ٨ - مهر المثل : مهر المثل في فقه المعاملات هو: الصداق المقدر للمرأة بمثلها من قراباتها، من جهة أبيها، ثم الأقرب فالأقرب، مع اعتبار الصفات، والمكانة، والزمان والمكان. ويفرض لها بعد عقد النكاح الذي لم يحدد فيه المهر، أو بعد حصول تسمية المهر بصورة غير معتبرة شرعاً، أو غير ذلك من الحالات، التي تحتاج إلى فرض مهر المثل؛ لأن الشرع لم يحدد قدراً للمهر.
 - ٩ - المعين: ع ي ن. [مفع. من عين] معيّنٌ في منصبٍ هامٍّ: مسمّى مكانٍ معيّنٍ: مُحدّدٌ أمرٌ معيّنٌ: مُخصّصٌ. "يُرونا في أوقاتٍ معيَّنةٍ" معيّنٌ في مجلسٍ المُستشارين: من وقع اختياره عضواً من دون أن يرشّح ليفوزَ في الانتخابات.
- معجم اللغة العربية المعاصرة
- ١٠ - فاصح : تكلم بكلام صحيح ولغة جيّدة، أعرّب، صار بليغاً معجم المعاني الجامع

١١- العتق : عَتَقَ الْعَبْدُ : خَرَجَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ

قاموس المعاني الجامع
١٢- هي مدة محددة شرعا لمن انفصلت عن زوجها بطلاق أو إبراء ونحوهما أو مات عنها، وهي مختلفة باختلاف الحالات.
والجمع عدد.

قاموس المعاني الجامع

المصادر

- I. لسان العرب لابن منظور ، ٣٦٨/٤ .
- II. معجم المعاني الجامع
- III. معجم اللغة العربية المعاصرة

References

- I. <https://www.almaany.com/ar/dict/arr/%D9%82%D9%85%D9%84%D8%A9>.
- II. <https://www.almaany.com/ar/dict/arr/%D8%A8%D8%B1%D8%BA%D9%88%D8%AB/>.
- III. <https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A8%D8%B1%D8%BA%D9%88%D8%AB>.
- IV. <https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A5%D8%B9%D8%AA%D8%A7%D9%82/>.
- V. <https://www.arabdict.com/ar/%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%8A%D9%86>
- VI. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D9%84
- VII. <https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AA%D9%82/>
- VIII. <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B9%D8%AF%D8%A9/>



المضمون الجغرافى فى كتابى المسعودى مروج الذهب والتنبيه والإشراف

أ.و. عباس فاضل (السعري)

استاؤ الجغرافىا والدراسات السكانية بجامعة بغداد

خلاصة

أبو الحسن المسعودى هو من ذرية عبد الله بن مسعود. ولد فى بغداد سنة ٢٨٣/٨٩٦م اعتنى بوصف الإقليم الرابع (وهو إقليم بابل) الذى يقع فى العراق مولده. وتوفى فى القسطنطينية بمصر سنة ٣٤٦/٩٥٧م. وأطلق عليه "هيرودوت العرب" وأشتهر بكتابين هما مروج الذهب والتنبيه والإشراف.

أحب الرحلات منذ صباه وقام بها بعمر ١٨ عاماً وتجول فى بلدان العالم المختلفة والمعروفة حينذاك. وكانت الرحلة هى أساس منهجه العلمى، وربط فى كتاباته الجغرافية بين الزمان والمكان والإنسان. ووقف من مصادره موقف الناقد، ونبه الكاتب إذا وقع فى خطأ كما فعل مع روايات الجاحظ وكتابات بطليموس. وبالرغم من إيجابياته العديدة إلا أنه كان يزاول بعض أعماله بعجالة وكتابات به حجة إلى غرلة،

أما أبرز الإستنتاجات التى تم التوصل إليها فهى تركه أثراً جغرافياً مباشراً وهو ما سُمى بـ (الصورة المأمونية) التى رآها فى القرن العاشر الميلادى. ويورد أول خبر عن طواحين الهواء. وتُنسب إليه نظرية الإنحراف الوراثى. وله الفضل فى وصف طراز البناء الحيرى فى سامراء وبرزها.

وهو من أوائل من ناقش دورة الماء فى الطبيعة، وأهتم بجيومورفولوجية الأنهار. كما أشار إلى تراجع الساحل الشمالى للخليج العربى باتجاه الجنوب. وعرض المسعودى نظرية خاصة بالرياح، وكان له تصور واضح عن الاصل الواحد للشعوب الجزرية (السامية) ووحدها. قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية فى أوروبا.

الكلمات المفتاحية: المسعودى، الجغرافىا، مروج الذهب، التنبيه والإشراف، الخريطة، المنهج

Abstract

Al-Masoudi was born in Baghdad, in the year 283 AH, and died in Fustat, Egypt, in the year 346 AH. The most prominent conclusions that

were reached are the important direct geographical influence he left, which was called the (Map of Almamonea) that he saw in the tenth century AD. It gives the first news about windmills. He is credited with the theory of genetic drift. He is credited with describing and highlighting the Hiri building style in Samarra.

He was one of the first to discuss the water cycle in nature, and he was interested in the geomorphology of rivers. He also indicated the retreat of the northern coast of the Arabian Gulf towards the south. Al-Masoudi presented a theory of winds, and he had a clear vision of the single origin of the (Semitic) peoples and their unity. Long before its emergence as a scientific theory in Europe.

Key Words: Al- Masoudi, geography, Books, Method, Map.

المقدمة

إنبتقت عناية العرب بالجغرافيا من واقع حياتهم، ذلك أن نشأتهم الأولى كانت في محيط حتم عليهم أن يلموا بالمعلومات الجغرافية المختلفة، إذ لم يكن في استطاعتهم أداء الطقوس الدينية وإنجاز معاملات البيع والشراء وتسديد الديون إلا إذا ضبطوا مواعيدها. وتحدثت العرب عن الجغرافيا وما تتضمنه من أحوال السكان والمدن والملوك والحكام والمشاهد. وهي موضوعات تتضمنها الجغرافية الوصفية والبشرية والفلكية التي كانت تعد من أهم المنجزات التي قدمتها العقلية العربية إلى الحضارة الإنسانية^(١). ومن بين الجغرافيين الذين برزوا في مجال الجغرافية العربية والرحلات الميدانية أبو الحسن المسعودي صاحب المؤلفات الضخمة والتي فقد الكثير منها، وأبرز كتابين أشتهر بهما وتضمنت معلومات جغرافية عديدة هما "مروج الذهب" و"التنبيه والإشراف".

إن إلقاء الضوء على معلومات المسعودي الجغرافية بتخصصاتها الكثيرة والتي تضمنها كتابيه المشار إليهما، يعد هدف البحث. أما إشكاليته فتتمثل بالتساؤل الآتي: هل يتضمن مؤلفي المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجواهر، والتنبيه والإشراف) ورحلاته الميدانية معلومات جغرافية ثمينة بمختلف التخصصات الجغرافية؟

والإجابة على هذا التساؤل يمثل فرضية البحث التي تتضمن معلومات عن منهجية المسعودي في تناوله تخصصات الجغرافية الطبيعية والبشرية. وقد سبق الجغرافيين الآخرين في تناوله موضوعات جديدة ومعلومات مبتكرة سبق غيره في ذكرها، سيتناولها هذا البحث.

ولادته ورحلاته:

^١ محمد علي شاهين، علم الجغرافيا والإكتشافات المبكرة عند المسلمين، ٢٠٠٨/٧/٩، الألوكة. أنظر الموقع على النيت:



المسعودى هو المؤرخ الجغرافى المشهور أبو الحسن على بن الحسين بن عبد الله بن مسعود. فهو من ذرية أحد أحماد صاحب الدعوة الإسلامية الرسول محمد (صلّ الله عليه وسلم)^(١).

ويُعد من أكبر المؤرخين والجغرافيين، وقد أعتد ابن خلدون (٥٨٠٨) على كثير من رواياته التاريخية^(٢). وكتابه "مروج الذهب" هو من عجائب المكتبة الإسلامية علماً وثقافة وإحاطة بكل معارف عصره.

وأطلق المؤرخ الفرنسى (م. دوسن) عليه لقب "هيرودوت العرب"، وسماه غيره "بظليموس المسلمين". وتظهر معلومات المسعودى الموسوعية من خلال معارفه المتعددة، فكان ملماً بعدة لغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية. وقد تتلمذ على يديه كثير من العلماء والمؤرخين وأكثروا من النقل عنه والتوثيق له^(٣).

والمسعودى من عائلة بغدادية كريمة، فقد ولد في بغداد ونشأ وتعلم بها وسمع فيها من فحول النحويين أمثال نفطويه. ومن أقواله شوقاً بمسقط رأسه: "... ومن علامة وفاء المرء دوام عهده وحنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه"^(٤).

لذلك إهتم المسعودى بوصف الإقليم الرابع الذي يقع فيه العراق مولده. ويخطأ ابن النديم في جعله من أهل المغرب^(٥). ولعله شخص آخر أو لعل بعض أجداده نزحوا إلى المغرب.

غير أن المسعودى نفسه يؤكد أنه بغدادى الأصل والمولد، إذ يقول ما نصه : "وأشرف الأقاليم مدينة السلام التي مولدنا فيها..."^(٦). ومع إختلاف الآراء حول تحديد سنة ولادته إلا أن المرجح عندنا أنه ولد في عام ٨٢٣/٥٢٨٣م. أما وفاته فكانت في الفسطاط بمصر سنة ٩٥٧/٥٣٤٦م، وإن ذكر البعض أن وفاته كانت في سنة ٣٤٥.

وبخصوص رحلات المسعودى فقد أبتدأها من موطنه بغداد عام ٩١٣/٥٣٠١م بعمر ١٨ عاماً. حيث كان يحب الرحلة منذ صباه. وظل يتجول بين فارس وكرمان وآستقر في إصطخر حتى عام ٩١٦/٥٣٠٤م، ومنها رحل إلى مجاهل الهند وصيمور وقطن بومباي. ومن المحتمل أن يكون قد أقام حينذاك في جزيرة سرنديب (سيلان) وعبر البحر العربى إلى زنجبار (زنجبار) ومدغشقر إلى عُمان ومسقط في طريق

^١ دمترى ف. ميكولسكى، "المسعودى هيرودوت العرب"، جريدة الرياض، العدد ١٣٧٤٤، الخميس ١٠ محرم ١٤٢٧/٥١٩

فبراير ٢٠٠٦م.

^٢ ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د. ت. ص ١٠-١٢.

^٣ المسعودى، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوى، دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٩٣٨/٥١٣٥٧م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى في بغداد، بقلم المحقق، ص: (ج).

^٤ المعرفة، المسعودى مؤرخ جغرافى ورائد نظرية الإنحراف الوراثى. أنظر الموقع على النيت:

<https://www.marefa.org/>

^٥ ابن النديم، الفهرست، مطبعة الإستقامة، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د. ت. ص ٢٢٥.

^٦ المسعودى، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥١.

عودته إلى بغداد. ويمكن أن نستنتج أنه ذهب إلى قناطر (فالنسيه) العجيبة وشارف الصين^(١).

وفي عام ٩٢٦/٥٣١٤م ذهب المسعودي إلى البصرة عن طريق البحر العربي ومكث فيها مدة طويلة من الزمن، وتجول بين دجلة والفرات وأسقصى كل صغيرة وكبيرة. ويقول في ذلك: "... فإذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار آخر إلى بطيحة البصرة..."^(٢).

أما نهر الفرات فيقول فيه: "... ثم ينتهي إلى الرقة وإلى الرحبة وهيت والأنبار... مما ينتهي إلى مدينة السلام... وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين... ثم تنتهي غايته إلى البطحاء التي بين البصرة وواسط..."^(٣).

وبعد تجواله في العراق ذهب إلى بحر قزوين (الخرز) وأذربيجان وجرجان وآسيا الصغرى وسوريا^(٤). وفي سنة ٣٣٢هـ جاء المسعودي إلى أنطاكية والشغور الشامية ودمشق وفلسطين وأستقر أخيراً في مصر فنزل الفسطاط سنة ٣٤٥هـ^(٥). وفي رحلة أخرى وصل فيها إلى منابع النيل، وواصل مسيرته حتى مصبه في البحر الرومي^(٦).

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن الميدان الحقيقي للمسعودي هو الرحلات الواسعة والإتصال المباشر بممثلي مختلف الطبقات. فقد شملت رحلاته جميع البلدان، من الهند إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين. وكثيراً ما يثبت في مصنفاته تاريخ زيارته لمواضع معينة، وهو أمر يعطي فكرة عن تجواله الواسع.

ومن بين أهدافه لرحلاته المغامرة والكشف عن الجديد، فقد أشار في القرن العاشر الميلادي إلى رحلة المغرورين في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)^(٧) التي سبق وأن رواها الشريف الإدريسي في القرن التاسع الميلادي^(٨).

وفي خاتمة رحلاته يقول المسعودي: "... وأقترحنا الشرق والغرب، فتارةً بأقصى خراسان وتارةً بأواسط أرمينية وأذربيجان والران والبلقان، وطوراً بالعراق، وطوراً بالشام..."^(٩).

منهجه العلمي:

^١ المصدر نفسه، بقلم المحقق، ص: (ط ي)، المسعودي، مروج، ج ١، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ص ٥، صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج ١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩، ص ١٣.

^٢ المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٢-٨٣.

^٣ صبري محمد حسن، مصدر سابق، ص ١١٤-١١٥.

^٤ المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص: ي، صبري محمد حسن، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٣-١١٤، نقولاً زيادة، الرحالة العرب، سلسلة الألف كتاب، تسلسل ٩٧، منشورات دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٤٧.

^٥ المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج ١، ص ٥.

^٦ المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٨-٧٩.

^٧ إغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيغور بليابف، جامعة الدول العربية/ الإدارة الثقافية/ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٣٧.

^٨ الشريف الإدريسي، ذكر الأندلس أو وصف إسبانيا (على طبعة ١٧٩٩م)، المطبعة الملكية، مدريد، نوفمبر ١٩٨٣، ص ٥٥ (باللغة الإسبانية).

^٩ المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠.



إعتمدت منهجية المسعودى على الرحلة الميدانية، فهى تُعد فى أهميتها عوناً للجغرافى فى صقل المنهج وتأكيد المشاهدة والمعانية، الأمر الذى أوثق المرئيات وأكد حدوث الوقائع^(١). حيث تمثل الرحلة بالنسبة للجغرافى العين المبصرة فى الدراسة الميدانية وتكفل حمل لواء الإضافة والتطوير والتجديد. وكان المسعودى الرائد فى هذا المجال فقد أمضى أكثر من ربع قرن من حياته فى التطواف فى مملكة الخلفاء الواسعة^(٢).

وأحتل المسعودى المكانة الأولى بين الجغرافيين العرب فى القرن العاشر الميلادى. فهو أكثر الكتاب الجغرافيين أصالة ابان القرن المذكور كما يذكر (كرامرز) kramers و "أرنست رينان" Ernest Renan^(٣).

وبناءً على ما تقدم فإن المسعودى أتبع المنهج العلمى الصائب الذى يتطلب من الجغرافى أن يثبت من معلوماته بالملاحظة والمشاهدة والتجربة، ومن ثم أستخلص النتائج. إلا أنه لا يتبع إتباعاً أعمى المنهج التأليفى السائد فى الجغرافيا آنذاك، بل يفرد مجالاً واسعاً للمعلومات الجغرافية المأخوذة مباشرةً من الرحالين والتجار^(٤).

وعدّ "مينورسكى" المسعودى الممثل النموذجى لأفضل مواهب بنى جنسه من حيث النظر إلى الفضول العلمى، وحب الأسفار. ولا يأخذ المسعودى مصادره على علائها بل وقف منها موقف الناقد. وينبه الكاتب إذا وقع فى خطأ. فقد فحص بأهتمام شديد رواية الجاحظ عن نهري السند والنيل وفندها^(٥).

وفضلاً عما تقدم فإن المسعودى غالباً ما كان يقارن المادة المكتوبة بالمعطيات الواقعية. وإذا تأملنا قوله عن ثورة (هوانغ تشاو) الصينية نجده يسلط الأضواء على المصادر الصينية المحلية وليس على البحارة^(٦)، وهذه ميزة حسنة تحسب له.

ومن هنا يظهر أن المسعودى كان يرغب فى الحصول على الأخبار الموثوق بها، لذلك فإن ما خلفه من مؤلفات فيها شيء جديد فى النظرة والأسلوب. وربط فى كتاباته الجغرافية بين الزمان والمكان والإنسان، وهى فى ذلك تعكس فكر ثاقب، ونظر بعيد، وتفكير عميق^(٧). وقد درس بتمحيص ما رآه بأ عينه- أثناء رحلاته- أو سمعه من أناس ثقات، ودأب على فرز الصحيح وإهمال ما يناقض الحقيقة بحسب ما يراها^(٨).

وعلى الرغم من تلك الإيجابيات إلا أن منهجه فى التويب لا يرقى إلى المستوى المطلوب، فقد كان يزاول بعض أعماله بعجالة وإن طريقتة فى التأليف غالباً ما تعتمد

^١ حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة ١٣٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، حزيران ١٩٨٩، ص ٦٣، ٩٧.

^٢ طارق فتحى، مصدر سابق، ٢٠١٥/١٠/١٢.

^٣ عن: كراتشكوفسكى، مصدر سابق، القسم الأول، ص ١٨١.

^٤ المصدر نفسه، ١٨٥/١.

^٥ مينورسكى، مصدر سابق، ص ١٣-١٤.

^٦ عبد الفتاح محمد وهيب، جغرافية العرب فى العصور الوسطى، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافى لسنة

١٩٦٠، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٥٥-٥٦.

^٧ المصدر نفسه، ٢٠١٣.

^٨ ، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

على العرض، وبعض منها على الإسناد، ومن ثم قليلاً ما يشير إلى مصادره، وقد يعتمد أحياناً على ضعيفي السند. ولا يخشى أن يذكر أسماء الشخصيات التي كانت ممقوته في عصره. وقد يكون ذلك قد دفع ابن النديم أن يصفه في الفهرست بأنه (ناقص العقل)^(١). نستنتج مما ذكره البعض عن سلبيات المسعودي أنه لم يكن يُعنى عناية فائقة بغرلة معلوماته، لذلك أشتملت مؤلفاته الكثير من تلك المعلومات ذات الطابع الأسطوري، وتضمن بعضها حشو وحكايات ساذجة. لذلك آتلف الكتاب في تقييمه، فمنهم مَنْ عدّه من أكثر الجغرافيين أصالة في القرن العاشر الميلادي، بل ولقبه البعض بـ "هيرودوت العرب"^(٢). ومنهم مَنْ عدّه، بمعلوماته وإسلوبه " قرابة ورحمة مع أسلوب الصحافة الحديثة، وفي شخصه إنموذج للمراسلين الصحفيين المعاصرين الذين يذرعون الأرض " على حد قول (مارت ورك)^(٣). فهو شأن الغالبية العظمى من مؤلفي عصره يُعنى بالتسجيل أكثر مما يُعنى بتحقيق ما يسجل. لكن له دور (مع البتاني) في تنبيه بطليموس عن أخطاء وقع فيها بجعله ساحل أفريقيا الشرقي ممتداً نحو الشرق إلى ما يقابل ساحل الصين. بينما جعل المسعودي والبتاني الساحل المذكور محاطاً بالبحر من جميع الأطراف، كما جعل البحر الهندي بحراً مفتوحاً، كما هو عليه الحال^(٤).

الجغرافية الوصفية عند المسعودي:

اختلفت أنماط كتب الجغرافية الوصفية بتنوع إهتماماتها وتباينها وتعدد أهدافها، كما تمثل ذلك في الموسوعات ذات المعلومات الجغرافية التاريخية المتنوعة مثل مروج الذهب وأخبار الزمان. وتضمنت كتب المسعودي أيضاً موضوعات تتعلق بالكوزموغرافيا التي تُعنى بغرائب الأرض وعجائبها حيث يختلط فيها العلم بالخرافة. وتناولت الجغرافية الوصفية، فيما تناولته، الأقاليم السبعة مع تفصيل وتأكيد في وصف الإقليم الرابع الذي يقع فيه العراق، مولد المسعودي. ويرد القول عرضاً عن عجائب الإسكندرية التي شغلت الناس منذ العصور القديمة، وكذلك وصف البحار والأنهار، ويفرد المسعودي فصل خاص عن البلاد الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي من بحر قزوين^(٥).

وفي سجستان يورد أول خبر عن طواحين الهواء كما يقول العالم "سارتون"، وربما كانت هذه الطواحين من مبتكرات الشعوب الإسلامية^(٦). ويرى المستشرق الروسي (ميكولسكي) إن سعة إطلاع المسعودي وغازة معارفه كانت مذهلة حقاً...

^١ ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص ١٤٧ (عن: كراتشوفسكي، ١٨٤/١).

^٢ م. ف. مينورسكي، مصدر سابق، ص ١٣-١٤.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٣، كراتشوفسكي، مصدر سابق، ١٧٧/١.

^٤ أحمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، الباب الأول، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولبنكيان ونقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤، ص: (لا).

^٥ كراتشوفسكي، مصدر سابق، ١٨٢/١.

^٦ وكيبديا الموسوعة الحرة، المسعودي مؤرخ جغرافي، المعرفة، ٢٠١٠. انظر الموقع على النت:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/المسعودي>



وعدت أخباره عن العديد من الأمصار والشعوب القاطنة فيها مرجعاً هاماً للمؤرخين والجغرافيين والإثنوغرافيين^(١).

وترك المسعودى أثرأ جغرافياً يشار له بالبنان، وهو ما سُمى "بالصورة المأمونية" التي رآها في القرن العاشر الميلادى حينما قال: " ورأيتُ الصورة المأمونية وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما"^(٢).

وقد تميز المسعودى عن العديد ممن عاصروه، أو ممن سبقوه بأنتهاجه نهجاً جديداً في تناوله للجغرافيا. فقد طعمَ الجغرافية البشرية بمعلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية. وفي كتابه "مروج الذهب" ذكر أثر المناخ في ألوان البشر ونشاطهم الجسماني وذكائهم، وأثر البيئة الطبيعية على أخلاقهم وأعمالهم^(٣).

وصف المسعودى للبحار:

ذكر المسعودى البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وعروضها ومصبات عظام الانهار إليها وما يحيط بها من الممالك مثل البحر الحبشى وبحر الخزر وبحر بُنطس (الأسود) وبحر أوقيانس (الأطلسي)^(٤).

وأشتمل كتاب المسعودى "أخبار الزمان" على حديث مفصل عن البحر المحيط (الأطلسي) الذي يتصل به البحر الأسود الزفتى (المحيط الهادى شرق الصين). ويعد بحر الصين الجنوبي جزء من المحيط المذكور.

الجغرافية الطبيعية وما يرتبط بها من علوم عند المسعودى:

تتضمن الجغرافية الطبيعية حقول متعددة من بينها الجيومورفولوجيا التي تنوعت معلوماتها في الكتابات الجغرافية العربية وشملت السهول والجبال والبحيرات والبحار. وقد تناثرت في تضاعيف الكتابات الجغرافية ولم تصنف تحت باب معين. وقد تناولت بالبحث أثر عوامل التعرية والنحت في التضاريس الأرضية، وأوضحت عملية نشوء السهول الرسوبية البحرية، وتحدثت عن تكون الجبال الإلتوائية.

وقد أهتم المسعودى بحقلى الجيومورفولوجيا والجيولوجيا وكان يُعد من أساطين مرحلة الرواد الموسوعيين مع نهاية القرن الثالث الهجرى. وتظهر في كتابيه "مروج الذهب" و" التنبيه والإشراف" ريادته في الحقلين المذكورين. وتظهر تلك الريادة في وصفه لهيئة الأرض وغلافها المائى وغلافها الهوائى، وظاهرة المد والجزر وأسبابها وعلاقة القمر بها وتأثيرها على البر. كما ناقش دورة الماء في الطبيعة، وطبيعة الماء العذب والمالح وأختلاف كثافتهم، وأوصاف الأنهار وأخبارها وأسباب ملوحة ماء البحر، وتغير مواضع البر والبحر وعلامات وجود الماء في باطن الأرض. كما وصف

^١ دمتري ف. ميكولسكى، مصدر سابق، العدد ١٣٧٤٤.

^٢ المسعودى، التنبيه والإشراف، رواع التراث العربى، سلسلة ٤، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٣.

^٣ مقالة عن الجغرافيا وعلمانها وخرانطها، المكتبة الجغرافية، شباط ٢٠١١. أنظر الموقع على النيت:

geography_library.blogspot.com/2011/02/blog_post...

^٤ المسعودى، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص ٤٥، ٥٩-٥٢.

بعض البراكين التي شاهدها في رحلاته في بلاد الري وجزيرة صقلية ووصف ما تقذفه من أبخرة ودخان وصخور^(١).

ويرى المسعودي، كما يرى بقية الجغرافيين في عصره عدم ثبات البحر أو البر في مكانه وشكله أو تأثيره^(٢). كما أهتم المسعودي بجيومورفولوجية الأنهار من خلال تأكيده على (دورة التعرية النهرية) حينما ذكر أن للأنهار شباباً وهرماً وحياءً وموتاً ونشوراً، كما هو شأن الحيوان والنبات^(٣). وأشار إلى تراجع الساحل الشمالي للخليج العربي باتجاه الجنوب^(٤)، وهو ما تضمنته النظرية الألمانية الحديثة وملاحظاتها على نظرية (ليس وفالكون).

محيط الأرض وقطرها وكرويتها:

ذكر المسعودي أن مساحة تدوير الأرض وشكلها هو (٢٤٠٠٠ ميل مربع)^(٥)، مع المياه والبحار وهي تأخذ شكل إستدارة الأرض. في حين قدر بطليموس مساحة التدوير بنحو (١٨٠٠٠ ميل مربع). أما قطر الأرض فهو ٧٦٦٧ ميلاً، والميل يساوي (٤٠٠٠ ذراع بالسوداء)^(٦). كما برهن في كتابه "مروج الذهب" على كروية الأرض بدليل وبرهان عقلي، فقد قال إن الشمس إذا غابت في جزائر الأوقيانوس كان طلوعها في أقصى الصين، وذلك نصف دائرة الأرض^(٧).

وحول تحديد خط طول (صفر) اختار المسعودي رأي (سترابون) فجعل هذا الخط يمر من جزيرة زنجبار الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقي وأطلق عليها اسم (جزيرة الأرين) أو (قبة الأرض)^(٨).

وصف المسعودي لبعض الظواهر الطبيعية:

كان المسعودي صادقاً، إلى حد كبير، في تصوره لتوزيع الماء واليابس، فقد قال بامتداد أفريقيا مسافة طويلة إلى الجنوب من خط الإستواء، وأنه يفصلها عن مدغشقر خليج. كما رجح وجود أرض مجهولة إلى الجنوب من تلك القارة، ولعله يقصد بها القارة القطبية الجنوبية أو أستراليا^(٩).

^١ عدنان النقاش، الجيولوجيا عند العرب، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ٤٧، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص ٣٤-٣٥.

^٢ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، منشورات المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي، بغداد، ١٩٢٨، ص ٨٠.

^٣ المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٠.

^٤ النظريات والأفكار التي قدمها مجموعة من العلماء العرب في مجال الجيولوجيا، التقدم العلمي: الموسوعة الجيولوجية، ج ٤، ٢٠١٨/١٠/١٢. أنظر الموقع على النيت: النظريات- والأفكار www.aspdkw.com/

^٥ المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص ٢٤.

^٦ شاكر خصباك، في الجغرافية العربية: دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط ١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٢٩.

^٧ عباس العقاد، أثر العرب في حضارة أوربا، ص ٤٩ (عن: صبري محمد حسن، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٥).

^٨ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١٧-١١٨، محمد عبد الفتاح وهيب، مصدر سابق، ص ٦٥.

^٩ عبد الفتاح محمد وهيب، مصدر سابق، ص ٦٨-٦٩.



وعن الزلازل ذكر المسعودى إنهار منارة فاروس Pharos المشهورة فى الإسكندرية فى زلزال عام ١٣٤٤هـ/٩٥٥م^١. وأشار أيضاً إلى وجود البراكين فى بلاد فارس.

ومن موضوعات الجغرافية الطبيعية الأخرى التى تطرق إليها المسعودى وصفه للبحر الميت، وحديثه عن اقتران البحر الأسود ببحر قزوين. كما أشار إلى وجود صلة بين البحر الأسود والمحيط الشمالى، وحلقة الوصل هى نهر (تانيس)^(٢).
العوامل البيئية وتأثيرها:

إن محصلة التأثير المباشر للعوامل البيئية (الماء، الهواء، التربة) هو الذى يحدد صلاحية بلد معين للسكن. " فكل بلد إعتدل هواؤه وخفّ مأؤه، ولطف غذاؤه كانت صور أهله وخلانقهم تناسب البلد وتحاذيه"، وهذا ينطبق على العراق بحسب مفهوم المسعودى^(٣).

المناخ وتأثيره على البشر:

ناقش الجغرافيون العرب العوامل المؤثرة فى مناخ الإقليم وثبتوا مفاهيم مقاربة للمفاهيم الحالية. وسار المسعودى بهذا الإتجاه وأشار إلى تأثير الهواء على الأبدان^(٤). قل الشيء ذاته عن تأثير الإرتفاع والإنخفاض والبحار وطبيعة الأرض والتربة^(٥). وللمسعودى نظرية خاصة بالرياح عرضها فى كتابه "التنبية والإشراف" حيث تختلف اتجاهاتها ما بين نصفي الكرة الأرضية وما بين الصيف والشتاء^(٦). وبخصوص تأثير المناخ على صفات البشر وأوانهم وطباعهم ربط المسعودى اختلاف صفاتهم بتباين خصائص المناخ بين نصفي الكرة الأرضية^(٧).

خريطة المسعودى:

ذكر المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" أنه رسم خرائط لبعض أقاليم الأرض، ولكنها فقدت كما فقد الكثير من كتبه. وتعد خريطة العالم المنسوبة إليه من بين أدق الخرائط العربية التى نشرها (ميللر)^(٨).

وقد تضمنت خرائط المسعودى أمور كثيرة، كانت أدق من خرائط بطليموس حول صحة مواقع كثير من البلدان والبحار الداخلية فى آسيا كبحر قزوين وآرال وفى جعله المحيط الهندي مفتوحاً من جهة الشرق^(٩).

^١ كراتشكوفسكى، ١/١٨٣.

^٢ عبد الفتاح محمد وهيبية، مصدر سابق، ص ٦٨، خريطة المسعودى، الشكل ٢، ص ٦٩.

^٣ المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، ج ٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٩.

^٤ المسعودى، التنبية والإشراف، منشورات مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٦. راجع أيضاً: شاكر خصبك، علي محمد المياح، الفكر الجغرافى: تطوره وطرق بحثه، وزارة التعليم العالى/ جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١١٣.

^٥ المصدر نفسه، ص ١١٣.

^٦ المسعودى، التنبية والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص ١٠-١١.

^٧ المصدر نفسه، ص ٢٢.

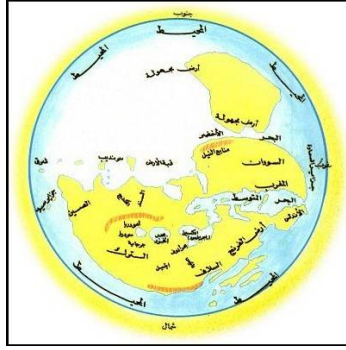
^٨ محمد سالم، الرحلة والرحالة الجغرافيون المسلمون، منتدى العرب المسافرين الحقيقى. أنظر الموقع على النيت:

<https://arabs.travel/printthread196844.html>

^٩ عبد الفتاح محمد وهيبية، مصدر سابق، ص ٧٢.

واكبر خطأ وقع فيه الإدريسي، بنظر المسعودي، هو مده لساحل أفريقيا عند ابتداء خليج عدن من جهة الشرق بحيث يكاد يصبح المحيط الهندي بحيرة مقلدة تنتشر فيها الجزر الكبيرة والصغيرة. وأخطأ الإدريسي- كما بين المسعودي- في جعل جزيرة سرنديب أكبر من شبه جزيرة الهند، وجعله بحر الخزر (قزوين) أكبر بكثير من بحر نيطنش (الأسود)^(١).

الشكل (١) خريطة الأرض للمسعودي



الشكل (٢) خريطة الأرض لبطليموس



الشكل (٣) خريطة الأرض للإدريسي



^١ المصدر نفسه، ص ٧٥.



الجغرافية الاقتصادية:

تتضمن الجغرافية الاقتصادية حقول متعددة مثل الزراعة والري وما يرتبط بهما من علوم، وكذلك الصناعة والنشاط التجاري والنقل وغيرها. فمن يريد زرع الأرض، بنظر المسعودي، عليه أن يفتش عن الماء من خلال العلامات التي تدل على وجوده مثل وجود منابت القصب والحلفاء واللين من الحشيش في المواضع التي يوجد فيها الماء، وذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر، وإن ما عدا ذلك فعلى البعد^(١).

ومن بين اهتمامات المسعودي إثناء رحلاته وتجواله وصفه لمشاريع الري والزراعة، ومن بينها ما ذكره عن وجود مقياس للماء في شبه جزيرة سيناء بناه عبد العزيز بن مروان الذي شيد أيضاً قنطرة في الفسطاط سنة ٦٨٨/٥٦٩ م كتب إسمه عليها^(٢).

وتنسب إلى المسعودي نظرية الانحراف الوراثي^(٣) (في الحمضيات) وهي أصل نظرية التطور. ومن حقول الجغرافية الاقتصادية الأخرى التي أهتم بها المسعودي هي التجارة التي تعاضمت بعد ظهور الإسلام والتي شجعت على الرحلة والتطواف وهو ما قام بها المسعودي^(٤).

وقد أشار المسعودي إلى أنتعاش التجارة في موانئ شرق الجزيرة العربية حيث قامت تجارة منظمة بين عُمان وشرق أفريقيا في القرن العاشر^(٥).

جغرافية العمران:

إهتم المسعودي بالعمران بأعتبره ماوى الإنسان وفيه استقرار حياته. وبهذا أشار إلى تخطيط مدينة سامراء التي أختارها المعتصم بعد تركه لمدينة السلام حيث يتوفر فيها الفضاء الواسع، والهواء الطيب، والأرض المناسبة فبناها وأقام بها^(٦). كما أهتم بوصف طراز البناء الحيري الذي شاع في تخطيط المدن وبنائها وخاصة في سامراء.

^١ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، ص١٢٩.

^٢ المسعودي، مروج الذهب، ج١، القاهرة، ١٩٢٧/٥١٣٤٦م، ص٢١٣. راجع أيضاً: عواد عبد المجيد الأعظمي. مشاريع الري والزراعة في صدر الإسلام، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٩٧٨، ص١٢١-١٢٢.

^٣ نادية راضي، أفضل علماء الجغرافيا في التاريخ الإسلامي، المرسال، ٢٠١٤/٧/١٨. أنظر الموقع على النيت:

www.almarsal.com/post/142823

^٤ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٤٨، ص٨٦-١١٣.

^٥ عبد الرحمن زكي، بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٤، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ص٧٧.

^٦ المسعودي، مروج، ط٢، ج٣، ١٩٧٣، مصدر سابق، ص٤٦٦-٤٦٧.

فقد أشار إلى إعجاب الخليفة المتوكل بهذا الطراز فنفته في الأبنية التي أنشأها، وكان شائعاً في الحيرة^(١).

السكان وعلم الإثنوغرافيا:

تناول المسعودي مجاميع سكانية عديدة ووضح بعض صفاتهم وخصائصهم الإثنوغرافية، وفصل القول في الشعوب الجزرية (السامية) وشعوب أخرى غيرهم. وأورد في كتابيه (مروج الذهب والتنبيه والإشراف) معلومات دقيقة عن الأمم السامية وعلاقتها فيما بينها ومع الشعوب الأخرى. وبدأ بذكر سام بن نوح الذي قيل أنه أول من تكلم باللغة العربية، وكانت لغاتهم هي السريانية، ومنهم النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) الذي خرج بعمر ٣٧ عاماً من قريته (أور) في إقليم بابل وصار إلى حرّان من أرض الجزيرة. وأمر بالمسير فعبر الفرات فيمن معه وسار إلى الشام ومصر. وله ولد هو سيدنا اسماعيل (عليه السلام) الذي قطن الحرم المكي وأرسله إلى العماليق وجُرمهم وقبائل اليمن وأوصى إلى ابنه عدنان بأمر البيت، ومنه أبناء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وجميع العرب العاربة من ولده. ويسمى أبناء إسماعيل بالعرب المستعربة لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم^(٢).

وحدد المسعودي أمتداد مساكن (سام بن نوح) من بلاد الحرم إلى حضرموت وعمّان وإلى عالج، ومن ولد سام (إرم)، ومن ولد إرم عاد، وينزلون الأحقاف فأرسل إليهم هوداً. ومن ولد سام أيضاً (ثموداً) وينزلون بين الشام والحجاز فأرسل إليهم (صالحاً)^(٣). وأستمر وجود الثموديين في بلاد الشام منذ القرن السابع قبل الميلاد لغاية القرن الثالث بعد الميلاد، وهم عند الإخباريين من العرب البائدة. وذكر المسعودي أن ملك ثمود كان يمتد من مناطقهم المذكورة إلى البحر الحبيشي^(٤). وتدل نقوشهم على ان ديارهم كانت تمتد من دومة الجندل إلى تبوك والصفاء بحوران، وإلى الشمال الغربي من تدمر^(٥). ومن القبائل العربية الأخرى التي دخلت الشام في القرن الثالث الميلادي قبيلة (غسان) وأستمر ملك الشام بأيديهم حتى الفتح الإسلامي. وكانت ديارهم باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام^(٦). ومن منازلهم مرج الصفرة^(٧).

وعموماً فإن بلاد الكلدانيين الساميين، وبحسب المسعودي، تشمل العراق، ديار ربيعة، ديار مضر، الشام، بلاد العرب، برّها ومدرها، اليمن وتهامة والحجاز واليمامة

^١ المسعودي، مروج الذهب، ج٧، باريس، ١٨٧٤، ص١٩٢-١٩٣.

^٢ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، أخبار الزمان، ج١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص١٠٢-١٠٤، المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٦٩.

^٣ المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ٣٣/١.

^٤ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٢.

^٥ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٢٤-٣٣٠.

^٦ المسعودي، مروج الذهب، ١٩٥٨، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧، ١٠٩، ١٩٠.

^٧ المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص٢٢٧، حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧، ص٨١.



والعروض والبحرين والشجر وحضرموت وعمان وبرها الذي يلي العراق والذي يلي الشام. وتلك هي جزيرة العرب، كانت كلها مملكة واحدة ولسانها واحد، سرياني وهو اللسان الأول: لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب (يقصد الساميون الأوائل وهم العرب القدامى). وتعد العربية أقرب اللغات إلى السريانية والتفاوت فيما بينهما قليل^(١).

ويؤكد (صاعد الأندلسي) قول المسعودي أن الكلدانيين هم السريانيون والبابليون والآشوريون وغيرهم، وتحديد منطقتهم يشبه، إلى حد ما، تحديد المسعودي، حيث كان لسان هذه البلاد واحد (اللسان السرياني)، وهو اللسان القديم، ومن السريانية تفرعت العربية والعبرية (ويقصد بها العبرية القديمة)^(٢).

وهذه المعلومات تشير إلى وجود تصور واضح عند القدماء، وفي مقدمتهم المسعودي، عن الأصل الواحد للشعوب الجزرية (السامية)، وإن معرفة الكلدانيين بأنهم السريانيون تؤكدتها الدراسات الحديثة^(٣). وينبغي الإنتباه إلى الخلط، عند البعض، بين الآراميين والسريان، فالأخيرة هي تسمية مسيحية للآراميين.

مما تقدم يشير إلى أن المسعودي كان لديه فكرة عن وحدة الشعوب الجزرية (السامية) قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوربا^(٤).

ويميل المسعودي إلى اعتبار النبط أنهم السريانيون^(٥)، والنبطية هي من اللغات السامية. وللغويون العرب عرفوا السريانية بأسمها وذكروا النبطية وأرادوا بها السريانية^(٦).

ولليهود في العراق لغة سريانية تُعرف بـ(الترجوم) يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى (أي العبرية الأصلية غير المحرفة) لوضوحها عندهم وفصاحتها وتعذر فهمها على كثير منهم^(٧).

ولقد بينَ اليهود وغيرهم أن إبراهيم الخليل كان سرياني اللسان وأنه إبراهيم بن تارخ ... بن سام بن نوح. أما أول من تكلم بالعربية فهو يعرب بن قحطان، وكان على اللسان الأول (لسان سام بن نوح)^(٨).

وأورد المسعودي تصوراً للتقسيم اللغوي، يشبه إلى حد بعيد، التقسيم الحديث الذي يقوم على أساس التشابه بين اللغات. وذكر أسماء الشهور عند السريانيين وهي تشبه أسماء شهور العرب جميعها باستثناء شهري آب وأيلول^(٩).

^١ المصدر نفسه، التنبيه، ١٩٣٨، ص ٦٩.

^٢ صاعد الأندلسي، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ١٩، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص ٢٩-٣٠.

^٣ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط ٢، ج ١، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦، ص ٤٦-٥٤.

^٤ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١٨٣/١، أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ص: (لا).

^٥ المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١٥٨/١.

^٦ هاشم الطعان، مصدر سابق، ص ٣٢.

^٧ المسعودي، التنبيه، ١٩٣٨، مصدر سابق، ص ٦٩.

^٨ المصدر نفسه، ص ٧٠.

^٩ المسعودي، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١٩١/٢٠.

المسعودي وأصل الأكراد:

اختلف الرأي بين الباحثين حول أصل الأكراد، ففريق منهم يُرجعهم إلى أصل عربي ومنهم أبو اليقظان في كتاب النسب الكبير في القرن الثامن الميلادي، وأبن منظور في لسان العرب. أما المسعودي فالأشهر عنده والأصح أنهم من أبناء ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، إنعزلوا في الجبال والأودية طلباً للمياه والمراعي فمالوا عن العربية لمجاورتهم الأمم من الاعاجم والفرس وصارت لغتهم أعجمية^(١). ويلاحظ المنتبع أن رأي المسعودي لم يأت إعتباطاً، إذ أن فريقاً من الأكراد هم من أصول عربية، فقد سكن العديد من العباسيين جبال شمال العراق بعد سقوط الدولة العباسية وكونوا ثلاث إمارات عباسية حكمت ٥٢٤ عاماً، حكمها ٣٧ أميراً عربياً^(٢). وأظهرت دراسة جينية حديثة قام بها ثمانية علماء امريكان ونشرتها جامعة هارفرد الأمريكية عام ٢٠١٧ وجود ١٥ سلالة كردية في شمال العراق، وإن الأكراد هم أقرب إلى العرب من قريبهم من الأصل الآري، إذ تمثل السلالة العربية أعلى نسبة في جينات الأكراد (٣٧%) مقابل (١٧%) للسلالة الآرية. كما أثبتت الدراسة المذكورة هجرة الأكراد إلى مناطقهم الحالية وليسوا من سكانها الأصليين^(٣).

المسعودي وعلم الإثنوغرافيا:

ذكر المسعودي جوانب إثنوغرافية كثيرة من خلال طريقة ملاحظاته عن هجرة القبائل، وعما تركه من وصف لسكان الهند والزنج والصقالبة والذي أضحي موضوعاً لتخصص مستقل يتناوله علم الإثنوغرافيا، وأهتم به "جارموي" Charmoy (1843) و"مارك رورت" في أوائل القرن العشرين. كما إتضح أن ما ذكره المسعودي عن دولة (الديرة) إنما هي كييف عاصمة أوكرانيا الحالية. وفي ضوء علم الإثنوغرافيا يقسم المسعودي شعوب العالم إلى سبع مجموعات هي: الفرس ويليهم الكلدانيون ويضم إليهم العرب واليهود (القدامى)، ثم سكان أوربا (وهم اليونانيون والبيزنطيون والصقالبة والإفرنجية) ثم الليبيون والأفارقة، ويليهم الترك، فسكان الهند والسند، وأخيراً الصينيون (ومعهم الكوريون)^(٤). ويُعد المسعودي واحداً من عدد من الرحالة الذين استخدموا أسماء جديدة بدلاً من الأسماء القديمة التي عُرفت بها بعض المجاميع السكانية. فقد تحولت عبارة (جرمانيا القديمة) إلى "بلاد الصقالبة" وهم السلاف، و(سرماتيا) تحولت إلى منطقتين هما بلاد البلغار على نهر الدانوب، وبلاد اللرن في قفقاسيا. كما تحولت (شيثيا) إلى بلاد الترك.

^١ المصدر نفسه، ٩٧-٩٦/٢.

^٢ محفوظ العباسي، العباسيون بعد إحتلال بغداد، (د.ت.)، ص١٢٨-١٣٣. أنظر أيضاً: المخطوطة الزيوكية، (محفوظ العباسي، ص٥١).

^٣ Harvard University, A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia, U.S.A., Nov. 2017, No Pages.

^٤ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ١٨٣-١٨٢/١.



وهكذا نتعرف على البدائل التي أتى بها العلماء العرب ومنهم المسعودى لمتابعة سير الأحداث^(١).

ويلاحظ أن النشاط العلمى عند المسعودى متنوع، وعلى سبيل المثال فهو يتناول الشعوب والأديان، ويفحص كتبهم ويتعرف على آدابهم. وكان موقفه محايداً إزاء النصارى واليهود والصابئة، كما أطلع على تعاليم القرامطة وكتبهم^(٢). ومن نشاطاته الأخرى، من خلال رحلاته، ذكر المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" وجود خلقاً من الصقالبة والروس فى بلاد الخزر، يحرقون موتاهم مع أدواتهم وحليهم، وإذا مات الرجل أحرقت معه إمرأته وهى على قيد الحياة. وإذا ماتت المرأة لا يحرق الرجل وهو فعل، من أفعال الهند^(٣).

وفضلاً عما تقدم، أوضح المسعودى معلومات انثروبولوجية وإثنوغرافية قيّمة عن شعوب المناطق التي زارها، فذكر أجناسهم وصفاتهم الجسمية وعاداتهم وتقاليدهم وحرّفهم ومأكّلهم وملبسهم ومسكنهم.

مؤلفاته:

بلغت كتب المسعودى التي أشار إليها فى كتابه "التنبيه والإشراف" ٣٤ مصنفاً. ويبدو أنها ضاعت، ولم يقف العلماء منها سوى على أربعة كتب هي: مروج الذهب، التنبيه والإشراف، أخبار الزمان، الكتاب الأوسط^(٤). وفقدت كتبه الكبيرة مثل أخبار الزمان (سوى على جزء واحد منه) والكتاب الأوسط، كما فقد الكثير من رسائله وكراساته الصغيرة^(٥).

وسبب ضياع معظم كتبه أنه لم يقدمها للوراقين ليقوموا بنسخها وبذلك ضاع الكثير من إرثه التاريخى المميز. وقد تُرجمت كتبه إلى الفرنسية والإنكليزية والفارسية. وقال (لوبون): إن ما كتبه المسعودى- المعاصر للاصطخري والمقدسى- عن الجغرافيا هو من قبيل الرحلات أكثر من أن يكون من الكتب الجغرافية^(٦). ويرى كراتشكوفسكى أنه تُسببت إليه مصنفات منحوّلة كان أكثرها شهرةً كتاب "أخبار الزمان وعجائب البلدان"، ويستحيل عقلاً أن يكون من تأليفه، والمسعودى لا يذكره فى مؤلفاته^(٧).

^١ م. ف. مينورسكى، مصدر سابق، ص ٦.

^٢ كراتشكوفسكى، مصدر سابق، ١٨١/١.

^٣ المسعودى، مروج، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ١٣٩/١.

^٤ المسعودى، التنبيه والإشراف، ١٩٣٨، مصدر سابق، المحقق الصاوى، ص: (٥).

^٥ الحكواتى، مصدر سابق، ٢٠١٣.

^٦ غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط٢، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٥٦٧.

^٧ كراتشكوفسكى، مصدر سابق، ١٨٥/١.

قائمة المصادر

١. ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت.).

٢. ابن النديم، الفهرست، مطبعة الإستقامة، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت.).
٣. الإدريسي، الشريف، ذكر الأندلس أو وصف إسبانيا (على طبعة ١٧٩٩م)، المطبعة الملكية، مدريد، نوفمبر ١٩٨٣، (باللغة الإسبانية).
٤. الأعظمي، عواد عبد المجيد، "مشاريع الري والزراعة في صدر الإسلام"، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٩٧٨.
٥. الأندلسي، صاعد، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ١٩، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
٦. حسن، صبري محمد، الجغرافيون العرب، ج ١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩.
٧. حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
٨. خصباك، شاكر، وعلي محمد المياح، الفكر الجغرافي: تطوره وطرق بحثه، وزارة التعليم العالي/جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣.
٩. خصباك، شاكر، في الجغرافية العربية: دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط ١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥.
١٠. زكي، عبد الرحمن، بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٤، دار الطباعة الحديثة، القاهرة.
١١. زيادة، نقولا، الرحالة العرب، سلسلة الألف كتاب، تسلسل ٩٧، منشورات دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٦.
١٢. سوسة، أحمد، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، الباب الأول، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولنكيان ونقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤.
١٣. العباسي، محفوظ، العباسيون بعد إحتلال بغداد، (د. ت.)، أيضاً المخطوطة الزيوكية.
١٤. العقاد، عباس، أثر العرب في حضارة أوربا (عن: صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج ١).
١٥. فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة ١٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، حزيران ١٩٨٩.
١٦. كراتشكوفسكي، إغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، نقله إلى العربية، صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيغور بليابف، جامعة الدول العربية/ الإدارة الثقافية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
١٧. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط ٢، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨.
١٨. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، الطبعة الأوربية، باريس، ١٨٦١، ج ٧، ١٨٧٤.
١٩. _____، مروج الذهب، ج ١، القاهرة، ١٩٢٧/٥١٣٤٦.
٢٠. _____، مروج الذهب، عناية ومراجعة كمال حسن مرعي، ط ١، الجزء الأول والثاني، بغداد، ١٩٢٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.
٢١. _____، مروج الذهب، ج ١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٤٨، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.
٢٢. _____، مروج الذهب، ط ٢، ج ٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.



الإستنتاجات

فيما يأتي أبرز الإستنتاجات التي تم التوصل إليها:

٢٣. _____ ، التنبيه والإشراف، عناية وتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٣٥٧/٥ / ١٩٣٨ م. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني في بغداد.
٢٤. _____ ، التنبيه والإشراف، منشورات مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥ .
٢٥. _____ ، التنبيه والإشراف، روائع التراث العربي، سلسلة ٤، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٩٦.
٢٦. _____ ، أخبار الزمان، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦، ١٩٩٦.
٢٧. مينورسكي، م. ف.، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة أ.د. عبد الرحمن حميدة، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، تسلسل ٧٣، الكويت، يناير ١٩٨٥.
٢٨. النقاش، عدنان، الجيولوجيا عند العرب، الموسوعة الصغيرة، تسلسل ٤٧، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦.
٢٩. وهيبة، عبد الفتاح محمد، جغرافية العرب في العصور الوسطى، الجمعية الجغرافية المصرية: الموسم الثقافي لسنة ١٩٦٠، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠.

30. Harvard University, A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia, U.S.A., Nov. 2017.

المواقع الإلكترونية:

١. الحكواتي، ٢٠١٣، المؤسسة العربية للثقافة، السعودي: شخصيات، علماء، فلاسفة، ورحالة. أنظر الموقع على النيت: al_hakawati Arab Culture Trust
٢. راضي، نادية، أفضل علماء الجغرافيا في التاريخ الإسلامي، المرسال، ٢٠١٤/٧/١٨. أنظر الموقع على النيت: www.almarsal.com/post/142823
٣. شاهين، محمد علي، علم الجغرافيا والاكتشافات المبكرة عند المسلمين، الألوكة، ٢٠٠٨/٧/٩. أنظر الموقع على النيت: majies.alukah.net/t/72802
٤. فتحي، طارق، تاريخ علوم الأرض عند المسلمين، منتديات الباحث، تسلسل ٣٦، ٢٠١٥/١٠/٢. أنظر الموقع على النيت: alba7th.com/t7840_topic
٥. المعرفة، السعودي، مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الإنحراف الوراثي. أنظر الموقع على النيت: <https://www.marefa.org/>
٦. مقالة عن الجغرافيا وعلمائها وخرائطها المكتبة الجغرافية، شباط ٢٠١١. أنظر الموقع على النيت: geography_library.blogspot.com/2011/02/blog_post...
٧. مقلد، محمد سالم، الرحلة والرحالة الجغرافيون المسلمون، منتدى العرب المسافرين الحقيقي. أنظر الموقع على النيت: <https://travel/printthread196844.html>
٨. النظريات والأفكار التي قدمها مجموعة من العلماء في مجال الجيولوجيا، التقدم العلمي: الموسوعة الجيولوجية، ج٤، ٢٠١٨/١٠/١٢. أنظر الموقع على النيت: www.aspdkw.com/
٩. وكيبيديا الموسوعة الحرة، السعودي مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الإنحراف الوراثي، المعرفة، ٢٠١٠. أنظر الموقع على النيت: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

لقد ترك المسعودي أثراً جغرافياً مباشراً يشار إليه بالبنان وهو ما سُمي بـ (الصورة المأمونية) التي رآها في القرن العاشر الميلادي، وهي أفضل من صورة بطليموس ومارينوس. وتعد خريطة العالم للمسعودي من بين أدق الخرائط العربية التي نشرها العلامة (ميللر)، وتحوي معلومات أدق من خرائط بطليموس والإدريسي. وعده بعض الباحثين من أعظم الخرائطين العرب وفضلهم رسماً لصورة الأرض.

وفي سجستان يورد المسعودي أول خبر عن طواحين الهواء كما يقول العالم (سارتون). ويكفيه فخراً أن تُنسب إليه نظرية الإنحراف الوراثي، وهي أصل نظرية التطور. وله الفضل في وصف وإبراز طراز البناء الحيري الذي شاع في تخطيط المدن في سامراء، حيث استخدم العباسيون هذا الطراز الذي أصبح شائعاً، كطراز رسمي، في بناء المدن منذ زمن الخليفة المتوكل على الله.

وكان المسعودي من أوائل من ناقش دورة الماء في الطبيعة وأهتم بجيومورفولوجية الأنهار من خلال تأكيده على (دورة التعرية النهرية). وذكر أن للأنهار شباباً وهرماً وحياءً وموتاً ونشوراً، كما هو حال الحيوان والنبات.

وأشار المسعودي إلى تراجع الساحل الشمالي للخليج العربي باتجاه الجنوب، وهو ما تضمنته النظرية الألمانية الحديثة عن الساحل المذكور وملاحظاتها على نظرية (ليس وفالكون).

وعرض المسعودي نظرية خاصة بالرياح ، وأوضح تأثير المناخ والبيئة الطبيعية على صفات البشر وأوانهم وطباعهم ونشاطهم الجسماني.

وكان لدى المسعودي تصوراً واضحاً عن الأصل الواحد للشعوب الجزرية (السامية وهم العرب القدامى). وكان لديه فكرة عن وحدتها قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوروبا. وكان يؤكد أن الكلدانيين هم السريانيون، وهي معلومة تؤكد الدراسات الحديثة. وأورد المسعودي تصوراً للتقسيم اللغوي يشبه، إلى حد بعيد، التقسيم الحديث الذي يقوم على أساس التشابه بين اللغات.

ويرى المسعودي أن أصل الأكراد عرب، وهم من ولد (كرد بن عامر). ويشاركة في هذا الرأي ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب، وأبو اليقظان في كتابه النسب الكبير، فهو القائل:

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنهم أبناء كرد بن عامر

الهوامش:

منهج الدميري (٨٠٨هـ)

في كتابه (حياة الحيوان) الطيور امودجاً



أ.و. فاطمة زبار عنيزلان.و.خريجة زبار عنيزلان

مركز إحياء التراث (العلمي) العربي - جامعة بغداد كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

Fatema_zabar@yahoo.com

المخلص

يعد أبو البقاء الدميري من ابرز إعلام القرن التاسع الهجري ممن كان لهم أثر بارز في ردف الحضارة العربية الاسلاميه في مجال التأليف العلمي ،فقد ابرز الدميري في كتابه هذا جزءا مهما من حياة الطيور التي تشكل ديمومتها في الحياة إلا و سبل حصولها على غذاؤها مرتبطة كل واحده منها بفصيلتها وشكلها،فمنها ما يكون غذاؤه نباتي فقط، أو حيواني، أو مختلط ما بين الاثنين، محددًا من ذلك أماكن معيشتها منها ما يعيش على ضفاف الأنهار والبحار وغيرها ليعتمد في تغذيته على الحيوانات والحشرات المائية، أو في الصحراء معتمدا على الزواحف بكل أنواعها وغيرها، مضافا إلى عامل آخر يساعدها هي أشكالها وأحجامها المغزلية الشكل وأجنحتها وأرجلها ومناقيرها. الكلمات المفتاحية : منهج ، الدميري ، حياة الحيوان.

Abstract

ubu Al-Buqaha Al-Damiri is considered one of the most prominent media in the ninth century AH who played a prominent role in supplying the Arab Islamic civilization in the field of scientific authorship. Some of them with their species and shape, some of them may be vegetarian or animal food only, or mixed between the two, determining through that their living places, including those who live on the banks of rivers and seas and others to depend on their feeding on animals and aquatic insects, or in the desert depending on reptiles of all kinds and others, he added. Another factor that helps them nourish them are their shapes, spindle-shaped sizes, wings, legs and beaks.

Key words: method, demiri, animal life.

المقدمة

يأخذ علم الحيوان أهميته في مجال الدراسات التاريخية، إذ يشكل جانب مهم من الدراسات المشاركة بشكل فعال في ردف الإرث الحضاري بمقومات وأسس هذا العلم الذي حظي بعناية اغلب علمائنا في مؤلفاتهم الخاصة لهذا الجانب العلمي ولا سيما حياة

الحيوان من ناحية حياتها أو طبائعها الحياتية الأخرى من مأكّل ومشرب وما يصيبه من أمراض وما ينفع منها وما يضر، لذا يسلم هذا البحث الضوء على جانب مهم من حياة الحيوان وهي الطيور. اذ تناولنا في هذا البحث موجز عن السيرة والمكانة العلمية للدميري ومن ثم نتطرق الى منهجه في هذا الموضوع.

المبحث الأول: الديميري السيرة والمكانة العلمية

١- اسمه

محمد بن موسى بن عيسى بن الكمال أبو البقاء الديميري الأصل القاهري الشافعي^(١)، وينسب إلى دميّره قرية بمصر قرب دميّاط^(٢)، وأورد السخاوي انه كان يكتب اسمه بخطه من غير أضافه قائلًا ((كان اسمه كاملاً بغير أضافه وكان يكتبه بخطه في كتبه ثم تسمى محمداً وصار يكشط الأول وكأنه لتضمنه نوعاً من التركيبة مع هجر اسمه الحقيقي))^(٣)

٢- ولادته

ولد الديميري في أوائل سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة تقريباً في القاهرة كما ورد في إشارة السخاوي^(٤).

٣- نشأته العلمية

أقبل الديميري على العلم بعد إن كان يتكسب بالخياطة في بداية حياته بالقاهرة^(٥)، فقد أخذ على يد عدد من الشيوخ الذين كان لهم دور كبير صقل شخصيته العلمية والوصول إلى ما هو عليه من علو وشهرة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: النويري (ت ٧٣٣هـ)^(٦) الذي لم يشير إلى نوع العلم الذي أخذه منه كما أورد بإشارة السخاوي قائلًا ((...في خطبه شرحه لشيخنا...))^(٧)، والسبكي (ت ٧٧١هـ)^(٨)، الذي لازمه نحو قول السخاوي ((...ولازمه كثيراً وانتفع به...))^(٩)، والاسنوي (٧٧٢هـ) تفقه منه^(١٠)، وانه اخذ من ابن الملقن^(١١)، بإشارة من السخاوي ((...في خطبه شرحه لشيخنا...))^(١٢)، ولم يستبعد أن يكون الديميري قد اخذ عن البلقيني (ت ٨٦٨هـ)@ كما يقول السخاوي ((...وكذا بلغني أخذه عن البلقيني أيضاً وليس ببعيد...))^(١٤)، أما العربية وعلومها فقد أخذها عن البهاء بن عقيل (٧٦٩هـ)^(١٥) الذي اخذ عنه العربية وغيرها كما يقول السخاوي^(١٦)، وعن البرهان ألقيراطي (٧٨١هـ)^(١٧)، أخذ الأدب في اشاره للسخاوي ((...أخذ الأدب...))^(١٨).

وفضلاً عن ذلك فقد سمع الديميري العلوم على عدد آخر من العلماء في بعض البلاد الأخرى من غير أن يحدد نوع واتجاه تلك العلوم كما يقول السخاوي ((...وسمع مظفر الدين العطار والعرضي وأبي الفرج ابن القاري والحراوي...))^(١٩) الا انه في مواضع أخرى حدد أماكن سماع الديميري للعلوم من الشيوخ، ففي مكة يقول ((...الجمال بن عبد المعطي والكمال محمد بن عمر بن حبيب في آخرين...))^(٢٠)، وفي المدينة أشار إلى سماعه على العفيف المطري واصفاً هذا السماع قائلًا ((ومما سمعه على الأول في



سنة نيف وخمسين ووصفه في الطبقة بالفاضل كمال الدين كمال وعلى ثانيهما فقط جل مسند أحمد أوجمعه وجزء الأنصاري...^(٢١).

٣- مؤلفاته

عرف الديرى ببراعته في علوم مختلفة منها القرآن والتفسير والحديث والفقہ وأصوله والعربية والأدب وغيرها، وكان نتاج ذلك العديد من المؤلفات التي كان يشار لها بالبنان منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- كتب على ابن ماجة شرحا نحو خمس مجلدات سماه ((الديباجة)) إلا انه مات قبل تحريرہ وتبييضه^(٢٢).

٢- شرح المنهاج وسماه ((النجم الوهاج))، لخصه من السبكيو الاسنويو غيرهما، وهو عظيم الانتفاع في شأنه، كما يقول السخاوي ((... وعظم الانتفاع به لاسيما بما طرز به من التتمات والخاتمات والنكت البديعية وأول ما ابتدأ من المساقات بناء على قطعة شيخه الاسنوي...))^(٢٣). انتهى منه في ربيع الآخر سنة ٨٨٦هـ^(٢٤).

٣- نظم في الفقه أرجوزة طويلة فيها فروع غريبة وفوائد حسنة^(٢٥).

٤- وله تذكرة مفيدة^(٢٦).

٥- حياة الحيوان^(٢٧): الذي أشاد بأهمية هذا الكتاب بالنسبة لمؤلفاته الأخرى، كما يقول السخاوي ((... وهو نفيس أجاده فكثر فوائده مع استطراده فيه من شيء إلى شيء وله فيه زيادات لا توجد في جميع النسخ...))^(٢٨)، وأشار إلى قيام بعض المؤلفين من بعده باختصاره ومنهم الفاسي، كما يقول ((... واتوهم أن فيها ما هو مدخول لغيره إن لم تكن جميعها لما فيها من المناكير وقد جردها بعضهم بل اختصر الأصل التقى الفاسي في سنة اثنتين وعشرين ونبه على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها...))^(٢٩).

٦- اختصر شرح ألفي للامية العجم، كما يقول السخاوي عنها ((... فأجاده ورأيت من غرائب فيه وقلة...))^(٣٠).

٧- شرح المعلمات السبع^(٣١).

٤- رحلاته

كانت الرحلة في طلب العلم من لوازم طريق العلماء ومنهجهم في التحصيل العلمي الصحيح، فكان التلميذ اذا أكمل علومه في بلاده فانه يرحل إلى غيرها وغيرها من اجل الاستزادة من العلوم والاضافه إلى ماعنده، فنجد الديرى كأبناء عصره رحل من اجل إعطاء واخذ العلم، اذ حدث بالقاهرة ومكة كما يقول السخاوي ((... وسمع منه الصلاح الافهسي في جوف الكعبة والفاسي في القاهرة وأفتى وعاد...))^(٣٢).

وكانت له عدد من الرحلات من اجل الحج أولا، إلا انه كان يعطي الدروس ويفتي هناك وأول قدوم له إلى مكة في سنة ٧٦٢هـ وجاور بها حتى حج في التي بعدها^(٣٣)، ثم جاور بها أيضا في سنة ٧٦٨هـ قدمها مع الرجبية فدام بها حتى حج في التي بعدها وفيها حظر موت شيخه السبكي^(٣٤)، وفي سنة ٧٧٥هـ اقام في مكة حتى حج في التي تليها^(٣٥)، وفي سنة ٧٨٠هـ اقام فيها حتى حج في التي بعدها^(٣٦)، وفي سنة ٧٩٩هـ قدم مكة وأقام بها حتى حج في التي تليها، وانفصل عنها وأقام بالقاهرة^(٣٧).

٥- الوظائف التي تقلدها

ولي الدميري عدد من الوظائف التي كان لها دور مهم في حياته فضلا عن علومه وأهمها التدريس جل ذلك موافقا لما هو عليه من علوم فقد أشار السخاوي إلى قيامه بالتدريس في أماكن عدة في القاهرة قائلا ((...درس بأماكن بالقاهرة منها الجامع الأزهر وكانت له فيه حلقه يشتغل فيها أطلبه يوم السبت غالبا...))^(٣٨)، وكان يدرس الحديث في القبة البيبرسية التي حضر السخاوي دروسه فيها كما يشير ((...كان يدرس الحديث وكنت احضر عنده فيها...))^(٣٩)، وفي مدرسه ابن البقري كان يذاكر الناس بأشياء حسنة فيها، كما يقول السخاوي ((...كان يذاكر الناس في مدرسة ابن البقري داخل باب النصر في يوم الجمعة غالبا ويفيد في مجلسه هذا أشياء حسنة في فنون العلم...))^(٤٩)، وكان له درس في جامع الظاهر، كما يقول السخاوي ((...وبجامع الظاهر في الحسينية كان له درس بعد عصر أجمعه...))^(٤١).

٦- وفاته

توفي أبو البقاء الدميري في ثالث جمادي الأولى سنة ٨٠٨ هـ بالقاهرة وصلى عليه ثم دفن في مقابر الصوفية سعيد السعداء^(٤٢).

المبحث الثاني: منهجه عن الطيور في كتاب حياة الحيوان

١- المنهج العام

يأخذ علم الحيوان أهميته في مجال الدراسات التاريخية، إذ اخذ جانب مهم من هذه الدراسات للمشاركة بشكل فعال في ردف الإرث الحضاري بمقومات وأسس العلم الذي حظي بعناية اغلب علمائنا في مؤلفاتهم الخاصة بهذا الجانب العلمي ولاسيما حياة الحيوان من ناحية حياتها أو طبائعها الحياتية الأخرى من مأكّل ومشرب وما يصيبه من أمراض وما ينفع منها وما يضر، لذا يسלט هذا البحث الضوء على جانب مهم من حياة الحيوان بغض النظر عن الجوانب الأخرى الحياتية لها وهي الطيور في ماتا كله من أطمعه أو تحصل عليه كجزء من عجائب أحوالها وغرائب أفعالها^(٤٣)، ومنها ما يسمى حسب نوع الطعام الذي هذه الطيور الذي يسمى اللقاط لأنه يلقط الحب، كما يقول الدميري ((...اللقاط، بالتشديد؛ طائر معروف سمي بذلك لأنه يلقط الحب))^(٤٤)، وتباينت الطيور حسب الأشكال والإحجام والألوان والغذاء الذي يختلف باختلاف أنواعها وطرائق معيشتها، فمنها ما يكون غذاؤها مقتصر على النبات الأخضر والحبوب والثمر والجذور ونحوها^(٤٥)، ومنها ما ياكل الجيف كالنسر^(٤٦)، ومنها ما يفترس غيره من الحيوانات كما تفعل الجوارح^(٤٧) ما يجمع في غذاؤه بين هذا وذاك كجزء من طبيعته الخاصة به^(٤٨)، ويساعد الطيور في الحصول على غذاؤها في اغلب الأحيان أجسامها المغزلية الشكل التي تكون عريضة من الوسط وتشدق إلى الإمام وإلى الخلف الأمر الذي يساعدها على الطيران والتنقل بين الأعشاب والسباحة في الماء والغوص فيه بسهولة ويسر^(٤٩)، فضلا عن مناقيرها التي تساعدها في التقاط طعامها^(٥٠)، أما رجليها فتساعدها في الوقوف على الأشجار والجري والسباحة والغوص في الماء والإمساك



بفريسته إذا كان جارحا والتعلق بفروع الأشجار والنبات الأمر الذي يسهل مهمة الحصول على غذائه^(٥١)، وهناك قسم من الطيور تحصل على غذائها منذ خروجها من أبيضه دون الاعتماد على الأبويين وتسمى الكاسية كما يقول الدميري ((...وأما كاسيه كاسبه تدرج أو تسبح وتلتقط طعامها بنفسها...))^(٥٢).

٢- أنواع الطيور في كتابه حياة الحيوان

نظرة عامه متخصصة إلى أنواع الطيور بكل أنواعها حسب الأصناف وهي:

طائر الاطيش: طائر يجري من فصيلة الاطيش التي تستوطن في البحار قرب السواحل لاصطياد السمك الذي يحمله بمنقاره ويرمي به في الهواء ليبتلعه كاملاً^(٥٣).

طائر الاغتر: من جنس مالك الحزين الابيض يكون غذاؤه من الأسماك والضفادع وصغار الطيور واللبائن^(٥٤).

طائر الأنيس: غذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك^(٥٥).

الفقوس: تتغذى على الجيف^(٥٦).

الإوز: غذائها في الغالب نباتي، إلا إنها قد تلتهم الحشرات والدود في بعض الأحيان^(٥٧).

البازي: طائر مفترس ونجده افخر ما يصيده هو الدراج والحمام والورشان^(٥٨).

البيدق: لا يصيد إلا العصافير^(٥٩).

اليفاعة: تعتمد على اصطياد ذباب المستنقعات لاسيما وإنها تطارد الحشرات ركضا وترتفع ورأها في الهواء^(٦٠).

البيغاء: يكون غذاؤها من الفاكهة والثمار والحبوب أصلبه^(٦١).

البطريق: أطريقه التي يتناول فيها غذاؤه برجليه كما يتناول الإنسان طعامه بيده^(٦٢).

البركة: فنجد غذاؤها الأعشاب والحبوب والسمك، ويكون موعد تناولها له ليلاً^(٦٣).

البلح: فهو بصيد كل طائر ولا يقرب جيفه ولا ميتته^(٦٤).

البهرمان: فإنه يغطى أطراف الصحراء، ويهاجم الحقول والمزارع، اذيلتهم الحبوب التي تشكل غذاؤه الوحيد^(٦٥).

البوم والبومة: التي تتميز من مناقيرها القصيرة المقوسة وأرجلها ذات المخالب الحادة والمحورة للامسك والتناول، ومن فرائسها اللبائن الصغيرة وبعض الطيور ومفصلية الأرجل أي يصيد الفار وسام ابريص وصغار الحشرات ،

، وبعضها يصيد البعوض، وهي تدخل كل على طائر في وكره وتخرجه منه وتأكل أفراخه وبيضهن ويكون وقت نشاطها للصيد والحصول على غذائها قبيل الغروب لافتراس الحشرات الكبيرة والزواحف والحيات الصغيرة والطيور وصغار القوارض^(٦٦).

البوقير: يقضي اغلب وقته على الأرض بحثا عن طعامه المؤلف من الثمار والحشرات، وأنواعه الكبيرة قد تلتهم اللبائن الصغيرة، والطيور والعظايا والبيض، وبعضها يأكل السلاحف وجذور النبات^(٦٧).

أبو براقش: الذي يغشى المياه الضحلة والمستنقعات وسواحل البحار إذ يتغذى على الحشرات المائية والفشريات والأعشاب، ومن عاداته يتجمع في أسراب كبيره أثناء الهجرة والتغذي^(٦٨).

الندرج: يساعده منقاره القصير في التقاط الحبوب والحشرات والديدان، كما تبحث عن طعامها بقدميها القويتين التي تمكنانها من حفر التراب، أما أفراخها فإنها ما أن تخرج من بيضها فإنها سرعان ما تتبع أمهاتها وتلتقط غذائها بنفسها^(٦٩).

التفلق: ويكون غذائها نباتي وحيواني^(٧٠).

ألتم: يتغذى على الأسماك الصغيرة والضفادع والدود والنباتات المائية^(٧١).

التورم: تتغذى على الحشرات والنواعم والديدان ويسمى طائر التمساح إذ يتم مشاهدته فوق التمساح دائما، إذ يلتقط من بين أسنانه ومن فوق جلده الديدان والعلق، وإذا لم يجد عند التمساح فإنه يتغذى على الحشرات والأسماك الصغيرة^(٧٢).

الجم: يبطش بصغار الطيور أثناء طيرانها أو عند لجوئها إلى الأدغال^(٧٣).

أبو جراده: يأكل أكلا ذريعا^(٧٤)، واسمه الثاني (سمرمر) طائر يأكل الجراد^(٧٥).

الجباري: تتغذى على الحبوب والبذور والثمار والنبات الأخضر، فضلا عن الحشرات وبعض الزواحف، ونظرا لطيب لحمها عدت أفضل طيور الصيد^(٧٦).

الحجل: أفضل غذائه الأبصال والحبوب والنبات الاخضر، وأحيانا الجراد والعظايا واليرقات^(٧٧).

الحدأة: تتغذى على اللبائن الصغيرة وأفراخ الطيور والزواحف ونحوها والجيف والنفايات^(٧٨).

حسون: من الطيور التي تتغذى على البراعم والنبات^(٧٩).

الحمير: تتغذى على الحشرات عادة بالنقاطها من الأوراق والأغصان. وهي طيور تأوي إلى الأشجار والأحراش ومنابت القصب، ونادرا ما تسعى على الأرض^(٨٠).

الحميمق: يتغذى هذا النوع على الجثث والطيور وصغار اللبائن الجريحة والعظايا والضفادع والسماك الميت ونحوها^(٨١).

جميل حر: نوع من الزرازير يأكل الجراد اكلا ذريعا^(٨٢).

الحوصل أو الجع: انه يتعاون في إنشاء صيده السمك^(٨٣)، والطريقة التي يصيد بها السمك انه يؤلف جماعات من حوالي مئة طير تؤلف دائرة مغلقة تحيط بصغار السمك في المياه الضحلة، فتقترب سابعة من بعضها حتى تضيق الدائرة وإنشاء ذلك تلتهم السمك بان تطره في حواصلها أولا ثم تلتهمه كاملا^(٨٤).

الخرشنه أو خطاف البحر: ينقض على السمك من ارتفاع قليل فيغوص في الماء ويخطفه، وقد يصيد الحشرات أثناء طيرانها^(٨٥).

خضيرا، أو خضار أو ابو الخضير وروار: يكون غذاؤها الحشرات خاصة النحل^(٨٦)، ومنه الوروار العراقي الذي ينقض على الحشرات من موقع مرتفع، وقلما يخطفها أثناء طيرانه^(٨٧)، ومنه الأوابد الذي يكون أكثر غذائه النحل والزنابير^(٨٨).



خفاف: تصطاد الحشرات أثناء طيرانها ويساعدها في ذلك جناحها الطويلان الضيقان، فنجده يتقوت بالذباب والبعوض ولا يرى واقفا على شيء يأكله أبداً^(٩٩)، ومن نوعه يسمى سنونو الذي يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك وأنه يألف الجبال ويأكل النحل، وهذا النوع يسمى السمائم مفرده سمامه^(٩٠).

الخنوبص: يكون غذاؤه الرئيس الحشرات^(٩١).
الدجاج: يأكل اللحم والذباب وهو من طبائع الجوارح، كما يأكل الخبز ويلتقط الحب، وذلك من طبائع البهائم والطيور^(٩٢).

الدجاج الحبشي: يكون غذاؤها الأبصال والجذور ونحوها، وقليل من الحشرات^(٩٣)، وكذلك تلتقط الحب من ساعتها كأفراخ الدجاج الأصلي^(٩٤).
الصارف: يختفي في أعالي الأشجار لاسيما أشجار التوت إذ يتغذى على الثمار إن وجدت، وإلا فإنه يتغذى الحشرات^(٩٥).

الصردي: يقف على قمم نباتات الشوك في الأراضي المنبسطة متربصا بالحشرات وصغار الزواحف، ثم ينقض عليها ويفترسها، وقد يهاجم صغار الطيور فيضرب رؤوسها بمنقاره الحاد ويستخرج أدمغتها ليأكلها تاركا جثتها، لذلك تخشاه الطيور الصغيرة وتهرب منه^(٩٦).

الصعب: ويشبه في عاداته وتغذيته النوع السابق^(٩٧).
الصعوه: غذاؤها وعاداتها مشابهة لفصيلتها^(٩٨).
الصفرد: تهاجم الطيور الصغيرة المنفردة ويقتلها لتأكل أدمغتها، كما يقتل الفران، لكن معظم غذائه من الحبوب، وتبني أعشاشها في حفر بين الإعشاب^(٩٩).

الصقر: يتغذى على لحوم نوات الأربع^(١٠٠).
الطاووس: غذاؤه الحبوب واللوزيات والثمار، وأحيانا السمك واللحم^(١٠١).
الطيوطي: تتغذى على الحشرات ويرقاتها والديدان والقواقع والقشريات الصغيرة، وأحيانا على النباتات وبزورها الصغيرة^(١٠٢).

أم عجلان: تتغذى على الحشرات والحيوانات المائية الصغيرة^(١٠٣).
العقاب: تحوم على ارتفاع عال وتنقض على فريستها بسرعة مباغتته، ومن فرائسها الأرناب والحملان والطيور، وقد تأكل الجيف^(١٠٤)، وتفترس أيضا الطيور واللبائن الصغيرة^(١٠٥)، وكذلك غذاؤها السمك^(١٠٦).

العقق: غذاؤه البذور والثمر وصغار اللبائن والطيور، وأحيانا البقايا الحيوانية، ومن طباعه يعتدي على أعشاش الطيور الأخرى فيأكل بيضها^(١٠٧)، أما اختطافه للحلي فيبدو أنه يظنها طعاما، لأن الطيور تعتمد على حاستي السمع والبصر في حياتها ومعاشها فيلتقطها، ولا بد أن يرميها بعد اكتشافه إنها ليست بطعام^(١٠٨).

هزار: يتغذى على الحشرات والثمر^(١٠٩).
عير السراة: (أو عير السراة): يأكل الواحد منها ثلاث مئة تينه حين تطلع من الورق صغارا^(١١٠)، وأنه يتغذى على النبات الأخضر الطري والأبصال فضلا إلى شيء من الحشرات. وهذا يقارب ما ذكره ياقوت الحموي نقلا عن ابن سيده

: انه يأكل التين حين يطلع من الورق صغارا، أبقى أول تكونه وقبل نضوجه^(١١١).
الغراب: وهذا الغراب كثيرا ما يشاهد في المزابل مع النسور إذ ينال نصيبا من البقايا الحيوانية. وقد يهاجم الطيور فيلاحقها حتى يصيبها التعب فيقتلها عندئذ بنقرة شديدة على رؤوسها^(١١٢).

غراب الليل: يبدأ نشاطه بعد غروب الشمس فوق المياه الضحلة إذ يتغذى على الأسماك الصغيرة والضفادع والحشرات المائية ويعود قبيل شروقها إلى الأشجار ليتخفى فيها^(١١٣).

الغر: تترتد المياه المكشوفة إذ تكون دائمة الغوص بحثا عن غذائها الذي يتألف من مواد نباتية^(١١٤).

الغماسه: يبقى غاطسا في قاع المياه بعض الوقت إذ يفترس الحشرات المائية والقشريات وصغار النواع^(١١٥).

الغواص: يوجد في أطراف الأنهار، يغطس في المياه ويصطاد السمك فيتقوت منه، وطريقة صيده للسمك أن بغوص في الماء بقوة شديدة ويمكث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به^(١١٦).

القاوند: يكون غذاؤه السمك عادة، وحيوان الماء والديدان ونحو ذلك^(١١٧)، والطريقة التي يحصل فيها على غذائه انه يحوم فوق الماء ثم ينقض على فر يسته، أو ينقض عليها من مجثمه^(١١٨).

صليل اكم: وطريقته في صيده انه ينقض على فريسته فيغوص في الماء تماما ليخرج منه وفي منقاره سمكه يحملها إلى الشاطئ أو إلى أي مكان ليلتهمها كاملة^(١١٩).

القاوند او السمك الأبيض الصدر: وهو ليس من آكلات السمك الاصلية فبعض أنواعه يفترس الزواحف والحشرات^(١٢٠)، ويتغذى على الحشرات والعطايا والضفادع وأحيانا السمك^(١٢١).

القبرة او القنبره: تتغذى على الحشرات وبذور النبات^(١٢٢).

القرقف: غذاؤها يكون من الحشرات العالقة بالنبات والأجزاء الغضة من النبات^(١٢٣).
القطا: غذاؤها من الحبوب وبذور الأعشاب وبراعم النبات ونحوها^(١٢٤).

الكر كر: تسرق البيض والأفراخ ولا تقف عن أكل الجيف، وهي طيور شرسة، تلاحق النوارس وخطا طيف البحر وتهاجمها حتى تضطرها إلى تقيؤ ما اصطادته فتألفه لتوها^(١٢٥).

الكركي: غذاؤها الأساسي البذور والبراعم والأوراق الغضة وأحيانا الحشرات والديدان، وقد تأكل الأسماك والضفادع أو تسطو على أعشاش طيور أخرى^(١٢٦).

الكروان: تختلف إلى ضفاف الأنهار والمستنقعات والأراضي المزروعة طالبا للغذاء الذي يتألف عادة من الحشرات والقشريات والنواع والعطايا^(١٢٧).

الكمك أو الكنكر: غذاؤها الحشرات، إلا إن بعض أنواعها يتطفل على أعشاش غيره من الطيور^(١٢٨).



الفلق: غذاؤها السمك والزواحف والثعابين^(١٢٩).

الليل: وقد يأكل أفراس الطير^(١٣٠).

مالك الحزين: يتغذى على السمك والزواحف والبرمائيات والفيران والحشرات^(١٣١).

المرنج: غذاؤه الضفادع والسمك والنواعم والثعابين وجيف الحيوانات^(١٣٢).

المرزم: أكثر أكله السمك لأنها تتغذى على النواعم والحشرات والبدور^(١٣٣).

المكيفة: يحمل كل عظم فيه مخ، حتى إذا كان في كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر فيهبط فيأكل مخه^(١٣٤).

النحام: يتغذى على الحشرات المائية والقشريات الصغيرة والنواعم والإعشاب وفي إثناء التغذية يمد عنقه إلى أسفل ويفتش بمنقاره بحثا عن الغذاء^(١٣٥).

النسر: إذا وقع على جيفه وعليها عقبان تأخرت ولو تأكل مادام يأكل منها، وهو شره نهم رغب، إذا وقع على جيفه وامتلا منها لولم يستطع الطيران حتى يثب^(١٣٦).

النسنوس: عند انصرافها إلى الصيد تجوب الأرض حائمة على ارتفاع قليل كأنها تذرعا باحثه عن فريستها لذا سماها الإعراب في العراق ((مشاطة الحرثان))، وسماها المصريون ((زراعه)) وهي تفترس الزواحف وصغار الطير والضفادع والحشرات^(١٣٧).

النعام: يتغذى على النبات الأخضر وبقايا النبات والحبوب ونحوهما وقد يلتهم صغار الزواحف والعظايا^(١٣٨)، وأشار الدميري ((...إنها تخطف اللؤلؤ أو حلقة في إذن صغير... أو تخطف رغيفا...))^(١٣٩)، وزاد إنها عندما تبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه كالماء^(١٤٠).

النهس: وسمي بذلك لأنه ينهس اللحم، والنهس أصله أكل اللحم بطرف الأسنان، والنهش بالشين المعجمه آكلة بجميعها. والطيور إذا أكل اللحم بطرف منقاره فلذلك سمي نهسا وهو يصيد العصافير^(١٤١).

المهمة: ويسمى المصاص لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها^(١٤٢).

الهدهد: يتغذى على الحشرات والعظايا^(١٤٣).

الخاتمة

أظهرت هذه الدراسة التي تناولت ((منهج الدميري (ت ٨٠٨ هـ) في كتابه ((حياة الحيوان))// الطيور أنموذجا)) يعد كتاب ((حياة الحيوان)) من ابرز المصادر التاريخية التي كرسها مؤلفه لدراسة حياة الحيوان، وإبراز الأسس والعوامل التي بموجبها تم صياغة مثل هذه المواضيع واستخلاص أهدافها.

لذا يعد أبو البقاء الدميري من ابرز إعلام القرن التاسع الهجري ممن كان لهم دور بارز في رفد الحضارة العربية الإسلامية في مجال التأليف العلمي، فقد ابرز الدميري في كتابه هذا جزءا مهما من حياة الطيور التي تشكل ديمومتها في الحياة إلا و سبل حصولها على غذاؤها مرتبطة كل واحده منها بفضيلتها وشكلها، فمنها ما يكون غذاؤه نباتي فقط، أو حيواني، أو مختلط ما بين الاثنين، محددا من خلال ذلك أماكن معيشتها منها

مايعيش على ضفاف الأنهار والبحار وغيرها ليعتمد في تغذيته على الحيوانات والحشرات المائية، أو في الصحراء معتمدا على الزواحف بكل أنواعها وغيرها، مضافا إلى عامل آخر يساعدها هي أشكالها وأحجامها المغزلية الشكل وأجنحتها وأرجلها ومناقيرها.

الهوامش

١. السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت، مكتبة دار الحياة)، ١٠/٥٩-٩٠؛ طاش كبري زاده: عصام الدين أبو الخير احمد بمصلح (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثة)، ٢٣١/١؛ حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (استانبول، ١٩٤١م)؛ ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر)، ٧٩/٧-٨٠؛ الشوكاتي: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، (القاهرة، السعادة، ١٣٤٨هـ)، ٢٧٢/٢؛ اللكنوني: محمد بن عبد الحي الأنصاري (ت ١٣٠٤هـ)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه محمد بدر الدين ابو فراس النعساني (القاهرة، الخانجي، ١٣٢٤هـ)؛ كحاله: عمر رضا، معجم المؤلفين-تراجم مصنفي الكتب العربية، (بيروت، دار التراث العربي)، ١٢/٦٥-٦٦؛ غريبال: محمد شفيق الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة ونشر، ١٩٦٥م)، ص ٨٠٣؛ الزر كلي: خير الدين، الإعلام، ٣ (بيروت، ١٨٠٠م)، ٧/٣٤٠؛ دانرة المعارف الاسلاميه، نقلها إلى العربية احمد الشنتاوي وآخرون، (القاهرة، د.ت)، ٩/مادة (الدميري).
٢. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٦٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٧م)، ٢/٧٢٢؛ علي مبارك: علي باشا مبارك بن سليمان بن إبراهيم الرومي (ت ١٣١١هـ)، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، (القاهرة، بولاق، ١٣٠٦هـ)، ١١/٥٧-٦٠.
٣. م.ن، ١٠/٥٩.
٤. م.ن: ابن العماد: م.ن، ٧٩/٧-٨٠.
٥. م.ن.
٦. شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري النويري، ولد في سنة ٦٧٧هـ، وينسب إلى قبيلة بكر، له العديد من المؤلفات منها نهاية الأرب في فنون العرب، توفي سنة ٧٣٣هـ، السيوطي: أبو الكمال جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (القاهرة، السعادة، ١٣٢٤هـ)، ١٠/١٥٠؛ علي مبارك: م.ن، ١٢/٨.
٧. م.ن، ١٠/٦٠.
٨. تاج الدين عبد الوهاب بن أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، ولد بالقاهرة لازم الاشتغال بالفنون على أبيه وغيره حتى مهر وهو شاب له العديد من المؤلفات منها: طبقات الشافعية الكبرى، توفي سنة ٧٧١هـ، الشوكاتي: م.ن، ١١/٨٢-٨٢؛ الزر كلي: م.ن، ٢/١٢-١٣.
٩. م.ن، ١٠/٦٠.
١٠. جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الاسنوي، ولد باسنا وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين وسمع الحديث واشتغل في العلوم واخذ الفقه على السبكي والسنباطي، وبرع في الفقه والعربية، ومن تصانيفه جواهر البحرين في تناقض البحرين، ونهاية السؤل شرح منهاج الوصول، توفي فجأة في القاهرة، السيوطي: بغيها الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، عيسى اليبلي الحلبي، ١٣٨٤هـ)، ص ٣٠٤.
- ١١- السخاوي: م.ن، ١٠/٦٠.
- ١٢- سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد بن محمد الأنصاري المعروف بابن الملقن الشافعي، له كتاب على سنة الجمعة في (الفقه الشافعي) (مطبوع) في الهند ١٣١٤هـ ضمن مجموعه، سركيس: يوسف أليان: معجم المطبوعات العربية والمصرية، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٣٣٩هـ/١٩١٩م)، ٢/٢٥٢.
- ١٣- م.ن، ١٠/٦٠.
- ١٤- م.ن.
- @- الإمام الفقيه صالح بن عمر بن رسلان علم الدين البلقيني الأصل القاهري الشافعي، ولد سنة واحد وتسعين وسبعمائة، كان إماما فقيها عالما قوي الحافظة والإدراك جيد العبارة فصيحاً، حسن الاعتقاد في الصالحين، توفي سنة ثمان وستين وثمانمائة، السخاوي: م.ن، ٣/٣١٤؛ ابن العماد: م.ن، ٧/٣٠٧.



١٥- عبد الله بن عبد الرحمن القرشى العقيلي، نحوى الديار المصرية، تفنن فى العلوم، وشهد له أبو حيان بالمهارة فى العربية، له شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، توفي بالقاهرة سنة ٧٦٩هـ، ودفن بالقرب من الإمام الشافعى، السيوطى: بغية الوعاة، ص ٢٨٤؛ الخوانسارى: محمد باقر الموسوى الاصبهانى (ت ١٣١٣هـ)، روضات الجنات فى احوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله اسماعيليان، (طهران، مهراستور، ١٣٩٤هـ)، ص ٤٥٦؛ ابن العماد الحنبلى: م.ن، ٦٠/١٠، ٢١٥-٢١٤.

١٦- م.ن، ٦٠/١٠.

١٧- ابرههان الدين، ٤٧٢/١.

أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله القيراطى، لازم علماء عصره، ودرس فى أماكن عدة، واشتغل بالفقه، ومهر فى الآداب، ممنولفاته: مطلع النيرين، توفي سنة ٧٨١هـ، السيوطى: حسن المحاضرة، ٢٧٤/١.

١٨- م.ن، ٦٠/١٠.

١٩- م.ن.

٢٠- م.ن.

٢١- م.ن.

٢٢- م.ن؛ اللكنوى: م.ن، ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢٣- م.ن.

٢٤- م.ن؛ بروكلمان: كارل، تاريخ الآداب العربى، نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار، ط٤ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م)، ١٧٢/٢، ١٧٣-١٧٢.

٢٥- م.ن.

٢٦- م.ن.

٢٧- مطبوع-رتبه على حروف المعجم، فرغ من تأليفه سنة ٧٧٣هـ، منها جزء ٢ بولاق ١٢٧٥ و١٢٨٤ و١٢٩٢-استنتاه ١٢٧٢ مصر ١٣١٣-الادبىه جزء ٢١٣١٩، وجزء بالكاتيليه، ومنها (تسع ملازم بالادبىه)، ١٣١٩-جزء ٢ بمهمشها عجانب المخلوقات للقروينى ١٣٠٥-مط شرف ١٣٠٧ مصر، وطبع فى بلاد فارس سنة ١٢٨٥ مع صور ورسوم جميع الحيوانات وبعض الادميين الوارد ذكرهم فيه، وترجم كتاب حياة الحيوان أكثره لاكله إلى اللغة الانكليزية بقلم جاكيار، وطبع فى لندن ١٩٠٦ و١٩٠٨، سركيس: م.ن، ٨٨٧/١-٨٨٨.

٢٨- م.ن.

٢٩- م.ن.

٣٠- م.ن؛ بروكلمان: م.ن، ص ١٧٢-١٧٣.

٣١- ابن العماد: م.ن، ٧٩/٧-٨٠.

٣٢- ابن العماد: م.ن، ٧٩/٧-٨٠؛ كحاله: م.ن، ١٦/١٤.

٣٣- م.ن، ٦٠/١٠.

٣٤- م.ن.

٣٥- م.ن.

٣٦- م.ن.

٣٧- م.ن.

٣٨- م.ن.

٣٩- م.ن.

٤٠- م.ن، ٦٠/١٠-٦١.

٤١- م.ن، ٦١/١٠.

٤٢- م.ن؛ الشوكاني: م.ن، ٨٢/١؛ كحاله: م.ن، ١٣/٢.

٤٣- طاش كبرى: م.ن، ٣٣٣/١.

٤٤- الميرى: محمد بن موسى بن الكمال أبو البقاء، الميرى وكتابه الحيوان، تحقيق عزيز العلي العزى، (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص ١٣.

٤٥- م.ن.

٤٦- م.ن.

٤٧- م.ن.

٤٨- م.ن.

٤٩- م.ن.

٥٠- م.ن.

٥١- م.ن، ص ٣٤، ٣٣.

٥٢- م.ن، ص ٣٤.

٥٣- عبد الله أنجوميو آخرون: الطيور المصرية، (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٠م)، ص ٢١٠-٢١٢.

- ٥٤-الدميري: حياة الحيوان الكبرى، (القاهرة، الحجازي، ١٣٦٧هـ)، ١/٢٧؛ وانظر أيضا ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، (القاهرة، بولاق، ١٣١٨هـ)، ٨/١٥٣؛ اللوس: بشير، الطيور العراقية، (بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٦٠م)، ١/١١٣، ١٠٤.
- ٥٥-المعلوف: أمين، معجم الحيوان، (القاهرة، ١٩٣٢م)، ص ١٣٥-١٢٢، ١٣٦؛ اللوس: م.ن، ٣/٤٨-٤٩.
- ٥٦-اللوس: م.ن، ١/٨١-٤٩.
- ٥٧-النجومى: م.ن، ص ٢٢٢-٢٣١.
- ٥٨-الدميري: م.ن، ١/١٠٨-١١٠.
- ٥٩-الجواليقي: أبو منصور (ت ٥٣٩هـ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمد شاكر، (القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٩م)، ص ١١١.
- ٦٠-الدميري: م.ن، ص ٤٦.
- ٦١-النجومى: م.ن، ص ٣٦١-٣٦٢.
- ٦٢-م.ن، ص ٤٧-٤٨.
- ٦٣-م.ن، ص ٢٣٥-٢٤٠.
- ٦٤-ابن سيده: م.ن، ٨/١٤٤.
- ٦٥-الخفاجي: شفاء الدين احمد، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، (القاهرة، مكتبة الحرم الحسيني، ١٩٥٢م)، ص ٦٤.
- ٦٦-المعلوف: معجم الحيوان، ص ١٧١-١٧٢.
- ٦٧-الدميري: م.ن، ٢/٢٦٧.
- ٦٨-ألغزي: عزيز العلي، عجائب المخلوقات للقر ويني، (بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٧م)، ص ٦١-٦٢.
- ٦٩-اللوس: م.ن، ٢/١-٢.
- ٧٠-الدميري: م.ن، ص ٦١.
- ٧١-النجومى: م.ن، ص ٢٢٠-٢٢٢.
- ٧٢-م.ن، ص ١٥٢-١٥٣.
- ٧٣-اللوس: م.ن، ١/٢٥٤-٢٥٦.
- ٧٤-المعلوف: م.ن، ص ٢٣٥-١٨٥.
- ٧٥-الكتيباني: م.ن، ص ١٥٥.
- ٧٦-النجومى: م.ن، ص ٨٩-٩٠.
- ٧٧-المعلوف: م.ن، ص ١٨٣-١٨٤.
- ٧٨-اللوس: م.ن، ١/٢٢٧-٢٣٢.
- ٧٩-م.ن، ٣/٢٢٠-٢٢١.
- ٨٠-م.ن، ٣/١٢٥.
- ٨١-م.ن، ١/٢٢٤-٢٢٦.
- ٨٢-م.ن، ص ٨٠.
- ٨٣-النجومى: م.ن، ص ٢٠٦-٢١٠.
- ٨٤-الدميري: م.ن، ص ٨٢ مهمش ٢٧.
- ٨٥-النجومى: م.ن، ص ١٦٨-١٧٣.
- ٨٦-م.ن، ص ٣٧٧-٣٨٠.
- ٨٧-اللوس: م.ن، ٢/٢٥٩.
- ٨٨-الدميري: م.ن، ص ٨٨.
- ٨٩-اللوس: م.ن، ٣/٢٨.
- ٩٠-م.ن، ٣/٣٧٠-٣٧٠.
- ٩١-الدميري: م.ن، ص ٩٣.
- ٩٢-م.ن، ص ٩٥.
- ٩٣-م.ن، ص ٩٦.
- ٩٤-الدميري: م.ن، ١٢/٣٣٤.
- ٩٥-النجومى: م.ن، ص ٥٥٣-٥٥٤.
- ٩٦-الدميري: م.ن، ص ١٤٣؛ اللوس: م.ن، ٣/٢٠١-٢٠٣.
- ٩٧-م.ن، ص ١٤٤.
- ٩٨-النجومى: م.ن، ص ٤٧٧-٤٧٩.
- ٩٩-الدميري: م.ن، ص ١٤٦.



- ١٠٠-م.ن، ص.١٤٨
١٠١-م.ن، ص.١٤٨
١٠٢-النجومى:م.ن، ص.١٢٦-١٢٧
١٠٣-الدمىرى:م.ن، ص.١٦٠؛ اللوس:م.ن، ٣/١٩١، ١٨٩، ١٨١
١٠٤-اللوس:م.ن، ١/١٩٩-٢١١
١٠٥-الدمىرى:م.ن، ص.١٦٥
١٠٦-ابن سىده:المخصص، ٨/١٤؛ اللوس:م.ن، ١/٢٦٠-٢٦٢
١٠٧-الدمىرى:م.ن، ص.١٦٧
١٠٨-م.ن.
١٠٩-اللوس:م.ن، ٣/١١٢-١١٣
١١٠-ابن سىده:م.ن، ٨/١٦٢
١١١-معجم البلدان، ٣/٢٠٤-٢٠٥
١١٢-النجومى:م.ن، ص.٥٦-٥٦٢
١١٣-الدمىرى:م.ن، ص.١٧٦
١١٤-اللوس:م.ن، ٢/٢٧-٢٦٠
١١٥-م.ن، ٣/٧٤-٧٥
١١٦-الدمىرى:م.ن، ص.١٨٤-١٨٥
١١٧-م.ن، ص.١٩١
١١٨-المعلوف:م.ن، ص.١٣٨-١٤٨
١١٩-الدمىرى:م.ن، ص.٩٢
١٢٠-م.ن، ص.١٩٢
١٢١-اللوس:م.ن، ٢/٢٥٣-٢٥٤
١٢٢-النجومى:م.ن، ص.٤٩٩-٥٠٠
١٢٣-الدمىرى:م.ن، ص.١٩٧
١٢٤-م.ن، ص.٢٠٠-٢٠١
١٢٥-م.ن، ص.٢٠٨
١٢٦-م.ن، ص.٢١٠
١٢٧-اللوس:م.ن، ٢/١١٩-١٢٢
١٢٨-الدمىرى:م.ن، ص.٢١٣
١٢٩-اللوس:م.ن، ١/١٢١-١٢٤
١٣٠-الدمىرى:م.ن، ص.٢٢٠
١٣١-اللوس:م.ن، ١/١٠٤-١٠٩
١٣٢-الدمىرى:م.ن، ص.٢٢٦
١٣٣-اللوس:م.ن، ٢/٢٤-٢٥
١٣٤-المعلوف:م.ن، ص.١٤٣-١٤٥
١٣٥-اللوس:م.ن، ١/١٣٥-١٣٧
١٣٦-الدمىرى:م.ن، ص.٢٣٥
١٣٧-م.ن، ص.٢٣٧
١٣٨-م.ن، ص.٢٣٩
١٣٩-م.ن.
١٤٠-م.ن.
١٤١-ابن سىده:م.ن، ٨/١٥١
١٤٢-الدمىرى:م.ن، ص.٢٤٤
١٤٣-م.ن.

- المصادر والمراجع:
بروكلمان: كارل.
- ١- تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار، ط٤ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م).
 - الجواليقي: أبو منصور (ت ٥٣٩هـ).
 - ٢- المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمد شاكر، (القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٩م).
 - حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب (ت ١٠٦٧هـ).
 - ٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (استانبول، ١٩٤١م).
 - الخفاجي: شفاء الدين احمد.
 - ٤- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، (القاهرة، مكتبة الحرم الحسيني، ١٩٥٢م).
 - الخوانساري: محمد باقر الموسوي الاصبهاني (ت ١٣١٣هـ).
 - ٥- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله اسماعيليان، (طهران، مهر استور، ١٣٩٤هـ).
 - ٦- دائرة المعارف الاسلاميه، نقلها إلى العربية احمد الشتاوي وآخرون، (القاهرة، د.ت)، ٩/مادة (الدميري).
 - الدميري: محمد بن موسى بن الكمال أبو البقاء (ت ٨٠٨هـ).
 - ٧- كتاب الحيوان، تحقيق عزيز العلي العزي، (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م).
 - ٨- حياة الحيوان الكبرى، (القاهرة، الحجازي، ١٣٦٧هـ).
 - الزر كلي: خير الدين.
 - ٩- الإعلام، ط٣ (بيروت، ١٨٠٠م).
 - السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).
 - ١٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت، مكتبة دار الحياة).
 - سركيس: يوسف أليان.
 - ١١- معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٣٣٩هـ / ١٩١٩م).
 - ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ).
 - ١٢- المخصص، (القاهرة، بولاق، ١٣١٨هـ).
 - السيوطي: أبو الكمال جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ).
 - ١٣- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (القاهرة، السعادة، ١٣٢٤هـ).
 - ١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ).
 - الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ).
 - ١٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (القاهرة، السعادة، ١٣٤٨هـ).
 - طاش كبري زاده: عصام الدين أبو الخير احمد بمصلح (ت ٩٦٨هـ).
 - ١٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثه).
 - ألعزي: عزيز العلي.
 - ١٧- عجائب المخلوقات للقرز ويني، (بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٧م).
 - علي مبارك: علي باشا مبارك بن سليمان بن إبراهيم الرومي (ت ١٣١١هـ).



- ١٨- الخطط التوفيقية الجديدة-لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة،(القاهرة،بولاق،١٣٠٦هـ).
ابن العماد الحنبلي:أبو الفلاح عبد الحي(ت١٠٨٩هـ).
١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،(بيروت،المكتب التجاري للطباعة والنشر).
كحاله:عمر رضا.
٢٠- معجم المؤلفين-تراجم مصنفي الكتب العربية،(بيروت،دار التراث العربي).
اللكنوي:محمد بن عبد الحي الأنصاري(ت١٣٠٤هـ).
٢١- الفوائد البهية في تراجم الحنفية،عني بتصحيحه محمد بدر الدين ابو فراس النعساني(القاهرة،الخانجي،١٣٢٤هـ).
اللوس:بشير .
٢٢- الطيور العراقية،(بغداد،مطبعة الرابطة،١٩٦٠م).
المعلوف:أمين.
٢٣- معجم الحيوان،(القاهرة،١٩٣٢م).
ألنجومي :عبد الله وآخرون .
٢٤- الطيور المصرية،(القاهرة ،دار الفكر العربي،١٩٥٠م).
ياقوت الحموي:شهاب الدين أبو عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ).
٢٥- معجم البلدان،(بيروت،دار صادر،١٩٧٧م).

الاحوال الجوية
في مجلة لغة العرب



أ.و. سالار علي خضر الدرزي
قسم الجغرافية-كلمية التربية للبنات-جامعة بغداد
salar742010@gmail.com

المستخلص

هدف هذا البحث هو توثيق ومناقشة للمعلومات المتعلقة بالحالة الجوية لبعض المدن العراقية التي وردت في مجلة لغة العرب والتي كانت تصدر خلال المدة من (١٩١١م) لغاية (١٩٣١م) لصاحبها الاب انستاس ماري الكرمل (رحمه الله)، إذ ان ما يميز هذه المجلة انها كانت تتناول معظم الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع العراقي، فضلا عن الحالات الجوية المؤثرة على السكان ونشاطاتهم المختلفة. ومما يميز هذه الحالات ان المؤلف (الاب انستاس ماري الكرمل) لم يقتصر على عرض هذه الحالات الجوية وانما ناقشها من إذ تأثيرها في الانسان والزراعة وحتى الحيوان. ان التعرف على هذه الحالات الجوية مفيدة جدا من ناحية مقارنتها بالوقت الحاضر والكشف عن التغيرات التي تعرض لها مناخ العراق ولو بشكل محدود. كلمات مفتاحية: الحالة الجوية، مناخ العراق، مجلة لغة العرب.

Abstract

The aim of this research is to document and discuss the information related to the weather conditions of some Iraqi cities that were mentioned in the Arabic language magazine, which was published during the period from (1911 AD) to (1931 AD) to its owner Father Anastas Marie Al-Karmali (may God have mercy on him), as what distinguishes this magazine is that it was It deals with most of the social, political and economic situation in Iraqi society, as well as the weather conditions affecting the population and their various activities. What distinguishes these cases is that the author (Father Anastas Marie Al Karmali) did not limit himself to presenting these weather conditions, but discussed them in terms of their impact on humans, agriculture and even animals. Knowing these weather conditions is very useful in terms of comparing them with the present time and revealing the changes that the climate of Iraq has undergone, even if in a limited way.

Key words: the weather, the climate of Iraq, Language of the Arabs magazine.

المقدمة

تطرقت العديد من المصادر القديمة تطرقت الى مناخ العراق، سواء في كتب البلدانيين والجغرافيين المسلمين، او في كتب الرحالة الاجانب الذين زاروا بعض المدن العراقية ووصفوا مناخ هذه المدن بشكل مبسط وقارنوها مع مناخ بلدانهم الاوربية^(١). وجميع هذه المصادر سجلت معلومات قيمة عن طقس ومناخ العراق، وعلى الرغم من ان تلك المعلومات المناخية كانت وصفية في المقام الأول، بسبب عدم توفر اجهزة لقياس عناصر المناخ وظواهره، الا انها كانت على قدر كبير من الامة لأنها عرفتنا بمناخ العراق خلال مدة قديمة جدا من تاريخ البلاد.

ومن المصادر المهمة التي سجلت معلومات قيمة عن مناخ العراق، ما سجله العلامة الاب انستاس ماري الكرمللي لمناخ العراق من بعض الحالات الجوية في مجلة لغة العرب والتي صدرت خلال المدة من (١٩١١-لغاية ١٩٣١م) إذ اشار صاحب هذه المجلة الى مجموعة كبيرة من الحالات الجوية المتطرفة والغريبة التي كانت تحدث في طقس ومناخ العراق خلال تلك المدة القديمة. لذلك حاول هذا البحث الحالي عرض هذه الحالات الجوية القديمة من اجل تحقيق الأهداف الاتية:

١. مقارنة الحالات الجوية القديمة بالوقت الحاضر، من اجل تحديد اي

تغيير محتمل في مناخ العراق.

٢. الاستفادة من التفسيرات التي ذكرت في المجلة والتي رافقت تسجيل

هذه الحالات الجوية المتطرفة.

٣. تجميع هذه الحالات الجوية وتصنيفها وعرضها للقارئ بشكل مبسط،

بدلا من تفرقها داخل الاعداد الكثيرة للمجلة.

وعليه فان هذا البحث قام بتجميع هذه الحالات الجوية المذكورة في مجلة لغة

العرب، ثم تمت عملية تصنيفها بإذ جمعت الحالات المتشابهة ضمن عنوان واحد، فمثلاً

الحالات المتعلقة بدرجات الحرارة جمعت تحت عنوان درجات الحرارة، والحالات

المتعلقة بالامطار جمعت تحت عنوان الامطار، وهكذا لبقية العناصر والظواهر

المناخية، وقد وجد ان الحالات المناخية المذكورة في المجلة قد تركزت حول الامطار

ودرجات الحرارة والرياح والبرد (الحالوب) والفيضان والعواصف الرعدية.

منهجية البحث:

تمثلت منهجية البحث في مراجعة جميع اعداد مجلة لغة العرب وذلك من اجل

البحث على اي اشارة لمعلومة عن الأحوال الجوية لمدينة العراق، ومن خلال مراجعة

اعداد المجلة وجد ان المواضيع المناخية كان (الاب انستاس ماري الكرمللي) يذكرها

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر: (سالار علي خضر الدزي، مناخ العراق في كتب الجغرافيين، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد (١)، آذار، ٢٠١٨).



ضمن فقرة (تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره). فضمن هذه الفقرة كان المؤلف يذكر اهم الاحداث الغربية (نوعا ما) في الشهر مثل هجوم الجراد او معلومات عن اسعار الحبوب والامراض وحالات الوفيات او معلومات عن زيارة مسؤولى الحكومة الى مناطق البلاد المختلفة... الخ من المعلومات اليومية. ومن اجل التفريق بين نص المجلة (حديث الكرملى) وبين نص البحث سيتم وضع نص المجلة بين قوسين (()).

وقبل التطرق الى هذه الأحوال الجوية، لابد من مقدمة تعريفية عن مجلة لغة العرب وعن مؤلفها الاب انستاس ماري الكرملى (رحمه الله تعالى).

معلومات عن مجلة لغة العرب:

هي مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية، صدر العدد الاول منها بتاريخ تموز ١٩١١م، ثم توقف اصدارها في عام ١٩١٤م بسبب قيام الحرب العالمية الاولى، ثم عاودت الاصدار في تموز ١٩٢٦م لغاية عام ١٩٣١م جدول (١)، وكانت الاعداد الاولى من المجلة من تاليف (الكرملى) فقد، اما الاعداد الاحدث فقد شارك مجموعة من الباحثين في كتابة البحوث وأيضا استمر (الكرملى) في الكتابة ضمن المجلة. اما سبب توقف المجلة عن الإصدار في عام ١٩١٤م ففي ذلك قال العلامة (الاب انستاس ماري الكرملى) ما نصه:

((كنا قد اصدرتنا مجلتنا في سنة ١٩١١م، وبرز منها ثلاث مجلدات عن ثلاثة اعوام ولما جاءت الحرب العظمى باهوائها. كنا قد اصدرنا من سنتها الرابعة جزءين فقط. حينئذ نفينا ظلماً الى قيصرية كبادوكية (المعروفة عند الاتراك بقيصري) فانقطعنا عن اخراجها للقوم الى ان كان الصلح. فاصدرنا (دار السلام) مدة تزيد على ثلاث سنوات، ثم سافرنا الى اوربة لمشتري آلات طباعة فتم الامر في منتصف سنة ١٩٢١م ثم عاندتنا الاحداث بانواعها هذه الايام^(١))).

ت	السنوات	الاعداد
١	١٩١١	(٦) اعداد
٢	١٩١٢	(١١) عدد
٣	١٩١٣	(١٢) عدد
٤	١٩١٤	(٦) اعداد
توقف الاصدار بسبب قيام الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨)م وأسباب اخرى.		
٥	١٩٢٦	(١٠) اعداد
٧	١٩٢٨	(١٠) اعداد
٨	١٩٢٩	(١١) عدد (٣٣١)
٩	١٩٣٠	(١٠) اعداد
١٠	١٩٣١	(١٢) عدد

(١) الاب انستاس ماري الكرملى، مجلة لغة العرب، مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية، الجزء (١) من السنة (٤)، عن تموز، ١٩٢٦، ص ١

جدول (١) الاعداد الخاصة بمجلة لغة العرب.

ويتضح من حديث (الكرملي) ان اسباب عديدة ساهمت في توقف اصدار المجلة منها قيام الحرب العالمية الاولى ومنها نفيه لأسباب سياسية خارج العراق الى تركيا. وذكر ايضا ان اصدر مجلة اخرى بأسم (دار السلام) لمدة ثلاثة اعوام.

وقد ذكر العلامة (الاب انستاس ماري الكرملي) ان الغاية من اصداره هذه المجلة هو: ((ان تُعرف العراق واهله ومشاهيره، بمن جاورنا من سكان الديار الشرقية وبمن نأى عنا من العلماء والباحثين والمستشرقين من الاقطار العربية، وننتقل الى وطنييننا العراقيين، بما يكتبه عنهم الافرنج وغيرهم من الكتاب المشهورين عن بلادهم واقوامهم، والذي دفعنا الى هذا العمل هو اننا رأينا اغلب المجلات والجرائد والصحف السيارة، تبحث عن بلاد اصحابها ورجالها، ولا تذكر الا النزر التافه عن هذه الأرجاء وذويها (ويقصد العراق) فرأينا من المناسب ان ننشئ مجلة تفي بما في الامنية ليدخل العراق في مصاف الربوع المعروفة بين الامم المتقدمة المتحضرة^(١))).

وذكر العلامة (الاب انستاس ماري الكرملي) ايضا ما نصه:

((اما الابواب التي نظرقها فهي تاريخ الشهر في العراق وندون فيه ما صرح من الاخبار والوقائع التي جرت في العراق ونواحيه من ديار جزيرة العرب لكي تكون مرجعاً يرجع اليه عند الحاجة. ونكتب ايضا في كل عدد من اعدادها رواية تاريخية او خيالية او تاريخية خيالية معاً يكون موضوعها أحد ابناء العرب او جرت واقعتها في بلاد العرب او لها تعلق بهذه الديار الكريمة ارضاً وماء وهواءً وسماً وسكاناً وعمراً. ثم اننا لا ندع ديواننا من دواوين هذه المجلة الا ونورد فيه شيئاً من المصطلحات الحديثة، والاوضاع العربية الطريف، مما يوسع لغتنا الشريفة ويحدو بنا الى مجارة الاقوام المتقدمة في الحضارة المنيفة بما يستحدث فيها من الموضوعات العصرية والمدلولات العقلية والادوات الفنية او الصناعية، والتصاووير الخيالية، والافكار العلمية التي لا مقابل ولا مرادف لها في لساننا في هذا العهد^(٢))).

وما يميز مجلة لغة العرب انها من اوائل المجلات التي صدرت في العراق باللغة العربية، لأن في عام ١٩١١ وافق العثمانيون على جعل اللغة العربية لغة رسمية الى جانب التركية في الولايات العربية^(٣). إذ شجع هذا القرار جميع المثقفين على اصدار نتاجاتهم باللغة العربية.

(١) المصدر نفسه، الجزء (١) من السنة (١)، عن تموز، ١٩١١، ص ١

(٢) المصدر نفسه، ص ٢-٣

(٣) كريم عبد الحسين فرج سلمان الغراوي، انستاس ماري الكرملي ثقافياً وفكرياً في تاريخ العراق (١٨٦٦-١٩٤٧)م الطبعة الاولى، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٣، ص ١٤٨



وأشار (الكرملي) الى المشكلات التي واجهته في عملية إصدار المجلة صراحة في نهاية الجزء الثاني عشر من السنة التاسعة التي أعلن فيها توقف المجلة عن الصدور فقال:

((قد عزمنا عزمًا أكيداً الا يحتمل الرد والاسيئناف على إغلاق المجلة من الآن لأننا مع مقاساتنا أتعابا جمّة ومشاق هائلة ناهكة، كنا نكابد خسائر باهظة طول سنين صدور المجلة، حتى لم يبق في قوسنا منزع ولا هممتنا مكنة، نضيف الى ذلك تضاول المعنيين، وقلة المعاضدين من أبناء لغة الضاد، الذين أخرجنا هذه المجلة الموءودة للتتويه بهم وبلغتهم وتاريخهم. وقد ثبرنا هذا الصبر الأيوبي، حتى أعذرنا كل معاتب ولائم، وليس على الإنسان أن يركب المستحيل ويجازف في ما تسوء عقباه^(١))).

يتضح مما سبق ان مجلة لغة العرب تعرضت للتوقف في سنة ١٩١٤م وذلك لأن المجلة اخذت على عاتقها الدفاع عن اللغة العربية والمحافظة عليها، لذلك كان من الطبيعي ان يثير نشاط المجلة في هذا المجال حكومة الاتحاديين (الحكم العثماني) التي وقفت ضد كل الدعوات القومية واخذت تتحين الفرص لأغلاق المجلة والتخلص من صاحبها فما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى حتى سارع الاتحاديون الى نفي الأب انستاس الكرملي الى مدينة قيصري في الاناضول واغلاق المجلة^(٢). اما الاغلاق الثاني والاخير للمجلة فقد كان سببه في المقام الاول الامور المادية.

من هو الاب انستاس ماري الكرملي:

ولد الاب انستاس ماري الكرملي في بغداد يوم ٥ آب ١٨٦٦م من اب لبناني الاصل وأم بغدادية^(٣). وهو شخصية علمية نادرا ما تتكرر في تاريخ العراق، ويكفي ان نشير الى ان العديد من الباحثين الفوا بحوث وكتب عن حياته ومؤلفاته ودوره في الحياة العلمية في بغداد، فهو كان غزير الانتاج وموسوعي، اذ كان يقوم باعمال لا يستطيع عليها الا جمع من المؤلفين، فمجلة لغة العرب كان هو يكتب جميع صفحاتها وخاصة في الاعداد الاولى منها ثم اشترك معه مؤلفين آخرين في الاعداد الأخيرة من المجلة.

هذا فضلا عن اعداد كبيرة من المقالات والنبد والكتب المطبوعة والمخطوطة والمعاجم والصحف والمجلات (العربية والاجنبية) التي قام بتأليفها وقام الباحث (كوركيس عواد) بجمعها في كتابه القيم (الأب انستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته (١٨٦٦-١٩٤٧)) والتي بلغ عددها (١٣٩٩) ما بين كتاب ومقالة وبحث^(٤).

وكان (الكرملي) ايضاً عضواً في مجمع المشرقيات الالمانى في سنة ١٩١١م، وفي عام ١٩٢٠م اختاره المجمع العلمي بدمشق عضواً فيه وعين عضواً في مجلس المعارف في العراق سنة ١٩١٧م وعضواً للجنة الترجمة والتعريب سنة ١٩٢١م ومن

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠

(٣) كوركيس عواد، الأب انستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته (١٨٦٦-١٩٤٧)، المجمع العلمي العراقي، مطبعة العاني-

بغداد، ١٩٦٦، ص ٧

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٥ لغاية ص ٢٤٢

ثم عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة وغيرها من المجمع العلمية. وبلغت تأليفه نحو اربعين مؤلفا واغلبها ضخمة الا ان الاتراك استولوا على عدد كبير منها في سنة ١٩١٤م فمنها ما احرقوه ومنها ما تصرفوا به ولم ينج من ايديهم سوى ثلاثين طبع منها ما يزيد على العشرين(١). وفي عام (١٩٤٧) انتقل العلامة (الكرملي) الى جوار ربه، بعد ان ترك ارثا علميا غزيرا ووثق معلومات كثيرة عن مرحلة مهمة من تاريخ العراق امتدت ما بين نهايات الحكم العثماني وبدايات الحكم الملكي. فهو بحق نموذج علمي نادر التكرار.

المعلومات الجوية الواردة في مجلة لغة العرب:

من خلال مراجعة الحالات الجوية المذكورة في مجلة لغة العرب، اتضح ان المجلة تناولت مواضيع جوية عديدة، مثل درجات الحرارة والامطار والرياح العواصف الغبارية والبرد (الحالوب) والتلج والعواصف الرعدية... الخ، بعضها له علاقة بالحالة الجوية خلال مدة زمنية طويلة والتي يعبر بمصطلح المناخ، الا ان الغالبية العظمى من الحالات الجوية كانت خلال مدة زمنية قصيرة والتي يعبر عنها بالطقس. ومن جانب آخر نجد ان بعض المواضيع نستطيع ان ندرجها ضمن اختصاص المناخ التطبيقي لأنها وضحت اثر الحالة الجوية على الانسان او على الزراعة او على الثروة الحيوانية، بينما كان ذكر الحالات الجوية الاخرى بمعزل عن الجانب التطبيقي بمعنى ان الحالة الجوية ذكرت بشكل مستقل والتي يعبر عليها الان بالمناخ العام.

ومن جانب آخر نجد ان المؤلف (الكرملي) كان دقيقا جدا في ذكر الحالات الجوية، من إذ ذكر المدينة التي حدثت فيها الحالة الجوية مع ذكر التاريخ بل احيانا يذكر المؤلف حتى اسم الشخص الذي كان في تماس مباشر مع الحالة الجوية، وطبعاً ان ذكر هذه المعلومات التفصيلية كانت تمثل دعماً وتوثيقاً وتعزيزاً للمعلومة الجوية.

وبشكل عام فان اكثر الحالات الجوية التي تناولها المؤلف هي الحالات الجوية المتطرفة (Extreme Weather) والمتمثلة في تساقط امطار غزيرة او انحباس الامطار او انخفاض وارتفاع درجات الحرارة في اوقات خارجه عن المألوف... الخ من الحالات الجوية المتطرفة والتي سنوردها بشكل مفصل في فقرات البحث القادمة.

الامطار:

(المطر وحالة الجو في بغداد): ((امطرتنا السماء مطراً غزيراً في ١٨ تشرين الاول ١٩١٢م وهو نادر الوقوع في مثل هذا الوقت. وكان قد سبق المطر رياح عاصفة مع رمل دقيق ملاً الجو ورفع حرارته وبعد المطرة نزلت الحرارة الدنيا الى ١٥ درجة بعد ان كانت ٢٨ بالمقياس المئوي))^(٢).

(١) حكمت رحمانى، رحلة الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي الى بيروت سنة ١٨٨٦، مجلة مجمع اللغة السريانية، المجمع العلمي العراقي، العدد رقم ١٨، ١ يناير ٢٠٠١، ص ١٢٩
(٢) المصدر نفسه، الجزء ٥، من السنة الثانية ٢ عن ذي القعدة وذي الحجة، ١٣٣٠، تشرين الثاني، ١٩١٢، ص ٢١٢



(انحباس الامطار ثم انهمارها): ((انحبست الامطار هذه السنة حتى اوائل شهر كانون الاول عام ١٩١٢م ثم امطرتنا السماء مطراً غزيراً في الثاني والسادس والسابع والرابع والعشرين من الشهر المذكور فأروت الارضين. لكن لا تسأل عن بغداد في اوقات الامطار فان الاحوال تحول دون كل ذي عزم ماض ودون قضاء اشغاله وليس من يهتم بكسحها وتمهيد الطرق للمارين^(١))).

(الامطار في العراق وديار العرب): ((كثرت الامطار في شهر كانون الثاني عام ١٩١٣ بعد ان كانت اعز من بيض النوق وقد عمدت ديار العراق والعرب ولاسيما ما كان من هذه بين العارض والقصيم فحائل فالجوف فقلب الجزيرة وقد انتشرت الاعراب تقتلي الممطور من اراضيها^(٢))).

(الامطار والبرد): ((تالتت الامطار في هذا الشهر (شباط-١٩١٣) حتى جعلتنا ان نتفعل بسنة خير عميم ورخص عظيم حقق الله الاماني. وقد نزل الحر الى الصفر في السادس عشر من هذا الشهر^(٣))).

(امراض الغنم): ((وقع داء في الغنم من اوائل شهر شباط ولا سيما في الغنم الموجودة في جوار قضاء خراسان. وقد سافر الى المحل المذكور فاروقي افندي مفتش بياطرة الولاية ليطلع على هذا المرض وقد تحقق بعد الفحص انه حاصل من قلة الامطار. وقد مات بهذا المرض اكثر من عشرين بالمائة وليس له علاج آخر سوى كثرة العشب والكلأ. وقد وقع مثل هذا الداء في غنم قضاء بدره (بادوريا))^(٤))).

(انحباس المطر ثم انهماره): ((انحبس المطر زهاء شهرين وغلث الاطعمة اكثر مما سبق ثم انهمرت الامطار في (٣٠) و(٣١) آذار عام ١٩١٣م فنزلت الاسعار قليلاً ورحم الله عباده. انه ارحم الراحمين))^(٥).

(مطر شديد الوقع في بدره): ((في اليوم (٦) من نيسان عام ١٩١٣م امطرت السماء مطراً مدراراً شديداً الوقع في مركز قضاء بدره (بادوريا فخرم مقر الامارة (الحكومة) وسقطت دار المبذرفة فمات منهم وسلم من بقي واما موظفوا الامارة فمات منهم وسلم من بقي. واما موظفوا الامارة فانهم تفرقوا ايدي سبا^(٦))).

(الامطار في العراق): ((كانت الامطار غزيرة في هذا الشهر (كانون الثاني-١٩١٤م) في العراق ولهذا ظل الاعراب يرتادون الكلأ وكل قبيلة تضرب في جهة من ديار العراق الواسعة^(٧))).

(امطار هذه السنة-١٩١٤م): ((كانت حسنة حتى ان السطوح المفروشة بالطابق اخضرت وانبتت الكلأ لما هطل عليها من الامطار المتتابعة^(٨))).

(١) المصدر نفسه، الجزء ٦، من السنة الثانية ٢ عن المحرم، ١٣٣٠، كانون الاول، ١٩١٢، ص ٣١٩

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٨، من السنة الثانية ٢ عن ربيع الاول، سنة ١٣٣٠، شباط، ١٩١٣، ص ٣٦٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٠

(٤) المصدر نفسه، الجزء ١٠، من السنة الثانية ٢ عن جمادى الاولى، سنة ١٣٣١، نيسان، ١٩١٣، ص ٤٧٢

(٥) المصدر نفسه، الجزء ١١، من السنة الثانية ٢ عن جمادى الاخرة، سنة ١٣٣١، آيار، ١٩١٣، ص ٥٣٤

(٦) المصدر نفسه، الجزء ١٢، من السنة الثانية ٢ عن رجب، سنة ١٣٣١، حزيران، ١٩١٣، ص ٥٨٤

(٧) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (٧)، عن صفر، سنة ١٣٣١، كانون الثاني، ١٩١٤، ص ٣٨٨

يتضح من هذا العرض للأمطار خلال الاعوام (١٩١٢-١٩١٣-١٩١٤) ان الامطار هطلت بكميات كبيرة في بداية الموسم المطري (شهر تشرين الاول عام ١٩١٢م) ويبدو ان تسجيل المؤلف لهذه الحالة الجوية لم يكن بسبب تاريخها في ذلك الشهر لأن شهر تشرين الاول يمثل اول أشهر الموسم المطري في العراق بينما شهر مايس يمثل آخر شهر في الموسم، ولكن تسجيله لهذه الحالة الجوية كان بسبب غزارة الامطار وهذا شيء غريب في مثل هذا الشهر، لأنه عادة ما تهطل الامطار الغزيرة في اشهر الشتاء او الربيع تحديداً. وذكر المؤلف ايضا هبوب رياح عاصفة محملة بالغيبار سبقت الامطار ويبدو ان جفاف التربة بسبب الصيف الطويل هو الذي ادى الى انتشار الغبار مع الرياح. ثم حدث بعد ذلك ان انحسرت الامطار لغاية بداية شهر كانون الاول (عام ١٩١٢م).

ثم استمرت الامطار بالهطول خلال شهري كانون الثاني وشباط من عام (١٩١٣م) مما دفع المؤلف الى الاعتقاد بان هذه السنة ستكون سنة خير بسبب الامطار الغزيرة، ويبدو ان مناسيب نهري دجلة والفرات كانت منخفضة وهذا ما دفع المؤلف الى اعتقاده ان الامطار ستعوض عن ذلك.

ويبدو ان موسم الامطار السابق (قبل عام ١٩١٢) اي في عام ١٩١١م كان قليل الامطار بدليل ان المؤلف ذكر حادثة تتعلق بمرض الاغنام وعلل الطبيب البيطري ذلك المرض بضعف الاغنام بسبب قلة الاعشاب.

ثم اشار المؤلف الى انحباس الامطار مرة ثانية مما ادى الى ارتفاع الاسعار، ولكن بسبب هطول الامطار مرة ثانية عادت الاسعار للأنخفاض مرة ثانية. ثم ذكر المؤلف حادثة متعلقة بالامطار الغزيرة التي هطلت في شهر نيسان وتسبب في حدوث وفيات وخسائر مادية، ومما لا شك فيه ان شهر نيسان في العراق معروف بامطاره الغزيرة حتى جاء في المثل الشعبي (مطر نيسان مغركالجدسان). وهنا يشير المؤلف بوضوح الى دور الحكومة الضعيف (الحكم العثماني) في تصريف المياه الزائدة من الطرق.

(الامطار وامراض نخل سنة ١٩٢٦م): ((اصاب نخلنا هذه السنة عدة امراض واول داء حمل عليها كان في اول عهد تفتق طلعتها، فانه ما كاد يضحك عن نضيده الا وامطر السماء مدراراً، فذهب عن الفحال لقاحه، فلم يؤثر فعله في طلع الانثى، فشيص كثير منه. وهذا هو الداء الاول. اما الداء الثاني فهو إنه كان إتأوه صغيرا اي حينما كان سداء (خلالا ناعما) انتفض اكثره لرطوبة الهواء المفرطة يومئذ. وهذا الداء يعرف عند قدماتنا بالفشام^(٢))).

وهنا ذكر المؤلف (الاب انستاس ماري الكرمللي) معلومة مهمة في المناخ وخاصة في المناخ التطبيقي (Applied climatology) وتحديد المناخ الزراعي

(١) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (١٠)، عن جمادي الاول، سنة ١٣٣٢، نيسان، ١٩١٤، ص ٥٦٠
(٢) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (١)، عن تموز، سنة ١٩٢٦م، ص ٥١



(agriculture climatology) إذ اشار الى دور الامطار في غسل وازالة غبار طلع النخيل مما منع بذلك انتقال حبوب اللقاح من اشجار النخيل (الذكورية) الى اشجار النخيل (الانثوية). وكما هو معروف ان اشجار النخيل بنوعيتها الذكري والانثوي تقوم بانتاج مواد اللقاح في نهاية الموسم المطري (نهاية فصل الربيع)، وفي حال هطلت امطار في نهاية الربيع فان ذلك يؤثر على عملية تلقيح اشجار النخيل. ثم ذكر المؤلف مرضاً آخر اصاب النخيل بسبب ارتفاع رطوبة الجو، وكانه يشير هنا الى ان جفاف الهواء في العراق وخاصة موسم انتاج النخيل يعد ذلك ضروريا للحفاظ على هذه الاشجار من الامراض.

(الامطار في العراق وديار العرب): ((تكاثرت الامطار في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٦م وزاد دجلة والناس يتوقعون سنة خير اما الان فان الغلاء لم ينقطع بل الاسعار تزداد رقياً^(١))).

وهنا اشار المؤلف الى دور الامطار في خفض اسعار المواد الغذائية، وبالمقابل تنخفض الاسعار في حالة كانت السنة ذات امطار كثيرة. وقد يبدو هذا الامر غريبا على اعتبار ان الزراعة في اقسام واسعة من العراق تعتمد على نهر وروافد دجلة ونهر الفرات، وهذا الكلام يكون صحيحا في حالة الزراعة في السهل الرسوبي التي تعتمد على الري من النهرين. ولكن يكون الاعتماد على الامطار في حالة انخفاض مناسب مياه النهرين، كما ان المنطقة الشمالية من العراق تعتمد كثيرا على مياه الامطار ومياه الينابيع والعيون. وذكر المؤلف حالة جوية اخرى اضررت باشجار النخيل وهي:

(امطار مضرّة): ((وقعت امطار قصيرة المدة شديدة الدفعة في شهري نيسان وآيار من عام (١٩٢٧) ميلادية فاضرت بالنخل اذ كان وقت افترار ثغر طلعه ولا جرم انه يسقط شيئا من حملة في هذه السنة او يسبب له بعض الامراض وعساها ان لا تكون وخيمة العاقبة^(٢))).

ضمن هذه الحالة الجوية المتعلقة بالامطار اشار المؤلف الى حدوث اضرار في انتاج النخيل بسبب هطول امطار في شهري نيسان وآيار ويبدو ان ارتفاع درجات الحرارة في هذين الشهرين سرع من فتح عذوق النخيل وبما ان شهري نيسان وآيار ضمن الموسم المطري لذلك ادى ذلك الى ضرر في النخيل بسبب تعرض عملية التلقيح الى الغسل.

(الامطار في بغداد وسائر انحاء العراق)^(٣): ((انهمرت مياه السماء في مساء (٧) تشرين الثاني ولم تنقطع الا في مساء (١١) منه، ثم عادت الى السقوط في ١٦ الى ٢١ منه، بأوقات متفاوتة وبمقادير مختلفة وهو امر لم يشاهد مثله وبهذا الوفير في شهر تشرين الثاني من السنين المارة. فقد هطل في هذه الايام ما جاوز خمس عقد (انجات)

(١) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (٦)، عن كانون الثاني، سنة ١٩٢٦م، ص ٣٣٤

(٢) المصدر نفسه، السنة (٥)، الجزء (١)، سنة ١٩٢٧م، ص ٦٤

(٣) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (٦)، عن كانون الاول، سنة ١٩٢٦م، ص ٣٧٠-٣٧١

ودونك مقابلة ما هطل منه في الايام الماضية بما تدفق منه في هذه الايام الى (٢٠) من تشرين الثاني)).

الشهر	السنة	كمية الامطار (ملم)
تشرين الثاني	١٩٢٢	١,٧٧٨
تشرين الثاني	١٩٢٣	٠,٥٠٨
تشرين الثاني	١٩٢٤	٠,٢٥٤
تشرين الثاني	١٩٢٥	١١,٤٣
تشرين الثاني	١٩٢٦	١٢٧

((وأعظم مقدار وقع من المطر كان في سنة ١٨٩٤م اذ بلغ (٦, ١٠١) ملم واعظم من هذا القدر كان في شهري شباط وآذار من سنة ١٨٩٠م. اذ بلغت في شباط (١٢٧) ملم وفي شهر آذار (١٢٧) ملم. ومن غريب امر هذه الامطار ان الليالي كانت صاحبة والانهرة مطرة)).

((وبعد امطار (٢١) تشرين الثاني اوشكت المدينة على الغرق من تهطل الامطار. فلقد اضحت الشوارع والازقة جداول وبحيرات اما الجادة الكبرى فأصبحت نهرا حقيقا بطولها وعرضها وعمقها لذا قامت أمانة العاصمة بجهود كبيرة لسحب المياه من الشوارع وتحويلها الى نهر دجلة. وكانت الخسائر كبيرة في مباني العراق، فقد تهدمت تسعة جسور خلال الايام ٧ و ١٠ تشرين الثاني من جسور سكة الحديد الموصله بغداد بالبصرة، وايضا تضررت المزروعات من جراء الامطار. وانهار العديد من الدور والبنائيات الحكومية في بغداد والبصرة وخانقين والنجف)).

(مطر في الموصل): ((اشند الحر في الموصل كما في سائر مدن العراق وفي (٣١) تموز ١٩٢٨م تكاثفت الغيوم وأمطرت السماء مدة ساعة او أكثر فاعتدلت حالة الجو. وانحدار الغيث في مثل هذا اليوم امر غريب في ديار العراق^(١))).

(مائتا ساعة مطر في الموصل): ((احتجبت اشعة الشمس عن الموصل مدة اسبوع كامل وبدأ نزول الامطار الغزيرة منذ (٢٥) نوفمبر سنة ١٩٢٩م الى ما بعده مدة (٢٠٠) ساعة^(٢))).

(١) المصدر نفسه، السنة (٦)، الجزء (٩)، ايلول، سنة ١٩٢٨م، ص ٧٢٠
(٢) المصدر نفسه، السنة (٨)، الجزء (١)، كانون الثاني، سنة ١٩٣٠م، ص ٧٧



ذكر المؤلف (الكرملى) فيما سبق عدة حالات جوية تتعلق بالأطمار تسببت اضرار كبيرة إذ ادت الى غرق الشوارع وتعرضت العديد من الابنية الى الانهيار.
درجات الحرارة:

(اللقاتق وسائر الطير القواطع في ديار العراق): ((اللقاتق في العراق من الطيور القواطع، تأتينا في اواخر شهر كانون الثاني، او اوائل شباط وتهجر ديارنا في اوائل ايلول. اما هذه السنة فاننا رأيناها منذ تشرين الثاني فتقائلنا بسرعة عودها الينا وبربيع لا يسبقه شتاء بارد. وهكذا كان الامر. وما قلناه عن اللقاتق نقوله عن سائر الطير القواطع كالسنونو والحدأة وبعض انواع الغراب وغيرها، فأنها كلها قدمت وانها المعهود لتبشرنا ببربيع طويل وامطار غزيرة وخيرات متدفقة^(١))).

اشار المؤلف ضمن هذه الفقرة الى ملاحظة مهمة وهو التنبوء بحالة المناخ بالاعتماد على سلوك الطيور المهاجرة، فكما هو معروف ان جنوبي العراق (وتحديدا اقليم الاهوار) يمثل بيئة جاذبة للطيور المهاجرة القادمة من اواسط قارة اسيا، فشتاءا يصبح وسط اسيا مركز للهواء البارد مما يعمل على طرد الطيور وهجرتها من وسط اسيا الى جنوب غربها وتحديدا نحو جنوبي السهل الرسوبي إذ يكون الشتاء أكثر اعتدالا من اواسط اسيا القارسة البارد.

(الحر في بغداد): ((تردد الحر في اوائل نيسان الى الاسبوع الثالث منه بين 36° - 35°) درجة مئوية وهو غريب في مثل هذا الاوان فكيف يكون حر صيفنا هذه السنة^(٢))).

وهنا اشار المؤلف الى حالة جوية تمثلت بارتفاع درجات الحرارة في احد اشهر الربيع (نيسان) علما بان هذه الحالة الجوية معروفة في علم المناخ إذ يطلق عليها اسم موجة حر (Heat Wave) والعراق يتعرض الى العديد من موجات الحر التي تستمر لأيام معدودة.

(البرودة): ((نزل الحر في منتصف شهر كانون الاول عام ٢٠١٢ الى الدرجة (٣) ثم نزل حتى انحط عن الصفر بدرجة واحدة في الخامس والعشرين منه^(٣))).

وضمن هذه الحالة الجوية ذكر المؤلف حالة جوية اعتيادية وهو انخفاض درجات درجات الحرارة دون الصفر المئوي، علما بان انخفاض درجات الحرارة دون الصفر المئوي امر اعتيادي في المدن العراقية، لذلك فان ذكر هذه الحالة الجوية غير ذات اهمية.

(تغير حالة الهواء): ((كانت حرارة حزيران غير مالوفة هذه السنة، لشدتها في غير اوانها، وفي اوائل شهر تموز حدث تغير فجائي وهبوط غريب في الحرارة حتى كان معظم الحرارة في بعض الايام ٣٧ درجة مئوية، وهو امر غريب يكذب المثل العامي البغدادي: حر تموز، يحمي الماء بالكوز. وفي الموصل شعر الناس ببرد شديد

(١) المصدر نفسه، الجزء ٨، شباط، ١٩١٢، ص ٣٢٤

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١٢، آيار، ١٩١٢، ص ٤٩٢

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٦، من السنة الثانية ٢ عن المحرم، ١٣٣٠، كانون الاول، ١٩١٢، ص ٣١٩

في الليل حتى تذكروا برد تشرين الاول، الا ان الهواء كان طيباً في النهار، وسبب هذا البرد وقوع ثلج في الجبال المجاورة للموصل مع مطر في دياربكر وجواره. فاصبحت هذه السنة، صيفها وشتاؤها من اغرب السنين^(١))).

ضمن هذه الحالة الجوية اشار المؤلف الى حدوث تبدل في درجات الحرارة تمثلت اولاً في ارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير في شهر حزيران، ثم بعد ذلك انخفضت درجات الحرارة في شهر تموز إذ بلغت (٣٧□) مؤوي، وطبعاً ان ذلك يبدوا غريباً على اساس ان درجات الحرارة في تموز لا تهبط دون الـ (٤٠□) مؤوي في غالبية ايام الشهر.

(اشتداد الحر في بغداد): ((اشتد الحر في الاسبوعين الاولين من آب ١٩١٢م حتى بلغ معظمه الدرجة (٤٦□) مؤوي في الظل. وقد مات عدة اطفال من اجل ذلك^(٢))).

ضمن هذه الحالة الجوية اشار المؤلف الى اثر الحر في حدوث وفيات عند الاطفال، ولم يوضح المؤلف معلومات اضافية عن هذه الحالة الجوية، علماً ان ارتفاع درجات الحرارة لا يسبب وفيات بينما الذي يسبب الوفيات هو ضربة الشمس فضلاً عن ان ارتفاع درجات الحرارة يسبب الجفاف وكل ذلك يسبب ضرراً للناس.

(اشتداد الحر): ((اشتد الحر في اواسط تموز عام ١٩١٣م فبلغ الدرجة (٤٥°) مؤوي في الظل وفي ٢٢ تموز ابتدأت بالبحورا (JoursCanieulaires) فكان مع الحر هبوب رياح ذاريات هالت علينا رملاً دقيقاً غزيراً حتى حرجت منه الصدور وحجبت السماء الغيوم مدة ثلاثة ايام ظننا انفسنا في الشتاء والسحب في ايام الصيف اعز من الكبريت الاحمر^(٣))).

هنا ذكر المؤلف حالة جوية حدثت في شهر تموز إذ تزامن ارتفاع درجات الحرارة الى (٤٥°) مؤوي مع هبوب عاصفة غبارية ويبدو ان هذه العاصفة كانت شديدة بإذ حجبت اشعة الشمس، وهذا امر اعتيادي بسبب موقع العراق الجغرافي وما يحيط به من صحاري.

(الحر في بغداد): ((بعد ان سكن الحر في نحو اواخر تموز وأوائل آب عام ١٩١٣م عاد فاشتد في نحو منتصف هذا الشهر الاخير، فتذكرنا قول العوام البغداديين (آب اللهاب يشلعالبسما من الباب) وغامت السماء من اليوم (١٤) الى اليوم (٢٦) حتى خلنا انفسنا في ايام الشتاء واحتجبت الشمس عنا في بعض الايام كل الاحتجاب. وأعظم حرارة وصلنا اليها كانت (٤٦°) مؤوية في (١٧) و(٢٣) آب وذلك في الظل وعليه يكون حر بغداد قد فتر عما كان عليه سابقاً لانه كان يبلغ الدرجة (٤٨°) مؤوية وبعض

(١) المصدر نفسه، الجزء الثاني، آب، ١٩١٢، ص ٧٩

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٤، من السنة الثانية ٢ عن شوال، ١٣٣٠، تشرين الاول، ١٩١٢، ص ١٦٥

(٣) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (٢)، عن رمضان، سنة ١٣٣١، آب، ١٩١٣، ص ١١٢



السنوات (٥٠٠) مئوية. ولما كان اوان اشتداد الحر قد مضى فالمظنون ان حماوة القيط قد ولت^(١).

يلاحظ من هذه الفقرة ان تسجيل درجات حرارة متطرفة فوق (٤٥) مئوية في عام ١٩١٣م امر ليس بغريب حتى في تلك الفترة القديمة، ولكن الفرق انه في الوقت الحالي فان تسجيل درجات الحرارة المتطرفة اصبح امرا شائعا خلال اشهر الصيف الثلاثة (حزيران وتموز وآب)، ففي دراسة حديثة أجريت في العام (٢٠١٣م) حول تحليل الاتجاهات العامة لدرجات الحرارة المتطرفة (٤٥ وما فوقها) في العراق خلال ثلاث دورات مناخية الاولى (١٩٧٧-١٩٨٧) والدورة الثانية (١٩٨٩-١٩٩٩) والدورة الثالثة (٢٠٠٠-٢٠١٠) إذ ظهر ان الدورة الاخيرة شهدت زيادة في تكرار درجات الحرارة المتطرفة^(٢).

(لا شتاء الى الان في بغداد وزيادة دجلة): ((ابرد اشهر شتاء بغداد هما كانون الاول وكانون الثاني والحال الى الان لم نر البرد نزل الى ادنى من (٤) درجات (فوق الصفر) فالظاهر ان لا شتاء في سنتنا هذه. اما الامطار فغزيرة حتى ان دجلة فاضت فيضانا خارق العادة في (٢٦) كانون الثاني عام ١٩١٤م وكان الفيض فجأة فاغرق بعض (جساريات) وساق قسم منه جنائب (دوب) بعض المراكب بل ساق امامه مركبا تجاريا بعد ان قطع سلسلته القوية^(٣))).

(الحر في بغداد): ((بلغت درجة الحرارة بين منتهى حزيران ومبتدأ تموز (٣٩) مئوية^(٤))).

(دفع الشتاء ونتيجته): ((كان متوسط الحر في ايام كانون الاول يتردد بين (٨) درجات و (٧) مئوية في السنين السابقة واما في هذه السنة فكان يتردد بين (١٤) و(١٦) درجة مئوية. وهذا الدفع مع كثرة الامطار انتج الصحراء كلاء بل السطوح المفروشة بالطبايق وهو امر لم يشهد مثله شيوخ الحاضرة. ومن غريب الامر ان الخضروات التي كانت تموت عند مقبل برد الشتاء وهو المسمى (ابو جويريد) اي البرد الذي يجرد الاشجار من اوراقها لم يكن ذا اثر على الانبتة ولهذا فاننا نرى الخيار والبادنجان والبامياء واللوبياء والفاصوليا لم تنقطع الى يومنا هذا الا ان الدفع انقلب بردا قارسا في الاسبوع الاخير من الشهر. واغرب من هذا كله ان هذا الهواء المعتدل انتج بعض الغنم وفسس الجراد في انحاء الخليج العربي والزيبر وما جاورهما^(٥))).

هنا يشير المؤلف الى جانب مهم في المناخ الزراعي، وهو ارتفاع درجات الحارة شتاء وما صاحب ذلك من نمو النباتات بسبب توفر الامطار، وأشار المؤلف ان ارتفاع درجات الحرارة امر نادر خلال فصل الشتاء.

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣ من السنة ٣، عن شوال ١٣٣١، ايلول، ١٩١٣، ص ١٦٢

(٢) اسالار علي خضر الدزبي، بشرى احمد جواد، تحديد مؤشرات التغير المناخي في العراق من خلال تحليل درجات الحرارة العظمى المتطرفة، مجلة الآداب (المؤتمر العلمي السنوي لكلية الآداب)، جامعة بغداد، مايس، ٢٠١٣.

(٣) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (٨)، عن ربيع الاول، سنة ١٣٣٢، شباط، ١٩١٤، ص ٤٤٦

(٤) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (٢)، عن آب، سنة ١٩٢٦م، ص ١١٢

(٥) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (٧)، عن كانون الثاني، سنة ١٩٢٧م، ص ٤٣٨

(اشتداد الحر في العراق): ((اشتد الحر في العراق من الرابع من آب الى الحادي عشر منه (١٩٣٠م) حتى زادت الوفيات في بغداد (٨٠ حالة) في الاسبوع مألوفها. ومات في البصرة رعناً (بضربة الشمس) وبلغ الحر في بغداد (٤٧°) مئوية في الظل وتقول جريدة (صدى العهد) في عدوها ال (٦) الصادر في (١٣) آب ان درجة الحر بلغت (٥٥) كذا درجة مئوية في لواء الموصل^(١))).

هنا يشير المؤلف الى الجانب الصحي للمناخ في التأثير والمتمثل في الاشعاع الشمسي في التأثير على صحة الناس بل ان شدة الاشعاع الشمسي تسبب في عدة وفيات ليس فقط في بغداد وانما في البصرة ايضا.

البرد (الحالوب): (كرات ثلجية صلبة تسقط من غيوم الركام خلال الفصول الانتقالية (الخريف والربيع)):

(البرد وهو الحالوب عند العراقيين): كتب هذه المعلومة (عبد اللطيف ثنيان)، إذ قال ما نصه: ((في اليوم السابع من كانون الثاني سنة ١٩١٤م الموافق اليوم العاشر من صفر سنة ١٣٣٢هـ كان عندي في محلي جناب الاب انستاس ماري الكرمل في موقع مع المطر برد صغار كالعس ثم عقبه برد اكبر منه كالحمص تقريباً فذكرت له اني كنت في سنة ١٣٠٥ هجرية الموافقة لسنة ١٨٨٨م في ناحية المسيب قرب بغداد فنزل مطر غزير بريح شديدة ترفع في الهواء الابواب المقلوعة الموضوع على الجسر ثم تلقيها على بعد وعقب ذلك سقوط برد كبار للغاية منها بحجم الليمون ومنها اكبر منه واصغر منه فاستغرب الامر فذكرت له بعد ذلك اني لما عدت الى بغداد في ذلك التاريخ من السنة بنحو عشرة ايام وقع في بغداد مثل ذلك البرد عينه فكسر اغلب الالواح المخرمة التي اعتاد اهالي بغداد ان يزينوا بها الاطناف وقتل عدداً لا يحصى من الطيور البرية التي تقف عادة على قباب الجوامع وذكرت له ايضاً ان في ذلك الهواء غرق عدد غير قليل من السفن الحاملة للزوار في بحيرة النجف وقدروا الغرقى بنحو الفين الى ثلاثة الاف نفس حتى اخذ الاعراب هناك اخراج الجثث بالآله التي يستخرجون بها السمك ويسمونها (فالة-Harpon) ولكن يا للأسف ليس رحمة بهم او لمواراتهم ودفع التعفن لدفع الامراض بل لسلب ما يكون في جيوبهم من المال واعادتهم الى الماء وإذ ان هذا الامر مما يجب ذكره تخليداً للتاريخ^(٢))).

(سقوط برد (الحالوب) في بغداد): ((كان اقل حرارة نهار الجمعة (١) نيسان سنة ١٩٢٧م الى (١٩٥) درجة بالمقياس المئوي. فارتفع فجأة نهار السبت الى (٢٢٥) مئوي فدل هذا الصعود الفجائي في الصباح انحدار برد. وسقط في مساء (٢٠) نيسان عند نحو الساعة العاشرة برد ضخيم بحجم بيضة الحمام. ونبهت جلية تساقطه من كان نائماً وازعج من كان ساهراً في المسارح وعد ذلك سقطت الحرارة الى مألوفها. وفي

(١) المصدر نفسه، السنة (٨)، الجزء (٩)، ايلول، سنة ١٩٣٠م، ص ٧٢٠
(٢) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (٨)، عن ربيع الاول، سنة ١٣٣٢، شباط، ١٩١٤، ص ٤٤٧



آيار عادت الحرارة الى الارتفاع فجأة الى (٥٢٢) مئوية وكانت النتيجة ان السماء فاجأتنا ببردها في نحو الساعة العاشرة ونصف مساء لكنه كان بحجم الحمص^(١))).

(سقوط برد كبير القدر): ((نهار الاربعاء ٢ نيسان عام ١٩١٣م سقط برد كبير الحجم بين كوت الامارة وعلى الغربى على ضفة دجلة. وقد اكد كثيرون انه كان بقدر بيض الدجاج لكننا نرى فيه مبالغة. وقد خزق استار المراكب واشرعة السفن مع انها من نسيج الكتان الثخين^(٢))).

مما سبق يتضح ان الحالات الجوية المرتبطة بسقوط البرد (الحالوب) التي ذكرها (الكرملى) قليلة، على أساس ان سقوط الحالوب قليل التكرار مقارنة بالامطار، فهي تتطلب ظروف جوية خاصة من هواء رطب وتيارات حمل وارتفاع درجات الحرارة وغيوم ركامية كبيرة الحجم. وهذه الظروف قليلة النشوء في العراق.
البرق والرعد:

(انقراض صاعقة وخرابة فتكها): ((نهار الاحد ٧ نيسان ١٩١٢م انقضت على الحسينية العائدة الى قضاء كوت الامارة امرأة اسمها (مرزة) زوجة (ذئب) فامانتها للحال حرقا، واصابت فتاةً ايضاً لكنها في قيد الحياة^(٣))).

ونلاحظ هنا ان المؤلف (الكرملى) أشار الى احجام كبيرة جدا لحبات البرد علما ان كاتب هذه السطور لم تمر عليه (في بغداد) حبات برّد مثل هكذا حجم؟

الرياح:

(رياح عاصفة): ((في ١٤ ايار ١٩١٢م هبت ريح صرصر قبيل غروب الشمس بساعتين وذرت من الغبار شيئاً لا يقدر فاستحوذ الفزع على الناس واضرموا المناوير والمصابيح، الا ان هذه الحالة لم تدم سوى نصف ساعة فسرى عن قلوبهم^(٤))).
(الحرائق في بغداد): ((كثرت الحرائق في بغداد حتى حار اهلها من امرها وتتاليها وبأضرارها: وقد حدثت في الايام الاتية: ٨ نيسان يوم الجمعة ١٢ نيسان وقد شبت النار ايضاً في ذلك النهار (وكانت حرارته في الظل ٤٥ درجة مئوية مع رياح غربية حارة من نوع السموم^(٥))).

(رياح عجيبة عاقلة تنسف الابنية): ((شوهذ افراد من العساكر وبأيديهم المعاول يهدمون في اوائل هذا الشهر سور البستان القريب من قلعة المدفعية الذي هو منتزه العموم والعائد من البلدية. وكان واقفاً على الهدم أمر المدفعيين. ولما سألت البلدية عن الهادم وسبب الهدم اجيببت (ان الهواء قلعتها) فنسفها. فسبحان من ارسل على هذه الارض رياحاً نواسف بصور بشر وبأيديهم المعاول (من الزهور^(٦))).

(١) المصدر نفسه، السنة (٥)، الجزء (١)، سنة ١٩٢٧م، ص٦٣-٦٤

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١١، من السنة الثانية ٢ عن جمادى الآخرة، سنة ١٣٣١، آيار، ١٩١٣، ص٥٣

(٣) المصدر نفسه، الجزء ١٢، آيار، ١٩١٢، ص٤٩٠

(٤) المصدر نفسه، ص٤٩٤

(٥) المصدر نفسه، الجزء الثاني، آب، ١٩١٢، ص٧٧-٧٨

(٦) المصدر نفسه، الجزء ١١، من السنة الثانية ٢ عن جمادى الآخرة، سنة ١٣٣١، آيار، ١٩١٣، ص٣٦

مات من الريح السموم-١٩٢٨م): ((غادر احد المسافرين الموصل في صحة تامة وبينما كان ينحدر الى الحاضرة هبت ريح سموم اودت بحياته. فمات عند وصوله اليها في المستشفى ولم تفد المعالجة^(١))).

(ريح عادية): ((ذكر (الكرملي) في هذه الفقرة انه في عام ١٩٣١م جلبت الريح غيوم مخيفة ذات الوان مختلفة وتحديدا في الايام (١٨) و(١٩) آذار و(٧) و(١١) من شهر نيسان، وذكر (الكرملي) ان غمامة (٧) نيسان كانت الهائلة، إذ قال ما نصه: احمرت السماء فجأة احمراراً نارنجياً في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ثم اصفرت ثم اسودت فنزل من الاعالي تراب دقيقاً عمى الابصار وولج في جميع الغرف، حتى الغرف الموصدة ايضاداً محكماً، واصبحت تلك الغمامة تاريخية ذكرتنا الغمامات الثلاث العاديات. نعم ان مثل هذه السحب، سحب الغبار تنتشأ في كل سنة عند تبدل الفصول الاربعة وتذر منه شيئاً كثاراً، ولكن لم يقع اننا رأينا مثل هذه الغمامة المثلثة الالوان. وسبب ذلك ان الامطار قلت في هذه السنة فبيست الفلوات ولم يظهر فيها كلاً ولا عشب فكان الرمل يمعن في التحليق عند وقوع العاصفة، وكانت الريح اذا هدأت هوت تلك الرمال الدقيقة ونخلتها على الناس حتى ان كثيرين منهم توهموا قيام الساعة وجماعات قيدها في مذكراتهم لتتنقل الى الخلف^(٢))).

(اسماء الارياح عند اهل السفن العراقية): ذكر المؤلف ضمن هذه الفقرة أسماء شعبية للرياح يتداولها الناس، إذ نلاحظ ان هذه الاسماء يقوم على عدة معايير منها اتجاهات الرياح الثمانية المعروفة ومعيار آخر يقوم على اساس اتجاه الرياح من الشمس (مغربها ومشرقها) او يصنف الريح من إذ المدينة القادمة منها الريح، نورد بعضها منها^(٣):

١. ((الازقافة: ريح مخالفة للريح التي تجري بها السفينة، فاذا تسلطت عليها ارجعتها القهقري، والقتها على الشاطئ او تحاول بها ذلك. واكثر ما تكون الازقافة في الدورة من الشط والكلمة ارمية من (زقاقا) اي هياج واثارة والمضاف محذوف اي ريح التموج. واسمها في القديم (علاوة الريح) والتي بعكسها (سفالة الريح)))).
٢. ((الاسقية: هي التي تهب من مطلع الشمس، ولعلها منسوبة الى السقي. والسقي: السحابة العظيمة القطر الشديدة الوقع ولما كان هذا السحاب ينشأ في العراق من مطلع الشمس نسبت اليه الريح المذكورة)).
٣. ((الحسيني: هي التي تهب من مغيب الشمس ونسبتها الى مشهد الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) وهي كربلاء ويستعمل هذه اللفظة أهل السفن السائرة بين المسيب والكوفة)).

(١) المصدر نفسه، السنة (٦)، الجزء (٩)، ايلول، سنة ١٩٢٨م، ص ٧٢٠

(٢) المصدر نفسه، السنة (٩)، الجزء (٥)، آيار، سنة ١٩٣١م، ص ٣٩٦

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٣ من السنة ٣، عن شوال ١٣٣١، ايلول، ١٩١٣، ص ١٢٦-١٢٧



٤. ((الحصوي: رىح تهب من محل يسمى (الحصوة) مصغرة فنسبت اليه والحصوة دون النجف من بغداد بساعتين وتكون مقابلة للكفل ايضا وبينها وبين الكفل نحو نصف ساعة يفصل بينهما نهر الهندية والحصوي اسم يعرفه الاهالي المنتشرون بين المسيب والكوفة)).
 ٥. ((الحويزي: هي التي تهب من الشمال الشرقى والكلمة منسوبة الى بلدة في العراق العجمي لانها تهب من جهتها وهي (الصبا) في العربية)).
 ٦. ((الروج هو مطلق الموج والروجة: الموجة. وكان البغداديون يسمونها في عهد العباسيين (الروك) قال في تاج العروس: الروك الموج بغدادية وليست عربية كما اشار له الصافاني)).
 ٧. ((الشرقي: هي التي تهب عندنا من الجنوب الشرقى فنسبت الى الشرق من باب تسمية الكل بالجزء وهي المعروفة باسم (الازيب)).
 ٨. ((الشمال: هي التي تهب من الشمال الغربى. وهي عربية فصيحة)).
 ٩. ((القبلى: هي التي تهب من القبلة ونسبتها اليها وفي العربية (الدبور)).
 ١٠. ((القماناة: هو الموج الشديد وانما ذكرناه هنا مع الروج. لاختصاصهما بالرياح)).
 ١١. ((النوف: هي التي تهب من جهات مختلفة في وقت واحد ويقابلها في العربية الفصحى (المتذابة)).
- (رطوبة هذا الشتاء):** ((كثرت الرطوبة في هذه السنة بسبب هبوب الرياح المعروفة هنا بالشرقية (وهي على الحقيقة الجنوبية الشرقية) فكثرت الامراض التي تتولد منها كالرثية او داء المفاصل (المعروف عند العراقيين بالصليل) والنقرس وعرق النسا والتهاب الكلى والحمى الباردة الى غيرها. لكن عاقبة المرض في اغلب الاحيان النقة^(١))).
- (الجراد في بغداد):** ((انتشر الجراد في حاضرتنا في نحو العقد الاول من شهر حزيران) وقد جاء الينا من الرياح من جهات نصيبين قذفته الينا الرياح الزعازع التي حدثت في اواخر ايار واوائل حزيران^(٢))).
- وفي ختام موضوع الرياح، نلاحظ ان حالات الرياح التي وثقها (الكرملي) في مجلة لغة العرب انقسمت الى قسمين: الأول يتعلق بالجانب السلبي للرياح، وهذا الدور اعطى له (الكرملي) الجانب الأكبر في موضوع الرياح. كدور الرياح في نقل الغبار والسموم ودورها في انتشار الحرائق ودور الرياح أيضا في نشر الجراد ودور الرياح الرطبة الشتوية التي تتسبب العديد من الامراض، وهذه كلها جوانب تطبيقية في الرياح تتطلب دراسات تفصيلية أكثر في الوقت الحالى، على الرغم من ان دور الرياح في نشر الغبار توسع الباحثون في دراستها، الا ان دور الرياح في انتشار الحرائق لم تأخذ حقها في

(١) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (٨)، عن ربيع الاول، سنة ١٣٣٢، شباط، ١٩١٤، ص ٤٤٦
 (٢) المصدر نفسه، السنة (٣)، الجزء (١)، عن رجب وشعبان، سنة ١٣٣١، تموز، ١٩١٣، ص ٥٥

الدراسة، علما ان كثيرا في حرائق الغابات في العالم لعبت الرياح دورا كبيرا في انتشار هذه الحرائق. وأيضا تتطلب الرياح الرطوبة الشتوية وتأثيرها على الصحة العامة مزيدا من البحث والدراسة

اما الجانب الإيجابي للرياح، فتمثلت في تسييرها للسفن والقوارب الشراعية، اذ يلاحظ ان البحارة أعطوا للرياح تسميات محلية تساعد على معرفة خصائص كل اتجاه، فمثلا رياح (النوف) متغيرة الاتجاه والتي لا تفيد كثيرا في النقل البحري... الخ من اتجاهات الرياح الأخرى. وقلة الجوانب الإيجابية التي ذكرها (الكرملي) لا يعني ان ليس لها دور إيجابي، فقد اشارت الدراسات الحديثة الى انه حتى الغبار التي تثيرها الرياح وتقلها هي في الحقيقة من الظواهر الطبيعية الإيجابية التي ابدع فيها الخالق (سبحانه وتعالى).

الثلج:

(الثلج في الرطوبة وفي شمال العراق): ((اتلجت السماء في الرطوبة فحال دون سير السيارات في وجهها الى بغداد في قدومها من سورية وذلك في شهر شباط سنة ١٩٢٧م. وسقط برد (حالب) في بعض النواحي المجاورة للموصل، وفي اصقاع اخرى كان المطر غزيرا و لاسيما في ارجاء الموصل بعد ان كان الغيث انقطع عنها مدة اربعة اسابيع وارتفعت اسعار الغلات والسمن فلما انفتحت قرب السماء هبطت وانتعشت آمال ارباب الزرع والمواشي^(١))).

(برد وثلج): ((اشد البرد في آخر يوم شباط وظن الناس انهم في اوائل الشتاء، ووقع دمق (رياح وثلج) في الجبال الشمالية من الموصل فغطت الثلوج انحاء دهوك وزاخو والعمادية. فسر اهلها بكل ذلك لعلمهم ان ينايبعهم تجود وتغزر كلما زاد سقوط الثلج^(٢))).

في هاتين الفقرتين أشار المؤلف الى تساقط الثلوج في غربي العراق وشماله وهذه يتفق مع الدراسات الحالية من ان الهضبة الغربية والمنطقة الجبلية اكثر ثلوجا بسبب ارتفاعهما تضاريسيا مقارنة بالسهل الرسوبي المنخفض. وبشكل عام ان حالات الثلج التي ذكرها (الكرملي) قليلة جدا مقارنة بالحالات الجوية الأخرى بسبب قلة الهطول الثلجي في مدينة بغداد التي كان (الكرملي) ساكن فيها.

الاستنتاجات: توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات الآتية:

١. قدمت مجلة لغة العرب (١٩١١-١٩٣١م)، معلومات مفيدة وبلغة بسيطة عن الأحوال الجوية للعراق.
٢. تمثلت هذه المعلومات في كل من (درجات الحرارة، والامطار، والرياح، وحببات البرد (الحالب)، والثلوج).

(١) المصدر نفسه، السنة (٤)، الجزء (١٠)، عن نيسان، سنة ١٩٢٧م ص٢٢٨

(٢) المصدر نفسه، السنة (٦)، الجزء (٥)، سنة ١٩٢٨م ص٣٩٧



٣. لم يقتصر عرض الحالة الجوية بشكل منفرد وانما تم ربطها بجوانب زراعية وحيوانية وبشرية.
٤. الأحوال الجوية التي ذكرت في مجلة لغة العرب التي كانت تصدر خلال المدة (١٩١١-١٩٣١م) لا تختلف كثيرا عن الأحوال الجوية في الوقت الحاضر.

المترفون واثرتهم على المجتمع البغدادي (العصر العباسي نموذجاً)

أ. و. أنس عصام (سماويل الزيري)

مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

draa6864@yahoo.com

الملخص:

للترف اثار سلبية على المجتمعات الانسانية بشكل عام، وعلى المجتمع الاسلامي بشكل خاص، لذلك لم نجد القران الكريم يذكر المترفين بصيغة المدح بل بصيغة الذم، ويعد الترف من اهم أسباب زوال الامم وهلاك الشعوب. واكبر دواعي الفسوق والفجور والعصيان لرب العباد هو الترف المادي، ولم نجد على مر العصور طغيان وفسوق الفقراء والمعدمين بل العكس هو الصحيح، فالفقراء هم الاقرب الى الله تعالى واكثر مناجاة له وتضرعا اليه. لذلك عد العلماء السابقين كثرة المال نوع من انواع الابتلاء كقلته، فقد يصبر الانسان على قلة المال فليس له خيار آخر ، بينما كثرة المال تفتح امامه ابواب الانزلاق في مهاوي الفسوق والفجور والطغيان . وقد اخترنا احد العصور الاسلامية الاكثر قوة مادية وادبية وعلمية ، وهو العصر العباسي، وتحديدًا في عاصمته بغداد ، حيث كانت حاضرة العالم الاسلامي بل العالم قاطبة ، ثم نظرنا الى مظاهر الترف في ذلك العصر ، ولاسيما في طبقة الخلفاء وتليهم طبقة الوزراء، ثم ينحدر الامر الى المجتمع عامة، ثم تأتي النتيجة الطبيعية لهذا الترف، وهو السقوط في مهاوي الرذيلة، ومن ثم انهيار الدولة بشكل كامل، حيث اجتاحت التتار بغداد وفعّلوا ما فعلوا من تدمير وحرق وقتل مما لا يسعني الوقت ومساحة الكتابة ذكره الان .

الكلمات المفتاحية : اثر ، مترفون ، مجتمع



Abstract:

Luxury has negative impacts on human societies in general, and on the Muslim society in particular. Therefore, we do not find the Quran mentions luxurious people in positive ways but rather in negative ways. Luxury is considered one of the most important factors for demise of nation and collapse of societies. The major reason of Immorality, debauchery and disobedience to the God is the material luxury. We do not see, -throughout history- the tyranny and immorality amongst the poor and destitute people, but the opposite is the case. The poor people are the closest to Allah and more reaching and praying to him. Therefore, the first scholars considered the abundance of money as a type of examination, just as its scarceness. For man could bear the scarceness of money as he has no other option, while the abundance of money opens before him the doors for slipping into immorality, debauchery and tyranny. I chose one of most materially, culturally and scientifically powerful Islamic eras, which is the Abbasid era and in particular in the capital – Baghdad, the center of the Islamic world or rather the center of the entire world. Then, I looked into the pictures of luxury in this era, especially among the caliphs and below them the viziers, and then all the way to the common population. Then comes the natural result of such luxury, which is the fall into the abyss of vice, and then the collapse of the entire Caliphate, and the invasion of Baghdad by the Tatars and all the destruction, burning, and killing they committed, of which I do not have the time and space to write about here.

Key words: Impact, Luxurious, Society.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين. وبعد.

كما هو معلوم فان الدول او الامم تنمو وتزدهر ثم تبدأ عوامل النخر تعمل فيها، وتتسرب اليها تدريجيا، وكلما زاد عمر الحضارة بدت تطفو عوامل الهدم الى السطح، وكلما تقدم بها العمر تجذرت فيها عوامل الهدم، فهي تمشي مع عوامل القوة الدافعة للحضارة وتتصارع معها ، وقد يطول ذلك الصراع مئات من السنين ، ولا بد ان تلحق بها الهزيمة في النهاية، فتنمزق اوصالها، وتسقط في تدرج ينتقل من الخفاء الى العلن حتى تستسلم الى القانون الكوني العام في البناء والهدم، او الولادة ثم النشوء ثم الانحدار ثم الموت، الا ان الصراع القائم بين عوامل البناء والهدم هو الذي يحدد عمر الحضارة او الدولة، كحال الانسان في ولادته ونشوءه فقد يولد مريضا سرعان ما يستسلم الى الموت او قويا وهكذا، والحضارة كلما اعتمدت في تكوينها على القوانين الالهية الثابتة

كلما طال عمرها، والحضارة الاسلامية لا تختلف عن باقي الحضارات في خضوعها للقوانين الكونية في البناء والهدم. وستتناول الترف كأحد اهم عناصر الهدم في الامة .

المطلب الاول: الترف حقيقته وعواقبه

(قال ابن فارس: التاء والراء والفاء كلمة واحدة، يقال رجل مترف: منعم، وترفه اهله: اذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به)^(١) (والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها)^(٢) وعند قوله تعالى: ((وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ))^(٣)

والترف هو احد عوامل الهدم الاساسية في الحضارات الانسانية، فما انتشر الترف في امة من الامم الا اسرعت نحو الهاوية، لذلك نجد ان القران الكريم لم يذكر لنا الترف بصيغة المدح وانما بصيغة الذم . قال تعالى: ((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا))^(٤)

(وقد كان بعض اهل العلم بكلام العرب من اهل البصرة يقول: قد يتوجه معناه اذا قرئ كذلك الى معنى اكثرنا مترفيها، وعن قتادة (امرنا مترفيها) أكثرناهم)^(٥)

وقال الزمخشري: (ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا، فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه، وانما خولهم اياها ليشكروا وليعملوا فيها الخير وليتمكنا من الاحسان والبر، كما خلقهم اصحاء اقوياء، واقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق ، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم)^(٦) وقال الرازي: (القول الثاني في تفسير قوله -امرنا مترفيها- اي اكثرنا فساقها. قال الواحدي: العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثروهم، وامرهم ايضا بالمد، والحاصل أن المعنى اذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الا على المعصية، لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم، بل امرنا مترفيها ففسقوا فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به، والوجه الثاني: في التأويل ان نقول (اذا اردنا ان نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من اهلها لم نعالجهم بالعذاب في اول ظهور المعاصي منهم ، بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي، وانما خص المترفين بذلك الامر، لان المترف هو المتنعم ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر

١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج ١، ص ٣٤٥ ت عبد السلام محمد هارون، ط ١٣٩٩ م، دار الفكر.

الطبعة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (٥٦٠٦) ج ١، ص ١٨٧، ت ظاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، المكتبة العلمية، بيروت.

٣- هود: ١١٦

٤- الاسراء: ١٦

٥- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠ هـ) ج ١٧، ص ٤٠٣ - ٤٠٤، ت احمد محمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة بيروت.

٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري ، جار الله (٥٣٨) ج ٢، ص ٦٥٤، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت



اوجب، فاذا امرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد اخرى مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيداها حالا بعد حال، فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل الى الحق، فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبا^(١) وفي تفسير العز بن عبدالسلام (أمرنا) اي كثرتنا عددهم، امر القوم كثروا واذا كثروا احتاجوا الى امراء (مترفيها) الجبارون او الرؤساء^(٢)

ومن خلال هذه التفاسير للآية الكريمة يتبين لنا ان السنة الكونية في اهلاك وزوال الامم تحتاج الى اسباب ومن اهم اسبابها هو الترف المنتشر والمؤدي الى الفسوق والعصيان. ولقد بلغ من كمال رحمة الله تعالى ان جعل من اعمال العباد ما يكون سببا لهلاك الناس فلا تحل بهم نعمته المباشرة، بل تأتي كنتيجة طبيعية لسوء اعمالهم حيث يقول تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) ومعنى هذا ان الله تعالى اذ يريد ان يطبق نظام المشينة في قوم بإهلاكهم يؤمر عليهم بمعنى يولي عليهم من الطبقة الارستقراطية التي يلذ لها الترف واتباع الهوى واشباع الشهوات فيتبعهم الناس في هذا الغي حتى يعم الفساد ويحل الخراب ويحق العذاب الذي قد يصاب به من لا يستحقه بحسب سنن الكون على حد قوله تعالى: (وَأَتَّفُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٣) ولقد ابت عليه رحمته تعالى ان يحقق للناس رغبات السوء الا اذا اصرروا عليها حيث يقول تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بَكْلٌ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٤) ان لكل شيء في الدنيا زوال، وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك، وكما ان زوال البدن بزوال الاعتدال، وحصول انحراف يبعده عن بقائه وثباته، فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام، فاذا جاء وقت اهلاك قرية، فلا بد من استحقاقها للهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله، فلما تعلق ارادته بإهلاكها، تقدمه اولا بالضرورة فسق مترفيها من اصحاب الترف والتنعم بطرا واشرا بنعمة الله، واستعمالا لها فيما لا ينبغي^(٥) (و قال بعض السلف عن بعض اهل الترف يعصون الله تعالى في اموالهم مرتين ييخلون بها وهي في ايديهم، يعني في الحياة ويسرفون فيها اذا خرجت عن ايديهم يعني بعد الموت)^(٦)، وقد مدح الله تعالى التوسط

^١ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ج ٢، ص ٣١٤-٣١٥، ط ٣، ١٤٢٠هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت

^٢ - تفسير القرآن (و هو اختصار لتفسير الماوردي)، ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليطان العلماء (٥٦٠هـ) ج ٢، ص ٢١٥، ت عبدالله بن ابراهيم الوهبي، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت

^٣ - الانفال: ٢٥

^٤ - التوبة: ١١٥

^٥ - ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ٥١٣٣هـ) ج ٦، ص ٤٥١، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت

^٦ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ابو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن امان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (٥١٤هـ) ج ٦، ص ٢٩٢، ط ٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ادارة البحوث العلمية والدعوة والافتناء- الجامعة السلفية، الهند.

والاعتدال في الانفاق فقال: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ^(١) والمسلم مأمور بالاعتدال والاقتصاد في مأكله وملبسه ومركبه ومسكنه بحيث لا يخرج الى حد الاسراف والتبذير والتوسع في المباحات ، حتى لا يكون من اهل الترف الذين وصفهم الله بقوله: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) ^(٢)، وقال تعالى عن اهل النار : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) ^(٣)، وقد حرم الاسلام اتخاذ اواني الذهب والفضة ، فعن انس بن مالك (رضي الله عنه) (ان النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن استعمال اواني الذهب والفضة لما فيه من الترف والخيلاء، وانه من زي الاكاسرة والاعاجم وقد قال صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم) ^(٤)، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَأَنْ نَلْبَسَ الْحَرِيرَ وَالذَّبِيحَ، قَالَ: هِيَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ) ^(٥) (ثم ان النبي كعادته غالبا بين الحكمة فقال: فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة، يعني انكم في هذه الدنيا لا يبلغ بكم الترف الى ان تأكلوا في آنية الذهب والفضة. هذا لمن؟ هذا يتمتع به الكفار الذين يتمتعون في هذه الدنيا كما تتمتع الانعام والنار مثوى لهم، اما انتم فاجلوا المسألة ، اجلوها الى ان تأكلوا وتشربوا فيها ابد الابدن ، وذلك في الآخرة) ^(٦)، ولا شك ان عاقبة الترف هو زوال النعمة فقد حدث الربيع عن ابي جعفر المنصور وهو يصف اسباب زوال ملك بني امية (فقال المنصور: ولم تزل بنو امية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ، ويصونون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالي الامور. ورفضهم اذانيها، حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات، وركوب اللذات من معاصي الله عز وجل، جهلا منهم باستدراجه، وامنا منهم لمكره، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الله تعالى وحق الرياسة ، وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز، والبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة) ^(٧)، وما حصل للدولة الاموية حصل اكبر منه عند نهاية الدولة العباسية على يد التتار عام (٦٥٦هـ) حيث آلت السلطة والخلافة لمن لا يباليون بشعوبهم ، وانما فقط بملذاتهم ، فعندما احاطت التتار بذر الخلافة يرشقونها بالنبال من كل مكان ، اصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه ، وكانت

١- الفرقان: ٦٧

٢- الاحقاف: من الآية ٢٠

٣- الواقعة: ٤٥

٤- كتاب الحاوي الكبير ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) ج٣،

ص ٥٩٠، دار الفكر ، بيروت

٥- مسند الزوار كاملا من ١-١٤ مفهرسا، الزَّارُ، صَاحِبُ (المُسْتَد) الكبير، ج١، ص ٤٢٧، قام بفهرسته على المسانيد، الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحوذ.

٦- فتح ذي الجلال و الاكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح ، ج١، ص ١١٦، ط١، ٢٧-٥١-٢٠٠٦م، المكتبة الإسلامية للنشر و التوزيع.

٧- مروج الذهب ، المسعودي، ج١، ص ٤٧٣



من جملة خطاياها وكانت تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعا شديداً ، واحضر السهم الذي اصابها بين يديه، فاذا مكتوب عليه: اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره اذهب من ذوي العقول عقولهم، فامر الخليفة عند ذلك زيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة. فقد تمكنت الدنيا تماما من قلوب الناس في بغداد، واولهم الخليفة ، فالخليفة الموكل اليه حماية هذه الامة في هذا الموقف الخطير يسهر هذه السهرة اللاهية ، فعاصمة الخلافة الاسلامية محاصرة، والموت على بعد خطوات منها ، والمدفعية المغولية تقصف بمنتهى العنف، والسهم النارية تحرق، والناس في ضنك شديد ، والخليفة يستمتع برقص الجوارى، اين العقل والحكمة؟ وكيف كانت نفسه تقبل ان تتشغل بمثل هذه الامور ، والبلاد والشعب وهو شخصيا في مثل هذه الضائقة ، وما ابلغ العبارة التي كتبها التتار على السهم الذي اطلق على دار الخلافة، فقد اختيرت بعناية . ويكفي دليلا على قلة عقل الخليفة، انه بعد قتل الجارية لم يأمر الشعب بالتجهز للقتال ، وانما امر فقط بزيادة الاحتراز^(١) فقد كبرت الدنيا جدا في عين المسلمين ايام التتار، وما يحصل عندنا اليوم هو مشابه لما كانت عليه الدولة الاسلامية قبيل سقوط بغداد بيد التتار، فعندنا اجيال كاملة من المسلمين اليوم لا تعيش الا لدنياها، وان كانت حقيرة وذليلة، فاليوم كل فرد يعيش لنفسه ، ويجمع المال ويتجمل ويحسن معيشته ، ويتنعم بأنواع الطعام والشراب والموكب والمسكن، وهكذا غرق المسلمون في دنياهم، وتجد الكثير من الشباب يحفظ الاغاني اكثر مما يحفظ القران، وكثير منهم يعرف بالتفصيل تاريخ حياة الفنانين والفنانات الاحياء منهم والاموات ، ويعرف سيرة كل لاعب في بلادنا أو في غيرها، ولا يعلم شيئا عن تاريخ وسيرة ابطال وعلماء وقواد المسلمين ، بل لا يعلم شيئا عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قد لا يعلم شيئا عن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، وقد وصل الترف اليوم في بلاد المسلمين الى عموم المسلمين، ونظرة سريعة الى البلاد الاسلامية الغنية تغنيك عن التفصيل، واما الترف الفكري فهو كثير جدا، فتجد اذهان الكثير ممن يعتبرون انفسهم من المثقفين مملوءة بأشياء لا تسمن ولا تغني من جوع ، أما افكار فلسفية او مدارس علمانية او نظريات مادية، او اقوال وحكم لأناس لا يزنون شيئا ابدا في ميزان الحق، وهذا لا يصح لامة تعاني الازمات واكثر من بقعة من بقاعها محتلة، وهي متأخرة في معظم مجالات الحياة.^(٢)

المطلب الثاني: مظاهر الترف في المجتمع البغدادي

وقبل الدخول الى تفاصيل مظاهر الترف لنا أن ننظر الى وصف اهل العراق من قبل الخطيب البغدادي حيث يقول: (إن العراق الذي بنيت فيه بغداد، وهي صفوة الارض ووسطها، يحيط به ستة اقاليم هي بلاد الترك والهند والصين والشام والحجاز ومصر، لذلك اعتدلت الوان اهله وامتدت اجسامهم، وسلموا من شقرة الروم والصقالبة،

^١ - ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني ، ج٥، ص١١

^٢ - ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني، ج١٢، ص٦

ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان، ومن غلظة الترك، ومن جفاء اهل الجبال وخراسان، ومن دمامة اهل الصين ومن جانسهم وشاكل خلقهم، فسلموا من ذلك كله، واجتمع في اهل هذا القسم من الارض محاسن جميع اهل الاقطار، بلطف من العزيز القهار، وكما اعتدلوا في الخلقه ، كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والادب ومحاسن الامور^(١)، واما الخلفاء العباسيون فلم يكونوا على مستوى واحد من الجد ففي عهد السفاح والمنصور كانت الدولة جادة لا تفرط في اللهو كثيرا ولا تشجع اصحاب هذه الميول ، وكل همها صبه على تأسيس ركائز الدولة ونشر الامن في ربوعها المتعددة الاطراف^(٢)، وكان المنصور لا يسرف في عطاء لحاد ولا لشاعر ولا لمادح، ويؤنب اولاده إذا أسرفوا في العطاء، ولا يتغالي في ثوب يلبسه، ولا مائدة تمد إليه، إنما هو مقتصد في كل ضرور الحياة، مقتصد حتى فيما احل الله، وربما غلا في الاقتصاد غلو من بعده في الاسراف^(٣)، يقول أحمد امين: (ونحن إذا تتبعنا تاريخ الدولة العباسية في هذا الباب وجدنا أن الدولة كانت تسير خطوات متدرجة إلى هذه الغاية وأن كل خليفة كان يعلو- غالبا- درجة في سلم الترف والنعيم عن قبله، وأننا لو خططنا رسما بيانياً لاتجه صاعداً باستمرار في عصر كل خليفة تقريباً، والناس في كل عصر - وخاصة في هذه العصور- تبع لإمامهم)^(٤)، حيث ان المال سلاح ذو حدين، حد ايجابي خير للإعمار، وحد سلبي للدمار، ويعود ذلك للطريقة التي يصرف بها وللقائمين على ادارة الدولة، والعراق في العصر العباسي كان مصب اموال المملكة بحكم انه مركز الخلافة، والمال كان سببا رئيسيا في اللهو، ومع المال تبعه الشراب والغناء والرقيق والجواري وما الى ذلك من الوان الترف^(٥) (حتى يحكى عن احد القواد في القرن الرابع انه لما جاءت فرقة من الجند من بغداد للقيام بغزوة هامة لم يجدهم اهلا لذلك لانهم في رايه، قد الفوا بيوت دجلة وشرب النبيذ والتلج وبيوت الخيش المبلل وسماع القيان)^(٦)

الترف في المجتمع البغدادي:

ولا بد من بعض التوضيح عن المجتمع البغدادي، فالشعب في بغداد آنذاك كان شعبا كبيرا ضخما، عدده ثلاثة ملايين نسمة على الأقل، فقد كانت بغداد اكبر مدينة على وجه الارض، وسكانها كانوا اكبر عدد من السكان في مدينة واحدة، وهذا غير السكان الذين في المدن والقرى المحيطة ببغداد، فلم تكن تنقصهم الطاقة البشرية ولا الاموال، فقد كانوا شعبا مترفا حقا، الفوا حياة الدعة والهدوء والراحة، والملتزم فيهم قد اكتفى بتحصيل العلم النظري، وحضور الصلوات في المساجد ، وقراءة القران، واما

١- تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ج ١، ص ٣٢٠، تحقيق

بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠٢م، دار الغرب الاسلامي، بيروت

٢- ينظر: ضحى الاسلام، احمد امين، ج ١، ص ١٠٤، ١٠٥، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣- ينظر: ضحى الاسلام، ج ١، ص ١٠٦

٤- ضحى الاسلام، ص ١٠٥

٥- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٥.

٦- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، الدم متر، ج ٢، ص ٢١٢، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة،

دار الكتاب العربي، بيروت.



غير الملتزمين بالدين فقد كانوا كثيرين جدا، عاشوا لشهواتهم وملذاتهم، وتنافسوا في الوان الطعام والثياب وفي اعداد الجوارى والغلمان وانواع الديار والحدائق^(١) وسنتناول بعض هذه المظاهر بشيء من التفصيل.

العمران:

(انغمس العباسيون في الترف والبخذ بزيادة العمران وتدفق الثروة، وكانت قصور الخلفاء والامراء وكبار رجال الدولة مضرب المثل في حسن رونقها وبهائها، كما امتازت بفخامة بنائها واتساعها وما يكتنفها من حدائق غناء واشجار متكاثفة، كما ازدانت بالمناضد الثمينة والزهريات الخزفية والتربيعات المرصعة والمذهبة، وكان العباسيون ينفقون عن سعة في سبيل رفاهيتهم ويعيشون عيشة قوامها البذخ والاسراف وحب الظهور)^(٢) وقد كان للخلفاء العباسيين والامراء والوزراء والولاة وكبار رجال الدولة ولوع شديد ببناء القصور الفخمة كقصر الذهب وقصر الخلد وقصر الوضاح وغيره من القصور الفخمة^(٣)، وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين ومسطحات مظلمة بالأشجار، وكانت الاروقة تسمى بالاربعيني او الستيني، على قدر الغلمان لو يجتمعون في كل منها، ومن هذه القصور: قصر الذهب الذي بناه ابو جعفر المنصور في وسط بغداد، وقصر الخلد الذي بناه على شاطئ دجلة الغربي تجاه باب خراسان وتأنق في بناءه وتجميله حتى سمي (الخلد) تشبيها له بجنة الخلد، وبنيت حوله المنازل فاصبح القصر وما حواليه يعرف بالخلد^(٤) وفي عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة اخرى للتبريد، فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزلون يبللونه بالماء، فيبرد الجو^(٥)، يقول الحموي: (وكان قصر التاج الذي بني في بغداد بعد ذلك بأربعين سنة صورة مكبرة للطراز الحيري فكان وجهه مبنيا على خمسة عقود، كل واحدة منها على عشرة اساطين والاسطوانة على خمسة اذرع)^(٦)، وعن محمد بن عبدالله التميمي: (وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه احد من الخلفاء قبله، وكان قد تأنق في بنائه، وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة، وقد فرشها ببساط من الديباج الاصفر، واسبل عليه ستورا من الحرير الصيني)^(٧)، وحوالي منتصف القرن الثالث الهجري احدث المتوكل بناءً لم

^١ - ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت، ج ٥، ص ٦

^٢ - تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، ج ٢، ص ٣٢٩، ط ١، ١٤١٦-٥١٩٦م، دار الجيل، بيروت.

^٣ - ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، ص ١٥٤، ط ١، ١٤١٤-٥١٩٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

^٤ - تاريخ بغداد، احمد بن علي بن ابو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ج ١، ص ٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

^٥ - ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي، ابو جعفر الطبري (٥٣١٠هـ) ج ٨، ص ٨٢، ط ٢، ١٣٨٧هـ، دار التراث، بيروت.

^٦ - معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (٥٦٢٦هـ) ج ٢، ص ٢، ط ٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت.

^٧ - اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، محمد دياب الأتليدي، ص ٣٣٢، ط ١، ١٤١٠-٥١٩٩م، دار صادر، بيروت.

يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري يعني ان اصله يوناني شرقي وصار متبعا في القصور الكبيرة، وكان المتوكل يجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جلييلة يدخل فيها الفارس برمحه، وقد اتبع الناس المتوكل إئتاما بفعله، حتى اشتهر هذا البناء^(١)، وكان للقاهر في بعض الحصون بستان قد غرس فيه النارج وقد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل من ارض الهند، وقد اشتبكت اشجاره، ولاحت ثماره كالنجوم من احمر واصفر، وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزمر، وقد جعل مع ذلك في الحصن انواع الاطيار من القماري والدباسي والشحارير والبيغاء، مما قد جلب اليه من الممالك والامصار، وكان ذلك في غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه، والجلوس في تلك المجالس^(٢)، ويحكى ان الخليفة المقتدر بالله لما وفد عليه رسل ملك الروم سنة ٣٠٥هـ-٩١٧م، زين قصره ورتب آتته فيه، ثم ادخلهم اليه فرأى الرسل فيه العجب ثم اخرجوا الى (الجوسق المحدث) وكان دارا بين بساتين، في وسطها بركة رصاص، حولها نهر رصاص (احسن من الفضة المجلوة) وطول البركة ثلاثون ذراعا، وكان فيها اربع طيارات لطاف مذهبة ومزينة بالديبقي المطرز واغشيتها ديبقي مذهب ، وكانت فيه شجرة من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم، وللشجرة ثمانية عشر غصنا، عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة، وبعضها مذهب، وهي تتمايل في اوقات لها^(٣)، وكذلك البرامكة فقد اسرفوا كثيرا وعاشوا عيشة قوامها البذخ وحب الظهور، فاغدقوا الاموال على الشعراء والعلماء، فجعفر البرمكي انفق على بناء داره مليون ونيّف ديناراً غير الاثاث والفرش والرياش وما الى ذلك من اسباب البذخ والوان الترف^(٤)

الإسراف:

وسنتناول هنا بعض مظاهر الاسراف من الامراء والوزراء، فعندما جاء الامين زاد في اللهو نغمات جديدة فقد روى الطبري: (ولما ملك محمد وجه الى جميع البلدان في طلب الملهمين وضمهم اليه واجرى لهم الارزاق ونافس في ابتياع فره الدواب واخذ الوحوش والسياب والطيور وغير ذلك واحتجب عن اخوته واهل بيته وقواده واستخف بهم وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وحمل اليه ما كان في الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح وامر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذي وباب الانبار وبنائوري والهوب وامر بعمل خمس حراقات في دجلة على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وانفق في عملها مالا

^١ - ينظر: تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ج٢، ص٤٩١، دار صادر، بيروت.
^٢ - ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ج٢، ص١٨٢.
^٣ - ينظر: تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي، الخطيب البغدادي (ت٥٤٦٣هـ)، ج١، ص٤٢١، تحقيق د. بشار عواد، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠٢م، دار المغرب الاسلامي، بيروت
^٤ - ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، ص١٦٦.



عظيماً)^(١)، وكذلك ما حصل في زواج المأمون من بوران، فلما دخل عليها وعندها حمدونة وام جعفر وجدتها فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها الف درة كانت في صينية من ذهب فامر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد ذلك الدر كم هو فقالت الف حبة فامر بعدها فنقصت عشرا فقال من اخذها منكم فليردها فقالوا حسين زجلة فأمره بردها فقال يا امير المؤمنين انما نثر لناخذة قال ردها فاني اخلفها عليك فردها وجمع المأمون ذلك الدر في الانية كما كان فوضعه في حجرها وقال هذه نحلتهك^(٢) وقد انفق والد بوران الوزير الحسن بن سهل في زواج ابنته ما يفوق الخيال فقد نثر في ذلك من الاموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في اسلام ، وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاغ بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقية اذا وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيمضي الى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية ، او جارية يقال لها فلانة الفلانية، او دابة صفتها كذا، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافح المسك وبيض العنبر، وانفق على المأمون وقواده وعلى جميع اصحابه ومن كان معه من جنوده ايام مقامه عنده حتى المكارين والحمالين والملاحين، وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن احد من الناس يشتري شيئا في عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما اراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفا الى مدينة السلام قال للحسن: حوائجك يا ابا محمد، قال: نعم يا امير المؤمنين، اسالك ان تحفظ علي مكاني من قلبك فانه لا يتهيا لي حفظه الا بك، فامر المأمون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة^(٣)، وكان بعض وزراء العصر العباسي الاول يعيش عيشة قوامها البذخ والاسراف فهذا يحيى بن خالد البرمكي قد بلغ من كرمه وجوده، انه كان اذا ركب اعد بدرا (صرارا) في كل منها مائتا درهم، يدفعها الى من يقفون في طريقه ويلتمسون سؤله، وقد كثر الوافدون على داره، وكانوا يسمونهم سؤالا، فقال اني استنبح هذا الاسم وفيهم الاشراف فسامهم زوارا، وهو اول من سماهم بذلك، فقال له بعضهم والله لا ادري اي اياديك عندنا اجل، اصلتنا ام تسميتنا^(٤)، ولما توفي نصر الدولة ابو نصر احمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر واستولى ابو نصر على اموره وبلاده وتنعم نعيما لم يسمع بمثله وملك من الجواري والمغنيات ما اشترى بعضهم بخمسة الاف دينار واكثر وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي الف دينار^(٥).

المجالس واللهو:

- ١- تاريخ الامم والملوك، حمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي، ابو جعفر الطبري (ت ٥٣١٠هـ) ج ٥، ص ١١١، ط ١، ١٤٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢- ينظر: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٧١.
- ٣- ينظر: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٧١ وينظر: مروج الذهب ، ج ٢، ص ٤٩.
- ٤- ينظر: الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٥٧٠هـ) ج ١، ص ١٥٤، تحقيق عبدالقادر مايو، ط ١، ١٤١٨-١٩٩٧م.
- ٥- ينظر: تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء، ج ٢، ص ١١٥.

كثر النعيم في العصر العباسي، وكثر العنصر الفارسي العريق بالمدينة والممغن في الترف، وكثر الجواري يجلبن من الاصقاع المختلفة، وكثر ظهور الجمال اذ لم تكن عامة الاماء يطالبن بحجاب فقويت النزعة الى اللهو والخلاعة والمجون، وشعر قوم من الشعراء بهذه النزعة من الناس امثال بشار وصريع الغواني وابي نؤاس، فقادوا زمامها والهوبها وسهلوا السبيل اليها، ولم تكن موجة المجون عامة في المجتمع العباسي بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين، اما عامة الشعب فلم تكن تعرف لا زندقة ولا مجونا^(١) ولم يكن جميع الخلفاء بمستوى واحد من حب اللهو والطرب، فكان الهادي يشتهي من الغناء الوسط الذي يقل ترجيعه ولا يبلغ ان يستخف به جدا، وكان اذا اعجبه الغناء قال لمغنيه (احسنت احسنت) ويكثر له العطاء^(٢)، ولم تقتصر مجالس المنادمة والطرب على الخلفاء وحدهم بل جازاهم في ذلك الامراء والوزراء وسائر رجالات الدولة. فقد وصف ابن طباطبا مجلس جعفر بن يحيى البرمكي حين كان يجلس للشراب، ومعه ندماؤه الذين يأنس اليهم، وكانوا يلبسون الثياب المصبغة، من الحمر والصفرة والخضر^(٣) وكان الشراب منتشرًا رغم نهى القرآن عنه، ولكن مسالة الشراب كانت تختلف باختلاف البلاد فبينما كان يعاقب عليه في الحجاز- حتى يحكى انه في عام ١٦٩هـ ٧٥٨م قبض عمر بن عبد العزيز على احد العلويين مع اخرين على شراب، فامر بضربهم جميعا وبان تجعل في اعناقهم الحبال، ويطاف بهم في المدينة - كان اهل العراق لا يرون بالشراب بأسا، وانتشرت دور الخمر هناك، كما كان عليه الحال قبل الاسلام، وكان الخمار والساقون والساقيات في الغالب نصارى^(٤)، ومن غرائب الامور انه لما (استقام الامر للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه المنتقم من اعداء دين الله ونقش ذلك على السكة، وفي هذه السنة أمر بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنين ونفى المخانيث وكسر الات اللهو وامر ببيع المغنيات من الجواري على انهن سوادج وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ولا يفتر عن سماع الغناء^(٥)، وتطور الامر في مجالس اللهو (الى امر اخر وهو رؤية الصراع فيحكى ان معز الدولة لما جاء الى بغداد اشتهى رؤية الصراع، فكان يعمل يحضره حلقة في ميدان فتقام شجرة وتجعل عليها ثياب الديباج والمروي ونحوها وتوضع تحتها اكياس فيها دراهم ويقف على سور الميدان اصحاب الطبول والزمور، وعلى الباب اصحاب الدبادب ثم يؤذن للعمة في دخول الميدان، فمن غلب اخذ الثياب والشجرة والدراهم، ثم دخل في ذلك احداث بغداد، حتى صار بكل موضع صراع، فاذا برع احدهم صار

١ - ينظر: تاريخ الطبري، ج٧، ص١٣٦، و ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، ص١٦٩.

٢ - ينظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص٦١٦.

٣ - ينظر: الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (٥٧٠٩هـ) ج١، ص٢٠٤، تحقيق عبد القادر مايو، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار القلم العربي، بيروت.

٤ - ينظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٩٦.

٥ - تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، ٩١١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣١٧هـ-١٩٥٢م، مطبعة السعادة، مصر.



بحضرة معز الدولة، فإن غلب اجريت عليه الجرايات، فكم من عين ذهبت بلطمة ، وكم من رجل اندقت^(١)، وابشع ما ظهر من التهتك اثناء هذا التمدن مغازلة الغلمان وتسريهم، وظهر ذلك على الخصوص في ايام الامين، فكثر غلمان الترك والروم وفيهم الارقاء بالأسر او بالشراء، وتسابق الناس على اقتنائهم ، كما تسابقوا الى اقتناء الجوارى وغالوا في تزيينهم وتطبيبيهم ، وكانوا يخصونهم ليأمنوا تعديهم على نسايمهم وجواريمهم ، وربما اتخذت كل جارية خصيا لنفسها كالزوج^(٢)

. الطعام:

وغالى الخلفاء في استحضار الوان من الطيور والفاكهة من شتى البلدان البعيدة فيحملونه على البريد، ينفقون في ذلك الاموال الطائلة، وكانوا يربون الطيور الداجنة على اطعمة مغذية يتوهمون انها تزيد في لذة طعمها او نفعها او تسهل هضمها، فكانوا يقدمون الجوز المقشر علفا للفراريج^(٣) وقد انبهر الاصمعي لكثرة ما راه على مائدة الفضل بن يحيى البرمكي من الوان الطعام وما غسلوا به ايديهم بعد الاكل من الوان الطيب والغالية والعنبر^(٤)، (وحدث ابراهيم بن المهدي قال: استزرت الرشيد بالرقية، فزارني، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريص مثل قريص السمك، فاستصغر القطع، وقال : لم صغر طبابخك تقطيع السمك؟ فقلت: يا امير المؤمنين، هذه السنة السمك، قال: فيشبهه أن يكون في هذا الجام مائة لسان ، فقال مراقب خادمه: يا امير المؤمنين فيها اكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك، فاخبره انه قام بأكثر من الف درهم، فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئاً دون ان يحضر الف درهم فلما حضر المال امر ان يتصدق به، وقال: ارجو ان يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك الف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال: اخرج من دار اخي، ثم انظر اول سائل تراه فادفعه اليه، قال ابراهيم: وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين ديناراً، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه، وفطن الرشيد فقال له: يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك امير المؤمنين احذر ان تبيعه باقل من مائتي دينار فانه خير منها، ففعل الخادم ذلك فو الله ما امكن خدمي ان يخلصه من السائل الا بمائتي دينار^(٥)، وروي ان المنصور زار عيسى بن علي ومعه اربعة الاف رجل فتغدى عنده وجميع خاصته ودفع الى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وربع جدي ودجاجة وفرخان وبييض ولحم بارد وحلاوي فانصرفوا كلهم مسمطين ذلك^(٦).

١- ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ابو الفرج ، ج٦ ، ٢٤١، ط١، ١٣٥٨، دار صادر، بيروت.

٢- ينظر: تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء، ج١، ص٢١٤

٣- ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي ، ص١٨٤.

٤- ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٠.

٥- مروج الذهب، المسعودي، ج٢، ص١٠.

٦- ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت٥٦٢٦هـ) ج٤، ص٣٦١، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت.

التغسيل والدفن:

وكان يعمل في تغسيل الكبراء وتكفينهم من الترف والاسراف ما هو غريب عن الاسلام فيحكى انه لما مات الامير سيف الدولة بن حمدان عام ٥٣٤٦هـ-٩٦٧م غسل ٩ مرات اولها بالماء ثم بزيت النيلوفر ثم بالصندل، وبعد ذلك بالضريرة ثم بالعنبر ثم بالكافور ثم بماء الورد وغسل بعد ذلك ثلاث مرات بالماء المقطر، ونشف بعد غسله بدبقي ثمنه خمسون ديناراً اخذه الغاسل، وهو قاضي الكوفة الى جانب اجرتة، ثم دهن بالزعفران والكافور ووضع على خديه ورقبته مئة مثقال من الغالية، وفي عينيه واذنيه ثلاثون مثقالاً من الكافور وبلغ ثمن كفته الف دينار، ثم وضع في تابوته ورش عليه الكافور^(١) وكذلك صار الكبراء يبنون لأنفسهم تربة ليدفنوا فيها ، واول من فعل ذلك ام المقنتر وهي ام ولد رومية، بنت لنفسها تربة بالرصافة ، وكذلك بنى الخليفة الراضي (٣٢٩هـ-٩٤٠م) تربة بالرصافة ايضاً^(٢).

١- ينظر: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٢٣٤.
٢- ينظر: المنتظم ، لابن الجوزي، ص ١٦٩.

المصادر:

- ١- اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، محمد دياب الأتليدي ، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار صادر، بيروت.
- ٢- تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء.
- ٣- تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الجيل، بيروت.
- ٤- تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، ٩١١هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣١٧-١٩٥٢م، مطبعة السعادة، مصر.
- ٥- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ابو جعفر الطبري (٥٣١٠هـ) ط ٢، ١٣٨٧هـ، دار التراث، بيروت.
- ٦- تاريخ يعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي، دار صادر، بيروت.
- ٧- تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، دار الغرب الاسلامي، بيروت
- ٨- التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني .
- ٩- تفسير القرآن (و هو اختصار لتفسير الماوردي)، ابو محمد عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (٥٦٠هـ) ت عبدالله بن ابراهيم الوهبي، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، دار ابن حزم، بيروت
- ١٠- جامع البيان في تاويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ) ت احمد محمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- ١١- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متر، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٢- حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- ١٣- ضحى الاسلام، احمد امين، ط ١٠، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٤- فتح ذي الجلال و الاكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، المكتبة الاسلامية للنشر و التوزيع.



الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد:

فهذا جهد المقل ، وقد استعرضنا في هذا البحث اثر الترف على المجتمع المسلم، وكيف ذم الله تعالى الترف وجعله سببا لإهلاك الامم ، وقد اخترنا المجتمع البغدادي في العصر العباسي نموذجا لدراستنا عن الترف ، حيث كانت بغداد في ذلك العصر هي اكبر مدينة من حيث السكان ومن التطور الحضاري والعمراني في ذلك الوقت، وهي مركز الخلافة للدولة الاسلامية ، وهي حاضرة العالم العلمية بلا منازع، حتى صار الترف لاسيما عند الخلفاء والوزراء والاغنياء من سمات هذا المجتمع ، فالشعب في بغداد آنذاك كان شعبا كبيرا ضخما عدده ثلاثة ملايين نسمة على الاقل، فقد كانت بغداد اكبر مدينة على وجه الارض، وسكانها كانوا اكبر عدد من السكان في مدينة واحدة، وهذا غير السكان الذين في المدن والقرى المحيطة ببغداد، فلم تكن تنقصهم الطاقة البشرية ابدا ولا الاموال، فقد كانوا شعبا مترفا حقا، الفوا حياة الدعة والهدوء والراحة، والملتزم فيهم قد اكتفى بتحصيل العلم النظري، وحضور الصلوات في المساجد، وقراءة القران، وقد نسي الفريضة التي جعلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذروة سنام الاسلام، فريضة

- ١٥ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الططقي (ت ٥٧٠٩هـ)، تحقيق عبدالقادر مايو، ط١، ١٨٤١٨-٥١٩٩٧م.
- ١٦ - كتاب الحاوي الكبير ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٥٤٥٠هـ)، دار الفكر ، بيروت
- ١٧ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري ، جار الله (٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت
- ١٨ - محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ٥١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، ١٨٤١٨هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- ١٩ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ابو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن امان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (٥١٤١٤هـ)، ط٣، ٥١٤٠٤-١٩٨٤م، ادارة البحوث العلمية والدعوة والافتناء- الجامعة السلفية، الهند.
- ٢٠ - مروج الذهب ، المسعودي .
- ٢١ - مسند البزار كاملا من ١-١٤ فهرسا، البزَّارُ، صَاحِبُ (المُسْنَدِ) الكَبِيرِ، قام بفهرسته على المسانيد، الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحوذ.
- ٢٢ - معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٥٦٢٦هـ)، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت.
- ٢٣ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام محمد هارون، ط ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، دار الفكر.
- ٢٤ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٥٦٠٦هـ)، ط٣، ٥١٤٢٠هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت
- ٢٥ - المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ابو الفرج، ط١، ٥١٣٥٨هـ، دار صادر، بيروت.
- ٢٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (٥٦٠٦هـ) ، ت طاهر أحمد الرازي - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

الجهاد، واما غير ملتزمين بالدين فقد كانوا كثيرين جدا، عاشوا لشهواتهم وملذاتهم ، وتنافسوا في الوان الطعام والثياب، وفي اعداد الجوارى والعلمان، وانواع الديار والحدائق والبساتين والدواب، ومنهم من التهى بسماع الاغاني والالحان عن سماع القرآن ، ومنهم من شرب الخمر ، ومنهم من اكل المال الحرام، ومنهم من ظلم العباد، وقد تنوعت مظاهر الترف عندهم بدءا بالعمران والبناء وانفاق الاموال الطائلة ، مروراً بالإسراف في المناسبات كالزواج وغيره، ثم الاسراف على موائد الطعام ، وانواع الترف في استجلاب الطعام من اماكن بعيدة، ثم مجالس اللهو والشرب والقيان والغناء وما يتبع ذلك من اسراف وتهتك وانتهاءً بمراسيم تغسيل وتكفين واماكن دفن الامراء والمترفين وانفاق الأموال الطائلة عليهم، وكل هذا الترف الذي كان سائدا في بغداد ايام الدولة العباسية اوصلهم لما وصلوا اليه من دخول التتار وانتهاك حرمة البلاد والعباد ثم سقوط بغداد عام ٥٦٦هـ.



سامراء .. إحدى عواصم الدولة العباسية (دوافع الانتقال إليها. تخطيطها وبنائها)

أ.و. مها (أسعد عبر الحمير طه)
الجامعة العراقية، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ
maha20160770@gmail.com

المخلص :

أفصح البحث عناية خلفاء بني العباس الأوائل في تخطيط المدن وتوزيع الإقطاعات، ومنها بناء سامراء، بدءاً من مؤسسها الخليفة المعتصم ومن تعاقب بعده من الخلفاء، فاهتموا بالموصفات الدقيقة في إنشاء الشوارع والأزقة بشكل لا يسيء الى أية شريحة من طبقات المجتمع العباسي المتنوعة، مع الاهتمام بتزويق المدينة وساحاتها ومنتزهاتها وحسن زخرفة أبنيتها وعمائرها، حتى أضحت سامراء تحكي جماليات النمط الإسلامي في تشييد المدن وبناء الأمصار... وأصبحت سامراء مثلاً يُحتذى بها في تأسيس المدن وتشييد الحواضر الجديدة، فقد جمعت في بوتقة مواصفاتها جميع مزايا حواضر بني العباس السابقة، جمعاً دقيقاً يُفصح ما وصل اليه مهندسو ذلك العصر من حذق وتطور، وقد مثل ذلك أصالة في التخطيط والبناء والعمارة .
الكلمات الافتتاحية: البناء، الزخرفة، العمارة، قصر المعتصم.

Abstract

The research spoke about the care of the early successors of the Banu Abbas in planning cities and distributing sectors, including the construction of Samarra, starting with its founder Al-Mu'tasim and those successive caliphs after him, they paid attention to the exact specifications in the construction of streets and alleys in a way that does not offend any segment of the various classes of Abbasid society, with the interest in decorating the city, its squares, parks and the good decoration of its buildings, until Samarra became a reminder of the aesthetics of the Islamic style in the building and the construction of the



cities.... Samarra became an instance to be followed in establishing cities and building new civilizations , it combined in its characteristics all the advantages of the previous cities of Banu Abbas, an accurate collection that disclosed the development of the engineers of that era, and this represented its originality in planning, construction and architecture.

Key words: building, the decoration, architecture, Al-Mu'tasim Palace

المقدمة

تُعدُّ موضوعة (مسيبات بناء مراكز الخلافة العباسية في عصرها الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧ م)، اختيار موضوعها، تخطيطها، بناؤها فالانتقال اليها من الظواهر التاريخية المهمة التي يتطلب على الباحثين الوقوف عليها، وقد كانت هناك الكثير من الأسباب والدوافع سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها حققت هذا الخليفة أو ذاك في الانتقال من هذا المركز إلى تلك، ومنها سامراء، اورع حواضر الدنيا في العمارة والزخرفة، وأجملها في البناء والبهاء يومذاك .
أهمية البحث : التعريف بالحاضرة الجديدة للدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول، سامراء...

مشكلة البحث : الوقوف على الملابس والظروف الحقيقية لترك الخليفة المعتصم حاضرة آبائه وأجداده، بغداد، ليؤسس حاضرة جديدة لدولته الشاسعة .
هيكلية البحث: سيقسم هذا البحث، بإذنه تعالى، على مبحثين، سيتناول أولهما الحديث عن مسبات ودوافع ترك الخليفة المعتصم بغداد ليؤسس حاضرة جديدة له والانتقال اليها بعد رحلة بحثه وتقصيه في اختياره موضوعها اختياراً ، فيما سيتحدث المبحث الثاني عن تخطيط وبناء سامراء لتكون آية في العمارة والبناء .

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث : سيعتمد هذا البحث في إعداده على الله تعالى أولاً ومن ثم على الكثير من المصادر الأولية التي راحت تحكي ظروف التقصي والانتقال الى الحاضرة العباسية الجديدة سامراء ومنها (كتاب البلدان) لليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت ٢٩٢/٩٠٥م)، وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠/٩٢٢م)، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠/١٢٣٣م) وغيرها .

أما المراجع الحديثة التي سيعتمدها هذا البحث فستزيد من متانة البحث وأهميته، ومنها كتاب (تخطيط المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور طاهر مظفر العميد، وكتاب (ري سامراء) للدكتور أحمد سوسة، وكتاب (العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور مصطفى عباس الموسوي، وغيرها من المراجع الحديثة، فكانت جميعها مداداً ثراً لهذا البحث لا ينضب . **وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

التمهيد: تسميتها:

أثبتت المكتشفات الأثرية أنّ موضع (سامراء) كان معروفاً في العصور التي سبقت العصر العباسي، قد استوطنه العراقيون القدماء منذ عصر ما قبل التاريخ ما يمتد إلى الألف السادس أو الخامس قبل الميلاد، وقد كان لهم نصيب من الحضارة أفصحت عنها التنقيبات الأثرية واكتشافاتها من أوان فخارية ودمى الطين المشوي غريبة الصنع وكمية كبيرة من الحزوز المنقوشة والتي تتسم برقي أشكالها وتعدد ألوانها، وهو (عصر حلف) الذي تعود إليه مقبرة سامراء ، وهذا العصر يلي العصر الحجري الحديث^(١) .
وتؤكد الروايات التاريخية أنّ كلمتي ((سامراء)) و ((سُرّ مَنْ رَأَى)) استمرارية للتسميات القديمة للمدن التي أُقيمت في المنطقة المذكورة إذ أنّ كلمة (سامراء) متحدّرة من تسمية (سيمروم) التي تم تداولها في الألف الثاني قبل الميلاد، ويرفع حرف (الميم- أوم) وإضافة الألف والهمزة العربية تصبح (سيمراء) أي (سامراء) وأمّا ((سُرّ مَنْ رَأَى)) فإنّ نصوص الألف الأول قبل الميلاد سواء كانت مسمارية أم آرامية فإنها ذكرت لنا اسم المدينة (سرمراته) ويرفع النهاية (آته) التي سادت خلال التاريخ المذكور وإضافة الألف والهمزة العربية يصبح الاسم (سرمراء) أي ((سُرّ مَنْ رَأَى))، ويبدو أنّ الخليفة المعتصم، أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد(٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢ م) حينما أقام بها أمر أن تُسمّى ((سُرّ مَنْ رَأَى)) وبهذه الصيغة وُجدَ أَسْمَها في النقود العباسية المضروبة فيها، وبهذا فإنّ (سامراء) و ((سُرّ مَنْ رَأَى)) تصبحان كلاهما تسميات عراقية قديمة^(٢) .

ويروي لنا ياقوت الحموي كذلك أنّ سامراء كانت مدينة ((عتيقة من مدن الفرس تُحْمَل إليها الاتاوة التي كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم، ودليل ذلك قائم في اسم المدينة لأنّ (سا) اسم الاتاوة، و (مُرّة) اسم العدد، والمعنى مكان قبض عدد جزية الروم))^(٣) .

المبحث الأول : أسباب تأسيس المعتصم حاضرتة الجديدة سامراء ودوافع اختياره موضعها

المطلب الأول : مسببات تأسيس الخليفة المعتصم حاضرة جديدة له

قيل في مسببات بناء مدينة سامراء والانتقال إليها أنه ومنذ بداية استخلاف المعتصم عمل على زيادة استخدام الجند التركي في الجيش وذلك لأن والدته السيدة (ماردة) تركية الأصل، لذا كان في طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك من القوة والشجاعة والاعتداد بالنفس، فربما دعتة العصبية التركية إلى التفكير في استخدام العنصر التركي^(٤)، وهؤلاء الجند كانوا في الواقع إضافة جديدة للجيش ظهرت خلال مدة خلافة المعتصم لما اتصفوا به من شدة البأس^(٥) ، فقد خصّهم المعتصم بالنفوذ بتقليدهم قيادة الجيش وجعل لهم مراكز في السياسة والحرب معاً فيما حرّم العنصر العربي، تقريباً، فيما كان لهم من قيادة الجيوش، كما أسقط أسماءهم من الدواوين، لذا علا شأن هؤلاء الأتراك، متمتعين بالهبات والأرزاق فاستأثروا على العرب والفرس معاً في كل شيء^(٦)



، ذلك لأنه فيما يبدو أن المعتصم قد خاف من الأبناء، أي أبناء أهل خراسان، ويُسمون أبناء أهل الدعوة أيضاً، ويُسمون كذلك بأنصار الدولة أو الشيعة العباسية، الذين قُدر عددهم يومذاك بخمسين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل، وهؤلاء قد لعبوا دوراً في النزاع بين الأمين والمأمون إذ ازدادت قوتهم وأخذت آراؤهم السياسية والاجتماعية تنتشر بالتدريج في كل مكان من الدولة زيادة على انتشار الأفكار المجوسية والبابكية والبهائية والمقنعية وغير ذلك والتي ظهرت بوجوه مختلفة منذ مقتل أبي مسلم الخراساني^(٧) ، ونتيجة لمجئ هؤلاء الترك وتسجيلهم في الديوان حدث التصادم والصراع بين هاتين الكتلتين، وقد عبّر المعتصم عن مخاوفه من هذا التصادم فأشار ابن الأثير إلى هذا قائلاً: ((وفي هذه السنة ٨٣٥/٥٢٢٠م خرج المعتصم إلى سامراء لبنائها، وكان سبب ذلك أنه قال: لاني أتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلmani، فأريد أن أكون فوقهم، فإن رابني منهم شئئ أنيتهم في البر والماء حتى آتي عليهم))^(٨) وقيل إن سبب انتقاله أن أولئك الأتراك من الذين استجلبهم الخليفة المعتصم من جهات متنوعة ولا سيما من أهل بلاد ما وراء النهر^(٩) ((من سمرقند وأشروسنة وفرغانة))^(١٠)، ورفقاً من الخزر^(١١) ، والسند ليؤلف بهم جيشه الجديد كانوا أصلاً مسؤولين عن المشاكل والمتاعب لذا كان يُقتل منهم الواحد تلو الآخر فيذكر المؤرخون بأن ((أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب فيصدمون الناس يميناً وشمالاً فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدرأ لا يعدون على من فعل ذلك فتقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد))^(١٢) .

وعليه فالعامل الرئيسي لانتقال المعتصم من بغداد إلى سامراء هو معاملة الجند الأتراك السيئة لسكان بغداد، إذ داخلهم الغرور وارتكبوا كثيراً من أعمال الفحش والعسف حتى أنهم كثيراً ما آذوا السكان وداسوا بخيولهم في الأسواق والطرقات^(١٣) ، مما أثار غضب العامة وحنقهم، يروي الطبري أن أحد المسنين خاطب الخليفة المعتصم بقوله: ((يا أبا إسحاق... فقال للشيخ ما لك؟ قال لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج - يعني حمير الوحش- فاسكنتهم بين أظهرنا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نسواننا وقتلت بهم رجالنا))^(١٤) .

وبدأ الجنود الأتراك يتذمرون أيضاً، فكان المعتصم في موقف دقيق وخرج إذ لم يكن في استطاعته معاقبة حرسه الخاص ولا شعبه ، ولم يكن هذا السخط على الجنود الأتراك محصوراً بين السكان المدنيين، بل أن عدواً انتقلت إلى الجنود القدامى كذلك إلى درجة بأن خشي المعتصم أن تعصف به وبجنده ثورة عارمة^(١٥) .

من كل ذلك نستخلص أن الخليفة المعتصم كان يخشى الفتنة وثورة أهل بغداد وبعض العساكر بها لسخطهم على تقريب الأتراك مما كان ذلك عاملاً مهماً بالانتقال من بغداد وإنشاء حضرته الجديدة سامراء^(١٦) .

المطلب الثاني : دوافع اختيار المعتصم موضع سامراء ونزوله بها

ترك المعتصم بغداد- حاضرة أباه وأجداده- باحثاً عن مركز جديد ينتقل إليه، فكان أولها (الفاطول)^(١٧) ، إذ نزل بقصر الرشيد، موضع من مواضع سامراء الآن، وذلك في

سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م)^(١٨) (ابن كثير، البداية ٢٠٠٩م، ج ٣، ص ٢١٢٥)، والقاطول اسم نهر كان مقطوع من دجلة، كان في موضع سامراء قبل أن تعمّر، وكان الخليفة الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٧-٨٠٩م) أول من احتفر هذا النهر، وبنى على فوهته قصرًا وسماه (أبا الجند) لكثرة ما كان يسقي من الأرضين وجعله لأرزاق جنده، وقد بنى المعتصم على موضع القاطول بناءً ودفعه إلى أحد قواده الأتراك^(١٩)، ثم تركه، فيورد اليعقوبي الخبر مفصلاً يقول: ((خرج المعتصم إلى القاطول في النصف الثاني من ذي القعدة سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م) فاخبط موضع المدينة التي بناها واقطع الناس المقاطع وجدّ في البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول))^(٢٠).

أسباب عدم قناعة المعتصم بموضع القاطول :

يذكر المسعودي بأن ارتحل الخليفة المعتصم من بغداد حتى وصل إلى منطقة (القاطول) في بداية فصل الشتاء ولكنه ظهر عدم ارتياحه بها فيقول: (ونالت من مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالبناء)^(٢١) لذا فالقاطول لم يعجب المعتصم، لذلك لم يمكث هناك أكثر من ثلاثة أشهر، ويذكر اليعقوبي رأي الخليفة المعتصم في هذا الموضوع وهو أن (أرض القاطول غير طائفة وإنما هي حصا وأفهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة)^(٢٢).

المعتصم يجد في اختيار موضع عاصمته الجديدة :

ثم أخذ الخليفة المعتصم ينتقل بين المواضع على أرض العراق، من موضع إلى آخر وهو يستقرئ ملاءمتها لإنشاء عاصمته الجديدة حتى وصل إلى موضع سامراء، فأسس عليه مدينة عتيبة، حاضرة زاهرة نافست بغداد لأكثر من نصف قرن في البهاء والرفي والعمارة، وهي تبعد سنتين ميلاً شمالي بغداد^(٢٣).

ويسترسل اليعقوبي بعد ذلك عن قناعة المعتصم عند وصوله إلى الموضع الجديد (سامراء) واستبشاره به، يقول: ((ركب- المعتصم- متصيِّداً فمرّ في مسيره حتى صار إلى موضع سرّ من رأى، صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة فيها ولا أنيس إلا دير للنصارى فوق بالدير وكلم من فيه من رهبان. وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرّ من رأى وأنه كان مدينة سام بن نوح سيّعمّر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلها ولده فقال أنا والله أبنيتها وأنزلها وينزلها (ولدي))^(٢٤).

وتشير بعض النصوص التاريخية إلى أنّ موضع سامراء كان يحتويه دير مسيحي، وأمر المعتصم أن تُشترى أرض ذلك الدير من أصحابه^(٢٥) (ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ٢٠١٠م، ج ٢، ص ١٦٤؛ بلدان، ص ٥٦-٥٧).

ويروي المسعودي كيف ارتاد المعتصم وأصحابه موضع سامراء وكيف تعلق بها لطيب مناخها وجوده غذائها وما إلى ذلك يقول: ((أقام في الموضع - على أرض سرّ من رأى- ثلاثة أيام يتصيّد في كل يوم فوجد نفسه تنوّق إلى الغذاء وتطلب الزيادة على



العادة الجارية فلم ذلك لتأثير الهواء والترية فلماً استطاب الموضع دعا أهل الدير واشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار)) (٢٦) .

إختيار موضع سامراء:

وعليه فإنّ الخليفة المعتصم بالله الذي كان ينتقل من مكان إلى آخر مصحوباً بعدد كثيف من الجند والأتباع وعوائلهم مع العمال والبائين كان عليه، والحالة هذه ، أن يكون شديد الحرص على أن ما سوف يختاره لا يبد أن يكون المكان الأكثر صلاحاً وملاءمة، وأولها أهمية موضعها، فكان موقع (سُرّ من رأى) الذي يضعها في موقع ملائم للسيطرة على الأجزاء المختلفة لجميع نواحي الدولة العباسية، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المياة كانت تحيط بالمدينة من جميع جهاتها، إذ يحدها نهر دجلة من جانبها الغربي ابتداءً من أقصى موضعها شمالاً حتى حدودها الجنوبية زيادة على فروع الأنهر وروافدها، كلها كانت حصوناً طبيعية للعاصمة الجديدة (٢٧) .

كما أنّ (النهروان) بفرعيه يحفّ المدينة من جانبه الشرقي، وهكذا، فإنّ كلاً من نهري دجلة والنهروان يهبان هذا الموقع أهمية عسكرية عظيمة، فهما يؤلفان سوراً طبيعياً يجعل حاضرة العباسيين الجديدة في موضع أمين، فضلاً عن أهميتهما في الري والزراعة والى جانب كل ما تقدم فإنّ ارتفاع موضع (سامراء) قد منح المدينة حماية ضد خطر الفيضان (٢٨) .

وقد منح الله تعالى موقع سامراء المهم، في وسط العراق، المدينة الجديدة سهولة الاتصال بكل من الأقسام الشمالية والجنوبية من العراق، وكانت فائدته كبيرة جداً للأغراض السياسية والتجارية على حد سواء (٢٩) .

المبحث الثاني: تخطيط وبناء سامراء :

المطلب الأول : تخطيط المدينة

بعد أن اشترى الخليفة المعتصم أرض سامراء من مالكيها، بعد اختياره موضعها اختياراً، عزم على بنائها، وفي بنائها نلاحظ التأكيد على الأسوار أو على بناء مدينة محصنة وذلك لثبوت أركان الدولة العباسية وتوطيدها، وكان التأكيد أيضاً على العمارة، فكتب المعتصم ((في إشخاص الفعلة والبائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات)) (٣٠) . واهتم كذلك بأن تكون عاصمته الجديدة مجمعاً للصناعات المعروفة، فأقدم ((من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة المياه ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة)) (٣١) . الى جانب اعتناء الخليفة المعتصم بالله بالناحية التجارية، فوسّع ((صقوف الأسواق)) (٣٢) .

ثم أمر بتخطيطها، وفي ذلك كان اهتمام المعتصم في فصل الجيش والدواوين عن السكان، وفي إنزال الأهلين في أحياء خاصة على وفق مهنتهم، فأسكن كل صنف من جيشه في جهة حسب جنسياتهم، ثم وضع كل فرقة تحت قائدها وفي محلّة خاصة،

وعموماً أمر أن تكون إقطاعات الأتراك بعيدة عن الأسواق وعن الأقسام المزدهمة (٣٣) . ثم أمر بتخطيط مسجدها الجامع والمعسكر والسوق سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م) وقد جعل (كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم على مثل ما رُسمت عليه أسواق بغداد) (٣٤) ، فكان تقسيم المدينة تقسيماً اجتماعياً عسكرياً يتناسب وكونها معسكراً أولاً، ومركزاً حضرياً ثانياً (٣٥) .

ومن ثم بدأ بإقامة القصور والأبنية المهمة له ولجنده، ونزلها في السنة نفسها ، ولكن على وجه العموم لم تلقَ سامراء عناية الكتاب والمؤرخين ما لقيت المدن العراقية الأخرى (٣٦) على الرغم من أهميتها في مجال العمارة والزخرفة وتخطيط المدن العربية الإسلامية، ما عدا ما نقله الينا اليعقوبي (٣٧) . وهو يؤرخ أسماء الشوارع الرئيسة والإقطاعات والأسواق، كالاتي :

١- الشارع المعروف (بالسريجة) وهو الشارع الأعظم ممتداً من المطيرة الى الوادي المعروف في ذلك الوقت بوادي إسحاق بن ابراهيم (٣٨) ، واتصلت به قطائع الناس بعد أن وُزعت لهم ، ومنهم قطائع كبار أمراء بني العباس وقوادهم والقواد الخراسانيين، منتشرين يمينا ويسارا بهذا الشارع وفي دروبٍ متنوعة .

٢- والشارع الثاني ويُعرف (بأبي أحمد) وهو أحمد بن الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، أحد أمراء بني العباس، وتحيط بالشارع قطائع القواد العباسيين فضلاً عن الدار الشهيرة (بدار بختيشيوع المتطبب) (٣٩) ، طبيب الخلفاء ، والتي بناها أبان خلافة المتوكل على الله ، جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد (٢٣٢-٥٢٤٧/٨٤٧-٨٦١م) .

٣- والشارع الثالث (شارع الحير الأول) وفيه قطائع (الجند الشاكرية) (٤٠) وأخلاق الناس .

٤- والشارع الرابع يُعرف بشارع (برغامش التركي) وهو أحد قادة الخليفة المعتصم المهمين، وفيه قطائع الأتراك وقطائع الفراغنة، كلٌّ منعزل في أزفته ودروبه عن الآخر، فدروب الأتراك في القبلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القبلة، كلُّ درب بأزاء درب لا يخالطهم أحد من الناس، وفي آخر منازل الأتراك وقطائعهم أُقطعت قطائع الجنود الخزر .

٥- والشارع الخامس ويُعرف بشارع صالح العباسي، أحد أمراء بني العباس، ويُعرف أيضاً (بشارع الاسكر) وفيه قطائع الأتراك والفراغنة أيضاً في دروب منفردة التي على رأس الوادي ويتصل ذلك بقطائع القواد والكتاب والوجوه وعامة الناس .

٦- والشارع الذي على نهر دجلة يُسمى (شارع الخليج) جعله رصيفاً مرسى لسفن التجارة، السفن والتجارات ((التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد والبصرة والأبلة) (٤١) والأهواز وما يتصل بذلك ومن



الموصل وبعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك))^(٤٢) ، وفي هذا الشارع قطائع أغلب المغاربة، والمغاربة هؤلاء اصطنعهم الخليفة المعتصم ((قوماً من حوفي مصر، من حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة))^(٤٣) وقطائع وسائر الناس .

وبينما بنى المعتصم مدينته على الجانب الشرقي لنهر دجلة، اهتم بزراعة القسم الغربي، فحفر الترغ فيه ((وحمل اليه الغروس من كافة البلدان))^(٤٤) وشجع قواده ورجاله على المساهمة في الزرع .

ثم أخذ اليعقوبي يشير الى قصور الخليفة المعتصم من غير أن يرشدنا الى تفاصيل تخطيطها وبنائها، إلا إننا نستطيع أن نستقرئ أن المخطط الذي درج عليه المعتصم في بناء سامراء كان يختلف عن ذلك المخطط الذي أتبع في في المدن العراقية التي سبقتها مثل البصرة والكوفة وواسط والأنبار وبغداد ، وعموماً يُفصح لنا تخطيط مدينة سامراء ما يأتي :

أولاً : إن جامع المدينة الكبير كان يقع على الشارع الذي يُعرف (بالسريجة) وقد استمرت الصلاة فيه خلال عهد المعتصم وولده الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢/٥٤٢-٨٤٧م) ، وحينما جاء الخليفة المتوكل على الله هدمه كله وبنى جامعاً آخرأ أكبر من سابقه لضيق الجامع الأول بالمصلين.

ثانياً : كانت الأسواق المختلفة تقع حول الجامع، ومرة أخرى قلد المعتصم جدّه الخليفة أبا جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨/٧٥٣-٧٧٥م) جاعلاً أصحاب الحرف والبضاعات مجتمعين مع أصحاب التجارة المتشابهة في أماكن خاصة، وبالإضافة الى هذا فإنه أمر أن تكون لكل قطيعة سوقاً صغيراً من عدة مخازن تحوي على السلع الضرورية .

ثالثاً : أقطع الخليفة المعتصم القواد والكتّاب والموظفين وبقية الناس إقطاعات لكي يقيموا فيها مساكن لهم، تنفيذاً لفكرته في تعيين مناطق معزولة للجماعات المختلفة، وكان كل قسم منها مخصص للأفراد المتحدّرين في الأصل من أقاليم واحدة، وبالتالي فإنّ هذه الأقسام كانت محاطة بمجموعاتٍ أخرى منحدرّة أصلاً من أقاليم مجاورة^(٤٥) .

لقد أولى المعتصم اهتماماً خاصاً بجنده ، إذ وضع نصب عينيه المشاكل آنفة الذكر والتي أثّرت في بغداد بين ساكنيها وجنده الأتراك، كما أوضح اليعقوبي هذه الفكرة بصورة جلية في رواية له : ((وأفرد - المعتصم- قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معزولين عنهم لا يختلطون بقوم... وأمر بضم أصحابه- يقصد جنده- ومنعهم من الاختلاط بالناس..))^(٤٦) .

ويبدو إنّ المعتصم في قراره هذا لا يزال يتذكر المشاكل التي أثّرت في بغداد بين ساكنيها وجنده الأتراك، وزيادة على ذلك ((فإنه أمر بأن تكون الإقطاعات بعيدة عن الأسواق وعن الأقسام المزدحمة ، وكان يرغب أن تخطط مساكنهم، أي الجند الأتراك، على شوارع واسعة وأزقة طويلة كي يوفر لهم الأجواء التي تلائم صفاتهم الطبيعية))^(٤٧) .

وهذا يقودنا الى أن نستنتج أنّ سامراء كانت مجزأة الى أقسام سكنية متعددة، كل قسم منها أقطع (مُنح) الى قائد معين من أتباعه. ولقد أُقيمت هذه التقسيمات على أساس الميزات القومية والأماكن الأصلية^(٤٨).

رابعاً : وطبقاً للرواية التي قدمها اليعقوبي^(٤٩) فإنّ المباني اتسعت جنوب سامراء حتى المطيرة^(٥٠) إذ كانت مقاطعة مخصصة لقائد المعتصم وساعده الأيمن (أشناس) على بُعد فرسخين (عشرة كيلومترات) الى جنوب المدينة، وقد وصل اتساع المدينة شمالاً الى عشرة كيلومترات شمال مركز المدينة، وهكذا فإنّ اتساع المباني المختلفة بلغت نحواً من عشرين كيلومتر .

المطلب الثاني: قصور المدينة وعمائرها

تُعدُّ آثار القصور والعمائر الأكثر بقاياها شخوصاً الى الوقت الحاضر والتي بناها الخليفة المعتصم على وجه التأكيد، أو تلك التي تُنسب اليه ما يأتي :

- ١- قصر المعتصم (بناية العامة)، ويُسمى أيضاً باسم الجوسق الخاقاني .
- ٢- بناية الحويصلات .
- ٣- معسكر الاصطبلات^(٥١) .

وسوف نختار الحديث عن قصر المعتصم (قصر العامة) بشيء من التفصيل لكونه الأكثر أهمية.

قصر المعتصم :

تُعدُّ آثار هذ القصر أكثر البقايا التاريخية شخوصاً للعمارة المدنية التاريخية لسامراء، كان دار الخليفة يقع، كما يروى اليعقوبي، على شارع السريجة^(٥٢) ، وكما أشار المؤرخون بأنه قد أُقيم على أرض تعود الى دير مسيحي اشتراه المعتصم من أصحابه^(٥٣) ، ويبلغ الطول الكلي للقصر حوالي (٧٠٠) متر وعرض الجهة الأمامية الرئيسية التي تطل على نهر دجلة حوالي (٢٠٠) متر ويغطي مساحة من الأرض مقدارها (٢١٠) ألف متر مربع^(٥٤)، وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية بأنّ منطقة القصر كانت محاطة بسور يصل الى (١٧٥) هكتاراً من ضمنها (٧١) هكتاراً تشغلها حديقة تواجه مع شرفاتها وأقبيتها وأحواضها نهر دجلة^(٥٥) ، وأصبحت نتائج التنقيبات الأثرية تتجلى شيئاً فشيئاً ، فحينما ظهر مخطط القصر تبين بأنّ تلك المجموعة المعقدة من المباني كان لها مدخل واحد فقط، وكان هذا المدخل في وسط جانبها الغربي حيث لم تزل بقاياها قائمة الى الوقت الحاضر وتُعرف (بباب العامة) وهو البناء الفخم الوحيد المتبقي من بيت الخليفة^(٥٦) ، كما أنّ التنقيبات الأثرية التي قامت بها مديرية الآثار العراقية أرفدتنا بمعلومات مهمة عن قصر المعتصم (قصر العامة) فهي أماطت اللثام عن قسميه الأوسط والجنوبي مع أقسام أخرى منه، مثل قاعة العرش، وغرفة التشريفات، وغرف الحريم والحمام وما الى ذلك، كما عُثر على آثار كثيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة، غير إنّ الناس استمروا على اقتلاع الأجر من جدران القصر



لاستعمالها فى أبنيتهم المختلفة، فأخذت بذلك بالزوال والتلاشى تدريجيا ولم يبقَ فى الوقت الحاضر سوى الانقاض الكلسية ^(٥٧) .

زخارف القصر ونقوشه ونافوراته :

كانت زخارف قصر الخليفة المعتصم ونقوشه عبارة عن زخارف جصية بارزة، يؤكد ذلك ما عُثِرَ على بعض القطع الصغيرة سقطت من أماكنها الأصلية وهى ملقاة على الأرض وتحمل نماذج من صور مائىة من النوع البسيط وهى عادة ما تكون على هيئة صف من الدوائر المرسومة باللونين الأحمر والأصفر، مثل ما شوهدت قطعة لصيقة بباطن العقد فوق فتحة القاعة الوسطى ^(٥٨) .

وكانت جدران الغرف الرئيسية مزدانة مزخرفة الى ارتفاع أربعين إنجاً بحليّة جصية بارزة ^(٥٩) .

أما الإيوان الكبير والغرفتان المجاورتان له فكانوا متصفيين بزخارف على شكل البيض بسلاسل صغيرة ذات أشكال نخيلية صغيرة تُحلى جميع أطر البناء، أما داخل الإيوان فكان محلى بزخارف جصية ، كان بعضها لا يزال فى موضعه فى بداية القرن العشرين كما عثر عالم التنقيبات هرزفيلد على ذلك ^(٦٠) .

وكان باطن العقد الأمامى للإيوان الكبير كان محلى هو أيضاً بزخارف جصية مقسمة الى قسم وسطي عريض يحف به قسمان أقل عرضاً منه، وعرض كل شريط من الشريطين الأخرين (٣٢ سم) يتألف من زخارف عبارة عن زوج من أغصان شجرة العنب ترتفع لولبياً لتكون صفاً مزدوجاً من الدوائر، كل صف يحتوى على وريقة من أوراق العنب، يفصل كل صف من صفوفها ثقب تشبه العيون تحيط به حروز يتميّز بها الطراز المعروف بطراز سامراء الثالث. والقسم الأوسط عرضه (٩٥ سم) زخارفه عبارة عن ورقة عنب طويلة الساق . ولسوء الحظ فإن قطع الزخارف المتبقية غير كافية لكي نستطيع أن نعرف كيف كانت تزخرف مراكز الوريدات والمساحات المحصورة بينها . وقد أعاد العالم هرزفيلد ترتيب بعض الزخارف فى الإيوان الكبير من قطع الزخارف الجصية ^(٦١) .

أما زخارف غرفة العرش فقد عُثِرَ على بقايا زخارف جصية فى بواطن الأقواس، وقد حاول هرزفيلد أن يجمع بعضها الى البعض الآخر ^(٦٢) ، وهنا من المفيد ان نؤكد أن تلك البقايا التى وضعها هرزفيلد جنباً الى جنب فى محاولة منه لإعادة تصميمها لا تمثل شريطاً ثلاثياً، وإنما هى ثلاثة امتدادات متفرقة للقطعة المستطيلة ذاتها، ومن قاعة العرش هذه نجد حشوة الباب الخشبية المهمة التى تشبه الى حد كبير حشوة الباب الخشبية لجامع السلطان أحمد ابن طولون فى القاهرة . وبين أذرع التقاطع توجد ((قاعات أصغر لها أفاريز من بلاطات رخامية، وهناك أيضاً غرفة لها أفريز من الزخارف الجصية استُخدمت مسجداً للخليفة)) ^(٦٣) .

أما إذا انتقلنا الى غرف الحريم فالجانبيين الشرقى والغربى لها تشغلها غرف صغيرة للجلوس، جميعها مجهزة بأنايب الماء، بعض هذه الأنايب موصول بأنايب رصاصية كبيرة، وبعض منها بأنايب زجاجية زرقاء، والبعض الآخر بأنايب فخارية خشبية،

وهناك أيضاً غرف للغسيل ودورات للمياه وجميعها مصممة على وفق أفضل المواصفات الهندسية المتاحة يومذاك (٦٤).

وفي الجهة المقابلة لقاعة العرش، وعند الجانب الجنوبي لقاعة الحريم غرفة مربعة غريبة الشكل تشكل عرض هذه القاعة. وفي وسط هذه الغرفة المربعة حوض محاط بممشى طوله (٢١ متراً) لكل جانب من جوانبه الأربعة. وللغرفة مداخل واسعة على المحاور. ولها أربعة أعمدة رخامية في كل ركن من أركان الحوض. وقد نقل الينا هيرزفيلد بأن هذا الحوض كان أصلاً من الكرانيت الأصلي ومن صنع الفراعنة، وهو معروض الآن في متحف القصر العباسي. وكانت جميع هذه الغرف مزينة برسوم الأشخاص، وقد أعاد هرزفيلد تنظيم إحدى هذه الرسوم من البقايا التي عُثِر عليها في الموقع (٦٥).

أما الرحبة الكبرى فكانت طولها ٣٥٠ متراً وعرضها ١٨٠ متراً وتحيطها مساحات من الأزهار التي تعطي انطباعاً يوحي بالعظمة والجمال في آن واحد. كما إن هناك بركا ونافورات مصنوعة من الرخام كان وجودها يبعث على البهجة والسرور (٦٦).
والرحبة الكبرى كانت مقسمة بواسطة قناة الى قسم غربي مرصوف، ويتزين بنافورتين، والى قسم شرقي غير مرصوف فيه أقنية مياه صغيرة (٦٧).
كما ويحتوي قصر الخليفة المعتصم على مجموعة من السرايب الكبيرة والصغيرة وملعب للصولجان ومخازن وثكنات وغير ذلك.

وهكذا بُنيت سامراء شرقي نهر دجلة، على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد، وتبعد عنها بستين ميلاً من الشمال، وتقع في مكان طيب الهواء، جيد التربة، يسهل منه الوصول الى بغداد براً وبحراً، وقد شيد بها المعتصم ما تمّ تخطيطه لها، ومنها مسجداً جامعاً للمسلمين، وأفرد سوقاً لأرباب الحرف والصناعات، ونقل الى حاضرتة الجديدة الأشجار والثمار، وغرس الحدائق والبساتين، وشيّد المنتزهات، وأقام المباني الشاهقة والقصور الفخمة التي قيل أنّ عددها بلغ سبعة عشر قصراً (٦٨). لذا أصبحت سامراء مدينة عامرة زاهرة، حتى سُميت (سراً من رأى) ووصفت ((: إنها معشوقة السكنى، حبيبة المثنوى، كوكبها يقظان، وجوها عريان، حصاها جوهر، ونسيمها معطر، يومها غداة، ونيلها سحر، طعامها هنيئ، وشرابها مريء، تاجرها مالك، وفقيرها فاتك)) (٦٩).

سامراء بعد المعتصم :

بويح الواثق، أبو جعفر هاورن بن محمد المعتصم (٢٢٧-٢٣٢/٥٢٣-٨٤٢م) في نفس اليوم الذي توفي فيه والده الخليفة المعتصم (٧٠)، ويبدو أنّ المدة التي تولى فيها الخلافة تنسم بالهدوء إذا ما قيست بعهد المعتصم، ولم يصف لسراً من رأى شيئاً كثيراً على ما موجود فيها من عمائر سوى القصر الهاروني، نسبة لاسمه، إذ لم يلبث الخليفة الواثق كثيراً بالجوسق الخاقاني، وهو قصر المعتصم، وإنما بنى قصراً جديداً له سمّاه الهاروني على نهر دجلة حيث جعل له دكة غربية ودكة شرقية (٧١).



وحين استُخلف المتوكل على الله بعد وفاة أخيه الواثق اختار العيش في القصر الهاروني، وفضله عل جميع قصور المعتصم ^(٧٢) ، وكان للمتوكل رغبة قوية في البناء والتشييد والعمارة، إذ كان يُعدُّ من أكثر خلفاء بني العباس اهتماماً بالبناء وال عمران في حقبة الخلافة العباسية في حاضرتها سامراء، واتصف عصره بتشييد عدد كبير من القصور والجوامع، فبنى الجامع الكبير وشيّد له منذنة عالية أشبه باللؤلؤ (ملوية) يُنظر الى شموخها من بعيد، عند أول (الحير) في موضع واسع خارج المنازل ولا يتصل به شيء من القطائع والأسواق، وقد أتقن الخليفة بناءه ووسّعه وأحكم تشييده ^(٧٣) ، وترك الناس تدريجياً الصلاة في المسجد الذي بناه الخليفة المعتصم لضيقه، وأجرى المتوكل الماء من دجلة بقناتين تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء ^(٧٤) .

ومن الأبنية الجليلة التي أقامها المتوكل قصور العروس وبلكوار والصبيح واللؤلؤ والمختار ^(٧٥) وغيرها، حتى ذكر اليعقوبي بأن ((لم يبن أحد من الخلفاء بسُر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل)) ^(٧٦) .

وقد كلفت هذه الأبنية أموالاً طائلة ما تقارب (٢٩٤) درهم ^(٧٧) ، حتى أنّ المسعودي يصف التكاليف الباهظة التي أنفقت على أعمال المتوكل المعمارية فيقول ((وقد قيل أنه لم تكن النفقات في عصر من العصور ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل)) ^(٧٨) .

عاش الخليفة المتوكل في بداية خلافته في القصر الهاروني، كما تمّ ذكره آنفاً، ولكنه في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م رغب في ترك سامراء والبحث عن مكان آخر يبني عليه مدينة له يسميها على اسمه تخليداً لذكراه، ولم تشر لنا المصادر التاريخية في الدوافع التي دعته الى اتخاذ هذا القرار، وبهذا اختار موضعاً شمالي سامراء يُقال له (الماحوزة) شيّد عليه مدينته الجديدة وأسماها المتوكلية أو الجعفرية ^(٧٩) ، وقد تمّ له بناءها خلال سنة واحدة ، وأقيمت الأسواق في موضع منعزل عنها وجعل في كل مربعة سوقاً ^(٨٠) .

وفي الأول من شهر محرم لعام (٨٦١/٢٤٧م) انتقل الخليفة المتوكل الى مدينته الجديدة (المتوكلية)، وعندما جلس في مجلسه وزع الأعطيات والمكافآت السنية الى كل من أسهم في تشييدها تعبيراً منه على فرحه في بنائها والانتقال اليها ^(٨١) ، ثمّ ما لبثت أن انتقلت اليها دواوين الدولة المختلفة مثل ديوان الخراج وديوان الضياع وديوان الزمام وديوان الجند وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع دوائر الدولة الأخرى ^(٨٢) ، وأقام المتوكل نازلاً في قصره بالجعفرية، ولكنه لم يتمتع بمدينته الجديدة كثيراً، إذ بعد تسعة أشهر وثلاثة أيام من إقامته فيها تعرض لحادثة قتله بقصره الجعفري في مؤامرة، تناقلتها المصادر التاريخية، ذُبرت له ^(٨٣) ، وقتل وزيره وساعده الأيمن (الفتح بن خاقان) من بعده بمدةٍ وجيزة ^(٨٤) ، وبهذا رجعت الحياة الى سامراء مرة أخرى فأصبحت مقراً للخلافة العباسية ثانية للمدة من (٢٤٧-٢٧٩هـ/٨٦١-٨٩٢م) ، حكم خلالها خمسة خلفاء وهم على التوالي :

- ١- المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م) .
- ٢- المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) .

٣- المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م)٠

٤- المهدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م)٠

٥- المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)٠

ومن المناسب ذكره في هذا المجال بأن لم تشهد سامراء أبان الحقبة التاريخية آنفة الذكر أية إضافة عليها تُذكر في البناء والتشييد العمران، ولكنها شهدت زيادة في نفوذ الأتراك إذ بلغ سلطانهم ذروته خلالها فلم يكن أحد يستطيع الاجتراء على معارضتهم، ففسدت أحوال سامراء في تلك الحقبة التاريخية حتى تركها الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) ليعود ويتخذ بغداد مقراً له لستة أشهر قبل وفاته سنة (٨٥).

وخلاصة القول بأن استمرت (سُرَّ من رأى) كل يوم في صلاح وزيادة وعمارة حتى صارت أعظم بلاد الله تعالى، وجنة الأرض وقرار الملك منذ أيام المعتصم والواثق إلى أيام الخليفة المعتضد بالله، إذ عاشت أكثر من ستين عاماً وهي محتفظة برونقها وبهائها منذ بنائها سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م) الى نهاية عصر الخليفة المعتضد بالله إذ انتابها الخراب والدمار والإهمال الكامل، بعد أن تفوّضت معالمها عام (٢٨٩هـ) (٨٦)، حتى أنّ الناظر إليها يستوحش منها ((بعد أن لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم، ولا أنس ولا أوسع مكاناً منها فسيحان من لا يحول ولا يزول)) (٨٧)، ومنذ ذلك الحين أطلق عليها (ساء من رأى)، ثم أُختصرَ فقيل ((سامرا)) يقول الشاعر ابن المعتز (٨٨):

((قد أقفرت سُرَّ من رأى
فالنقص يحمل منها
وماتت كما مات فيلٌ
تسل منه العظام))
وما لشيئٍ دوام
كأنها آجام

واليوم مدينة سامراء الحديثة على الضفة اليسرى لنهر دجلة وعلى بعد (١٣٠) كم إلى الشمال من مدينة بغداد، ولقد شيدت مدينة سامراء الحديثة فوق آثار العاصمة العباسية (سُرَّ من رأى)، موضوعة هذه الدراسة ((التي تمتد أطلالها مع الضفة العليا لوادي نهر دجلة من الفرع الثاني للنهروان عند القائم في الجنوب حتى فرعه الثاني في الشمال وبذلك يبلغ أطلالها نحو أربعة وثلاثين كيلو متر، وتقع ثمانية منها جنوب المدينة الحالية و (٢٦) كيلو متر في شمالها)) (٨٩).

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الجميلة في الدراسة والتقصي عن حاضرة بني العباس الجديدة سُرَّ من رأى أو سامراء ، والطواف بين شوارعها وأزقتها وأسواقها ومحالها نصل الى النتائج الآتية :

١- كان الهدف الأساس من بناء سامراء هو عسكريٌّ بحت، فقد ترك الأتراك معاملتهم الناس بقسوة جفوةً بينهم وبين أهل بغداد، مدينة السلام، عاصمة المنصور المدورة، مما جعل الخليفة المعتصم يفكر بإبعاد جيشه الى مدينة



- بعيدةً خوفًا من ثورة عامة الناس عليه في (بغداد) فاختر سامراء، حصناً منيعاً لجيشه .
- ٢- إنَّ شخصية الخليفة المعتصم بالله من الشخصيات التي انمازت بحسن التخطيط في إنشاء المدن، وشاهد ذلك تخطيطه لمدينة سامراء، ممّا يدلُّ على حكمته وسعيه في إدامة الحياة العمرانية والتواصل الحضاري .
- ٣- إنَّ المعتصم من القادة الذين يتسمون بحسن التدبير ، فما أنْ أحسَّ بخطر الأتراك وازدياد أعدادهم ومعاملتهم السيئة لسكان بغداد حتى باشر بالتفكير في إبعاد هؤلاء عن بغداد، حرصاً منه على تنظيم الحياة الاجتماعية، ولهذا فكر في بناء مدينة تحويهم بعيداً عن الاحتكاك بسكان بغداد وغيرهم أمثال الحربية من الفرس المتنفذين، ممّا أسهم في الحفاظ على لحمة المجتمع ومكوناته المتعددة .
- ٤- عكس هذا البحث قدرة الخليفة المعتصم في التفكير الصحيح وهو يتخيّر موضع حضرته الجديدة اختياراً، فكان يتنقل بين المواضع والأماكن العراقية المختلفة، من موضع الى آخر حتى استقر على موضع يتسم فيه المواصفات العسكرية والجغرافية والصحية والتجارية الملائمة .
- ٥- أفصح البحث عناية خلفاء بني العباس الأوائل في تخطيط المدن وتوزيع الإقطاعات، ومنها بناء سامراء، بدءً من مؤسسها المعتصم ومنّ تعاقب بعده من الخلفاء، فاهتموا بالمواصفات الدقيقة في إنشاء الشوارع والأزقة بشكل لا يسيئ الى أية شريحة من طبقات المجتمع العباسي المتنوعة، مع الاهتمام بتزيين المدينة ومنتزهاتها وحسن الزخرفة والعمارة وبهائها، حتى أضحت سامراء تحكي جماليات النمط الإسلامي في تشييد المدن وبناء الأمصار .
- ٦- أصبحت سامراء مثلاً يُحتذى بها في تأسيس المدن والحوضر الجديدة، فقد جمعت في بوتقة مواصفاتها جميع مزايا حواضر بني العباس السابقة، جمعاً دقيقاً يُفصح ما وصل اليه مهندسو ذلك العصر من حدقٍ وتطور، وقد مثل ذلك أصالة في التخطيط والبناء والعمارة .
- ٧- يثبت هذا البحث حقيقة أنّ أرض العراق وما حباه الله تعالى من نِعَمٍ وخيراتٍ يصلح في أكثر بقاعه أنْ تغدو حاضرة أو مركزاً لبناء المدن وتمركز الحضارة، وهذا ما سعى البحث لتثبيته كنتيجةٍ تُؤشّر من بعيدٍ عمق حضارات وادي الرافدين .

الهوامش

- ١- سوسة، أحمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٣٦٨/١٩٤٩م) ، ج١، ص٥٢-٥٤).
- ٢- ياقوت، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ديت) ، ١٧٣/٣-١٧٤؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها)، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م) ، ص٢٤٨

- ٣- ياقوت، ج٣، ص١٧٤؛ العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٤٩٥؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٦٩م)، ج٢، ص٣٨٢.
- ٤- ابن مسكويه، تجارب الأمم، أبو علي أحمد بن محمد (ت٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم، تحقيق: ه. ف. أمدروز، مطبعة التمدن الصناعية (القاهرة، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، ٢١٢/٥؛ ياقوت الحموي، ج٢، ص٢٧.
- ٥- ابن مسكويه، تجارب، ج٥، ص٢١٠.
- ٦- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي البغدادي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٤، ص٩.
- ٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ج٧، ص٨٨ عن حركة اسحاق الترك، ص٤٩٥ عن حركة سنباد، ج٨، ص٢٩ عن حركة إستانيس، وغيرها.
- ٨- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، مراجعة: د. سمير شمس، ط١، (بيروت، دار صادر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م)، ج٦، ص٣١٩؛ المسعودي، ج٧، ص١٢١.
- ٩- ما وراء النهر: وتعرف أيضاً باسم هيطل، وهي الأراضي الواقعة شرقي نهر جيحون التاريخي، من أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقهاً وعماراً ورغبة في العلم واستقامة في الدين وأشد بأساً... وهو يتألف من ستة كور، فرغانة وإسبجياب والشاش وأشروسنة والصغد وبخارى. (ينظر: البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٢.
- ١٠- ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي التونسي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، اعتنى به: عادل بن سعد، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص١١٨٥.
- ١١- اليقوي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، البلدان، (بريل، طبعة ليدن، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م)، ص٢٩.
- ١٢- تاريخ الطبري، ج٩، ص١٦٧؛ وينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٧؛ اليقوي، البلدان، ص٣٠.
- ١٣- المسعودي، مروج، ج٤، ص٩.
- ١٤- تاريخ الطبري، ج٩، ص١٦٨؛ وينظر: ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، الفخري في الأداب السلطانية والأمم الإسلامية، (بيروت، دار صادر، د.ت. ص٢٣١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد نصر الله أبي جبيل، ط١ (القاهرة، مكتبة نصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣١٤.
- ١٥- ينظر: بلدان اليقوي، ص٣٣؛ المسعودي، مروج، ج٧، ص١٢١؛ الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، (بغداد، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات رقم (٢٩٥)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١٤٦.
- ١٦- الموسوي، تطور المدن، ١٩٨٢م؛ ابن العميد، تخطيط المدن، ١٩٨٦م، ص٤٢٤.
- ١٧- مجهول، أخبار العباس وولده، تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطليبي (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٧١م)، ص٢٠٤-٢٠٥.
- ١٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، طبعة جديدة ومنقحة (بيروت، مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ج٣، ص٢١٢٥.
- ١٩- ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٤.
- ٢٠- بلدان اليقوي، ص٣١؛ ابن الفقيه، البلدان، ٢٠٠٩م، ص٢١٦، ٣١٦؛ ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي التونسي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، اعتنى به: عادل بن سعد، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص١١٨٥؛ الخضري بك، الدولة العباسية، مراجعة: محمد ضناوي، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٢٢٧.
- ٢١- المسعودي، مروج، ج٧، ص١٢٩؛ الموسوي، عوامل تطور المدن، ص١٤٧.
- ٢٢- بلدان اليقوي، ص٣٢؛ حسن، تاريخ، ج٢، ص٣٨١.
- ٢٣- بلدان اليقوي، ص٣٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠١٠م، ج٢، ص٢٥٥؛ مجهول، أخبار العباس، ١٩٧١م، ص٢٠٤-٢٠٥؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٨٠.
- ٢٤- بلدان اليقوي، ص٣٢.
- ٢٥- ينظر: اليقوي، تاريخ اليقوي، ط٢ (بيروت، دار صادر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٢، ص١٦٤؛ البلدان، ص٥٦-٥٧.
- ٢٦- مروج الذهب، ج٧، ص١٢١؛ وينظر: تاريخ اليقوي، ج٢، ص٤٧٣؛ الخضري بك، ص٢٢٦-٢٢٧.
- ٢٧- ياقوت الحموي، معجم، ج٣، ص١٧٤.
- ٢٨- اليقوي، البلدان، ص٥٨؛ الموسوي، تطور المدن، ص١٤٧.



- ٢٩- ينظر: العميد، ص٤٤٦؛ الموسوي، ص١٤٧ .
- ٣٠- بلدان اليعقوبي، ص٢٥
- ٣١- المصدر نفسه
- ٣٢- المصدر نفسه
- ٣٣- ينظر: البلاذري، ج١، ص٢٨٥؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط٢ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٣١٦ .
- ٣٤- بلدان اليعقوبي، ص٢٥ .
- ٣٥- النوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي)، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٨٨م)، ص٢٠٢ .
- ٣٦- للتوسع: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٣؛ ياقوت، معجم، ج٣، ص١٧٤، ١٧٦، ١٧٧؛ ابن الأثير، ج٦، ص٢١٠؛ ابن الطقطقا، ص٢٣١ .
- ٣٧- البلدان، ص٥٩-٦٤؛ وللتوسع: العميد ص٤٥١ وما بعدها .
- ٣٨- اسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي مولاها، أبوه أحد دعاة الثورة العباسية، و، كان إسحاق كبير المنزلة عند الخليفتين المأمون والمعتصم . للتوسع: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تاريخ بغداد أبو مدينة السلام (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، ج١٠، ص٢٦٠-٢٦١ ترجمة رقم ٥٣٧٦ .
- ٣٩- بختيشوع بن جبريل المتطبب: هو ابن جبريل بن بختيشوع، كان سريانيًا نبيل القدر، وكان يضاهاي الخليفة المتوكل في اللباس والفرش، وكان عظيم المنزلة عنده، ثم إنه أفرط في إِدلاله عليه فنكبه، وكان موته سنة (٢٥٦هـ) . يُنظر: ابن أبي أصيبعة، أحمد بن محمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة (بيروت، د.ت)، ج١، ص١٣٨-١٤٤ .
- ٤٠- الشاكرية: مفردها شاكري: وهو الأجير والمستخدَم، لفظة فارسية الأصل . ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، مادة: شكر).
- ٤١- الأبلَّة: مرفأ في جنوب البصرة، على بُعد أربعة فراسخ منها، وهي أقدم من البصرة، فيها مسالح من قِبَل كسرى، كانت تُسمى أيضاً بأرض الهند لقربها من بلاد، إذ لا يفصل بينهما إلا بحر العرب، وكانت بين الطرفين علاقات تجارية وثقافية منذ زمن بعيد . ينظر: ياقوت، ٧٧/١، ص١٨٣/٣ .
- ٤٢- بلدان اليعقوبي، ص٦٣
- ٤٣- المسعودي، مروج، ج٤، ص٩
- ٤٤- بلدان اليعقوبي، ص٦٤-٦٥
- ٤٥- للتوسع: بلدان اليعقوبي، ص٦٦-٦٨
- ٤٦- بلدان اليعقوبي، ص٦٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٤
- ٤٧- بلدان اليعقوبي، ص٦١؛ العميد، تخطيط، ص٤٥٥-٤٥٦
- ٤٨- ينظر: العميد، ص٤٥٥ نقلاً عن (Ahmed, The Role of the Turks in Iraq during the Caliphate of Mutasim P.67)
- ٤٩- بلدان اليعقوبي، ص٦٠-٦١؛ العميد، تخطيط، ص٤٥٦
- ٥٠- إجدى قرى سامراء، من المحتمل أن يكون مكان المطيرة في الموضوع الحالي المعروف باسم (سور الجبرتي) دليل بأن لا يوجد بناء أضر منه في هذه المنطقة، وهي تقع على مسافة فرسخين (عشرة كيلو مترات) إلى جنوب سامراء (بلدان اليعقوبي، ص٢٦٥؛ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٢، مطبعة المعارف (بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٦٩ . والظاهر أنَّ منطقة المطيرة كانت تتمتع بميزات تجعلها طيبة السكن، أشبه أرض الله تعالى بالجنان من لطافة الجو وطيب التربة وكثرة الرياحين . يُنظر: بلدان اليعقوبي، ص٦٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٩٦٠، ص٤٦١؛ العميد، تخطيط المدن العربية الإسلامية، ص٤٤٤ .
- ٥١- للتوسع: ياقوت، معجم، ج٣، ص١٧٣-١٧٤
- ٥٢- بلدان اليعقوبي، ص٦٦؛ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٤
- ٥٣- تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٤؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٥٧
- ٥٤- Fouilles, a Samarra en Mesopotamie, Leiden publication, London, 1911" p.17
- ٥٥- العميد، تخطيط، ص٤٥٧
- ٥٦- المرجع نفسه، ص٤٥٧
- ٥٧- مديرية الآثار العراقية، سامراء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، د.ت.)، ص٥١ وما بعدها .
- ٥٨- المرجع السابق، ص٥٣ .
- ٥٩- Herzfeld, E--Samarra Aufnahm und Unt ersuchungen Zur islamischen Archaologie "Berlin,1907"p. 217
- ٦٠- المرجع السابق، ص٢١٨
- ٦١- العميد، تخطيط، ص٤٦١
- ٦٢- هرزفيلد، ص٢٠١
- ٦٣- العميد، تخطيط، ص٤٦٣
- ٦٤- المرجع نفسه، ص٤٦٤

- ٦٥- ينظر: المرجع نفسه ، ص٤٦٤
 ٦٦- المرجع نفسه ، ص ٤٦٤-٤٦٥
 ٦٧- هرزفيلد ، ص ٢٠٢
 ٦٨- ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٤ (فصل سامراء) .
 ٦٩- المصدر السابق ، ج ٣، ص ١٧٤ (فصل سامراء) .
 ٧٠- تاريخ اليعقوبي ، ج ٢، ص ١٦٨؛ تاريخ الطبري، ج ٩، ص ١٣٣ .
 ٧١- تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧١ وما بعدها .
 ٧٢- بلدان اليعقوبي، ص ٦٥
 ٧٣- المصدر السابق، ص ٦٦-٦٧
 ٧٤- للتوسع: تاريخ الطبري، ج ٩، ص ١٧٦
 ٧٥- بلدان اليعقوبي، ص ٦٦
 ٧٦- المصدر السابق، ص ٦٧
 ٧٧- ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨
 ٧٨- مروج الذهب، ج ٧، ص ٢٧٦٨
 ٧٩- للتوسع: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٦٠
 ٨٠- بلدان اليعقوبي، ص ٦٨
 ٨١- المصدر السابق ، ص ٦٨
 ٨٢- المصدر نفسه ، ص ٦٨
 ٨٣- تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢
 ٨٤- بلدان اليعقوبي، ج ٦٨ ؛ ابن الأثير، الكامل ، ج ٥، ص ٢٨٠ وما بعدها .
 ٨٥- ينظر: شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ والحضارة، مطبعة المعارف (القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، ج ٣، ص ١٩٥
 ٨٦- للتوسع: البلاذري، فتوح، ج ١، ص ٢٨٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٣١٦؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص ٢٣١؛ تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٥٥
 ٨٧- ياقوت، معجم، ج ٣، ص ١٧٤ (فصل سامراء)؛ ابن الأثير، الكامل ، ج ٦، ص ٢١٦
 ٨٨- ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن الخليفة المنوكل بالله (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) ، ديوان شعر ابن المعتز، صنعة: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس أحمد السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ٣٦٧ قافية الميم .
 ٨٩- ينظر: العميد، تخطيط، ص ٤٣٠؛ الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص ١٤٧



جامع سامراء الكبير



بركة السباح في قصر الخليفة المنوكل



الابنية في القرآن الكريم

أ.و.لله نافع جاسم

مركز أحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

Alaanafia66@gmail.com

المخلص

ورد في القرآن الكريم أسماء بعض السور إرتبطت أسمائها بالعمارة والتعمير والبناء كسورة "الكهف" و"الحجرات" و"البلد" فضلاً عن ورود أسماء بعض المدن والقرى مثل بكة "مكة" ، والمدينة وكذلك ذكر بعض المدن من الحضارات التي سبقت الإسلام كمدينة "أرم" ، ومدينة "سبأ" لذا تطرقت في البحث إلى مفهوم البناء في اللغة والحضارات القديمة ، و مفهوم البناء في القرآن الكريم ، والأبنية في القرآن الكريم وهي الأبنية المميزة على سطح الأرض منذ الخليقة وما نزلت من أديان سماوية على الرسل والأنبياء وأقوامهم مما أدى إلى وجود علاقة روحانية مع هذه المباني المقدسة كما هي : "الكعبة - بيت الله الحرام ، البروج المشيدة ، الصَّرْحُ ، السِّدِّ ، وذات العماد " التي تُعد موعظة وعبرة للبشرية جمعاء .
الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم ، البناء ، الابنية .

Buildings in the Holy Quran

Prof. Dr. Alaa Nafia Jassim

**Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage /
University of Baghdad**

Summary

In the Noble Qur'an the names of some surahs are mentioned, and their names are related to architecture, construction and building as the "Cave", "Al-Hujurat" and "Al-Balad", in addition to the names of some cities and villages such as Bakkah "Makkah" and Medina, as well as mentioning some cities from the civilizations that preceded Islam such as Medina "Arm" And the city of Saba, therefore, in the research I touched upon the concept of building in the language and ancient civilizations,



the concept of building in the Holy Qur'an, and the buildings in the Noble Qur'an which are the distinctive buildings on the surface of the earth since creation and what divine religions were revealed to the messengers, prophets and their people, which led to the existence of A spiritual relationship with these sacred buildings as they are: "The Kaaba - the Sacred House of God, the Constructed Zodiac, the Monument, the Dam, and the Pillar" which is a sermon and a lesson for all humankind.

Key words: the Holy Quran, Build, Buildings

المقدمة :

إن الأبنية في القرآن الكريم يعنى الحديث عن جانب مهم من جوانب الكتاب المبين إذ كانت عنايته بها، من أجل تحقيق أهدافه الكبرى . فوردت كلمة (البناء) في القرآن الكريم كبناء (المساجد ، والقصور، والسدود ، والبروج ، والصروح ، والبيوت ٠٠٠ الخ) ووردت كلمة (البناء) في المعاجم بأنها نقيض الهدم، أي إنه بناء الشيء لضم بعضه لبعض . والبناء والتعمير هو نوع من أنواع الفنون الذي له فائدة للإنسان . فهناك بناء وعمارة مدنية وحربية ودينية.

فالعمارة المدنية امتازت بالهشاشة نوعاً ما وذلك لقلة ما بقي منها ويرجع إلى طبيعة البناء والمواد التي بُنيت بها فأنها تكون سريعة التلف، كما هو في القصور والمنازل. والعمارة الحربية التي تمثلت بالاسوار والابراج والقلاع والحصون فكان سر بقاء عدد كبير منها يرجع إلى جدرانها السمكية التي نستطيع مواجهة تقلبات الطبيعة والصعود أمامها فضلا عن وجود عدد كبير منها على الجبال أو في الصحراء أو على طرق التجارة .

أما العمارة الدينية كالمعابد والمساجد فأنها تكون سريعة في البناء والإصلاح والترميم من قبل الناس أدى إلى بقائها مدة أطول وإلى يومنا هذا.

لذا قسم هذا البحث على مبحثين :

* مفهوم البناء في اللغة والحضارات القديمة .

* مفهوم البناء في القرآن الكريم .

* الأبنية في القرآن الكريم .

* الخاتمة .

* قائمة المصادر والمراجع .

مفهوم البناء في اللغة والحضارات القديمة

وردت كلمة (البناء) في المعاجم (البنى) نقيض الهدم بناءً بينيه بنياً ، بناءً ، وبنياً ، وبنية وبناية ، والبناء: المبنى ، أبنية ، أبنيات^(١) .

^١ - الراوي : الطاهر احمد ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المميز و أساس البلاغة ، ط٢ ، ج٢ ، ص٣٢٩ . الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج١ ، ص٤٩ .

وكذلك وردت في معجم مقاييس اللغة كلمة (بنى) الباء والنون والياء واحد وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض تقول بنيت الشيء أبنية^(١) .
ولابد من التعرف على فن البناء والتعمير ، وقيم الفنون العربية القديمة والفنون الإسلامية .

لذا امتازت حضارة وادي الرافدين من حيث العمارة بظهور مجاميع معقدة من الأبنية لا تزال تُعد حتى اليوم من أفخم الأعمال العمرانية وأكثرها تأثيراً ، وكانت هذه الأبنية مضمورة أوجدتها البشرية .^(٢)

كانت بداية فن العمارة السومرية واحداً من أعظم مظاهرها المميزة والذي كان مع مادة اللبن التي تؤلف العنصر الأساس لفن العمارة السومرية ينسجم مع نفسية إنسان الشرق الأدنى وموقفه من الحياة والذي لا يوجد في نظره شيء ثابت بل يدور في حلقة ثابتة من التطور والانحلال .^(٣)

وإن هذه الخصائص التي ظهرت في فن العمارة السومرية في الفترة الأولى من عصر فجر التاريخ بدت غريبة لطبيعتها الحقيقية – كالبناء بالحجر- أو التركيز المنصب على استعمال الأعمدة لتفادي ثقل البناء .^(٤)

أي إن فن العمارة والبناء حدث تغيير أساسي امتد من اللبنة المنفردة إلى أسلوب عمل الأسس ومن المخطط الجزئي إلى المخطط الكلي للبناء ، وكان البناء للمعابد والقصور وقد كان الطين واللبن والمخاريط والفسيفساء التي كانت سمات مميزة لعصر فجر التاريخ ، ما لبثت إن اختفت بالتدريج وحلت محلها طريقة للبناء تستخدم اللبن المعروف باسم اللبن المحذب المستوي.^(٥)

وكان للعرب نشاطات فنية كثيرة في العمارة في الحقبة التي سبقت الإسلام أي في شبه الجزيرة العربية فهي مصدر للإلهام الفني وأستقى العرب منها أصول الفن والعمارة ، فإن الأساليب الفنية التي نمت وازدهرت في العمارة الإسلامية المختلفة كانت استمراراً لفنون ما بين النهرين ووادي النيل وبلاد الشام واليمن وهي من أرقى أنواع الفنون القديمة وأكثرها ديمومة وحيوية ، وعدّها لها الإسلام وادخل عليها تطورات جديدة ، فأصبحت فنون عربية إسلامية فيها أصالة الفن العربي وذوق وروح الإسلام فيها .

إن انتفاع الفن الإسلامي من الفنون العربية كالأسوار والأبراج والقصور الفخمة ، وكما هو موجود في المراكز الحضارية كتدمر التي سكنها الكنعانيون العرب

١ - ابن زكريا ، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مصر / سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧١م / ج١/ ص ٣٠٢ .

٢ - مورتكات : أنطون ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي / طبع في مطبعة الأديب البغدادية ، ص ١٩ .

٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٦٤ .



ثم الأراميون ثم خضعت للفرس والروم إلا إنها في النهاية إن آثارها الباقية من القصور والقلاع ذات طابع عربي في البناء والعمارة .^(١)

وكما هو الحال في الحيرة بالعراق سكنها المناذرة قبل الإسلام مارسوا البناء والتعمير كان ذات طراز عربي جديد وفريد من نوعه . وضعه أحدث المعماريون العرب آنذاك لبناء قصور فخمة في الحيرة كقصر السدير والخورنق والرواء .^(٢)

وننتقل إلى الغساسنة التي اشتهرت ببناء القصور الفخمة كقصر الأبيض الذي يطلق عليه خربة البيضاء الذي يقع في البادية جنوبي دمشق .^(٣)

وازدهرت فنون العمارة والبناء كالقصور والمدن والنحت في بعض الدول العربية القديمة كاليمن و تدمر والبتراء ، إلا إنها لم تتطور ، وبظهور الإسلام ونشوء المجتمع الجديد أدى إلى تطور فنون مختلفة فيه والتي أعتبرت من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية ، وهذا واضح لاسيما المباني في العراق ، والشام ، وتركيا ، وإيران ، ومصر ، وشمال إفريقيا ، والمغرب ، والأندلس ٠٠٠ الخ .

وعادة إن كل الشعوب تأخذ وتقتبس من فنون العمارة والفنون من الدول التي سبقتها أو الدول المجاورة .^(٤) إلا إن فن العمارة والبناء في العالم الإسلامي قد ميزها عن الفنون الأخرى ببعض الصفات كالبابلية والفرعونية والساسانية واليونانية والرومانية والبيزنطية التي تتابعت في بلاد الشرق قبل مجيء الإسلام .

وإن تعاليم الإسلام وطبيعة المجتمع الإسلامي وحاجاته الدينية والدينيوية هي التي حددت الإطار العام للفنون الإسلامية .^(٥)

وهذا واضح من خلال نشأة فن عمارة المساجد إنها تلبية لحاجة دينية فأرتبط المسجد بالدين .

كما ارتبطت المعابد بالعقائد الدينية ، لذا فإن المعمار شيد المساجد والقصور من اجل الخليفة أو الأمير وبناء المدارس والأضرحة .^(٦)

إذن المساجد أهم ما بناه المسلمون من الأبنية التي تمثلت فيه العمارة الإسلامية والفن الإسلامي معاً لما امتازت بالبساطة أولاً ثم أخذ المسلمون يعتنون ويوسعون مساحتها ويبنونها بالحجارة والأعمدة كما هو مسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أول نموذج للمساجد الإسلامية .^(٧)

١ - محمد حسين جودي ، الفن العربي الإسلامي ، الطبعة الأولى ، سنة ٢٨٤٤ هـ - ٢٠٠٧ م ، ص ٢٠-٢٢ .

٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

٣ - المصدر ، ٢٣ .

٤ - إبراهيم سلمان الكروي و د . عبد التواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ،

منشورات ذات السلاسل / الكويت ، ص ٤٨٩-٤٩٠ .

٥ - الم أنور الرفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، دار الفكر ، ط٢ ، سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ،

ص ١٠-١١

٦ - أنور الرفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، دار الفكر ، ط٢ ، سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ص ١٠-

١١

٧ - المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

مفهوم البناء في القرآن الكريم

وردت كلمة (البناء) في القرآن الكريم بمواضع مختلفة فوردت (بنياناً ، وبنيان ، وأ تبنون، وبناء، وبينى) ، فنذكر بعض هذه الآيات التي وردت ومنها :
قال الله تعالى " ٠٠٠ فقالوا أبناو عليهم بُنياناً رَبَّهُم أعلمُ بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهمُ مستجداً . " (١)

وقال الله تعالى " يحُبُّ الَّذِينَ يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بُنيان مرصوص . " (٢)
وقال الله تعالى " أ تبنون بكل ربيع آية تعيثون ٠٠٠ " (٣)

وقال الله تعالى " والشياطين كل بناء وخواص " (٤)

فالآية التي وردت في سورة الكهف قال الله تعالى " أَعثرنا عليهم ليعلموا أنَّ وعدَ الله حقٌّ وأنَّ الساعة لا ريبَ فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا آ بنوا عليهم بُنياناً رَبَّهُم أعلمُ بهم قال الَّذِينَ غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهمُ مسجداً . "

فبالنسبة إلى أصحاب الكهف قد اختلفت الآراء حول البناء الذي بينى عليهم بعد استيقاظهم ، فمنهم قالوا " آ بنوا عليهم بُنياناً " كما تبنى المقابر كما قال بعضهم إتخذوا مسجداً على باب الكهف ، وإن هذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس (فقالوا) أي قال مشركوا ذلك الوقت " إبنوا عليهم بنياناً " إي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البُنيان كما يُقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار " ربهم أعلم بهم " ومعناه ربهم أعلم بحالهم ٠٠٠ " قال الذين غلبوا على أمرهم " يعني الملك المؤمن وأصحابه وقيل أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجيائي " لنتخذنَّ عليهم مسجداً " أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم ودلّ على ذلك إن الغلبة كانوا للمؤمنين وقيل مسجداً يصلي فيه أصحاب الكهف إذ استيقظوا ٠٠٠ " (٥)

وهنا هل المقصود بُنيان مسجداً كالمسجد المعروف عند المسلمين أم هو مكان للتعبد .

وكما وردت كلمة (أُتَبُّونَ) في قوله تعالى " أُتَبُّونَ بكل ربيع آية تُعَبُّونَ " .

وهنا جاءت هذه الكلمة وجهها الله سبحانه وتعالى إلى قوم عاد إنكم تُتَبُّونَ بكل مكان مرتفع و قيل بكل شرف عن ابن عباس ، وعن الكلبي والضحاك والظاهر انهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنياناً يبدو للناظر من بُعد كأنه علامة والقصد من ذلك هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة . (٦)

١ - سورة الكهف ، آية ٢١ .

٢ - سورة الصف ، آية ٤ .

٣ - سورة الشعراء : آية : ١٢٨ .

٤ - سورة الروم ، آية ٣٧ .

٥ - الطبرسي : علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ووقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه ، هاشم الرسول المحلاتي، دار أحياء التراث العربي، بيروت /ج٦/ص ٤٦٠ .

٦ - المصدر نفسه ، ج ٨، ص ٩٨ .



بكل طريق " آية تعبثون " أي تَبُون لا تحتاجون إليه لسكناكم وإنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كأنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثاً .
 أي كما قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " إن لكل بناء بينى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدّ منه " وقيل معناهُ إنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسائلة فيسخرُوا منهم ويعبثُوا بهم عن الكلبى والضحاك .^(١)
 ومن ثم سماه عبثاً ولو كان لهواية المارة ومعرفة الاتجاه ما قال لهم (أتعبثون) فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد وتنفق البراعة وينفق المال فيما هو ضرورى ونافع لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة .^(٢)
 أي إن إرث البناء الحضارى جاء لحاجة الإنسان الضرورية وليس من أجل التفاخر والتباهى والخلود ذلك عبثاً في الأرض .
 وجاءت كلمة (بنيان) بقوله تعالى " إنَّ الله يُحبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ في سبيله صنفًا كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ . "

هنا يصف المسلمون أنفسهم عند القتال صفًا وقيل يقاتلون كأنه بُني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رصٌّ على البناء في أحكامه واتصاله واستقامته أعلم الله سبحانه إنه يحبُّ من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله إياهم إنه يريد ثوابهم ومنافعهم .^(٣)
 أي أجمع المفسرون بأن " كأنهم بنيان مرصوص " أن يلتصق بعضها ببعض من الصف في القتال .^(٤)
 فهُنا جاء تشبه قوة الإيمان والثبات عليه للقتال في سبيل الله بقوة ورسانة البناء .

الأبنية في القرآن الكريم

يُعد القرآن الكريم هو مصدر استراتيجى مهم يصلح لكل زمان ومكان على مدار العصور فأن ما ورد من آيات بينات هي أحكام وعبر للبشرية جمعاء فلا بد الأخذ بها والاعتاظ منها . فهناك آيات عدة تشير إلى البناء والعمران ومنها الأبنية المميزة على سطح الأرض منذ الخليقة وما نزلت من أديان سماوية على الرسل والأنبياء وأقوامهم مما أدى إلى وجود علاقة روحانية مع هذه المباني المقدسة كما هو في الدين الإسلامى بيت الله الحرام وما تمثله من معاني روحية ودينية ، والمسجد الأقصى الذى يخطى مكانة عالية لدى جميع المسلمين أي القبلة الأولى لهم وهو المكان الذى أسرى إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم لذا إن البناء والتعمير له دور كبير في تجسيد القيم الروحانية والدينية عند البشرية .

١ - المصدر نفسه .

٢ - سيد قطب ، تفسير في ظلال القرآن / دار الشروق / الطبعة السادسة / سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / ج ٥ / ٢٦٠٩/ .

٣ - الطبرسى ، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن ، مصدر سابق / ج ١٠ / ص ٢٧٨ .

٤ - ابن كثير ، أبى الفداء إسماعيل ، (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم / دار الجبل/ بيروت / ج ٤ ، ص ٣٥٤ ، الطبرسى ، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ٢٧٨ .

وقبل توضيح هذه الآيات لا بد من إحصاء بعض منها كالآتي :
قال الله تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ . " (١)

وقال الله تعالى " أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بروجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا . " (٢)

وقال الله تعالى " فَكَايُنُ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْشِهَا وَبَنُرٍ مُّعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ " (٣)

وقال الله تعالى " قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٤)

وقال الله تعالى " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهُنَّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ " (٥)

وقال الله تعالى " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهُنُّ أَبْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ آلَا سَبَبٍ " (٦)

وقال الله تعالى " حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَنِي السُّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مَفْسُودُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا " (٧)

وقال الله تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ' إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ' الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ' وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الْأَصْحَرَ بِالْوَادِ " . (٨)

الكعبة - بيت الله الحرام

لقد وردت كلمة الكعبة وبيت الله الحرام ومكة في القرآن الكريم ولكن جاءت بمواضع عدة :

قال الله تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ كَمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " (٩)

- ١ - سورة آل عمران - آية ٩٦ .
- ٢ - سورة النساء ، آية ٧٨ .
- ٣ - سورة الحج ، آية ٤٥ .
- ٤ - سورة النمل ، آية ٤٤ .
- ٥ - سورة القصص ، آية ٣٨ .
- ٦ - سورة غافر ، آية ٣٦ .
- ٧ - سورة سبأ ، آية ٩٢ .
- ٨ - سورة الفجر ، آية ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .
- ٩ - سورة آل عمران ، آية ٩٦ .



قال الله تعالى " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " (١).

قال الله تعالى : إِمَّا إِمْرُتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا " (٢)
قال الله تعالى " لَا أَقْمُتُمْ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنْتَ جَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَوَلَدٌ وَمَا وَلَدٌ " . (٣)
قال الله تعالى " وَالنِّينَ وَالزَّيْتُونَ ، وَطُورَ سَيْنِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدَ الْأَمِينَ " (٤)
قال الله تعالى " جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَأَشْهَرَ الْحَرَامَ وَالْهُدَى وَالْقَلْدَ . . " (٥)

قال الله تعالى " ما كان للمشركين أن يعمرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ، إِمَّا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . " (٦)

إن ذكر (البلد) في القرآن الكريم يشير إلى مكة ، ولمكة أسماء عديدة ، مكة لا يقصد به (ما حوالية) (٧) ، وبكة يقصد (موضع البيت) (٨) ، وأم القرى ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الأمين والمأمون ، وصلاح والحاطمة تحطم من أستخف بها ، والعرش على وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة ، والرأس ، وكوناء والبلدة ، والبنية ، والكعبة ، واليباسة تبسم بساً أي تخرجهم إخراجاً إذ أعشموا أو ظلموا . (٩)
ومعنى كلمة (بكة) التي وردت في القرآن الكريم قيل لأنها تنك أعناق الجبارة إذا أحدثوا فيها شيئاً ، وقيل بكة إسم لبطن مكة لأنهم كانوا يتباكون فيها أي يزدهمون ، وقيل بكة موضع البيت ، ولكن أجمع أهل اللغة بأن بكة ومكة واحدة ، وهي مدينة قديمة البناء أزيلية معمورة مقصودة من جميع الأراضي الإسلامية وإليها حججهم وهي بين شعاب الجبال (١٠).

أما بالنسبة إلى (الكعبة) وردت في القرآن الكريم قوله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قِيَامًا لِلنَّاسِ " (١١) لأنها مكعبة ، (والبيت العتيق) يذكر ياقوت لعنته من الجبارين

- ١ - سورة إبراهيم ، آية ٣٥ .
- ٢ - سورة النمل ، آية ٩١ .
- ٣ - سورة البلد ، آية ١ ، ٢ ، ٣ .
- ٤ - سورة النين ، آية ١ ، ٢ ، ٣ .
- ٥ - سورة المائدة ، آية ٩٧ .
- ٦ - سورة التوبة ، آية ١٧ .
- ٧ - البكري ، عبد الله عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ) ، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا / بيروت / ج ١ / ص ٢٦٩ .
- ٨ - المصدر نفسه .
- ٩ - الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ج ١ ، ٣٢٦ .
- ١٠ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ج ١ ، ٣٦٢ ، الحميري : محمد عبد المنعم الروض المعطر في خبر الأقطار / تحقيق ، د. إحسان عباس ، بيروت / ص ٩٣ ، الطبرسي ، تفسير مجمع البيان / ج ٢ / ٤٧٧ .
- ١١ - سورة المائدة ، آية ٩٧ .

أي لا يتجبرون عنده بل يندللون ، وكذلك الكريم وكل شيء كرم وحسن قيل له عتيق .
(١) وكذلك البيت الحرام ، والبيت المعمور (٢).

لذا تعتبر الكعبة هي أحد الأبنية الشاهقة التي وردت في القرآن الكريم وإنها أول بناء عمراني للعبادة بُني على سطح الأرض وهي شاخصة حتى قيام الساعة فوردت في القرآن قوله تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ " (٣)

يقول ابن كثير " إنه أول بيت للعبادة بُني للناس فكانت هناك بيوت قبله وهو أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ومن دخله أمناً " (٤).

وتفسير آخر إنها دُحيت الأرض من تحتها وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والأرض من تحتها وهو خلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء ، وقال إنها كانت درة بيضاء وروى أبو خديجة عنه (ع) قال إن الله أنزله لأدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء ، فأمر الله تعالى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ببناء هذا البيت على القواعد . (٥)

وعن ابي الدرداء : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ، قال : المسجد الحرام ، قلت ثم أي قال : المسجد الأقصى ، قلت كم كان بينهما قال أربعون عاماً . (٦) لذا أجمع العلماء على أن الكعبة هي أول بيت وضع للناس للعبادة . (٧)

(وفيه آيات بيّنات) أي دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم وإن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى " مقام إبراهيم" يعني الذي لما أرتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل عليه السلام . (٨)

أما بالنسبة إلى بناء الكعبة فقد اختلفت الروايات حول عدد المرات التي بُنيت فيها وحول إعادة بنائها ، فأشار الأزرقى على إن البناء الأول يعود إلى الملائكة (٩) ونُسب البناء الثاني إلى آدم (عليه السلام) ، (١٠) والبناء الثالث إلى أولاده . (١١)

- ١ - الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، بيروت ، م ، ١ ، ٥٢١ .
- ٢ - الأزرقى ، أخبار مكة ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٨٠ .
- ٣ - تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٣٦٢ ، الطبرسي ، تفسير مجمع القرآن ، ج ٢ ، ص ٤٧٧ .
- ٤ - الطبرسي ، تفسير مجمع القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
- ٥ - البخارى ، الصحيح ، ج ٤ ، رقم ١٧٧ .
- ٦ - ابن ضياء ، محمد بن أحمد بن محمد المكي (ت ٨٥٤هـ) - ٤٥٠ م ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق ، علاء إبراهيم الأزهرى وأيمن نصر الأزهرى ، دار الكتب العلمية / ط١ ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ٣٨ .
- ٧ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .
- ٨ - أنظر التفاصيل في أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٣٣ ، النابلسي ، عبد الغني ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الشام ومصر والحجاز ، القاهرة ، سنة ١٩٨٦ م ، ص ٤٤٣ .
- ٩ - أنظر التفاصيل في أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٤٣ ، الطباطبائي ، مهدي بن مرتضى الشهير بـ (بحر العلوم) ، ت ١٢١٢هـ ، تحفة الكرام في تاريخ مكة والمسجد الحرام ، رسالة ماجستير / دراسة تحقيق ، للطالب محمد عزيز عبد الأمير الوحيد ، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م ، ص ٨١ .
- ١٠ - أنظر أخبار مكة ، ج ١ / ص ٥١ .



ومن ثم بناها إبراهيم الخليل وولده إسماعيل (عليهما السلام) وذلك بعد غرق الكعبة في زمن نوح عليه السلام ، وكان موضعه أكمه حمراء مدورة لا تعلوها السيول ، غير أن الناس يعلمون موضعه ولكن لا يعلمون مكانه ولا ثبوته .^(١)

فأوحى الله تعالى إلى النبي إبراهيم عليه السلام بمكانه قال تعالى " وإذ بَوَّأْنَا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أن لا تُشركَ بي شيئاً وطَّهرَ بيْتي للطائفينَ والقائمينَ والرُّكعِ السُّجودِ * وأذنَ في النَّاسِ بالحجِّ يأتوكَ رجالاً وَ عَلَى كُلِّ ضامرِ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميقٍ * ليشهدوا منافعَ لَهُمُ ويذكروا اسمَ اللَّهِ في أيامِ معلوماتٍ " ^(٢)

وأمرَ الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام في بناء الكعبة كما جاء في القرآن الكريم ومساعدة ولده إليه إسماعيل عليه السلام .

قال الله تعالى " وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ في البيتِ وَ إسماعيلُ رَبَّنَا تقبلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسلمينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةً مُسلمةً لَكَ وَارنا منا سَكناً وَنُب عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ آلتوابِ الرَّحيمِ. " ^(٤)

إنَّ الكعبةَ التي بناها إبراهيم عليه السلام كان ارتفاعها تسعة أذرع وعرضه في الأرض من جهة الحجر الأسود إلى الركن الشمالي اثنين وثلاثون ذراعاً وعرضه من الشمالي إلى الغربي اثنين وعشرين ذراعاً وطوله من جهة ظهر البيت من الغربي إلى اليماني إحدى وثلاثين ذراعاً وعرضه ومن اليماني إلى الحجر الأسود عشرين ذراعاً. ^(٥)

وأشار العلامة بحر العلوم نقلاً عن ابن * الحاج " أن بناء إبراهيم عليه السلام كان مدوراً من ورائه وكان للبيت ركنان وهما اليمانيان وإنما ريعته ، هذا يؤيد اسمها من التكيب فلما ارتفع البناء أتاه إسماعيل عليه السلام بالمقام وهو الحجر الذي وضع رجله عليه يوم غسلت رأسه زوجه إسماعيل فقام عليه وكان ينقله من محل إلى محل فقيل له المقام . " ^(٦)

وقد تعرضت الكعبة على مرَّ العصور إلى حوادث عدة منها تعرض إبراهيم الحبشي لها (بحادثة الفيل) ، وكذلك عندما شب حريق بها فعزمت قريش على أعمارها وبنائها والتي شارك فيها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بخمس سنوات . ^(٧)

١ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٣ .

٢ - سورة الحج ، الآيات ٢٦-٢٧ .

٣ - سورة البقرة ، آية ٢٦ ، ٢٧ .

٤ - سورة البقرة ، آية ١٢٧ - ١٢٨ .

٥ - إنظر المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،

تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ج ٣ ، ص ٧٢ ، أحمد رجب

محمد علي ، المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومها في الفن الإسلامي ، الدار المصرية ، ص ٣٦ - ٤٠ .

٦ - الطباطبائي ، تحفة الكرام في تاريخ مكة والمسجد الحرام ، رسالة ماجستير ، ص ٩٦ .

٧ - المصدر نفسه .

وقد نالت الكعبة بناء وترميم وإضافات أخرى من قبل عبد الله بن الزبير بعد حصار الحُصين بن النمير لعبد الله بن الزبير سنة ست وعشرين من المحرم سنة أربع وستين من الهجرة بعد رميهم للبيت بالمجانيق المنصوبة على جبل أبي قُبَيْس^(١).
وبعدها استمر البناء والتعمير للكعبة في زمن الحجاج بعد قتل عبد الله بن الزبير عمل على حذف وإزالة كل ما أضافه عبد الله بعد أستأذنه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان^(٢)

ولم تتوقف الإضافات والتعميرات إلى الكعبة والمسجد الحرام بل استمرت في زمن الوليد بن عبد الملك ، وحدث أيضاً في العصر العباسي من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٣٩هـ والخليفة المهدي سنة ١٦٤هـ والخليفة المعتضد سنة ٢٧٩هـ والخليفة المعتز سنة ٣٧٦هـ ، واستمرت أيضاً في ظل الأنظمة السياسية التي حكمت تلك البلاد إلى وقتنا هذا .

البروج المشيدة

وهي إحدى الشواهد التي أشار إليها القرآن الكريم وهي في غاية الأهمية ، لأنها ليست بناء وعمران بل فيها من الأمثلة والعبر والدروس والحكم والموعظة فظهر فن البناء والعمارة في العصور التي سبقت الإسلام بما فيها من إبداعات في البناء والتعمير كما هو موجود في حاضرة شبه الجزيرة العربية بما فيها من معابد وقصور وقلاع وحصون وما أضافوا فيه من نحت بارز على الجدران والزخارف والصور الجدارية إن هذا الارتفاع والشموخ والرقى الحضاري مهما كان من قوة ومثانة إلا إن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء بقدرته الخارقة والجبارة يستطيع فعل ما يريد فلا تمنعه هذه القصور والقلاع وما تحيط به من قوة ورسانة .

قال الله تعالى " أينما تكونوا يُدرككم الموتُ ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصيهم حسنة يؤولوا هذه من عند الله وإن تُصيهم سيئة يؤولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً . " ^(٣)

يقول ابن كثير " أينما تكونوا يُدرككم الموتُ ولو كنتم في بروج مشيدة " أي أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو أحد منكم كما قال تعالى " كل من عليها فان وقوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت" والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة ولا ينجو من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهد فإن له أجلاً محتوماً . ^(٤)

١ - الأزرقي ، أخبار مكة ، ج ١ ، ١٥٦ ، ١٥٩ .

٢ - الطباطبائي ، تحفة الكرام في تاريخ مكة والمسجد الحرام ، رسالة ماجستير /ص ٨٨-٨٩ ، أحمد رجب ،

المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومها في الفن الإسلامي ، ص ٤٠-٤١ .

٣ - سورة النساء ، آية ٧٨ .

٤ - تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .



ويذكر الطبرسي " ولو كنتم في بروج مُشيدة" هُنا يقصد بالبروج القصور ، وعن مجاهد وقتادة قيل قصور في السماء بأعيانها ، وقيل البيوت التي فوق الحصون وقيل الحصون والقلاع عن ابن عباس ، ويعني بالمشيدة المجصصة (١) ، " والمشيدة" بالتحقيق هي المزينة بالشيد وهو الجص ومن شاد القصر إذ ارفعه . (٢) وقوله تعالى " فكأين في قريةٍ أهلكتها وهي ظالمة" فهي خاويةٌ على عُرُوشها وبئرٌ معطلَةٌ وقصرٌ مُشيدٌ " (٣)

يذكر ابن كثير " كم من قريةٍ أهلكتها " وهي ظالمة " أي مكذبة لرسولها " فهي خاوية على عروشها " قال الضحاك سقوفها قد خربت ومنازلها تعطلت وحوافها " وبئرٌ معطلَةٌ " أي لا يستقي منها ولا يردها احد بعد كثرة وارديها والازدحام وقال آخرون هو المنيف المرتفع وأيضا قال آخرون المشيد المنيع الحصى ، وإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا أحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم . (٤)

ورد معنى (صرح) في اللغة بأنه الصاد والراء والحاء أصل فتقاس ، يدل على ظهور الشيء وبروزة (٥). والصرح : بيتٌ واحدٌ يُبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء وكلُّ بناء عال فهو صرّح (٦).

ومعنى الصرّح في التفسير هو البناء الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وإن بُعد وهو من التصريح بالأمر وهو إظهاره بأتم الإظهار . (٧) القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار ومساحتها وصحتها وأصله من الوضوح . (٨) ويقول ابن كثير أيضاً " أصل الصرّح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، والصرّح قصر في اليمن عالي البناء ، والممرد المبنى بناء محكماً أملس (في قوارير) أي زجاج وتمريد البناء تمليسه . (٩) لذا اجمع اللغويين والمفسرين بأن الصرّح هو القصر وكل بناء مرتفع.

- ١ - تفسير مجمع القرآن ، ج٣ ، ص٧٨ .
- ٢ - الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر (ت٥٢٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التلاوة وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، وهو تفسير القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ج١ ، ص٥٣٨ .
- ٣ - سورة الحج ، آية ٤٥ .
- ٤ - تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص٢٢٠ .
- ٥ - (زكريا ، لأبي الحسين احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ن الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٠ م ، مصر ، ج٣ ، ص٣٤٧ .
- ٦ - المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٤٨ ، البكري ، معجم ما أستعجم ، م٣ ، ص٤٠٠ .
- ٧ - تفسير مجمع البيان ، ج٨ ، ص٢٥٣ .
- ٨ - المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٢٢ ، الزمخشري ، ج٣ ، ص٣٧٠ .
- ٩ - تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص٢٥٤ .

قال الله تعالى " قيل لها ادخلي الصّرح فلما رأته حسبنهُ لجةً وكشفت عن ساقبها قال إنهُ صرّحٌ مُمرّدٌ من قوارير قالت ربّ إنني ظلمتُ نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ الصّرح العالمين"^(١)

ذكر المفسرون " قيل لها ادخلي الصّرح" الصّرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف ، وذكر ان سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح المنبسط من قوارير أجرى نحوه الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل إنه قصر من قوارير أي من زجاج كأنه الماء بياضاً لكن الزجاج يحول بين الماش وبينه وقال أبو عبيدة كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح وإنما أمر سليمان عليه السلام بالصّرح لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة .^(٢)

ويقول الزمخشري وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره ، وتحققاً لثبوته وثباتاً على الدين وزعموا أنّ الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية ، وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والأنس ، فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام إلى ملك هو أشد وأقطع ، فقالوا له : الحمار فاختر عقلها بتكثير العرش ، وأتخذ الصّرح ليعرف ساقبها ورجلها ، فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً لا أنها شعراء ، ثم طرف بصره .^(٣)

ويذكر ابن كثير " قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصّرح ليربها ملكاً هو أعز من ملكها وسلطاناً أعظم من سلطانها " فلما رأته حسبتهُ لجةً وكشفت عن ساقبها " لا تشك انه ماء تخوضه فقيل لها إنه (صّرح ممرّد من قوارير) فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله.

والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرأ عظيماً صنيعاً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأته ما آتاه الله وجلاله ما هو فيه وتبصرت في أمره إنقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم وأسلمت لله عز وجل وقالت " ربّ إنني ظلمتُ نفسي" أي بما سلف في كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله " وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين " أي متابعة لدين سليمان من عبادة الله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً .^(٤)

١ - سورة النمل ، ٤٤ .

٢ - الطبرسي ، مجمع تفسير القرآن ، ج ٨ ، ٢٢٤ ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ٩٩ .

٣ - الكشاف عن حقائق غوامض التلاوة وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ .

٤ - تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ٣٥٣ - ٣٥٤ .



وكذلك قوله تعالى " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ وَإِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ^(١) .

فى هذه الآية يقول ابن كثير يُخبر الله تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه فى دعواه الآلهية لنفسه القبيحة لعنه الله كما قال الله تعالى " فأستخف قومهُ فأطاعوه " ، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالالهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم وقوله " فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى " .

بمعنى إنه أمر فرعون وزيره هامان مدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعنى يتخذ له أجراً لبناء الصرح وهو القصر المنيف أرفيع العالى ، أى إن فرعون بنى هذا الصرح الذى لم ير فى الدنيا بناء أعلى منه إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون ولهذا قال " وإنى لأظنه من الكاذبين " ^(٢) .

وكذلك قوله تعالى " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لى صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ " .

السَّد

معنى السد لغويًا السين والذال أصلٌ واحد وهو يدل على ردم شيء وملائمته من ذلك سددت الكلمة سدًا ، وكل حاجز بين الشيئين سدّ . ^(٣)

قال الله تعالى " حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدِّينِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ فَاْمَكِّنْ فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَرَدْمًا * أَنُوْنِى زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونى أفرغ عليه قطراً " . ^(٤)

وذو القرنين قال الله تعالى " إنا مكنا له فى الأرض " أى أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود والآت الحرب والحصارات ولهذا مُلِّك المشارق والمغارب فى الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، وهو ملك سبر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك . ^(٥)

يقول ابن كثير " ذى القرنين سلك طريقاً من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحيان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك

١ - سورة القصص ، آية ٣٨ .
٢ - تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .
٣ - معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٦٦ .
٤ - سورة الكهف ، آية ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٩٥ .
٥ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

فيعيشون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام.

وقوله تعالى " وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً " أي الاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً " قال ابن جُريح عن عطاء عن ابن عباس أجراً عظيماً يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سداً فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير " ما مكني فيه ربي خير " أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونهُ ، وقال ذا القرنين أنا الذي فيه خير من الذي تذبلونه ولكن ساعدوني بقوة أي بعلمكم والآت البناء " أجل بينكم وبينهم ردماً أتوني زبر الحديد " والزبر جمع زبرة وهي القطعة عن ابن عباس وهي كاللبنة يقال كل لبنة زنة قنطار بالدمشقي أو تزيد عليه " حتى إذا ساوى بين الصدفين " أي وضع على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً واختلَفوا في مساحة عرضه وطوله " قال انفخوا " أي أجنح عليه النار حتى صار كله ناراً " قال أتوني أفرغ عليه قطراً " قال ابن عباس ومجاهد الخ هو النحاس زاد بعضهم المذاب ولهذا يشبه بالبرد المجر .

وقيل بعث الخليفة الواصل في دولته بعض أمرائه وجهاز معه جيشاً سرية لينظر إلى السد ويعاينوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس ورأوا فيه باباً عظيماً وعليه أقفال عظيمة . " (١)

أي أن الله سبحانه وتعالى بقدرته وعظمته وقوته أن يخلق الأسباب لقضائه على الطاغية والمفسدون في الأرض من خلال إرسال الرُسل والأنبياء أو من خلال إرسال بعض الأشخاص الصالحين والمصلحين والمنقذين كذو القرنين وغيره .
وقوله تعالى " لقد كان لسبأ في مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور " فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبأ لعرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمطٍ وأثلٍ وشيء من سد قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجزى الا الكفور . " (٢)

يقول سيد قطب سبأ اسم لقوم يسكنون جنوبي اليمن وكانوا في أرض خصبة وقد أرتقوا في سلم الحضارة . (٣) فكان الماء يأتيهم من بين رجلين وتجتمع إليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقدم فبنوا بينهما سداً عظيماً حتى أرتفع الماء

١ - المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠١-١٠٢ .
٢ - سورة سبأ ، الآيات ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .
٣ - تفسير في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ٢٩٠٠ .



وحكم على حافات الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار ، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويُعرف بسد مأرب ^(١) .

لذا يقول المفسر ابن كثير وقول الله تعالى " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية " ، " جنتان عن يمين وشمال " أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك " كلوا من رزق ربكم واشكروا الله له بلدة طيبة ورب غفور " أي غفور لكم إن استمررتم على التوحيد وقوله الله تعالى " فأعرضوا " أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما انعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله وقوله تعالى " فأرسلنا عليهم سيل العرم " ، والعرم المراد به المياه ، وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير ٠٠٠ لما أراد الله عقوبتهم أرسل عليهم العرم وبعث على السداد به من الأرض يقال لها الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانيير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانيير وولجت إلى السد فنقبتة فانهار عليهم ، فأنساب عليهم وخرب الأبنية والأشجار وقال الله تعالى " وبدلناهم بجنتيهم جنتين نواتى " ^(٢)

ذات العماد

جاء في التفسير (ذات العماد هو اسم المدينة ، وكان اهل عمد بدويين أو طوال الأجسام على تشبيه قودهم بالأعمدة ومنه قولهم : رجلٌ مُعمد وعمدان : إذا كان طويلاً ، وقيل : ذات البناء الرفيع) . ^(٣)

قال الله تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بعاد ^(٦) إرم ذات العماد ^(٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد ^(٨) وتمود الذين جابوا الصخر بالواد ^(٩) وفرعون ذي الأوتاد ^(١٠) " ^(٤)

وعاد إنها من العرب العربة أو البادية وكان مسكنهم بالأحفاف وهي كتب من الرمال من جنوبي الجزيرة بين حضرموت واليمن ، وكانوا بدواً ذوي خيام تقوم على عمد ، وقد وصفوا في القرآن بالقوة والبطش ، وكانت قبيلة عاد هي أقوى قبيلة في وقتها وأميزها ^(٥) .

يقول الزمخشري " إرم ذات العماد " وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صبيحة من السماء فهلكوا . ^(٦)

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق مثلها في البلاد أي مثل عاد عظم أجر أم قوة كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع ، وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقاها

١ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥١٠ - ٥١١ .

٢ - المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١١ .

٣ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج ٤ ، ص ٧٤٧ .

٤ - سورة الفجر ، آية ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

٥ - سيد قطب ، تفسير في ظلال القرآن ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ج ٦ ، ص ٣٩٠٣ .

٦ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج ٤ ، ص ٧٤٨ .

على الحي فيهلكهم، ولم يخلق مثلها " وثمرود أذنين جابوا الصخر بالواد" قطعوا صخر الجبال ، قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها .^(١) كقوله تعالى " وبؤاكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتتحتون الجبال بيوتاً"^(٢) أتر لكم الله فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتاً تأودن إليها " وتتخذون من سهولها قصوراً" أي في سهولها الدور والقصور لأنها ليس فيها مشقة ، وقوله تعالى " وتتحتون الجبال بيوتاً " هنا قال ابن عباس كانوا (يقصد بهم ثمود) يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء أحصى وادفاً ويروى أن لطول أعمارهم يحتاجون لأن ينحتوا بيوتاً^(٣) في الجبال لأن السقوف والأبنية كانت تُبلى قبل فناء أعمارهم " ذو الأوتاد" لكثرة جنوده (يقصد به الملك شداد ملك الدنيا ودانت له ملوكها) ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذ انزلوا أو لتعذيبهم بالأوتاد .^(٤)

- ١ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج ٤ ، ص ٧٤٨ ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٥٠٨-٥٠٩ .
- ٢ - سورة الأعراف ، آية ٧٤ .
- ٣ - الطبرسي ، مجمع تفسير القرآن ، ص ٤٤٠ .
- ٤ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج ٤ ، ص ٧٤٨ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- (١) الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت نحو ٢٥٠هـ/٨٦٤م) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق ، رشدي الصالح ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٥ م .
 - (٢) البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ - ٨٧٢ م) ، التاريخ الكبير (دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٦م .)
 - (٣) إبراهيم ، سلمان الكروي ، و د . عبد التواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .
 - (٤) بحر العلوم ، مهدي بن مرتضى الطباطبائي ، (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م) ، تحفة الكرام في تاريخ مكة والمسجد الحرام ، رسالة ماجستير ، دراسة وتحقيق / للطالب : محمد عزيز عبد الأمير الوحيد ، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
 - (٥) أنور الرفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
 - (٦) البكري ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، (ت ٤٨٧هـ) معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ، بيروت .
 - (٧) الحموي ، أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، بيروت .
 - (٨) سيد قطب ، تفسير في ظلال القرآن ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، (سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .



ومن خلال ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يريد في الإنسان الا عبادته وعدم الإشراف فيه وعدم تحديه والقيام بالعمل الصالح للبشرية لذا مهما يقم به الإنسان من بناء وعمران شامخ وصلد وقوة ومماناة الا عن قوة الله سبحانه وتعالى وعظمته وقدره خلقه فوق كل شيء لهؤلاء الذين تحدوا الخالق البارئ العظيم وأظهروا جبروتهم وقوتهم وبطشهم وتحديهم أمامه من خلال مبانيهم الشاهقة والمذهلة للناظر الا إنها لا تقف أمام الله سبحانه وتعالى سوف ينزل الله عليهم غضبه وعقوبته لأن الله سبحانه وتعالى يرصد خلقه فيما يعلمون لما يسعون في الدنيا والآخرة .

الخاتمة:

بعد عرضنا لبعض من الآيات البيئات التي توضح فيها البناء الذي قام به الإنسان فمنها كانت للعبادة كما هو في الكعبة المشرفة التي بناها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ، وهي المكان المبارك والمطهر للبشرية ، وهناك من أخذ لأجل التحدي لله سبحانه وتعالى ولأنبيائه مما ألحق الله بهم بطشه وغضبه.

إن ما ذكرت من آيات في كتاب الله الكريم كانت موعظة وعبرة للبشرية جمعاء من اجل السير والعمل بها وإنها توضح ما جاء به الرسل والأنبياء من هداية لعبادة الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد والذي لم يؤمن بذلك هم من المشركين والكفار والجبابرة أمثال فرعون وقوم عاد وثمود ويأجوج ومأجوج فهما كانوا في قوة وطغيان وما يعثون به من فساد وكفر وفسق في الأرض وما يقومون به من بناء وعمارة شاهقة كقصور مرتفعة وحصون وقلاع إلا أن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء أي (فوق كل علم عليم) وذلك لا يعلم إلا الله فهو قادر على فناء هذا الجبروت وإعلاء كلمته .

- ٩) ابن ضياء ، محمد بن احمد بن محمد المكي ، (ت ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهرى ، وأيمن نصر الأزهرى / دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٧م .
- ١٠) الطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ - ١١٥٣م) مجمع البيان في تفسير القرآن . وافق على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : هاشم الرسول المحلاتي / دار أحياء التراث العلمي .
- ١١) الراوي ، الطاهر احمد ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المميز وأساس البلاغة ، الطبعة الثانية .
- ١٢) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس .
- ١٣) ابن زكريا ، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، (سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧١م) ، مصر .
- ١٤) الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨هـ - ١١٣٣م) ، الكشاف عن حقائق غوامض التلاوة وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / وهو تفسير القرآن الكريم / بيروت ، لبنان .
- ١٥) علي ، احمد رجب محمد ، المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومها في الفن الإسلامي / الدار المصرية اللبنانية .
- ١٦) ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م) ، تفسير القرآن العظيم ، دار الجبل - بيروت .
- ١٧) جودي ، محمد حسين ، الفن العربي الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (سنة ٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) .
- ١٨) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا / بيروت ١٩٨٨م .

الحياة الاجتماعية في بغداد (الأعياد والمناسبات في العصر العباسي)

أ. و. (إسلام محسن حسين)
مركز أحياء التراث / جامعة بغداد

الملخص

إحتضنت دار السلام ، المدينة المعطاء ، أجناساً بشرية كثيرة ، يدينون بأديان ومذاهب مختلفة ، ويحملون أفكاراً شتى أغلبها جديد على ما كان يألفه سكان بغداد في نواح كثيرة من حياتهم . ولشيوخ روح الالفة بين الناس عامة ، دخلت إلى حياتهم أنماط غريبة عليهم من عادات وتقاليد ، شاركوا في إحيائها والتمتع بمباهجها القادمين الجدد ، لذا تنوعت عندهم الأعياد والمناسبات ، فصارت هناك مناسبات رسمية وعملية فضلاً عن العائلية . بعض منها خاص بالدين الإسلامي ، وبعضها تقليدي سابق للإسلام ، وصنف ثالث دوري ، زيادة على مناسبات عائلية مختلفة كالزواج ، والختان ، والحج ، وختم القرآن الكريم وغيرها .
الكلمات المفتاحية : الاجتماعية ، بغداد ، الأعياد والمناسبات

Abstract

The social life in Baghdad, during the Abbasid era, took many forms in the development of its life, its religious and social conditions, its economic conditions, and its political administration, and yet all aspects of life in it were strongly linked to the limits, orders and prohibitions of the Islamic religion, regardless of the historical reality.

The people of Baghdad knew various feasts and occasions, so they had religious feasts, official feasts, and local thirds, in addition to special or family events.

These holidays and events include what appeared during the Islamic eras, and some of them are traditional prior to Islam, and the last periodical



and another type is only on occasions, and their goal was all to relieve oneself and break the daily monotony.

Among the most prominent feasts in the Abbasid era and previous eras that have religious holidays, such as Eid al-Fitr, Eid al-Adha and various other festivals for Jews and Christians, in addition to various occasions such as marriage, circumcision, Hajj, Nowruz and others.

Keywords ; social, Baghdad, holidays and events.

المقدمة :-

أخذت الحياة الإجتماعية في بغداد ، أبان العصر العباسى ، في تطور حياتها وأحوالها الدينية والإجتماعية و أوضاعها الإقتصادية، وإدارتها السياسية صوراً عدة ، ومع ذلك فإن جميع نواحي الحياة فيها ارتبطت بشكل قوى بحدود الدين الإسلامى وأوامره ونواحيه بغض النظر عن الواقع التاريخى .

عرف أهالى بغداد أعياداً ومناسبات شتى ، فكانت عندهم أعياداً دينية ، وأخرى رسمية ، وثالثة محلية ، فضلاً عن المناسبات الولاسيما أو العائلية .

وهذه الأعياد والمناسبات منها ما ظهر خلال العصور الإسلامية ، وبعضها تقليدى سابق للإسلام، وآخر دورى و نوعاً آخر يكون فى المناسبات فحسب، وكان هدفها جميعاً الترويح عن النفس ، وكسر الرتابة اليومية

ومن أبرز الأعياد فى العصر العباسى و العصور السابقة لها الأعياد الدينية ، كعيد الفطر، وعيد الأضحى وأخرى متعددة ولاسيما باليهود والنصارى، زيادة الى المناسبات المختلفة كالزواج، والختان، والحج، والنوروز وغيرها.

تحديد المفاهيم

من المعروف انالمصطلح الواحد يحمل معانى عدة فلا بد لنا من إختيار المعنى المناسب للبحث الذى سنتناوله والمعنين فيه .

١ - الأعياد: -جمع عيد والعيد إسم لما يعود فى الإجتماع العام معتاداً عائداً : اما يعود السنة أو يعودالإسبوع أو يعود الأشهر ، ونحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كىوم الجمعة ويوم الفطر ومنها : إجتماع فيه ومنها أعمال تجمع و ذلك فى العبادات والعادات و يختص ذلك بمكان بعينه ، أو قد يكون مطلقاً من هذه الأمور التى تسمى عيداً^(١) ويعد لفظ العيد إسماً لمجموعة الاعياد والعمل فيه هو الغالب قوله صلى الله عليه وسلم : (دعهما يا ابا بكر ، فان لكل قوم عيداً وان هذه أعيادنا)^(٢)

٢ - العرس: - ومن أعرس فلان أى إتخذ عرساً ، وإعترس بأهله ، إذا بنى بها وكذلك إذا غشيتها ، ولا تقل عرس

١ - ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ،مخالفة اصحاب الجحيم ، مطبعة دار المعرفة ، بلا ت، ص ١٨٩
٢ - البخارى ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعدي (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح بخارى ، تقديم الشيخ احمد شاکر ، بيروت - دار الجيل ، ١٣١٣هـ

والعروس : نعت يستوي فيه الرجل والمرأة و يقال :رجل عروس في اعراس و عرس وإمرأة عروس في نسوة عرائس . وفي المثل كاد العروس ان يكون اميرا .
وفي الحديث : فاصبح عروساً ، يقول للرجل عروسا كما يقال للمرأة . وهو إسم لها عند دخول احدهما بالآخر .

قال ابو عبيدة في كما نقله ابن منظور في لسان العرب قوله عرس :يعني طعام الوليمة وهو الذي يعمل عند العرس يسمى عرساً بإسم سببه^(١)
وأخيراً قال الأزهري : العرس أسم من أعرس الرجل بأهله وإذا بنا عليها واخل بها ، وكل واحد من الزوجين عروس يقال للرجل : عروس وللمرأة كذلك ، ثم تسمى الوليمة عرساً : وعرس الرجل إمرأته^(٢) .

٣ - الختان :-الختان في اللغة العربية : اختن هو القطع ، ختن الولد يخته أو يخته فهو ختنين .والمختون أي قطع غرلته^(٣) .

وفي (الوجيز) جاء ختن الصبي ختناً وفتاناً : قطع قلفته فهو خاتن ومختون وختين .
اما في (لسان العرب) فيعرف الختن : ختن الغلام والجارية يختهما ويختهما ختناً ، والإسم الختان والختيان والختانة ، هو مختنون .

وفي الشرع :هو قطع مخصوص من عضو مخصوص، فالختان هو شريعة واجبة بدأها نبينا ابراهيم عليه السلام وهو أمر الله جل وعلى لرسوله بإتباع ملة ابراهيم (عليه السلام) على وجه الخصوص

لمحة تاريخية عن الأعياد والمناسبات .

وضعت البشرية منذ ان تلاحمت وكونت مجتمعاً منتظماً ، أسساً لحياة إجتماعية ذات قيم وعادات مارستها بأشكال مختلفة ، كل حسب مجتمعه وزمانه .
من هذه القيم والعادات ما استمر مع استمرار الزمن بسبب كونه ذي صلة مباشرة بمجتمع دون سواه ولتعددتها وإختلافها خلال حقب طويلة الحدث ، كان لايد وان تتخذ شكلاً أكثر إنتظاماً عن السابق ، وإن كان العيد أو المناسبة هي ذاتها . فأصبحت هناك أعياداً دينية ، ومناسبات إجتماعية .

في عصور ما قبل التاريخ كانت تقام الإحتفالات في أيام محدودة تجتمع فيها القبائل البدائية ، وتجري طقوساً ذات طابع ديني أو علاجي لأجل سقوط المطر، أو وفرة الصيد ،أو تكاثر الحيوانات وغيرها .

وفي العراق القديم إحتلت الأعياد مجالاً واسعاً في حياتهم اليومية ، وتقام عادة في أيام معلومة من السنة، يشارك فيها عامة الناس ، وتتسم بتنوعها ، فالإحتفال بها قد يكون الإنتهاء من بناء معبد لإله المدينة ، أو عودة جيش منتصر من جبهة قتال ، أو أية مناسبة أخرى تستحق الإجلال والاحترام مثل الزواج المقدس عند السومريين اذ تمثل

١- ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، بيروت دار صادر ،بلا ت م^٦ ،ص١٣٤-١٣٥ .

٢- لمصدر نفسه م^٦ ،ص ١٣٥

٣- القاموس ، ج٢، ص١٦ .



الآلهة بهيئة بشر من الجنسين الذكر والأنثى ، و قوى الغضب تمثل بالآلهة الأم^(١) . ويصادف القيام بمراسيم الزواج المقدس في عيد رأس السنة السومرية ، وتقام احتفالات كبيرة في سومر وتحديدا في زمن الملكوديا ٢١٥٠ ق.م ، كما يتزامن مع عيد نوروز عند الفرس اذ تقدم الهدايا ، وهناك العديد من الأعياد الأخرى (كيوم القمر الجديد)^(٢) وتختتم مراسيم الزواج المقدس عادة بإقامة إحتفالية كبيرة تؤدى فيها الرقصات والأغاني على صوت الموسيقى وتقدم المشروبات ، وتحر القرابين وهي مناسبة ينتظرها الناس عامة والفقراء ولاسيما لتناول اللحوم التي يصعب الحصول عليها في حياتهم اليومية^(٣) وعيداً آخر يستغرق مدة أطول واكثر تعقيدا هو عيد (اكتيو) ويستمر (١٢) يوم ، يُحتفل فيه على نطاق واسع يشمل معابد المدن في بلاد الرافدين^(٤) . ويحتل الإحتفال بالنصر على الأعداء مكانة ولاسيما في نفوس الحكام والناس على السواء ، فهي مناسبة مهمة بالنسبة لملوك بلاد الرافدين ، تُنظم عند دخول الجيش المدينة عائداً من ساحة الوغى ، ويقيم الملك دعوة غداء بحضور الملكة كما هو موضح في (لوحة الوليمة) التي تمثل الملك آشوربانيبال(٦٦٩-٦٢٦ ق.م)جالسا في حديقة قصره وأمامه الملكة يحتفلان بالنصر الساحق الذي حققه الجيش الآشوري على دولة عيلام .

شهد مجتمع بلاد الرافدين أعياداً متعددة إرتبطت جميعها بالآلهة ، فكان لكل شهر عيد خاص يسمى بإسم ذلك الشهر الى جانب عيد رأس السنة . ممن الواضح ان الأعياد في أرض الرافدين إحتلت أهمية كبيرة في حياتهم لأسباب مختلفة منها انها ترتبط بالآلهتهم التي يُعظمونها ، وكذلك لا يخفى على أحد ان الإحتفالات الجماعية تُدخل البهجة والسرور في قلوب المشاركين في مثل تجمعات كهذه . من هذا المنطلق فإن الشعور بالفرح أمر ينشده البشر كافة وليس سكان العراق القديم فقط ، وهذا ما نلاحظه في وثائق سُجلت فيها تفاصيل قيام الأفراد بإحتفالاتهم في مناسبات مختلفة منها :

الأعياد عند اليهود :

ذكرت التوراة أو العهد القديم ، كتاب اليهود المقدس أعياداً خمسة هي :

١ - عيد رأس السنة : ويسمونه عيد رأس (هينا) ، ويبدأ عند رأس سنتهم ، ويصادف أول يوم من شهر تشرين(العبري) يوازي عندهم عيد الأضحى في الإسلام . وحسب قولهم ان الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل إبنه وفداه بذبح عظيم^(٥) .

١- ابن منظور ، لسان العرب ،م١٣، ص١٣٧ س .

٢- كارتون كون ، قصة الانسان ترجمة :محمد توفيق حسين ،بغداد ١٩٦٥ ،ص٣١٨

٣- علي ، فاضل عبد الواحد (واخرون) ، الاعياد والاحتفالات ، حضارة العراق ،بغداد ،١٩٨٤، ج١ ص٨٩

٤- علي ،فاضل عبد الواحد ، عشتار ومساة تموز ،بغداد١٩٨٦، ص٨٨.

٥- الاحمد، سامي سعيد (واخرون) الحضارة العراقية في الاديان والمعتقدات ،الاصالة والتاثير ، العراق في موكب الحضارة ، بغداد ، ج ١ ،ص ١٨٨

٢ - عيد صوماريا ويسمونه الكبور، وعندهم هو الصوم العظيم ، مدة هذا الصوم خمسة وعشرون ساعة ومن لم يصمه يقتل عندهم ، ويزعمون ان الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما عدا الزنا بالمحصنة، فضم الرجل اخاه ومجده ربو بيه الله تعالى

٣ - عيد المظلة : ويجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون وسائر الشجر، ويزعمون ان ذلك تذكار منهم لإضلال الله اياهم في السنة بالغمام^(١) .

٤ - عيد الفطر ويسمونه عيد الصفح، وهي سبعة أيام وفيها خلص الله بني اسرائيل من يد فرعون وأغرقه في أحد هذه الأيام .

٥ - وأخيراً عيد الأسابيع : ويدوم سبعة أيام أيضاً، ويقولون انه اليوم الذي خاطب الله فيه بني إسرائيل في طور سيناء .

وزاد اليهود عيدين آخرين غير التي ذكرت في التوراة وهما :

١ - عيد الفوز : وهو عيد سرور ولهو وخلاعة ، يتبادلون فيه الهدايا .

٢ - عيد الحنكة : ومعناه التنظيف لانهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار شيعة الجبار ، وبعضهم يسميه الرباني.

أعياد النصارى :

وأعياد المسيحيين أعياد موروثية عن عصور قديمة ، بعضها يرجع إلى عادات كانت سائدة لدى سكان العراق القدماء^(٢) .

وتصل أعيادهم إلى أربعة عشر عيداً ، يصل عدد الكبار منها إلى سبعة الكبار ، و يتفق النصارى في هذه الأعياد وإن اختلفوا في أخرى حسب طوائفهم^(٣) .

١- عيد البشارة : يقصدون به بشارة جبرائيل عليه السلام لمريم(عليه السلام) بميلاد عيسى (عليه السلام) .

٢ - الزيتون : عيد الشعانين وبالعربية يعني التسبيح ، وهو يوم ركوب المسيح للعفور في القدس ودخوله صهيون، والناس يسبحون بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر .

٣ - عيد الفصح : وهو العيد الكبير عندهم ، يعملون يوم الفطر في صومهم الاكبر يزعمون ان المسيح (عليه السلام) قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة ايام .

٤ - عيد خميس الأربعين : يسمى الشاميون السلاق ويقولون ان المسيح(عليه السلام) تسلف فيه من تلاميذه الى اسماء بعد القيام

٥ - عيد الخميس : هو عيد العنصرية

٦ - عيد الميلاد: ويقولون ان المسيح (عليه السلام) ولد فيه في بيت لحم .

١ - سليمان، عامر (واخرون) جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣، ص٦٣

٢ - علي ، الاعياد والاحتفالات ، حضارة العراق ' بغداد، ١٩٨٤ ، ج١، ص٥٤ .

٣ - المصدر نفسه .



٧ - عيد الغطاس: وينقل لنا القلقشندي ان يحيى بن زكريا(عليه السلام) غسل عيسى (عليه السلام) ببحيرة الأردن . وهناك الأعياد الصغار وهي سبعة أيام أيضا
١- الختان: ويقولون أن المسيح ختن في هذا اليوم .

٢ - عيد الأربعاء

٣ - عيد خميس العهد

٤ - عيد سبت النور

٥ - عيد حد الحدود

٦ - عيد التجلي

٧ - عيد الصليب

وأعياد النصرى هذه ، في كل حالاتها ، وتتميز هذه الأيام عن بقية أيام السنة والشهور انها تُدخل الفرح والسورور على حياتهم ، وهناك أعياد أخرى لا يسعنا المجال لذكرها

أعياد الفرس :

وهناك كتاب كتبه علي بن حمزة الاصبهاني يذكر فيه اسباب اتخاذهم لها الا أننا سنتناول المشهور منها وهي سبع اعياد

١ - عيد النيروز: وهو تعريب نوروز ، ويبدأ عنده الإنقلاب الصيفى ، ويحل مع بدء كل ربيع

يُقال ان أول من إتخذه (جم شاد) ، أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس . والنوروز معناه اليوم الجديد من السنة ، ومدته ستة أيام ، يقدم الوزير وصاحب الخراج الهدايا فيه للملك ، والمعونة ، ثم الناس على طبقاتهم ، اما عوام الناس فكانت عادتهم فيه رفع النار في ليلته ، ورش الماء في صبيحته . واليوم السادس من أيام النيروز عندهم النيروز الأكبر. ولم يقتصر الإحتفال بعيد النيروز على الفرس فحسب بل شمل النصرى أيضا ، وكذلك العرب في العصرين الأموي والعباسي.

٢ - عيد المهرجان : حلوله إيذانا ببدء الإنقلاب الشتوي ، ومدته عند الفرس ستة أيام ، وقد إختلفت الروايات في سبب تسميته بالمهرجان . يقول المسعودي ان أهل العراق وغيرها من المدن يجعلونه اليوم الأول من الشتاء ، فيغيرون فيه الفرش والألات وكثير من الملابس^(١) ، ويفرحون بهذا العيد كبقية الأعياد

٣ - عيد السرقة : ويسمى ايان روز ، وسنتهم فيه إيقاد النيران بسائر الأدهان والولوع بها حتى انهم يلقون بها سائر الحبوب^(٢) .

٤ - عيد الشركان: زعموا ان ارس رمى سهمه لما وقعت المصالحة بين منوجهر وقر اسباب التركي من المملكة على رميه سهم ، ما اصتد السهم في جبال طبرستان الى اعلي طخرستان

٥ - عيد ايام الفرودمان ومعناها تربة الروح

١ - القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي (٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، بلا ت ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ، .
٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

٦ - عيد ركوب الكوسج : وسبب الإحتفال بهذا العيد يرجع الى ان كوسجا كان يشرب في هذه الايام الدواء ويطلّي بدنه فيها فغلب عليها .

٧ - عيد يهمنجة : وسنتهم فيه انهم ياكلون فيه البهمن الابيض بالبن الحامض كونه ينفع الحفظ .

وهذه اعياد تشمل جميع الفرس العامة منهم والولاسيما .

أعياد المسلمين

للمسلمين أعياد ولاسيما بهم كما لليهود والنصارى والفرس ، يُحتفل بها حسب ما جاءت به الشريعة والسنة النبوية . منها عيدين رئيسيين هما عيد الفطر وعيد الأضحى . ويرجع سبب إتخاذهما كما جاء عند أنس بن مالك (رض) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ان الله عز وجل قد بدل كم خيراً منها يوم الأضحى ، ويوم الفطر" (١) .

وأول العيدين عيد الفطر ، وكان في السنة الثانية من الهجرة ، ومدته ثلاثة أيام ، يبدأ من شهر شوال ، ويأتي بعد صيام شهر رمضان وفي اليوم الأخير منه وقفة العيد الأصغر . ويمثل هذا العيد فرحة المسلم بإتمامه فريضة الصوم ، وتجب فيه صدقة الفطر لمساعدة الفقراء (٢) .

اما عيد الأضحى : فيبدأ في السنة الثانية للهجرة ، ومدته أربعة ايام ، تبدأ من عاشر ذي الحجة ، تذبح فيه الأضحية ، ويجتمع الحجاج قبله بيوم (٩ ذي الحجة) في عرفات بمكة ويسمى ذلك اليوم وقفة عيد الأضحى وفي أول أضحي من السنة الثانية للهجرة خرج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة ، فالعيدين إذا قد شرعا في نفس السنة . وعيداً ثالثاً لم يرد ذكره في الكتاب والسنة سمي عيد الغدير ، ويصادف في اليوم الثامن من ذي الحجة ، وسبب إتخاذ عيداً يرجع إلى مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ووقع ذلك لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع نزل بالغدير وأخى بين الصحابة ولم يؤاخي بين علي وبين احد منهم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم منه انكسارا فضمه اليه وقال ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي (...) (٣) .

الأعياد والمناسبات في العصر العباسي :

العيد كما هو معروف عند العرب هو اليوم الذي يعود فيه الفرح أو الحزن كل سنة بفرح مجدد كل يوم فيجتمع (٤) .

١ - الشابشتي، الديارات ، ص٦٠ و ينظر منر ، الاعياد النصرانية تحت موضوع اهل الذمة ص٢٨ .

٢ - الاطرقجي ، رمزيه ، الحياه الاجتماعية في بغداد منذ نشاتها حتى نهاية العصر العباسي الاول ، ط١ ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٨٢ ، ص٣٠٤ .

٣ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص٤١٨ ..

٤ - البيروني ، محمد بن احمد ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، بعنايه ادور سخر ، لبيزغ ، ص٢١٦ .



تكمُن أهمية العيد من الناحية الإجتماعية بكونه يعمل على تقوية الروابط بين أفراد المجتمع، إذ يتم فيه تبادل مشاعر الود والوفاء والإخوة التي تُدخل البهجة والالفة إلى النفس. والإحتفال بالعيد يُساعد على تناسي الضغائن ، وإشاعة المحبة والتسامح بين الأسر . وهدف إجتماعي آخر يتجسد في مناسبة كهذه ، هو التذكير بوجود أناس ضعاف في المجتمع ينبغي على من يملك القدرة تقديم يد العون لهم لتعم الفرحة الناس أجمعين . وهو واحد من أساسيات الدين الإسلامي ، ولهذا تُسرعت صدقة الفطر في عيد الفطر ، وذبح الأضاحي وتوزيع لحومها في عيد الأضحى . وتجد ان المناسبات والاعياد في مشروعية الإسلام واحداثه عامة وولاسيما تقسم الى قسمين :

منها معتبرة اهتم بها الشرع لما فيها من موعظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام والأجيال وتعرض على المجتمع والجماعة والأفراد وبالنهل منها ، وأخرى لم تعتبر أما لكونها مقتصرة في ذاتها او لعدم استطاعة الافراد مسايرتها ، وسنوضح ذلك بشيء من التفصيل من خلال هذه الفقرة

بغداد مدينة السلام بناها ابو جعفر المنصور عام ١٤٥ هجري ، وعاشت عصرها الذهبي ، دينياً ، و سياسياً ، وإقتصادياً ، إجتماعياً ، وثقافياً ، وعمرانياً بفضل حكامها ، وأصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية ، و محط أنظار العالم ، مُستقطبة التاجر، والمفكر وطالب العلم ، والفقهاء ، والمؤرخ ، وغيرهم ممن كانوا يقصدون نهل العلم ، والمعرفة ، والخيرات، من منابعها التي لا تنضب .

إحتظنت دار السلام، المدينة المِعطاء، أنجاساً بشرية كثيرة، يدينون بأديان ومذاهب مختلفة، ويحملون أفكاراً شتى أغلبها جديد على ما كان يألفه سكان بغداد في نواح كثيرة من حياتهم. ولشيوخ روح الالفة بين الناس عامة، دخلت إلى حياتهم أنماط غريبة عليهم من عادات وتقاليد، شاركوا في إحيائها والتمتع بمباهجها القادمين الجدد، لذا تنوعت عندهم الأعياد والمناسبات، فصارت هناك مناسبات رسمية وعملية فضلاً عن العائلية بعض منها خاص بالدين الإسلامي، وبعضها تقليدي سابق للإسلام، وصنف ثالث دوري، زيادة إلى مناسبات عائلية مختلفة كالزواج، والختان، والحج، وختم القرآن الكريم وغيرها.

١ - المناسبات الإسلامية :

يوم الجمعة

يوم الجمعة هو يوم آدم عليه السلام، فيه خُلِق ، وفيه خُلقت الروح ، وفيه أُسكن الجنة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه تاب عليه السلام ، وفيه تقوم الساعة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة : " ان هذا اليوم جعله الله للمسلمين عيداً " (١) ، والدليل على كونها عيداً ، اذا جاء بالنهاي عن صيام يومها منفردا الى ان يسبقه يوماً او يعقبه صوم بعده .

١ - الفلقشندي ،صبح الاعشى وج ١ ،ص ٤١٨ .

وقد عني الإسلام بهذا اليوم فحث على القراءة المنوه عنها في صلاه الفجر ، وأدائها بصدق وإرتداء ثياب تليق بمناسبة كهذه^(١)، ووجوب الإغتسال بها ، والتطيب والتكبير عند الذهاب إلى المسجد ، ولكن دون غلو وإفراط^(٢) .

يقول المقدسي في وصفه ليوم الجمعة في بغداد ، انه يوم مشهود وذا أهمية إجتماعية ، تتصل فيه المراسم والخطبة بالسلطة ، فقد حرص العباسيون على إقامة صلاه الجمعة في مساجد جماعية أو جوامع إمتازت بسعة مساحاتها. وفي عهد الخليفة المنصور كان يحيط بالمسجد حرس الخليفة ، ويظهر المنصور مرتدياً ثياباً سوداً في الحر ، وقلنسوة مطوقة بوبر أسود ثمين ، وتتلى في المسجد سبع قراءات مختلفة من القرآن الكريم ، ويقف على منبر الجامع الخطيب وهو الحجاج بن أرتأ ، حتى إذا إنتهى من خطبته تقدم إليه بعض الحاضرين يستفتونه في مسائل فقهية .

وفي العصور التي تلت ذلك أخذ الخلفاء يقلدون إمامة مساجد بغداد لرجال مقربين، فكان الحسن ابن عبد العزيز الهاشمي إماماً لجامع الرصافة في سنة ٣٦١ هـ ، وإبنة أبو بكر إماماً لجامع دار الخلافة ، وإبنة عثمان إماماً في جامع المنصور .

وكان خطباء المساجد يلبسون عند إلقاءهم خطبة الجمعة ، القباء الأسود كونه الزي الرسمي للفقهاء ، والقضاة حتى سنة ٤٠٠ هـ ، وبعدها أصبح هذا الزي مقصوراً على الخطباء والمؤرخين. وكانت الصلاة تؤدي في مساجد بغداد والرصافة ، حتى إستخلف المكتفي سنة ٢٨٩ هـ فأمر بان يجعل في موضع المطامير التي بناها أبو المعتضد ، في القصر الحسني ، لحبس الاعداء في المسجد، وهكذا أقيمت الصلاة يوم الجمعة في بغداد ، في ثلاث مساجد منذ عهد المكتفي ، زيادة إلى وجود مساجد أخرى في بغداد ، تقام فيها صلاة الجمعة منها مسجد براءة ، ومسجد الحربي وغيرها . وذكر الخطيب البغدادي ان صفوف المصلين في القرن الثالث الهجري كانت تمتد من جامع المنصور إلى باب خرسان على دجلة ، والصلاة قائمة بمكبرين يتلون التكبير عن الركوع والسجود والنهوض والقعود ، و يضطر المصلون إلى الصلاة في سمرياتهم ، لكثرة الإزدحام . وفي القرن الرابع الهجري كان المصلون في جامع الرصافة يقفون على مسافة توازي المسافة السابقة ، وكان في دار الخلافة دار ولاسيما عرفت بدار الطبل، اهلها بالمبكمين مليئة بل ساعات لمعرفة وقت التأذين فإذا دخل وقت الصلاة ضربت النوبة في جميع الاوقات . و للبغداديين يوم الجمعة اوقات يقصدونها في غير الصلاة ، فيجتمع الشعراء في مسجد المنصور في قبة الشعراء فيتناشدون الشعر ، و البعض الآخر يقضون أوقاتهم في زيارة المعارف والأصدقاء ، وكانت معظم العائلات تجعل راحتها في دورها مما يتطلب إعداد ولائم كبيرة تستلزم كمية من اللحوم .

١ - المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٢٢ .

٢ - ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧ هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (بغداد ، دار العمال ، بلاط) ، ج ٨ ، ص ٥٧ .



مناسبة دينية أخرى تصادف ليلة ٢٧ من رجب ، يحتفل بها المسلمون ، فيها أسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، و لهذا الشهر خصوصية ، إذ تكثر فيه الصدقات و توزع في داخل بغداد وخارجها

شهر رمضان : كان ولا يزال له مكانة كبيرة في نفوس المسلمين على الصعيدين الرسمي والشعبي ، ولذلك أولاه العباسيون جُلَّ إهتمامهم لما فيه من معاني دينية وإنسانية كونه الشهر الذي انزل فيه القرآن الكريم. قال الله تعالى ((شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس))^(١) وقال تعالى ((ومن شهد منك الشهر قل يصمه))^(٢) وهنا جاء أمر الصيام في هذا الشهر. وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: " من صام رمضان وستة من شوال كأنما صام الدهر كله " ^(٣) هنا ترغيب في الصوم .

مارس المسلمون فيه شعائر ولاسيما فكانت الجلوقة في العصر العباسي الأول تقوم بإضاءة المساجد والمآذن ، وكان المأمون يوصي بالاستكثار من القناديل في شهر رمضان لان فيها بهجة. وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين ، واغلب اهالي بغداد كانوا يحيون ليالي هذا الشهر المبارك بالذهاب الى المساجد لصلاة العشاء ، والترأويح ، وتلاوة القرآن الكريم .

ووصف البعض ليالي رمضان البغدادية فقال "ان ليالي الصيام مشرقة بالمصابيح والمساجد ، منيرة بالصلوات والترأويح ، اما العوام فكانوا ينكبون على الملاذ والغناء والفرح الى منتهى العشاء ، ثم ترفع قناديل السحر، وكانت دار الخلافة تضاء بالانوار ويتعالى منها التكبير" .

كانت الحكومة العباسية توزع صدقات رمضان من خلال دور ولاسيما توزع فيها الطعام للفقراء

في شهر رمضان عند حلول الإفطار سميت بدور الضيافة .قال المقرئ "اول من اتخذ دار ضيافة في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبعة عشرة وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره.....، فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه اقام الضيافة لأبناء السبيل والمتعبد في المسجد .

وكانت دار الضيافة التي أنشأها الخليفة عثمان رضي الله عنه رمضان، لأن فيها أنساً للسابلة وضياءاً للمجتهدين ، وقال عنها الطبري "وضع طعام رمضان فقال للمتعب الذي يتخلف في المسجد وبن السبيل والمعتزم بالناس في رمضان"^(٤) .

توسعت دور الضيافة في العصر العباسي ، وارتبطت بالطبق ، وحظيت الضيافة الرمضانية بإهتمام الخلفاء العباسيين بشكل خاص ، إذ وقفت عليه الأراضي الزراعية ، ولتوسيع مهام الطبق في الاعمال والادارة وتنوعها جعلت منه ديوانا مستقلا .

١ - القلقشندي، ج٢ وص٤٢٢ ،

٢ - المصدر نفسه، ج٢ وص٤٢٢ -

٣ - المصدر نفسه، ص٤١٦-٤١٧ ،

٤ - غريبال ، محمد شفيق ، المجموعة الميسرة ، القاهرة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٤٧ ،

ومن الخلفاء العباسيين الذين إهتموا بهذا الشأن: الخليفة الناصر، والمستعصم، الذي أوقف الأراضي الزراعية عليها، وكذلك المستنصر الذي استخرج له نهرا يسقيه من دجيل ووقفه على دار المضيف التي أنشأها في مجال بغداد لفطور الفقراء في شهر (رمضان) ولم تكن ضيافة رمضان دائما تنفق بشكل طعام يتوفر في الدور المخصصة لها، بل كان أحيانا بشكل أموال توزع مباشرة على المحتاجين^(١) ولم تقتصر الصدقات على دار الخلافة فحسب إذ كان العامة من الناس بدورهم يقدمون الصدقات لله لمعرفةهم ان أبواب الجنان تفتح ولا يغلق منها باب واحد على طول الشهر، وتغلق أبواب النار فلا تفتح منها باب واحد على طول الشهر، فانه تعالى يغفر للمستغفرين ويقبل التوبة للتائبين، ويستجيب دعوة الداعي، والله عند كل ليلة فطر من رمضان عتقاء يعتقدهم من النار^(٢).

وتستمر الليالي الرمضانية على هذا الشكل حتى اذا قاربت على الإنتهاء أخرجت دار الخلافة الانعام الى الفقراء، ويبدأ الناس يستعدون للإحتفال بعيد الفطر^(٣).

عيد الفطر:

الأعياد جمع عيد، والعيد إسم لما يعود من الإجتماع العام على وجه معتاد عائد: اما بعود السنة، أو بعود الإسبوع، أو بعود الشهر نحو ذلك. فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة، ومنها إجتماع فيه.

قال ابن عباس: "شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". والمكان قوله صلى الله عليه وسلم "لا تتخذوا قبوري عيداً".

وقد يكون لفظ العيد إسمًا لمجموع العيد، والعمل فيه هو الغالب قوله صلى الله عليه وسلم: "دعها يا ابا بكر، فان لكل قوم عيداً وان هذه اعيادنا"^(٤).

أما عن عيد الفطر: فهو الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال (الشهر العاشر الهجري) ، يلي صيام شهر رمضان، وبعد اليوم الأخير من رمضان وقفة العيد الأصغر. ويمثل العيد فرحة المسلم بأداء فريضة الصوم، وتجب فيه صدقة الفطر لمعاونة الفقراء^(٥). وتبدأ مراسيم إعلان عيد الفطر بمشاهدة هلال شوال ثم الشهادة أمام القضاة، ومن ثم إلى الخليفة إذ يُصدر أمراً بأذان العيد، أما إذا لم يتحقق للناس رؤية هلال شوال فإنهم يكملون عدة رمضان.

وحرص الخلفاء على الإحتفال بهذا العيد، فكان الخليفة أول أيام عيد الفطر يخرج مبكراً في موكب حافل ومهيب، مرتدياً أجمل ملابسه وتتمثل بالقباء الأسود أو البنفسجي الذي يصل إلى الركبة، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر، ويتشج بعباءة

^١ المصدر نفسه، ص ١٢٤٦

^٢ - رضا، احمد، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص ٤٤٧

^٣ - مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، مطبعة ذات السلاسل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٢، ص ٧

^٤ - رواه ابن ماجه،

^٥ - المالكي، ابو طالب محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، القاهرة، ١٩٦١، ج ١، ص ٦٠-٦١



سوءاء ، على رأسه قلنسوة مزينة بجوهرة غالية تتدلى على صورة سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر الثمينة ، وتبلغ طول أكامه ثلاثة أذرع ، يرتدي في قدميه خفاً أحمر أونعالاً^(١) . ويسير مع الخليفة في موكبه كبار رجال الدولة ، مرتدين الأقبية السوداء^(٢) ، ويقفعا مع الناس على جانبي الطريق مرتدين أحسن حُللهم ، ويسير الموكب إلى المسجد الجامع للصلاة ، حيث يستقبله الناس بالتهليل والتكبير وهم ينادون (السلام على أمير المؤمنين ونور الإسلام)، وتلثم أطراف بردته ويُلويح بها فيرد الخليفة عليهم التحية ، حتى إذ الجامع وصلى صلاة العيد، إرتقى المنبر وألقى في الناس خطبة العيد ، وبعدها يعود الخليفة بموكبه إلى قصره ، لإستعراض الجند بملابسهم الرسمية، وهم على ظهور الخيل ، بحف به القواد والقضاة من جانبيه^(٣). وكان الخليفة في يوم العيد يلبس بردة الرسول ، ويضع بين يديه مصحف عثمان^(٤) .

وتُنظّم مواكب أخرى في عيد الفطر لاتقل روعة عن مواكب بعض الخلفاء ، يسير فيها القواد والوزراء كما هو الحال في موكب قائد نازوك في يوم العيد^(٥) .
ويخرج عادة جمع كبير من الناس لرؤية المواكب والعساكر . وبعد إنتهاء المراسم في شوارع مدينة بغداد يتجه الخليفة العباسي إلى قصره فيجلس ليتقبل التهاني ، وتُحظر المآذب وتوزع الهدايا، بينما ينصرف العامة من الناس لتبادل زيارات التهاني بالعيد^(٦) .
تُزين بغداد بالأقمشة الحريرية ذات الألوان الزاهية والأعلام ، ويُضرب فيها بالأبواق والطبول^(٧) ، حتى غدا عيد الفطر في العهد العباسي مناسبة ولاسيما تتصف بالأبهة والعظمة^(٨) ، عيد يُدخل الفرحة إلى قلوب الأطفال، والألفة والتآخي إلى نفوس الفقراء لما يلاقونه من مشاركة من قبل الموسرين ، ويوم لذوي الأرحام فيه تجمعهم الصلة والبر ، ويوم للمسلمين كافة يجمعهم التسامح والتزاور، ويوم للأصدقاء تُجدد بينهم أواصر المحبة والوفاء . إلى هذا المغزى الإجتماعي يرمز تشريع صدقة الفطر في عيد الفطر ، وإطلاق الأيدي الخيرة في مجال الخير، ومساعدة الفقراء وتقديم العون لهم ، وإضفاء روح الدعة والسعادة عليهم كونهم جزء من مجتمع تتبغى فيه إشاعة المشاركة بالفرح . فالعيد ترويح عن النفس بشكل أو بآخر، وكسر الرتابة اليومية بالخروج عنها

١ - عثمان ، محمد ، الأعياد والمناسبات المعتبرة في الإسلام ، صيد الفؤاد ، انترنت
٢ - الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، ٤٣٦ هـ ، تاريخ بغداد ، بيروت - دار الكتاب العربي ، بلا ت . ١م ، ج ١ ، ص ٤٨-٤٩ ، وينظر المقدسي ، المعروف بالبشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بعناية دي غوية ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ١٨٣ .
٣ - سعد ، فهمي عبد الرزاق ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري ، بيروت ، المطبعة الأهلية ١٩٨٣ ، ص ٢٤٧ .
٤ - المقدسي ، احسن التقاسيم ، مصدر سابق ص ١٢٨ .
٥ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٨-١٠٩ .
* السمريات : وهي نوع من السفن
٦ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٨-٤٩ .
٧ - سعد ، فهمي ، العامة في بغداد ، ص ٢٤٧ .
٨ - سورة البقرة ، آيه ١٨٥ .

وذلك بالترفيه والمتعة والارتباط بالواقع الاجتماعي الذي هم فيه ، والتعبير عن الإلتزام بالحياة الاجتماعية.

موسم الحج :

من أركان الإسلام الخمسة حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال الله سبحانه وتعالى : "الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج" (١).

وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم "والحج المبرور ليس له جزاء الى الجنة" (٢).
ما ان يهل شهر ذي القعدة حتى تبدأ إحتفالات بموسم الحج بتوافد الحجاج من جميع أرجاء المعمورة من واسط والبصرة والكوفة ، والمناطق التي تقع شرق العراق كفارس وخراسان وغيرها ، يجتمعون كلهم في الجانب الغربي من بغداد ويضربون الخيم هناك (٣) ، وتقيم لهم الحكومة مواضع ولاسيما لشرب الماء ، وتقدم لهم الأطعمة . وقد بلغ عدد الحجاج المجتمعين ببغداد قبل سفرهم الى الديار المقدسة عدة الآف ، وذكر ابن الجوزي ان عددهم وصل سنة ٤٠٦ هـ إلى عشرين ألف حاج (٤) . وأعداد كهذه ، من المؤكد ، انها تؤدي إلى زيادة الحركة في شوارع عاصمة الدولة الإسلامية ، وإزدحامها بالمارة من قبل الحجاج وأهل المدينة ، وكذلك إلى الإختلاط فيما بينهم مما يعود بالفائدة عليهم كما في عقد اتفاقيات تجارية على سبيل المثال.

إهتم العباسيون بموسم الحج من خلال إشرافهم على تنظيم مواكب الحج السنوي في بغداد، فكان من يتولى رئاسة بعثة الحج في العصرين العباسي الأول والثاني الخلفاء أنفسهم ، أو أولياء العهد ، أو الأمراء .

فخرج مؤسس بغداد الخليفة المنصور للحج سنة ١٤٤هـ (٥) ، وحج سنة وفاته ١٥٨هـ ، ومات محرماً . وعُرف عن الخليفة المهدي انه كان من أكثر الخلفاء العباسيين تمسكاً بتعاليم الإسلام ، إسترضى أهل الحجاز عند ما حج سنة ١٦٠هـ ، ووزع عليهم أموالاً طائلة بلغت ثلاثين مليوناً من الدراهم ، ونصف مليون دينار ومائة وخمسين ألف ثوب ، ومن إهتمامات الخليفة المهدي بالحج توفير التسهيلات للحجاج اذ تم سنة ١٦١هـ تشييد المحطات والبرك بين القادسية ومكة ، وكان أبو العباس بدأ ذلك قبله . كما بنى أبو جعفر المنصور قبله بعض المنازل ، فأمر المهدي ، من جانبه ، ببناء قصور في طريق مكة

١ - سورة البقرة ، ايه ١٩٧

٢ - الاطرقجي، المرجع السابق، ص ٢٩٩ ،

٣ - الثعالبي : عبد الملك بن حمدي اسماعيل ،خاص الخاص ، بيروت -دار مكتبة الحياة ١٩٦٩، ص ٨

وينظر : الكازروني ، مقدمة في قواعد بغداد في الدولة العباسية :تحقيق كوركيس ميخائيل عواد، بغداد، ١٩٦٢م. ص ٥

٤ - الطبري ، ابو جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٠-١٩٦١ ، ج ٨ ، ص ١٦٠ .
الطبق : عرف الطبقات الموقوفة على ضيافة الدولة العباسية للفقراء والحجاج وغيرهم ولاسيما في شهر رمضان

٥ - الرحيم، عبد الحسين مهدي ، الخدمات العامة في بغداد (٤٠٠ - ٦٥٦ هـ / ١٠٠٩-١٢٥٨هـ) ، ط ١ نشر دار الشؤون الثقافية العامة / ١٩٨٧، ص ٤٦ .



أوسع من تلك التي بناها أبو العباس من قبله ، وأمر بآخاذ المصانع في كل منهل ،
وبتديد الأميال والبرك ، وحفر الركايا مع المصانع .
و الخليفة هارون الرشيد كان أول من حج ماشياً من الخلفاء ، يصلي في اليوم مائة
ركعة حتى وفاته ، وحج ثماني حجج ، وغزا ثماني غزوات ، فهو بين حج وغزو طيلة
أيامه ، وفي سنة ١٨٦ هـ حج الرشيد ومعه ولده وقواده ووزرائه وقضائه^(١) .
وفي تنظيم مواكب الحج كانت الحكومة العباسية تختار للحجيج كله أميراً عادة يكون من
الأشراف الطالبين ويتم اختياره بدار الخلافة بحضور القضاة والأشراف والفقهاء فيخلع
عليه الخليفة ، ثم يذهب بمن تجمع في بغداد إلى مكة مفوضاً منه بالخطبة وبحماية قوافل
الحجاج الذين يجتمعون من مختلف أنحاء المشرق في بغداد . ويُصب أميراً للحج هناك
لواء الخليفة ويخطب بإسمه ويعلق قناديل الفضة والذهب التي حملت الى الكعبة بإسمه
والأستار لها^(٢) . وعند عودة الحجاج إلى بغداد كانت هناك مناسبة أخرى يحتفل بها
أهالي بغداد ، فيستقبلونهم بالزينة ، ويضربون لهم القباب . في سنة ٣١٩ هـ وصل
الحجاج إلى بغداد فخرج أهلها إلى إستقبالهم تغمرهم مظاهر الفرح والسرور ، ناشرين
الزينة في الأسواق ، وأخرجوا الثياب والحلي والجواهر . وتُنصب القباب في الشوارع ،
وربما خرج الخليفة لإستقبال الحجاج الخرسانيين^(٣) ويقدم لهم الخليفة الخلع والهدايا^(٤) .
وتنتهي مناسك الحج في ليلة التاسع من ذي الحجة بالوقوف على عرفة وفي صبيحة
اليوم العاشر يقدم الحجاج الأضاحي ويبدأ العيد

عيد الأضحى:

عيد الأضحى أربعة أيام تبدأ من عاشر ذي الحجة (الشهر ١٢ في التقويم
الهجري) ، وهو عيد ديني إسلامي تُذبح فيه الأضحية . ويُجمع الحجاج قبله بيوم على
عرفات بمكة ويسمى ذلك اليوم وقفة عيد الأضحى^(٥) .
وعيد الأضحى لا يقل أهمية عن عيد الفطر ، إذ تتجلى فيه مظاهر الإسلام ، فيذهب
الناس في صباح اليوم الأول منه إلى المساجد لإحياء فريضة الصلاة^(١) .
حرص البغداديون ، على إختلاف طبقاتهم ، على نحر الأضاحي وتوزيع لحومها على
الفقراء والمحتاجين ، وهي صفة ميّزت عيد الأضحى عن غيره ، ولم يكن ذبح الأضاحي
مقصوراً على العامة وحدها فقط ، بل كان الخليفة نفسه يأمر بذبح الأضاحي على أبواب
دار الخلافة وتوزع لحومها على الفقراء . وذكر ان الخليفة المقتر عند ما بويع سنة
٢٩٥ هـ وزع في يوم التروية ، الثاني من شهر ذي الحجة ويوم عرفة (التاسع من شهر

^١ - الخطيب ، البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١ ، ص ٢٨٤

^٢ - حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) والدولة العربية ، في الشرق ومصر
والمغرب والاندلس (١ - ١٣٢ هـ ٦٢٢ ط٧ ، بيروت - دار الاندلس ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ص ٣١٦

^٣ - متفق عليه

^٤ - غريال ، محمد شفيق ، الموسوعة المسيرة ، القاهرة ، الشعب ومؤسسة فرانسيلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ م ،
ص ١٢٤٧

^٥ - رشدي ، صبيحة رشيد ، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية ، بغداد ، مطبعة علاء ، ١٩٨١ م ، ص ٢٩

^٦ - التنوخي ، المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، بعناية عبود الشالجي ، بيروت ، ١٩٧١ م ج ٨ ، ص ٩٠

ذي الحجة) ، من البقر والغنم ثلاثين ألف رأس ، ومن الإبل ألفي رأس^(١) ، كما ورد في لائحة علي بن عيسى ضمن بند نفقات المقتدر المخصصة للأضاحي^(٢) . وكان الصناع ينتهزون فرصة حلول العيد فيصنعون تماثيل على هيئة حيوانات لبيعها للأطفال، وإعتادت الناس إرتداء الثياب الجديدة ، وكانت بغداد ترتدي أبهى حللها ، في شوارعها تسير المواكب ، ويحمل رجالها الأعلام ، وينفخون بالأبواق ويتخذون المحامل^(٣) .

وعن الأعياد المحدثة ذكر منها نقلا عن ابن تيمية ، أول جمعة من رجب ، وعيد غدِير خَم في الثامن عشر من ذي الحجة تُصادف في هذا التاريخ خطبة ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم فيها حث على إتباع السنة وأهل بيته^(٤) . وكان أول من أوجد هذا العيد (معز الدولة البويهى) في سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م^(٥) أحياء الذكرى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في المكان المسمى بـ (الغدِير خَم) بين مكة والمدينة حين عودته من حجة الوداع ، التي قال فيها بعد ان أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما نقل منه: " اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي"^(٦)، وزاد انه إلتفت إلى أصحابه وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه"^(٧)

و تُحيا ليلتها بالصلاة ، وإشعال النيران ، ويلبس الناس الملابس الجديدة ، وينصبون القباب ، وينحرون في صبيحتها الذبائح ، ويعتقون الرقاب ، ويزورون مقابر الأولياء في بغداد والكوفة^(٨) ، ويضربون الأبواق والذبذب وإستمر الإحتفال بها طيلة العهد البويهى ، ولا يزال يحتفل بها إحتفالا شعبيا في العراق^(٩) ، وفي المقابل كان عوام أهل السنة يحتفلون بإحياء ذكرى يوم الغار ، والإحتفال به يكون في السادس والعشرين من ذي الحجة ، وقد أحدثوا هذا العيد في سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م ، إحياءاً لذكرى دخول النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر (رض) غار حراء أثناء الهجرة إلى المدينة ، وإنقاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من أيدي الكفار . وكان الأهالي ا يظهرون الفرح والسرور، فينصبون القباب ، ويرفعون الأعلام ويوقدون

١- ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٣٥ .
٢- الصابي ، هلال بن المحسن ، رسوم دار الخلافة ، بعناية ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ، ص٩٠ .
٣- المصدر نفسه ، ص٩١ .
٤- سعد ، فهمي ، المرجع السابق ، ص٢٤٩ .
٥- فهد ، بدري محمد ، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ، بغداد - مطبعة الرشاد ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧ ، ص١٩٣ .
٦- المصدر نفسه .
٧- المصدر نفسه ، ص١٩٣ .
٨- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٤٤ .
٩- أ. جي بريل ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة: تحرير ياسين ، ط١ ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، ١٩٩٨م ، ج٤ ، ص٢١٥ .



النيران ، ويظهرون الزينات ، كما كان عوام الشيعة يعملون في يوم الغدير، وظل الإحتفال به طيلة القرن الخامس الهجري (١) .

و الإحتفال بالمولد النبوي كما اشار الدوري من المواسم الكبرى التي ينتظرها المسلمون عامة وأهل بغداد على نحو خاص . ويرى ابن تيميه عن عمل المولد ، ما يحدثه بعض الناس اما لأجل معاندة النصارى في عيد ميلاد المسيح (عليه السلام) واما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له . واهتم العباسيون به منذ بداية القرن الرابع الهجري (٢) وللمسيحيين أعياد ولاسيما بهم كانت تقام في بغداد ، ورثوها منذ عهود قديمة ، يرجع بعضها إلى عادات عرفها سكان العراق القدماء (٣) . سبق و ذكرنا ان النصارى يتفقون في الأعياد الكبرى و إختلفوا في بعض الأعياد حسب طوائفهم ، وكان لكل دير من الأديرة في بغداد عيداً خاصاً به مثلاً :

دير سمالوا : يُقام فيه عيد الفصح ببغداد ، وكان منظره يبعث على الدهشة إذ لا يبقى نصراني إلا حضره وتقرب فيه ، وهذا الدير يمثل أحد متنزهات بغداد المشهورة .
دير الثعالب : وله عيد لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين .

دير امسموني : وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول ، وهو من الأيام العظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها كإجتماعهم إلى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللعب إلا خرج إليه ، والمشهد فيه يكون في أروع صورته وأحسنها (٤) .

وهناك الكثير من الأديرة والأعياد للمسيحيين ببغداد في العصر العباسي شارك فيها الإسلام والمسيحيين.

أعياد الفرس: من أعيادهم التي إحتفل بها العباسيون النوروز والمرجان والسدق، وهي أعياد معروفة ترجع إلى أصول فارسية قديمة . وعيد النوروز من أهم الأعياد الفارسية القديمة ، ويصادف أول أيام السنة عندهم ، يحتفل الناس به على إختلاف طبقاتهم في أوائل العصر العباسي ، وكانوا يتبادلون الهدايا فيه ويقيمون الأفراح ، زيادة إلى ذلك فإن بعض الخلفاء إقتدوا بالفرس في جباية الخراج ابان النوروز (٥) .

وكانت الهدايا توزع بين الأمراء والوزراء أيضا ، وتقدم إلى الخلفاء في مثل هذه المناسبة ، فأهدي إلى المأمون سقط ذهب فيه قطعة عود هندي (٦) .

وكان المتوكل أكثر الخلفاء إهتماما بتوزيع الهدايا في هذا العيد ،فقيل انه منح الضمان الشاعر الخليجي في هذه المناسبة مائة دينار على كل بيت من شعره (٧) ، وإعتاد مشاركة العامة فيه ، ومنهم أصحاب السماجات الذين كانوا يحضرون مجلس المتوكل

١ - الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، بلا. مطبعة، ١٩٦٨م، ص ٧٩ .

٢ - المرجع نفسه، ص ١٣٣

٣ - مصطفى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٣ .

٤ - الكازروني، مقامة في قواعد بغداد، ص ٢٥ .

٥ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ٧، ص ٧٥ .

٦ - غريال، المصدر السابق، ص ١٢٤٦ .

٧ - المالكي، المصدر السابق، ج ١، ص ٦ .

وتنثر عليهم النقود^(١)، ومن مظاهر الإحتفال بيوم النوروز ان يرش الماء على المارة، وحدث ان أصاب الجند والشرطة الشيء الكثير منه فنودي في الأرباع والأسواق ببغداد سنة ٢٨٤هـ بالنهي عن رش الماء^(٢).

و بداية عيد المرجان تعني اذانا ببدأ الإنقلاب الشتوي ، ويحتفل به في السادس والعشرين من تشرين الأول ومدته ستة أيام ، اليوم السادس منه يسمى بالمرجان الأكبر، يُحتفل به كبقية الأعياد فيضربوا بالأبواق والطبول ويعلقون الزينة ، ويبدأ الشعراء بتهنئة الخلفاء كما فعل الشريف الرضي عام ٣٧٨هـ ، وكذلك يفعل كبار رجال الدولة ، زيادة إلى تهنئة الأخوة والأصدقاء .

وفي مثل هذا اليوم يجلس الخلفاء للعامه ، يقول الجاحظ : "ولا يحجب الخليفة عنه أحد ، في يومي النوروز والمرجان ، صغيراً ولا كبيراً ولا جاهلاً ولا شريفاً"^(٣).

عيد آخر إنتقلة من الفرس إلى المسلمين هو عيد السدق أو عيد السدق ، الذي كانت تشعل النيران والشموع في ليلته^(٤) ، و تستعمل لأجل ذلك انواع مختلفة من الدهان ، وفي تلك الليلة يخرج عامة بغداد إلى شواطئ دجلة للفرجة على الزوارق وهي تحمل أرباب الدولة بينهم السلطان والوزير ومن إليهم . ولم تكف العامه بالفرجة فحسب بل كانوا يحملون الشموع بأيديهم مشاركين في إحياء تلك الليلة .

المناسبات الولايسما (الأسرية)

تمثل الأعياد التي لا تتقطع كالأحتفالات بالأعراس ، والولادة ، و الختان ، و ختمة القرآن ، ولا تخلو أسرة من واحدة منها . أخذت إحتفالات الطبقة العليا إشكالا عدة من الذبح ، والترف ، والولائم ، والبذخ . اما الطبقتين الوسطى والفقيرة فكانت لكل منها تقاليد المعروفة من الولائم ، ونثر الدراهم ، وتوزيع الطعام والشراب ، ومن قراءة الموالد ، وإحضار المطربين ، وبعض هذه التقاليد والعادات مستتقة من الموروث القديم الذي قد يصل إلى ما قبل الإسلام .

اما عن الإعراس: فيقال قد اعرس فلان اي اتخذ عرسا ، واعرس باهله اذ بنى بها وكذلك اذ غشيتها ولا تقل عرس ، وفي حديث ابن طلحة وام سليم : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعرستم الليلة : قال نعم : قال ابن الأثير أعرس الرجل ، فهو معرس لأنه من توابع الأعراس^(٥).

وما يخص الولائم فكانت معروفة منذ عصر صدر الإسلام ، عن حديث حسان بن ثابت : انه كان اذا دعي الى الطعام افي خرس او عرس او عذر^(٦)

١ - الكازروني ، المصدر السابق، ص ٢٦ .

٢ - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

٣ - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

٤ - ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ .

٥ - القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .

٦ - المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ١٦ و ١٤٦ .



عُرقت في العصر العباسى إحتفالات عامة يشترك في أفراحها ولاسيما الناس وعامتهم منها كما نقل الفلقشندي مناسبات الزواج التي كانت تقام في قصر الخلافة^(١) ، ولعل أكثرها شهرة وبذخاً تلك التي أقامها الخليفة المهدي عند زواج ابنه هارون الرشيد بالسيدة زبيدة ، واقامة الزواج في الزفاف ، اذ إستعملت فيها الأنيئة المصنوعة من الذهب والفضة وبالفرش والبسة الارضية الفاخرة، وأهدى للناس فيهذا اليوم ، أواني مملوءة بالفضة واواني مملوءة بالذهب والمسك والعنبر وزينها بالكثير من الحلبي والجواهر^(٢)، بلغت النفقة في هذا العرس خمسين مليون درهم . كما شهدت بغداد زواجاً بهيجاً رائعاً كان يوم زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل ، فقد دفع لها مهراً قدره (١٠٠) مليون درهم ، ممايعادل حوالي تسعة ملايين دينار^(٣)، وتكفل الخليفة المأمون بنفقات كل المدعويين الى حفل الزفاف طوال إقامتهم في ضيافته . ونثر الحسن بن سهل أموالاً لم ينثرها، ولم يفعلهاملك قبله في الجاهلية ولا في الإسلام . وشمل الكرم هذا الهاشميين والقواد والكتاب ، حيث نثر عليهم بنادق مسك وفي داخلها رقاع بأسماء ضياع ، وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدرهم^(٤).

و أصبح زواج الخليفة المقدر من خاتون بنت السلطان ملك شاه في سنة ٤٨٠ هـ مادة للحديث إستمرت إلى أجيال ، ونقل جهاز العرس على ١٣٠ جملاً تسير معهم الأبواق والطبول والخدم وحوالي ٣٠٠٠ فارس وكان النشار مستمرا مادام الموكب سائرا^(٥) . وكان فرح العامة من الناس بزواج الخلفاء أو كبار رجال الدولة والوزراء يضيف مزيداً من البهجة والسرور على المشاركين بهذا الإحتفال الولاسيما منهم والعامة .

ومن الإحتفالات الاسرية الأخرى التي كان العامة تنتظر حلولها لتسر بها ، ولادة مولود جديد للخليفة أو لأحد الأمراء ، ففي سنة ٤٦١ هـ ولد للأمير عز الدين ولد ، فعلقت العوام الزينة ونصبوا القباب^(٦) . وإحتفلت العامة سنة ٤٧٨ هـ بولادة طفل ثاني للخليفة المقدي(عز لدين) ، فضربت الطبول والأبواق ، ووزعت الصدقات على الفقراء^(٧) ، عندما رزق الخليفة المقدي ولدا في سنة ٤٨٠ هـ ، وإحتفلت الحكومة إحتفالاً رسمياً اذ جلس الوزير للتهنئة بباب الفردوس . وهناك العديد من الولادات التي احتفلت بها العامة مع الخلفاء والأمراء والسلاطين ، اذ تُنصب القباب ، وتُعلق الزينة ، ومسير الملاحون على عجل وجاء الطحانون بارحاء تطحن على الارض^(٨).

وللخلفاء مناسبة أخرى هي ختان الأولاد:

- ١ - فهد ، المصدر السابق ، ص١٩٨.
- ٢ - رحمه الله ، مليحة ، الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ببغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٠، ص١٢٠.
- ٣ - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٥٧ .
- ٤ - مصطفى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٠.
- ٥ - رحمه الله ، المصدر السابق ، ص١١٩.
- ٦ - مصطفى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٠.
- ٧ - الشابشني ، المصدر السابق ، ص٦٠ تحت موضوع اهل الذمة ، ج٢ ، ص٤٨.
- ٨ - المصدر نفسه ، ص٤-٦ و٤٦ ، ص١٤.

أول من أمر بالختان هو نبينا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن"^(١) قال ابن عباس (رض) ابتلاه بالطهارة: خمس في الرأس وخمس في الجسد، وفي الجسد: تقليم الأظافر... والختان....^(٢) وعن أبي هريرة نقل القلقشندي قائلاً: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اختن إبراهيم..... وهو ابن ثمانين سنة بالقدم"^(٣)، فالختان أمر بالوجوب في شريعة وملة نبينا إبراهيم عليه السلام و أمر من الله عز وجل لرسوله بإتباع ملة إبراهيم بوجه خاص . قال تعالى: "ثم أوحينا إليك ان اتبع ملة إبراهيم " ، فالختان مثبت في شريعة النبي ، ثم ان الله تعالى قد أمرنا باتباع هدي نبينا صلى الله عليه وسلم . قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة....."^(٤)

وكان في الختان مناسبة للإحتفال ، ففي ختان أولاد المقنتر جرى ختان جماعة من أولاد العامة . ويرى العامة فيها مناسبة للغناء^(٥) . وكانت العادة في أولاد المسلمين ان يُختنوا وهم غلمان ، لإعتقادهم ان ختان الغلمان أسهل من ختان المواليد الجدد . في سنة ٥١٧هـ احتفل ببيعداد بختان أولاد الخليفة وأولاد اخته البالغ عددهم اثني عشر ولاداً ، فعلفت الزينة ببغداد، ونصبت أنواع كثيرة من القباب وعليها الجواهر والثياب والديباج و كتب عليها اسم الخليفة . و ليس الناس إحتفاءً بهذه المناسبة أغلى ما لديهم من الثياب، وتحلوا بالحلي والجواهر طيلة أيام الإحتفال التي دامت سبعة أيام^(٦) . وهناك إحتفالية دينية فضلاً عن كونها أسرية ، وهي الإحتفال بختم القرآن ، وفيها يجوب الأحداث الشوارع ينشدون الأناشيد ، وتقام المآدب ، وتوزع الحلوى على المقربين إذا كان أهل الحدث من ذوي اليسر^(٧) ويشترك الرجال والنساء على السواء من أبناء الحملة في ذلك الإحتفال^(٨) . ويزينون دورهم ويضعون فيها مجامير الفضة ، ويوقدون فيها النيران الكبيرة ، ويدعون بعض العلماء بحضور مثل هذه الإحتفالات^(٩) . لم تقتصر الإحتفالات في العصر العباسي على مناسبات دينية وعائلية إذ كانت هناك مناسبات رسمية كتشييد بناء . أقام الخليفة أبو جعفر المنصور حفلاً كبيراً شهده رجال الدولة العباسية من الأمراء والعلماء والقواد والأعيان جاءوا ليشهدوا وضع الحجر الأساس للعاصمة الجديدة^(١٠) . فضلاً عن الإحتفال بالانتصارات العسكرية ، وكان يُحتفل أيضاً بتنصيب الخلفاء أو الإحتفال بانتصاراتهم على أعدائهم سواء

- ١ - المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وينظر: القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢، ص١٩٦-٤٢٠ .
- ٢ - القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٢٠ .
- ٣ - المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٧٢ .
- ٤ - رحمه الله ، المرجع السابق ، ص١٢١ .
- ٥ - الطبري ، ابو جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٠-١٩٦١ ، ج٨ ، ص١٨١ .
- ٦ - القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٠٨ .
- ٧ - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٥٧ .
- ٨ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، التاج ، بعناية احمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٤ ، ص٥٩ .
- ٩ - البيروني ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ .
- ١٠ - ابن منظور ، لسان العرب ، م٦ ، ص١٣٤-١٣٥ .



الخارجيين كالبزنطيين ، وأعداء الداخل، أو من الخارجين عن طاعة الدولة ،ومنها الإنتصار على الزنطفي سنة ٢٢٠هـ ، إذ أبدى الخليفة المعتصم وأهالي بغداد سرورهم بنهاية الزنط ، وأمر المعتصم بنفيهم إلى آسيا الصغرى (١). وفي سنة ٥٥٢هـ إحتفلت العامة على اثر إندحار السلطان محمد شاه الذي كان محاصراً ببغداد ، وخرج الناس يلعبون في نهر عيسى وغيره بأنواع اللعب والمضحكات فرحاً بالسلامة(٢). وإحتفل أهل بغداد عام ٤٤١هـ ببناء سور من الأجر حصن الكرخ وقطع ما بينه وبين محلة القلائين . ونقل أهل البصرة في عام ٤٨١هـ أجر القنطرة الجديدة في أطباق من الذهب والفضة وكانت الأبواق و الطبول تضرب طيلة الوقت (٣).

١ - المصدر نفسه ،ص١٣٥.

٢ - متز ، دم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريدة ، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٥، ج٢، ص٢٩٤.

٣ - الاطرقجي ، المصدر السابق ،ص٣٠ .
القرآن الكريم

المصادر والمراجع :

- ١ - الاحمد، سامي سعيد (واخرون) الحضارة العراقية في الاديان والمعتقدات ،الإصالة والتاثير ، العراق في موكب الحضارة ، بغداد .
- ٢ - الاطرقجي ، رمزيه ، الحياه الاجتماعية في بغداد منذ نشاتها حتى نهاية العصر العباسي الاول ،ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٢.
- ٣ - البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعدي(ت ٢٥٦هـ) ، صحيح بخاري ، تقديم الشيخ احمد شاكر ، بيروت - دار الجيل ، ١٣١٣هـ .
- ٤ - البيروني ، محمد بن احمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية ،بعنايه ادور سخو ،ليبزغ .
- ٥ - التتوخي ، المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ،بعنايه عبود الشالجي ،بيروت ، ١٩٧١م .
- ٦ - ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ،مخالفة اصحاب الجحيم ، مطبعة دار المعرفة ،بلا ت .
- ٧ - الشعالبي: عبد الملك بن محمدي اسماعيل ،خاص الخاص ، بيروت -دار مكتبة الحياة ،١٩٦٩
- ٨ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، التاج ، بعنايه احمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٤
- ٩ - ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧ هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (بغداد ، دار العمال ، بلا ت).
- ١٠ - أ. جي بريل ، دائرة المعارف الاسلاميه ،ترجمة: تحرير ياسين ، ط١، مركز الشارقة للابداع الفكري ، ١٩٩٨م .
- ١١ - حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) والدولة العربية ، في الشرق ومصر والمغرب والاندلس (١ - ١٣٢ هـ - ٦٢٢) ط٧ ، بيروت - دار الاندلس ، ١٩٦٤ .
- ١٢ - الخطيب البغدادي ،ابو بكر احمد بن علي ، ٤٣٦هـ ، تاريخ بغداد ، بيروت - دار الكتاب العربي ،بلا ت ،م١
- ١٣ - الدوري، عبد العزيز ،العصر العباسي الاول ، بلا مطبعة ، ١٩٦٨م .
- ١٤ - رحمه الله ، مليحة ، الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ببغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٠.

- ١٥ - الرحيم، عبد الحسين مهدي ، الخدمات العامة في بغداد (٤٠٠ - ٦٥٦ هـ / ١٠٠٩-١٢٥٨ هـ)، ط١ نشر دار الشؤون الثقافية العامة /١٩٨٧ .
- ١٦ - رشدي ، صبيحة رشيد ، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية ، بغداد ، مطبعة علاء ١٩٨١ م .
- ١٧ - رضا ، احمد ، معجم متن اللغة ، موسوعة لغوية حديثة، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، م٤ .
- ١٨ - سعد، فهمي عبد الرزاق ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري ،بيروت ،المطبعة الأهلية ، ١٩٨٣
- ١٩ - سليمان، عامر (واخرون) جوانب من حضارة العراق القديم ،العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣،
- ٢٠ - الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد(ت٣٨٨هـ) ، الديارات ،تحقيق : كوركيس عواد ، ط٢ ، بغداد - مطبعة المعارف ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م
- ٢١ - الصابي ، هلال بن المحسن ، رسوم دار الخلافة ، بعناية ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ،
- ٢٢ - الطبري ، ابو جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٠-١٩٦١ .
- ٢٣ - عثمان ،محمد ،الاعباد والمناسبات المعتبرة في الاسلام ،صيد الفواد، انترنت .
- ٢٤ - علي ، فاضل عبد الواحد (واخرون) ، الاعباد والاحتفالات ، حضارة العراق ،بغداد ، ١٩٨٤ .
- ٢٥ - غريال ،محمد شفيق ، المجموعة الميسرة ، القاهرة دار الشعب ومؤسسة فرانكسليين للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .
- ٢٦ - فهد ، بدري محمد ، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ، بغداد - مطبعة الرشاد ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ .
- ٢٧ - القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي (٨٢١ هـ-١٤١٨م)صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،بلا ت .
- ٢٨ - كارتون كون ، قصة الانسان ترجمة :محمد توفيق حسين ،بغداد ١٩٦٥ .
- ٢٩ - الكازروني ، مقدمة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ،تحقيق كوركيس ميخائيل عواد، بغداد ، ١٩٦٢م .
- ٣٠ -ابن ماجة ، ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت ٢٧٥ هـ) ، ضبط نصها : احمد شمش الدين ، بيروت - دار الكتب العلمية ، ١٩٧١ .
- ٣١ - المالكي ،ابو طالب محمد بن علي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- ٣٢ - متز ، دم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- ٣٣ - مصطفى ،شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ،ط١،مطبعة ذات السلاسل ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٣٤ - المسعودي ،ابي الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ،المكتبة العصرية ، بلا ت .
- ٣٥ - المقدسي ، المعروف بالبشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بعناية دي غوية .
- ٣٦ - ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، بيروت دار صادر ،بلا ت م



الخلاصة :

عاشت بغداد في العصر العباسي أعياداً ومناسبات كثيرة ، أدخلت إلى قلوب سكانها مشاعر الفرح و البهجة فكانت عندهم إحتفالات بمناسبات لها صلة بسيادة الدولة السياسية كإنتصارات الجيوش الإسلامية ، أو إفتتاح مُنجز يخدم الصالح العام بصورة عامة والمجتمع البغدادي بشكل خاص كتشييد الجوامع والمدارس والمشافي و الأسوار والقناطر وغيرها .

و أعياد ومناسبات دينية كعيد الفطر، وعيد الأضحى ، وحلول شهر رمضان ، والحج ، وكذلك يوم الجمعة الذي كان يتحول إلى إحتفالية إذ يرفل المصلون بملابس تليق بإحياء صلاة الجماعة . و إحتفالات أسرية حرص أهالي بغداد سواء كانوا حكاماً أم من عامة الناس على إقامتها ، فكان من المعتاد ان يُشارك الشعب أفراح حكامه فتنتقل الإحتفالات في القصور والشوارع ليشعر الطرفان انهما كأسرة واحدة لا فرق بين حاكم و محكوم ، كما في زواج ولادة العهد ، والختان ، وختمة القرآن .

لم تقتصر المشاركة بالأفراح على المسلمين فيما بينهم فقط ، فالسرور كان يعم المجتمع البغدادي برمته حين تحل أعياد النصارى ، وحين يحتفل الفرس بالنوروز والمهرجان والسدق .

مشاعر مختلفة كانت تُشيعها المناسبات في نفوس مجتمع بغداد ، من بينها :

١ - الشعور بالسعادة والفرح يغمر المحتاجين حين يقوم الموسرين بنثر النقود أو توزيع الملابس والأطعمة والأشربة .

٢ - الشعور بالغيرة على الوطن تمثل بالمشاركة في الإحتفالات الولا سيما بأحداث لها صلة بالدولة ومصير الأمة .

٣ - الشعور بالرهبة ونفحات إيمان تغمر نفوس أولئك الذين يحيون مناسبات دينية وولا سيما الإسلامية منها.

من دون شك كل هذه المشاعر تصب في بودقة واحدة الغاية منها بعث روح المحبة والمشاركة وتوطيد الأواصر والالفة بين أفراد المجتمع الواحد رغم إختلاف الدين والقومية ، وهذا ما يؤكد عليه الدين الإسلامي في تعاليمه دائماً .



الحجاز بعيون مغربية الاستنبصار في عجائب الامصار امودجاً

ولميمة قاسم يحيى
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي واثره البحث والتطوير

أ. وعمار مرضي علاوي
الجامعة العراقية / كلية الآداب

أ. و عثمان عبر العزيز صالح
جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية

المستخلص

تكتسب منطقة الحجاز أهمية كبيرة في كتابات المؤرخين والبلدانيين ، كونها تمثل مهبط الوحي وبيت الله الحرام ، واليها تأوي الافئدة . لذلك نجد أن الكثير من المؤلفات قد خصتها بالذكر والدراسة ، سواء بالنقل أو المشاهدة . لذلك كانت كتب الرحلات مصدراً مهماً وشاهد عيان على ما موجود من معالم حضارية في الحجاز .

ومن هذه الكتب البلدانية كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لمؤلف مجهول ، الذي كان معاصراً للدولة الموحدية ، وله صلات بحكامها .
والكتاب مزيج بين الوصف الجغرافي والروايات التاريخية ، وقد أفرد المؤلف من ضمن الجزء الأول موضوعات للاماكن المقدسة لاسيما مشاعر الحج ، ووصف الاجواء هناك ، فضلاً عن أنه كان رحالة وزار تلك الاماكن المقدسة .
لذلك سيقترن البحث على الوصف الجغرافي والتاريخي للحجاز في ضوء ما أورده صاحب الاستبصار ، مع مقارنة ما ذكره في كتب الجغرافية وغيرها من الكتب التاريخية ، لتكوين صورة واضحة المعالم عن الحجاز من كل جوانبه .
الكلمات المفتاحية: الحجاز ، المغرب ، الاستبصار في عجائب الامصار

Abstract

The Hijaz region is of great importance in the writings of historians and the intercountry writers; it represents the heliport of revelation and Makkah, and to it shelters the hearts. Therefore, we find that many of the literature has referred to it and studied it. Therefore, the books of the trips were an important source and an eyewitness to the existing of civilizational landmarks in Hijaz.

One of these intercountry books is the book of Foresight in the Wonders of the Lands for an unknown author, who was a contemporary of the Almohad state, and has a relationship with its rulers.

The book is a combination of geographical description and historical narratives. The author has specified within the first part of the topics for the holy places, especially the rituals of pilgrimage, and described the atmosphere there, as well as he was a traveler and visited those holy places.

Therefore, the research will be limited to the geographical and historical description of Hijaz in the light of what was mentioned by author of the foresight book, with a comparison of what is mentioned in the geographic books and other historical books, to form a clear picture of Hijaz in all its aspects.

Key words: Hejaz, Morocco, alaitbsar fi eajayib alaimsar as a Model

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وصحابته الميامين .

تعد بيئة الحجاز بيئة جاذبة لمختلف الاجناس ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاماكن المقدسة التي تمثل الحرمين الشريفين بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف ، كما أنها تعد مركز الإشعاع على العالم الاسلامي .

لذلك نجد أن هذه البيئة كانت محط اهتمام وتقصي من قبل المؤرخين بصورة عامة والرحالة على وجه الخصوص ، فتعددت وتنوعت تلك الرحلات بمشرقها ومغربها لتعطي رسالة مفادها عمق التواصل الديني والحضاري ، فضلاً عن ابراز تلك المكانة في أرجاء المعمورة ، ولتأكيد الهوية الاسلامية .



ومن منطلق ابراز تلك المكانة والاهمية جاء هذا البحث الحجاز بعين مغربية الاستبصار في عجائب الامصار أنموذجاً لمؤلف مراكشي مجهول في القرن السادس الهجري ، الذي يعد واحداً من أهم مصادر دراسة تاريخ الحجاز التي أثرت في إعطاء معلومات جغرافية ووصفية إلى جانب بعض اللحات التاريخية التي تأتي في سياق وصف مكان المشاهدة أثناء رحلة الحج التي قام بها الى مكة المكرمة والمدينة المنورة فوصفهما وصفاً دقيقاً وصورهما تصويراً دقيقاً على وفق ما رآه ودونه في مؤلفه . وفي هذا البحث سنتناول كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ومؤلفه ، وأهمية الكتاب ومصادره ، فضلاً عن دراسة تفاصيل رحلة المؤلف فيما يخص حدود مكة ، والتعرف على جبالها ومواضعها ، والمساجد في مكة والمدينة ، ومناسك الحج . كل ذلك سيكون محط الاهتمام مع عرض تلك المادة على مصادر مشابهة ومقاربة لتكوين صورة واضحة .

١ - مؤلف الكتاب

بنظرة بسيطة للكتاب نجد أن مؤلفه مجهول اذ لم تتطرق المصادر عنه باستثناء ابن أبي زرع الذي ذكر عنوانه فقط^(١)، وفي ضوء الاطلاع على تفاصيل الكتاب نجد أن مؤلفه عاش خلال القرن السادس الهجري ، والدليل على ذلك أنه في الكتاب توجد فقرات تبين أن صاحب الكتاب عاش في عصر يعقوب المنصور الموحدى (٥٨٠-٥٩٥/١١٨٤-١١٩٩م)، وأنه كان يدين بالولاء لأحد كبار رجال الدولة الموحدية حينئذ وهو الشيخ ابو عمران بن ابي يحيى بن وقتين والذي اهدي إليه كتابه تقرباً منه من اجل ان ينال رضاه وكرمه^(٢) . أما فيما يخص سنة تأليف الكتاب فالظاهر أنه في سنة ٥٨٧/١١٩١م ، كما جاء ذلك واضحاً في بعض الاشارات^(٣)، لاسيما في سفارة اسامة ابن منقذ رسول السلطان صلاح الدين الايوبى الى الخليفة الموحدى المنصور، الذي كان مشغولاً بقتال بني غانية في أفريقية^(٤) .

كذلك وتدل التفصيلات التي يرويها عن مكناسة وفاس ومراكش على معلوماته الغزيرة عن هذه المدن ، وهو يدل بلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منها ؛ فهو لا يكتفي بالوصف الدقيق للعواصم المغربية لدولة الموحدين على عهده ، والى الأعمال الإنشائية التي تمت على عهد يعقوب وسلفيه بل يقترح خطأً عمرانية أخرى تهدف الى نشر الرخاء في هذه المناطق^(٥) .

^١ علي بن زرع الفاسى (١٧٤١هـ) روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، (الرباط ١٩٧٢م)، ص ٣٨.
^٢ مجهول (ت ق ٦ هـ) الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق : سعد زغول عبد الحميد، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص ١، ٢ .
^٣ الاستبصار، ص ١٣٨ .
^٤ الاستبصار، ص ١١١ .
^٥ مجهول ، مقدمة المحقق .

كما تشير بعض المعلومات التي يوردها مع الرسائل الرسمية الصادرة من ديوان الخليفة الموحد يعقوب المنصور^(١) ، والتي تبين انه كان مطلعاً على الرسائل الرسمية في سجلات المرابطين القديمة التي كانت في متناول يده أو التي وصلت إليه صور منها على الأقل^(٢).

وفي ضوء ذلك يمكن أن نتوصل الى أن المؤلف كان يشغل وظيفة لدى الخليفة يعقوب المنصور كانت تمكنه من الاطلاع على مجرى الامور في ديوان الخليفة او في بلاطه ، ويؤيد ذلك ما يظهره للخليفة من آيات الولاء والخضوع ولسلفيه، ذلك الولاء الذي لا يصدر إلا من خادم مخلص للموحدين^(٣).

٢- وصف الكتاب

يعد كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار من كتب المكتبة الجغرافية العربية التي تختص الحديث عن عجائب الأمصار، وهو خليط من التاريخ والجغرافيا، فهو يضم أخبار عامة، وأساطير^(٤). فعلى الرغم من أن تاريخ تأليفه متأخر نسبياً إلا أنه يحتوي على خليط من التاريخ والجغرافية من كل لون، مما يجعله أشبه ما يكون بكتب الجغرافية من النوع البدائي الأول^(٥).

والكتاب ينقسم إلى جزأين الأول في وصف مكة المكرمة ، والبقاع المقدسة، وما يحيط بها، والهدف من ذلك كان تصويراً لشعائر الحج ، والجزء الثاني تعرض فيه لعجائب العالم وغرائبها ، فيذكر بلاد مصر، والمغرب، والصحراء في غير ترتيب ولا تبويب، وهو مصدر لمعلومات متنوعة جغرافية، وتاريخية، وأثرية^(٦).

فمن وجهة النظر الجغرافية يمكن أن يقال بشكل عام إن الكتاب ليس من كتب الجغرافية العلمية المبتكرة، فهو غير مخصص لعجائب البلدان فقط ، وإنما هو مصنف يحوي معلومات دقيقة وأخبار عامة وأساطير طريفة، جمعت بعضها إلى جانب بعض بغرض تقديم وصف سهل لطيف مستساغ للقارئ لا تثقله الدقة العلمية المتعبة والتي لا تهم سوى المختصين^(٧).

٣- أهمية الكتاب

يعد الكتاب نموذجاً للتاريخ الحضاري لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخ وأثار، فنجدته يتحدث عن رخاء مصر الزراعي بفضل نهر النيل، كذلك ذكره

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٩ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١٩ .

^٣ مجهول ، مقدمة المحقق .

^٤ سامعي ، اسماعيل ، علم التاريخ (دراسة في المناهج والمصادر)، مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠١٦م، ص ٢٨٣.

^٥ مجهول ، مقدمة المحقق .

^٦ سامعي ، علم التاريخ ، ص ٢٨٣ .

^٧ مجهول ، مقدمة المحقق .



لمنطقة الفرما ، معرجاً على تمور نخيلها بأنه من عجائب الدنيا ، ومعادن الزمرد الواقعة بين مدينة قوص ومدينة أسوان، وصناعة النسيج في دمياط وتينيس، التي كانت تصنع أردية لا تدخل في نسيجها خيوط الذهب، ويساوي الرداء منها مائة دينار، وكانت حرفة صيد السمان مربحة لأهالي المدينتين^(١).

وقد وصف ميناء عيذاب ومنه تتجه المراكب نحو الحجاز واليمن والهند وغيرها من البلاد، وتحدث عن بلاد المغرب والثروة الزراعية والمعدنية ومنتجاتها لكل مدينة مثل : حرير قابس، وزيت سفاقص الذي يصدر إلى صقلية وإيطاليا وفرنسا وهي الأرض الكبيرة^(٢).

ومنسوجات لسوسة، وأسماك بنزرت، ومرجان طبرقة، وتمر الواحات وبلاد الجريد، وذهب البلاد الواقعة بين الواحات ومصر، وفستق قفصة، وقمح باجة، وصوف وجّه، ونحاس فاس، وزيت مكناسة وضواحيها، وجلد اللطم الذي تصنع منه الطبول ذات الأصوات العالية التي تستخدم في الحرب عند المرابطين في المغرب والاندلس، وكذلك الملح والسكر الذي يصدر إلى الأندلس وأفريقية وكذلك النحاس المصنوع والعسل والنبيد والدقيق والعنبر الممتاز، وتحدث عن السودان ومنتجاته من الشب الأبيض وحجر المغناطيس .

وتضمن الكتاب معلومات تاريخية وروايات وأساطير قديمة ذات قيمة أدبية، كما تم تصنيف كتاب الاستبصار إلى عدة أقسام فالقسم الأول: تناول فيه وصف الأماكن المقدسة بالتفصيل مع ذكر جوانب فنية، أما القسم الخاص بمصر وتاريخ الفراعنة والأهرام، فقد أشار إلى استخدام الرصاص بدلاً من الملاط في بناء الأهرامات، كما تضمن فصل عن مدينة الإسكندرية وقد تضمن جانب مهم في وصف المنار وفائدته العسكرية، لأن الإسكندرية كانت هدفاً لهجمات الصليبيين والصقالبة .

وتطرق إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي وانتصاره على الصليبيين، وعن سفر ابن منقذ إلى الخليفة المنصور الموحي، وموجز عن تاريخ الموحدين بالمغرب والأندلس وإنجازاتهم المعمارية والحضارية مثل عمليات المياه، وبناء المساجد والقصور والحصون في مراكش وفاس ومكناسة . وبذلك قدم لنا كتاب الاستبصار أخبار تاريخية ومعلومات حضارية عن الولايات الإسلامية ومدنها ومعالمها المهمة في أكثر من ٢٥٠ صفحة^(٣).

وفي ضوء الاطلاع على مضمون الكتاب يتبين أنه كتب في سنة ٥٨٧ هـ/١٩١٩م^(٤)، والظاهر أن المؤلف سافر إلى الحج إذ أنه يصف الحرمين الشريفين بدقة وتفصيل ، ثم ينتقل إلى مصر وأهرامها، ومن بعدها يتحدث عن الشمال وسواحل

^١ العامري ، محمد بشير، مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء (عمان : ٢٠١٢ م)، ص ٢٥٠ .

^٢ العامري ، الإبداع الحضاري ، ص ٢٥٠ .

^٣ العامري ، الإبداع الحضاري ، ص ٢٥٠ .

^٤ كراتشكوفسكي ، أغناطيوس يوليانيوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بلاط، (القاهرة، ١٩٦٣م)، ص ٣٠١ .

المحيط الأطلسي ، فيصف المدن بترتيب معين ويضيف على وصفه أقوال المعاصرين ، ويسعى إلى تدوين ما شاهده أو سمعه كما أنه يصف أفريقية الشمالية وكأنه شاهدها بالعيان، ويقتصر في عرضه على الجغرافيا الوصفية^(١) .
وقد ضمن كتابه الحديث عن جهاد صلاح الدين وانتصاره على الصليبيين، وسفارة ابن منقذ إلى المنصور الموحي ، ومن الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومات مختلفة في طبيعتها، وفي قيمتها: كالقصص التاريخية المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة وهي من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط، ومثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة. والقسم الأخير الخاص بالمغرب مهم جداً بالنسبة لتاريخ الموحيين^(٢).

٤ - مصادر الكتاب

أن مما يعين على معرفة المصادر المختلفة التي أخذ عنها المؤلف معلوماته أن نأخذ بعين الاعتبار ان الكتاب ينقسم على ثلاثة اقسام مختلفة هي: الأماكن المقدسة ، ومصر ، وبلاد المغرب .

فالقسم الأول منه عبارة عن وصف مكة والمدينة ، والهدف منه هو تصوير شعائر الحج ، والمؤلف يعنى فيه بوصف مكة عناية بالغة، فهو يعدد ضواحيها وتلالها، والجبال المحيطة بها ، ثم هو يصف بكل دقة الكعبة ومقاييسها وبابها والحجر الاسود بها ، ثم يستطرد في وصف المسجد الحرام ، ويصف بئر زمزم ؛ وهو خلال ذلك يقوم بشرح مناسك الحج ، والى جانب هذا يصف المساجد الأخرى مثل مسجد الخيف ومسجد المزدلفة ، وفيما يتعلق بالمدينة يستطرد المؤلف بنفس الشكل عند الكلام عن مسجد النبي وقبره المبجل، ومسجد فبا ؛ وينتهي بالكلام عن قبور الشهداء في سفح جبل أحد .

وهذا القسم عظيم الأهمية نظراً لمعلوماته الدقيقة وطريقته العلمية ؛ ولكن لا نعرف من أي المصادر استقيت مادته ، فالمعلومات التي يمدنا بها عن مكة مختلفة عن معلومات الأزرقى (القرن الثالث الهجري) التي ينقلها ابن رسته (نهاية القرن الثالث الهجري) ، وهي تختلف كذلك عن معلومات ابن جبير المعاصر لمؤلف الاستبصار، والمعروف ان ما كتبه الأزرقى وابن جبير يعد أهم ما كتبه عن مكة والكعبة وأكثره أصالة ، وهنا نجد أن المؤلف لا يدين بشيء لهذين الكاتبين^(٣).

وفيما يتعلق بوصف المدينة ومسجد النبي لا نعرف أيضا المصدر الذي أخذ عنه في كتابه الاستبصار، ومعلوماته تختلف عما كتبه ابن رسته وابن جبير ، وهنا نجد المؤلف ذكر انه في سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣١م كان يوجد في رواق المسجد وطاء طبري

^١ كراتوشوفسكي ، تاريخ الادب الجغرفي ، ص ٣٠١ .

^٢ مجهول ، مقدمة المحقق .

^٣ مجهول ، مقدمة المحقق .



مبطن^(١) ، وهذا يحمل على الظن ان القسم الاول من الاستبصار نقله مؤلفه سنة ٥٢٥ هـ / ١٣١١م أو بعد ذلك .

أما القسم الثانى من كتاب الاستبصار فيوضع بصفة عامة ضمن ما كتب عن عجائب العالم، فكل ما يحويه عن عبارة عن غرائب وأشياء مدهشة فريدة في نوعها ، فالفصول الخاصة بمصر تنقسم إلى فترتين ، فترة مصر القديمة التي تنقسم بدورها الى فترتين يفصل بينهما الطوفان ، ثم فترة مصر الحديثة أي العربية ، وتبدأ الفترة الاولى بوصف عام للبلاد ، وتنتهي بظهور الاسلام وفتح مصر على ايدي العرب . والفترة الثانية خاصة بوصف المدن المصرية، وتبدأ بقصة الفتح منقولة عن ابن عبد الحكم . والمؤلف يستخدم في تصنيفه لهذه الفصول خمسة مصادر مختلفة يذكرها في بعض الأحيان وهي المسعودي (ت ٣٤٥/٥٦٦م)، وابن وصيف شاه (ت اواخر القرن الرابع الهجري)، وابن عبد الحكم ، ثم البكري الذي يعتبر المصدر الاول للقسم الثالث من الكتاب خاصة ، ومن ثم هناك معلومات المؤلف الشخصية وهي تتعلق في معظم الأحيان بالأحداث التي عاصرها، لا سيما عن افريقية والمغرب الاقصى^(٢) .

٥ - محتوى الكتاب

ابتداء مؤلف الكتاب بالبسملة والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم حمد الله على نعمه وآلاءه، وصلى على النبي الكريم وعلى آله وأصحابه الابرار، ثم شمل الدعاء المهدي بن تومرت (ت ٥٢٤/١٢٢٧م) مؤسس دولة الموحدين بقوله: "وترضى عن نجله الأطهر، وسليله الأبر، الإمام المهدي، الذي جدد رسم الدين بعد البلى، وجاهد في سبيل الله حق جهاده وابلى، ...، وعن الخلفاء الراشدين ، أئمة الهدى ، ومصابيح من رشد واهتدى^(٣)، ثم والى الدعاء للخليفة الموحدي الثالث أبو يوسف يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن بن علي الذي تولى للمدة (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م)، بقوله : "سيدنا أمير المؤمنين يعقوب بنصر تتصل اسبابه بسعادته، وفتح بسوقه القدر وفق إرادته"^(٤) .

ثم يورد المؤلف نصاً يشير فيه إلى إهداء هذا الكتاب بقوله : " لما كان العلم أنفس ما يقتنى، وأشرف ما به يعتنى، لم يزل ينقله خلف عن سلف ويحمله ذو شرف عن ذي شرف، وجب ان يكون أفضل ما يهديه مهد أو يستهديه مهدي، رغبة في الاتسام برسمه، والارتسام والدخول في رعيته، والاستنثار بحيازة مآثر من تواريخ الأمم ، وسير العرب والعجم، إذ كان المرء يقف منها على اخبار من غير ، وآثار من ذهب ودثر، ويشاهد ممالك ذهبت وبادت، كأنها عادت الى الحياة او كادت"^(٥) . ثم يقول :

لم يبق شيئاً من الدنيا أسر به إلا الدفاتر فيها الشعر والخبر

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤١ .

^٢ مجهول ، مقدمة المحقق .

^٣ مجهول ، استبصار ، ص ١ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ١ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢ .

مات الذين لهم فضل ومكرمة وفي الدفاتر من أخبارهم أثر^١ .
ثم يشير المؤلف الى أن الناس كانوا قد وضعوا التواريخ ورتبوها، دونوا الأخبار وكونوها، حرصاً منهم على نظم فرائدها وتقييد شواردها ، ثم ما زال اصحابها يتقبلون بين إكثار وإقلال ، وإسهاب واختصار، وكل شخص منهم له طريقته في التأليف ، ثم يضيف قائلاً : " وكثيراً ما خلد خدم العقلاء ملوك ازمنتهم بالتواريخ المؤلفة والتوليف المزخرفة، تفتناً لمسراتهم وترضياً لمبراتهم، ولولا ذلك لم يحصل الآخر على علم الأول ، ولا عرفت أخبار الملل والدول"^(٢) .

ثم أخذ المؤلف ينظر بعين الولاء لأحد كبار الدولة حينئذ وهو الشيخ ابو عمران بن ابي يحيى بن وقتين الذي أهدى إليه الكتاب ، فنراه يقول: " ونازعتني الرغبة والتصدي لشكر النعمة، إلى أن أطرز باسمه كتاباً يجمع بين الاخبار والصحائف ، ويأخذ في بطرفي شرائد الطرائف ، متضمناً بذلك إحسانه ، راجياً بذلك فضله وامتنانه بمنه حسبما أردته . ولما اتسق وصفه على ما اخترت، سميته بكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، بعد أن قصدت في أكثره التحقيق واطرحت في مستودعه التفتيق"^(٣)، ثم يشير الى الأخبار والحوادث التي أوردتها في مؤلفه هذا بقوله: " ولم أذكر شيئاً مما سقته إلا ما كاد ينعقد على أكثره الإجماع، ويتفق عليه العيان والسماع"^(٤). هذه النصوص تدل على الدقة في النقل والى الامانة العلمية بنفس الوقت.

ثانياً - بلاد الحجاز في ضوء كتاب الاستبصار

ذكر مؤلف الكتاب قائلاً : "وابتدأت بمكة شرفها الله تعالى وما يجب ذكره من وصف حرمها، وأسماء الجبال المحيطة بها، وذكر أرباضها ، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع، وذرع الكعبة من خارج، ووصفها من داخل . ووصفت الصفا والمروة ، وعرفة ، ومزدلفة ، ومنى وجبل الرحمة، مع شريعة ابراهيم عليه السلام وصفة بطن محسر إلى غير ذلك من المناسك، وصفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . ووصفت منبره عليه السلام ، ووصفت عدد ابواب المسجد، وجميع ما فيه من العمد وعدد ما فيه من القناديل ، ووصفت روضته عليه السلام . ثم وصفت بقية المدينة ، وروضة عثمان رضي الله عنه، ووصفت مسجد قبا ، وقبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم تبركاً بذلك وتيمناً بالاستفتاح به"^(٥) .

١ - وصف حدود مكة المشرفة

وصف المؤلف حدود حرم مكة شرفها الله تعالى بقوله : " حد الحرم من ناحية المدينة من ذي طوى على ثلاثة أميال من مكة، وحده من طريق جدة على عشرة أميال، وحده من طريق اليمن على سبعة أميال، وحده من طريق العراق على ستة أميال، وحده

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢ .
^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢ .
^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢ .
^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣ .
^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣ .



من طريق الطائف على أحد عشر ميلا، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بنى بالحرمين خمسة عشر مسجدا" (١).

٢ - وصف جبال مكة

أتى المؤلف على ذكر الجبال المحيطة بمكة وعددها كالاتي (٢) :

أ - **جبل أبي قبيس** ، قال عنه : " وهو جبل أدكن (أميل إلى البياض) ، في رأسه منار يذكر أنه منار إبراهيم عليه السلام ، وفي أصله الصفا ومن عليه يرقى إليه ، ليس له مرقى إلا على أربعة مواضع: على الصفا، وعلى شعب عمر، وعلى شعب (هو الوادي الصغير أو الطريق يخترق الجبال ، وهو الاسم الذي أطلق على أزقة مكة والطرق التي تؤدي إليها) (٣) علي رضى الله عنهما، وعلى شعب أجياد الصغير (هو الطريق الذي يقع مباشرة الى جانب جبل ابو قبيس والذي يؤدي الى الطريق الآخر المسمى "أجياد الكبير" (٤)، ليس لأبى قبيس طريق يرقى إليه إلا من هذه الأربعة مواضع. وهو أحد الأخشبيين فيما يقال . ويقال إنه أول جبل خلقه الله تعالى ووضع في الأرض. وإنما سمى بأبى قبيس لأن رجلا كان يسكنه على قديم الدهر يكنى بأبى قبيس فنسب إليه ذلك الجبل. وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام، يقابل من مكة ويقابل من الكعبة الركن الأسود (٥).

ب - **جبل الخندمة** : وهو الجبل العالي المستعلي على أبى قبيس من ناحية الشرق، وهو جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من البعد، تراها من المسجد الحرام من باب السهميين الصغير. وفي ذلك الجبل تحصن أهل مكة يوم القرمطي (ويقصد به أبو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي الذي استولى على مكة في الثامن من ذي الحجة سنة ٣١٧هـ وأخذ الحجر الأسود الى الاحساء (٦)، وأسفل من ذلك الجبل، بينه وبين الجبل غار، شعب علي رضى الله عنه (٧).

ت - **الجبل الأبيض**: الذي على الأبطح إلى باب منى ، ومن ذلك الجبل إلى الجبل الأحمر السور، وجعل هنالك بابين من خشب مصفحين بالحديد، وهما على المعلى ، وهما المعروفان بباب منى. وعند هذا الباب أبار بعيدة الرشا يستقى الناس منها، وماؤها ليس بعذب جدا. وهذا الجبل الأحمر متصل من مسجد الخيف إلى الحجون (هو الشعب ، اي

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤ . للمزيد ينظر البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٥٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، ط ٣ (بيروت : ١٩٨٢م) ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ ؛ التجيبي ، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ) مستفاد الرحلة والإغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب (ليبيا ، ١٩٧٥) ص ٢٣٠ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٥ .
^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٥ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٥٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر (بيروت ، ١٩٧٧ م) ، ج ٣ ، ص ٢٩٦ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٥ ؛ الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٨٦٤/٥٢٥٠م) أخبر مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق عمر علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة : د . ت) ، ص ٤٩٤ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٥ ؛ التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص ٣٥١ .

^٦ ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٥٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٩٩٧م) ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

^٧ مجهول ، الاستبصار ، ص ٦ .

الطريق الذي يؤدي الى المعلى حيث مقبرة مكة، ومن هذا الطريق دخل النبي إلى مكة حين فتحها^(١). وفيه التنية العليا، وعند أصل التنية بقية مكة. وفي شعب منه المحصب في حوز الشعب الذي يقابل الخيف الذي كان ينزل فيه من سلف من الصدر الأول عندهم من منى إلى آخر أيام التشريق، فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، وكذلك يدخلون مكة. وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه فعل ذلك^(٢).

ث - جبل قعيقان : يسمى بالأحمر ، ويطلق عليه بالأخشبين والحجيين ، يقع شمال مكة، وهو الجبل الذي بظهر دار الندوة ، وهو الذي يقابل أبا قبيس، وإنما يسمى قعيقان لأن مضاض بن جرهم نزل به، ونزل السميديع بن جرهم بجبل أجياد، فدارت بينهما حرب عظيمة في تلك الأيام، فكانت أجياد- أعنى من سكن بها وهو السميديع وآله- أول من جاد بالدم في الحرم ودعا إلى القتل، وقالت العرب فيها أجياد لأنها أول من جادت بالدم^(٣).

ج - جبل أجياد: وهو الجبل العالي الأخضر الذي يقع بغربي المسجد الحرام في رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضي الله عنه أمر ببناؤه ، ينادى عليه المؤذن في رمضان، ويقابل من الكعبة اليماني؛ ويخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام . وهو يقابل قعيقان من ناحية الغرب^(٤).

ح - جبل ابن عمران : وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قبيس وأجياد، وهو خلفهما. ويظهر من البعد كأنه بينهما، يقابل من الكعبة الجدار اليماني؛ وهو أميل إلى الركن اليماني قليلاً^(٥).

خ - جبل البكا : وهو خارج على الجبال المحيطة بمكة، وهو في العطف الذي في آخر ذي طوى، عن يمينك وأنت خارج تريد التنعيم . وهناك عن يسارك المتكا، وهو الحجر الذي قعد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - واستراح عند إقباله عليه فيما يذكر أهل مكة، روه عن مشيختهم^(٦).

٣ - تفسيره للأسماء والحوادث

من منهج المؤلف ذكر تفسير لبعض أسماء المواضع الواردة في كتابة عند الحديث عن مشاهداته اثناء زيارته لبيت الله الحرام والمدينة المنورة وسجل خلال رحلته تلك كثيراً مما رآه وسمعه . فعند وصفه لمكة المشرفة أشار الى إحاطتها بعدد من الجبال ومنها

^١ ابن جبير، محمد بن احمد الكنايني(ت ٥٦٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت: دت) ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٧ .

^٣ التجيبي ، استفاد الرحلة ، ص ٣٥٠ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٨ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٩ .

^٦ مجهول ، الاستبصار ، ص ٩ .



جبل (أبو قبيس)" قال: "وإنما سمي بأبي قبيس لأن رجلاً كان يسكنه على قديم الدهر يكنى بأبي قبيس فنسب إليه ذلك الجبل. وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام"^(١). وكذلك الحال عند حديثه عن جبل قعيقعان فقد حدد موقعه مقابل جبل أبا قبيس، ويقع " بظهر دار الندوة ". ثم قال عن تسميته: " وإنما يسمى قعيقعان لأن مضاض بن جرهـم نزل به، ونزل السـميدع بن جـرهـم بجبل أجياد، فدارت بينهما حرب عظيمة فى تلك الأيام، فكانت أجياد- أعنى من سكن بها وهو السـميدع وآله- أول من جاد بالدم فى الحرم ودعا إلى القتل، وقالت العرب فيها أجياد لأنها أول من جادت بالدم "^(٢). وعند حديثه عن جبل الخندمة أعطى تعريفاً مبسطاً عنه قال فيه: " وهو الجبل العالى المستعلي على أبي قبيس من ناحية الشرق، وهو جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من البعد " ثم أشار إلى حادثة تاريخية وقعت عند ذلك الجبل قال عنها: " وفى ذلك الجبل تحصن أهل مكة يوم القرمطى "^(٣).

٤ - تعريفه للمواضع

اعتمد منهج المؤلف عند تعريفه لبعض المواضع أن يقوم بنسبة بعض الأعمال والمنجزات لأصحابها، ففي تعريفه لجبل أجياد الذي قال عنه " وهو الجبل العالى الأخضر الذى بـغـربي المسجد الحرام " فقد أشار إلى أن هذا الجبل، " فى رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضى الله عنه أمر ببنائه ، ينادى عليه المؤذن فى رمضان "^(٤). وعند وصفه لمكة المشرفة أشار إلى باب بني شيبه ، وهو احد ابواب مكة " ومنه دخل النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومنه يدخل كل من دخل مكة حاجاً أو معتمراً ". ثم أشار الى أن موضع هذا الباب كان يقام به " هبل " : " الصنم الأعظم الذى كان فى الكعبة، وكانت قريش تعبده من دون الله فغيره الإسلام عن حاله وجعله عتبة لهذا اتطأه الأقدام ... وفى هذا الشق المسعى وهو ما بين الصفا والمروة ، وهو بطن المسيل ، وفيه سوق مكة يجتمع فيه الباعة للمطاعم والصناع"^(٥).

وعند حديثه عن الكعبة أشار الى أطوال كل من وجهها وجوانبها وارتفاعها من الخارج ومن الداخل ، ثم قال: " وذكر أن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما بنى البيت الحرام يوم بناه فى ارتفاع تسعة أذرع غير مسقف، فلما بنته قريش واقتصرت عن طوله ستة أذرع تركت ذلك فى الحجر، وزادت فى ارتفاع البيت تسعة أذرع، فكان البيت يومئذ من ثمانية عشر ذراعاً فى الارتفاع ، فلما احترق فى زمان عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه - وأمر ببنائه وزاد فيه ما كان أنقصته قريش، ظهر له عند ذلك قصير الارتفاع، فزاد فى ارتفاعه تسعة أذرع. وقال إن قريشا زادت فيه تسعة أذرع

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٥ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٨ .

^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٦ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٨ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٦ .

وأنا أزيد فيه تسعة، فصار البيت من يومئذ من سبع وعشرون ذراعاً في ارتفاعه لم يد فيه احد من يومئذ " (١).

كما أشار الى مرحلة ترميمها الذي تم على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي عندما بنى الركن " في داخل البيت في الركن الشامي ، وجعل فيه سلماً من داخل الركن يرقى منه إلى ظهر الكعبة لتعليق الكسوة " (٢).

ولما أتى إلى وصف البيت من الداخل ، أشار الى ترخيم البيت بالرخام الابيض، والى وصف النقوش المذهبية ، ثم أشار إلى ترخيم جدر البيت بـ " الواح حمر وخضر، يقال إن الوليد ابن عبد الملك بعث تلك الألواح من الشام مع الرخام الذي رخم به البيت، ومع ذلك ٣٠ الف دينار، وأمر أن يرخم البيت ويذهب، وهو أول من كساه بالرخام وذهبه " (٣).

كما أشار في وصفه ذلك إلى أن قسماً من ألواح الرخام الداخلية الملونة التي تزين البيت من الداخل كانت تحمل نقوشاً وكتابات مختلفة من بينها آيات قرآنية عديدة وكتابات إسلامية مكتوبة بالمسك المحلول مثل عبارة : " اقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين " ، وعبارات التوحيد : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " مكرر في سطرين. وبعد ذلك عبارة مكتوب فيها : " الإمام المطيع لله أمير المؤمنين " . وفي سطر تحته عبارة مكتوب فيها : " الإمام المقدر بالله أمير المؤمنين " (٤) . وهذه العبارات في الغالب تشير إلى مراحل الترميم والعمارة التي كانت تجري على بيت الله الحرام.

وفي حديثه عن وصف الحجر الأسود قال عنه: " وهو مصدوع مكسور على ثلاثة قطع: اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، ذكر أن عبد الله ابن الزبير كان ألصقه وشده بالفضة وأدخله في الركن. وكان قد بقيت القطعة الصغيرة منه عند بني شيبة، فلما رده القرمطي بعد أخذه، ألصق بالك وأضاف إليه بنو شيبة القطعة الثالثة، وأفرغ حوله الفضة ودارت الفضة بينها حتى صار كشيبة العين " (٥).

٥ - ذكره للمساجد

اقتصر ذكر مؤلف الاستبصار على المساجد المشهورة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، من ذلك المسجد الحرام ، ومسجد المزدلفة ، ومسجد الخيف ، والمسجد النبوي، ومسجد قباء. وجاء وصفه مقتضباً لا يعطي صورة كافية عن التطور العمراني الحاصل فيها في تلك الحقبة ، بل اشارات قد تكون معلومة عند أغلب المسلمين .

أ - المسجد الحرام : ابتدأ بذكر طول المسجد من ركن بني شيبة الى ركن بني جمح أربعمائة وسبع ذراع ، وعرضه مائتان وثمانون ذراعاً^(١) . وينتقل الى ذكر كلاً من

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٢ ، ١٣ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١ .

^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٣ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤ - ١٥ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧ .

^٦ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٤ .



المنائر ، فذكر أنها خمسة ، وسبع عشرة باباً ، خمسة منها في الشق الغربى^(١) . بينما نجد في المصادر الأخرى أن عدد الأبواب هي تسعة عشر باباً ، وأن أكبر الأبواب هو باب الصفا باب بني شيبية ، والأبواب هي : باب النبي ، باب بني هاشم ، باب الزياتين ، باب البزّازين ، باب الدّفاقين ، باب بني مخزوم ، باب الصفا ، باب زقاق الشطوى ، باب التّمّارين ، باب دار الوزير ، باب جباد ، باب الحزورة ، باب إبراهيم ، باب بني سهم ، باب بني جُمح ، باب العجله ، وباب الندوة ، باب البشارة ، واليه الاسواق من الشرق والجنوب^(٢) . وفي المسجد الحرام أربعمئة وسبعون سارية^(٣) . بينما ذكر ابن جبير أنه رأى بنفسه أربعمئة وواحد وسبعون سارية^(٤) . وللمسجد الحرام أربعة أركان وهو قريب من التربيع من الحجر الاسود الى الركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً^(٥) . وذكر أن في المسجد الحرام أربع أئمة ، الامام الشافعي الى المقام ، والامام المالكي الى الركن الغربى ، والامام الحنفي الى الميزاب ، والامام الحنبلي يصلي الى الركن اليماني^(٦) . بينما نجد تفصيل أوفى في صلاة اتباع المذاهب الأربعة وهي ان اول من يصلي الأئمة الشافعية ، وصلاتهم خلف مقام النبي ابراهيم (عليه السلام) ، ثم صلاة اصحاب المذهب المالكي ، رحمه الله ، وهي قبالة الركن اليماني ، وله محراب حجر يشبه محارِب الطرق الموضوعة فيها ، ثم يصلي اصحاب المذهب الحنفي ، رحمه الله ، وصلاته قبلة الميزاب تحت حطيم موضوع له . وهو اعظم الأئمة أبهة . ثم صلاة الحنابلة ، وصلاتهم مع اصحاب المذهب المالكي في حين واحد ، موضعها يقابل ما بين الحجر الاسود والركن اليماني^(٧) .

ب - مسجد الخيف : يقع هذ المسجد أسفل المسجد الحرام على اليسار من جهة الذهاب الى عرفات ، وفيه يجمع ما بين المغرب والعشاء ، وهو مبني بحجارة مطرورة دون سقف ، وهو حائط من جميع جهاته الثلاثة ، وليس له محراب ، ويبلغ طوله ثلاث وستون ذراعاً ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وارتفاع حائطه عشرة أذرع^(٨) .

ت - المسجد النبوي : ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم مستطيل غير مربع ، يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، تحفة من جهات الاربع بلاطات مستديرة به ، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ، وللجهة القبلىة منها خمس بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق ، والجهة الجوفية لها أيضا خمس بلاطات ، وللشرقية ثلاث بلاطات ، وللغربية اربع بلاطات. اما الروضة المقدسة فقد ذكر ان شكلها عجيب لا يمكن

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٤ .

^٢ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ ؛ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله الطنجي ، أبو عبد الله (ت ٧٧٩هـ) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، (بيروت : د . ت) ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٧ .

^٤ الرحلة ، ص ٧٥ .

^٥ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٦٦ .

^٦ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٣ .

^٧ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٧٥ .

^٨ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٤ .

تصويره، وان الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ/٧١٩م) اخترع لها ترتيباً حتى لا يتخذها الناس مصلى، وحدد عدد الأعمدة المنتظمة فيها بـ(الستة)، وسعة الصفحة القبليّة منها أربعة وعشرون شبراً، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبراً، وما بين الركن الشرقي الى الركن الجوفي صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبراً، ومن الركن الجوفي الى الغربي صفحة سعتها أربعة وعشرون شبراً^(١). وسماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار، وطول المسجد من ركن منار بلال رضي الله عنه وهو الذي بإزاء قبر النبي صلى الله عليه وسلم الى ركن مؤخره، وعرضه من باب جبريل عليه السلام وهو الذي بإزاء قبر النبي صلى الله عليه وسلم الى باب الرحمة مائة وسبعون ذراعاً^(٢). ونجد أن طوله عند ابن جبير مائة خطوة وست وتسعون خطوة، وسعته مائة وست وعشرون خطوة، وعدد سواريه مائتان وتسعون^(٣). ثم يأتي على وصف المنبر، فذكر أنه على ثمان درجات يقعد الخطيب منها على الدرجة السابعة^(٤)، كذلك ذكر عدد أبواب المسجد فكانت على عشرين باباً، وفيه مائتان وست وسبعون عاموداً، وفيه ثلاثة منائر^(٥). وقيل ان للمسجد المبارك تسعة عشر باباً، لم يبق منها مفتاح سوى أربعة في الغرب هي أربعة ابواب هي باب السلام وباب الرحمة من ناحية الغرب وباب جبريل وباب النساء من ناحية الشرق^(٦) وفيه من القناديل القناديل لإضاءته ٢٨٤ قنديلاً وومن الزيت ١٠ أرتال^(٧).

ج - مسجد قباء : وعند وصفه لمسجد قبا الذي على مسافة " ثلاثة أميال من المدينة، تصلى فيه إذا مررت به. وهو مسجد مربع طوله سبعون ذراعاً ... وعلى ركن مؤخر المسجد مكتوب عن يسار من استقبال المحراب: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على أم أيمن وهي حزينة فقالت له ليس عندي ما أحج به فقال لها صومي أيام العشر ثم آيت مسجد قبا يوم عرفة فصلي فيه ركعتين تنقلبي بثواب حجة"^(٨). ومكتوب أيضاً أن سعد بن أبي وقاص رضه قال: " لئن آت مسجد قبا فأصلى فيه ركعتين أحب إلى من أن أزور بيت المقدس مرتين. ولو علم الناس ما في مسجد قبا لضربوا إليه آباط الإبل"^(٩).

٦ - وصفه لمناسك المسلمين

^١ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٧٦ .
^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٧ .
^٣ الرحلة ، ص ٧٦ .
^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤٠ - ٤١ .
^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤٠ - ٤١ .
^٦ ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٤٥ ؛ العبدري ، ابي عبدالله محمد بن محمد بن علي (توفي بعد سنة ٧٠٠هـ) رحلة العبدري ، تحقيق علي ابراهيم الكردي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ط٢ (دمشق ، ٢٠٠٥) ، ص ٢٠٥ .
^٧ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤١ .
^٨ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤٣ .
^٩ مجهول ، الاستبصار ، ص ٤٣ .



جاء الوصف ممتزجاً بالمشاعر الجياشة التي تخرج من كل مسلم يعيش أجواء الحج، فضلاً عن كونه رحالة، فوصف لحوز شعب المحصب الذي يقابل مسجد الخيف قال: "كان ينزل فيه من سلف من الصدر الأول عندهم من منى إلى آخر أيام التشريق، فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، وكذلك يدخلون مكة . وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه فعل ذلك"^(١).

وعند وصفه لبيت الله الحرام من الداخل قال: "ينبغي لمن يحج أن يرغب في داخل البيت وفي الصلاة فيه، فإن في ذلك فضيلة كثيرة. فإذا دخل فيه أحد فليركع وليح بالدعاء والرغبة إلى الله، فإنه مشهد كريم. وليخلع نعليه ولا يبصق ولا يمتخط ولينزه ما استطاع فإنها بقعة مكرمة مقدسة مطهرة، كرمها الله عز وجل وشرفها على بقاع الأرض كلها. وهو قبال البيت المعمور الذي يحجه الملائكة في السماء كما يحج هذا بنو آدم في الأرض"^(٢).

وقوله عند استلامك للحجر الأسود والركن اليماني، "فإن ذلك يحط الخطايا، وتقول عند استلامه: بسم الله، والله أكبر، اللهم إيمانك وتصديقاً لما جاء به نبيك عليه السلام"^(٣). كما أشار إلى الميل الأخضر الذي في ركن دار جعفر لصق دار العباس؛ وهو رجل ملبس بالجيار، قد صبغ بالخضرة، بناه المهدي، جعله علماً حيث تنقطع الهرولة"^(٤).

أما عند وصف للمشعر الحرام، قال عنه: "وهو موضع مرتفع، عن يمين الطريق إذا مضيت إلى عرفات، من أصل جبل بنى قزح في ذلك إلى الارتفاع. وهو من حجارة مطرورة بالجيار؛ ارتفاع ذلك المنار اثنا عشر ذراعاً، ودور غلظه اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع. ويرقى إليه من داخله على خمسة عشر درجة؛ وله باب صغير نحو الكعبة". ثم وحيثما وقفت من المشعر الحرام فكله موقف؛ وارتفع عن بطن محسر فتحرك فيه بكل حال إن كنت ماشياً أو كنت راكباً، فهول حتى تخرج منه فإنها السنة"^(٥).

وعند وصفه لجبل الرحمة قال: " وجبل الرحمة الذي يطلع الناس إليه للدعاء هو أقرب الجبال إلى الموقف؛ وهو جبل صغير ليس بالعالى جداً ينقطع من كل جانب. وهو على الموقف، وقد بنى حوله شبه الساقية، يرتقى منه إلى الجبل من ثلاثة مواضع من ناحية الموقف، فى الواحد منها سبعة عشر درجة، وفى الاثنى عشر. وفى أسفل الجبل منها ثلاثة صهاريج للماء ؛ وفى أعلى المبنى مسجد لأم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -"^(٦).

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٧ .
^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٣ .
^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨ .
^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٥ .
^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٤ .
^٦ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٥ .

وبقبلى الشريعة بركة للماء، وخلف تلك البركة منبت الأراك؛ وهو بطن عرنة، قريبة إلى العلمين الذين هما حد الحرم. وهناك يجب الارتفاع للماشى والراكب؛ ومن وقف عليه عشية الوقوف فقد فسدت حجته لقوله عليه السلام: "عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة"^(١). وقوله أيضاً: " إذا دخلت منى فقل اللهم هذه منى وهى مما دلتنا عليه من المناسك، فأسألك أن تمن علينا فيها مما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وعبادك الصالحين"^(٢).

ثم يكمل قول: " وأيام منى أيام ذكر الله، قال الله تعالى: " وأذكروا الله فى أيام معدودات" فالمعدودات أيام منى الثلاثة، ترمى فيها الجمار وهى أيام التشريق وليس يوم النحر منها لقوله تعالى: " فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه " فلو كان منها لقال فمن تعجل فى ثلاثة. فالنفر هو فى اليوم الثانى من الثلاثة التى بعد يوم النحر ، والأيام المعلومات يوم النحر واليومان اللذان بعده، واليوم الرابع للمعدودات خاصة. فإذا رميت جمرة العقبة نحرت هديك واستقبلت به إلى القبلة، وقلت: " باسم الله اللهم منك ولك فأسألك أن تتقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك عليه السلام"^(٣).

وقوله أيضاً: " وليس على الخارج بمنى صلاة العيد وإنما صلاتهم فى ذلك اليوم وقوفهم بالمشعر الحرام"^(٤).

وعند وصفه للمزدلفة، حدد موقعه " أسفل من المسجد الحرام على يسارك إذا مضيت إلى عرفات؛ وفيه يجمع ما بين المغرب والعشاء إذا نفرت من عرفات، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -:

(الصلاة أمامك)، والمزدلفة كلها مشعر الا بطن محسر". ثم يذكر الأمور الواجب للحاج ان يفعلها عند هذا الموضع بقوله: " ولا تدع التكبير والتهليل فى نزولك بالمزدلفة، وفى دفعك منها إلى منى وقل: " اللهم إنى أسألك جوامع الخير كله " ، وأسأله ما شئت فإنه موقف عظيم؛ وخذ حصيات الجمرات من المزدلفة فإنه أحسن^(٥).

ويحدثنا عن جمرة العقبة بقوله: " أول ما تلقى منى فى رأس العقبة على يسار الداخل فى منى من ناحية مكة، فارمها من أسفلها من بطن الوادى بسبع حصيات. وتقول مع كل حصاة: لا إله إلا الله والله أكبر على رغم الشياطين ، أو الشيطان وخزيه . فإن رماها قبل الفجر لم تجز وأعاد رميها بعد الفجر ولا ذم عليه"^(٦) ، ويقول أيضاً: " وترمى الجمرات الثلاث بسبع حصيات، وتقول إذا رميتها مثل ما تقدم من القول .

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٤ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٤ .

^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣١ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣١ .

^٥ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ العبدري ، رحلة العبدري ، ص ٣٨٦ .

^٦ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣١ .



وليعلن الحاج بالتكبير أيام منى، ويذكر الله ويكبر فى أى ساعات النهار شاء، ولا يقطع التكبير حتى يصلى الظهر والعصر بالمحصب" (١).

ثم يقول: " فإذا دخلت مكة وطفت طواف الإفاضة فقل: اللهم لك الحمد على تسليمك إياى حتى قضيت حجتى مفلحاً، قد غفرت لى ذنبى وقضيت لى حوائجى، إنك على كل شئ قدير . فإذا ودعت البيت وصدرت عنه، فلا ترد له ظهرك حتى تغيبه؛ وتقول عند ذلك: اللهم اجعله حجا مبرورا وذنباً مغفورا وعملاً مقبولاً وسعيًا مشكوراً يا أرحم الراحمين. اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك المعظم ومن زيارة قبر نبيك المكرم واقلبنى سالماً إلى أهلى إنك على كل شئ قدير" (٢).

وفى وصفه لبئر زمزم وفضلها قال : " يستحب لمن حج أن يستكثر من ماء بئر زمزم ، ويكون منه شرابه ووضوؤه ما أقام بمكة، ويكثر من الدعاء عند شربه وليقل إذا شربه: اللهم إنى أسألك علماً نافعا وشفاء من كل داء ، فإنه لما شرب" (٣).

ويستحب لمن حج أن يتزود منه لبلده فإنه شفاء لمن استسقى موقنا ببركته . قال ابن عباس: " اشربوا من شراب الأبرار وصلوا فى مصلى الأخيار " ؛ قال وشراب الأبرار ماء زمزم ومصلى الأخيار تحت الميزاب" (٤). وقد أكد العبدري عندما نزل بماء زمزم قائلاً " وقد تمسحنا به وتوضأنا وتروينا منه وتملأنا ، واقتضينا منه عللاً بعد نهل ، فشفى الغلل وأبرأ العلل ، وبودي لو عوضته عن كل ماء ، وغنيت به عن كل مشروب ووردته دون كل منهل" (٥).

النتائج

بعد أن استعرضنا أهم المحطات التى وقف عندها الرحالة المغربى صاحب الاستبصار ، كان لا بد من عرض أهم النتائج المرجوة من هذه الدراسة .

١ - أعطى المراكشى وصفاً لما مرّ به من مدن وما شاهده من عجائب - لكونه أسمى مؤلفه مصنفه الاستبصار فى عجائب الامصار والبلدان- وغرائب المشاهد والاحوال السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، كما عني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة الكرام ومناسك الحج .. وغيرها . وبالإمكان القول ان رحلات الحج كانت مجالاً واسعاً للتعرف على مناقب المدن المشهورة .

٢ - لقد أعطى لنا المؤلف تصويراً دقيقاً لما عاينه من تلك المشاهدات . من خلال وصف صورة ابواب الحرم التى يلج منها الحجاج وصولاً الى الكعبة المشرفة وحن الطواف ومقام إبراهيم وبئر زمزم . وكذلك صور حركة الحجاج نحو مشعر منى وصعيد عرفات ، كما اعطى وصف لاماكن المقدسة والمعالم اللافتة .

^١ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٢ .

^٢ مجهول ، الاستبصار ، ص ٣٢ .

^٣ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١ .

^٤ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١ .

^٥ رحلة العبدري ، ص ٣٦٩ .

٣ - على الرغم من ذلك الوصف إلا أنه لم يكن شاملاً ومستوعباً للحقبة التاريخية التي كان يدون لها ، إذ أن هناك العديد من التطورات التاريخية والعمرائية قد طرأت على الاماكن المقدسة لاسيما في عصري الايوبيين والمماليك في المشرق ، والموحدين ومن جاء بعدهم في المغرب.

الخدمات البلدية في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني

**Municipal services in the state of Baghdad at the
end Of the Ottoman period**

أ.م.و / أحمد عبد الواحد عبد النبي
مركز أحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد
ahmedalhelfe@yahoo.com



الملخص

تعرف دائرة البلدية بأنها مؤسسة اوكل اليها مهمة ادارة الشؤون العائدة للبلدة، وبالتالي الشؤون العائدة لاهاليها الذين تجمعهم دواعي المنافع المشتركة والاحتياجات المتقابلة ضمن الحدود والصلاحيات التي تمنحها القوة التشريعية بوساطة ممثليهم المنتخبين. ومن هذا المنطلق جاء بحثنا الموسوم بـ(الخدمات البلدية في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني) ليتناول جملة من المعطيات والاحداث التاريخية ذات الطابع الخدمي والاداري عبر ثلاثة محاور حاولنا فيها تتبع العمل الخدماتي في الدوائر البلدية بمدينة بغداد وضواحيها للفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٩ - ١٩١٤ اواخر نهاية حكم العثمانيين في العراق .

الكلمات المفتاحية: البلدية، ولاية بغداد، العصر العثماني

Abstract:

The Municipal Department is defined as an institution entrusted with the task of managing the affairs of the town , and consequently the affairs of its people who are united by reasons of mutual benefits and corresponding needs within the limits and powers granted by the legislative force by their elected representatives. From this standpoint, our research tagged (municipal services in the state of Baghdad at the end of the Ottoman era) came to address a set of data and historical events of a service and administrative nature through three axes through which we tried to track the service work through the municipal departments in the city of Baghdad and its suburbs for the period between 1869-1914 late The end of the rule of the Ottomans in Iraq **Key Words** Municipal, The state of Baghdad, Ottoman era.

المحور الاول: الهيكل التنظيمي للبلديات في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني :

ترجع البدايات الاولى لتشكيل الادارة البلدية الحديثة في اواخر العهد العثماني إلى السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩ عندما اوعز بتشكيل مفوضية الاحتساب عام ١٨٤٣ والتي أوكل اليها مهام تفتيش الاسواق والأشرف على المكاييل والموازين وغير ذلك من المهام اعقبها جهود السلطان عبد المجيد الثاني ١٨٣٩-١٨٦١ ، وفي هذه المرحلة تم تشكيل لجنة متخصصة لدراسة امكانية استحداث دوائر بلدية في مدن الدولة العثمانية ، حيث قدمت اللجنة المذكورة تقريرها إلى السلطان في اسطنبول ، وقد تضمن توصيات عدة يأتي في مقدمتها الدعوة إلى تشكيل دوائر بلدية في مدن الدولة العثمانية على ان يكون لها سلطة مالية مستقلة^(١).

وتطبيقا للفرمان العثماني الصادر بعد عام ١٨٥٨ اوعز بتشكيل عدد من البلديات في الولايات العراقية حيث اسست اول بلدية في ولاية بغداد عام ١٨٦٩ ابان عهدالسلطان عبدالحميد الثاني ١٨٦٩-١٩٠٩ فقد شيدت بناية خاصة لها وفي العام ذاته شرع الوالي

مدحت باشا بإنشاء دوائر بلدية في المدن الرئيسية ولاسيما الموصل والبصرة^(٢). كما واصلت الدولة العثمانية في العقد السابع من القرن التاسع عشر اهتمامها بتطوير خدماتها البلدية ، فقد اكد نظام ادارة الولايات العمومية الصادر عام ١٨٧٠ على تشكيل المجالس البلدية في كل مدينة أو قسبة من بيان تفرعات تلك المجالس والوظائف المتعلقة بها، ووظائف وواجبات موظفي الدوائر البلدية ووارداتها ومصروفاتها، وغير ذلك من امور^(٣). وفي عام ١٨٨٩ صدر قانون جديد للبلديات ،تألف من عشرة فصول تضمن سبع وستون مادة وبموجبه اتخذت البلديات شكلها القانوني،اذ جرى تنظيم الجهاز البلدي الذي على ما يظهر اصبح جاهزا ومتكاملا .ونرى ان الدولة العثمانية لم تأخذ مسألة نشر البلديات في مدن ولاياتها على محمل الجد إلا بعد صدور القانون الاخير^(٤) . وفيما يخص ولاية بغداد فقد تألفت البلدية بموجب قانون البلديات الصادر عام ١٨٨٩ من اربعة اقسام رئيسة وهي : المجلس البلدي،الجمعية البلدية،دائرة البلدية،ودائرة الاشغال. حيث اخذت على عاتقها توفير الخدمات البلدية في مدينة بغداد وكما يلي^(٥).

اولا: المجلس البلدي :

اكد قانون البلديات انشاء دوائر بلدية،ومجلس بلدي في مدن وولايات الدولة العثمانية في حين نصت المادة الثانية من القانون المذكور على تقسيم البلديات في المدن الكبرى إلى دوائر تختص كل منها بقسم من اقسامها على ان لا يقل عدد سكان كل قسم على اربعين الف نسمة. اما عن عضوية المجلس البلدي في ولاية بغداد فتألف من ستة إلى اثني عشر عضوا ، يقوم الوالي بتعيين احد هؤلاء الاعضاء رئيسا للبلدية والآخر للمجلس البلدي ، في حين اوكلت مهمة اختيار رئيس بلدية السنجق إلى متصرف السنجق نفسه^(٦). وتتلخص مهام رئيس البلدية في مدينة بغداد برئاسة جلسات المجلس البلدي،والتي كانت تتعقد مرتين كل اسبوع، واعداد الميزانية السنوية تمهيدا لعرضها على المجلس البلدي، وتنفيذ قرارات المجلس البلدي، واستحصال مصادقة مجلس ادارة الولاية على مقررات المجلس البلدي، وتعيين موظفي البلدية والمراقبين. الى جانب هؤلاء الاعضاء، كان هناك عدد من الاعضاء الفنيين، منهم مهندس البلدية، وطبيبها، فضلا عن الكاتب وامين الصندوق وعدد اخر من الموظفين كما اشترط ان يكون جميع اعضاء المجلس البلدي وبضمنهم الرئيس من الوجهاء المعروفين في بغداد، وحدد ان يتسلم رئيس البلدية راتبه من واردات البلدية^(٧).

ومن الجدير بالذكر ان عضوية المجلس كانت فخرية، اذ يتم استبدال نصف الاعضاء كل سنتين، ويتولى الوالي مهمة التصديق على انتخاب الاعضاء . وكانت مدة رئاسة رئيس البلدية قد حددت بأربع سنوات، واجاز القانون اعادة تعيينه مرة ثانية، في حالة حصوله على اكثرية الاصوات في الانتخابات اللاحقة. ويقوم اكبر الاعضاء سناً في المجلس البلدي بمهام رئاسة المجلس عند غيابه. كما اشترط في المرشح لعضوية المجلس البلدي، ان يكون من ملاك الاراضي، ومن يدفعون ضريبة إلى الحكومة لا تقل عن مائة (قرش) سنويا، وان لا يقل عمره عن ثلاثين عاماً، وليس له ارتباط بالدول



الأجنبية، عن طريق قنصلهم، وأن لا يكون من العاملين في سلك الجيش وقوات الامن والجهاز القضائي^(٨).

كما وضع قانون البلديات مجموعة من الشروط التي اوجب توافرها في الناخبين منها التمتع بالجنسية العثمانية، وان لا يقل عمره عن خمسة وعشرين سنة، وان يكون من الملاكين بحيث لا يقل مقدار الضريبة السنوية التي يدفعها عن الأراضي التي بحوزته عن خمسون قرشا ، وان لا يكون محكوما بجناية، ويتمتع بحقوقه المدنية والشخصية كاملة^(٩). اما وقت اجراء الانتخابات البلدية في ولاية بغداد، فقد حدد في الفترة الواقعة بين شهري كانون الاول وشباط ، التي كانت تجري على النحو الاتي يختار الناخب في الانتخابات البلدية عددا من المرشحين مساويا لعدد الاعضاء المقرر انتخابهم لعضوية المجلس، ونصف ذلك العدد في الانتخابات التي تليها. وكانت المجالس البلدية تابعة لمجالس ولاية بغداد ومجالس السناجق، ولهذا فلم يكن بإمكان رؤساء المجالس البلدية تنفيذ أي قرار من قرارات المجلس البلدي من دون الرجوع إلى تلك المجالس للمصادقة عليها، فكان ذلك أحد أسباب تحديد صلاحيات رئيس بلدية بغداد. اما عن واجبات المجلس البلدي فكانت^(١٠):

- توسيع الشوارع والقيام باصلاحها فضلاً عن مسؤولياتها عن إنشاء الجسور في المدن ومن ثم اجراء الصيانة عليها .
- مراقبة الاسواق والاوزان والمكاييل المستعملة فيها .
- تنوير الطرق والازقة ، وايصال المياه إلى البيوت .
- جباية الايرادات ورسوم البلدية وانفاقها على المنافع العامة .
- انشاء المستشفيات والملاجئ ودور الايتام .
- وضع الرسوم على اجور المركبات والنقل ضمن حدود البلدية.
- العناية بالنظافة خاصة في الاماكن العامة ، ومراقبة الحالة الصحية والاشراف على المستشفيات.
- تسجيل المواليد والوفيات.
- تعيين الحراس الليلين لحراسة احياء المدينة واسواقها.
- مناقشة ما تحتاجه المدينة من ساحات ومشاريع عامة اخرى .
- يتولى المجلس تسوية واردات البلدية ومصاريفها ، وتنظيم جداول شهرية ليصادق عليها المتصرف والوالي ويكلف المجلس بإعداد جداول سنوية بميزانية البلدية حيث يتم ارسالها إلى نظارة الداخلية في استانبول .
- يكون المجلس مسؤولا عن اطفاء الحرائق من خلال تهيئة وسائل اطفاء الحرائق وحفظها في اماكن خاصة.

ثانيا: الجمعية البلدية:

تألفت الجمعية من اتحاد مجلس ادارة الولاية في بغداد والمجلس البلدي، التي اوكل اليها عدد من المهمات منها فحص الحالة العامة للبلدية، وارسال تقرير إلى الوالي تمهيدا لمناقشته امام مجلس ادارة الولاية، ولا سيما فيما يتعلق بالميزانية والحسابات العامة

والتغييرات المقترحة في الانظمة وشراء الاملاك غير المنقولة التي يمكن الحصول عليها بمقتضى المصلحة العامة^(١١). تعقد الجمعية اجتماعاتها مرتين في السنة وبدعوة من السلطة المحلية، ويكون الاجتماع الاول في شهر نيسان من كل سنة ولا تزيد مدة الاجتماع على خمسة عشر يوماً يتم في هذا الاجتماع تدقيق الحساب العام وتصديقه لنفقات المجلس البلدي للسنة السابقة والشؤون المتعلقة بذلك . اما الاجتماع الثاني فيعقد في شهر تشرين الثاني يجري فيه تدقيق جدول موازنة السنة اللاحقة وتصديقه ، فضلا عن الانشاءات والاعمال المخطط القيام بها^(١٢). وللجمعية البلدية ان تدقق في الاحوال العامة للمجلس البلدي وابداء مطالعتها بشأن الاصلاحات وتعديل الانظمة بمضبطة إلى والي الولاية في بغداد بغية المذاكرة حولها في مجلس الولاية العام ، ولم يعط للجمعية صلاحية اتخاذ أي قرار بشأن أية مادة ما لم يحظ القرار بأكثرية نصف أصوات الأعضاء، وفي حالة عدم حصول النصاب المطلوب ولمرتين متواليتين يدعى المجلس للاجتماع مرة ثالثة حيث يكون قرار الاعضاء معتبرا على ان يؤخذ برأي الاكثرية ، وعند تساوي الآراء يرجح الذي يؤيده الرئيس^(١٣).

ثالثاً: دائرة البلدية :

كان يدير هذه الدائرة في ولاية بغداد عدد من الموظفين فمنهم من يقوم بالاعمال الكتابية ، وهناك كاتب اسرار البلدية الذي يقوم بالمراسلات والحسابات والمحافظه على جميع اوراق المجلس البلدي وسجلاته وترتيبها ، فضلا عن امين الصندوق الذي اوكل اليه مهمة استلام ايرادات البلدية وتسليمها إلى الرئيس مع تقديم خلاصة بالايرادات و المصروفات^(١٤). اما واجبات مهندسي البلدية فتمثلت بالقيام بما يعهد إليهم من إنجاز تنفيذ الشوارع والاعمال المتعلقة بالطرق والمباني والاشراف عليها . كما ضمت دائرة البلدية عددا من المراقبين والمفتشين الذين كلفوا بمراقبة تنفيذ القوانين والانظمة التي تضعها البلدية، ومن المفيد الإشارة إلى ان دوائر البلدية ضمت في عضويتها عضوين استشاريين هما ، الطبيب البشري والطبيب البيطري^(١٥).

ووفقا لما جاء بقانون البلديات العثماني انف الذكر فقد قسمت الدوائر البلدية في بغداد إلى بضعة شعب منها^(١٦):

- شعبة الهندسة: ويديرها مهندس مختص ويعاونه معمار مختص وعدد من الموظفين ، وواجب هذه الشعبة تطبيق قانون الابنية داخل المدينة وضواحيها ، ومنح اجازات البناء ، ومراقبة الابنية الأيلة للانهدام وتنظيم الخرائط والمخططات للشوارع المنوي فتحها والابنية العامة التي تقوم البلدية بإنشائها بغية تجميل المدينة وغير ذلك من الامور الفنية التي تتعلق بتجميل المدينة .
- طبابة البلدية : يديرها طبيب مختص من جراح وصيدلي وملقح للجذري ومولدة ، وتتحصر واجبات هذه الشعبة في الاشراف على الصحة العامة للمدينة .
- شعبة المحاسبة : ويديرها محاسب مع عدد من الكتبة ، وواجباتها تتعلق بالامور المالية العائدة للبلدية من ايرادات ومصروفات وتنظيم الميزانية .



▪ شعبة التفنىش : تتألف من رئيس مفتشين وعدد من الموظفين، وتعد واجباتها مهمة ومكاملة لواجبات الشعب الاخرى ، من حيث متابعتها لسير اعمال وانتظام الاعمال داخل المدينة ، كمراقبة النظافة العامة للطرق والباعة ومراقبة من يتجاوز على الطرق العامة والارصفة بأشغالها من أصحاب الحوانيت ومراقبة الابنية الآيلة للسقوط ، فضلا عن مراقبة ثبات الاسعار ومحاسبة المتلاعبين فيها وغيرها .

▪ شعبة التحرير : يرأسها باش كاتب (رئيس الكتاب) مع عدد محدد من الموظفين ومسؤولين عن حفظ السجلات وكل ما يتعلق بالصادر والوارد من الكتب الرسمية وتدوين محضر جلسات المجلس البلدى وامور المتابعة الرسمية . اعتمدت البلديات في ولاية بغداد تدبير أمورها المالية على عدد من الموارد التي تمثلت بـ (١٧).

- أ- الضرائب المختلفة كتلك التي خصصتها السلطات الحكومية للبلدية أو تلك التي كانت تفرض وبموجب ارادة سلطانية ، كضريبي الاحتساب والتمغا .
- ب- مبيعات البلدية من فضلات الاراضي المتبقية عقب اصلاح الطرق أو بعد اعادة تخطيطها، فضلا عن رسوم الشرفة التي كانت البلدية تأخذها من اصحاب الاملاك الذين ينتفعون من اصلاح الطرق .
- ت- الغرامات المالية التي تجبها السلطات البلدية من المخالفين لتعليماتها .
- ث- الرسوم المختلفة التي تجبها السلطات البلدية ، كرسوم القبانىة ، ورسوم الكيل ، ورسوم العقود والقونترات (المقاولات) ، ورسوم ذبح الحيوانات أو بيعها .
- ج- الاكتتابات والهبات التي يكتتب بها للبلدية أو توهب لها .
- رابعا: دائرة النافعة (الاشغال العامة) :**

اوجب قانون الولايات الصادر عام ١٨٦٤ ، تعيين مأمور للامور النافعة (الاشغال العامة) في مركز كل ولاية من ولايات الدولة . وقد حدد القانون المذكور واجبات مدير النافعة بوصفه المسؤول عن الابنية والطرق ويساعده في ذلك مجموعة من المهندسين المختصين فضلا عن تهيئة العمال للعمل ، وتقديم خلاصة بالاعمال المنجزة في نهاية كل سنة إلى الوالى الذي يرفعها بدوره إلى نظارة النافعة (وزارة الاشغال العامة) (١٨).

وضمن الجهود التي بذلها مدحت باشا في وضع قانون الولايات موضع التطبيق ، فقد اوعز بتشكيل دائرة النافعة في ولاية بغداد ، التي اسند اليها القيام ببعض الاعمال ، منها مسح بعض الاجزاء من نهر دجلة وتطهيرها لجعله صالحا لملاحة البواخر النهرية ، واصلاح المعمل العائد لادارة البواخر الحكومية وتشغيله ، وتعهد مشروع انشاء ترامواي الكاظمية وتمهيد طريقه ومد سكتة الحديدية (١٩).

اما عن تشكيلة الجهاز الاداري لهذه الدائرة ، فبالاضافة إلى مدير النافعة ضمت عددا من الاعضاء ، تألفت دائرة نافعة ولاية بغداد عام ١٨٨٩ من رئيس مهندسين (سر مهندس) وكاتب واحد . لقد عرفت مدينة بغداد وجود لجنة خاصة ملحقة بهذه الدائرة ولكنها تتبع الادارة المحلية للولاية باسم (هيئة الاشغال العامة) - نافعة قومسيوني -

التي اسندت رئاستها إلى والي الولاية، اما عن عضوية هذه اللجنة تكونت من ستة أعضاء ، وهم كل من : رئيس المهندسين ، وممثل عن البلدية ، وناظر النفوس ، ومدير البنك وكاتب وعضوين آخرين^(٢٠).

ويبدو ان دائرة الأشغال العامة عانت من مشاكل ومعوقات عديدة اثرت وبشكل كبير على نشاطها ، حيث عدت قلة التخصيصات المالية أو انعدامها في بعض السنوات احدى اهم تلك المشاكل ، ولمواجهة هذه المشاكل لجأت ادارة ولاية بغداد إلى اقتطاع قسم من مصروفاتها لحساب هذه الدائرة، كما حدث سنة عام ١٨٩٠ عندما خصصت الولاية مبلغاً قدره (٥٦٠٣) قرشاً للصرف على امور النافعة ، وتكرر ذلك عام ١٨٩٤ عندما خصصت مبلغاً قدره (٢٠٩٨٨) قرشاً^(٢١).

بيد انه كان على دائرة النافعة استحصال موافقة العامة نظارة النافعة على تنفيذ المشاريع التي تزمع الدائرة تنفيذها التي لم تكن ايجابية دائماً . ويلحظ ان دائرة النافعة لم تباشر بإعمال صيانة احد جسور المدينة عام ١٩٠٧ ، إلا بعد حصول الموافقات الرسمية على ذلك ، وقد قدرت تكاليف اعمارها ب (٨٥٦٧٩) قرشاً . فيما لم تنل العديد من مشاريع هذه الدوائر موافقة (نظارة النافعة) ومنها علي سبيل المثال لا الحصر المشروع الذي تقدم به احد تجار ولاية بغداد (وليد بيك القنديل) عام ١٨٩٢ ، والقاضي بإيصال الماء من نهر دجلة إلى مناطق شمال بغداد بأنايب معدنية ، كما رفضت (نظارة النافعة) في نفس السنة المصادقة على تنفيذ مشروع الترامواي بين جانبي الكرخ والرصافة، وغيره العديد من المشاريع الاخرى^(٢٢). وقد اثر ذلك في نشاط دائرة النافعة في عموم العراق وولاية بغداد بالتحديد والذي وصفته المصادر التاريخية بأنه قليل الفعالية^(٢٣).

المحور الثاني :التشكيلات البلدية وخدماتها في ولاية بغداد اواخرالعهد العثماني:

أسست اول بلدية في جانب الرصافة عام ١٨٦٩ وتألقت من رئيس وخمسة اعضاء مع مهندس ومفتش صحي وطبيب ، وارتبط بالدائرة قلم خاص ، تألف من عدد من الكتاب وامين الصندوق وأمور المحلات ومفتشين ، وضبطية البلدية ، فضلاً عن الحراس الليليين وعمال التنظيف، كما ارتبطت بهذه البلدية ادارة مستشفى الغرباء بالكرخ، وادارة مدرسة الصنائع^(٢٤).

ونظراً لسعة المدينة وعدم امكانية البلدية تأمين الخدمات والمهام اللازمة ، اسست دائرة بلدية ثانية عام ١٨٧٨ وكان موقعها في رأس القرية(احدى المناطق الواقعة على جادة خليل باشا، شارع الرشيد اليوم) ، حيث تألف ملاكها الاداري من رئيس وستة اعضاء فضلاً عن طبيب واحد وقلم البلدية الذي تألف من عدد من الكتاب وامين الصندوق ومحاسب ، فضلاً عن عدد من الموظفين والعاملين من الحراس الليليين وعمال التنظيف ، اعقبها وفي السنة نفسها تشكيل دائرة بلدية ثالثة في جانب الكرخ ، تألفت من رئيس وخمسة اعضاء وقلم البلدية المتألف من رئيس الكتاب ومعاونيه والمحاسب وأميين الصندوق وعدد من المراقبين وعمال التنظيف . وقد وصفت دائرة البلدية الاخيرة بأنها اكثر البلديات نشاطاً ، فقد أنجزت اضاءة شوارع الكرخ سنة عام ١٨٧٨^(٢٥).



افتقرت بلديات بغداد ، باستثناء البلدية الاولى إلى بناية خاصة بها ، حيث استأجرت كل منها دارا لتكون مقرا لها . وكان لكل بلدية من البلديات الثلاث ميزانية خاصة بها ، إلا انها سرعان ما واجهت ضائقة مالية عام ١٩٠٧ ، اضطرتها في النهاية إلى دمج البلديات الثلاث في بلدية واحدة اقتصاداً في النفقات ، إلا ان ذلك الدمج لم يستمر طويلا اذ سرعان ما اعيد تشكيل البلديات الثلاث مرة ثانية^(٢٦) .

اسندت الى البلديات في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني الكثير من الاعمال والخدمات التي كانت تقدمها للاهالي وهي كالتالي^(٢٧) :

- النظافة العامة .
- الاشراف على المستشفيات والمراكز الصحية والبيطرية.
- فتح الطرق والشوارع وتعبيدها.
- تشييد وصيانة الجسور .
- مراقبة كل ما يمكن ان يخل بالأداب العامة والأخلاق والقانون .
- انارة المحلات والأزقة .
- المساهمة في تحديد اسعار المواد الغذائية ومنع احتكارها .
- تزويد الاهالي بالماء عبر السقايات والاسالة والمضخات .
- مراقبة الحرائق واطفائها في المحلات والاسواق العامة .
- تشجيع الاهالي على النقل النهري والمساهمة به.

تمثلت اولى الخدمات التي اضطلع بها الجهاز البلدي بافتتاح الطرق والشوارع التي ابتدأها مدحت باشا ، حيث لقيت البلدية في عهده دعماً واسع النطاق فقد وجه اهتمامه الى الشوارع الداخلية في بغداد التي كانت شوارعها غير مبلطة علاوة على كونها مركزاً لتجمع المياه والبرك في فصل الشتاء ، فبدأ باستخدام مادة (الزفت) في اكساء الشوارع بهدف تسهيل عملية النقل حيث قامت بلدية بغداد بحملة واسعة هدفت منها اصلاح شوارع بغداد وازقتها^(٢٨).

ففي منطقة الكرخ تم افتتاح الشارع الواصل بين جسر الشهداء (حالياً) والكاظمية ، الذي استخدم من قبل الترامواي. كما افتتح في عهد والي بغداد ناظم باشا الشارع المعروف حالياً بشارع النهر . وفي عام ١٩١٦ وتحديدأ ابان ولاية خليل باشا (١٩١٦-١٩١٧) ابتداء العمل بانشاء بـ جادة خليل باشا ، وعند الاحتلال البريطاني اكمل انجاز هذا الشارع الذي عرف فيما بعد بشارع الرشيد^(٢٩).

اعلنت البلدية خلال ولاية ناظم باشا عن مناقصة تشييد جسر حديدي في ولاية بغداد الا ان المشروع لم ينفذ لاسباب مالية. كما اسند الى بلديات بغداد تعمير عدد من الجسور الخشبية التي كانت تتعرض للانقطاع المستمر في اثناء مواسم الفيضان، ومنها الجسر الخشبي الذي يربط جانبي بغداد الكرخ والرصافة ، اذ قامت بلدية الرصافة بتعمير هذا الجسر ولاكثر من مرة وإجراء الإدامة المستمرة عليه^(٣٠).

كما قامت البلدية بانشاء عدد من الجسور في مركز الولاية و الاقضية والنواحي ففي عام ١٨٨٥ ابدت بلدية بغداد /الكرخ استعدادها لاكمال احد الجسور على نهر

دجلة فضلاً عن انشائها لعدد من مشاريع البزل لري الاراضي الاميرية جنوب بغداد (٣١). كما اعلنت بلدية الرصافة خلال ولاية ناظم باشا (١٩١٠-١٩١١) عن مناقصة تشييد جسر حديدي على نهر دجلة ، الا ان المشروع لم ينفذ بسبب نقل الوالي المذكور الى ولاية دمشق (٣٢).

الى جانب ما ذكر فقد اسند الى البلديات تعميم عدد من الجسور الخشبية التي كانت تتعرض للانقطاع المستمر في اثناء مواسم الفيضان ، ومنها الجسر الخشبي الذي يربط جانبي بغداد، حيث كانت البلديات تحيل مهمة تعميم الجسور الخشبية واصلاحها الى متعهد يقوم بهذا العمل مقابل استيفاء اجور معينة عن عبور المشاة والعربات على هذا الجسر (٣٣). ومن المفيد هنا الاشارة الى ان هذا الجسر يتكون من اربعة وثلاثون قارباً ، يزداد عددها تبعاً لارتفاع منسوب المياه وقد ربطت هذه القوارب بسلاسل حديدية بين الكرخ والرصافة ، اذ قامت بلدية بغداد بتعمير هذا الجسر ولاكثر من مرة وامام الانقطاعات المستمرة التي تعرض لها الجسر، ناشد الاهالي بلدية بغداد بضرورة تفقد أحوال الجسر وإجراء الإدامة المستمرة عليه وتغيير الخدمات البلدية الطارئة للجسر (٣٤). اما الخدمات البلدية الاخرى فقد تمثلت، بانارة الطرق والشوارع ، في حين لم تملك البلديات اي مشروع لانارة الدور سوى الفوانيس المضاءة بالنفط التي ابتدأ العمل بها في بغداد عام ١٨٧٥، الا انها لم تشمل بغداد كلها ، فعلى سبيل المثال قامت بلدية بغداد الاولى ١٩٠٢ بتنوير معظم المناطق التي تقع ضمن حدودها بالفوانيس. كما قامت البلدية بتعليق منتي فانوس في مناطق البشاوات والطبقة الارسطقراطية واسندت وظيفة الاضاءة الى (اللمبجية) ، الذين كانوا يطوفون الشوارع لايقاد الفوانيس (٣٥).

وفي ذات السياق اهتمت البلديات في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني بموضوع اسالة المياه ، اذ افتقر العراق الى هذه المشاريع باستثناء المحاولة الوحيدة التي قام بها والي بغداد داؤد باشا (١٨١٦-١٨٣١) ، عندما قام بصب احدى المضخات على نهر دجلة لتزويد الاهالي بالمياه ، غير ان الاهمال سرعان مالحق بالمشروع بعد مدة قصيرة من اقامته، وبالتالي استمر الناس في تلبية احتياجاتهم من مياه الانهر التي تولى السقاءون مهمة نقلها في قرب مصنوعة من جلود الحيوانات (٣٦).

وبناء على ذلك فقد نالت شؤون السقايات (اي محلات شرب الماء) في مدينة بغداد، اهتمام عدد كبير من الولاة والمسؤولين في الدولة والاعيان واهل الخير الذين دأبوا على اقامة مثل هذه المشاريع التي اطلق عليها اسم (السقايات/ السبيل خانات) ، ومنها سبيل خانة باب الحوائج ، سبيل خانة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، سبيل خانة الشيخ عمر السهروردي ، وسبيل خانة الشيخ فتحي، ووقفوا لها الحجج والوقفيات الشرعية والرسمية ، كما ثبت بعضهم عدد العاملين في خدمة(السقاية)، وحددت رواتبهم بدقة (٣٧). ومهما يكن من بد فقد ظهر التفكير الجدي لانشاء اول مشروع لاسالة الماء في عهد الوالي مدحت باشا من خلال ربط دور بغداد وسقايتها العامة بانابيب تضخ اليها المياه عبر مكائن حديثة يتم نصبها في اماكن مختلفة على شواطئ دجلة ، على ان يعهد الى



بلديات ولاية بغداد مهمة ادارتها ، وبغية وضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، اوعز الوالى مدحت باشا باستيراد خمسة مكائن من لندن ، قوة كل واحدة منها عشرة حصان ، وتم نصب احداها في محلة الميدان على سبيل التجربة (موقعها حاليا اما بيت الحكمة على نهر دجلة). الا ان العمل في هذا المشروع تأخر الى عام ١٨٨٠ ، ولم يغط سوى حاجة حي واحد من احياء بغداد^(٣٨) .

وفي محاولة لتوسيع هذا المشروع قامت بلدية بغداد / الرصافة عام ١٩٠٧ باستيراد المكائن الخاصة لهذا الغرض فتم نصبها في نفس مكان المشروع اعلاه ، وجرى تزويد محلات:الميدان ، الحيدرخانة ،الصايونجية ، جديد حسن باشا ، والطوبخانة بالماء ، حيث بلغ مجموع الدور التي استفادت من هذا المشروع ثلاثمائة دار حتى ان هذا المشروع عد أول منظومة لإسالة الماء في العراق نفذته الدوائر البلدية البغدادية بأمتيال^(٣٩) . وفي عام ١٩١٠ تم نصب ماكينة مشابهة عند دولاى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، إذ الغى العمل بالدولاى ومدت الانابيب المعدنية تحت الارض وبخط مستقيم الى جامع الكيلاني^(٤٠) .

ومع نهاية عام ١٩١١ قامت بلدية بغداد الثانية بتشغيل مضخة ماء اخرى لتزويد الاحياء الجنوبية في جانب الرصافة في حين ان اجور اىصال الماء للدور كانت زهيدة . إذ صارت البلدية تستوفي اجور ماء مقطوعة قدرها ١٠ قروش عن كل دار^(٤١) . ثم اوكلت إدارة هذه المضخات الى قسم خاص تابع لدائرة البلدية الاولى في بغداد ، تألف من مشغل المضخة وعامل واحد ، ليزداد هذا العدد الى أربعة عمال عدا المشغل ، كما عين عامل اخر بعنوان محصل ، اوكلت اليه مهمة استيفاء اجور الماء من اصحاب الدور التي تصلها مياه الاسالة^(٤٢) .

اما في الحقل الصحى فاوكل الى البلديات مهمة الاشراف على المستشفيات الموجودة في ولاية بغداد وهي مستشفى الغرباء بالكرخ (غربه خسته خانة سي) . حيث تولت الدائرتان البلديتان الاولى والثالثة أمر الانفاق عليها، ثم اصدرت البلدية نشرة أسبوعية تتضمن عدد المرضى الراقدين في المستشفى المذكور وعدد المرضى الذين تم علاجهم ، واعداد الوفيات^(٤٣) .

اوجب نظام الادارة العمومية الطبية الصادر عام ١٨٧٠ على البلديات الرئيسة والفرعية ، القيام بفتح صيدليات عامة لتزويد الفقراء بالادوية مجانا حيث عرفت هذه الصيدليات بـ أجزاء (صيدلية) البلدية منها على سبيل المثال الصيدلية التي تولت بلدية بغداد افتتاحها في منطقتي الأعظمية والكاظمية^(٤٤) . كما الحق ببعض البلديات ومنها بلدية الكرخ ، مستوصف تألف من بضعة شعب للخدمات الصحية والوقائية . واوكل الى احد الاطباء ادارة هذا المستوصف اذ كان من ضمن واجباته تفتيش المرافق الصحية ومجاري المياه والاشراف التام على محلات بيع الخضار والفاكهة والمطاعم والخانات . فضلا عن المدابع والمجازر ، وضمت هذه الشعبة كذلك عددا من المفتشين ، الذين كلفوا بالقيام بجولات ميدانية الى القرى والنواحي التابعة للولايات بهدف الكشف عن الحيوانات والتأكد من سلامتها من الامراض السارية^(٤٥) . كما دأبت البلديات ، وفي

محاولة منها للحد من انتشار الامراض السارية ، على اصدار سلسلة من التدابير الصحية لما لذلك من علاقة بالصحة العامة ، فعلى سبيل المثال الزمت الدوائر البلدية في ولاية بغداد اصحاب المقاهي بتنفيذ عدد من التعليمات الخاصة بالنظافة ، اذ شرعت الدوائر البلدية في بغداد بتعيين ملاك وظيفي للقيام بهذه المهمة تألف من عدد من المأمورين والمراقبين وعمال التنظيف ، كما جرى توزيع عدد من المأمورين على المحلات لمراقبة عمال التنظيف فيها وتخويلهم صلاحية إنزال العقوبات بالمقصرين في اداء واجباتهم، كما الزمت البلدية الاهالي واصحاب المحلات بالمحافظة على النظافة . وفي هذا المجال اعدت البلديات عربات خشبية لجمع القمامة من الدور^(٤٦) . وأوجبت على ارباب الحرف وصناع الحلويات وبائعي الحلبي باستحصال اجازة قبل ممارسة العمل مشروطة بتفتيش الطبيب لمحلاتهم ، كما طالبت أصحاب المطاعم والمشروبات الكحولية باستحصال مثل هذه الاجازة^(٤٧) .

واسندت الى البلديات مهمة اطفاء الحرائق اذ اناط قانون الولايات مهمة مراقبة الحرائق والأخبار عنها وإطفائها الى البلدية ، واوكل القانون المذكور الى مراقبي البلدية مهمة الاتصال باقرب نقطة والمشاركة في عملية الاطفاء ، ومراقبة السقائين من خلال جلب المياه الى مواقع الحريق لآخمادها ففي عام ١٨٨٨ صدر (نظام منع الحريق) الذي حدد بموجبه واجبات البلدية تجاه مراكز الحريق من خلال تزويدها بالادوات الخاصة بالاطفاء كما حدد القانون مسؤولية البلدية بالاشراف على عمليات الاطفاء . وكاجراء وقائي لجأت بلدية بغداد/الرصافة الى اتخاذ عدة اجراءات للحد من ظاهرة الحرائق في اسواق بغداد عندما قامت بتغيير المادة التي كانت تسقف بها هذه الاسواق من الحصران والقصب الى مادة الزنك^(٤٨) .

والى جانب ما ذكر من خدمات بلدية قدمت في بغداد اواخر العهد العثماني فقد شجعت البلدية الاهالي على اقامة المطاحن ومعامل الثلج ، فعلى سبيل المثال قام احد التجار ويدعى (محمد الشابندر) باستيراد ماكينة صنع الثلج ووضعها تحت تصرف البلدية. حيث تولت البلدية بيعه بمقدار عشرة بارات للكلغم الواحد . مما ساعد على انتشار معامل الثلج في الموصل والبصرة والعمارة والناصرية لتبريد مياه الشرب في الصيف اللاهب^(٤٩) .

وكان للدوائر البلدية إسهاماتها في تحديد اسعار المواد الغذائية ومنع احتكارها ولاسيما اللحوم والرز والنفط والدهن والصابون وتوحيد الاوزان والمكاييل الا ان هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح . وكان من ضمن واجبات البلديات الاخرى في بغداد ، مراقبة كل ما يمكن ان يخل بالآداب العامة والأخلاق والقانون ، فعلى سبيل المثال اصدر مدراء البلديات البغدادية منع دخول الاشخاص عراة الاجسام الى الماء لان ذلك يتنافى مع الذوق العام. كما و فرض الجزاء النقدي على السقائين الذين يحملون الماء على الحيوانات ويعاملونها بقسوة . واشرفت بلديات بغداد على سير حيوانات النقل ثم قامت البلديات نفسها بجمع الحيوانات المؤذية وابعادها عن طرقات المدينة^(٥٠) .

وتشجيعا من والي بغداد ناظم باشا (١٩١٠-١٩١١) للنقل النهري ، فقد امر بجلب اربعة مراكب صغيرة على نفقة البلدية . جرى الاتفاق على تسيير اثنين منها في الفرات واثنين في



دجلة . وقد بوشر بهذا المشروع بالفعل ، إلا انه لم تتوافر في المصادر تفاصيل كافية عن الرحلات النهريية للمشروع ، ويبدو ان هذا المشروع لاقى بعض النجاح نتبجة للدعم الذي قدمه هذا الوالي ، إلا ان هذا المشروع تعرض للإهمال بعد عزل هذا الوالي إلى الحد الذي اضطرت الهيئة المشرفة على المشروع إلى بيع هذه المراكب بالمزايدة^(٥١) .

واوكل إلى البلدية ايضا انشاء مستودعات لحفظ المواد القابلة للاشتعال حيث وضعت شروط وضوابط لانشائها .وبجهود من البلدية في الكرخ تم تأسيس مشاريع للنقل بالعربات التي تجرها الخيول عام ١٨٩٠ . كما قامت البلديات بانشاء بعض الابنية العامة حيث قامت بلدية الرصافة عام ١٩٠١ بانشاء بناية للجندرمة ودائرة للبلدية ودائرة المحكمة الشرعية وتأسيس قاعة للمطالعة ، وانشاء دار للضيافة فضلا عن العديد من الدور لسكان الصراف .في حين شرعت بلدية بغداد الثانية بانشاء محلين احدهما خاص ببيع الخضروات والثاني لبيع الوقود . كما شيدت الدائرة البلدية الثالثة مسرعا عاما استمر في العمل حتى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤^(٥٢) .

وفي عام ١٩١٣ انجزت البلدية اول خريطة لولاية بغداد ، كما قام بعض الولاة ورؤساء البلديات بردم الخنادق المحيطة بمدينة بغداد ، التي اصبحت موطنا للأمراض والابوئة . كما اضطلعت الدوائر البلدية في بغداد بعدد من المهمات الجانبية اثناء الانتخابات النيابية لمجلس المبعوثان منها^(٥٣):

- أ- تنظيم دفاتر نفوس الاهالي وتوقيعها تمهيدا لاجراء الانتخابات.
- ب- عهد إلى مدراء النواحي والمختارين ان يجتمعوا برئيس بلدية ولاية بغداد والقضاء ليلبغهم أصول مسك الدفاتر الخاصة بالانتخاب .
- ت- تعهد البلدية بطبع قوائم بأسماء المرشحين تمهيدا لتعليقها في المحلات والساحات العامة.
- ث- دعوة المنتخبين الثانويين لانتخاب اعضاء مجلس المبعوثان .

المحور الثالث : مشاكل البلدية في ولاية بغداد اواخر العهد العثماني:

بالرغم مما قامت به الدوائر البلدية من خدمات عديدة ، إلا أنها عانت من سلبيات كثيرة لعل ابرزها قلة التخصيصات المالية المخصصة للبلديات ضمن الميزانية العامة لذلك اعتمدت البلديات على الايرادات الضريبية في تغطية مصاريفها فعلى سبيل المثال بلغ مجموع الايرادات الضريبية لبلدية بغداد وحدها عام ١٨٩٦ ، ١.٣٧٢.٨٣٦ قرشا ارتفعت إلى ١.٤٠٤.٢٠٢ قرشا عام ١٩٠١ ، لتصل إلى ١.٤٢٥.٦٤٤ قرشاً و ٣٠ بارة عام ١٩١١ ، بدون ان تقوم الادارة المحلية أية تخصيصات مضافة من ميزانيتها العامة للبلديات^(٥٤) .

وكان القسط الاكبر من الايرادات البلدية تصرف رواتبا لموظفي البلدية . وكمثال على ذلك وصلت ايرادات بلديات بغداد عام ١٩٠٧ ما يقارب (٢.٥) مليون قرش خصص القسم الاكبر منها رواتباً لموظفي البلدية . مستخدمها وقد ترتب على هذا الاجراء توفير شيء من الاموال للسلطات البلدية ، فاستخدمها في تقديم المزيد من الخدمات للأهالي كان منها زيادة عدد اطباء البلدية من طبيب إلى ثلاثة اطباء . إلا ان هذا الاجراء لم يستمر طويلا ، بسبب قلة الضرائب وعدم مقدرة الاهالي على دفعها الى جانب الفساد المالي والاداري لبعض موظفي البلديات . وبالتالي استمرت مشكلة العجز المالي التي عانت منها البلديات في بغداد اواخر العهد العثماني مما كان سببا في الحد من قيامها بالكثير من مهامها . وقد انتقدت جريدة الزوراء هذا الوضع

بقولها "ان واردات البلدية لو صرفت على استكمال حوائج مدينتنا المادية والمعنوية فلاشبهة في أننا كنا نحصل على طرق وحدائق منتظمة ومستشفيات ... ولكن هيهات لما مضى وفات..."^(٥٥).

ولمعالجة هذه المشكلة لجأت بعض البلديات إلى طلب القروض المالية من الادارات المحلية لولاية بغداد ، ولم تكن تلك الطلبات تلقى اذانا صاغية من السلطات المحلية دائماً، وعلاوة على ذلك عانى الاهالي من الشدة التي ينتهجها المتعهدون (الملتزمون) بجباية الضرائب والرسوم البلدية وبمساعدة ضبطية البلدية ونتيجة للظلم الكبير الذي تعرض له الاهالي على يد الملتزمين ، فقد صدرت إرادة عثمانية في عام ١٨٨٦ اكدت على ضرورة جباية الضرائب والرسوم من المناطق المختلفة عن طريق مجالس البلدية بصورة مباشرة^(٥٦).

لم تخل الانتخابات للمجالس البلدية في بغداد والترشيح لها من السلبيات فعلاوة على عدم نزاهة هذه الانتخابات . وحصراً حق الانتخاب والترشيح بالمالكين، وبالتالي حرمان الشريحة الكبرى من حق الاشتراك والتمثيل في هذه المجالس . فانه غالباً ما تنكر قسم من رؤساء البلديات ، واعضاء المجالس البلدية لعودهم التي قطعوها للاهالي. لذلك طالبت جريدة الرقيب الناخبين بلزوم انتخاب من يعلمون فيه الكفاءة والهمة من المرشحين لعضوية المجالس البلدية للقيام بمهام البلدية ، المتوقف اصلاح الولاية واعمارها ونظافتها عليهم^(٥٧). الى جانب ما ذكر فقد قادت قلة رواتب الموظفين وعدم دفعها بانتظام ، إلى تفشي ظاهرة الرشوة والاختلاس، فمثلاً كان رئيس بلدية الرصافة يتقاضى راتباً شهرياً قدره ١٧٥٠ قرشاً ، اما الطبيب فيتقاضى ٢٢٠٠ قرش ، والصيدلي ١٢٠٠ قرش ، وهناك رواتب تدفع بهذا القدر أو اقل إلى كل من العمارة والباشكاتب وغيرهم ، كما كان للمحسوبة دوراً في تعيين هؤلاء الموظفين^(٥٨).

وقد وفتت سرعة تبدل حكام ولاية بغداد وعدم موافقة السلطات العثمانية على بعض المشاريع المرفوعة من الادارة المحلية حائلاً دون إتمام كثير من المشاريع الخدمية المهمة للاهالي ، حيث تطرقت جريدة الزوراء في أحد أعدادها إلى هذه المعضلة عندما اشارت إلى ان "الصلة في أعمار الولايات تقع على مسؤول الولاية الاول وهو الوالي ، فكم من الولاة المصلحين والمشهود لهم بالنزاهة والقابلية لم يكتفوا في مسؤولياتهم سوى اشهر معدودة لا تتخطى المسؤولية السنة أو السنتين ، وهذه المدة لا تيسر للوالي الذي له رغبة في الاصلاح ان يقوم بما يريد ، كما ان الذي رأيناه ان هناك مشاريع قدمت لتحصيل الموافقات ... ونجدها دون جواب ..."^(٥٩).

ووجهت انتقادات كثيرة إلى البلديات والاعمال التي قامت بها فعلى الرغم من اقدام البلدية على فتح الشوارع ، إلا ان انجاز مثل هذه الخدمات واصلاحها عانى من سلبيات كثيرة يأتي في مقدمتها ، عدم استقامة هذه الشوارع ، كما ان تلبطها لم يكن متقناً اذ اكتفي برصف بعض منها بالحجارة . في حين استخدمت بلديات اخرى مادة القير لتبليط الشوارع لكن بطريقة بدائية ، اذ اكتفي بصب مادة القير على الأرض ، ومن ثم تسويتها باستخدام آلة خشبية (شوبك) ، الامر الذي تطلب استخدام ايدي عاملة كثيرة ، ولمواجهة هذه المعضلة لجأت السلطات المحلية إلى



استخدام السجناء في انجازها . وكذلك الحال بالنسبة إلى الخدمات التي قدمتها البلديات في مجال تعمير الجسور وأدامتها فكثيرا ما اوردت الصحف شكاوى الاهالي المستمرة من الوضع المتردي الذي امست عليه هذه الجسور^(٦١).

اما بالنسبة إلى مشاريع اسالة المياه التي قدمتها البلدية - فعلى الرغم من محدوديتها ، فان المياه التي كانت تصل إلى هذه البيوت كانت محملة بالطمى ، ناهيك عن عدم صلاحيتها للشرب . علاوة على اقتصار الافادة منها على الاحياء المهمة . كما ان جريان هذه المياه لم يكن مستمرا اذ كان يجري يوما ويتوقف يوم آخر . وكثيرا ما نشرت جريدة صدى بابل شكاوى الاهالي المستمرة من قلة المياه^(٦١) . وبالتالي ظلت غالبية احياء ومحلات بغداد معتمدة في سد حاجة اهاليها من المياه على السقايات والسبيل خانات ، ولتسهيل عمل السقائين ، بادرت بلدية بغداد الاولى إلى اتخاذ سلسلة من الاجراءات منها بناء مسناة ذات ادراج لنقل الماء للسقائين وتعمير حوض الماء في محلة الميدان ، وبناء حوض جديد في محله الفضل . فضلا عن انشائها للعديد من الخزانات الحديدية في بعض منعطفات الطرق لياخذ السقاؤون حاجاتهم من المياه . في الوقت نفسه تبرع الاهالي بنصب عدد من خزانات المياه اذ ذكرت جريدة الرقيب عن قيام عيسى غياث الدين افندي ال جميل في محلة قنبر علي بالتبرع بخزان ماء تم نصبه في المنطقة^(٦٢).

وعلى الرغم من محاولة بعض الاهالي تأسيس شركات اهلية لمد انابيب المياه في مناطق اخرى من المدينة . إلا ان تلك المشاريع لم تنفذ لاسباب غير معروفة ومنها المشروع الذي تقدم له كلا من كاظم باشا ، صالح جلبي الاستربادي ، ويعقوب باشا عيسائي عام ١٩١٠ لتأسيس (شركة ماء بغداد) بالرغم من حصولها على الموافقات الرسمية . كما تنطبق الحالة نفسها على معامل الثلج فعلى الرغم من ان انتاجية بعض هذه المعامل وصلت إلى (١٠٠٠) كلغم يوميا من مادة الثلج ، إلا ان هذه الكمية لم تستطع تلبية حاجات السكان من هذه المادة . وكان معظم انتاجها يذهب إلى بيوت الوجهاء وكبار الموظفين . ولم تفلح البلديات في المحافظة على نظافة الازقة والشوارع بشكل مناسب في ولاية بغداد ، مما دفع جريدة الزوراء إلى ان تصف حالة تلك الازقة "بأنها تستوجب الشكوى ، لان النظافة المطلوبة غير حاصلة واغلب الطرق غير مكنوسة، إذ ان الأزقة مملوءة بالازبال ..."^(٦٣).

فيما ذكرت جريدة صدى بابل ، ان "الاوراخ متراكمة في ساحات بغداد والاقذار متكدسة في جاداتها وشوارعها"^(٦٤) . وينطبق الحال كذلك على بلديتي الكرخ والرصافة اللتين وصفت شوارعهما بالقذارة . كما اتصف عمال النظافة التابعون للبلدية بالإهمال وعدم الإخلاص . ولمعالجة المشكلة لجأت بلديات بغداد ابان ولاية مدحت باشا وبعض الولاة الآخرين إلى احالة عملية التنظيف إلى متعهد خاص يتولى انجاز هذه الوظيفة بدلا من خدمات عمال النظافة ، لكن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح لان الصحافة ظلت تكرر شكاواها من تقصير البلديات في عدم العناية بتنظيف الازقة والشوارع .

ومن مشاكل البلدية الأخرى في مدينة بغداد أواخر العهد العثماني ، ان مراقبو البلديات لم يكن يقومون باداء وظائفهم بشكل مرضي اذ لم يمنعوا بعض التجاوزات التي يقوم بها اصحاب الدور والمحلات العامة والاسواق ، وقد أشارت جريدة الرقيب إلى ذلك بقولها "ان البلدية قد اهملت اعمالها اذ ان تجاوزات اصحاب المحلات في الاسواق وعلى الطريق العام كثيرة ، اذ يخرج هؤلاء بضائعهم وحاجاتهم ويضعونها خارج محلاتهم على قارعة الطريق ، حتى ظن نتيجة للاهمال ان البلدية لا وجود لها ، لولا وجود جملة من المأمورين والحراس يتقاضون رواتبهم الشهرية في كل شهر ، ويلحق بهم من خصصت لهم الدائرة معاشات اوفر باسم مفتشين ، فهذه الابنية تبنى والطرق تعصب ... ولا يخبرون الدائرة النائمة ..."^(٦٥) .

علاوة على ذلك اهمل المفتشون والمراقبون متابعة الابنية القيمة وملاحظاتها بين حين واخر واخبار دوائهم بحالتها الأبلية للسقوط مما ادى إلى انهيار الكثير منها ووقوع خسائر في الأرواح من جرائها وكمثال على ذلك تطرقت مجلة لغة العرب إلى الاهمال الذي يعانيه سوق بغداد الكبير بقولها "ان البلدية في غاية الانحطاط وبيوت المدينة امام الناظر لان البلدية لا تسعى في هدم ما يجب هدمه وترميم ما يجب ترميمه ..."^(٦٦) .

وطالبت جريدة الزوراء في احد اعدادها (بارسال البلدية للمأمورين والمعماريين لاجراء الكشف على خارج الدور ومعاينتها ... فاذا رؤيت ابنية مماثلة للإنهدام ويلزم هدمها من طرف البلدية بناء على الاخبار والمعلومات ... هدمت ... وان لا يجري التسامح والتأني في ذلك قطعاً"^(٦٧)) وامام اهمال البلديات متابعة هذه المسألة بادرت سلطات ولاية بغداد إلى توجيه انذار إلى رؤساء بلديات بغداد عام ١٩١١ ، تضمن إنزال عقوبات شديدة بحقهم في حالة اهمالهم مراقبة الدور القديمة ، وعدم هدمهم الأبلية منها إلى الانهيار .

ولم تسلم الخدمات الطبية التي تقدمها البلدية هي الأخرى من الانتقاد فعلى الرغم من ان نظام الادارة العمومية أوجب على كل بلدية من بلديات ولايات الدولة العثمانية ، ان تعين طبيبا ومعاون له ، إلا ان هذا القرار لم يدخل حيز التطبيق في جميع الدوائر البلدية ، فعلى سبيل المثال افترقت بلدية الرصافة إلى وجود طبيب بلدي اختصاص ، كذلك الحال بالنسبة الى الصيدليات ، فعلاوة على عدم تفريق القائمين بين دواء واخر ، عانى المستفيدون من خدمات هذه الصيدليات من ارتفاع اسعار الادوية إلى الحد الذي دفع احد مؤرخي تلك الحقبة إلى القول ان "هذه الصيدليات كانت مفتوحة للاغنياء لا للفقراء"^(٦٨) .

ومما زاد الامور سوءا عدم اعطاء البلديات الصلاحيات الكاملة لتنفيذ قراراتها ، فعلاوة على القيود التي فرضت على الاعمال التي تعتزم دوائر البلدية القيام بها ، لم يكن بإمكان الأخيرة البت في أي من القضايا إلا بعد الرجوع إلى الدوائر المختصة ، ومجلس إدارة ولاية بغداد لمخاطبة السلطات العثمانية في اسطنبول .

الخاتمة والاستنتاجات :

يمكن عد عام ١٨٦٩ بداية لتاريخ الخدمات العامة في العراق الحديث وقد ارتبط ظهور العديد من تلك الخدمات العامة بتولي مدحت باشا مقاليد الولاية في بغداد بين عامي ١٨٦٩-١٨٧٢ . فقد كان مدحت من بين زعماء حركة الاصلاح الحديث في الدولة



العثمانية ، ولذا اهتم بوصف العديد من القوانين والاجراءات الاصلاحية موضع التطبيق عند مجيئه إلى بغداد . بيد ان القول بان الخدمات البلدية في العهود الاخيرة من عهد السيطرة العثمانية كانت في تحسين تدريجي لا يعني انه لا توجد جوانب سلبية فيها . ومن ذلك قلة التخصيصات المالية عموماً للخدمات البلدية التي كان يفترض ان تكون لها الاولوية في ذلك ، ولم تكن هناك ملاكات مؤهلة كافية في المجالات الخدمية مثل التقليم والصحة ، وعدم دفع الرواتب بانتظام ، مع قتلها.ومن هذا يتضح لنا جليا ان العهد العثماني الاخير فقد اسس بواكير اولى الخدمات البلدية في الولايات العراقية عموماً وولاية بغداد على وجه الخصوص ، غير ان هذه البلديات ودساتيرها وشروط عملها وخدماتها المقدمة ، لم تكن الا حبرا على ورق في تقديم خدمات بلدية بسيطة ومتواضعة في كل محلات واحياء وازقة وطرقات مدينة بغداد مقتصرة العمل على احياء الطبقة المتنفذة . الى جانب البيروقراطية والروتين الاداري الملل . وانتشار الرشوة والفساد الاداري والمالي مع المحسوبية والمنسوبية في كل شيء .

الهوامش :

- (١) جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٢٢٩ .
- (٢) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنانات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨١ .
- (٣) علي ظريف الاعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٦ ، ص٢٢ .
- (٤) محمد فريد بيك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص٧٨ .
- (٥) بيير دي فوسيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤ ، ترجمة اكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص٧٨ .
- (٦) الاب انستاس ماري الكرمل ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوونه إلى يومنا هذا ، البصرة ، ١٩١٩ ، ص٤٤ .
- (٧) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنانات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٩ .
- (٨) ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط١ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٥٥ .
- (٩) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص٩٨ .
- (١٠) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٦٦ .
- (١١) صباح حسين اعقاب ، املاك السنية في العراق ١٨٧٦-١٩٠٩ ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص٤٤ .
- (١٢) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٧٠ .
- (١٣) صباح حسين اعقاب ، المصدر السابق ، ص٤٩ .
- (١٤) جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٥ ، ص١٢٢ .
- (١٥) محمد بهجت الاثري ، "محمد بهجت الاثري يحدد ملامح بغداد اواخر حكم العثمانيين" ، مجلة امانة العاصمة ، العدد (١٦٦) ، ١٩٧٨ ، ص٦٦ .
- (١٦) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنانات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٨ .
- (١٧) خليل ابراهيم ومهدي محمد الازدي ، تاريخ احكام الاراضي في العراق ، سلسلة دراسات ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٧٦ .
- (١٨) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنانات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٦ .
- (١٩) صديق الدمولجي ، مدحت باشا ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٥٣ ، ص٣٣ .
- (٢٠) جاسم محمد حسن ، المصدر السابق ، ص١٢١ .
- (٢١) يوسف عز الدين ، داود باشا ونهاية المماليك ، دار البصري ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٨٩ .

- (٢٢) عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، ط٢ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص١٢١ .
- (٢٣) ستيقن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٦٦ .
- (٢٤) محمد بهجت الاثري ، المصدر السابق ، ص٨٩ .
- (٢٥) علي ظريف الاعظمي ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .
- (٢٦) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٧ .
- (٢٧) سليمان فائق ، تاريخ بغداد ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص٤٤ .
- (٢٨) المصدر نفسه ، ص٤٦ .
- (٢٩) محمد حسن ال ياسين ، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٩٤ .
- (٣٠) يوسف عز الدين ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .
- (٣١) سليمان فائق ، المصدر السابق ، ص٥٩ .
- (٣٢) ياسين شهاب شكري ، ولاية بغداد ١٨٧٢-١٩٠٩ دراسة في اوضاعها الادارية والاقتصادية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤ ، ص١٨٣ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، ص١٨٤-١٨٥ .
- (٣٤) غانم محمد علي ، النظام المالي العثماني في العراق ، ١٨٣٩-١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٩ .
- (٣٥) عبد الكريم العلاف ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .
- (٣٦) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص٥٦ .
- (٣٧) عماد عبد السلام رؤوف ، تاريخ مياه الشرب القديمة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص١٧ .
- (٣٨) ياسين شهاب شكري ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .
- (٣٩) عماد عبد السلام رؤوف ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ص١٦٨ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ص١٦٩-١٧٠ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص١٧١ .
- (٤٣) عبد الحليم حكمت ، المسح الطبي لولاية بغداد سنة ١٨٨٩ ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص١٩ .
- (٤٤) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٥ .
- (٤٥) المديرية العامة للارشيف العثماني ، ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٤ .
- (٤٦) فخري الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٧ ، ج١ ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٣٨ .
- (٤٧) ياسين شهاب شكري ، المصدر السابق ، ص١٨٨ .
- (٤٨) سليمان فائق ، المصدر السابق ، ص١٢٣ .
- (٤٩) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص٨٩ .
- (٥٠) عباس الغزوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص١٠٤ .
- (٥١) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .
- (٥٢) عباس الغزوي ، المصدر السابق ، ص١١١ .
- (٥٣) بيير دي فوصيل ، المصدر السابق ، ص٧٦ .
- (٥٤) الاب انستاس ماري الكرمل ، المصدر السابق ، ص١٠١ .
- (٥٥) جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢٢ ، ١٤ تموز ١٩٠٩ .
- (٥٦) جاسم محمد حسن ، المصدر السابق ، ص٤٥ .
- (٥٧) جريدة الرقيب ، العدد ١٣١ ٢٢ ايار ١٩١٠ .
- (٥٨) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص٢٥٥ .
- (٥٩) جريدة الزوراء ، العدد ٢٢٧ ، ٢٢ شباط ١٩١٤ .
- (٦٠) عباس الغزوي ، المصدر السابق ، ص١٥٩ .
- (٦١) جريدة صدى بابل ، العدد ١٦١ ، ٨ تشرين الثاني ١٩١٢ .
- (٦٢) فخري الزبيدي ، المصدر السابق ، ص٧٧ .
- (٦٣) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٠٩ ، ١٣ ايلول ١٩٠٦ .
- (٦٤) جريدة صدى بابل ، العدد ١٦ ، ٨ ايلول ١٩٠٦ .



- (٦٥) جريدة الرقيب ، العدد ٥ ، العدد ١٩ ، ٨ تشرين الاول ١٩٠٩ .
(٦٦) مجلة لغة العرب ، المجلد (٢) ، الجزء (٧) ، كانون الثاني ١٩١٣ ، ص ٢٩٥ .
(٦٧) جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ حزيران ١٩١١ .
(٦٨) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

المصادر والمراجع :

- اولاً: وثائق الارشيف العثماني (بغداد ولايتي سالنامه سي)
- المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨١ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٦ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٨ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٨٨٩ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٤ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٥ .
 - المديرية العامة للارشيف العثماني ،ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، سالنامات ولاية بغداد (بغداد ولايتي سالنامه سي) ، ١٩٠٧ .
- ثانياً : الكتب العربية والمترجمة :
- الاب انستاس ماري الكرملى ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا ، البصرة ، ١٩١٩ .
 - بيير دي فوسيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤ ، ترجمة اكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٦٨ .
 - جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ، ٢٠٠١ .
 - خليل ابراهيم ومهدي محمد الازدي ، تاريخ احكام الاراضي في العراق ، سلسلة دراسات ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .
 - صديق الدملوجي ، مدحت باشا ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٥٣ .
 - عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٣٦ .
 - عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
 - عبد الحليم حكمت ، المسح الطبي لولاية بغداد سنة ١٨٨٩ ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، بيروت ، ١٩٩٧ .
 - عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، ط٢ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٩٩ .
 - عماد عبد السلام رؤوف ، تاريخ مياه الشرب القديمة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢ .
 - علي ظريف الاعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٦ .
 - غانم محمد علي ، النظام المالي العثماني في العراق ، ١٨٣٩-١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٨٦ .
 - سليمان فائق ، تاريخ بغداد ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢ .
 - ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط١ ، منشورات مكتبة البيقظة العربية ،بغداد ، ١٩٨٥ .
 - محمد فريد بيك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٧٧ .
 - محمد حسن ال ياسين ، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠ .
 - فخري الزبيدي ، بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٧ ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ،بغداد ، ١٩٩٠ .
 - ياسين شهاب شكري ، ولاية بغداد ١٨٧٢-١٩٠٩ دراسة في اوضاعها الادارية والاقتصادية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤ .
 - يوسف عز الدين ، داؤد باشا ونهاية المماليك ، دار البصري ، بغداد ، ١٩٦٧ .

- ثالثاً: الاطاريح والرسائل الجامعية :
- جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٥ .
 - صباح حسين اعقاب ، املاك السنية في العراق ١٨٧٦-١٩٠٩ ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠ .
- رابعاً: المجلات والجرائد الصحفية :
- اولاً : المجلات :
- محمد بهجت الاثري، "محمد بهجت الاثري يحدد ملامح بغداد اواخر حكم العثمانيين" ، مجلة امانة العاصمة ، العدد (١٦٦) ، ١٩٧٨ .
 - مجلة لغة العرب ، المجلد (٢) ، الجزء (٧) ، كانون الثاني ١٩١٣ ، ص ٢٩٥ .
- ثانياً: الجرائد الصحفية :
- جريدة الزوراء ، العدد ٢١٠٩ ، ١٣ ايلول ١٩٠٦ .
 - جريدة صدى بابل ، العدد ١٦ ، ٨ ايلول ١٩٠٦ .
 - جريدة الرقيب ، العدد ٥ ، العدد ١٩ ، ٨ تشرين الاول ١٩٠٩ .
 - جريدة الزوراء ، العدد ١٤٢٢ ، ١٤ تموز ١٩٠٩ .
 - جريدة الرقيب ، العدد ١٣١ ، ٢٢ ايار ١٩١٠ .
 - جريدة الزوراء ، العدد ٢١٢٧ ، ٢٨ حزيران ١٩١١ .
 - جريدة صدى بابل ، العدد ١٦١ ، ٨ تشرين الثاني ١٩١٢ .
 - جريدة الزوراء ، العدد ٢٢٧ ، ٢٢ شباط ١٩١٤ .



اثر علماء العرب فى معالجة اللحن اللغوى

أ.م.و. إسماعيل صالح مهري
م.م. بيدراء عبد الحسن رولام
مركز إحياء التراث العلمى العربى جامعة بغداد

الملخص :

فضلاً عن الكثير من الكتب والمراجع التى عُنىت بلحن العوام وتنقية اللغة من الشوائب التى عُلقت بها إلا أن مقام ورقتنا البحثية لا يسمح بسرء كل الكتب والمراجع التى اعتنت بلغة القرآن وعصمتها من الزلل، ولتنقية اللغة من اللحن الذى شمل البيئات والأفراد، وتعرض لسلطان النحاة ونفوذهم، وتفسير ظاهرة الإعراب، والعناية بالعربية الفصحى.
الكلمات المفتاحية: علماء العرب، اللحن، اللغوى.

Summary

In addition to many books and references that dealt with the melody of the common people and the purification of the language from the impurities that were attached to it, but the place of our research paper does not allow listing all the books and references that took care of the language of the Qur'an and its infallibility, and to purify the language from the melody that included environments and individuals, and exposed the authority and influence of grammarians And the interpretation of the phenomenon of parsing, and attention to classical Arabic.

Key words: Arab scholars, melody, linguistic.

المقدمة

قال رمضان عبد التواب فى كتابه لحن العامة والتطور اللغوى: كانت أصوات اللغة من الأمور، التى جذبت انتباه علماء العرب الأوائل، فعملوا فى جهد لا يعرف الملل، على إتقان النطق بها، ولاسيما عندما انتشر الإسلام فى بقاع الأرض المختلفة،

وطرقت أسماع العرب أصوات اللغات الأخرى، فخشي العلماء أن تتحرف أصوات العربية، بتأثرها بأصوات تلك اللغات، فلم يكد القرن الثاني الهجري يبدأ، حتى قام بين علماء العرب، من يصف الأصوات العربية، معتمدا على التجربة باللسان والأذن، ؛ إذ لم تكن قد عُرِفَت بعد، في ذلك العصر، وسردنا أسماء مجموعة من العلماء الذين كان لهم باع طويل في تنقية اللغة من اللحن بجوانب العربية على مر عصور التأليف بغية الوقوف على آثارهم التي مازالت معين نستقي مباحثه العلمية لعصمة لغة القرآن الكريم، والارتقاء بها.

اللحن لغة:

قال الخليل في مادة (ل ح ن): (اللَّحْنُ: ما تَلَحَّنَ إليه بلسانك، أي: تَميلُ إليه بقولك، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠] ، فكان رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقين إذا سَمِعَ كلامهم، يَسْتَدِلُّ بذلك على ما يَرَى من لحنه، (أي من مثله في كلامه في اللَّحْنِ)^(١).

(واللَّحْنُ والألحان: الضُّرُوبُ من الأصواتِ الموضوعَةِ، واللَّحْنُ: تَرَكُّ الصَّوَابِ في القراءة والنَّشِيدِ، يُخَفَّفُ وَيُنْقَلُ، واللَّحَانُ واللَّحَانَةُ: الرَّجُلُ الكثير اللَّحْنِ، وقال:

فَرَّتْ بِقِدْحِي مُعْرَبٍ لَمْ يَلْحَنُ)^(٢)

(قال ابن فارس في مجمله : (فحوى الكلام ومعناه... واللحن: إزالة الإعراب عن جهته)^(٣).

وقال: (فَأَمَّا اللَّحْنُ بِسُكُونِ الْحَاءِ فإِمَالَةٌ الكَلَامِ عَن جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ فِي العَرَبِيَّةِ. يُقَالُ لَحَنَّا لَحْنًا، وَهَذَا عِنْدَنَا مِنَ الكَلَامِ المَوْلَدِ، لِأَنَّ اللَّحْنَ مُحَدَّثٌ لَمْ يَكُنْ فِي العَرَبِ العَارِيَّةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِطَبَاعِهِمُ السَّليْمَةِ).^(٤)، (ويُقَالُ: لَحَنَ فلانٌ في كَلَامِهِ إذا مَالَ عَن صَحيحِ المَطْطِقِ).^(٥)

ويتضح مما تقدم وبعد الاطلاع على ما جاء في مستدرك صاحب التاج أن للحن سبعة معان هي: الغناء، واللغة، والخطأ في الإعراب، والميل عن الصواب، والفتنة، والقراءة، والتعريض (قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره)^(٦).

واللحن الخطأ في الإعراب ، ويقال فلان لحن ولحانة بمعنى أنه كثير الخطأ، وجاء عن التلحين: التخطئة، واللحن مفرد ألحان وألحون ، إذ منه الحديث الشريف: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها)^(٧). وقالوا لحن في قراءته من باب طرب إذا بها وعرّد، وهو ألحن الناس وأحسنهم قراءة وغناء^(٨).

في الاصطلاح:

(والخطأ في الإعراب على قول من قال تُزِيلُهُ عَن جِهَتِهِ وتَعَدِيلُهُ، لأنَّ اللَّحْنَ الَّذِي هُوَ الخَطَأُ فِي الإِعْرَابِ هُوَ العُدُولُ عَن الصَّوَابِ).^(٩)

فاللحن إذن تحول الشيء أو ميله من هيأته المألوفة إلى هيئة أخرى غير مألوفة، أي على نحو لم تعرفه وتعتاده الألسن^(١٠).



(واللحن فى القرآن والأذان: هو التطويل فيما يقصر، والقصر فيما يطال)(١١)، وهو صرف الكلام عن سننه الجارية، أما بإزالة الإعراب، أو بالتصحيح، وذلك أكثر استعمالاً(١٢)، ويتضح أن اللحن هو ما قال به الزمخشري فى أساس البلاغة التعجيم(١٣)، كما صار اسماً ملازماً لمخالفة الإعراب، إذ لا يكون إلا فى القول، واللاحن إنما يلحن فى كلامه وليس فى فعله(١٤)، واللحن عند الفُراء: خلل يطرأ على الألفاظ، منه الجلي وهو الذى يكون فى الحروف واللفظ والإعراب، والخفي ويكون فى أنواع الغنة ومنه الاحتمالي وغير الاحتمالي(١٥).

وقع اللحن فيما ورد من رواة الحديث؛ لأن أكثر الرواة كانوا من غير العرب، ولا يعلمون صنعة النحو فى اللسان العربى، لذلك وقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون، إذ ظهر فى كلامهم ورواياتهم غير الفصيح، ومما لاشك فيه نحن نعلم فصاحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(١٦).

واللحن أيضاً عند أهل الحديث يقصد به الخروج عن القاعدة أو السنن المعروفة، وكان علماء الحديث يفسرون بالمعنى، إذ إن المعروف عند رواة الحديث أنهم لم يهتموا بالمحافظة على لفظ الحديث؛ لأنهم جوزوا النقل بالمعنى، كما غيروا بعض الألفاظ، وعلى ذلك جاء الكثير من الأحاديث(١٧).

وذكر يوهان فك فى كتابه دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب عن مادة (ل ح ن) : (أنها تدل على معان تتميز بالإشارة إلى الميل والتحول عن الهيئة المألوفة، وهذا لا يعنى أن الحالة المألوفة هي الصواب والخطأ؛ كما لا يعنى أن المقصود هو التحول إلى الصواب والحق)(١٨).

ويتضح مما تقدم أن الأصوات (ل ح ن) فى معجمات اللغة ذات دلالة تمت إلى المنطق بصلة كبيرة على الرغم من تنوعها فى المعانى المنصرفة إليها كما مر بنا سابقاً، وإن الدلالة الأصلية لها، هي الميل عن النهج المألوف و الصحيح، ولما كان خاصاً بالنطق(١٩).

ينبغى الإشارة الى أن كل من الغلط والخطأ مصطلحان يتبعان اللحن، أى أنهما مسميات ظهرت بعد ظهور لفظة اللحن؛ إذ اتضح أن لفظة اللحن ظهرت أول الأمر للدلالة على الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون بدليل أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أنا من قریش، ونشأت فى بني سعد، فأنى لى اللحن)، .. واستعمال اللحن بهذا المعنى دليل على وجود الخطأ اللغوي(٢٠).

والانحراف عن السنن العربية نادر عند العربى كما يرى سيبويه؛ لأن العربى لا يطاوعه لسانه على الغلط والخطأ، وإنما يأتي ذلك عن طريق الاشتباه والتوهم؛ إذا يقع فى الغلط لمشاكلة ما توهم فيه لباب آخر من الكلام وهو ليس يغلط إذا صدر عن أهل اللسان وذوي الفصاحة، والغلط إنما يصدرُ عن من لا يعلم العربية و سننها، لأنه يقع فى اللفظ(٢١).

والمواقف التي تُنعتُ بالخطأ والغلط نبه عليها الأمدى وغيره؛ إذ ترتبط هذه المواقف بالمشكلات اللغوية والأسلوبية، وجمع الجرجاني بين اللحن والخطأ في موضع يربط به الأول بالإعراب ، والثاني باللغة(٢٢).

وجاء عن الجاحظ في اللُّكْنَة التي تعتري اللسان قال: (والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور: منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن يَنْشُتُوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج ، المسترخي الحنك، المرتفع اللثة، وخلاف ما يعتري أصحاب اللُّكْن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم، فمن اللكن ممن كان خطيباً، أو شاعراً، أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أبو أمامة، وهو زياد الأعجم. قال أبو عبيدة: كان ينشد قوله:

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوَدِّ رَفْعَةً ... إِذَا غَيْرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ(٢٣)

كان الغلط مرادفاً للخطأ عند الأمدى ، وكان يفضل استعمال لفظة (خطأ) ، حتى ظهر من النقد من يعيب عليه كثرة أخطائه، وأغاليطه في المعاني والألفاظ(٢٤).

أنشد أبو العباس وغيره القول:

وَحَدِيثُ أَلْدُهُ هُوَ مِمَّا ... تَسْتَهِيهِ النَّفُوسُ يوزَنُ وَزَنًا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

من ثم قال: أراد تَلْحَنُ تُصِيبُ وَتَقْطُنُ، وأراد بقوله: ما كان لَحْنًا ما كان صواباً، إذ قال ابن قتيبة: اللحن في هذا البيت الخطأ، وهذا الشاعر استملح من هذه المرأة ما يقَعُ في كلامها من الخطأ.

ن ثم قال أبو بكر: وقوله عندنا مُحَال، لأنَّ العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال، ويستملحون البارغ من كلام النساء كما يستملحونه من الرجال، الدليل على هذا قول ذي الرُّمَّة يَصِفُ امرأة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَزْرُ

فوصفها بحسن الكلام؛ واللحن لا يكون عند العرب حسناً إذا كان بتأويل الخطأ، لأنه يقلب المعنى، ويُفسد التأويل الذي يقصد له المتكلم. (٢٥).

كان القزويني قد فسر ما يُنعت بالغلط من صيغ الشعراء ، وهو اشتراك بين طرفين تحقيقاً أو تخيلاً ، والتخيُّل أن المشبه به لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على التأويل؛ وهذا ما ذهب إليه الأمدى وهو يرى تقارب الشيء من الشيء في معناه وهذا ما يمثل التشبيه التمثيلي، أما في اللغة فإنه يفسر ذلك بحدود أحد طرفي اللفظين بأن يكون جزءاً منها متداخلاً في جزء لطرف آخر، وإذا لم يتحقق ذلك قبل في صنيع الشاعر بالغلط(٢٦).

ومما رواه السيوطي في (المزهر) أن عمر بن الخطاب ورد إليه كتاب من أبي موسى الأشعري، إذ كان عاملاً له على البصرة، فأرسل إليه أن اضرب كاتبتك سوطاً، فإنه لحن في كتابة كلمة كذا (٢٧).



كما لم ينج الحكام والخلفاء من الوقوع في اللحن؛ فمنهم من كان بعد ذلك يكابر، ومنهم من كان يخجل ويحاول إصلاح نفسه وتقويم لسانه، ومن النوع الأول ما يروى أن بعض الأمراء بالبصرة كان يقرأ قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ} بالرفع؛ فمضى إليه الأخفش ناصحاً فانتهره، وقال له: تُلحنون أمراءكم^(٢٨).

و مما سبق يتضح أن اللحن هو انحراف عن قواعد اللغة ناتج عن زلة اللسان أو هفوة، ويكثر في مواقف التردد أو التوتر أو الإرهاق، ومن ثم انحراف عارض في لغة المتعلم، في حين أن الأخطاء هي انحراف عن النظام الصحيح لقواعد اللغة والهدف والصفة المميزة لهذه الأخطاء أنها متكررة، وتكرارها هذا يدل على خلل في النظام اللغوي الذي رسخ في ذهن المتعلم^(٢٩).

لذا عدت الأخطاء في اللغة أكثر خطورة من غيرها، وهذه الأخطاء والانحرافات التي تظهر على الألسنة ولاسيما للدارس، تكون في جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية (التركيبية) والدلالية جميعاً^(٣٠).

والخطأ في نهاية المطاف نعني به الخروج عن قواعد اللغة الفصحى، كالخلط في استعمال الحركات الإعرابية، وحروف الجر، أو استعمال الكلمات في غير موضعها المعروف ولا يقبله الاستعمال العربي المعروف، إذ أنكره علماء العرب وهذا وقول ابن عبد ربه: (قد يستنقل الإعراب في بعض المواضع كما يستخف اللحن في بعضها)^(٣١).

فالغلط هو الانحراف عن تلك القواعد نتيجة زلة اللسان، أو الهفوة في مواقف منها التردد أو الإرهاق، وعلماء العرب اللغويين كانوا قد أشاروا إلى دلالة مصطلحات (الغلط، والخطأ، واللحن) على الانحراف اللغوي في جوانب اللغة المختلفة.

وهذا ما سبق أبو هلال العسكري اللغويين إليه عندما أشار إلى أن الغلط هو وضع الشيء في غير موضعه، والخطأ ما كان الصواب خلافه، واللحن صرفك الكلام عن جهته، والخطأ إصابة خلاف ما يقصد^(٣٢).

من أبرز علماء العربية وكتبهم من الذين عالجوا اللحن

كان أبو الأسود الدؤلي أول من تنبه على اللحن في اللغة؛ فقد روى أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سمع لحناً؛ فقال لأبي الأسود: اجعل للناس حروفاً- وأشار له إلى الرفع، والنصب، والجر^(٣٣)، فقد كان له الأثر الكبير في نشأة النحو العربي؛ ورسمه للناس، فهو أول من نقط المصحف بعد أن كانت خالية من الشكل، لعصمة الألسن من اللحن في قراءة القرآن^(٣٤).

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد وضع أول معجم للعربية فلم يستطع أحد ممن تقدمه أو ممن عاصره أن يهتدي إلى شئ مما اهتدى له، ولا يُد لنا من أن تشير إلى أن علماء اللغة ممن تقدم الخليل وممن عاصره لم يستطيعوا استيفاء العربية بصنعة محكمة قائمة على الاستقراء الوافي، فكر، وإطالة التفكير في صنع كتاب في اللغة يحصر لغة العرب كلها، لا تفلت منه كلمة، ولا يشذ منها لفظ، وهده عقله الناقد الفاحص إليه، وخطا في ذلك خطوات علمية محكمة، وأقام خطته على نظام رياضي دقيق، وبنى الخطة على أساس من الأصول التي تتألف منها الكلمة، ولم يعبأ بالزوائد، وقد توفرت لديه أبواب

منتظمة محبوبكة حبكا رياضيا متقنا، لعصمة اللغة من الزلل والخطأ، كما أن الخليل قد أحصى العربية إحصاء تاما، وبذلك هيأ مادة مصنفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صنفوا المعجمات اللغوية المعتمدة كمراجع لعصمة اللغة من اللحن^(٣٥). من أشهر المؤلفات في اللحن كتاب الكسائي (ما تلحن فيه العامة)؛ إذ نُشر الكتاب مرتين، الأولى بعناية المستشرق بروكلمان، وتناوله الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي وشكك في نسبته للكسائي، مصرحا عن أن مضمون الكتاب لا يتفق مع ما روي عن الكسائي ومواقفه اللغوية^(٣٦)، تناول في الكثير من القضايا النحوية والصوتية والصرفية وما أصاب الألفاظ والصيغ من تطور نتيجة الاستعمال اللغوي في عصره.

كتاب ما تلحن فيه العامة لابن الهيثام من علماء القرن الثالث الهجري: ترجم له ابن النديم في الفهرست وياقوت الحموي في معجم الأدباء، والسيوطي في بغية الوعاء، قيل إنه كان معلماً وعالماً وشاعراً^(٣٧).

كتاب ما خالف العامة فيه لغات العرب، لأبي عبيدة القاسم بن سلام الهروي، لم يكن يتبع نوعا من أنواع الترتيب في ذكره لما خالف فيه لغات العرب، إذ كان يذكرها تبعا لرؤيتها، كيفما اتفق له سماعها عن الرواة، إذ لا يذكر في الكثير منها كيفية نطق العامة لها^(٣٨).

أما ابن الكسيت أراد أن يعالج داءً كان قد استشرى في لغة العرب، وهو داء اللحن، والخطأ في الكلام، فعمد إلى أن يؤلف كتابه (إصلاح المنطق)، ويضمنه أبواباً يُمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب، وذلك بذكر الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى، وما فيه لغتان أو أكثر، وما يعلُّ ويصحح، وما يهمز، وما لا يهمز، وما يشدد، وما تغلط فيه العامة، وقد عُرف هذا الكتاب قديماً، وعُني به كبار اللغويين^(٣٩).

كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري، اتبع طريقة ابن السكيت في باب تقويم اللسان، إذ جاء في ذكره للكلمات بشكل أقل بكثير من تلك التي ذكرها ابن السكيت في إصلاح المنطق، منها باب مما تركت العامة همزه، نجده عند ابن قتيبة مفرق على بابين هما: باب الأفعال التي تُهمز، والعوامُ تدعُ همزها، و باب ما يُهمز من الأفعال والأسماء والعوام تُبدل الهمزة فيه أو تُسقطها، ويستمر في سرد ما تلحن به العامة ويختل به اللسان في أبواب مختلفة^(٤٠).

كتاب إصلاح غلط المُحدِّثين للخطابي: تناول في مقدمته الآتي: (هذه ألفاظٌ من الحديث يروونها أكثرُ الرواة والمُحدِّثين ملحونةً ومُحرِّفةً أصلحناها (لهم) وأخبرنا بصوابها، وفيها حروفٌ تحتلُّ وجوهاً اخترنا منها أبينها وأوضَحها)^(٤١)، وما نزال الى اليوم نجد اللحن في كل مكان، إذ لا يكاد يسلمُ منه أحدٌ؛ الصغار والكبار، وخطباء الجمعة، وغيرهم، كلهم يلحنون، العجمة، التي أصبحت داءً عُضالاً، واعوجاج الألسنة أصاب حتى العرب الأفاح سابقا.



كتاب تمام فصيح الكلام لابن فارس اللغوي: لم يَدكرُ أنه يستدرك على فصيح ثعلب، فقد نعرف من كتاب ابن فارس أن بعض الألفاظ العامية المستعملة في عصرنا اليوم ترجع الى عصر ابن فارس كقوله: ويقال: هوش الحديث، ولا يقال: شوش^(٤٢).
كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي، تحدث عن اللغة وكيف كانت مستقيمة في عهدها الأول، من ثم تحدث عن كيفية انتشار الفساد اللغوي ونعته بالهجوم، بقوله: (لم يزل الغلط ينتشر في الناس ويستطير، حتى وقع بهم في تصحيف المشهور من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واللحن في الواضح المتداول منه، وتعمد الوقف في مواضع لا يجوز الوقوف عليها، من كتاب الله عز وجل، وتغيير أشعار العرب وتصحيفها، وتصنيف كتب الفقه وغيرها ملحونة، تُقرأ كذلك فلا يُؤبه إلى لحنها، ولا يُفطن إلى غلطها، بل إذا سمعوا الصواب أنكروه ونافروه، لطول ما ألفوا فقده، وركبوا ضده)^(٤٣).

من ثم قال: (فجمعتُ من غلط أهل بلدنا ما سمعتهُ من أفواههم، مما لا يجوز في لسان العرب، أو مما غيره أفصح منه وهم لا يعرفون سواه، ونهيت على جواز ما أنكر قوم جوازه، وإن كان غيره أفصح منه، لأن إنكار الجائر غلط، وعلقت بذلك ما تعلق به الأوزان، والأبنية، والتصريف، والاشتقاق، وشواهد الشعر، والأمثال، والأخبار، ثم أضفت إليه أبواباً مُستطرفة، وثناً مستملحة، وأصولاً يُقاس عليها؛ ليكون الكتاب تثقيفاً للسان، وتلقيحاً للجنان، ولينشط إلى قراءته العالم والجاهل، ويشترك في مطالعته الحالي والعاطل، وجعلتهُ خمسين باباً)^(٤٤).

أما عن القاسم أبي محمد الحريري في عنابته باللحن وتهذيب اللغة قال في كتابه درة الغواص في أوهام الخواص: (قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم، وترعف به مراعى أقلامهم، مما إذا عثر عليه، وأثر عن المعزو إليه، خفض قدر العلية، ووصم ذا الحلية، فدعاني الأثف لنباهة أخطارهم، والكلف بإطابة أخبارهم، إلى أن أدرا عثم الشبه، وأبين ما التبس عليهم واشتبه، لألتحق بمن زكى أكل غرسه، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر، وتذكرة لمن أراد أن يذكر، وسميته: درة الغواص في أوهام الخواص، وهما أنا قد أودعته من النخب كل لباب، ومن النكت ما لا يوجد منتظماً في كتاب، هذا إلى ما لمعته به من النوادر اللائقة بمواضعها، والحكايات الواقعة في مواقعها، فإن حلى بعين الناظر فيه والدارس، وأحله القادح لدى القابس، وإلّا فعلى الله تعالى أجر المُجتهد، وهو حسبي وعليه أعتد)^(٤٥).

كتاب غلط الضعفاء من الفقهاء لابن برّي، الذي يُعدُّ من أوائل المصححين اللغويين، الذين اعتنوا بتثقيف ما يصدر من كتب الدولة التي يُخاطب بها ملوك النواحي وأمراءها إلا بعد تصحيفها وإصلاح ما فيها من خلل أو علة^(٤٦)؛ لأنه كان مطلعاً على أكثر كلام العرب وعُرف بسعة العلم وغازرته، فضلاً عن سعة اطلاعه، ومعرفته بكتاب سيبويه^(٤٧).

تناول في كتابه تصويب اللحن الذي يدور على ألسنة ضعفاء الفقهاء، إذ أشار إلى ذلك ابن برّي في مقدمة كتابه، فقد تناول ابن برّي مجموعة من الأغلاط التي استعملها

الفقهاء، والعامّة^(٤٨)، قال الدكتور رمضان عبد التواب: (وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب أكثر من مئة لفظة التي يُخطئُ الفقهاء في ضبطها أو في معناها، وإشارات صوابها معتمداً في ذلك أقوال العلماء) ، أما الباحثة فتري أنه اعتمد في تصويب الأغلط على ما نقله من العلماء دون الإشارة إليهم، يذكر لنا محقق كتاب غلط الضعفاء من الفقهاء بأن ابن برّي رتب كتابه بذكر الألفاظ من غير ترتيب معتمداً على أقوال علماء اللغة السابقين، إذ تبدأ كل فقرة بعبارة (يقولون)، أو قال بعضهم، أو من ذلك قولهم)، فضلاً عن أنه كان يذكر اللفظة كما تنطق، فيشير إلى الصواب بإيجاز من دون ذكر شواهد أو أمثلة إلا في النادر منها، يذكر محقق الكتاب أن ابن برّي اعتمد في تأليف كتابه على النقل ممن اعتنوا بالتصويب اللغوي ممن سبقه من علماء اللغة، فضلاً عن المعاصرين له بقوله: (نقلها عنهم كما ذكروها، واتبعت ذلك بزيادة بيان لا غير) ، فضلاً عن أن المحقق توصل إلى أن ابن برّي اعتمد على النقل من ثلاثة كتب من الكتب التي اعتنت بلحن العامّة، إذ نقل خمسين لفظة من كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي، الذي أفرد في كتابه باباً لغلط أهل الفقه، ونقل ما يقارب ثلاثين لفظة من كتاب الزبدي، لحن العوام، وعشرة ألفاظ من درة الغواص للحريري، أما الشواهد التي ذكرها ابن برّي في كتابه، فقد استشهد بأيتين كريمتين من القرآن الكريم، وثلاثة أحاديث نبوية شريفة، وبيتين من الشعر^(٤٩).

قال فيه ياقوت الحموي: (كانت عنايته تامة في تصحيح الكتب وكتب الحواشي عليها بأحمر، فإذا رأيت كتاباً قد ملكه فهو الغاية في الصحة والإتقان، وله على كتاب الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري حواش، أخذ عليه في بعضها وشرح في بعضها وزيادات فيما أخلّ به، ولو تمّت كان عجيباً)^(٥٠).

وكتاب تقويم اللسان لابن الجوزي، ذكر في مقدمة كتابه الأغلط التي تقع فيها العامّة، إذ عزم على ترتيبها في أبواب كما فعل ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والجواليقي، إلا أنه وجد أن الترتيب الأبجدي أساس لها، إذ بدأ بذكر الصواب من ثم نبه على الخطأ الوارد في لسان العامّة^(٥١).

كتاب تصحيح التصحيف وتحريف التحريف، لصلاح الدين بن أبيك الصفدي، جاء الكتاب مرتباً ترتيباً أبجدياً بحسب الحرف الأول للكلمة، إذ تحدث عن وقوع جماعة من علماء اللغة من البصريين والكوفيين في التصحيف، واللاحقين زادوا في التصحيف، الذي فشا بين المحدثين والفقهاء، وفي لغة النحاة وفي أهل اللغة، وفي كلام رواة الأخبار، ونقله الأشعار وقراء القرآن^(٥٢).

وكتاب الجمانة في إزالة الرطانة، لابن الإمام، ذكر أنها أوراق تتناول ما يحضره من كلام العرب، في أشعارهم والأخبار وقبح جهله، رادفاً آياه بما جهلوه وأهملوه من الأسماء الفصيحة، في المتداول من المعاني، والألفاظ العربية، ولذا سُميت بـ الجمانة في إزالة الرطانة^(٥٣).



الخاتمة:

فضلا عن الكثير من الكتب والمراجع التي عُنيت بلحن العوام وتنقية اللغة من الشوائب التي علفت بها إلا أن مقام ورقتنا البحثية لا يسمح بسررد كل الكتب والمراجع التي اعتنت بلغة القرآن وعصمتها من الزلل، ولتنقية اللغة من اللحن الذي شمل البيئات والأفراد، وتعرض لسلطان النحاة ونفوذهم، وتفسير ظاهرة الإعراب، والعناية بالعربية الفصحى.

سرردنا أسماء مجموعة من العلماء الذين كان لهم باع طويل في تنقية اللغة من اللحن بجوانب العربية على مر عصور التأليف بغية الوقوف على آثارهم التي مازالت معين نستقي مباحثه العلمية لعصمة لغة القرآن الكريم، والارتقاء بها.

قال رمضان عبد التواب في كتابه لحن العامة والتطور اللغوي: كانت أصوات اللغة من الأمور، التي جذبت انتباه علماء العرب الأوائل، فعملوا في جهد لا يعرفُ الملل، على إتقان النطق بها، ولاسيما عندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض المختلفة، وطرقت أسماع العرب أصوات اللغات الأخرى، فخشي العلماء أن تتحرف أصوات العربية، بتأثرها بأصوات تلك اللغات، فلم يكد القرن الثاني الهجري يبدأ، حتى قام بين علماء العرب، من يصف الأصوات العربية، معتمدا على التجربة باللسان والأذن، ؛ إذ لم تكن قد عُرفت بعد، في ذلك العصر، فهذا الخليل اشتهر من بين العلماء في ذلك العصر، إذ اعتنى كثيرا بدراسة الأصوات، وموسيقى اللغة، وقد ساعده سمعه المرهف الحساس على التفوق في هذه الناحية، فوجه عنايته لأوزان الشعر وإيقاعه، واستخرج لنا بحور الشعر وقوافيه أو علم العروض، فاللحن وشيوعه كان من أسباب انتشار الدرس اللغوي وتطوره حتى وصل إلينا بصورته التامة ومازال معين نستقي منه علوم البحث ومعالجة اللغة وتنقيتها مما شاب فيها من ظواهر اللحن المختلفة.

الهوامش:

١. العين (٢٩٩/٣).
٢. المصدر نفسه (٢٣٠/١).
٣. مجمل اللغة (٨٠٤/٣).
٤. مقاييس اللغة (٢٣٩/٥)، ولباب الآداب، للشعالبي (١٤٤/١).
٥. لسان العرب (٣٨٠/١٣).
٦. اللسان (٣٧٩/١٣) و التاج (١٠٥/٣٦).
٧. النهاية في غريب الحديث (٢٤٢/٤).
٨. ينظر الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذورات اللغوية (١٦١/٢).
٩. التاج (١٠٤/٣٦).
١٠. التنقيح: إدارة السهم على الظفر ليعرف قوامه من عوجه، لسان العرب (٤١٥/٥).
١١. معجم الخطأ والصواب في اللغة (١٣).
١٢. كتاب التعريفات (١٩١).
١٣. ينظر: الهامش كتاب التعريفات (ص٣٠٤).
١٤. أساس البلاغة (١٦٤/٢).
١٥. ينظر: الفروق اللغوية (٤٦).
١٦. ينظر: الموسوعة الجامعية (٢٣٩٣/٢).
١٧. الاقتراح (٥٧).
١٨. ينظر: موسوعة اللحن في اللغة (٥٤٠).

١٩. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب (٢٤٤).
٢٠. ينظر: مستقبل اللغة المشتركة ١٤، معجم ما كتب عن لحن العامة والتصحيح اللغوي (١٢٧).
٢١. ينظر: موسوعة علوم اللغة (٥٠٥/٧)، فقه اللغة وسر العربية (٢٠٧) (فيما جرى الموازنة بين العربية والفارسية: الفصل الأول: في سياق أسماء فارسياتها منسية وعربيتها مستعملة...، الغلط والخطأ...).
٢٢. الكتاب (١٥٥/٢)، ينظر: محاضرات في الأخطاء اللغوية الشائعة القسم (٩/١).
٢٣. ينظر: علم الدلالة العربي (١٣٥).
٢٤. البيان والتبيين: (٧٨/١).
٢٥. ينظر: الموازنة للامدي (١٣٩/١)؛ علم الدلالة العربي (١٣٣).
٢٦. الأضداد لابن الأثيري: ٢٤٣.
٢٧. ينظر: الموازنة، الأمدي (١٣٩/١)، علم الدلالة العربي (١٣٣).
٢٨. المزهر: ٣٤٢/٢.
٢٩. البحث اللغوي عند العرب: ٨٧.
٣٠. ينظر: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء (١٤٠).
٣١. ينظر: المصدر نفسه ١٤٠، وينظر: أخطاء الأعداد في البحوث اللغوية الأكاديمية، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص ٦٤).
٣٢. العقد الفريد: ٣٠٩/٣.
٣٣. ينظر: أخطاء الأعداد في البحوث اللغوية الأكاديمية (٦٥-٦٦).
٣٤. مراتب النحويين: ٦.
٣٥. ينظر: نزهة الألباء: ١١، ووفيات الأعيان: ٢١٦/٢، والإصابة لابن حجر العسقلاني: ٢٤٢/٢.
٣٦. العين: مقدمة
٣٧. ينظر في لحن العامة والتطور اللغوي: ١١٠، و ١١٢.
٣٨. ينظر في: الفهرت: ١٢٨، ومعجم الأدباء: ١٧/٢، بغية الوعاة: ٢٦٦/٢.
٣٩. ينظر في: لحن العامة والتطور اللغوي: ١٢٢.
٤٠. إصلاح المنطق: المقدمة: ٨.
٤١. أدب الكاتب: ٣٠٧، و ٣٦٦، و ٣٦٩.
٤٢. إصلاح غلط المحدثين: ١٩.
٤٣. ينظر في لحن العامة والتطور اللغوي: ٢١٠.
٤٤. تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ١٦.
٤٥. المصدر نفسه: ١٨.
٤٦. درة الغواص في أوهام الخواص: ٩.
٤٧. يُنظر: وفيات الأعيان (١٠٨/٣)، والأعلام للزركلي (٧٤/٤)، وغلط الضعفاء من الفقهاء (٥).
٤٨. ينظر في: وفيات الأعيان (١٠٨/٣).
٤٩. معجم الأدباء (١٥١٠/٤).
٥٠. ينظر في: لحن العامة والتطور اللغوي / ٢٨٨، و ٢٨٩.
٥١. ينظر في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: ٣ وما بعدها، ولحن العامة والتطور اللغوي: ٣١٠، ٣٠٩.
٥٢. ينظر في لحن العامة والتطور اللغوي: ٣١٧.
٥٣. المصدر نفسه: ٣١٧، ٣١٨.

المصادر:

١. أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
٢. أساس البلاغة، للزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٤. إصلاح غلط المحدثين، للخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.



٥. إصلاح المنطق، لابن السكيت، (ت: ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦. الأضداد، للأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧. الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.
٨. الأعلام، للزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.
٩. البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣م.
١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
١١. البيان والتبيين، الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، الناشر: دار الهداية، (د.ت).
١٣. تصحيح التصحيف وتحريير التحريف، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد الشرفاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، حققه وعلق عليه: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٥. التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، تعريب وتحريير: د. محمود إسماعيل صيتي، إسحاق محمد أمين، عماد شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٦. درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت: ٥١٦هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ.
١٧. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، (د.ط)، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
١٨. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٩. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، د. فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الثامنة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٠. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، دار الحرية للطباعة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٢١. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢. الفهرست، لابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان/ الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٣. الكتاب، : لسبويه (ت: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٤. لباب الأداب، للثعالبي النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٥. لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٧ م.
٢٦. لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٧. مجمل اللغة لابن فارس، : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٨. محاضرات في الأخطاء اللغوية الشائعة، ألقاها الأستاذ: محمد علي النجار، (د.ط)، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩ م.
٢٩. مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمد ألو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م.
٣٠. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣١. معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٢. معجم الخطأ والصواب في اللغة، د.إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، الطبعة الثانية، آذار (مارس) ١٩٨٦ م.
٣٣. معجم ما كتب عن لحن العامة والتصحيح اللغوي، عباس كاظم مراد، دار ابن النديم، بغداد ، ١٩٩٣ م.
٣٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
٣٥. الموسوعة الجامعية لمصطلحات الفكر العربي الإسلامي، د. جبرار جهامي، ود.سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
٣٦. الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذورات اللغوية، لجامعه محمد ابن محمد بن عبد الجبار بن محمد ابن يحيى السماوي اليماني، (١٣٣٠هـ) ، مركز الدراسات والبحوث - صنعاء، دار الأداب-بيروت، (د.ت) .
٣٧. موسوعة علوم اللغة العربية، الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م، ١٤٢٧هـ.
٣٨. موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، الدكتور عبد الفتاح سليم، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ٥١٤٠٩ م.



٣٩. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٤٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٤١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت، د، ت.
- ٤٢. الرسائل والأطاريح:**
٤٣. أخطاء الأعداد في البحوث اللغوية والأكاديمية، هنية عريف، رسالة ماجستير/ جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٦ م.
٤٤. **البحوث:**
٤٥. التصحيح اللغوي عند ابن بري في كتابه غلط الضعفاء من الفقهاء، بيداء عبد الحسن، مجلة الآداب، ملحق (١)، العدد (١٢٧) كانون الأول، ٢٠١٨ م/ ١٤٤٠ هـ.



الانفتاح الفكري بين المسلمين وغير المسلمين في العصر العباسي (المجالس واطراسلات العلمية امودجاً)

أ.م.و. وسن حسين محمير

مركز احياء التراث العلمي العربي-جامعة بغداد

Wasanhusein4@gmail.com

المخلص

تميز الفكر العربي الإسلامي بالشمولية والمرونة والإطلاع على مختلف المواريت الحضارية ، وتأكيدته على أغناء الفكر بتحصيل العلم والمعرفة ، مما زاد من الأنفتاح الفكري بين المسلمين وغير المسلمين من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس . فقد شهدت الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي تقدماً فكرياً وتنوعاً في شتى ميادين العلوم والمعارف ، وتشجيعاً كبيراً وحقيقياً من قبل الخلفاء العباسيين وأولي الشأن الذين أولوا عنايتهم وإهتمامهم بالعلوم والآداب ومجالسة العلماء وتقديمهم وإكرامهم ، الأمر الذي أدى إلى نشاط حركة الأنفتاح الفكري بين الطرفين على نطاق واسع، وكان للمجالس والمراسلات العلمية أثر كبير في هذا الصدد ، إذ أقبل كل منهم على الاطلاع لما عند الطرف الأخر والاستفادة منه .
الكلمات المفتاحية: الأنفتاح الفكري، المجالس، المراسلات.

Abstract :

The Arab-Islamic thought was distinguished by its comprehensiveness, flexibility, access to the various cultural legacies, and its emphasis on the riches of thought through the acquisition of knowledge and knowledge, which increased the intellectual openness between Muslims and non-Muslims, including Jews, Christians, Sabeans and Magi. The Arab Islamic State in the Abbasid era witnessed intellectual progress and diversification in various fields of science and knowledge, and great and real encouragement by the Abbasid caliphs and the most important people who paid attention to and interest in science and literature and the meeting, presentation and honor of scholars, which led to the activity of

the openness movement Intellectual property between the two parties is widely held, and the scientific councils and correspondence had a great impact in this regard, as each of them agreed to see what the other party has and benefit from it..

Key words: intellectual openness, councils, correspondence.

المقدمة

كان لسياسة الخلفاء العباسيين اللامركزية المتمثلة بالانفتاح على المواريث الحضارية الأخرى من خلال العناية والاهتمام بالعلماء من غير المسلمين إلى جانب العلماء المسلمين الأثر الكبير في تشجيع الاتصال العلمي بينهم وبين العلماء المسلمين الذي أخذ أوجه عدة. منها المجالس، والمراسلات العلمية موضوعنا، فقد عنى الخلفاء أنفسهم، والوزراء، والوجهاء المهتمين بالعلوم على اختلاف صنوفها، فضلاً عن تسابق العلماء فيما بينهم لمزاحمة مجالس بعضهم البعض سواء كان بالتتلمذ على بعضهم أو مناقشتهم حول العلوم الحاذقين فيها، غايتهم رفق الحركة الفكرية واغنائها بما يعود بالنفع لأهل العلم وطلابه خاصة، وللمجتمع بصورة عامة.

١- المجالس العلمية

تمثل إهتمام الخلفاء العباسيين ورغبتهم بالإطلاع على مختلف العلوم وخاصة علم الطب بإقامة مجالس طبية حضرها أطباء حذاق من المسلمين وغير المسلمين ليناقتشوا فيها مختلف المواضيع الطبية. فعُرف عن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) إنه كان يعقد مجلساً طبياً في قصره^(١) يبدو أن أعضاءه يجتمعون خاصة حين يكون الرشيد مريضاً أو أحد أفراد أسرته ، للتشاور فيما بينهم في الوسائل الطبية التي يجب إتباعها ، وفي أحيان أخر لتشخيص مرض أنتشر بين الناس وتحديد أفضل السبل لعلاجه^(٢). كما قدم الأطباء غير المسلمين في مجالسهم مع الخلفاء العديد من النصائح الطبية كالتي وجهها الطبيب النصراني بختيشوع بن جورجيس للخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)^(٣).

وبلغ شغف الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م) واهتمامه بعلم الطب أن جمع في مجلسه ثلثة من الأطباء المسلمين وغير المسلمين ليباحثهم في بعض المسائل الطبية. ومن بين أطباء غير المسلمين الذين كان لهم حضور في مجلسه الطبيب يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) وحنين بن إسحاق (١٩٤ - ٢٦٠) وقيل ٢٦٤ هـ / ٨٠٩ - ٨٧٣ وقيل ٨٧٧ م) وغيرهم^(٤). كما عُقد كثير من المجالس الطبية بحضرة الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) ، منها مجالسه مع

^١ البيهقي، إبراهيم بن محمد ، المحاسن والمسائ ، تصحيح : محمد بدر الدين ، ج^١ ، مطبعة السعادة - ١٩٠٦ ، ص ٢٢٩ .

^٢ الجومرد ، عبد الجبار ، هارون الرشيد ، ج^١ ، بيروت - ١٩٥٦ ، ص ٣٠٢ .

^٣ البيهقي ، المحاسن والمسائ ، ج^١ ، ص ٥٨٤ .

^٤ المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج^٤ ، القاهرة- ١٩٦٤ ،

ص ٨١ ؛ فقيه ، أ. د. جان موريس ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ترجمة : حسني زينته ، ط^١ ، بيروت - ١٩٩٠ ، ص ١٣٤ .



الطبيب بختيشوع بن جبرائيل (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)^(١)، وكذا الحال في عهد الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ / ٩٣٤ - ٩٤٠م) الذي كان مُقرباً لأهل العلم والأدب والمعرفة كثير الاغداق عليهم^(٢)، وخصص الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ - ٥٥٥هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠م) يوماً من كل أسبوع لمجالسة طبيبه أبى الحسن هبة الله بن التلميذ (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) والاستماع لنصائحه الطبية^(٣). من هنا يمكن الاستنتاج أنه كان لهذه المجالس دور كبير في تشجيع الحركة العلمية وازدهارها^(٤)، مع أن مصادرنا لا تزودنا بمعلومات عن طبيعة هذه المجالس تحديداً.

من ناحية أخرى ، شغلت العناية بالمجالس الطبية إهتمام الوزراء ، فمع ما عُرف عن وزير الأمير معز الدولة البويهى (٣٣٤ - ٣٥٦هـ / ٩٤٥ - ٩٦٦م) أبى محمد الحسن بن محمد المهلبى (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) من عناية بأهل العلم والأدب^(٥) ، فإن ولعه بالطب دفعه إلى استدعاء بعض الأطباء من غير المسلمين لحضور مجالسه التي كانت تضم علماء متنوعي المعرفة للتعرف عما لديهم من جديد في علم الطب، كالمعلومات التي عرضها الطبيب الصابى ثابت بن إبراهيم بن زهرون (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) حول فوائد الغذاء وحفظ البدن^(٦).

ولما كان من الطبيعي عند علماء المسلمين تعلم ما لا يعلمونه ممن هو أعلم به منهم^(٧)، لذا ترددوا على مجالس علماء غير المسلمين وتعلموا على أيديهم. فكثير من الأطباء المسلمين درسوا الطب على يد الأطباء اليهود ، ففي مجلس الطبيب أبى البيان بن المدور اليهودي (٥٥٦ - ٥٨٠هـ / ١١٦٠ - ١١٨٤م) تتلمذ كثير من الأطباء المسلمين وكان هذا الطبيب قد خدم العديد من الخلفاء الفاطميين في آخر دولتهم كما خدم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م)^(٨)، وبلغت شدة انشغال الطبيب اليهودي الكحال أبى الفضائل بن الناقد (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) أن كان الدارسون عليه في معظم الأحيان يقرأون عليه وهو راكب وقت مسيره أو في أثناء تقفده للمرضى ويعد أبو الفضائل من أطباء مصر المشهورين^(٩). كما كان للنصارى باعٌ طويل في علم الطب وحذاقة ومهارة دفعت كثيراً من الأطباء للتلمذ عليهم. فدرس إبراهيم بن عيسى (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م) الطب على يد يوحنا بن

^١ ابن العبري ، أبو الفرج جمال الدين ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت - ١٨٩٠ ، ص ٢٤٩ ؛ عبد اللطيف ، بهجت كامل ، مقام الأطباء عند الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م ، مجلة المورد ، م ٢٩ ، ع ٢ ، بغداد - ٢٠٠١ ، ص ٧٠ .

^٢ المسعودي ، مروج ، ج ١ ، ص ٣٣ .

^٣ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٣٦٤ . وللمزيد من المعلومات عن الطبيب أبو الحسن هبة الله بن التلميذ ينظر : اليسوعي ، لويس شيخو ، ابن التلميذ الطبيب الشاعر ، مجلة المشرق ، ع ١١ ، سنة ٩ ، بيروت - ١٩٠٦ ، ص ٧٤٤ - ٧٨١ .

^٤ الملا ، أحمد علي ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، ط ١ ، دمشق - ١٩٨١ ، ص ٥٢ .

^٥ ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : علي شيري ، م ٧ ، بيروت - ٢٠٠٤ ، ص ١٤٢ .

^٦ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

^٧ ابن جماعة ، أبو الفضل سعد الله ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم ، حيدر آباد الدكن - ١٣٥٣هـ ، ص ٢٨ .

^٨ ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ٣ ، بيروت - ١٩٥٧ ، ص ١٩١ ؛ ابن ألفوطي ، كمال الدين أبو الفضل ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق : مصطفى جواد ، ق ٢ ، ج ١ ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - ١٩٦٥ ، ص ١٠٨ .

^٩ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

ماسويه ببغداد، وصار طبيباً للأمير أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م)، ونال حظوة كبيرة عنده^(١)، كما يشير الجاحظ إلى تتلمذ أطباء مسلمين آخرين عليه^(٢).

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن الأطباء النصارى ببغداد لاسيما في الكرخ عقدوا مجالس لتعليم الطب، ومن أبرز الأطباء المسلمين الذين درسوا على أيديهم وفي مجالسهم تلك علي بن علي الأمدي الشافعي^(٣)، وفي مجلس الطبيب حنين بن إسحاق ببغداد تتلمذ كثير من الأطباء المسلمين أمثال عيسى بن إبراهيم وعيسى بن علي^(٤)، كما درس ظافر بن جابر السكري^(٥) الطب بمجلس الطبيب النصراني أبي الفرج عبد الله بن الطيب (ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) الذي يعد من أشهر أطباء بغداد^(٦) ومن الأطباء النصارى ممن عقدوا مجالسهم الطبية بدكاكين خاصة لتدريس صنعة الطب، كما كان يفعل الطبيب جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع (ت ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م)^(٧). والملاحظ أن مجالس الأطباء النصارى ببغداد ضمت أعداداً كبيرة من التلاميذ، فقد بلغ عددهم بمجلس الطبيب أبي الحسن هبة الله بن التلميذ زهاء الخمسين طالباً^(٨).

وفي دمشق، جلس الطبيب النصراني موفق الدين بن المطران (ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) لتدريس الطب وكان من أبرز تلامذته عبد الرحيم بن علي المعروف بمهذب الدين (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م)^(٩)، كما أشتهر الطبيب أبو المنجم بن أبي غالب النصراني (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) بمجالسه الطبية، فضلاً عن خدمته للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي^(١٠).

١ ن. م، ص ١٣٦.
 ٢ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد للنشر - ١٩٨٢، ص ٦٧.
 ٣ علي بن علي الأمدي: من أهل آمد إحدى مدن ديار بكر. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت، معجم البلدان، م ١، بيروت - ١٩٩٥، ص ١٠٠. قرأ على مشايخ بلده مذهب الشافعي ثم رحل إلى العراق وأقام ببغداد ودرس الطب في مجالس الأطباء النصارى بالكرخ. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت- لايت، ص ١١١؛ آل ياسين، محمد مفيد، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط ١، بغداد - ١٩٧٩، ص ٢٠٢.
 ٤ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران - ١٩٧١، ص ٣٥٥؛ القفطي، أخبار العلماء، ص ١٦٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ١٧٠.
 ٥ ظافر بن جابر السكري: من أشهر أطباء الموصل المسلمين قدم إلى بغداد لدراسة الطب على أبي الفرج عبد الله بن الطيب ثم رحل إلى حلب وأقام بها إلى آخر عمره. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ٢٢٩. ولا يوجد تحديد لسنة وفاته.
 ٦ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ٣٣٩.
 ٧ القفطي، أخبار العلماء، ص ١٠٣.
 ٨ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ٢٩٤.
 ٩ ن. م، ج ٣، ص ٢٨٧، ص ٢٩٣؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، ط ١، حيدر آباد الدكن - ١٣٣٨ هـ، ص ٦٥.
 ١٠ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٣، ص ٣٠١.



أما الأطباء الصابنة فلهم أيضاً مجالسهم الطبية التي دَرَسوا فيها العديد من الأطباء المسلمين ففي مجلس الطبيب الصابئ سنان بن ثابت(ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)^(١) تعلم تلامذة عدة منهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد^(٢).

لم يكن الحال مقتصرًا على دراسة الأطباء المسلمين بمجالس الأطباء غير المسلمين بل اشتملت على تردد العديد من غير المسلمين على مجالس الأطباء المسلمين للتعلم على أيديهم . ولعل أبرز الأطباء اليهود الذين تتلمذوا عليهم هبة الله بن علي بن ملكا اليهودي^(٣)، درس الطب على الطبيب أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م)^(٤) وطبيب للخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠م)^(٥)، ودرس عمران بن صدقة الإسرائيلي (٥٦١ - ٦٣٧هـ / ١١٦٥ - ١٢٣٩م)^(٦) الطب بدمشق على الشيخ رضي الدين الرحبي (٥٣٤ - ٦٣١هـ / ١١٣٩ - ١٢٣٣م)^(٧) فأتقن الطب علماً وعملاً^(٨). وفي مصر تتلمذ أبو الفرج بن يعقوب بن إسحاق الملقب بأمين الدولة الحكيم^(٩) على الطبيب الشهير موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم المعروف بأبن أبي أصيبعة (٦٠٠-٦٦٨هـ / ١٢٠٣ - ١٢٦٩م) وقرأ عليه حفظاً مسائل حنين ومقدمة المعرفة لأبقراط^(١٠)، وفي مجلس الطبيب الشيخ موفق أبي نصر عدنان بن العين زربي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) درس هبة الله بن زين بن أفرائيم الإسرائيلي وكان من أبرز أطباء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي^(١١).

وعلى الرغم من براعة أسرة آل بختيشوع بالطب إلا أن بعضهم أقبل على دراسته في مجالس الأطباء المسلمين . فقد تتلمذ جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع بمجلس الطبيب يوسف الواسطي^(١٢)، دارساً على يديه وأخذاً العلم منه^(١٣)، وتعلم رشيد الدين أبو سعيد

^١ الصابئ ، أبو الحسين هلال بن المحسن ، من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ الكاتب وهو يحتوي على حوادث خمسين سنة أولها سنة ٣٨٩ وأخرها سنة ٣٩٣هـ ، تصحيح : هـ . ف . أمدروز ، ج ٨ ، القاهرة - ١٩١٩ ، ص ٣٢٧ ؛ الزهيري ، محمود غناوي ، الأدب في ظل بني بويه ، القاهرة - ١٩٤٩ ، ص ٣٧٨ .

^٢ لم أجد ترجمة لهذا الطبيب في مصادرنا القديمة . لكن من المؤكد أنه من أطباء بغداد لتردده وتعلمه مهنة الطب بمجلس الطبيب الصابئ سنان بن ثابت في بغداد .

^٣ هبة الله بن علي : من أشهر الأطباء اليهود في بغداد دخل بخدمة الخليفة المستنجد بالله ، وقد اعتنق الإسلام متأخراً . ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

^٤ أبو الحسن سعيد بن هبة الله : من الأطباء البارعين طب للخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٧٥ - ١٠٩٤م) ولأبنة المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨م) إلى جانب عمله بالبيمارستان العضدي . ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .

^٥ ن . م ، ص ٢٩٦ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك ، نكت الهميان في نكت العميان ، مصر - ١٩١١ ، ص ٣٠٤ .

^٦ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

^٧ رضي الدين الرحبي : ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وكان من الأكابر في صناعة الطب مجلاً عند الملوك . ص ٣١٦ - ٣١٧ .

^٨ ن . م ، ص ٣٥٠ .

^٩ أبو الفرج بن يعقوب : لا يعرف عنه سوى أنه كان من الأطباء اليهود بمصر . اليونيني ، أبو الفتح موسى بن محمد ، ذيل مرآة الزمان ، ط ، م ، حيدر آباد الدكن - ١٩٦١ ، ص ٣١٣ .

^{١٠} ن . م ، ص ٣١٣ .

^{١١} ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٣ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

^{١٢} يوسف الواسطي : من أطباء بغداد الذين اشتهروا بمجالسهم الطبية . ن . م ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، ولا يوجد تحديد لسنة وفاته .

^{١٣} ن . م ، ص ٧٣ .

سعید المعروف بموفق الدين (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)^(١) بدمشق على الطبيب رشيد الدين علي بن خليفة^(٢)، فقرأ عليه كتب جالينوس^(٣).
ومن المجوس المهتمين بدراسة الطب علي بن العباس الذي تتلمذ على يد الشيخ الطبيب أبي ماهر موسى بن سيار، وأهلته براعته الطبية للدخول في خدمة الأمير عضد الدولة البويهی (٣٦٧ - ٣٧٢هـ / ٩٧٧ - ٩٨٢م)^(٤).
جذبت مجالس الأطباء غير المسلمين كثيراً من الراغبين بتعلم الطب من غير المسلمين أنفسهم. ففي بغداد درس في مجالس الطبيب أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا اليهودي^(٥) مهذب الدين أبو الحسن المعروف بأبن هبل اليهودي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م)^(٦)، وبمصر درس أبو البيان بن المدور اليهودي على يد الطبيب أبي الفضائل بن الناقد^(٧)، ومن النصارى أشتهر يوحنا بن ماسويه ببغداد بمجلسه الذي درّس فيه ما برع به من العلوم القديمة^(٨) ومنها علم الطب، وكان أحد أبرز طلبته حنين بن إسحاق^(٩)، كما جلس حنين لتدريس الطب وعليه تتلمذ حبیب بن الأعسم^(١٠) ويشوع بن علي^(١١). وأشتهر الطبيب الصابئ ثابت بن قرة (٢١١-٢٨٨هـ/٨٢٦-٩٠٠م) بتدريس كتب أبقراط وجالينوس^(١٢) ومن اليهود الذين درسوا بمجلسه في بغداد يهودا بن يوسف

- ١ رشيد الدين أبو سعيد :هو من نصارى القدس أقام بدمشق ودرس الطب فيها وكان كثير التنقل بين دمشق والقاهرة، خدم العديد من السلاطين الأيوبيين. ن. م ، ج ٣، ص ٢١٨.
- ٢ رشيد الدين علي بن خليفة : هو عم الطبيب ابن أبي أصيبعة كان من ألمع أطباء دمشق توافد على مجلسه العديد من التلامذة المسلمين وأهل الذمة. ن. م ، ص ٢١٨. ولا يوجد تحديد لسنة وفاته.
- ٣ ن. م، ص ٢١٨؛ السامرائي، كمال، الطب والأطباء العرب في القرن السابع للهجرة، مجلة المورد، م ٢٥، ع ١، بغداد - ١٩٩٧، ص ٦١-٦٠.
- ٤ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ٢٣٠؛ ابن العربي، مختصر الدول، ص ٣٠٥. ولم نعر في مصادرنا القديمة التي وقعت تحت أيدينا عن معلومات حول الأطباء المجوس سوى هذه المعلومة التي أوردناها في أعلاه.
- ٥ المغربي، السمؤال بن يحيى، بذل المجهود في أحكام اليهود، تحقيق: نافع عبد الجبار علوان، بغداد - ١٩٦٩، ص ٤؛ ابن العربي، تاريخ الزمان، ترجمة: اسحق أرملة، تقديم: جان موريس فييه، بيروت-١٩٨٦، ص ٩٦.
- ٦ مهذب الدين أبو الحسن : طبيب يهودي بغدادى الأصل، كثير الترحال بين بغداد والموصل بغية التكسب بالطب وتدريس الراغبين بتعلم مهنة الطب. ابن العربي، تاريخ الزمان، ص ٦٩.
- ٧ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٣، ص ١٩٧.
- ٨ القفطي، أخبار العلماء، ص ٢٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٢، ص ١٢٤؛ عفيفي، محمد الصادق، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، القاهرة - ١٩٧٧، ص ٤٨.
- ٩ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٣، ص ١٣٩؛ ابن العربي، مختصر الدول، ص ٢٢٧، ص ٢٥٠؛ تاريخ الزمان، ص ٤٣.
- ١٠ حبیب بن الأعسم : هو ابن أخت الطبيب حنين بن إسحاق وقد تلقى علم الطب على يديه كما أشتهر بكونه من أبرز المترجمين في بيت الحكمة ببغداد ترجم الكتب اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية. القفطي، أخبار العلماء، ص ١٢٢؛ ابن العربي، مختصر الدول، ص ٢٥٢. ولا يوجد تحديد لسنة وفاته.
- ١١ يشوع بن علي : من الأطباء النصارى، ذاعت شهرته بالنحو أكثر من ذبوعها في الطب ولمع اسمه من خلال معجمه الشهير الذي ألفه باللغتين السريانية والعربية. أبونا، البير، أدب اللغة الآرامية، بيروت - ١٩٧٠، ص ٣٥٣؛ حبي، يوسف، معجمات اللغة السريانية، مجلة مجمع اللغة السريانية، م ٢، بغداد - ١٩٧٦، ص ٧٩.
- ١٢ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، بيروت-لايت، ص ١٩٧.



المعروف بأبن أبى التناء^(١)، وعَدَّ عيسى بن أسيد النصرانى من ألمع تلامذة الطبيب الصابئ ثابت بن قره^(٢).

إن ذبوع شهرة أطباء غير المسلمين دفع بكثير من طلاب العلم مسلمين وغير مسلمين إلى قصدهم والإفادة من علمهم^(٣) فوفدوا عليهم من شتى أنحاء البلاد . فقد قدم إلى بغداد إثنان من طلاب علم الطب من إقليم المشرق لتلقى العلم على الطبيب أبى الفرج عبد الله بن الطبيب النصرانى والقراءة عليه والاشتغال عنده^(٤) ، وقصده من دمشق للتلمذ عليه أبو الفرج جورجيس بن يوحنا النصرانى المعروف بالبرودي (ت ٤٠١هـ / ١٠١٩م)^(٥). وفي سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م) قدم إلى العراق من الأندلس أبناء يونس بن أحمد الحرانى أحمد وعمر فأقاما ببغداد عشر سنوات قرأ فيها على الطبيب الصابئ ثابت بن سنان (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) كتب جالينوس وخدمات ابن وصيف الطبيب الصابئ الكحال ودرسا عليه طب العيون وعلل العين ورجعا إلى الأندلس سنة (٣٥١هـ / ٩٦٢م) بعد أن خبرا الطب وصناعة الأدوية^(٦).

وعلى الرغم من تتلمذ أبى الحسن الماختر بن الحسن بن بطلان النصرانى (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)^(٧) على أطباء بغداد إلا أنه كان دائم التنقل في البلاد قادماً علماء الطب للإستزادة من علمهم ، فأرتحل إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ثم دخل حلب^(٨) وأخذ عن الطبيب النصرانى أبى الخير بن شرارة^(٩). كما قصد أبى الحجاج يوسف المغربى الديار المصرية للدراسة بمجلس الطبيب موسى بن ميمون القرطبى اليهودى (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م)^(١٠) وقد مكنت براعة وإتقان

^١ المسعودى ، التنبيه والأشراف ، دار التراث، بيروت - ١٩٦٨ ، ص ٩٩.
^٢ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣١ ؛ الفقضى ، أخبار العلماء ، ص ١٦٤ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ؛ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلى ، ط ١ ، ج ١ ، بيروت - ١٩٩٧ ، ص ١٦٣.
^٣ ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ص ٨٣.
^٤ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٢٣٥-٢٣٦ ؛ حبي ، يوسف ، أبو الفرج عبد الله بن الطبيب ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م ٣٣ ، ج ٤ ، بغداد - ١٩٨٢ ، ص ٦٥.
^٥ أبو الفرج جورجيس بن يوحنا : طبيب نصرانى يعقوبى المذهب ولد ونشأ ببيرود إحدى ضياع دمشق الكبيرة وإليها يعود لقبه البيرودى . ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٢٣٤-٢٣٥.
^٦ ابن جلجل ، سليمان بن حسان ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة- ١٩٥٥ ، ص ٨١ ؛ الفقضى ، أخبار العلماء ، ص ٢٨٤ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٢١٨.
^٧ أبو الحسن الماختر بن الحسن بن بطلان: طبيب نصرانى من أهل بغداد. الفقضى ، أخبار العلماء ، ص ١٩٢ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٢٣٨.
^٨ الفقضى ، أخبار العلماء ، ص ١٩٢.
^٩ أبو الخير بن شرارة : لا يعرف عنه سوى أنه كان من أطباء حلب النصارى المشهورين بمجالسهم الطبية . بابو اسحق ، رفايل ، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، بغداد - ١٩٦٠ ، ص ٢١٨.
^{١٠} موسى بن ميمون : طبيب يهودى ولد ونشأ في الأندلس وتلقى فيها علوم الطب والرياضيات والفلسفة ، رحل إلى مصر في عهد الخلفاء الفاطميين واشتغل بتجارة الجواهر إلى جانب عمله بالطب وعقد المجالس الطبية التي كانت تحفل بالراغبين بتحصيل علم الطب ، توفي ودفن بمصر . الفقضى ، أخبار العلماء ، ص ٢٠٩-٢١٠.

أبي الحجاج بدراسة الطب من الدخول في خدمة سلاطين بني أيوب فضلاً عن تدريسه الطب^(١).

وتأكيداً للروح العلمية العالية السائدة آنذاك ، فقد تم عقد مجالس علمية مشتركة من أطباء المسلمين وغير المسلمين للتباحث في بعض المسائل الطبية ، كالمجلس الذي ضم يوحنا بن ماسويه وجورجيس بن بختيشوع (ت ١٥٣ هـ / ٧٧٠م)^(٢) وعيسى بن الحكم^(٣) وزكريا الطيفوري^(٤) وناقشوا فيه بعض الأمراض وعلاجاتها^(٥).

أما علم الفلسفة فقد لاقى إهتماماً كبيراً من قبل المسلمين وغير المسلمين على حدٍ سواء وكان من بين العلوم التي جذبت عناية الخلفاء . فقد ضم مجلس الخليفة الواثق كثيراً من الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين يتباحث معهم في موضوعات فلسفية تدور حول علوم الطبيعيات والإلهيات^(٦) . ووصلت محبة الأمير عضد الدولة البويهى للحكام من الفلاسفة أن أفرد لهم موضعاً يقرب من مجلسه يجتمعون فيه للمباحثة والدراسة كما خصص لهم رواتب وهدايا تصل إليهم^(٧) . وكانت دار الوزير أبين سعدان (٣٧٣ - ٣٧٥ هـ / ٩٨٣ - ٩٨٥ م)^(٨) منتدى يجتمع فيه ثلثة من أجل العلماء والأدباء البارعين بمختلف العلوم ومنهم أبو علي عيسى بن زرعة الفيلسوف النصراني (٣٣١ - ٣٩٨ هـ / ٩٤٢ - ١٠٠٧ م) ، ومسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) صاحب كتاب تجارب الأمم ، ومن الكتاب الأدباء أبو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ، وفي هذا المجلس نوقشت مواضيع فلسفية مهمة كحياة الإنسان وطبيعة الروح^(٩) ، والإصلاح الخلقي وتقسيمه إلى سهل وعسير كالإصلاح البدني^(١٠).

تهافت طلاب علم الفلسفة من المسلمين وغير المسلمين على حضور المجالس الفلسفية التي يعقدها كل طرف منهم . فقد درس العديد من طلاب العلم من المسلمين على أيدي علماء غير المسلمين في مجالسهم تلك . ففخر الدين أبو محمد إسماعيل بن عبد الله

^١ ابن أبي أصيبعة ، عيون الاتباء ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ . وللمزيد من المعلومات حول رحلة طلاب العلم للتعلم على أطباء أهل الذمة ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط ١ ، ج ١ ، حيدر آباد الدكن - ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٧٤ ؛ جورجيس بن بختيشوع : كبير أسرة آل بختيشوع الطبية ورئيس أطباء بيمارستان جند يسابور استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٦٢ - ٧٧٥ م) بعد تعرضه لعدة في معدته ومنذ ذلك الحين أصبح طبيبه الخاص . ابن أبي أصيبعة ، عيون الاتباء ، ج ٢ ، ص ٣٧٨-٣٧٩ .

^٢ عيسى بن الحكم : لا يعرف عنه سوى أنه كان من الأطباء المسلمين ببغداد . ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢٣٩ .
^٣ زكريا الطيفوري : طبيب يهودي كان بخدمة القائد التركي الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل وأحد أكثر المقربين منه . ابن أبي أصيبعة ، عيون الاتباء ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

^٤ ن. م ، ص ٩٨ ؛ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢٣٩ .

^٥ المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٨١ .

^٦ مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، مصر - ١٩١٥ ، ص ٤٠٨ .

^٧ ابن سعدان : وزير صمصام الدولة البويهى (٣٧٢ - ٣٧٦ هـ / ٩٨٢ - ٩٨٦ م) عُرف عنه إهتمامه وولعه بمختلف العلوم فكانت داره منتدى يحضره علماء متنوعو المعرفة من المسلمين وأهل الذمة للتباحث والتناقش فيما بينهم حول مختلف الموضوعات ، وكان أبين سعدان يتفاخر بمجالسه العلمية بين الأمراء والوزراء المعاصرين له . التوحيدي ، أبو حيان ، رسالة الصداقة والصديق ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، دمشق - ١٩٦٤ ، ص ١٠ ، ص ٢٨ .

^٨ ن. م ، ص ١٠ .

^٩ ن. م ، ص ٦٣ - ٦٤ .



البغدادى الفقيه الحنبلى (٥٤٩ - ٦١٠ هـ / ١١٥٤ - ١٢١٣ م) ، درس الفلسفة بمجلس أبن قرقس^(١) الطبيب النصرانى وكان يعقده فى أحدى البيع^(٢) . أما عيسى (ت ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م) ابن الوزير على بن عيسى الجراح فقد درس علم الفلسفة بمجلس يحيى بن عدى التكريتى (ت ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) النصرانى وكان شديد التأثير به^(٣) ، وعلى أبى بشر متى بن يونس (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) الفيلسوف النصرانى المشهور تتلمذ كثير من محبى هذا العلم . فكان يجتمع فى حلقة كل يوم المئات منهم ، ومن جملتهم الفيلسوف الشهير الفارابى (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٣ - ٩٥٠ م)^(٤) ، يقرأ عليهم كتاب أرسطو فى المنطق ويملى على تلامذته شرحه فكتب عنه فى شرحه سبعون سفراً لم يكن فى ذلك الوقت أحد مثله فى فنه فتأثر به أبو نصر الفارابى وأخذ عنه طريقته فى تفهيم المعانى الصعبة بالألفاظ السهلة^(٥) ، كما درس الفارابى المنطق على يوحنا بن حيلان^(٦) النصرانى الفيلسوف الشهير^(٧) . من ناحية أخرى ، قرأ يحيى بن عدى التكريتى النصرانى الفلسفة على علماء عدة منهم الفيلسوف أبو نصر الفارابى^(٨) وأبو بشر متى بن يونس النصرانى^(٩) وكان شديد الإعجاب بأسلوب وطريقة العالم الفيلسوف محمد بن زكريا الرازى^(١٠) (٢٥١ - ٣١١ هـ / ٨٦٥ - ٩٢٣ م)^(١١) .

كما كانت هنالك مجالس فلسفية ضمت كثيراً من الفلاسفة من المسلمين وغير المسلمين عادة ما يترأسها أحدهم ، كالمجلس الذى أداره أبو سليمان المنطقى فى بغداد

^١ ابن قرقس : من العلماء النصارى ببغداد أشهر باتقانه علم الطب والفلسفة وكان يعقد فى إحدى بيع بغداد مجلساً لتدريس الراغبين بهذين العلمين . ابن الفوطى ، تلخيص مجمع الآداب ، ج ٣ ، ص ١١٠ . ولا يوجد تحديد لسنة وفاته .
^٢ ابن العماد الحنبلى ، شذرات ، ج ١ ، ص ١١٠ .
^٣ التوحيدى ، الإمتاع ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ القفطى ، أخبار العلماء ، ص ١٦٣ .
^٤ الفارابى: محمد بن محمد ، من أكبر فلاسفة المسلمين ، تركى الأصل ولد فى فاراب الواقعة على نهر جيحون ، أنتقل إلى بغداد وألف بها أكثر كتبه ، ورحل إلى مصر والشام وأتصل بالأمير الحمدانى سيف الدولة ، كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة فى عصره . ابن أبى أصيبعة ، عيون الإنباء ، ج ٣ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .
^٥ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
^٦ يوحنا بن حيلان : من أشهر فلاسفة النصارى ببغداد توفى أيام الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣١٦ هـ / ٩٠٧ - ٩٢٨ م) . ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ٢٩٥ .
^٧ المسعودى ، التنبيه ، ص ١٠٠ ؛ التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين ، ج ١ ، بيروت - لايت ، ص ٣٧ ؛ طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج ١ ، حيدر آباد الدكن - ١٣٢٨ هـ ، ص ٢٥٩ .
^٨ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٢٢ ؛ القفطى ، أخبار العلماء ، ص ١١٣ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الإنباء ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .
^٩ الأهوانى ، أحمد فؤاد ، ايساغوجى ، القاهرة - ١٩٥٢ ، ص ٧٠ .
^{١٠} محمد بن زكريا الرازى : أصله من الرى ، ولد وتعلم بها وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين كان مولعاً بالموسيقى والغناء ونظم الشعر فى صغره ثم عكف على الطب والفلسفة فى كبره فنبغ ، أشهر بمجالسه العلمية ومؤلفاته القيمة ، تولى رئاسة أطباء بيمارستان الرى ثم رئاسة أطباء بيمارستان العضدي ببغداد . ابن أبى أصيبعة ، عيون الإنباء ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .
^{١١} المسعودى ، التنبيه ، ص ١٠٤ . للمزيد من المعلومات عن دراسة أهل الذمة لعلم الفلسفة على أيدي العلماء المسلمين ينظر : ابن الجوزى ، أبى الفرج عبد الرحمن بن على ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ط ١ ، ج ٩ ، حيدر آباد الدكن - ١٣٥٩ هـ ، ص ١١٩ ؛ القفطى ، أخبار العلماء ، ص ٣٣٩ .

والذي حضره جملة منهم كأبن الخمار^(١) وبحيي بن عديٍّ ومسكويه وأبي حيان التوحيدي وهدفه البحث عن المتعة العقلية والتباحث بمسائل عدة فلسفية وسياسية واجتماعية ولغوية ودينية^(٢).

وكان للشعراء المسلمين ولع بالفلسفة دفعهم لحضور المجالس الفلسفية ومنها مجالس غير المسلمين للتدارس على أيديهم. فقد قصد شاعرنا أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) أحد الأديرة بدمشق للتلثمذ على أحد رهبانها البارعين بالفلسفة وعلم الأوائل^(٣).

أما علم الكيمياء الذي نال عناية الخلفاء العباسيين ، فقد عقدوا له مجالس علمية ، دعوا إليها بعض العلماء البارعين به ومنهم بعض رجال الدين النصاري . فالروايات تخبرنا أن الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٦٢ - ٧٧٥ م) أستدعى البطريرك جبورجيس لحضور مجلسه في الكيمياء ، كما إستفاد منه في تحصيل معرفة أكبر بهذا العلم^(٤).

كما برع غير المسلمين بالفلك وتسابقوا مع المسلمين في عقد المجالس الفلكية والتعليم فيها ، ففي بغداد كان لليهودي موسى بن إسرائيل الكوفي (١٢٩ - ٢٢٢ هـ / ٧٤٦ - ٨٣٦ م) مجلس لتعليم الفلك فضلاً عن رواية الأشعار وأيام الناس^(٥)، وأشتهر العالم الفلكي أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني الصابئ (ت ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) بعقد المجالس الفلكية^(٦). كما أن براعة المجوس بالفلك دفعت البرامكة إلى عقد مجالس فلكية ضمت علماء مجوس تحاوروا فيها حول بعض المسائل الفلكية كأستنباط حركات الكواكب المتحركة وأسبابها بطرق هندسية وما يرون من الأفلاك التي تختص بالكواكب الثابتة^(٧).

أما مجالس النحو واللغة والأدب فقد كان للمسلمين اليد الطولى فيها، لذا سعى غير المسلمين إلى التلثمذ على أيدي العلماء المسلمين . ففي سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) قصد أحد اليهود ببغداد أبا عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) النحوي صاحب التصانيف ليدرس بمجلسه كتاب سيبويه^(٨). وضم مجلس العالم النحوي العز الضرير

^١ ابن الخمار : وهو أبو الخير بن سوار من فلاسفة بغداد النصاري ولد سنة (٣٣١ هـ - ٩٤٢ م) ، وأشتهر ببراعته بعلم الطب وترجمة العديد من الكتب الطبية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية . ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
^٢ التوحيدي ، الإمتاع ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

^٣ القفطي ، إنباء الرواة عن أنباء النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، ج ١ ، القاهرة - ١٩٥٠ ، ص ٩٠ .
^٤ مار ميخائيل ، مار ميخائيل السرياني الكبير ، ترجمة: مارغريغوريوس صليبا شمعون، تقديم : مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، ج ٢ ، دار ماردين ، حلب - ١٩٩٦ ، ص ١١٧ ؛ تواريخ سريانية من القرون ٧ - ٩ م ، نقل وتحقيق : يوسف حبي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٢ ، ص ١٣ . لا تحوي مصادرنا القديمة معلومات حول تضيع أهل الذمة بعلم الكيمياء عدا إشارة إلى إتقان البعض من رجال الدين النصاري لهذا العلم وردت لدى رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، م، بيروت- ١٩٥٧ ، ص ٨٧ .

^٥ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
^٦ التوحيدي ، رسالة الصداقة والصدق ، ص ٢٥٠ .

^٧ المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة- ١٩٣٧ ، ص ١٦٨ .

^٨ الحموي ، معجم الأديباء ، م ٤ ، ج ٧ ، بيروت - ١٩٣٦ ، ص ١١١ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .



(ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ببغداد كثيراً من غير المسلمين^(١). كما عقدت مجالس نحوية ضمت علماء من المسلمين وغير مسلمين، كالمجالس الذي عقد في البصرة سنة (١٥٦هـ / ٧٧٢م) الذي ضم العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبن رأس الجالوت الشاعر وأبن نظير النصراني المتكلم وعمرو المجوسى وأبن سينا الحراني الشاعر^(٢). ومعروف أن المجالس الأدبية لاقت تشجيعاً من معظم الوزراء والأمراء لتثقافتهم العالية والمتنوعة وحبهم للعلماء الذين أجتذبوهم لمجالسهم فقد أقام الوزير الحسن بن محمد المهلبى مجلساً أرتاده الأديباء من المسلمين وغير المسلمين لتجاذب الحديث حول مختلف المواضيع الأدبية^(٣)، وعرف عن الأمير عضد الدولة البويهى إيثاره مجالسة الأديباء على منادمة الأمراء^(٤). كما عقد الأديباء مجالسهم الأدبية في ذكاكين الوراقين وكان لغير المسلمين حضور في هذه المجالس. فقد عرف عن أحد الوراقين بالرها إجتماع الشعراء والأديباء في دكانه للحديث عما لديهم من الأدب والشعر وكان النصرارى يجالسونهم للتعلم عليهم^(٥). ودأب الأديباء من المسلمين وأهل الذمة على عقد مجالس أدبية فيما بينهم دارت أحاديثهم فيها حول البلاغة وأساليبها^(٦).

والملاحظة المهمة هنا هي تردد أبناء غير المسلمين على مجالس المسلمين الخاصة بتعليم الأحداث فبعثوا إليها صديانهم، فأشتهر مدرك بن علي الشيباني الذي كان فقيهاً وأديباً وشاعراً، بعقد مجالس لتعليم الأحداث كان يحضرها تلامذة من النصرارى^(٧)، كما عُرف عن بعض النصرارى إرسال أولادهم للتعلم في مجالس المسلمين^(٨).

كما جذبت مجالس زهاد المسلمين الوعظية اهتمام غير المسلمين فلازموا شيوخها واستمعوا لمواعظهم ونصائحهم، مثلما كان يحدث في مجالس الأمام أحمد بن حنبل (ت

^١ أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تصحيح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره: عزت العطار الحسيني، ط١، بيروت - ١٩٧٤، ص ٢١٦؛ الصفدي، نكت الهميان، ص ١٤٢؛ ابن شاكر الكتبي، محمد، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، ج ٢٠، بغداد - ١٩٨٠، ص ٢٦٨.
^٢ ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، القاهرة - ١٩٦٣، ص ٢٩. ولم يورد ابن تغري بردي معلومات مفصلة عن الشخصيات الذمية التي حضرت مجلس النحو المشار إليه.

^٣ الحموي، معجم الأديباء، م، ج، ص ١٤٣.
^٤ النعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ج ٢، القاهرة - ١٩٥٦، ص ٢١٦.

^٥ الأنطاكي، داؤد، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج ٢، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت- لات، ص ٣٥.

93- Khalil, samir, Deux Cultures Qui Saffrontent une Controverse sur L'I rab au XI Siecle entre De Elinisibe et Le Vizir abul-Qasim, Imprimerie Cathol I Que, Beyrouth - 1975 - 76, p. 635.

^٧ التتوخي، أبو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ج ٤، بيروت - ١٩٧٢، ص ٢٦٥؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تصحيح: محمد حامد الفقي، م ١٣، ص ٢٧٣؛ ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط ١، مطبعة السعادة - ١٩٦٢، ص ٥٠٠؛ الحموي، معجم الأديباء، م، ج ١٠، ص ١٣؛ ابن حجة الحموي، تقي الدين بن علي، ثمرات الأوراق في المحاضرات، ج ٢، القاهرة - ١٩٤٢، ص ٣٤؛ ابن أبي حجلة، شهاب الدين أحمد، ديوان الصبابة، المطبعة الأزهرية المصرية - ١٣٠٨ هـ، ص ٢٥٢؛ الدمشقي، شمس الدين محمد بن علي، البذور المسفرة في نعت الأديرة، تحقيق: هلال ناجي، دار الحرية للطباعة - ١٩٧٥، ص ٨؛ الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج ٢، ص ٣٤١.

^٨ الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج ٢، ص ٢٥٠.

٢٤١هـ / ٨٥٥م^(١) وأبي بكر دلف بن جدر الشبلي (٢٤٧ - ٣٣٤هـ / ٨٦١ - ٩٤٥م^(٢)، وإبراهيم بن أحمد الخواص (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م^(٣) ومجالس الجنيد أبي القاسم بن محمد (ت ٢٩٧هـ / ٩١٠م) شيخ الصوفية^(٤)، والشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي (٤٧٠ - ٥٦١هـ / ١٠٧٧ - ١١٦٥م^(٥)، ومجالس أبن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م^(٦)، وغيرهم الكثير^(٧).

ومن الجميل الإشارة هنا إلى أن بعض العلماء المسلمين لم يكتفوا بتدريس العلوم الدينية في مجالسهم بل جلسوا لتدريس الكتب الخاصة بغير المسلمين الذين توافد كثير منهم على هذه المجالس . فعلى سبيل المثال قرأ كثير منهم على الشيخ كمال الدين بن يونس الموصلبي (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤٢م) التوراة والإنجيل إذ كان يشرح لهم هذين الكتابين شرحاً وافياً^(٨).

٢- المراسلات العلمية

اتخذت المراسلات العلمية أشكالاً متعددة منها ما جرى بين العلماء أنفسهم من المسلمين وغير المسلمين أو تلك التي تواصلت بين علماء غير المسلمين حصراً ، ومنها ما صدر عن الوجهاء وذوي الشأن المهتمين بجذب العلماء والاستفادة من علومهم . فلم يكن بُعد المسافات حائلاً دون اتصال العلماء وتجاوز عقولهم ، بغية الاستزادة من المعرفة ومواكبة التقدم الحاصل عند الأطراف الأخرى . فاشتهرت المراسلات الطبية بين الأطباء المسلمين وغير المسلمين كالتي حدثت بين الطبيب النصراني المقيم في بغداد أبي الحسن المختار بن الحسن بن بطلان والطبيب المصري أبي الحسن علي بن رضوان (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م^(٩) فكلما ألف أحدهما كتاباً أرسله للأخر للإطلاع عليه

^١ الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تصحيح: محمد حامد الفقي ، م^٤ ، بيروت-لايت، ص ٣٠٨

^٢ أبو بكر دلف بن جدر الشبلي : من أقطاب الصوفية خراساني الأصل مولده ونشأته ببغداد . المناوي ، زين الدين محمد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد أديب الجادر، ج^٢ ، بيروت - ١٩٨٣ ، ص^{٨٣} ، ص^{٩٣} ؛ حبيب ، جميل إبراهيم ، تاريخ متصوفة بغداد ، ط^١ ، بغداد - ١٩٨٨ ، ص^{٥٠}-٥٢

^٣ الإيشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، شرحه: مفيد محمد قميحة، ج^١ ، بيروت - ٢٠٠٢ ، ص^{٢٥٧} ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ق^٢ ، ج^١ ، ص^{٥٠٢} .

^٤ المناوي ، الكواكب الدرية ، ق^٢ ، ج^١ ، ص^{٥٨٢} .
^٥ الحنبلي ، محمد بن يحيى ، فلاند الجواهر في مناقب تاج الأولياء الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ، مصر - ١٣٥٦هـ ، ص^٦ ، ص^{١٨} ، ص^{١٠٧} ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط^١ ، ق^١ ، ج^٨ ، حيدر آباد الدكن - ١٩٥١ ، ص^{٢٦٤}-٢٦٥ .

^٦ ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص^٥ ؛ ابن الجوزي ، فضائل القدس ، تحقيق : جبرائيل سليمان جيور ، ط^١ ، بيروت - ١٩٧٩ ، ص^{٣٥} .
^٧ المسعودي ، مروج ، ج^٢ ، ص^{١٠٢} ؛ الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، م^٣ ، مطبعة السعادة - ١٩٣٥ ، ص^{٥٧} ، م^٤ ، ص^{١٨٠} ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، م^٤ ، ص^{٤٣} ، م^{١٣} ، ص^{٢٩٦} .

^٨ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج^٣ ، ص^{١٥٧} ؛ ابن ألفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بغداد - ١٩٣٢ ، ص^{١٤٩} .

^٩ أبو الحسن علي بن رضوان : من أطباء مصر الحاذقين خدم الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) الذي جعله رئيساً على سائر الأطباء ، ودفعه ولعه بالطب إلى تتبع نتائج الأطباء المسلمين وأهل الذمة المعاصرين له وإبداء آرائه الطبية حولها من خلال مراسلة أصحابها وخوض النقاشات العلمية معهم . ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج^٣ ، ص^{١٦٦}-١٦٧ .



وتبادلا الرسائل في وجهات النظر بما ورد من معلومات طبية بهذه المؤلفات^(١)، كما راسل الطبيب النصراني أبو الفرج جورجيس بن يوحنا اليبرودى الطبيب بن رضوان وناقشه في كثير من المسائل الطبية^(٢).

ومن المراسلات الطبية التي جرت بين أطباء غير المسلمين، تلك التي تمت بين الطبيب المصري نسطاس بن جريح النصراني^(٣) وبين صديقه الطبيب يزيد بن رومان النصراني^(٤) في الأندلس فكان نسطاس يرسل إليه كل ما يولفه عن الأمراض طالبا رأيه الطبي^(٥). وبعث أحد وزراء خراسان برسائل تحوي أسئلة طبية موجهة إلى الطبيب أبي إسحاق هلال الصابئ (ت ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) طالبا رأيه الطبي فيها^(٦).

ودفعت براعة أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) في الأدب كثيرا من الشعراء إلى تبادل الرسائل الأدبية معه. فدارت بينه وبين الشاعر الأديب أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) رسائل بليغة ونظم رائق^(٧)، وربطته بالشاعر الشريف الرضي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) مودة ومراسلات^(٨) جمعها الصابئ بمؤلف عرف بمراسلات الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي^(٩). كما راسل أبو إسحاق الصابئ الشاعر أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥ م) طالبا منه امتداحه وبلغ أعجاب الوزير والشاعر الأديب صاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)^(١٠) بأبي إسحاق الصابئ أن وجه له رسائل وقصائد كثيرة في السمديح والثناء، وجرت بينهما مراسلات أدبية رقيقة^(١١).

كما بعث العالم الفلكي أبو سهل الكوهي^(١٢) برسائل إلى أبي إسحاق الصابئ تتضمن إجابات علمية دقيقة عن مسائل رياضية كان قد وجهها إليه^(١٣).

^١ ابن العبري، مختصر الدول، ص ٣٣١-٣٣٢.
^٢ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٣، ص ٢٣٥.
^٣ نسطاس بن جريح: من أطباء مصر النصارى في دولة الإخشيديين (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ / ٩٣٤ - ٩٦٨ م). القفطي، أخبار العلماء، ص ٢٢١.
^٤ يزيد بن رومان: لا يعرف عنه سوى انه من الأطباء النصارى البارعين بالأندلس. ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٨٢.
^٥ القفطي، أخبار العلماء، ص ٢٢١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ٣، ص ١٤١.
^٦ الحموي، معجم الأدباء، م ١، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨؛ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تقديم: محمد أحمد علاق، ط ١، م ١، بيروت - ١٩٩٩، ص ١٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٢٤٢-٢٤٣.
^٧ الحموي، معجم الأدباء، م ١، ج ٢، ص ٢٤٩.
^٨ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦٨.
^٩ الحموي، معجم الأدباء، م ١، ج ٢، ص ٢٦٨.
^{١٠} صاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة البويهى بالري كان عالما فاضلا. التوحيدي، الإمتاع، ص ٢١٢-٢١٣؛ ابن الأثير، الكامل، م ١، ص ٣١٠.
^{١١} الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٩٣؛ الحموي، معجم الأدباء، م ١، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٠.
^{١٢} أبو سهل الكوهي: هو ويجن بن رستم عرف ببراعته في علم الفلك والرياضيات، نال مكانة مرموقة لدى الأمراء البويهيين وخاصة لدى الأمير شرف الدولة بن عضد الدولة (٣٧٢ - ٣٧٦ هـ / ٩٨٢ - ٩٨٦ م) الذي أعتمد عليه برصد الكواكب السبعة وحركاتها في بروجها. القفطي، أخبار العلماء، ص ٢٣٠.
^{١٣} القفطي، أخبار العلماء، ص ٢٣٠؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص ٣٠٧.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المراسلات كانت تنطوي على ذكر أحداث تاريخية سجلها العلماء خلال رحلتهم في البلاد وأرسلوها لأصدقائهم . كذلك التي بعثها أبو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان المتطبيب في سنة (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) إلى هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) في أخبار دولة بني مرداس^(١) (٤١٤ - ٤٢٩ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٣٧ م) بجلب^(٢)، وتشكل هذه الرسائل مصدراً مهماً للباحثين عن تأريخ هذه الدولة .

^١ دولة بني مرداس : أقامها بجلب صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي أمير بادية الشام وذلك سنة (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) وكان مقامه في أطراف حلب ثم امتد ملكه من حلب إلى عانة . الأنطاكي ، يحيى بن سعيد ، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، لبنان - ١٩٨٨ ، ص ١١ ، ص ٣٣٣ .
^٢ الحلبي ، محمد راغب ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ج ١ ، حلب - ١٩٢٣ ، ص ٣٣٣ .

المصادر والمراجع

المصادر الأولية

- الإبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٥٨٥ / ١٤٤٦ م)
- ١- المستطرف في كل فن مستظرف ، شرحه: مفيد محمد قميحة ، بيروت - ٢٠٠٢ .
- ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم (ت ٥٦٣٠ / ١٢٣٢ م)
- ٢- الكامل في التاريخ ، تحقيق: علي شيري ، بيروت - ٢٠٠٤ .
- أخوان الصفا (ق/٥٤ / ١٠ م)
- ٣- رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء ، بيروت - ١٩٥٧ .
- الإصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٥٤٣٠ / ١٠٣٨ م)
- ٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، مطبعة السعادة - ١٩٣٥ .
- ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم (ت ٥٦٨٨ / ١٢٦٩ م)
- ٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت - ١٩٥٧ .
- الأنطاكي ، داود (ت ٥١٠٠٨ / ١٥٩٩ م)
- ٦- تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت - لا.ت .
- الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت ٥٤٥٨ / ١٠٦٧ م)
- ٧- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، لبنان - ١٩٨٨ .
- ابن تغري بردي ، جمال الدين (ت ٥٨٧٤ / ١٤٦٩ م)
- ٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة - ١٩٦٣ .
- البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٥٣٢٠ / ٩٣٢ م)
- ٩- المحاسن والمساوي ، تصحيح : محمد بدر الدين ، مطبعة السعادة - ١٩٠٦ .
- التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي (ت ٥٣٨٤ / ٩٩٤ م)
- ١٠- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي ، بيروت - ١٩٧٢ .
- تواريخ سريانية من القرون ٧ - ٩ م
- ١١- نقل وتحقيق : يوسف حبي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٢ .
- التوحيدي ، أبو حيان (ت ٥٣٨٠ / ٩٩٠ م)
- ١٢- رسالة الصداقة والصديق ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، دمشق - ١٩٦٤ .
- ١٣- الإمتاع والموائسة ، تصحيح : أحمد أمين وأحمد الزين ، بيروت - لا.ت .
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٥٤٢٩ / ١٠٣٧ م)
- ١٤- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة - ١٩٥٦ .



- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٥٢٥٥ / ٨٦٦٨ م)
١٥- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد للنشر - ١٩٨٢ .
ابن جلجل ، سليمان بن حسان(ت بعد٥٣٨٤ / ٩٩٤ م)
١٦- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة- ١٩٥٥ .
ابن جماعة ، أبو الفضل سعد الله(ت٥٧٣٣ / ١٣٣٢ م)
١٧- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم ، حيدر آباد الدكن - ١٣٥٣ هـ .
ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٥٩٧ / ١٢٠٠ م)
١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد الدكن - ١٣٥٩ هـ .
١٩- ذم الهوى ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السعادة - ١٩٦٢ .
٢٠- فضائل القدس ، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور ، بيروت - ١٩٧٩ .
ابن حجة الحموي ، تقي الدين بن علي(ت٥٨٣٧ / ١٤٣٣ م)
٢١- ثمرات الأوراق في المحاضرات ، القاهرة - ١٩٤٢ .
ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي(ت٥٨٥٢ / ١٤٤٨ م)
٢٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد الدكن - ١٣٤٩ هـ .
ابن أبي حجلة ، شهاب الدين أحمد(ت٥٧٧٦ / ١٣٧٤ م)
٢٣- ديوان الصبابة ، المطبعة الأزهرية المصرية - ١٣٠٨ هـ .
الحلبي ، محمد راغب(ت٥١٣٤٢ / ١٩٢٣ م)
٢٤- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، حلب - ١٩٢٣ .
الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت(ت٥٦٢٦ / ١٢٢٨ م)
٢٥- معجم البلدان ، بيروت - ١٩٩٥ .
٢٦- معجم الأدباء ، بيروت - ١٩٣٦ .
الحنبلي ، محمد بن يحيى(ت٥٩٧١ / ١٥٦٣ م)
٢٧- قلند الجواهر في مناقب تاج الأولياء الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ، مصر - ١٣٥٦ هـ .
الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي(ت٥٤٦٣ / ١٠٧٠ م)
٢٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، بيروت- لا.ت .
ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٥٦٨١ / ١٢٨٢ م)
٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت - ١٩٩٧ .
الدمشقي ، شمس الدين محمد بن علي(ق٥٨ / ١٤ م)
٣٠- البدور المسفرة في نعت الأديرة ، تحقيق : هلال ناجي ، دار الحرية للطباعة - ١٩٧٥ .
سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر(ت٥٦٥٤ / ١٢٥٦ م)
٣١- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، حيدر آباد الدكن - ١٩٥١ .
السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد(ت٥٥٦٢ / ١١٦٦ م)
٣٢- الأنساب ، تقديم : محمد أحمد علاق ، بيروت - ١٩٩٩ .
ابن شاکر ألكتبي ، محمد (ت٥٧٦٤ / ١٢٦٥ م)
٣٣- عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، بغداد - ١٩٨٠ .
أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد (ت٥٦٦٥ / ١٢٦٦ م)
٣٤- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تصحيح : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، نشره : عزت العطار الحسيني ، بيروت - ١٩٧٤ .
الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن(ت٥٤٤٨ / ١٠٥٦ م)

- ٣٥- من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ الكاتب وهو يحتوي على حوادث خمسين سنة أولها سنة ٣٨٩ وآخرها سنة ٣٩٣ هـ ، تصحيح : هـ . ف . أمدروز ، القاهرة - ١٩١٩ .
أصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٥٧٦٤ / ١٣٦٣ م)
٣٦- نكت الهميان في نكت العميان، مصر - ١٩١١ .
طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (ت ٥٩٦٢ / ١٥٥٤ م)
٣٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد الدكن - ١٣٢٨ هـ .
ابن العبري ، أبو الفرج جمال الدين (ت ٥٦٨٥ / ١٢٨٦ م)
٣٨- تاريخ مختصر الدول ، بيروت- ١٨٩٠ .
٣٩- تاريخ الزمان، ترجمة: اسحق أرملة، تقديم: جان موريس فييه، بيروت- ١٩٨٦ .
ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ / ١٦٧٨ م)
٤٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت- لا.ت .
ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل (ت ٥٧٢٣ / ١٣٢٣ م)
٤١- تليخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - ١٩٦٥ .
٤٢- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بغداد - ١٩٣٢ .
القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٥٦٤٦ / ١٢٤٨ م)
٤٣- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بيروت- لا.ت .
٤٤- إنباء الرواة عن أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - ١٩٥٠ .
مار ميخائيل (ت ٥٥٩٦ / ١١٩٩ م)
٤٥- مار ميخائيل السرياتي الكبير ، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، تقديم : مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، دار ماردين ، حلب - ١٩٩٦ .
المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٥٣٤٦ / ٩٥٧ م)
٤٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة- ١٩٦٤ .
٤٧- التنبيه والأشرف ، دار التراث، بيروت - ١٩٦٨ .
مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٥٤٢١ / ١٠٣٠ م)
٤٨- تجارب الأمم ، مصر - ١٩١٥ .
المغربي ، السموأل بن يحيى (ت ٥٥٧٠ / ١١٧٥ م)
٤٩- بذل المجهود في أفحام اليهود ، تحقيق : نافع عبد الجبار علوان ، بغداد - ١٩٦٩ .
المنائي ، زين الدين محمد الرؤوف (ت ٥١٠٣١ / ١٦٢١ م)
٥٠- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد أديب الجادر، بيروت - ١٩٨٣ .
ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت ٥٣٨٥ / ٩٩٥ م)
٥١- الفهرست، تحقيق : رضا تجدد ، طهران - ١٩٧١ .
اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٥٧٦٨ / ١٣٦٦ م)
٥٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، حيدر آباد الدكن - ١٣٣٨ هـ .
اليونيني ، أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٥٧٢٦ / ١٣٢٥ م)
٥٣- ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد الدكن - ١٩٦١ .

المراجع
أبونا ، البير



- ١- أدب اللغة الآرامية ، بيروت - ١٩٧٠ .
- آل ياسين ، محمد مفيد
- ٢- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، بغداد - ١٩٧٩ .
- الأهواني ، أحمد فؤاد
- ٣- ايساغوجي ، القاهرة - ١٩٥٢ .
- بابو اسحق ، رفائيل
- ٤- أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، بغداد - ١٩٦٠ .
- الجومرد ، عبد الجبار
- ٥- هارون الرشيد ، بيروت - ١٩٥٦ .
- حبيب ، جميل إبراهيم
- ٦- تاريخ متصوفة بغداد ، ط١ ، بغداد - ١٩٨٨ .
- الزهيري ، محمود غناوي
- ٧- الأدب في ظل بني بويه ، القاهرة - ١٩٤٩ .
- عفيفي ، محمد الصادق
- ٨- تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، القاهرة - ١٩٧٧ .
- ففيه ، أ . د . جان موريس
- ٩- أحوال النصاري في خلافة بني العباس ، ترجمة : حسني زينه ، بيروت - ١٩٩٠ .
- المدور ، جميل نخلة
- ١٠- حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة-١٩٣٧ .
- الملا ، أحمد علي
- ١١- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، دمشق - ١٩٨١ .

الدوريات

حبي ، يوسف

- ١- أبو الفرج عبد الله بن الطيب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٣٣ ، ج٤ ، بغداد - ١٩٨٢ .
- ٢- معجمات اللغة السريانية ، مجلة مجمع اللغة السريانية ، م٤ ، بغداد - ١٩٧٦ .
- السامرائي ، كمال
- ٣- الطب والأطباء العرب في القرن السابع للهجرة ، مجلة المورد ، م٢٠ ، ع١ ، بغداد - ١٩٩٧ .
- عبد اللطيف ، بهجت كامل
- ٤- مقام الأطباء عند الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م ، مجلة المورد ، م٢٩ ، ع٤ ، بغداد - ٢٠٠١ .
- اليسوعي ، لويس شيخو
- ٥- ابن التلميذ الطبيب الشاعر ، مجلة المشرق ، ع١٢ ، سنة ٩ ، بيروت - ١٩٠٦ .

المصادر الأجنبية

Khalil , samir , Deux Cultures Qui Saffrontent une Controverse sur L'I rab au XI Siecle entre De Elinisibe et Le Vizir abul-Qasim , Imprimerie Cathol I Que , Beyrouth - 1975 - 76.

الخاتمة

لعل أبرز النتائج التي توصلنا إليها من بحثنا عن الانفتاح الفكري بين المسلمين وغير المسلمين في العصر العباسي من خلال عقد المجالس والمراسلات العلمية التي دارت بين علماء المسلمين وغير المسلمين في ظل تسامح الدولة العربية الإسلامية فكما قيل الناس على دين ملوكها، فكان لاهتمام الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والوجهاء بالعلوم والعلماء ورعايتهم وتشجيع المسلمين منهم وغير المسلمين صداً في شغف العلماء للتواصل مع بعضهم ولنهل ما غفل عنهم من علم فراح يتلمذ بعضهم على بعض ويقطعوا المسافات في أقاصي البلاد قصداً لهم، وقد حوت لنا كتب التاريخ العربي الإسلامي التي نهلنا منها مادة بحثنا معلومات غاية في الرقي العلمي، والتخاطب بين العلماء تجمعهم غاية واحدة تتمثل بالنهوض بالحضارة العربية الإسلامية، التي تشهد لهم اليوم بما خلفوه من نتاج علمي ثر.



الإداء اللغوى وإنجاز التواصل عند علماء العربية

أ.م.و. بدر بن سالم بن جميل (السنانى)

سلطنة عمان- جامعة التقنية والعلوم التطبيقية - (الرسناق)

bader.salim.rus@cas.edu.om

المخلص

لمّا كان الكلام موضوعا للإبانة عن الأغراض التي في النفوس ألزم واضعو اللغة ومؤسسو قواعدها أن يتخير المرسل من اللفظ ما هو أقرب إلى الدلالة على المراد، والأقدر على الإبانة عن المعنى المطلوب؛ فاهتم علماء اللغة بإنجاح الأداء اللغوى، وإنجاز عملية التواصل، ورعوا عملية الاتصال اللغوى كمال الرعاية، وكان من أهم أسس التواصل اللغوى البعد عن اللبس؛ بمراعاة الوضوح، والإبانة، والنظر إلى وظيفة النص من زاوية المنفعة اللغوىة، وتحقيق الوظيفة التواصلية؛ لأن وظيفة اللغة الجوهرية هو الإبلاغ، والاتصال.

سعت اللغات المختلفة (بشرية أو آلية) - لإنجاح التواصل - إلى إزالة الالتباس من تراكيبيها، ومحاولة دفعه بما تمتلك من أدوات، لأن اللبس - في أصله - ممنوع أبدأ؛ لمنافاته القصد من وضع اللغة، لذا توقف علماء اللغة طويلا عند صياغة قواعدهم، فجعلوا وضوح المعنى، وأمن اللبس الأساس الذي هيكل نحاة العربية عليه قواعدهم، وأسسوا بناء عليه تصوراتهم، وصاغوا تعليقاتهم لمباحث اللغة. لكن تبقى - مع كل هذه الرعاية التي بذلها العلماء عند تأسيس قواعدهم - ثمة تراكيب لغوىة ملبسة، حيث أثبت علم اللغة التقابلي (Contrastive Linguistics) أن تعدد التوجيه خاصة جوهرية في الألسن البشرية المختلفة، وأن اللغات كافة لا تخلو من اللبس في تراكيبيها، ومستوياتها اللغوىة، فاللبس حقيقة لا تدفع، وواقع لا ينكر، وهذا ثابت في تراكيب العربية فهي ظاهرة تشيع في النصوص الأدبية عامة، والآيات القرآنية خاصة، ومن ينظر في كتب إعراب القرآن يلحظ كثرة الأقوال الدالة على وجود هذا الظاهرة في العربية؛ لهذا لم ينكر أحد من الباحثين في العصر الحديث وجود ظاهرة اللبس في درسنا اللغوى قديما وحديثا. رغبة في بيان شيء من فكر اللغويين العرب في تأسيس قواعدهم؛ جاء هذا العمل الموسوم بـ(الأداء اللغوى وإنجاز التواصل عند علماء العربية)

متكنا على المنهج الوصفي التقريري، ويهدف العمل إلى بيان أهم الوسائل التي تستعين بها اللغة لإيصال الرسالة اللغوية بوضوح؛ مما يحقق نجاح الاتصال اللغوي بين طرفي الاتصال، فضلا عن الوقوف على أهم المشكلات اللغوية التي قد تحدث اللبس في الكلام، ومحاولة رفعه، أو التقليل منه، ويكون هذا باستقراء مجموعة من الأمثلة التي تدعم القضية المدروسة. وقسم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث غير منفصلة، فخاتمة تضم خلاصة البحث.

كلمات البحث الافتتاحية : الأداء اللغوي - إنجاز التواصل - اللبس اللغوي

Summary

Since speech is intended to clarify the purposes that are in the soul, the authors of the language and the founders of its rules are obliged to choose the sender of the expression that is closer to the connotation of what is meant, and is more capable of clarifying the required meaning. Linguists were concerned with the success of linguistic performance and the achievement of the communication process, and they took care of the process of language communication perfection of care, and one of the most important foundations of linguistic communication was the absence of ambiguity. Taking into account clarity, clarity, looking at the function of the text from the angle of linguistic utility, and achieving the communicative function; Because the core function of language is reporting, communication.

Different languages (human or mechanical) have sought - for the success of communication - to remove confusion from their structures, and try to push it with the tools they possess, because confusion - in its origin - is forbidden at all. Its contradiction was the intention of setting the language, so linguists paused for a long time when drafting their grammar, making the clarity of the meaning and the security of confusion the basis on which the Arabic grammar structure was based on their rules, and based on their perceptions, and formulated their explanations for language investigations. However, there are still - with all the care that the scholars took when establishing their rules - there are linguistic structures that are dressed.

Where the science of contrastive linguistics proved that the multiplicity of orientation is an essential characteristic in the different human tongues, and that all languages are not without ambiguity in their structures and linguistic levels. Confusion is a fact that does not pay, and an undeniable reality, and this is constant in the compositions of Arabic.



Literary texts in general, and Qur'anic verses in particular, and whoever looks at books of the translation of the Qur'an notice the abundance of sayings indicating the existence of this phenomenon in Arabic. That is why none of the researchers in the modern era denied the existence of the phenomenon of confusion in our linguistic lesson, in the past and present.

A desire to clarify some of the thinking of Arab linguists in establishing their grammar; This work is marked (linguistic performance and communication achievement of Arabic scholars), relying on the descriptive approach, and the work aims to explain the most important means by which the language uses to convey the linguistic message clearly. This achieves the success of linguistic communication between the two parties to the communication, as well as identifying the most important linguistic problems that may occur in speech, and trying to raise or reduce it, and this is by extrapolating a set of examples that support the case studied. The research is divided into an introduction, and three separate sections. A conclusion includes a summary of the research.

Research Opening Words:

Linguistic performance - communication achievement - language ambiguity

مقدمة البحث

ترتكز وظيفة اللغة الجوهرية في الإبلاغ، الاتصال، وأن غاية المتكلم من السامع الفهم والإفهام، فاللغة تُعد - في المخابر اللغوية - ظاهرة صوتية تعبر عن معان الكامنة في النفس البشرية، وأداة إخبار يوظفها شخص لينقل أمرا ما إلى آخر؛ لأن كل متكلم أو سامع يدور في فلك الألفاظ ومعانيها، وكل معرفة لا تعدو أن تكون أفكارا أو معاني تحملها الألفاظ؛ لذا يقوم جوهر البحث اللغوي على دراسة العلاقة بين عنصري اللفظ والمعنى.

كان علماء العربية مدركين بحسبهم اللغوي أن عملية التواصل اللغوي يتنازعها قطبان مهمان، هما: المعنى المراد التحدث عنه، واللفظ المُعبّر عن هذا المعنى؛ فلما كان الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس وجب أن يتخير المرسل من اللفظ ما هو أقرب إلى الدلالة على المراد، والأقدر على الإبانة عن المعنى المطلوب؛ فاهتموا بإنجاح عملية التواصل، ورعوها كمال الرعاية، وكان من أهم أسس التواصل اللغوي معهم مراعاة الوضوح والإبانة والنظر إلى وظيفة النص من زاوية المنفعة اللغوية، وتحقيق الوظيفة التواصلية.

من أجل نجاح مبدأ التواصل سعت اللغات المختلفة (بشرية أو آلية) إلى إزالة الالتباس، والسعي إلى إنجاز التواصل؛ لذا توقف علماء اللغة طويلا عند صياغة قواعدهم، وجعلوا وضوح المعنى وأمن اللبس الأساس الذي هيكل نحاة العربية عليه

قواعدهم، وأسسوا بناء عليه تصوراتهم، وتعليقاتهم لمباحث اللغة، فكانوا يصدرون في ذلك عن نظرة واعية ترثب سلامة قواعدهم اللغوية، واستقامة المعنى ووضوحه، فأحكموا صياغة هذا القواعد، وتنبهوا إلى ما قد يحدث من لبس في تراكيب اللغة فيغيب المعنى أو يؤدي إلى تلاشيه أو قد يفقده الحياة لفقده البيان؛ لأنه هذا التواصل لا يحقق الفائدة المرجوة منه إلا بالوضوح والابتعاد عن اللبس.

لتحقيق هذا المبدأ سارت اللغات تبحث عن الأدوات المزيلة لكل إبهام في تراكيبها، فحرصا على الإبانة، وإيضاحا للمعنى يتجنب بعضهم استخدام (مَنْ)، وخاصة في المواطن التي تنقطع عن مسرح أحدثها؛ لأنها من الوضعيات التي لا تخدم السياق، لملازمتها شكلا واحدا لا يتغير مهما تغيرت وظيفتها في الكلام. من هذا المبدأ - وبالالتكاء على المنهج الوصفي التقريبي- نعالج فكرة هذا البحث المعنون بـ(الأداء اللغوي وإنجاز التواصل عند علماء العربية) الذي يهدف إلى بيان أهم الوسائل التي استعان بها علماء العربية لإيصال الرسالة اللغوية بوضوح مما يحقق نجاح الاتصال اللغوي بين طرفي الاتصال، فضلا عن الوقوف على أهم المشكلات اللغوية التي قد تُحدث اللبس في الكلام، ومحاولة رفعه، أو التقليل منه، وسيكون هذا باستقراء مجموعة من الأمثلة التي تدعم القضية المدروسة، ويُقسّم البحث إلى مقدّمة، وثلاثة مباحث غير منفصلة، فخاتمة تضم خلاصة البحث.

١. القدرة التواصلية وركائز نجاحها.

اعتنى علماء العربية بلغتهم عناية فائقة، ورعوها رعاية خاصة، وأولوا المعنى فائق اهتمامهم، فدرسوه دراسة موسعة، وفصلوا فيه القول، فالكلام عندهم قائم على جسد وروح، فالنطق جسده، والمعنى روحه، يقول ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ): "الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه"^(١)؛ فاختاروا ألفاظهم، وانتقوها بعناية فائقة؛ لأن "رداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الرقيق، ويفسده، ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل"^(٢).

إنهم علماء اللغة اهتماما خاصا بالمعنى، وأولوه عناية فائقة وكانوا يحرصون على إيصاله إلى المعنى واضحا من غير إبهام، فاهتموا بأطراف العملية التواصلية، وكانوا يصدرون عن نظرة لغوية عميقة، وفكر واع، فلم يجعل سيبويه (ت ١٨٠ هـ) العلامة الإعرابية معيار التفسير الوحيد، بل كانت عنايته منصبة على المعنى أولا، وسار على نهجه علماء العربية، إذ جعلوا "المعنى الوظيفي العلة المتغيرة، والحالة الإعرابية

^١ ابن طباطبا (أبو الحسن أحمد بن محمد): عيار الشعر. تحقيق عباس عبد الستار. ومراجعة نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٨٥. ص ١٦.

^٢ الأمدى (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف. ط ٤. ١٩٩٢. ص ٣٨١.



عنصرا ثابتاً^(١)، حتى قرروا أن " كل ما يصلح به المعنى فهو جيد، وكل ما يفسد به المعنى فمردود"^(٢).

اشترط علماء العربية من أجل سلامة المعنى أن لكل كلمة تنطق لا بد لها من معنى مقصود وإلا كانت مجرد صوت، وقرروا في مباحثهم أن عنصرى المتكلم والمخاطب يمثلان الركيزة الأساس فى علم التداولية؛ فحضورهما يشكل اللغة بمعناها التواصلية^(٣)؛ لكون الخطاب يمثل علاقة متبادلة بين المتخاطبين؛ ومن ثمَّ توجد ظروف مساعدة لا بدَّ من استحضارها، ولكى يتحقق مقصد المتكلم من رسالته، فيفهم المخاطب مضمون هذه الرسالة، لا بدَّ من وجود مجموعة من العوامل يقوم عليها نجاح الحدث اللغوي حتى يحقق وظيفته النفعية، والإبلاغية، ويُعد وضوح الرسالة وعدم لبسها من أهم الركائز القائدة إلى تحقيق نجاح التواصل اللغوي بين طرفى الاتصال.

إن اللغة بصفتها نظاما ذا معنى يستلزم اثنين أو أكثر لإنجاز الحدث اللغوي، بل الأمر كذلك عندما يتكلم الإنسان مع نفسه، إذ هو مجرد من شخصه فردا مرسلًا، وآخر متلقيًا^(٤)، وتتسع أطراف الحدث اللغوي أو تضيق تبعًا لما يفرضه المتلقي على المرسل من متطلبات الوضوح، كأن يتسالم المرسل والمتلقي على دلالة معينة للعلامة اللغوية، وهذا لا يعنى أنه لا بد من أن يقوما بعقد جلسة بينهما للتوافق والاصطلاح، بل إن المرسل قادر على إيصال الدلالة المطلوبة إلى متلقيه عن طريق وضع العنصر اللغوي فى سياق يكشف عن حقيقته ومدلوله مبتعدًا عن كل ما يحدث اللبس؛ فيسهل الفهم على المتلقي عن طريق قرينة السياق.

"إن شركاء الاتصال يستطيعون أن يرجعوا إلى مخزون مشترك من وسائل الاتصال ويمكنهم بواسطتها أن يتناقلوا الأخبار"^(٥)؛ لأن اللغة عبارة عن نظام من الرموز الصوتية، تكمن قيمة كل رمز فى الاتفاق عليه بين الأطراف التى تتعامل به، والاتفاق فى الشفرة اللغوية شرط لنجاح التفاعل^(٦)، وهذا يؤكد أن اللغة لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد يجرى بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة على رأى دي سوسير^(٧)؛ لأن من أسباب فشل الرسالة التحدث بأسلوب لا يتناسب ومستوى المستقبل الثقافى، أو الاجتماعى^(٨)، وقد أشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) إلى ضرورة

١- سعيد حسن بحيرى: عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه، محاولة لإعادة التشكيل فى ضوء الاتجاه المعجمى الوظيفى (دراسات فى علم اللغة التقابلى)، القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٨٩، ص ٢٤٤.

٢- المبرد (محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب، د. ط. د. ت. ج ٤ ص ٣١١، وابن يعيش (موقف الدين يعيش بن علي): شرح المفصل، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١، ج ٢ ص ٦٥.

٣- أحمد علي محمد: جنل الخطاب والمعنى، مجلة الموقف الأدبى، العدد ٣٩٨، حزيران ٢٠٠٤، ص ٤.

٤- ماريو پاي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ط ٨، ١٩٩٨، ص ٤٠.

٥- كارل ديتز بونتنج: المدخل إلى علم اللغة، ترجمة سعيد بحيرى، القاهرة: مؤسسة المختار، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٥٢.

٦- فرج (حسام أحمد): نظرية علم النص رؤية منهجية فى بناء النص النثرى، القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٤.

٧- دي سوسير (فردينان): دروس فى الأسنىة العامة، ترجمة صالح القرماڤى، ومحمد الشاوش، ومحمد عجبنة، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥، ص ٣٥.

٨- الظفيري (محمد دهيم): فن الاتصال اللغوي ووسائل تنميته، الكويت: مكتبة الفلاح، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٥١.

مراعاة طبقة من تُخاطبهم^(١)، وألزم الكاتب "أن يعرف مقدار المكتوب إليه، . . . ، فنفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذكر السلامة، وبين من تكتب إليه بتركها إجلالاً وإعظاماً، وبين من تكتب إليه (أن أفعل كذا)، وبين من تكتب إليه: (نحن نفعل كذا)، (فأنا) من كلام الإخوان والأشباه، و(نحن) من كلام الملوك"^(٢).

إن السياق الثقافي والاجتماعي يتحكم في إصدار الحكم على كثير من التعابير، لأن "أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضيع"^(٣)؛ وفي هذا القول يؤكد اجتماعية اللغة التي تتألف من مجموعة من الكلمات التي يستعملها أبناء البيئة اللغوية، فاللغة في ظاهرها أصوات تعبر عن معانٍ أو دلالات يراد المتكلم نقلها إلى مستمع.

ذهب ابن جني (ت ٢٩٣ هـ) في حده اللغة أنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(٤)، ويتلاقى هذا المفهوم الذي قدمه أبو الفتح مع نظرة أرسطو إلى الكلام، حيث يرى أن الكلام نتاج صوتي مصحوب بعمل الخيال من أجل أن يكون التعبير صوتاً له معنى^(٥)، وهو المفهوم نفسه الذي صدر عنه أوتو يسبرسن الذي يرى أن "جوهر اللغة نشاط إنساني، نشاط من قبل الفرد؛ ليجعل نفسه مفهوماً من الآخرين، ونشاط من قبل الآخرين؛ ليفهموا ما يدور في عقل الفرد"^(٦).

تُجمع الدراسات اللغوية على أن وظيفة اللغة الجوهرية هي تبليغ المعنى^(٧)، فاللغة ظاهرة صوتية، وإن وظيفتها الأولى التواصل^(٨)، وهي أداة يمكن للبشر من خلالها أن يخبر بعضهم بعضاً شيئاً ما^(٩)، أي: أداة إخبار يوظفها شخص لينقل أمراً ما إلى آخر، يقول أندري مارتيني: "الوظيفة الأساسية للغة البشرية هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد"^(١٠)، فهو "المحك الرئيس والهدف الذي تسعى لإدراكه أي لغة من اللغات"^(١١)، فالوظيفة الجوهرية للغة تتركز في الإبلاغ، والتفاهم، والاتصال.

^١ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل): الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق علي البجاوي ومحمد إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. ط ٢. ١٩٨٩. ص ١٧٢.

^٢ المرجع السابق. ص ١٧٥.

^٣ حازم القرطاجني: منهاج البلاغة وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. دار الغرب الإسلامي. ط ٣. ١٩٨٦. ص ٨٨.

^٤ ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني): الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: عالم الكتب. ط ٢. ١٩٥٢. ج ١ ص ٨٧.

^٥ محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي). القاهرة: دار غريب. ط ٢. ٢٠٠٦. ص ٤٧.

^٦ المرجع السابق. ص ص ٤٧ - ٤٨.

^٧ مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ط ١. ١٩٨٨. ص ٥٣.

^٨ مهدي عرار: ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصيل. عمّان: دار وائل. ط ١. ٢٠٠٣. ص ١٣.

^٩ كارل بوتنتج: المدخل إلى علم اللغة. ص ٤٩.

^{١٠} أندري مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة. ترجمة سعدي الزبير. الجزائر: دار الأفق. ط ١. ص ١٤.

^{١١} عاطف عبد العزيز معوض: مواضع اللبس في النحو العربي. تقديم عبده الراجحي. مصر (الجيزة): مكتبة ومطبعة الغد. ط ١. ٢٠٠٧. ص ٥.



يؤكد هذا القول أن جوهر البحث اللغوي يقوم على دراسة العلاقة بين عنصري اللفظ والمعنى، لأن كل متكلم أو سامع يدور في فلك الألفاظ ومعانيها، ولأن كل معرفة لا تعدو أن تكون أفكاراً أو معاني تحملها الألفاظ^(١)، فاللغات "إنما هي ترجمان عمّا في الضمائر من تلك المعاني، يؤديها بعضٌ إلى بعض بالمشافهة"^(٢)، وهي تستوجب حدّاً أدنى من الأطراف لا يقلّ عن ثلاثة^(٣): المتكلم، والسامع (طرفا الاتصال)، والكلام، أمّا قناتها فهي المشافهة.

لما كانت غاية المتكلم من السامع الفهم والإفهام، بالدرجة الأولى، تركز جهد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) على شفافية الخطاب، ويرى حمادي صمود أن نظرية الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أكمل محاولة في التراث اللغوي العربي لتأسيس ما يسمى بشفافية الخطاب^(٤)، وهذا بدوره يؤكد أن علماء العربية قد سبقوا الدرس الحديث في كثير من النظريات والمبادئ التي تنادي بها المخابر اللغوية المهمة بقضايا التداولية، يقول مجاهد: "أن ما توصل إليه فيرث (Firth) حول نظريته الدلالية، هي نفسها النظرية الدلالية عند ابن جني، لكنها لم تأخذ شكلاً يميزها من بين صفحات كتبه عامة، والخصائص خاصة حيث جاءت مبعثرة"^(٥).

عدّ بعض الدارسين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) رائد دراسة المعنى في التراث العربي؛ حيث انطلق في بناء الجملة من المعنى إلى المبني، مخالفاً في ذلك منهج من سبقه من علماء العربية كسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، حيث كانت لهم ومضات فكرية تشرق في أعمالهم، لكنها لا تلبث أن تخبو، دون أن تترك وراءها أثراً لنظرية شاملة كالتى توصل إليها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)^(٦).

إن أهم ما يجمع فكر علمائنا تحريمهم الدقة في ضبط لسانهم وصياغة قواعدهم؛ خدمة للمعنى، وتحقيقاً لمبدأ التواصل وإنجاز عمليته، يقول ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ): " وقد أجرت العرب الأوعية كإجرائها في الافتقار إلى مميز يستعمل تارة منصوباً، وتارة مجروراً بشرط أن يراد المقدار، تقول: عندي راقودٌ خلا، وراقودٌ خلٌّ، وظرفٌ سمناً، وظرفٌ سمن، وحُبٌّ ماءً، وحُبٌّ ماءً، والنصب أولى من الجر؛ لأن النصب يدل على أن المتكلم أراد: أن عنده ما يملأ الوعاء المذكور من الجنس المذكور، وأمّا الجر فيحتمل أن

^١ سامي عوض، وهند عكرمة: الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية. المجلد ٢٨. العدد ١. ٢٠٠٦. ص ١٥٧.

^٢ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون. تحقيق خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ط ٢. ١٩٨٨. ص ٤٤٠.

^٣ حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري. تونس: منشورات الجامعة التونسية. ط ١. ١٩٨١. ص ٢٩٩.

^٤ المرجع السابق. ص ٣٠١، وراضية بو بكرى: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي. مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق. العدد ٣٩٩. يوليو. ٢٠٠٤. ص ٣.

^٥ عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب. الأردن: دار الضياء. د. ط. د. ت. ص ١٥٧.

^٦ مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية. القاهرة: الشركة المصرية العامة للنشر. ط ١. ١٩٩٧. ص ٩.

يكون مراد المتكلم كمراده حين نصب، ويحتمل أن يكون مراده بيان أن عنده الوعاء الصالح للمذكور، دون ما هو وعاء له، كقولك اشتريت ظرفاً سمن فارغاً، وبعثت سقاءً لئني مملوءاً عسلاً^(١).

إن هذه الإشارات - وغيرها - تكشف لنا عمق تفكير علماء العربية، ودقة صياغتهم قواعد اللغة؛ وما ذلك إلا خدمة للمعنى، يؤكد هذا الاعتناء نهاد الموسى، يقول: "ويعول النحويون العرب على المعنى معولاً كبيراً، ويمثل التفاتهم إلى المعنى عامة، والمستوى الدلالي خاصة ملحظاً ثابتاً يفزعون إليه، ويصدرون عنه من التفسير النحوي وخاصة إذا تخلف التفسير على المستوى النحوي الخالص"^(٢).

نتج عن هذه العناية تأسيسهم قواعد متكاملة، حيث تنبه اللغويون العرب إلى ما يحدث من لبس في تراكيب اللغة فيغيب المعنى، أو قد يؤدي إلى تلاشيه، فحذروا منه وهم يصوغون القواعد النحوية والصرفية، وقرروا أن "التكلف في الغموض فعل تخريبي"^(٣)، وأن "أحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك"^(٤)؛ لأن الإبهام المغلق، واللغز العصي، والغموض المبالغ فيه يؤدي إلى حدوث فجوة بين المبدع والمتلقي، فالرسائل المبهمة - والنصوص المستطرفة - هي التي لا نحصل منها على فائدة حقيقية، والتي عناها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)^(٥) يورقك، ولا يروق لك، وإذا طال العناء معها تكشفت عن غير طائل، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل.

إن قراءة متأنية في كتب التراث يلحظ بعدها - بما لا يدع مجالاً للشك - أن علماء العربية قد بالغوا في التحذير من الوقوع في اللبس، وحصروا سمة النقل السليم في النقل من الأفواه؛ لأنه يجانب كل لبس يعتريه، لهذا كان "السماع أحد ركنين أساسيين قام عليهما درس النحوي عند العرب"^(٦)، وتحدث ابن هشام (ت ٧٦١ هـ)^(٧) عن اللبس حديثاً مفصلاً في تقرير شامل عند بيانه عن الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، فقد جعل الجهة التاسعة منها: ألا يتأمل عند وجود المشتبهات، فقد ألم فيه بظاهرة الغموض في المبنى والمعنى معاً، ومن ذلك ما سماه (باب المنصوبات

^١ ابن مالك (محمد بن عبد الله بن مالك الطائي): شرح الكافية الشافية. تحقيق أحمد يوسف القادري. بيروت: دار صادر. ط ١. ٢٠٠٦. ج ١ ص ١٨٦.

^٢ نهاد الموسى: نظرية النحو العربي، في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط ١. ١٩٨٠. ص ٦٥.

^٣ نريد الخواجة: الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة. حمص: دار الذاكرة. ط ١. ١٩٩١. ص ١٠.

^٤ الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد): أسرار البلاغة في علم البيان. تحقيق سعيد محمد اللحام. بيروت: دار الفكر العربي. ط ١. ١٩٩٩. ص ٨٤.

^٥ المرجع السابق. ص ٨٤.

^٦ هابل محمد طالب: ظاهرة التنغيم في التراث العربي. مجلة التراث العربي. دمشق. السنة ٢٣. العدد ٩١. أيلول ٢٠٠٣. ص ٤، وسامي عوض وعادل علي نعام: دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية. المجلد ٢٨. العدد ١. ٢٠٠٦. ص ١٠٦.

^٧ محمد عبده فنفل: اللغة الشعرية عند النحاة. عمان: دار جرير. ط ١. ٢٠٠٧. ص ١١.

^٨ ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد): معني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق حنا الفاخوري. بيروت: دار الجيل. ط ٢. ١٩٩٧. ج ٢ ص ٣١٨، وما بعدها.



المتشابهة)^١، حيث فصل القول في بعض التراكيب التي يمكن أن يقع فيه اللبس، فيما يحتمل المصدرية والمفعولية، وما يحتمل المصدرية والحالية، وما يحتمل المصدرية والظرفية والحالية، كقولك: (سرت طويلا)، وهو تركيب سطحي يحتمل -عنده- المعاني العميقة الآتية: (سرت سيرا طويلا، سرت زمنا طويلا، سرت طويلا). من هذا قوله تعالى: (وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ)، فقد تعدد في توجيهه المعربين (غَيْرَ)، حيث أجازوا أن يكون المعنى: إزلافا غير بعيد، أو زمنا غير بعيد، أو أزلفتها الجنة - أي: الإزلاف - في حالة كونه غير بعيد، أي: على الحالية، فمثل هذه التراكيب الملبسة لا يمكن الكشف عنها بواسطة تحليل الجمل إلى المكونات المباشرة لها، وإنما لا بد من تطبيق القواعد التحويلية لبيان بنيتها العميقة.

عقد السيوطي (ت ٩١١ هـ) في الأشباه والنظائر فصلا تحت عنوان " اللبس محذور"^٢، فمنع اللغويون - من أجل أمن اللبس وتحقيق نفعية الخطاب - خرق القواعد في كل موضع من شأنه أن يخل بالتواصل، ويلبس على المتلقي، لأنه " إذا خيف اللبس، وهُدِّدَ القصد، وأمكن للسامع أن يحمل الخطاب على غير المراد، فينتقض العهد، وينحل العقد، وتنبدل القضية والحكم، فلا مناص من إيفاء اللغة أقدارها، وإحلال الكلمات محالها"^٣.

تشدد اللغويون العرب - لسلامة التواصل- في تطبيق قواعدهم، وتمسكوا بها في كل موضع يخاف فيه اللبس؛ فأردفوا هذه القواعد، وأحاطوها بسياج قولهم: إذا أمن اللبس، أو خوف اللبس، أو مخافته، أو بما هو في معناهما، فأوجبوا - مثلا - تقديم الفاعل على المفعول إن خيف اللبس؛ بسبب خفاء الإعراب، وعدم وجود القرينة التي تميز الفاعل من المفعول في نحو: (ضرب موسى عيسى)، وألزموا كل كاتب " أن يعجم كتابه، ويبين إعرابه، فإنه متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط؛ كثر فيه التصحيف، وغاب عليه التحريف"^٤، فمن وصايا الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) للكتاب " ألا يكرهوا الألفاظ على اغتصاب الأماكن"^٥، وأوصى العسكري (ت ٣٩٥ هـ) الكتاب: "أن يتجنبوا ما يكسب الكلام تعمية فيرتبوا ألفاظهم ترتيبا صحيحا"^٦. فإذا أمن اللبس وتحقق الطلب، وجرى الغرض من التواصل تسامحوا -حينئذ- في قواعدهم، فأجازوا خرقها، ومخالفة الأصل، فتجدهم ينصبون الفاعل، ويرفعون المفعول، فقد ورد عن العرب أمثلة كثيرة في هذا، وقد ذكر ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في آخر المغني مسائل في "إعطاء الفاعل إعراب المفعول، وعسكه، عند أمن اللبس" كقولهم: خرق الثوب المسمار،

^١ المرجع السابق. ج ٢ ص ٢٦٣.

^٢ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق عبد العال مكرم. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ١٩٨٥. ج ١ ص ١٣٧.

^٣ حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب. ص ص ٥١٦ - ٥١٧.

^٤ القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق يوسف علي طويل. دمشق: دار الفكر. ط ١. ١٩٨٧. ج ٣ ص ١٤٧.

^٥ الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين. تحقيق فوزي عطوي. بيروت: دار صعب. ط ١٩٦٨. ج ١ ص ١٣٨.

^٦ أبو هلال العسكري: الصنائع الكتابية والشعر. ص ١٥٩.

وقولهم: كسر الزجاج الحجر^١، وقد كان ابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) يقول: "إذا فهم المعنى؛ فارفع ما شئت، وانصب ما شئت، وإنما يحافظ على رفع الفاعل، ونصب المفعول، إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلا، وذلك نحو: (ضرب زيد عمرا) لو لم ترفع (زيدا)، وتنصب (عمرا) لم يعلم الفاعل من المفعول"^٢.

يكاد يجمع الدرس اللغوي أن اللغويين العرب القدماء قد وصفوا الظواهر اللغوية، صوتيا، وصرفيا، ونحويا، ودلاليا في إطار زمني ومكاني محددين بصرامة، وعلى هذا الرصد وصفوا اللغة، واستنتجوا القواعد العامة لها، ومكنهم منهجهم الوصفي هذا من ملاحظة التركيب اللغوي، من حيث سلامته النحوية واستقامته الدلالية وبنوا على كل ذلك نظرية نحوية عامة اتصفت بالدقة والشمول، وحين صادفتهم ظواهر تركيبية تتجاوز المنهج الوصفي إلى التحليل والتفسير استعانوا بالمنهج التحليلي التفسيري، فحللوا وعللوا، وفسروا تلك الظواهر، فكان أن قدروا، وحذفوا، وأضافوا حرصا منهم على تقديم نظرية نحوية متكاملة^٣.

اعتنى علماء العربية بلغتهم عناية خاصة، وأولوا المعنى المرتبة الأسمى، والرعاية المركزية، فجعل ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) أولى الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها: "أن يراعى ما يقتضيه ظاهر الصناعة، ولا يراعى المعنى، وكثيرا ما تزل الأقدام بسبب ذلك. وأول واجب على المعرب: أن يفهم معنى ما يعربه، مفردا أو مركبا، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور، على القول بأنها من المتشابه، الذي استأثر الله تعالى بعلمه"^٤.

لم يكن انتصار النحاة للمعنى محض اتفاق أو مشايعة نفسية، أو تعصبا فكريا، ولكن هذا الولاء تسنده فلسفة لغوية قوية، تؤكد فهمهم العميق، وتجاوزهم البنى السطحية، وإدراكهم القوى الحرفية المنجزة، وما تشير إليه من قوى استلزامية، فبلغ من اهتمامهم بالمعنى، ورعايتهم له تمسكهم بمبدأ الإفادة، وتقديمه على الإعراب، "إذا كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب"^٥.

كان العلماء يتركون الإعراب ويأخذون بالمعنى، لأن "العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزم وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندهم، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها"^٦، فمن إكرامهم المعنى تقديمه على الإعراب، فجعلوا أول

^١ ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج ٢ ص ٤٦٦.

^٢ ابن أبي الربيع: البسيط في شرح جمل الزجاجي. تحقيق عياد الثبيتي. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط ١. ١٩٨٦. ج ١ ص ٢٦٢.

^٣ مبارك تريكي: النداء بين الوصف والتفسير. مجلة الجنود. مجلة علوم إنسانية. مجلة محكمة تصدر عن نخبة من الأكاديميين والمتخصصين العراقيين، والعرب المقيمين في المهجر. السنة ٤. العدد ٣٠. سبتمبر ٢٠٠٦. ص ١.

^٤ ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج ٢ ص ٢١٩.

^٥ ابن جني: الخصائص. ج ١ ص ٢٩٢.

^٦ المرجع السابق. ج ١ ص ٢٣٧.



واجبات المعرب " أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب"^١. وقد عقد ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) بابا في تجاذب المعاني والإعراب، جاء فيه " وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"^٢، فإذا تجاذب "المعنى والإعراب الشيء الواحد، بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه، والتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصحة الإعراب من هذا قوله تعالى: (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ).

يقتضى المعنى أن يتعلق الظرف (يَوْمَ) بالمصدر (رَجَعَ)؛ أي: أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، لكن الإعراب يمنع منه؛ للفصل بين الظرف الذى هو (يوم تبلى)، وما هو معلق به من المصدر الذى هو المراجعة، والفصل بين المصدر ومعموله أمر لا يجوز، إلا أن المعنى يطلبه؛ لذا تحتال للمعنى، وتقدر للإعراب؛ بأن تضرر ناصبا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل، أي: يرجعه يوم تبلى السرائر، ودل المصدر (رجعه) على الفعل (يرجعه) دلالة المصدر على فعله.

من هذا الباب قوله تعالى: (لَمَقْتُ لِلَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقِّكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ)، فالمعنى يقتضى تعلق (إذ) بالمقت، والإعراب يمنعه للفصل المذكور فيقدر له فعل يدل عليه"^٣.

يمثل كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) بالكثير من الحالات القائمة على المعنى، حيث اهتم في كتابه بالتراكيب، ومباني الألفاظ، واختلافها باختلاف معانيها، فرد بعض التراكيب المستقيمة إعرابيا إكراما للمعنى، فهو لا يجيز الإشارة إلى المخاطب، فلا يصح عنده (هذا أنت) مع تماثيه مع نظام الجملة وإعرابها ولكنه لا يجيزها؛ "لأنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه، ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير له إلى غيره، ألا ترى أنك لو أشرت له إلى شخصه فقلت: (هذا أنت)، لم يستقم"^٤. يقول: "إن العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا، لم يرد بقوله: (هذا أنت)، أن يعرفه نفسه، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره. هذا محال، ولكنه أراد أن ينبهه، كأنه قال: الحاضر عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنت"^٥.

^١ الزركشى (محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. ط ١. ١٩٥٧. ج ١ ص ٢١٢، والسيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتقان في علوم القرآن. حققه وعلق عليه وعمل فهرسه عصام فارس الحرساني. خرّج أحاديثه محمد أبو صعليك. بيروت: دار الجيل. ط ١. ١٩٩٨. ج ١ ص ٦٤٢.

^٢ ابن جنى: الخصائص. ج ٢ ص ٤٥٩.

^٣ الزركشى: البرهان في علوم القرآن. ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٧، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج ١ ص ٦٥٠ - ٦٥١.

^٤ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب. الكتاب. تحقيق إميل يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٩. ج ١ ص ١٩٥.

^٥ المرجع السابق. ج ٢ ص ٣٧٥.

يدلل هذا القول على مدى اهتمام علماء العربية بالمعنى، والشواهد كثيرة لا تحصر، حيث قرروا أنه يجب " مراعاة المعنى إن حصل بمراعاة اللفظ لبس أو قبح"^١؛ لأن اللبس - في أصله - ممنوع أبداً لمنافاته القصد من وضع اللغة، يقول السيوطي (ت ٩١١ هـ): "ليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب، وواضع اللغة - عز وجل - حكيم عليم، وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني"^٢.
إن الواقف على تراكيب العربية وشواهداها المختلفة التي تؤكد دقة صياغة قواعدها، وحسن سبكها، وقطعية دلالتها التي لا يخالطها لبس، حيث سعى علماء العربية إلى إنجاز هذه القواعد على نحو من الدقة والانضباط ليتكلم المتكلم بلغة نقية من التعمية خالية من الغموض نائية عن الوهم واللبس، لذا جعلوا لقواعدهم قيماً ركنوا إليه كلما ارتابوا من وقوع اللبس والخلل ليصونها منه ويقدموها جليّة بيّنة، فأردفوها بقولهم: (إذا أمن اللبس)، أو (مخافة اللبس) أو بما هو في معناهما. ومع كل هذه العناية بالمعنى، الرعاية الخاصة والوسائل التي لجأ إليها علماء العربية للحد من لبس المعنى إلا أن الواقف على تراكيب العربية يجد نفسه أمام مع أنماط كلامية ملبسة؛ وتراكيب متعددة المعنى، وهذا الأمر يؤكد أن لبس المعنى وتعددده ظاهرة تنتشر في تراكيب اللغات كافة، فهو ملمح لغوي عام لا يقتصر على لغة بعينها، فليست العربية بدعا منها، فما تعدد أوجه الإعراب، وكتبه إلا أحد أدلة هذه الظاهرة في العربية؛ لهذا لم ينكره أحد من اللغويين، لهذا سناحوا في المباحث القادمة من هذا العمل الوقوف على بعض صور هذا التعدد في مستويات اللغة؛ رغبة في الوصول إلى أهم بواعثه، وبيان أهم الوسائل التي تستعين بها العربية في رفع هذا اللبس، أو التقليل منه.

٢. تعدد المعنى في تراكيب العربية.

إن العلاقة بين وضوح التركيب وفهمه علاقة طردية^٣، فالإيضاح هو الوسيلة الأولى لبلوغ الإفهام، وهذا يؤكد تبجيلهم المعنى، وسعيهم إلى تخليصه من اللبس، وتنقيته من الإلغاز والتعمية، فنظروا إليه^٤ على أنه الغاية التي من أجلها وضعت اللغات، والأساس الذي تُبنى عليه صيغ الكلام وتنتظم له عباراته، فجعلوا^٥ مرجع البلاغة إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وقد بنى أغلب اللسانيين في درس الحديث- نظرياتهم على مبدأ أمن اللبس، فأطلق عليه رومان جاكوبسون وظيفة

^١ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق عبد السلام هارون، وعبد العال مكرم. الكويت: دار البحوث العلمية. ط ١. ١٩٧٥. ج ١ ص ٣٠٠.

^٢ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق فؤاد علي منصور. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٨. ص ٣٠٣.

^٣ الظفيري: فن الاتصال اللغوي ووسائل تنميته. ص ٥٢.

^٤ الطيب ديبه: خصائص النحو العربي من النظام المغلق إلى النظام المفتوح. مجلة التراث العربي. دمشق. السنة السابعة والعشرون، العدد ١٠٨. كانون الأول ٢٠٠٨. ص ٢.

^٥ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. د. ت. ص ١٤.



إقامة الاتصال^١، يقول مارتيني في هذا الصدد: "وفي نهاية المطاف فإن التبليغ، أي: التفاهم المتبادل، هو الجدير بالاعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة التي هي اللسان"^٢. يُعدُّ اللبس المعنوي ظاهرة تضرب بسهماها في كل اللغات (الطبيعية والآلية)، وتحدث بأليات مختلفة من لغة إلى أخرى، لاختلاف عمل اللغات من الداخل، وهذا أمر شائع في اللغات البشرية التي تشترك - وإن تعددت وتوعدت - في نظرتها إلى أمن اللبس أنه الغاية لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، ويشير مصطلح اللبس - في هذه المباحثة - إلى احتمال التركيب الواحد أكثر من قراءة؛ لصلاحيته كل وجه للدلالة على معنى، وهو بهذا يختلف عن الغموض في الكلام؛ لأنه لا يشترك في التركيب الغامض أن تتعدد قراءته، فالمعنى غير مستبان فلا يصل المتلقي إليه، هذا فضلا عن اكتساب الغموض صفة النسبية؛ لأنه ما يكون غامضا عند شخص، قد يكون واضحا عند آخر، وما يكون في عصر من العصور غامضا، لا ينبغي أن يكون كذلك في عصر آخر، فقد يكون الكلام مفهوما ظاهرا معناه في عصر، ويكون مستغلقا غير مستبان في عصر آخر، وما يراه جيل من الناس مخلا موقعا في وهم، يراه جيل آخر مستقيما واضحا غير مُلبس.

إن مقصدية الخطاب القرآني - مثلا - "تتغير من مخاطب عاصر التنزيل، إلى مخاطب لم يعاصره"^٣؛ لأن "استعصاء النص على متلقيه ينجم عن أسباب، قد يكون الزمن واحدا منها"^٤، وأن "كثيرا من ألفاظ العربية المتقدمة معمرة، وقد تراخى كثير من تلكم الألفاظ عن دلالاته إلى حد الإبهام، والمشكلة آتية من خطورة فهم كلام السابق كما يفهمه اللاحق"^٥.

إن البحث في أسباب تعدد المعنى في تراكيب العربية كثيرة، لعل من أشهرها الآتي: أولا: غياب العلامة الإعرابية - ثانيا: حذف بعض مكونات الجملة - ثالثا: اختلاف الأصل الاشتقاقي والعوارض التصريفية - رابعا: التباس الصيغ الصرفية - خامسا: اشتباه الفصائل النحوية - سادسا: تقطيع الأقوال إلى جمل - سابعا: الاختلاف على الصعيد المعجمي - ثامنا: ظاهرة التوسع في المعنى - تاسعا: تردد التركيب بين الإخبار والإنشاء-عاشرا: تردد التركيب بين الحقيقة والمجاز - الحادي عشر: القراءات القرآنية. ليس الهدف استقصاء الحالات كلها، وبيان الأسباب التي تؤدي إلى تعدد المعنى بيانا مفصلا؛ لأن الحديث في كل هذه المسائل يطول، وحسبنا التمثيل بغياب العلامة

١- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. ص ٥٣، ومهدي عرار: ظاهرة اللبس في العربية. ص ١٣.

٢- أندري مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة. ص ١٤.

٣- عبد الجليل منقور: الخطاب والدلالة، قراءة في تأويل النص القرآني. مجلة التراث العربي. دمشق: السنة السابعة والعشرون. العدد ١٠٥، كانون الثاني ٢٠٠٧. ص ١٦.

٤- عادل الفريجات: تأويل النص الشعري القديم بين التراث والمعاصرة. مجلة الموقف الأدبي. العدد ٣٩٨. حزيران ٢٠٠٤. ص ٣.

٥- مهدي عرار: ظاهرة اللبس في العربية. ص ٨.

الإعرابية، لكثرة حدوثهما وتداخلهما مع الحالات الأخرى كقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)، يجوز في ضمير (تَرَوْنَهَا) المنصوب وجهان:^١ أحدهما: أنه عائدٌ إلى (عَمَد) وهو أقربُ مذكور، وتكون الجملة متصلة ولا يقف القارئ إلا بعد جملة (ترونها)، وتكون -حينئذ- في محل جر صفة لـ(عَمَد) ذكره بعضهم، ويجيء فيه الاحتمالان: من كون العَمَد موجودة، لكنها لا تُرى، أو غير موجودة البتة، وذكر البغوي الاحتمالين، يقول: ومعناه نفي العمد أصلاً وهو الأصح، يعني: ليس من دونها دعامة تدعمها، ولا فوقها علاقة تمسكها، . . . ، وقيل: (تَرَوْنَهَا) راجعة إلى العمد، معناه: لها عمد ولكن لا ترونها. والآخر: أن الضمير في الجملة عائد إلى (السَّمَاوَاتِ)، ويكون الوقف على (عمد)، والابتداء بكلمة (ترونها)، وهذا الوجه يحتم الفصل بين الجملتين، وعلى هذا القول تحتمل جملة (ترونها) أن تكون مستأنفة لا محل لها، أي: استشهد برؤيتهم لها كذلك، أو هي في محل نصب على الحال من (السَّمَاوَاتِ)، وتكونُ حالاً مقدره؛ لأنها حين رَفَعَهَا لم تكن مَخْلُوقِينَ، والتقدير: رَفَعَهَا مَرْنِيَّةَ لَكُمْ.

إن التعدد في دلالة الآية ناشئ من غياب المفاصل الصوتية، فضلا عن غياب العلامة الإعرابية، فلو كان في غير القرآن لقلنا: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْنِيَّةَ (تعود إلى السماء)، ويصبح المعنى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ مَرْنِيَّةَ / بِغَيْرِ عَمَدٍ. - اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْنِيَّةَ (تعود إلى عمد)، ويصبح المعنى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ / بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْنِيَّةَ.

نظير هذا قوله: (كَلَّمَآ رُزُقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقْنَا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤَا بِهِ مُتَشَابِهًا)، حيث يعود إلى غياب العلامة الإعرابية الذي يعاضده غياب المفصل الصوتي، وعدم معرفة موضع الوقف في الآية أي تقطيع النص إلى جمل؛ لأن المفصل الصوتي يمثل قرينة صوتية تكشف عن البنية العميقة، ومعرفتها تساعد على تحديد المدلول المراد بالجملة، فالوصل والفصل لا ينشئان علاقات نحوية ليست موجودة، ولكنه يختار بعض العلاقات النحوية القابضة تحت السطح المنطوق، ويظهر تأثيرها في التفسير، فلو اصطنع المتلقي لنفسه في الآية- علامة الترقيم لوضع فاصلة بين اسم الإشارة والاسم الموصول؛ أي: (قَالُوا: هَذَا، الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ)، ولأدرك أنهم يخبرون بالاسم الموصول عن اسم الإشارة، بإرادة تشبيه ما هو حاضر أمامهم، بما كان معهم، وتقدير الكلام: هذا مثل الذي رزقنا من قبل، وقد حذف هذه المثلية المقدره؛ لاستحكام الشبه، حتى كأن هذه الذات هي الذات نفسها، وفي هذا من مراعاة نفسية الجمال الكثير، وفيه ترقي بلذته الشعورية واستمتاعه بالأكل؛ لأن الإنسان بطبعه يأنس

^١ أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي): تفسير البحر المحيط. تحقيق عادل عبد الموجود، وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ٢٠٠١. ج ٦ ص ٣٤٤، والسمين الحلبي (أبو العباس بن يوسف بن محمد): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق علي محمد معوض وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٤. ج ٧ ص ٨.

^٢ البغوي (عبد الله بن أحمد بن علي الزيد): معالم التنزيل. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع. ط ١. ١٩٨٧. ج ٤ ص ٢٩٢.



بالمألوف، ويميل إلى المعهود، فإذا رأى ما لم يألفه ربما نفر عن طبعه، وعافته نفسه. نقل أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ^١ معنى الآية: هذا الذي وعدنا في الدنيا أن نرزقه في الآخرة، فعلى هذا القول يكون المبتدأ، هو نفس الخبر، ولا يكون التقدير مثل ويبقى الوجه الأول الأقرب إلى النفس، وإليه تميل، فالتشبيه بغير حرف فيه مبالغة، وادّعاء. إن غياب العلامة الإعرابية وعدم وضوح بداءة الجملة ونهايتها فضلا عن إغفال المتكلم المفصل الصوتي كلها علة جالبة توهم خلاف المراد، على نحو ما جاء في قصة أبي بكر التي أشار إليها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، قال: "مَرَّ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ ثَوْبٌ، فَقَالَ: أَتَبِيعُ الثَّوْبَ؟ فَقَالَ: لَا عَافَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، قُلْ: لَا وَعَافَاكَ اللَّهُ" ^٢.

مثل قول جميل بثينة: لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا . . . أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاتِقًا وَعَهُودًا إن غياب المفصل الصوتي وعدم معرفة موضع الفصل في البيت الشعري، وغياب العلامة الإعرابية جعلت المعنى قابلا للتعدد، فلو اصطنع النحويون لأنفسهم - في قول جميل- علامات الترفيم لوجد القارئ نقطة للوقف بعد (لا) الأولى، ولأدركوا أن (لا) هذه بنفسها تكون جملة مفيدة يستحسن في تنعيمها أن نقف عليها لتمام الفائدة، ولما تورطوا في اعتبارها حرف نفي مؤكدا توكيدا لفظيا بحرف على مثل صورته، ومن الواضح أن هناك فرقا بين أن تكون (لا) الأولى حرف نفي مؤكدا فيطلب هذا وصل الكلام، أو تكون جملة كاملة الإفادة يستحسن السكوت عليها. ونرى أنه لا توكيد في هذا البيت، لأن (لا) الثانية ليست مرادفة للأولى؛ فالأولى حرف جواب، والأخيرة أداة نفي، ولو كانت الثانية جوابية لما وافقت معنى البيت وكان المراد يخالف مطلب الشاعر، فهو يجيب عن سؤال وارد أساسه (هل تبوح بحب بثنة؟) فجاء جوابه (لا) ثم سكت، وبدأ في إعطاء تقرير جديد مؤداه: لا أبوح بحب بثنة أنها أخذت علي مواتقا وعهودا. وتعاضد المفصل الصوتي والتنغيم أساس في فهم البيت، فلو كانت (لا) مؤكدة لكان المفصل الصوتي بعد الأداة (لا)، ومن أخذ بقولنا كان المفصل الصوتي بين الأداة. أما اشتراك غياب العلامة الإعرابية والحذف فنحو قوله تعالى: (وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنكُحُوهُنَّ)، فالتعدد حادث بحذف حرف الجر، حيث اختلف المفسرون في حرف الجر المحذوف من الآية، فهل المحذوف هو (في) أو (عن)؟ من هذا الباب ما ذكره ابن هشام (ت ٧٦١ هـ)، وهو قول الشاعر: ^٣ وَيَرَعْبُ أَنْ يَبْنِي الْمَعَالِي خَالِدٌ . . . وَيَرَعْبُ أَنْ يَرْضَى صَنِيعَ الْأَلِيمِ

فإن قدرت (في) أولا و(عن) ثانيا فقد مدحت، وإن عكست فقد ذممت، ولا تجمع بينهما للتناقض، فالخلاف في هذا الشاهد ناتج من خلاف منطقي يخص لبس حالة الأشياء الموصوفة في القول أ بمعنى الرغبة في أم بمعنى الرغبة عن؟

^١ أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط. ج ١ ص ٢٥٨.

^٢ الجاحظ: البيان والتبيين. ج ١ ص ٢٧٩.

^٣ ابن هشام: مغني اللبيب. ج ٢ ص ٢١٦.

هنا تلجأ العربية للابتعاد عن اللبس إلى منع حذف الجار، منه أجله قرروا أنه " لم يجز حذف حروف الجرّ إلا سماعاً عند أمن اللبس"^١. وقد عدّ علماء العربية باب الحذف من أهم سمات العربية، فسماه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) شجاعة العربية^٢، وقال فيه الجرجاني (ت ٤٧١ هـ): "هذا باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين"^٣. إنما كان ذلك كذلك؛ لأن من شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذف وتركت، ولكنها تظل سمة عامة تشترك فيها كثير من اللغات البشرية؛ لميل اللغات إلى اختزال التعابير، والابتعاد عن ترهل الكلام، وإطالة الحديث وهذا يتم في ظل الحذف، القائم على الدليل، أي: الحذف لائق به، فيبقى معنى الجملة مفهوماً، وذلك من خلال وجود الدليل أو الحال الشاهدة عليه "ألا ترى أنك إذا قلت: (مررت بطويل)، لم يستين من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به إنسان دون رمح، أو ثوب، أو نحو ذلك، وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف إنما هو متى قام الدليل عليه أو شهدت الحال به، وكلما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق بالحديث"^٤.

تعد العلامة الإعرابية من كبرى الدوال على المعنى، ودليلاً هادياً إلى المعاني النحوية العريضة كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة "لولا ظهور الإعراب لاختلط الأمر في الكثير من الأحيان، فلو أسقطنا الإعراب من جملة (ضرب محمد علياً) مثلاً، لاختلط علينا الأمر، فلم نعرف الفاعل من المفعول، ولعل هذا يظهر جلياً في مواطن كثيرة، كقوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ)، وقوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)، وقوله تعالى: (أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)، وقوله تعالى: (إِيْمًا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

الأمثلة كثيرة، وهي مشتركة في أنه لو أسقطنا الإعراب منها لالتبس المعنى، فجاز أن يكون المعنى في الآية الأولى: أن إبراهيم هو الذي ابتلى ربه، وفي الثانية: أن موسى هو الذي كلم الله فلم تعد لموسى (عليه السلام) بهذا القراءة مزية ورفعة ومكانة، وفي الثالثة أن الله برئ من المشركين ومن رسوله، وفي الرابعة يكون المعنى أن الله (عز وجل) هو الذي يخشى العلماء من عباده، وكل ذلك غير مراد، بل هو كفر في بعضه. إن كثيراً من

^١ صلاح الدين الزعبلوي: أوجه القياس والسماع في حذف الجار. مجلة التراث العربي. دمشق. السنة الأولى. العدد ٣. أيار ١٩٨٠. ص ٢.

^٢ ابن جني: الخصائص. ج ٢ ص ١٤٠.

^٣ الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز. تحقيق سعد كريم الفي. القاهرة: دار اليقين. ط ١. ٢٠٠١. ص ١٤٦.

^٤ ابن جني: الخصائص. ج ٢ ص ١٤٠، والقيسي (الحسن بن عبد الله): إيضاح شواهد الإيضاح. تحقيق محمد بن حمود الدعجاني. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط ١. ١٩٨٧. ج ١ ص ٣٢٩، وابن الأثير (نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم): المثل السائر في أدب الكتّاب والشاعر. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٨. ج ٢ ص ٢٤٥، وابن يعيش: شرح المفصل. ج ٢ ص ٢٥٣.

^٥ رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط ١. ١٩٩٧. ص ٣٩٤.



الجمل تصبغ معانيها بضياح الإعراب فيها، ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يقرأ من غير إعراب، فالحركة الإعرابية تبيين المعاني، وتكشف عنها، ولولاها لكان الكلام مبهما غير مفهوم فلا يتضح المعنى المقصود إلا بها، لهذا كان غياب العلامة الإعرابية من أهم الأسباب الباعثة على تعدد توجيه الجملة، وانفتاح دلالتها، وصلاحية تعدد معناها، كقوله تعالى (سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) فيحتمل الموقع الذي يشغله التابع (الأعلى) قراءتين؛ نتيجة لتداخل فرعين في أصل واحد هو لأحدهما دون الأخر، وقد نتج هذا التداخل لتعذر ظهور الحركة على الاسم مما ساق إلى أن تنازع المركب بالإضافة هذا التابع، فكل مكون منهما -أي: المضاف والمضاف إليه- يدعي تسلطه عليه، هو لأحدهما دون الأخر، فإن ملأ التابع محل النصب، كان المنعوت هو مجموع المركب بالإضافة، والتقدير: اذكر (اسم ربك) الأعلى، ويجوز في القراءة الأخرى أن يكون المتبوع هو المضاف إليه دون سواه، أي: اذكر اسم (ربك الأعلى)؛ فيملاً التابع محل الجر.

إن غياب العلامة الإعرابية سبب رئيس لحدوث هذا التعدد في القراءة، فلو ظهرت العلامة الإعرابية لزال هذا التعدد، نحو: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، ونحو (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). حيث يظهر من هذه الجملة أن للعلامة الإعرابية فضلا في الإبانة عن المعنى، وأنها تهدي القارئ إلى المعنى المراد، فمجيء (ذو) في الآية الأولى مرفوعة؛ دليل ارتباطها بكلمة (وَجْهُ)، وليس بكلمة (ربك) فلم ينازع المركب بالإضافة هذا التابع، ومجيء (ذي) في الآية الأخرى مجرورة؛ دليل ارتباطها بكلمة (رَبِّكَ) دون كلمة (اسم).

هذا الشاهد يؤكد أن ظهور العلامة الإعرابية وسيلة معينة على بيان وظيفة المكون الإعرابية، وبيان المعنى، لكنه من المتفق عليه في الدرس الدلالي أن ظهور العلامة الإعرابية ليس كفيلا دائما بظهور المعنى، كقولك: (وقع السائل على الأرض)، و (اشتريت قلم حبر أسود)، و (إن المحتل لا يهدأ له بال)، وقوله تعالى: قال تعالى: (وإذ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)، وقوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالْأَلَّةِ).

الشاهد في المثال الأول (السائل)؛ حيث يحتمل أن يكون المعنى: (وقع السائل الفقير على الأرض، أو وقع الحبر السائل على الأرض)، وفي المثال الثاني الشاهد (أسود)؛ حيث يحتمل أن يكون المعنى: اشتريت قلم / حبر أسود . (الأسود هو الحبر)، أو اشتريت قلم أسود / حبر. (الأسود هو القلم). أما الشاهد في المثال الثالث فكلمة (المحتل) فهي تتردد بين اسمي الفاعل، والمفعول، ومعنى الجملة مع اسم الفاعل (إن المحتل الظالم لا يهدأ له بال)، ومع اسم المفعول (إن المحتل المظلوم لا يهدأ له بال). إن نظرة إلى قوله تعالى: (سُوءَ الْعَذَابِ) و(كَالْأَلَّةِ)، تلحظ من خلالها أن العلامة الإعرابية ظاهرة، لكن المعنى متعددة، حيث أجاز المعربون في (سُوءَ الْعَذَابِ) أربعة أوجه، وأجازوا في إعراب (كَالْأَلَّةِ) ستة أوجه، وتعدد الإعراب دليل على تعدد

¹ أبو حيان: تفسير البحر المحيط. ج ١ ص ٣١٢، والسمين الحلبي: الدر المنصون. ج ١ ص ٣٤٥.

المعنى. والأمثلة التي يمكن أن تسجل كثيرة لا تحصر، مع الاتفاق أن اللغة تبقى قادرة على رفع كثير من حالات اللبس، لكن تبقى إمكانية تعدد القراءة على المحلل محتملة لا ترتفع، وهذا يؤكد أن العلامة الإعرابية لا تعمل وحدها على تحديد المعنى النحوي، لذا سعى تمام حسان إلى التعويل على نظرية القرائن اللفظية والمعنوية التي ينبغي لها أن تتضافر لبيان المعنى^١. فضلا عن جملة من الوسائل التي تستعين بها اللغات حتى ترفع اللبس من تراكيبيها، أو التقليل منه، وفي المبحث القادم نسعى إلى بيان شيء من هذه الوسائل لإنجاز التواصل، وإنجاح عملياته.

٣. من وسائل العربية في رفع لبس المعنى.

إن مبدأ أمن اللبس غاية تسعى لتحقيقها اللغات البشرية بمختلف الوسائل، ومن هذا المنطلق جعل تمام حسان^٢ أمن اللبس هو الغاية القصوى للاستعمال اللغوي، وهو أول ثوابت النحو العربي، يقول: " وثوابت النحو العربي أمور ثلاثة: أمن اللبس في المعنى، طلب الخفة في المبنى، الطرد أو الاطراد"^٣، حيث تختلف وسائل اللغات للتمييز بين المعاني المختلفة، ومن بين تلك الوسائل وسيلتان: العلامة الإعرابية، والمحافظة على الرتبة. ويُعدُّ حضور العلامة الإعرابية وحفظ المراتب من أهم الوسائل التي لجأت إليها العربية في باب سلامة التعبير وأمن اللبس، فالعلاقة بين هاتين الوسيلتين قد تصل إلى التضاد، فوجود إعراب يعفي من الاعتماد على قواعد الترتيب، وعلى العكس من ذلك يجب أن تكون هناك قواعد دقيقة لترتيب الكلمات في غياب عناصر الإعراب، وقد تأسس وصف النحويون قواعد مراتب المكونات في الجملة على صنفين من المبادئ بعضها من قبيل الاعتبارات الذهنية المنطقية، والآخر مما يعتمد على مفهوم العمل، لذا تتردد المراتب بين هذين الأمرين: ° تحكم العمل الإعرابي في مراتب المكونات، وتحكم الاعتبارات المنطقية في مراتب المكونات.

يبقى نظام العربية أكثر مرونة من غيره، فتخضع الكلمات لنظام مخصوص، يراعى في بناء الجملة وصياغة التركيب، فهي لغة مترددة بين المنزلتين، أي: أن تحريك أجزاء الجملة عن مواقعها المحسوسة ليس مطلقا، وإنما يظل محصورا في مناطق نحوية معينة دون مناطق أخرى، تأبى أن يصيبها أي تغيير في ترتيب أجزائها، فثمة رتبة محفوظة، أي: واجبة، وهي قيود نظامية يفرضها النظام اللغوي، ورتبة غير محفوظة حرة، وهي مختارات أسلوبية، يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ): "فإذا وقع في الكلام ما لا يتبين فيه الإعراب في فاعل، ولا مفعول، فُدم الفاعل لا غير، كقولهم: ضرب

^١ أبو حيان: تفسير البحر المحيط. ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٤٧، والسمين الحلبي: الدر المصون. ج ٣ ص ٦٠٨ -

٦٠٩.

^٢ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب. ط ٥. ٢٠٠٦. ص ١٩٣.

^٣ المرجع السابق. ص ٣٤.

^٤ تمام حسان: الخلاصة النحوية. القاهرة: عالم الكتب. ط ٢. ٢٠٠٤. ص ١٥.

^٥ عبد القادر المهيري: من الكلمة إلى الجملة (بحث في منهج النحاة). تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله. ط ١. ١٩٩٨. ص ١٧٣.



عيسى موسى، هو الفاعل لا غير، وإن كان الإعراب في أحدهما، جاز التقديم والتأخير، كقولك: ضرب زيدا عيسى، وضرب عيسى زيدا^١.
تعد الرتب غير المحفوظة من أبرز ما يمتاز به نظام الجملة العربية من حرية وانفتاح؛ لأن "المعاني النحوية في الأعم الأغلب تؤدي بالإعراب، وإن انعدامه كما في قولنا مثلا: (أكرم موسى عيسى)، تكفل - بإيضاح الفاعل من المفعول - رتبة الكلمة، وأن المتقدم هو الفاعل لا غير"^٢، وهذا ما يظهر في العربية - كثيرا - عند فقد العلامة الإعرابية؛ إذ ليس ثمة قرينة تدل على المعنى الذي يقصد، فلا بد أن تسير على ترتيب معين لا تحيد عنه، وذلك نحو: ضرب موسى عيسى، فلا بد أن تقدم الفاعل على المفعول، وإلا التبس الكلام.

من صور تحقيق التواصل أوجبوا جر تمييز (كم) ب(من) إن فصل بينها وبينه فعل متعد لم يستوف مفعوله؛ حتى لا يلتبس بمفعول ذلك الفعل، ومن هذا قوله سبحانه وتعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَثِيًّا)، قال عباس حسن: "وإذا فصل بين (كم) الخبرية وتمييزها بجملة فعلية فعلها متعد، لم يستوف مفعوله وجب جر التمييز بالحرف (من)؛ لمنع اللبس، إذ قد يقع في الوهم أن التمييز المنصوب ليس تمييزا، وإنما هو مفعول به للفعل المتعدي، فلا يبعد هذا الوهم يجب جر التمييز ب(من)"^٣. إذ تلجأ اللغات لرفع اللبس إلى إقحام بعض عناصر؛ أي: إضافة عناصر لغوية، والمراد بالإقحام "إدخال عنصر أو أكثر بين ثنايا بعض الكلمات أو التراكيب للقيام ببعض الوظائف التركيبية أو الدلالية مثل التوكيد ورفع اللبس، وهو من الظواهر المشتركة بين العربية وغيرها من اللغات كالإنجليزية"^٤، والفارسية^٥ التي تعتمد إلى إضافة ألفاظ خاصة للتفريق بين الأسماء المتحدة في دلالتها على المذكر والمؤنث، نحو (كاو: ثور، وبقرة)، و(شير: أسد، وليبوة)، لهذا تلجأ الفارسية إلى إضافة (نر) بعد الاسم، فيصبح مذكرا، تقول: شير نر، أي: أسد، أما للدلالة على المؤنث فتضع بعد الاسم (ماده) ليصبح مؤنثا، تقول: كاو ماده، أي: بقرة.

من أمثلة الإقحام في العربية زيادة " نون الوقاية في بعض صور من اسم الفاعل واسم التفضيل قد تزيل أحيانا اللبس، وتمنع الغموض، وهذا غرض تحرص على تحقيقه اللغة، وتدعو إليه"^٦، حيث تستخدم اللغة العربية "الإقحام أحيانا لمنع وقوع اللبس، ولإزالة الإبهام والغموض الذي قد يكتنف بعض التراكيب"^٧. حيث تختلف اللغات من

^١ سيبويه: الكتاب، ج ١ ص ٦٨.

^٢ سعيد حسن بحيري: عناصر النظرية النحوية. ص ١٥.

^٣ عباس حسن: النحو الوافي. القاهرة: دار المعارف. ط ٥. د. ت. ج ٤ ص ٥٧٥.

^٤ مأمون عبد الحلیم وجیه: ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية (دراسة في ضوء التراث النحوي). مجلة علوم اللغة. القاهرة: دار غريب. المجلد الأول. العدد ٢. ١٩٩٨. ص ٣٠٠.

^٥ عفاف زيدان وآخرون: اللغة الفارسية نحوها وأدبها وبلاغتها. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. د. ط. د. ت. ص ٩٧.

^٦ إبراهيم الدسوقي شتا: اللغة الفارسية والنصوص المتخصصة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٣. ١٩٩٨. ص ٢٢.

^٧ عباس حسن: النحو الوافي. ج ١ ص ٢٨٥ التنزيل.

^٧ مأمون عبد الحلیم وجیه: ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية. ص ٣٠١.

حيث استخدام اللواصق المقحمة ففي اللغة العربية تضاف لاصقة (أن) إلى الجذر، للدلالة على التثنية، نحو (رجل + (ان) ← رجلان)، أما في الإنجليزية والفرنسية، فيتوصل إليها باستعمال العدد (Two man)، و(Two Deux) قبل المعدود^(١)، وتستخدم العربية اللواحق في بناء كلماتها كاستخدام لاصقة (الواو والنون) للدلالة على جمع المذكر السالم، ولاصقة (الألف والتاء) للدلالة على جمع المؤنث السالم^(٢). وتضيف الإنجليزية "لاحقة (er) إلى الجذر (write) تتحول البنية من الفعلية إلى اسم الفاعل، أو إذا أضيفت لاحقة (ing) إلى الجذر نفسه تدل على الاستمرار"^(٣). وتستطيع في العربية التفريق بين قولك: (حضر معلم النحو، وحضر معلمو النحو)، أما في اللسان الإنجليزي فيعتمد للتفريق بين المضاف إليه المفرد والجمع بالترتيب بين علامة التملك (') و (s)، ولكن هذا التفريق لا يظهر أثره إلا في اللغة المكتوبة، مما يسبب لبسا على المتلقي؛ لأن نطق الكلمات لا يتأثر مع تقديم الفاصلة (') على (s)، أو تأخيرها عنها، لهذا تلجأ الإنجليزية إلى استعمال عبارة (of) للإضافة مع الأسماء المفردة أو الجمع، تقول: (My friend's car) = (The car of my friend) .

(My friends' car) = (The car of my friends) . إن هذه الأقوال – طالت أو قصرت – تدل أن أمن اللبس غاية اللغات البشرية، لذا كان اللسان العربي المبين يتجنب اللبس في الحركات الأصلية كما يتجنب اللبس في الحروف الساكنة، وأن اللغة أداة فهم المعاني ونقل الأفكار بين الناس، والقصد منها هو البيان عما في الأذهان، والإفصاح عن المقاصد والأغراض، فإذا انتظمت اللغة قوانين منضبطة استطاع المتكلمون بها أداء معان واضحة مستبانة من دون إشكال، أو إخلال بمرادهم.

الخاتمة

يقوم جوهر اللغة على التواصل، فسعت اللغات إلى الحفاظ على سلامة تراكيبها، والابتعاد بها عن دائرة اللبس والإبهام؛ فدرج اللغويون العرب على أن تكون قواعدهم على نحو من الوضوح والشمول فينسج بالتعويل عليها كلام عربي ببن مفهوم المراد، لا يُخلُ بمعنى، ولا يفضي إلى وهم وإبهام، ومن أجل هذا المرام قَيِّدُوا قواعدهم بأمن اللبس، واشترطوه لصحتها، وهذا الصنيع منهم شاهد على عنايتهم بدقة صياغة قواعدهم، وحرصهم على سلامة الكلام، واستقامة المعنى المقصود منه، فإذا استوت القاعدة نُطِقَ في ضوئها بكلام سليم من الخلل والإشكال، فالعلاقة بينها وبين المعنى وثيقة لا تنفكُ عراها. وقد أثبتت الدراسات اللغوية التقابلية أن اللبس ظاهرة عامة في الألسن البشرية، لذا بحثت العربية -واللغات المختلفة- عن الوسائل التي تحقق لها مبدأ التواصل، ومحاولة دفع اللبس عن تراكيبها بما تمتلك من أدوات؛ لأن اللبس ممنوع أبداً

^١ أشواق النجار: دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية. عمان: دار دجلة. ط ٢. ٢٠٠٩. ص ٥٠.

^٢ المرجع السابق. ص ٦٢.

^٣ المرجع السابق. ص ٦٢.

^٤ عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة. مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د. ط. د.

ت. ص ٣٧.



لمنافاته القصد من وضع اللغة، فاتكأت العربية على جملة من الوسائل لإنجاز التواصل،
كإقامة العلامة الإعرابية، وحفظ المراتب، وإقحام بعض اللواحق أو اللواصق في
تراكيبها حتى يستطيع المتكلم من تحقيق أدائه اللغوي، وإنجاز التواصل.



المجالس العلمية للخلفاء في بغداد

م.م أسارى فلاح حسن
كلية الآداب جامعة بغداد

الملخص

البحث دراسة عن المجالس العلمية للخلفاء في العصر العباسي الاول في بغداد . كان الاهتمام واضحا في موضوع المجالس وبشكل خاص المجالس العلمية للخلفاء، لأنها تعكس الوجه الحقيقي لبغداد بلد العلم والعلماء بلد الادب والحضارة والفن والرزق الرفيع، وكان للخلفاء العباسيين الفضل في ابراز هذه المحاسن وذلك بتشجيعهم للعلم والعلماء كونهم رعاة العلم، بل من افاضل العلماء بذلك يقول صاحب كتاب نبذة من كتاب التاريخ عن الدولة العباسية: انها دولة مباركة ردت الامور الى قرارها واسندت القضايا والاحكام الى خيارها ونشأ فيها العلماء والفقهاء وتدرج بمكانها نقلة حديث الرسول (صل الله ليه واله وسلم) والقراء وظهر برغبات اصحابها الادب والادباء، فالخليفة المنصور كان مقدما في علم الكلام ومكثرنا من كتاب الاثار. وكذلك فان الخليفة المهدي محبا للادب جادا في محاربة الزنادقة وتشجيع العلماء في التأليف والرد عليهم وسار ابنه الهادي على سنة ابيه.

وعاشت بغداد عصرها الذهبي ايام الرشيد الذي كان شغوبا بالفنون والعلوم، ولقد كان لظهور الترجمة اثر كبير في ازدهار العلوم المختلفة، وقد نشطت الترجمة ايام المأمون الذي كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال.

هذه المجالس العلمية كانت بمثابة مدارس علمية تطرح فيها القضايا المختلفة وتناقش بحرية وسعة افق. لقد اكثرت كتب التاريخ والادب والثقافة العامة في انجاز هذه المجالس ورسمت لها صورا تدل على ثقافة اولي الامر ورعايتهم للعلم والمعرفة، وفي البحث تفصيلا لذلك.

Abstract

The research is concerning the scientific councils of the age of the Abbasy Khalifa. They had paid a great deal of attention to the councils in general and the scientific ones in particular. They believed that, such

councils reflects the real face of Baghdad, the land of science and scientists, Arts and literatures.

Baghdad had lived its golden years during the days of the Abbasy Khalifa AL Rasheed, who admired all types of Arts and sciences. He encouraged translation and under his rule, it flourished and had a great impact on the development of all Arts and sciences.

Finally, those scientific councils were considered as scientific institutions presenting and discussing freely all types of cases and phenomena

المقدمة

المجلس في اللغة من جلس جلوسا وجلس ضد قام. اجلسه صيره جالسا، او مكنه من الجلوس ، وجالس شارك في الجلوس، والمجلس موضع الجلوس، وجماعة الجلوس اي اهل المجلس. وللمجالس في التراث العربي ادب خاص اثره العلماء العرب لكثرة ما كتب فيه، فكان للمجلس والمجالسة داب ورسوم وللجلس آداب وحق المجالس الصالح . بدأت هذه الآداب والرسوم بشكل بسيط فقد اتسمت في العصر الراشدي بالبساطة والتواضع وكانت تعقد في المسجد لأمر معينة تخص نشر الاسلام وارسال الجيوش او لحل النزاعات التي تحصل بين المسلمين. ولما انتقلت الخلافة ال الامويين واتسعت الدولة بكثرة الاقاليم وتزايد الموارد المالية انسحب هذا على المجتمع وبالذات مجالس الخلفاء وبعد ان انتقل الحكم الى العباسيين زاد الاهتمام بالمجالس واهتم الخلفاء باستقدام من عرف برجاحة الراي والعقل من الرواة والعلماء والادباء، ولقد تنوعت هذه المجالس وبكل خاص في بغداد دار السلام فهناك مجالس المظالم ومجالس الخلفاء والشعراء ومجالس المناظرة والذاكرة ثم مجالس اهل الحديث وجالس الاملاء والاستملاء التي كان لها اهمية كبير حيث الفت فيها كتب خاصة منها الامالي التي أغنت التراث العربي الاسلامي لأنها تناولت علوم عدة.

وقد توج هذا الاهتمام بمجالس العلم وآدابها في العصر العباسي واصبحت مادة للتأليف وكتب عنها اشارات وفصول في الكتب الادبية وقد استفدنا من هذه المصادر كما مبين في ثنايا البحث.

ان موضوع البحث هو حصرا في مجالس الخلفاء العلمية في بغداد اما بقية المجالس فهي للعلماء في العلوم المختلفة وهي تدرس في بحوث اخرى مستقلة ولا بد من الاشارة الى ان هذه المجالس العلمية للخلفاء تناقش فيها الامور العامة وهي صورة حضارية رائعة لمجتمع متحضر وهي صورة لبغداد بلد العلم والعلماء ومركز للفن الرفيع ولم تتوقف هذه المجالس طيلة الخلافة العباسية حتى في فترات التسلط الاجنبي وكانت هذه المجالس هي اللبنة الاولى لحضارة بغداد ومجدها التليد.



المجالس في التراث العربي

للمجالس في تراث العربي ادب خاص اثره العلماء العرب بكثرة ما القوا فيه. فكان للمجلس والمجالسة آداب ورسوم وللجلس آداب وحق المجالس الصالح. بدأت هذه الآداب والرسوم بشكل بسيط يتفق مع طبيعة المرحلة التاريخية فقد اتسمت في العصر الراشدي بالبساطة والتواضع وعدم التنوع. وكانت تعقد في المجلس لأمر معينة تخص نشر الإسلام وارسال الجيوش لتحرير الأراضي العربية او تعقد لحل النزاعات والخصومات التي تحدث بين المسلمين.

وهكذا كانت هذه المجالس تتفق مع حالة التواضع والبساطة في العصر الراشدي التي يعيشها المجتمع آنذاك ولقرب المرحلة من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. ولما انتقلت الخلافة الى الامويين واصبحت دمشق عاصمة الدولة العربية. واتسعت الدولة بكثرة الأقاليم وتزايد الموارد المالية انسحب هذا على المجتمع وبالذات مجالس الخلفاء وأصبح لهذا الموضوع أهمية كبيرة لتعدد جوانبه فمنها ما يتعلق بمجلس الخليفة والمنبر والسرير والكرسي، وما يستخدمه الخفاء من انواع الفرش والبسط، والمرواح والستور، وطريقة الجلوس وغيرها من الآداب والرسوم ولسنا بصدد الدخول في هذا الموضوع لاننا سنقتصر على مجالس الخلفاء العلمية في بغداد فقط.

الا اننا لا نستطيع اعطاء الموضوع حقه من الوضوح مالم نذكر او نشير الى هذه الرسوم التي ظهرت في العصر الأموي لان الاستمرار الثقافي يحتم علينا ذلك. ولا بد من القول ان هذه التقاليد والرسوم الخاصة بالمجالس العلمية عند خلفاء بني العباس لم تظهر فجأة في العصر العباسي بل ظهر الكثير منها ايام الامويين ولهم الفضل في ارساء الكثير من قواعدها.

فقط كانت هناك آداب للجلوس في مجلس الخليفة وآداب للحديث والاستماع، وآداب للطعام على مائدة الخلفاء، ومراسم لأنها مجلس الخليفة.

ومثل ما تعددت هذه الآداب والرسوم تعددت المجالس واصبحت لها خصوصية جعلتها تتطور وتأخذ دورا كبيرا لمساعدة الخليفة في ابداء الراي واتخاذ القرار في مختلف الامور.

ولعل اهتمام الخلفاء باستقدام من عرف برجاحة الراي والعقل من الرواة والعلماء والادباء بين المكانة التي اتخذتها هذه المجالس.

ومن هذه المجالس: مجالس المظالم، ومجالس الخلفاء من الشعراء ومجالس العلم والمناظرة والمذاكرة.

الكتب التي تناولت المجالس

لقد توضحت هذه الرسوم والآداب الخاصة بالمجالس ومجالس العلم والمذاكرة والمناظرة وتزايد الاهتمام بها بعد بناء مدينة بغداد دار السلام وقد توج هذا الاهتمام بالمجالس وادابها في العصر العباسي فأصبحت مادة للتأليف وكتب عنها اما في اشارات

وفصول في الكتب الادبية ذات الاهتمامات المتنوعة ومنها ما كتبه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في البيان والتبيين^(١) والتاج في اخلاق الملوك وغيرها^(٢). وما كتبه ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٣٨ هـ) في العقد الفريد في عدد من الابواب^(٣): باب الاذن، باب الحجاب، باب المشورة، فضلا على اشارات عديدة الى مجالس الخلفاء العباسيين.

ثم مكاتبه محمد بن إسحاق الوشاء^(٤) (ت ٣٥٠) في كتابه الموشى او الظرف والظرفاء فقد خصص بابا سماه (البيان عن حدود الادب وما يجب على الأدباء) فقال: "اعلم ان اول ما يجب على العاقل ان يبيعه ويميل اليه ويشغله عليه:

مجالسة الرجال ذوي الالباب، النظر في افانين الآداب، وقراءة الكتب والاثار، وان يحس في السؤال، ويثبت في المقال ولا يكثر الكلام والخطاب، وان سئل عما يعمله اجاب وان لم يسأل صمت للاستماع.. ولا يتكلم في ما لا يعلم ولا يناظر في ما لا يفهم

اما يوسف بن عبد البر القرطبي^(٥) (ت ٤٦٣) فقد استهل كتابه "بمهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس".

بفصل سماه "باب آداب المجالسة وحق الجليس الصالح" ذكر فيه آداب حضور المجالس مشيراً الى عدد من الاحاديث النبوية الشريفة.

كما اشار الى احترام الداخل للمجلس، واعطاء حق اهل العلم في المجالس وذكر حديثاً عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال: " لا يوسع في المجالس الا لثلاثة لذي علم لعلمه والذي سن لسنة او لذي سلطان لسلطانه"

وذكر قولاً للحسن البصري: "انتقوا الاخوان، والاصحاب والمجالس".

وقد خصص محمد بن الحسن الحضرمي^(٦) (ت ٤٨٩ هـ) في كتابه الاشارة الى آداب الامارة "الباب التاسع من كتابه في هيئة الجلوس والركوب وسائر التصرفات، اشار فيه الى كثير من ادب المجالسة ومجالس الخلفاء والامراء العباسيين.

كما اشار شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري^(٧) (ت ٧٣٢ هـ) في كتابه نهاية الارب في معرفة اخبار العرب بابا سماه |الادب في محادثة السلطان" ذكرا فيه

(١) البيان والتبيين: الجاحظ، ابو عثمان عمو بن بحر (ت. ٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هاون، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٦٨.

(٢) التاج في اخلاق الملوك: الجاحظ، تحقيق: احمد زكريا باشا، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩١٤.

(٣) العقد الفريد: ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: احمد الزين واحمد امين وابراهيم الابياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠. ج ٢، ص ٤٢٨.

(٤) كتاب الموشى او الظرف والظرفاء: محمد بن اسحاق الوشاء (ت ٣٥٠ هـ)، ط ١، عالم الكتب، بيروت، باب البيان عن حدود الادب، ومجالسة الرجال ذوي الالباب.

(٥) بهجة المجالس، وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس: يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: موسى مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العالمية، ط ٢، ١٩٨١، ج ١، ص ٣٩-٥٣.

(٦) الاشارة الى ادب الامارة، محمد بن الحسن الحضرمي (ت ٤٨٩ هـ)، تحقيق: د. رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١، الباب التاسع، ص ١١٥-١١٩.



امورا عدة من حق المحادثة وواجب المؤانسة وراء المرء مع الاكفاء وما الى ذلك من الامور اما الصابى^(٢) ت (٤٤٨ هـ) فقد كتب كتابا سماه "رسوم دار الخلافة" خصص فيه بابا واسعا سماه "آداب الخدمة" جمع فيه كل الرسوم والآداب المتبعة في مجالس الخلفاء والامراء في المرحلة التي عاشها و اشار الى عدد من الخلفاء وما كان يدور في مجالسهم ومنهم المأمون، والمعتمد، والواثق، كما ذكر كيفية تعامل الوزراء والقادة والحجاب والقضاة والفقهاء والقراء وولاية العهود وغيرهم بقاء من دخول المجلس الى الاستماع الى المحاوراة والمناظرة والمذاكرة واعطي به صورة واضحة لما كان يجري في مجالس الخلفاء العباسيين العلمية تمثل المرحلة التي عاصرها.

كما اشار في فصول اخرى الى قضايا تتعلق بملابس من يجلس في المجالس في الايام الاعتيادية وفي الاعياد والمناسبات وآداب المسائرة في المواكب وغيرها من الامور^(٣).

كما اشار الصابى في كتاب اخر له هو "تحفة الامراء في تاريخ الوزراء"^(٤)، الى موضوع طريف سماه "باب ارزاق الجلساء" ذكر فيه ان الخلفاء يكرمون الجلساء ويخصصون لهم ارزاقا شهرية وايام شهرهم (٤٥) يوماً، وكان راتبهم اليومي ٤٤ ديناراً وثلاثاً^(٥).

ثم تلت هؤلاء المؤلفين مؤلفات اخرى في الموضوع نفسه لم نشأ الاشارة اليها لتأخر عهدها ولان ما ذكرته لا يختلف عما ذكرناه ومن هؤلاء القلقشندى^(٦) (ت ٨٢١ هـ) في كتابه "صبح الاعشى في صناعة الأنشا" وكتاب "مآثر الأناقة في معالم الخلافة"

وهكذا كان الاهتمام واضحا بموضوع المجالس وبشكل خاص المجالس العلمية ومجالس المناظرة والمذاكرة لأنها تعكس الوجه الحقيقي لبغداد بلد العلم والعلماء، بلد الادب، والحضارة والفن والذوق الرفيع فهي كما صفها ابنها البار الخطيب البغدادي^(٧) (٤٦٣ هـ) صاحب "تاريخ بغداد فقال بعد ان عدد مناقبها الكثيرة"... من الاخلاق الكريمة، والسجايا المرضية، والمياه العذبة الغدقة والاحوال الجميلة والحذق في كل صنعة، والجمع لكل حاجة، من ظهور البدع، والاعتباط بكرة العلماء والمتعلمين، والمتفقين، ورؤساء المتكلمين، وسادة الحساب والنحوية، الشعراء، ورواة الاخبار والانساب وفنون الآداب وحضور كل طرة م عيون التجار المجهزين، والسلطين

(١) نهاية الارب في فنون الادب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويوي (ت ٧٣٢ هـ)، طبعة دار الكتب المصرية، ج ٤، ص ١١٨.

(٢) رسوم دار الخلافة، ابو الحسين هلال بن المجسن الصابى (ت ٤٤٨ هـ، تحقيق: ميخايل عواد، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦، باب ادب الخدمة، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٤) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء: الصابى، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار الكتب العربية، ١٩٥٨.

(٥) المصدر نفسه، باب ارزاق الجلساء.

(٦) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ابو العباسى احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١ هـ)، مصر المؤسسة العامة للتاليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣.

(٧) تاريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، بيروت، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ص ٥٠-٥١.

المعظمين، واهل البيوتات المبجلين.. فهي من خزائن الله العظام.. م هي مع ذلك منصوره محبورة، كلما ظن عدو الاسلام انه فائز باستئصال اهلها وكبه الله وكبه لمنخريه واتصلت قدرته بما ليس في تقدير الخلق اجمعين فضلا من الله نعمة والله ذو الفضل العظيم.

هذه المحاسن التي اجتمعت في بغداد هيا الله سبحانه وتعالى لها يقدرها حق قدرها فأصبحت بغداد قبلة الانظار ومحط رحاب العلماء ورجال الادب، ظلت صريحا عربيا شمخا ناطقا بعظمة الامة وتراها المجيد.

المجالس في العصر العباسي

لقد كان للخلفاء العباسيين الفضل في ابراز هذه المحاسن والفضائل بتشجيعهم للعلم والعلماء لكونهم رعاة العلم بل من افاضل العلماء ولذلك ورد في مختصر كتاب اخبار العباس^(١) حين يتكلم عن الدولة العباسية: "انها دولة مباركة ردت الامور الى قرارها، واسندت القضايا والاحكام الى خيارها. ونشأ فيها العلماء والفقهاء والامن وتدرج بمكانها نقلة حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، والقراء الفقهاء وظهر برغبة اصحابها الادب والادباء".

فالخليفة المنصور كان كما وصفه الجاحظ "مقدما في علم الكلام ومكثرنا من كتاب الاثار ولكلامه كتاب يدور بين ايدي الوراقين".

والخليفة المهدي محب للادب ومشجع على التأليف فيه جادا في محاربة الزنادقة والبحث عنهم في الافاق. وتشجيع العلماء في التأليف بالرد عليهم وابطال دعاوهم. وسار الخليفة الهادي على سنة ابيه في محاربة الزندقة وحبه للاداب وتشجيعه للشعراء.

وعاشت بغداد عصرها الذهبي ايام هارون الرشيد الي كان شغوفاً بالفنون والعلوم وكان قصره الزاهي الزاهر مركزاً لمختلف الثقافات. واما ولعه بالشعر وضروب الادب واجازاته للشعراء بسخاء فحديثها طويل لا مجال للخوض فيه.

وكانت دولة الخليفة هارون الرشيد كما يقول الفخري^(٢) "من احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا وخيرا، واوسعها رقعة مملكة.. ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء، والقراء، والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد.. وكان فاضلا شاعرا رواية للأخبار والآراء والاشعار، صحيح الذوق والتميز مهيبا عند الخاصة والعامة".

(١) نبيدة في كتاب التاريخ، مؤلف مجهول، تحقيق: بطرس غريا زينو، موسكو، معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٠، الورقة ٦.
(٢) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠، ص ١٩٣.



ولابد هنا ان نشير الى حركة النقل والترجمة في لدولة العباسية التي يمكن تقسيمها الى ثلاثة ادوار، الاول من خلافة ابي جعفر المنصور وحتى وفاة هارون الرشيد اي من ١٣٦هـ - ١٩٣هـ.

والثاني من تولي المأمون الخلافة ١٩٨هـ - ٣٠٠هـ، اما الدور الثالث فيبدا من ٣٠٠هـ - ٣٩٨هـ.

وقد ترجمت هذه الادوار كثيرة من لغات متعددة في مختلف فنون المعرفة في الفلسفة والادب والطب والرياضيات والنجوم.

ولقد نشطت هذه الحركة في عصر المأمون الذي كان وافر العلم غزير الاطلاع وليس ذلك بغريب على خليفة ملا عصره بأنواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحه القوي حتى استطاع ان يسمه بسمته، وان يرجع فضل الحضارة العباسية اليه. ولذلك يقول ابن طباطبا: (١) " واعلم ان المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة في مملكته).

ان اول من فحص منهم عن علوم الحكمة، وحصل كتبها وامر بنقلها الى العربية وشهرها، وحل اقليدس ونظر في علوم الاوائل، وتكلم في الطب وقرب اهل الحكمة".

وان الخليفة المأمون امتاز بعلمه وثقافته لم يقف عند حد الثقافة الذاتية وانها وجه حرصه الى ان يثير في نفوس اصحابه كوامن الرغبة الى التعمق في الدرس، والشوق الى ادراك حقائق الاشياء. وكانت له في ذلك طريقة معروفة، هي توجيه السمر والحديث الى فنون العلم والمعرفة فكان يفتح لجلسائه ابوابا من القول ما كانت تخطر لهم ببال وبهذا استحق الخليفة المأمون لقب حكيم بني العباس.

ان هذه المجالس العلمية كانت بمثابة مدارس علمية تطرح فيها القضايا المختلفة وتناقش فنون المعرفة المختلفة بحرية واسعة الافق.

تتناقش كل القضايا العلمية دينية ام دنيوية فهي مجالس للمناظرة والدفاع عن الاسلام وتفنيد اراء اعدائه ومقالاتهم. ونظر لأهمية هذه المجالس وقد اشار اليها القلعي (٢) (ت ٦٣٠هـ) في بلد سماه "في مصاحبة الملوك ومخالطتهم وكيفية التحرز منهم في حال مجالستهم ومباستهم".

يقول القلعي: يجب على الملوك ان يختاروا لمجالسهم من جمع الرأي والعقل وجودة الادب والفضل، ومن اتصف بمكارم الاخلاق وطيب الاعراق.

وذكر الثعالبي، وقال: لا يتخذ الملك الاعوان، الا الاعيان ولا الاخلاء الا الاجلاء، والندماء الا الكرماء، ويجب على من يجالس ملكا ملازمة الادب في جميع احواله.

كما اوجبوا ان يكون المجالس عالما بالحلال والحرام، عارفا باشعار العرب واخبارها.

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ابو عبدالله محمد بن علي القلعي، (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: ابراهيم يوسف مصطفى عجو، الاردن، مكتبة المنار، ١٩٨٥، باب مصاحبة الملوك ومخالطتهم وكيفية التحرز منهم في حال مجالستهم ص ١٥١.

وكان للأشعار أهمية في هذه المجالس حتى انه كانت تعقد لها مجالس خاصة كما حدث ايام الرشيد والامين والمأمون وبقية الخلفاء العباسيين. جلسوا للشعراء مجالس واثابوا فيها واعطوا ووهبوا من المنح ما وهبوا وبقيت للشعر مكانته في بغداد ايام العباسيين. لقد احب العرب الشعر واستودعوه افكارهم واخبارهم وحفظوا به فخرهم وضمنوه اخلاقهم وعاداتهم وشؤون حياتهم.

وسوف نشير الى نماذج من هذه المجالس العلمية للخلفاء العباسيين في بغداد مدينة السلام، وستكون النماذج خاصة بالعصر العباسي خاصة بالعصر العباسي الاول اي القرن الثالث الهجري عصر الازدهار والنتاج العلمي والثقافي، عصر بيت الحكمة لان هذا العصر يمثل الاساس للثقافة العربية الاسلامية التي استمرت حية في كل العصور حتى في فترات التسلط، بل ازدادت قوة ومنعه وكان النتاج الفكري يمثل نوعا من انواع التسلط الاجنبي فبغداد في كل عصورها شامخة معطاء وستظل ان شاء الله صرحا شامخا ناطقا بعظمة الامة وتراثها المجيد.

لقد اكثرت كتب التاريخ والادب وكتب الثقافة العامة في ذكر اخبار هذه المجالس ورسمت لها صورا واضحة تدل على ثقافة اولى الامر (الخلفاء) ورعايتهم للعلم والمعرفة تملت فيها صورا حضارية رائعة لما دار في هذه المجالس ولما فيها من رسوم وتقاليد وآداب انفردت بها حضارتنا العربية الاسلامية هذه التقاليد والآداب استمدت من القيم العربية الاصيلية والدين الاسلامي الحنيف فجاءت صور متميزة للمجتمع العربي الاسلامي ولبغداد ام الدنيا وسيدة البلاد.

وفي ما يلي نماذج من هذه المجالس التي تدل تميز الخلفاء في مجال العلم والمعرفة والتوق الشديد الى ذلك. وقد تنوعت مادة هذه المجالس منها مجالس خاصة بالدين والفقهاء ضمت افاضل العلماء.

واخرى لعلوم اللغة كالنحو والشعر، ومنها ما اختص بالفلسفة والطب وكل قضايا الثقافة التي تميز بها عصرهم وتمل هذه المجالس صورة حضارية رائعة على وعي علمي وتمثل معارف العصر العلمية.

وقد كثرت هذه المجالس حتى اصبحت سمة للعصر ولم تكن للخلفاء فقط بل لأولادهم قبل تولي الخلافة فهذا الزجاجي^(١) يحدثنا عن مجلس الكسائي علي بن حمزة وابن عبد الله اليزيدي بحضرة المهدي قبل ان يستخلف بأربعة اشهر.

قال تذاكروا ليلة عنده النحو والعربية، قال اليزيدي وكتب متصلا بخاله يزيد بن منصور والكسائي مع ولد الحسن الحاجب فبعث الي والى الكسائي فلما دخلا على المهدي اقبل علي فقال: كيف نسبوا الى البحرين فقالوا بحراني والى الحصنين فقالوا حصني هلا قالو حصناني كما بحراني. فقلت ايها الامير في النسب الى البحرين بحري

(١) امالي الزجاجي، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧، ص ٥٩.



لا لابس فلم يدر النسبة الى البحرين وقعت ام الى البحر؟ فزادوا الفأ للفرق بينهما، كما قالوا في النسب الى الروح روحاني ولم يكن لحصنين شيء يلتبس به فقالوا حصني على القياس.

ثم يستمر النقاش حول هذه القضية ويشارك فيها المهدي مشاركة العالم الخبير. ولا يكتفي برأي من حضر المجلس بل يستعين بأخرين من خارج المجلس وتبقى المسألة معلقة حتى يعلم الرأي الصحيح.

فهذا يدل على اهمية مثل هذه المجالس ومشاركة الخليفة فيها ويذكر الزجاجي مجلسا اخر ايام الرشيد حضره الكسائي والاصمعي^(١) قال:

كان الكسائي والاصمعي بحضرة الرشيد وكانا ملازمين ويظعنان بظعنه. فاشدد الكسائي:

انى جزوا عامرا سوءى بفعلهم ام كيف يجزونني السوءى من الحسن
ام كيف ينفع ما تعطى العلوق به رثمان انف اذا ماضن باللبين
ويذكر الزجاجي الحوار الذي دار بين الاصمعي والكسائي حول (رثمان) هل هي بالرفع ام بالنصب.

وينقلب الكسائي على الاصمعي لأنه لم يكن له علم بالعربية بل صاحب لغة. والخليفة الرشيد حاضر يسمع النقاش ويشارك فيه مشاركة عالم ذا خبرة. ويعطي الزجاجي مثلا على قدرة الخلفاء في قول الشعر فيذكر مساجلة للخليفة الراضي بالله مع الصولي، فيذكر عن الصولي^(٢) انه قال: انشددت الراضي بالله ايام خلافته لنفسى:

يا مليح الدلال رفقا بصب
نطق السقم بالذي كان يخفى
قد اتاه في النوم منك خيال
فتحاماه للضنى السن الذ
يشتكى منك جفوة وملا لا
فأسال الجسم ان اردت السؤالا
فراه كما اشتهيت خيالا
ل فاضحى لا يعرف الغدالا

فعمل الراضي ابياتا في المجلس نفسه وهي:

ضللت في حبكم فحسبني
وزراني منكم خيال
راى خيالا على فراش
حتى متى اتبع الضلالا
فزرت اذ زارني خيالا
ولا اراه راى خيالا

وهكذا كانت مقدرة الراضي بقدرة وسرعة بديهته في قول الشعر:

وكان الخلفاء العباسيين يتذوقون الشعر ويحفظون احسنه فمن مجالس المأمون ذكر ابن طيفور (ت ٢١٨ هـ) : ان المأمون كان في مجلس من مجالسه وعنده جماعة من قريش فسألهم ايكم يحفظ ابيات عبد الله بن الزبيري التي يعتذر فيها الى رسول الله،

(١) مجالس العلماء: الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٢، ص ٩. وانظر: نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء: الملك الافضل بن رسول العباسي بن علي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥.
(٢) اخبار الراضي والمتقي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ)، نشره هيوت د ن، بيروت،

صلى الله عليه وسلم، فقال مصعب بن عبد الله الزبيري (ت: ٢٣٦هـ) انا يا امير المؤمنين قال فانشدنا، فانشد:

منع الرقاد لابل وهموم
فما اتاني لن احمد لامني
اني لمعتذر اليك من الذي
فاليوم انس بالنبي محمد
فاغفر فدا لك والذي كلاهما
ولقد شهدت بان شهدت دينك صادق
والله يعلم ان احمد مصطفى
مضت العداوة فانقضت اسبابها

والليل معتلج الرواق بهيم
فيته فيت كانني محموم
انشلت اذا انا البلاد اهيم
قلبي ومخطيء هذه محروم
ذني اليك فانك راحم مرحوم
حق وانك في الانام عظيم
فتقبل في الصالحين عظيم
ودعت اواصر بيننا وحلوم

فأمر المأمون لمصعب بثلاثين الف درهم وقال : ليكن القرشي مثلك.
ولمجالس المأمون شهرة كبيرة تناقلتها كتب التاريخ والادب لأهميتها ولتنوع
مواضيعها ولما حفلت به مجالسه من افاضل العلماء والادباء.

كما كان لمجالسه الدينية اثر كبير في الدفاع عن الاسلام ومبادئه- ذكر ابن
طيفور^(١) عن يحيى بن اكرم انه قال: امرني المأمون عند دخوله بغداد ان اجمع له وجوه
الفقهاء واهل العلم من اهل بغداد فاخترت له من اعلامهم ٤٠ رجلا واحضرتهم وجلس
لهم المأمون فسأل عن مسائل وافاض في فنون الحديث والعلم.

ويقول ابن اكرم فلما انقضى ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في امر الدين. قال
المأمون يا ابا محمد كره ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في طوائف الناس بتعديل
اهوائهم وتزكية آرائهم.

وهذا الامر يدل على سعة علم المأمون واعطائه المجال للنقاش والمناظرة في
امور الدين.

ويستمر ابن طيفور في ذكر تفاصيل كثيرة دارت في المجلس وكان المأمون فارسها.
وكان للمأمون قدرة على اقناع الخصم تدل على ذلك مجالسه مع المرتدين
والمدعين فمنها ما ذكره ابن طيفور نقلا عن تمامه قال: ارتد رجلا من اهل خراسان
فامر المأمون بحمله الى مدينة السلام فلما ادخل عليه اقبل بوجهه له: لان استحبيك بحق
واجب احب الي من ان اقتلك ولان ادفع عنك بالتهمة وقد كنت مسلما بعد ان كنت
نصرانيا وكنت في الاسلام اقبح مكانا واطول اياما فاستوحشت مما كنت به انسا، ثم لم
تلبث ان رجعت عنا نافرا فخيرنا عن الشيء الذي اوحشك من الشيء الذي صار انس
لك من ذلك القديم وانسك الاول فان كنت وجدت عندنا دواء داءك تعالجت به اذا كان
مريضا يحتاج الى مشاورة الاطباء فان اخطاك الشفاء ونبا عن داءك الدواء ولم ترجع

(١) تاريخ بغداد، ابن طيفور(ت ٢٨٠هـ).



عن نفسك بلانمة فان قتلناك بحكم الشريعة ترجع انت في نفسك الى الاستبصار والقة وتعلم انك لم تقتصر في اجتهاد ولم تدع الاخذ بالحزم.
وما زال المأمون يحاجه حتى افتنع وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله صادق وانك امير المؤمنين حقا.
ويقول ابن طيفور^(١) فصلى المأمون وقال لأصحابه وفروا عليه عرضة ولا تبروه في يومه ريثما يعتق اسلامه كيلا يقول عدوه ان يسلم بره وتأييسه.
ويذكر ابن عبد ربه مجلسا للمأمون^(٢) يناظر فيه الفقهاء في القضايا الدينية يقول:
قال حماد بن زيد ان المأمون بعث الى يحيى بن اكنم قاضي القضاة، فقال: ان امير المؤمنين امرني ان احضر معي غدا مع الفجر ٤٠ رجلا كلهم فقيه يفقه ما يقال ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذي اراد وكتب بتسمية القوم وامر بالبكور في السحر فغدونا عليه قبل طلوع فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه فادخلنا فامرنا بالصلاة فأخذناها فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول فقال ادخلوا فدخلنا فاذا امير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه وعمامته فسلمنا وامرنا بالجلوس، فلما استقر في الجلوس تحدر من فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ثم اقبل علينا فقال انما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك. واما الخف فممنع من خلعه علة من عرفها منكم فقد عرفها، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها، ومد رجليه. ثم قال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالسكم فنزعنا ورجعنا فلما استقر بنا المجلس قال: انما بعثت اليكم معشر القوم في المناظرة فمن كان به شيء من الاخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه فمن اراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده فدعونا له. ثم القى مسألة من الفقه، فقال: يا ابا محمد قل وليقل من بعدك. فأجابه يحيى ثم الذي يليه حتى اجاب اخرنا في العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى اذا انقطع الكلام التفت الى يحيى فقال: يا ابا محمد، اصبت الجواب وتركت الصواب في العلة ثم لم يزل يرد مع كل واحد منا مقالته ويخطى بعضنا ويصوب بعضنا حتى مع اخرنا.

ان ما دار في هذا المجلس يمكن ان نستشف منه امور عديدة منها ادب المجالس وحب الخفاء للعلم واحترام اراءهم وان الخليفة يشارك مشاركة فعالة في المناظرة والنقاش.

ومثل ما كان الخلفاء يعقدون مجالس الشعر والفقه والمناظرة كانت تعقد المجالس للنظر في صحة الابدان وما يصلحها وكان للخلفاء معرفة واسعة للطب والدواء.
فمما ذكر ابن عبد ربه الاندلسي^(٣) مجلسا لهارون الرشيد قال الرشيد من الاطباء: اربعة، عراقي ورومي وهندي ويوناني وقال ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه.

(١) المصدر نفسه.

(٢) العقد الفريد: ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، مصدر سبق ذكره.

(٣) المصدر نفسه.

فقال العراقي: الدواء الذي لا داء معه حب الرشاد الابيض وقال الهندي الاهليج الاسود، وقال الرومي الماء لحر وقال اليوناني حب الرشاد لابييض يولد الرطوبة، والماء الحار يرخي المعدة والاهليج الاسود يرق المعدة. ولكن الدواء الذي داء معه ان تقعد على الطعام وانت تشتهي، وتقوم عنه وانت تشتيه.

ولما دخل المأمون الى بغداد واستقر بها يذكر ابن طيفور^(١) ان المأمون امر جعفر بن محمد الانماطي ان يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين واهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته. وكان يقعد في صدر نهاره على لبود في الشتاء، وعلى حصر في الصيف ليس معهما من سائر الفرش ويقعد للمظالم في كل جمعة مرتين وان لا يمتنع منه احد.

واختير له من الفقهاء لمجالسته مئة رجل فما زال يختارهم طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة كان احمد بن ابي داود احدهم، وبشر المريسي وجعفر بن محمد الانماطي.

ويقول الانماطي تغذيتا يوما عنده ووضع على المائدة الوان كثيرة فكلما وضع المأمون اليه فقال هذا يصلح لكذا، من صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فليأكل من هذا، ومن احب الزيادة في لحمه فليأكل من هذا.

ومن كان قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا.. وما زالت هذه حالة حتى رفعت الموائد فقال له يحيى فقال له يحيى بن اكرم ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته، او النجوم كنت هرمس في حسابه، فسر ذلك الكلام وقال: يا ابانا ان الانسان انما افضل عل غيره من الهوام بفعله وعقله وتميزه، ولولا ذلك لم يكن لحم اطيب من لحم، ولادم اطيب من دم.

ولم تقتصر هذه المجالس على القضايا العلمية بل كان يناقش فيها الامور العامة وصفات الناس فذكر ابن طيفور^(٢) انه في احد مجالس المأمون تذاكروا المساوي

(١) ابن طيفور.

(٢) المصدر نفسه.

المصادر

(١) البيان والتبيين: الجاحظ، ابو عثمان عمو بن بحر تحقيق: عبد السلام محمد هاون، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٦٨

(٢) بهجة المجالس، وانس المجالس وشحن الذاهن والهاجس: يوسف بن عبد البر القرطبي تحقيق: موسى مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العالمية، ط ٢،

(٣) التاج في اخلاق الملوك: الجاحظ، تحقيق: احمد زكريا باشا، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩١٤

(٤) الاشارة الى ادب الامارة، محمد بن الحسن الحضرمي (٤٨٩ هـ)، تحقيق: د. رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١

(٥) تاريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، بيروت، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت،



والمحاسن فقالو ما من كريم الا وفيه خصلة تعفى مساوئه ولا في سفلة خصلة تعفى على محاسن ان كانت فيه.

هذا طرف من مجالس الخلفاء العلمية وهي صورة حضارية رائعا لمجتمعه متعلم متحضر، صورة لتعداد بلد العلم والعلماء مركز الذوق والفن والفكر والرفيع.

هذه المجالس وهذا التوق العلمي من قبل علماء بغداد لم يتوقف طيلة الخلافة العباسية حتى في عصور التسلط الاجنبي كانت هذه المجالس هي اللبنة الاولى لحضارة بغداد ومجدها التليد.

وها هي بغداد تواصل الماضي المجيد بالحاضر المشرق المزدهر تتحدى الصعاب وتواصل مسيرة العلم والبناء برغم كل الظروف وبرغم هذا الحصار الثقافي الجائر وتظل ابدا صرحا علميا شامخا.

الخاتمة

من خلال ما توفر لدينا من اخبار المجالس العلمية للخلفاء ظهرت لنا مسألة مهمة هي ادب هذه المجالس والادب هو الظرف وحسن التناول او الانتداب لما يندب له الانسان

- (٦) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء: الصابي، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار الكتب العربية، ١٩٥٨
- (٧) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ابو عبدالله محمد بن علي القلعي، (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: ابراهيم يوسف مصطفى عجو، الاردن، مكتبة المنار، ١٩٨٥
- (٨) رسوم دار الخلافة، ابو الحسين هلال بن المجسن الصابي (ت ٤٤٨ هـ، تحقيق: ميخايل عواد، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦
- (٩) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ابو العباسي احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١هـ)، مصر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣.
- (١٠) كتاب الموشى او الظرف والظرفاء : محمد بن اسحاق الوشاء (ت ٣٥٠ هـ)، ط ١، عالم الكتب، بيروت،
- (١١) مجالس العلماء: الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، كتاب العربي، ١٩٨٥.
- (١٢) نبذة في كتاب التاريخ، مؤلف مجهول، تحقيق: بطرس غريا زينوج، موسكو، معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٠.
- (١٣) نهاية الارب في فنون الادب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويوي طبعة دار الكتب المصرية،

او فصل المكارم، وقد اكدت هذه المجالس في رسومها الى آداب خاصة بالجلوس والانصراف وفي المحاوره وكل ما يتعلق بمكان الجلوس من فرش وامور اخرى. ان هذه الآداب والرسوم خاصة بالحضارة العربية الاسلامية التي دلت على ذوق رفيع فهي صورة رائعة من تراثنا العربي الاسلامي والذي له الفضل على الحضارة الاوربية والانسانية جمعاء.



اخلاقيات القاضي في الاسلام "دراسة مقارنة بالقانون الوضعي"

م.م. فاطمة نجم محمد

جامعة بغداد - كلية القانون

fatima.najm1600@colaw.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يعد القضاء الفيصل في المنازعات التي تدور رحاها بين افراد المجتمع على مر العصور ، ولما كان تحقيق العدالة من ابرز المهام التي انيطت بالقضاء ، كان لزاماً على القاضي ان يتميز وتتوافر فيه صفات واخلاقيات تجعله قادراً على تحقيق هذا الهدف ، وبالرجوع الى تراثنا العربي والاسلامي نجد ان الشريعة الاسلامية قد جاءت بمجموعة من الشروط والمتطلبات التي لا غنى عنها حتى يمكن للقاضي ان يتسّم كرسي القضاء ، فالقضاء مهنة شريفة لا غنى عنها في اي مجتمع بشري ، نظراً لما يسند الى القضاة من صلاحيات هامة وخطيرة ، اذ انهم يصدرون احكاماً قطعية لها اثر كبير على امن المجتمعات وحياة الافراد ومعتقداتهم وحرّياتهم ، لذا فقد وضع الفقه الاسلامي مجموعة معايير لإخلاقيات القاضي منها الاستقلال والنزاهة والتزام التحفظ والتواضع وغيرها .

Summary

The judiciary is considered the decisive factor in disputes that revolve around members of society throughout the ages, and since achieving justice is one of the most prominent tasks assigned to the judiciary , It was necessary for the judge to be distinguished and possess the qualities and morals that would make him able to achieve this goal , With reference to our Arab and Islamic heritage, we find that Islamic law has come with a set of conditions and requirements that are indispensable so that the judge can become the judge , The judiciary is an honorable profession that is indispensable in any human society , Given the important and dangerous powers assigned to judges , As they issue

peremptory rulings that have a great impact on the security of societies, the lives of individuals, their beliefs and their freedoms, Therefore, Islamic jurisprudence has developed a set of standards for the ethics of a judge, including independence, integrity, commitment to conservatism, modesty, and others.

الكلمات المفتاحية: القضاء، القاضي، الشريعة الإسلامية، القانون الوضعي، الإلتزامات الأخلاقية.

Key words: Judiciary, judge, Islamic law, positive law, Ethical obligations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى

آله وصحبه أجمعين..

أما بعد .. فقد أقام الإسلام السلطة في المجتمع ، فلا يتصور ان يعيش مجتمع بلا سلطة ، فهو دين الفطرة السليمة الذي يتفق كل الإتفاق مع حقائق الحياة ، ولكنه اراد لهذه السلطة ان تكون سلطة عادلة ، تخضع لمبدأ سيادة القانون ، فلا تُستبد ولا تتحرف ، تقيم العدل بين الناس وتتعقب كل عدوان على حياة الإنسان وحرية وماله ، فالقضاء يعد من الأمور المقدسة ليس في الإسلام فحسب وإنما في كل الأديان السماوية والأمم مهما بلغت درجتها من الرقي والحضارة حتى لا يصبح الناس في فوضى ، ولا يتحقق العدل بين الناس إلا اذا كان هناك ثقة في القضاء ، ولا شك ان هذه الثقة إنما تتجلى في شخص القاضي بصفته قائماً على مهنة القضاء ، فهو صوت العدالة وحاميها ، ولا تتحقق هذه المهمة العظيمة إلا بوجود أخلاقيات وقيم ومبادئ تحكم سلوك القاضي ، فقد يؤدي القاضي واجباته بصورة متدنية او متوسطة ، فتنهض الأخلاقيات المهنة لتلزمه بالإداء السليم التي يتحقق معها قسط من الرضا الإجتماعي تتجسد معه العدالة والإستقلالية للقضاء التي ينشدها كل مجتمع .

وبالنظر للأهمية التي تكتسبها أخلاقيات مهنة القضاء ، فقد وضعت الشريعة الإسلامية نظرية متكاملة في تنظيمها لإخلاقيات القاضي وسلوكياته ، كما دأبت التشريعات والقوانين الوضعية ، الوطنية والدولية ، على التأكيد بنصوص مختلفة على ضرورة إلتزام القاضي بجملة من المبادئ والأخلاقيات يضعها نصب عينيه عند ممارسته لمهنته الشريفة .

ومن هنا تظهر لنا أهمية البحث في إخلاقيات القاضي كونه صوت الحق والعدل ، وإنحراف القاضي عن هذه السلوكيات إنما تنعكس آثاره على مرافق الحياة برمتها ، فيفقد الناس ثقتهم بالقضاء في بلدهم وتسود الفوضى وعدم الإستقرار .

لذا سنعالج هذه المسائل بأعمادنا على المنهج التحليلي المقارن ، الذي يقوم على تحليل النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء المسلمون مقارنين ذلك بالقوانين الوضعية الحديثة وابرزها القانون العراقي .



ولتحقيق هذا الغرض سنعمل على تقسيم البحث الى مبحثين ، المبحث الأول سنخصصه لبيان مفهوم مهنة القضاء في الشريعة والقانون ، والذي بدوره سينقسم الى مطلبين ، المطلب الاول سيكون في تعريف القضاء وبيان اهميته ، اما المطلب الثاني فنخصصه لبيان شروط تولي مهنة القضاء في الشريعة والقانون ، اما المبحث الثاني فسنبين فيه ماهية الإلتزامات الإخلاقية للقاضي في الشريعة والقانون ، وسنقسمه الى مطلبين ، المطلب الاول سيكون في تعريف الإلتزامات الإخلاقية للقاضي وبيان مصادرها ، وأخيراً المطلب الثاني فسنحدد فيه تلك الإلتزامات الإخلاقية بشيء من التفصيل.

المبحث الأول: مفهوم مهنة القضاء في الشريعة والقانون

بغية التعرف على مفهوم مهنة القضاء ، ينبغي علينا ان نعرف القضاء في الشريعة والقانون ونبين اهميته اولاً ، ومن ثم نبين شروط تولي مهنة القضاء ، وهذا ما سنعمل على بيانه في مطلبين.

المطلب الأول: تعريف القضاء وبيان اهميته

تعددت التعريفات التي قدمها علماء اللغة والشريعة والقانون لمصطلح القضاء ، كما ان القضاء نال اهمية واسعة منذ عصر الجاهلية وحتى يومنا هذا ، وهذا ما سنبينه في النقطتين الفرعيتين الآتيتين :

أولاً : تعريف القضاء لغةً وأصلاً :

١ - تعريف القضاء لغةً : القضاء مشتق من الفعل قضى ، وقضى له في اللغة معان عدة ، فقيل هو إنتطاع الشيء وتامه^(١)، ويُعبّر عنه بأنه اللزوم^(٢)، ولهذا يُسمى القاضي قاضياً ؛ لأنه يلزم الناس^(٣)، وقال الرازي في مختار الصحاح بأنه "القضاء الحُكم وهو جمع الأفضية، والقضية والجمع القضايا ، و "قضى ، يقضي بالكسر - قضاء" أي : حُكم^(٤).

ومنها قوله تعالى " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"^(٥)، ومنها أيضاً قوله تعالى " فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"^(٦)، أي مات او قتل في سبيل الله ، وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع الى ربه^(٧)، وقوله تعالى "فَقَضَاهُنَّ سَعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.." ^(١)، اي الصنع والتقدير، بمعنى إحكام الشيء

^١ الزبيدي ، ابو الفيض محمد مرتضى الواسطي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، مصر ، ١٨٠٦ ، ص ١٩٦ .

^٢ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، لسان العرب ، ١٤ جزء ، دار صادر بيروت ، ج ٥ ، ١٩٥٦ ، ص ١٨٦ .

^٣ المصدر نفسه .

^٤ محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح ، مطبعة مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الجديدة ، ١٩٩٥ ، ص ٢٦٦ .

^٥ سورة الإسراء ، الآية (٢٣) .

^٦ سورة الاحزاب ، الآية (٢٣) .

^٧ الطبرسي ، الشيخ ابو علي الفضل بن الحسين ، مجمع البيان في تفسير القران ، ٥ مجلدات و ١٠ اجزاء ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٦ .

^٨ سورة فصلت ، الآية (١٢) .

والفراغ منه، ويجوز ان يكون ضميراً مبهماً مفسراً بسبع سماوات، والفرق بين النصين، ان حدهما على الحال والثاني على التمييز .
ولهذا يعد لفظ القضاء من الألفاظ متعددة المعاني ، والتي يعرفها العلماء على انها من المشترك اللفظي، ولو دققنا في كلمة "قضى" لتمكنا من ارجاعها الى معنى واحد وهو "الإنقطاع"؛ لان الحكم هو القطع للنزاع ، والأداء قطع للدين ، والقتل هو قطع الحياة ، معنى ما تقدم فأن القضاء في اللغة كما قال الطرابلسي " هو الحكم والنفاز بأتقان وأصل القضاء هو فصل الأمر على إحكام"^(١).

٢ - تعريف القضاء اصطلاحاً :

يعرف القضاء في اصطلاح فقهاء المسلمين بأنه " ولاية الحكم شرعاً لمن له اهلية الفتوى بجزئيات القوانين الشرعية على اشخاص معينة بشرية متعلقة بأثبات الحقوق وأستيفائها للمستحق"^(٢).

اما فقهاء القانون فقد عرفوا القضاء بأنه " فض النزاعات والخصومات الناشئة بين الأشخاص الطبيعيين والمعنويين وتوجيه العقوبة الرادعة بحق من يثبت ارتكابهم للمخالفات والجح والجنابات"^(٣)، كما وتطلق كلمة القضاء على مجموعة القواعد القانونية التي تستخلص من الأحكام التي تصدرها المحاكم ، او هي الحجية التي يمكن ان تستند الى هذه الاحكام ، اي الحجية التي تستخلص من السوابق القضائية^(٤).

ثانياً : أهمية القضاء بين الماضي والحاضر :

ان من اهم دعائم السعادة والإستقرار والطمأنينة بين الناس هو ان يستقر العدل بينهم، كي يطمأن الجميع على حقوقهم ، أغنياء او فقراء ، اقوياء او ضعفاء ، فليس ادعى الى الشقاق والفتن من سلب الحقوق وسطو الأقوياء على حقوق الفقراء ، اذ ان ذلك من شأنه ان يهدد المجتمع بالأخطار التي تحمل الناس ما لا طاقة لهم به وإثارة الخصومات والضغائن والفتن التي تهدد الامن والسلام ، لذا فقد كان ولازال القضاء من الامور المقدسة في جميع الامم وفي جميع المراحل عبر اتاريخ إبتداءً من عصر الجاهلية وحتى يومنا هذا .

ففي عصر الجاهلية لم يكن هناك ضمانات لتحقيق العدالة ، اذ ان الاعراف والتقاليد السائدة في ذلك الوقت هي التي يحتكم اليها الناس ، وذلك بالرجوع الى التحكيم الاختياري لمحاكمة الاشخاص المعتدين ، فضلاً عن الانتقام الشخصي ، فلم يكن هناك قضاة بالمعنى الذي نعرفه في الوقت الحاضر ، بل كان هناك محكمون يتولون الفصل بين الناس في منازعاتهم ، فضلاً عن ان الاحكام الصادرة من المحكمين كانت مجرد

^١ الطرابلسي ، مصدر سابق ، ص ٢٩٧ .

^٢ محمد حسن النجفي ، جواهر الكلام ، ج ٨ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران ، ص ٢٢٥ .

^٣ الشيخ محمد طه الخاقاني ، المحاكمة في القضاء ، الطبعة الاولى ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت (ع)

، إيران ، ص ١٤ .

^٤ عبد الحي حجازي ، المدخل للعلوم القانونية وفقاً للقانون الكويتي "دراسة مقارنة" ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية الحقوق

، ١٩٧٠ ، ص ٤٢٨ .



آراء استثنائية غير ملزمة لطرفى النزاع^(١).
وبذلك يتضح لنا ان الاحكام الجاهلية لم تكن مستمدة من منهج شرعى سماوى وإنما قائمة على فراغ روحى بل على فساد فى العقيدة وعبادة الاصنام ، لذا فأن تطبيق احكامها كان حسب مكانة الافراد فى المجتمع الجاهلى الذى يفرق بين الناس .
وعندما جاء الاسلام فأنه وضع مبادئ وأسس وقواعد للقضاء ، اذ تشكل هذه الاسس ضمانات للعدالة ونزاهة القضاء وفق احكام الشريعة الاسلامية الغراء ، ومكّن كل خصم من اثبات حقه والدفاع عن نفسه ، كما انه اسند تنفيذ الحكم الى ولى الامر ، او من ينيبه بأستثناء جرائم القصاص ، فلولى الدم ان يقتص من الجاني وتحت اشراف ولى الامر وفى حدود ما يقرره القاضى من عقوبة^(٢).

ويعد القضاء فى الاسلام من فروض الكفاية ، بمعنى اذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقيين ، واذا لم يقم به احد أثم الجميع ، وذلك لان امر الناس لا يستقيم بدونه فكان واجباً عليهم كالجهاد ، والدليل على مشروعية القضاء قوله تعالى "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"^(٣)، وقول النبى محمد ﷺ "اذا اجتهد الحاكم فله اجران ، واذا اخطأ فله اجر"^(٤).

ان الغاية من القضاء هي إقامة العدل ومنع الظلم ، كما ان احكام القضاء تعد عنواناً للحقيقة فلا يجوز المساس بها ، وهكذا يتميز القضاء فى الإسلام بوضع فريد لم تصل إليه الشرائع الحديثة ، كما ان القضاء اصبح مسؤولية كبرى يقع عبئها ليس على عاتق القضاة فحسب ، بل وعلى عاتق الشهود والخصوم أيضاً .

اما فى الوقت الحاضر فقد ازدادت اهمية القضاء ، إذ اولت له القوانين المعاصرة اهتماماً بالغاً وذلك بأصدار تشريعات تنظم عمل السلطة القضائية وممارستها لدورها فى تحقيق العدل بين الناس ، ففي العراق صدر قانون التنظيم القضائى رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩ الذى قسم المحاكم وصنفها حسب اختصاصها ، وعلى رأس هذه المحاكم محكمة التمييز^١ ، هذا ويعد مجلس القضاء الاعلى فى العراق السلطة الادارية العليا المختصة بتنظيم شؤون السلطة القضائية .

يهدف قانون التنظيم القضائى العراقى الى تنظيم عمل القضاء بما يحقق العدل واعداد قضاء مستقل قادر على استيعاب التشريعات وتطبيق القوانين بعدالة^١ ، كما جعل ولاية القضاء تسري على جميع الاشخاص الطبيعية والمعنوية ، العامة والخاصة ، إلا ما

^١ عبد الناصر توفيق العطار ، الوجيز فى تاريخ القانون ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٧٢ ، ص ١٤١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

^٣ سورة النساء ، الآية (٦٥) .

^٤ متفق عليه .

^٥ د.مصطفى ابو زيد فهمى ، فن الحكم فى الاسلام ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٠٤ .

^٦ تسمى محكمة التمييز فى مصر بمحكمة النقض ، وفى تونس بمحكمة التعقيب ، وفى الجزائر والمغرب تسمى بالمجلس الاعلى .

^١ المادة الاولى من قانون التنظيم القضائى رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩ .

استثنى منها بنص خاص^١.

وهكذا اصبح القضاء في الوقت الحاضر جهة مستقلة لا سلطان عليه غير القانون بغية تحقيق العدل بين افراد المجتمع دون تدخل من قبل السلطات الاخرى ، سواء أكانت تشريعية ام تنفيذية ، ولتحقيق استقلال القضاء حرصت الدول على النص في دساتيرها وقوانينها على مبدأ استقلال القضاء ، منها الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ النافذ ، إذ نص في المادة (١٩ / أولاً) على انه "القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون"^٢.

المطلب الثاني: شروط تولي مهنة القضاء في الشريعة والقانون

وضع فقهاء الشريعة الاسلامية جملة شروط لتولي مهنة القضاء ، كما ان المشرع العراقي تولى تحديد الشروط الواجب توافرها فيمن يقبل في المعهد القضائي ليتولى فيما بعد مهنة القضاء ، وهذا ما سنعمل على بيانه في نقطتين فرعيتين :

أولاً : شروط تولي مهنة القضاء في الشريعة الإسلامية :

لما كانت ولاية القضاء من الولايات الهامة وهي امانة في اعناق ولايتها ، فقد تولى فقهاء الشريعة الاسلامية بيان الشروط الواجب توافرها في القاضي ، وهي على نوعين من الشروط ، شروط متفق عليها وأخرى مختلف عليها:

١ - الشروط المتفق عليها لتولي مهنة القضاء :

وهذه الشروط هي : الإسلام ، العقل والبلوغ ، الحرية ، سلامة الحواس ، والعلم بالأحكام الشرعية:

أ - الإسلام : اتفق الفقهاء المسلمون على ضرورة ان يكون القاضي مسلماً ؛ وذلك لان مهمة القاضي الأساسية هي تطبيق احكام الشريعة الإسلامية ، ولا يهتم غير المسلم بأمور المسلمين ، وفي ذلك يذهب ابن القيم الى ان بعض الفقهاء يذهبون الى عدم جواز الاستعانة بغير المسلم ، مستنداً في ذلك بما روي عن النبي محمد ﷺ عندما رفض

الاستعانة بغير المسلم في القتال^٣ ، كما ان الله تعالى يقول في محكم آياته " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"^٤ ، وقوله تعالى ايضاً " وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"^٥ ، فإذا كان جميع الخصوم مسلمين او بعضهم مسلماً والآخر غير مسلم ، فلا يصح ان يتولى الكافر قضاء الاسلام ولا ان يحكم بين المسلم والكافر؛ لأن القضاء هو من اعظم الولايات ، والكافر ليس من اهل الولايات.

ب - العقل والبلوغ : ان الصغير والمجنون والمعتوه لا ولاية لهم على انفسهم ، فمن باب اولى ان لا تكون لهم الولاية على غيرهم ، وذلك لقول النبي محمد ﷺ " رفع القلم

^١ المادة الثالثة من القانون نفسه .

^٢ مبدأ استقلال القضاء منصوص عليه ايضاً في المادة (٢) من قانون التنظيم القضائي .

^٣ ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، احكام اهل الذمة ، مكتبة رمادي للنشر ، الدمام ،السعودية ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٧٨ .

^٤ سورة المائدة ، الآية (٥١) .

^٥ سورة النساء ، الآية (١٤١) .



عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ ، والصبي حتى يشب ، والمعتوه حتى يعقل" ^١ .
ج - الحرية : يقول الله تعالى " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... " ^٢ ،
فالعبد المملوك ليس له الولاية على نفسه ، فلا تتعد ولأيته على غيره ، كما ان الرق
يمنع قبول الشهادة ، فمن باب اولى انه يمنع نفوذ الحكم.
د - سلامة الحواس : من السمع والبصر والنطق ليتمكن القاضي من إداء وظيفته على
اتم وجه ، فيميز بين المتخاصمين ، ويجمع وسائل اثبات الحقوق ، ويحكم بالعدل بينهم .
هـ - العلم بالأحكام الشرعية : يشترط فقهاء المسلمين فيمن يتولى مهنة القضاء ان يكون
عالمًا بالأحكام الشرعية ، ولا يكفيه فتوى العلماء ، وانما يشترط فيه ايضاً الاجتهاد ،
وحجتهم في ذلك ان القضاء اهم من الإفتاء ؛ كونه إفتاءً وإلزاماً ، والمفتي لا يكفي ان
يكون عالماً مقلداً ، فمن باب اولى ان القاضي لا يجوز له ذلك ، مستنديين في ذلك الى
قوله تعالى " وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ.." ^٣ ، وما انزل الله لا يعرفه المقلد بل العالم
المجتهد .

٢ - الشروط المختلف عليها لتولى مهنة القضاء :

وابرز هذه الشروط هو شرط الذكورة ، اذ اختلف الفقهاء المسلمون حول مدى حق
المرأة في تولي مهنة القضاء ، رغم ان الاسلام يكرم المرأة ويضعها في مكانتها اللائقة
، فيكل إليها مهمات عظيمة كراعية البيت وتربية الأولاد ، ولا يكلفها المشقة في السعي
وطلب الرزق ، إلا ان الفقهاء المسلمين لم يتفقوا حول تولي المرأة لمهنة القضاء ،
وأنقسموا في ذلك الى ثلاثة آراء :

أ - الرأي الأول : هو الذي يحرم منصب القاضي على المرأة مطلقاً ، ومجمل هذا
الرأي ان القاضي يجب ان يكون رجلاً ولا يجوز ان يتولى هذا المنصب امرأة ، وهو
رأي جمهور الفقهاء (مالك والشافعي واحمد وابن حنبل) ^٤ ، واستندوا في ذلك الى ادلة
من الكتاب والسنة والإجماع:

-الكتاب : قوله تعالى " الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَيَمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.." ^٥ .

-السنة : قول النبي محمد ﷺ " لن يفلح قوم ولوا أمرهم لإمرأة" ^٦ .

-الإجماع : جمهور الفقهاء اجمعوا على ان المرأة لا تصلح لتولي منصب القضاء مطلقاً
؛ لأن القضاء من الولاية العامة ، كما ان القاضي يحتاج الى مخالطة الرجال من الشهود
والخصوم ، ويخشى على المرأة من هذه المخالطة لما تسببه من الفتنة .

^١ رواه داود في سننه ، ص ٦٤٤ .

^٢ سورة النحل ، الآية (٧٥) .

^٣ سورة المائدة ، الآية (١٩) .

^٤ د.علي فوزي الموسوي حق المرأة في تولي منصب القضاء بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي ، مقالة منشورة في

مدونة المنبر القانوني ، متاح على الموقع الالكتروني <https://www.fichier-pdf.fr/2016/04/03/hak->

Imaraa-fi-tawalli-mansib-ikadi

سورة النساء ، الآية (٣٤) .

^٦ رواه نعيم بن الحارث الثقفي ، المحدث البخاري ، المصدر صحيح البخاري .

ب - الرأي الثاني : يذهب هذا الرأي الذي تبناه الحنفية الى جواز تولي المرأة لمنصب القضاء فيما عدا الحدود والقصاص ؛ وذلك لأن المرأة من اهل الشهادة ، وما دامت تقبل شهادتها فهي من اهل القضاء ، وكل من يصلح ان يكون شاهداً يصلح للقضاء .

ج - الرأي الثالث : ومن اصحاب هذا الرأي ابن حزم والذي يذهب الى جواز تولي المرأة لمهنة القضاء بشكل مطلق ، وأستدلوا في ذلك بالقياس ، فقالوا انه يجوز للمرأة ان تكون مفتية فيجوز لها من باب اولي ان تكون قاضية^١ ، وأستدلوا ايضاً بقول النبي محمد ﷺ "المرأة راعية في مال زوجها وهي مسؤولة عن رعيته"^٢ .

ثانياً : شروط تولي مهنة القضاء في القانون الوضعي :

تولت القوانين الوضعية تنظيم شروط تولي مهنة القضاء ومنها قانون المعهد القضائي العراقي رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٧ الذي وضع عدة شروط للقبول في المعهد القضائي :

- ١ - ان يكون عراقي الجنسية بالولادة .
- ٢ - ان يكون قد اتم الثامنة والعشرين من عمره ، ولا يزيد عمره عن ٤٠ سنة .
- ٣ - ان يكون متمتعاً بالأهلية المدنية وغير محكوم عليه بأي جناية او جنحة مخلة بالشرف .
- ٤ - ان تتوفر فيه الجدارة البدنية واللياقة .
- ٥ - ان يكون متخرجاً من احدى كليات القانون .
- ٦ - لم يسبق فصله من المعهد القضائي لاي سبب كان .
- ٧ - ان يكون له ممارسة لا تقل عن (٣) سنوات في مهنة المحاماة او سنتين في وظيفة قانونية او قضائية .
- ٨ - ان يكون متزوجاً .

ونلاحظ على الشروط السابقة ان المشرع العراقي لم يشترط ان يكون القاضي ذكراً ، وهذا يعني انه يمكن للمرأة ان تتولى مهنة القضاء ، وبالفعل تخرج من المعهد القضائي عدة نسوة تولين مهنة الإدعاء العام والقضاء منذ عام ١٩٥٦ ، عندما تعينت القاضية المرحومة صبيحة الشيخ داود كأول قاضية في العراق ، وهذا الأمر ينحسب إيجابية للقانون العراقي الذي كان سابقاً على باقي الدول العربية في هذا المجال .

المبحث الثاني: ماهية الإلتزامات الإخلاقية للقاضي في الشريعة والقانون

إذا كان القاضي لا يخضع في إداءه لواجباته في الفصل في المنازعات بين الناس لأي سلطة عليا فهو مستقل أستناداً الى مبدأ إستقلال السلطة القضائية المنصوص عليه في أغلب الدساتير وقوانين الدول^١ ، فإنه من جانب آخر يخضع لسلطان القانون وسلطان الضمير ، فهو محكوم بالخضوع لأحكام القانون واخلاقيات المهنة ، فما المقصود

^١ ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المغني ، مكتبة القاهرة ، بدون طبعة ، ١٩٦٨ ، ص ١١/ ٣٨٠ .

^٢ رواه البخاري والترمذي .

^٣ نص المادة ١٩ / أولاً من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ النافذ ، والمادة (٢) من قانون التنظيم القضائي العراقي .



بأخلاقىات القاضى ؟ وما هو مصدر هذه الأخلاقىات ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات سنقسم هذا المبحث الى مطلبين ، المطلب الاول سنخصصه لبيان تعريف الإلتزامات الإخلاقىة للقاضى ومصدر هذه الإلتزامات ، أما المطلب الثانى فسنحدد فى تلك الإلتزامات الإخلاقىة فى الشرىعة والقانون .

المطلب الأول: تعريف الإلتزامات الإخلاقىة للقاضى وبيان مصدرها أولاً : تعريف الإلتزامات الإخلاقىة للقاضى :

الإخلاق هى مجموعة المبادئ والقواعد المجرده التى يخضع لها الإنسان فى تصرفاته ويحتكم إليها فى تقييم سلوكه وتوصف بالحسن والقبح^١ ، فالإنسان يستطيع تعديل إخلاقه وإصلاحها عن طريق التدريب والمحاولة ، كما ان تلك الإخلاق اذ كانت محمودة كان تأثيرها فى السلوك محموداً ، واذا كانت مذمومة كان تأثيرها فى السلوك مذموماً^٢ ، ان ممارسة اى مهنة تتطلب ان يكون من يمارسها متمتعاً بالسلوك والأخلاق الحميدة ومنها مهنة القضاء .

لذا تعرف اخلاقىات القاضى بأنها : مجموعة القيم الإخلاقىة الفاضلة التى يجب ان تظهر على القاضى ، ويلتزم بها حال إدهه لمهنة القضاء ، خاصة ما يتعلق منها بالإستقلالية والحياد والنزاهة والصدق والامانة والشجاعة وغيرها من القيم السامية التى تحقق العدل وتنصف الضعيف وتعطى كل ذى حق حقه^٣ ، تجدر الإشارة الى ان وجود الآداب والأخلاقىات فى مهنة القضاء فى الإسلام هى التى جعلت النظام القضائى الإسلامى افضل النظم على الإطلاق ، فقد أسس النبى محمد ﷺ نظرىة متكاملة وقوية فى القضاء العادل الذى يحق الحق ويزهق الباطل وتبينت تطبيقاته العملىة فى الاحكام التى كان يصدرها المسلمين ، فتستقر بها النفوس ويأخذ كل ذى حق حقه .

ومن هنا تبدو اهمية قواعد إخلاقىات مهنة القضاء فى أنها تحدد للقاضى السلوك القويم الذى ينبغى عليه ان يلتزمه فى القيام بمهنته إزاء المشكلات التى يصطدم بها عند قيامه بالإلتزامات الصعبة التى تتمثل بالحكم العادل فى القضايا المعروضة عليه ، وإنطلاقاً من اهمية الإلتزامات الإخلاقىة للقاضى شعر الكثير من الفقهاء المعاصرين بمدى القيمة الإجتماعىة لتلك الإلتزامات فى الوقت الحاضر ، فالإحاطة والعمل بموجبها اصبحت ضرورة إجتماعىة^٤.

ثانياً : مصادر الإلتزامات الإخلاقىة للقاضى:

ان القاضى كما ذكرنا سابقاً لا يخضع فى عمله لأى سلطة من سلطات الدولة كضمانه لإستقلاله وحياده ونزاهته، الا انه يخضع فى إدهه لواجبه لكل من سلطان

^١ مسفر بن على القحطانى ، إخلاقىات المهنة ، بحث مقدم فى دورة اخلاقىات المهنة المنعقدة فى جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، ٢٠٠٨ ، ص ٥ .

^٢ محمد شرعى ابو زيد ، اخلاقىات المهنة ، بحث منشور على الموقع الإلكترونى sharei.net

^٣ جابر محجوب على ، قواعد اخلاقىات المهنة ، بحث منشور فى مجلة كلية الحقوق ، جامعة الكويت ، السنة الثانية والعشرون ، العدد ٢ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٤٦ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

القانون وسلطان الضمير ، معنى ذلك ان مصادر الإلتزامات الإخلاقية للقاضي تستمد من القانون اولاً والضمير ثانياً.

وكون القاضي يخضع لسلطان القانون في إداءه لواجباته ، فإن ذلك يعني محاسبته على مخالفة القواعد القانونية المنظمة لعمله القضائي ، أياً كان مصدرها الدستور والتشريع العادي كقانون المرافعات وقانون الإثبات .. الخ ، وحتى تكون احكام القانون ملزمة للقاضي فلا بد ان يكون منصوصاً عليها ونافذه ، وهذا يعني ان خضوع القاضي لأحكام القانون يكون محدداً من حيث النطاق والمصدر.

اما سلطان الضمير فيقصد به وجوب ان يؤدي القاضي واجباته القضائية وفقاً لما يتطلبه منه سلطان ضميره عليه ، اي وفقاً لما تتطلبه التزاماته الإخلاقية ، وبذلك تتحول الإلتزامات الإخلاقية للقاضي من مجرد سمات يمدح بها القاضي او يذم الى إلتزامات ملموسة يحاسب عليها القانون إذا ما اخل بأحداها في إداء واجباته^١ ، وهذا ما عبرت عنه بعض القوانين في وجوب ان يكون القاضي حسن السيرة والسلوك ، وهذا يعني ان الإلتزامات الإخلاقية للقاضي تعد شرطاً لقبول المتقدم للعمل في مجال القضاء ، الى جانب المؤهلات الدراسية والشروط الأخرى.

وسلطان الضمير المنصوص عليه في الدساتير والقوانين النافذة لا يعني ضمير القاضي كما يراه كل قاض على حده ، وانما يستمد من مبادئ الشريعة الإسلامية التي أرساها نبينا محمد ﷺ والخلفاء والصحابة (رض) سواء أكانت في صورة تعليمات من الحاكم الى قضاته ام عناصر اساسية فيما اصدره السلف لصالح من أحكام تضمنت تطبيقاً صحيحاً لهذه الإلتزامات^٢ ، وهكذا سعى الإسلام الى ان يبعث الضياء في ضمير القاضي وعقله فتمتلى بالخشية من الله فيكون قاض عادل ويتجلى بأسمى القيم والمبادئ والأخلاق^٣.

تجدر الإشارة الى ان اختلاف وجهات النظر بين قضاة الدرجة الواحدة او الدرجة الأعلى لا ينال من إلتزام القاضي بإخلاقيات مهنته طالما ان هذا القاضي اعمل كافة إلتزاماته الإخلاقية قبل ان يكتب الحكم ويصدره ؛ لانه عندئذ يكون له اجر المجتهد حتى لو خالفه غيره ، ومثال ذلك قوله تعالى " فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ " ، فأختلف وجهات النظر بين سيدنا داود وسيدنا سليمان كان في قضية واحدة ولم يكن ذلك أخلاقاً بمبادئ واحكام الدين ، ولكن اذا اخل القاضي عمداً او اهمالاً بأي من الإلتزامات الإخلاقية فسيحاسب على ذلك ، وإنطلاقاً من هذا المبدأ اشترط السابقون فيمن يتولى مهنة القضاء ان يكون متصفاً بأسمى خصال الإستقامة والنزاهة والحيادية ،

^١ دخيري الكباش ، قراءة في سلطان الضمير والإلتزامات الإخلاقية للقاضي ، بحث منشور في مجلة الأكاديمية للدراسات القضائية ، دائرة القضاء ، ابو ظبي ، العدد الاول ، عام ٢٠١٢ ، ص ٣٠ .

^٢ دخيري الكباش ، المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

^٣ د.مصطفى ابو زيد فهمي ، مصدر سابق ، ص ٥٠٦ .

^٤ سورة الانبياء ، الآية ٧٩ .



متشبعاً بروح العدالة ، مؤمناً بدوره في حراسة الحريات وكفالة تمتع الإنسان بحقوقه^١.
 نستخلص مما تقدم ان بعض الإلتزامات الإخلاقية للقاضي تكون ذات طبيعة فطرية
 تولد معه بميلاده وتنمو بداخله وفقاً لتكوينه الثقافي والبيئي والعقائدي ، وبعضها يكتسبها
 القاضي من طبيعة عمله وملازمته لأساتذته وزملائه طالما كان قابلاً لإكتساب افضل ما
 في غيره ، ويتخلى عن العادات السلبية وآفات النفس البشرية .

المطلب الثاني: تحديد الإلتزامات الإخلاقية للقاضي في الشريعة والقانون

ينبغي على القاضي ان يتحلى بجملة من المبادئ والإخلاقيات عند ممارسته لعمله
 القضائي ، وهذه المبادئ تعد شرطاً لقبوله واستمراره في العمل القضائي ، وبخلافه
 يحاسب ويطرده من عمله ، وعليه سنبين هذه الإلتزامات الإخلاقية بشيء من التفصيل
 ووفقاً للآتي :

أولاً : الإلتزام الإخلاقي الأول (الإستقلال والنزهة) :

ان إستقلال القاضي وإستقلال السلطة القضائية هما مفهومان متكاملان ولازمان
 لصيانة مبدأ الشرعية بغية إشاعة العدل بين المتقاضين ، ان المصدر الأساسي لإستقلال
 القاضي هو شعوره الذاتي بجسامة مهنته والمهمة الملقاة على عاتقه ، وتصميمه على
 الإلتحاق من كل العوامل الضاغطة عليه والرامية الى التأثير على قناعته عند إصدار
 أحكامه ، كما ان إستقلال السلطة القضائية والقاضي هو حق دستوري للمواطنين
 والمتقاضين علي حد سواء ، ويضمن مساواة الجميع امام القانون عن طريق الإلتحاق
 بالقضاء المحايد^٢ .

ومع ان إستقلال القضاة مضمون قانوناً ، إلا ان الحكم الصادر من القاضي بصورة
 مستقلة هو حالة ذهنية وسلوك مهارة يجب ان يتقنها القاضي طيلة مدة ممارسته لمهنة
 القضاء ، ويجب على القاضي فور إستشعاره بإمكانية تعرضه للتأثير والضغوطات أياً
 كان مصدرها ان يلجأ الى الحكم وفقاً لمبدأ تعدد القضاة متى ما اجازت الإجراءات
 القانونية ذلك .

ان مبدأ إستقلال القاضي ونزاهته لم يكن وليد العهد الحديث ، وإنما ضمنت الشريعة
 الإسلامية للقاضي عدة ضمانات تكفل له إستقلاله وتمتعه بالنزاهة عند إصدار الحكم ،
 كما حرصت الشريعة الإسلامية على منح القاضي الوسائل التي تجعله مستقلاً بالرأي
 بعيداً عن تأثير الجهة التي عينته ، وغير خاضع في إداءه لمهامه غير النص ، وفي ذلك
 يقول نبي الرحمة محمد ﷺ لمعاذ بن جبل حين ولاه القضاء في اليمن: " بم تقض يا
 معاذ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فأن لم تجد؟ ، قال : فيسنة رسوله ، قال : فأن لم تجد؟ ،
 قال : أجتهد برأيي ولا آو ، قال ﷺ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي

^١ المستشار محمد حسام الدين الغرياني ، تشريعات السلطة القضائية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، دراسة مقارنة ،
 معهد التدريب والدراسات القضائية ، الإمارات ، ١٩٩٦ ، ص ٥ .

^٢ مجموعة إلتزامات السلوك الإخلاقي للقضاة ، صادرة عن مركز دراسات القانون والعدالة في المجتمعات العربية ، ٢٠١٠ ،
 ص ١ .

رسول الله^١، لقد حمل هذا الحديث الشريف اسمى معاني الإستقلال وارقى صورته، فلم يلزم القاضي بالخضوع سوى للنص الأعلى مرتبة والأكثر إلزاماً، وهذا يعني ان الشريعة الإسلامية الغراء منحت القاضي السلطة الكاملة والأرادة التامة والحرية المطلقة للفصل في المنازعات بعيداً عن المؤثرات التي تتنافى مع استقلاله ونزاهته. اما في الوقت الحاضر فأن التشريعات الدولية المعاصرة اوجبت على القاضي ان يكون مستقلاً، فقد جاء في البند ثالثاً من مشروع الإعلان العالمي لإستقلال القضاء (إعلان سينغفي) " يتعين ان يكون القضاة مستقلين عن زملائهم وروؤسائهم في عملية إصدار الأحكام، مع مراعاة ان اي تنظيم هرمي للسلطة القضائية او اختلاف درجات المحاكم او المرتبة الوظيفية لا يجيز بأي حال من الأحوال التدخل في حق القاضي في إصدار حكمه بحرية"^٢.

ثانياً : الإلتزام الإخلاقي الثاني (التجرد والحياد) :

التجرد حالة ذهنية تعكس الصفاء النفسي لدى القاضي وتتم عن استعداده لممارسة وظائفه مجتنباً الأفكار السابقة، ومستعداً للتحليل المجدي قبل إتخاذ القرار ومترفعاً عن كل منفعة ورافضاً اي مفاضلة بين المتقاضين، أما الحياد فهو وجه من وجوه التجرد وهو ان تؤاسي بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يبأس ضعيف في عدلك، وليس من حق القاضي ان يمارس اي نوع من انواع الإنتقائية فيما يتخذه من قرارات، كما ليس من حقه ان يختار على هواه، او على هوى سواه من المقربين او النافذين او الساعين او المنتفعين^٣.

هذا ويعد مبدأ المساواة بين الخصوم امام القضاء من اهم المبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية بصرف النظر عن اختلاف مكانة كل منهما، فقد روي عن النبي محمد ﷺ انه قال: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة وأثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار"^٤.

ومن اوجه الحياد والمساواة في القضاء الإسلامي عدم تقديم قضية معينة في دورها على قضية أخرى، اذ لم يكن القضاء في صدر الإسلام يعرف مايسمى الآن بجدول القضايا الذي ترتب فيه القضايا بالجلسة، بل كان القاضي يجلس في مجلس القضاء، ويرد إليه الخصوم ليفصل في خصوماتهم، ويذكر الفقه الإسلامي ان من آداب القضاء ان يقوم الخصوم على مراتبهم في الحضور الأول فالأول، لقول النبي ﷺ " المباح لمن

^١ الراوي : اناس من اصحاب معاذ بن جبل ، المحدث : ابن حزم ، المصدر : اصول الأحكام ، ص (٢/٤٣٨) .

^٢ الإعلان العالمي لإستقلال القضاء (إعلان سينغفي) ، متاح على الموقع الإلكتروني

[https://www.refworld.org/cgi-](https://www.refworld.org/cgi-bin/texis/vtx/rwmain/opendocpdf.pdf?reldoc=y&docid=4a78382f2)

<bin/texis/vtx/rwmain/opendocpdf.pdf?reldoc=y&docid=4a78382f2>

^٣ القاعدة الثانية من وثيقة الشارقة حول إخلاقيات وسلوك القاضي المنبثقة عن المؤتمر الحادي عشر لروؤساء اجهزة النقبش القضائي في الدول العربية المنعقدة في الشارقة عام ٢٠٠٧ .

^٤ رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه .



سبق إليه ، وإن انتبه عليه حالهم أستعمل القرعة فقدّم من خرجت قرعته^١ ، ومن أوجه حياذ القاضي في الإسلام ايضاً عدم صلاحية القاضي الذي له علاقة مودة بأحد الخصمين ، إذ عني الفقه الإسلامي بإبعاد القاضي عن أية شبهة يمكن ان تؤثر في حياذه ، مثال على ذلك عدم جواز قبول القاضي لهدية من اي خصم اذا كان يلحقه في ذلك تهمة او شبهة .

ثالثاً : الإلتزام الإخلاقي الثالث (الإبتعاد عن الغضب) :

لعل من أبرز المؤهلات النفسية التي يجب ان يتحلّى بها القاضي هو قدرته على التحكم بعواطفه وعدم الغضب والثقة بالنفس والإناة والحلم ، كما يجب ان يكون القاضي بشوشاً في وجه المتقاضين اثناء جلسة الحكم ، فضلاً عن سعة صدره لسماع المتقاضين ، وعدم غضبه من طول وقت المرافعة ، فهذه الإخلاقيات يجب توافرها فيمن يعتلي مجلس القضاء للحكم بين الناس بالعدل .

وقد حرصت الشريعة الإسلامية على ان تكفل التوازن العقلي للقاضي الذي يجعله يدرك ابعاد الحقيقة بسهولة ويسر دون سائر من ضباب الغضب يحجبها الخوف من بطش بعض الأقوياء يجعل الميزان يرتعش بين يديه^٢ ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ " لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان"^٣ ، وبذلك نهى الرسول ﷺ عن اصدار الحكم في حالة الغضب لما يسببه من تغير عقلي يعتل معه النظر الصحيح الى الأمور ، وقد أجمع الفقهاء المسلمون على ان هذا النهي لا يقتصر على الغضب وحده ، وإنما يمتد الى كل ما يؤثر في التوازن العقلي للقاضي ، كالجوع او العطش او المرض الشديد او غلبة الناس وغيره^٤ .

رابعاً : الإلتزام الإخلاقي الرابع (البصيرة والرحمة والفتنة) :

ان الرحمة تعني العدالة والأخيرة تعني وجوب مراعاة ملابسات وظروف كل واقعة على حده حتى لو تشابه التكيف او الوصف القانوني للوقائع التي تعرض على القاضي ، فيجب على القاضي ان يبصر كل ذلك بالفهم الصحيح وأحاساس سليم بفراسة المؤمن الذي يرى بنور الله ، ولا يأخذ ماضي المتهم في الإعتبار عند القطع بأدانتته من عدمه ، وإنما يأخذ ذلك بعين الإعتبار عند تقدير العقوبة ، وهنا تتأكد بصيرته التي هي عقل وإدراك وفتنة ونظر الى خفايا الأشياء ، فيكون في ذلك ممارساً لعمله القضائي بيده وعقله وقلبه في آن واحد ، وفي ذلك يقول الله تعالى " أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"^١ ، وتعد الرحمة والبصيرة من ابرز السمات الإنسانية بشكل عام فكيف

^١ الكاساني ، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ ، ص ١٣ .
^٢ د.مصطفى ابو زيد فهمي ، مصدر سابق ، ص ٥٠٩ .
^٣ رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه .
^٤ د.مصطفى ابو زيد فهمي ، مصدر سابق ، ص ٥٠٩ .
^١ سورة الحج ، الآية (٤٦) .

بالقاضي الذي يحكم بين أطراف النزاع ، وفي ذلك يقول رسول الله محمد ﷺ "الراحمون يرحمهم الرحمن ، إرحموا اهل الأرض يرحكمكم من في السماء"^١ . والإسلام يريد كذلك من القاضي ان يكون كيساً فطناً ، فالقضاء مهمة شاقة تتطلب قدراً كبيراً من الذكاء والإقتدار ، فالقاضي يجب ان يكون عميق الفهم لمسائل الأمور ، اذ ان القضاء في الإسلام ليس مجرد إمام بمبادئ القانون ، وإنما هو اعمق من ذلك وأكبر ، إنه فهم عميق وإقتدار ، فالإسلام لا يرتضي لحاكم يحكم بين البشر ان يكون ضعيفاً ، ساذجاً^٢ ، فالمبدأ الأساسي بالنسبة للحكام والقضاة على حد سواء قوله تعالى " إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"^٣ .

خامساً : الإلتزام الإخلاقي الخامس : العلم والتواضع :

ان العلم القانوني هو بحر محيط يجب ان ينهل القاضي منه دائماً ، فمما لا شك فيه ان القاضي رجل علم ، وعلى رجل العلم ان يكون ذا أهلية لممارسة مهامه في الحقل الذي أختاره لعمله ، وأهلية القاضي العلمية تفترض امتلاكه للمعارف الكافية والمناسبة لممارسة عمله القضائي على افضل وجه^٤ ، ويرى كثير من المختصين في السلوك القضائي ان التواضع من السمات الملازمة للقاضي أينما حل وأينما تواجد ، اذ ورد ذكر فضل التواضع في القرآن الكريم والنهي عن الكبر في آيات عديدة منها قوله تعالى " وَكَأ تَصْعَرُ حَذَّكَ لِلنَّاسِ وَكَأ تَمُشُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"^٥ ، فالتواضع هو من السمات الأساسية للقاضي ، اذ ينبغي عليه عدم الإستعلاء والبساطة في التعامل مع الآخرين وتجنب الغرور والتكلف والرياء ، فالبساطة هي سبب من اسباب قوة الشخصية التي تمهد لإتخاذ الموقف المؤاتي والقرار الصائب ، كما ويجب ان يتحلّى القاضي بالتواضع العلمي ، فالعلم القانوني بحر فلا يجوز للقاضي ان يكتفي بما حصله من المعارف وما عالج من المسائل، بل ان يسعى الى إكتساب المزيد مهما أتسعت ثقافته وتجاربه، من جانب آخر هناك أمر مهم يجب على القاضي ان يتنبه إليه، ألا وهو الإبتعاد عن المجاهرة بصفته القضائية (عدم إستخدام النفوذ) او التصدر في تعامله مع الآخرين كي يظفر بالتقدير تباهاً يسيء لمركزه والى معاملة من يخالطهم معاملة الرئيس للمرووس او الى استغلال موقعه لإنجاز معاملة خاصة، بما يعود بالنفع عليه او على افراد أسرته، وان يحسن مخاطبة المحامين والمتقاضين والمعاونين وسائر الذين يحتك بهم، ومجتنباً المباهاة بقدراته ومنصبه^٦ ، وقد جاء في وثيقة الشارقة الخاصة بإخلاقيات وسلوك القاضي " إن هالة القاضي في نهاية المطاف ، لا تتكون بفعل

^١ رواه الامام احمد وابو داود والترمذي ، وصححه الألباني .

^٢ د.مصطفى ابو زيد فهمي ، مصدر سابق ، ص ٥١٣ .

^٣ سورة القصص ، الآية ٢٦ .

^٤ القاعدة السادسة من وثيقة الشارقة حول إخلاقيات وسلوك القاضي .

^٥ سورة لقمان ، الآية (١٨) .

^٦ د.سالم روضان الموسوي ، تواضع القاضي ، مقال منشور على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٤ ومتاح على الموقع الإلكتروني:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=521785>



أصطناع المواقف، بل بفعل البساطة العميقة التي تنتشر ظلالتها عليه وتجعله محطاً لأنظار الناس ، ولأعجابهم به وبالقضاء"^(١).

سادساً : الإلتزام الإخلاقي السادس (الإلتزام التحفظ) :

يُقصد بالإلتزام التحفظ أمتناع القاضي عن التصريح الذي يؤدي الى خلق الشك حول إستقلاله وحياده متى أرتبط بمهامه القضائية ، إذ ان القاضي رغم تمتعه بحرية التعبير عن آراءه كأبي مواطن عادي إلا إنه يتعين عليه دائماً عند ممارسته لتلك الحقوق ان يتصرف بشكل يحافظ فيه على هيبة المنصب القضائي وحياد السلطة القضائية وإستقلالتها ، وقد نص دستور العراق لعام ٢٠٠٥ في المادة (٩٨) منه على هذا الإلتزام بقوله "يحظر على القاضي وعضو الإدعاء العام ما يأتي : أولاً الجمع بين الوظيفة القضائية والوظيفيتين التشريعية والتنفيذية او اي عمل آخر ، ثانياً : الإلتزام الى اي حزب او منظمة سياسية او العمل في اي نشاط سياسي" ، كما اوجبت المادة (٧/أولاً) من قانون التنظيم القضائي العراقي^(٢) على القاضي ان يحافظ على كرامة القضاء والإبتعاد عن كل سلوك يبعث الريبة في إستقامته وتجنب القيام بأي عمل لا يتألف ومكانة القضاء ، ومنع القاضي أيضاً من مزاوله التجارة او اي عمل لا يتفق ووظيفة القضاء.

مما لا شك فيه ان إبداء القاضي لأراءه السياسية لا ينسجم مع طبيعة عمله كقاضي، إذ قد يؤدي به الى الميل لمصالح من يتوافق معه سياسياً ، كما ان ظهور القضاة بوسائل الإعلام المرئية او المسموعة او المقروءة او عبر مواقع التواصل الإجتماعي وتوجيه الإنتقادات في القضايا السياسية او قرارات الحكومة يشكل تعارضاً مع حيادهم وإستقلالهم.

سابعاً : الإلتزام الإخلاقي السابع (الشجاعة الأدبية) :

ان الشجاعة الأدبية من الأركان اللازمة لعمل كل فرد مُنح السلطة بموجب القانون، كما وتعد من مزايا القاضي الذي لا مفر له من مواجهة المشقات ، فالشجاعة الأدبية هي الجرأة التي تدفع القاضي الى حسم المواقف وإتخاذ القرار بالرغم من ظروف توشك ان تضعه في مواضع التردد او الخشية او الإنصياع ، فهي صلابه تجعل القاضي لا يتلثم لسانه ولا يتأثر قلمه ولا يقلق ضميره بعد ان يكون الرأي الصواب ، فالقاضي الشجاع هو الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم^(٤).

ان صفة الشجاعة كانت من ابرز الصفات التي يتمتع بها القضاة في عصر بداية الإسلام ، كان هناك قضاة يخشون الله تعالى ويراعون العدل وكانت كلمة الحق تخرج من افواههم ، فكانوا دليلاً حياً على وجود نور الخير في القلوب مهما تكاثفت الظلمة ، ونعطي مثال على القضاة الشجعان في تاريخنا الإسلامي ، القاضي شريح بن قيس بن

^١ القاعدة السادسة من وثيقة الشارقة حول إخلاقيات وسلوك القاضي

^٢ القرار (٤٠/٣٢) البند ثامنًا من مبادئ الأمم المتحدة بشأن إستقلال السلطة القضائية لعام ١٩٨٥ .

^٣ قانون التنظيم القضائي العراقي رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩ المعدل النافذ .

^٤ الشرعة اللبنانية لإخلاقيات وسلوكيات القضاة الصادرة عام ٢٠٠٥ .

الجهم الكندي الذي كان له موقف مع الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) حينما حصل نزاع مع يهودي على درع فأحتكما الى القاضي (شريح) ، واراد الإمام علي (عليه السلام) ان يُشهد ابنه الحسن (عليه السلام) بأن الدرع درعه ، لكن القاضي رد عليه بأن شهادة الابن لا تجوز ، فرد عليه الاما علي (عليه السلام) : سبحان الله رجل من اهل الجنة لا تجوز شهادته ، فرد عليه شريح : يا أمير المؤمنين ذلك في الآخرة ، اما في الدنيا فلا تجوز شهادة الابن لأبيه ، فقال : صدقت ، فقال اليهودي متعجباً : امير المؤمنين قدمني الى قاضيه ، وقاضيه يقضي عليه ، فأعترف ان الدرع درع الامام علي (عليه السلام) ، وانه سقط منه ليلاً فأهداه له الامام علي (عليه السلام) .
ولعل من ابرز مظاهر الشجاعة الأدبية للقاضي كما ورد في وثيقة الشارقة بشأن سلوكيات واخلاقيات القاضي تتمثل بما يأتي^٢ :

^١ رواه البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ١٣٦ .
^٢ القاعدة الخامسة من وثيقة الشارقة .

المصادر :

اولاً: القرآن الكريم.

ثانياً : الكتب الفقهية :

- ١ - ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المغني ، مكتبة القاهرة ، بدون طبعة ، ١٩٦٨ .
- ٢ - ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، احكام اهل الذمة ، مكتبة رمادي للنشر ، الدمام، السعودية ، ١٩٩٧ .
- ٣ - ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الاتصاري ، لسان العرب ، ١٤ جزء ، دار صادر بيروت ، ج٥ ، ١٩٥٦ .
- ٤ - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ٢٠٠٣ .
- ٥ - الزبيدي ، ابو الفيض محمد مرتضى الواسطي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، مصر ، ١٨٠٦ .
- ٦ - الطرابلسي ، الشيخ ابو علي الفضل بن الحسين ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٥ مجلدات و ١٠ اجزاء ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠ .
- ٧ - الكاساني ، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ .
- ٨ - محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، مطبعة مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الجديدة ، ١٩٩٥ .
- ٩ - محمد حسن النجفي ، جواهر الكلام ، ج٨ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران .
- ١٠ - د.مصطفى ابو زيد فهمي ، فن الحكم في الاسلام ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٣ .

ثالثاً : الكتب القانونية :

- ١ - عبد الحي حجازي ، المدخل للعلوم القانونية وفقاً للقانون الكويتي "دراسة مقارنة" ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية الحقوق ، ١٩٧٠ .
- ٢ - عبد الناصر توفيق العطار ، الوجيز في تاريخ القانون ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٧٢ .



١ - **سطوة الضمير والحكمة** : قد يكون القاضي في موقف حرج ، من حين الى حين ، ولأسباب شتى ، وقد يتعاطم الإحراج بالنظر الى الخصوصيات السلبية التي تطبع مجتمعاً ما ، كالروابط العائلية والانتماآت الطائفية والمناطقية وسطوة المال ، ففي اكثر اللحظات حرجاً لا يصح للقاضي ان ينسى ان القرار بيده والقلم بيده فليكتب ما يمليه عليه القانون وضميره .

٢ - **عدم التردد في إعلان الحق والثقة بالنفس** : فعلى القاضي ان يكون شجاعاً جريئاً في حسم المواقف وإتخاذ القرارات والإبتعاد عن التردد والخشية ، ويمكن ان يعزز الثقة بنفسه عبر الشعور بأنه هو الأقوى ولا مجال لإضعافه.

٣ - **إتخاذ عمل القضاة الكبار والفقهاء مرجعاً له** : فعلى القاضي ان يقتدي بالقضاة

٣- محمد حسام الدين الغرياني ، تشريعات السلطة القضائية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، دراسة مقارنة ، معهد التدريب والدراسات القضائية ، الإمارات ، ١٩٩٦ .

٤- محمد طه الخاقاني ، المحاكمة في القضاء ، الطبعة الاولى ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت (ع) ، ايران.
رابعاً : البحوث والمقالات :

١- جابر محبوب علي ، قواعد اخلاقيات المهنة ، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق ، جامعة الكويت ، السنة الثانية والعشرون ، العدد ٢ ، ١٩٩٨ .

٢- د.خيري الكباش ، قراءة في سلطان الضمير والإلتزامات الإخلاقية للقاضي ، بحث منشور في مجلة الأكاديمية للدراسات القضائية ، دائرة القضاء ، ابو ظبي ، العدد الاول ، عام ٢٠١٢ .

٣- د.سالم رمضان الموسوي ، تواضع القاضي ، مقال منشور على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٤ ومتاح على الموقع الإلكتروني

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=521785>:

٤- د.علي فوزي الموسوي حق المرأة في تولي منصب القضاء بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي ، مقالة منشورة في مدونة المنبر القانوني ، متاح على الموقع الإلكتروني:

<https://www.fichier-pdf.fr/2016/04/03/hak-lmaraa-fi-tawalli-mansib-lkadi>

٥- مسفر بن علي القحطاني ، إخلاقيات المهنة ، بحث مقدم في دورة اخلاقيات المهنة المنعقدة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، ٢٠٠٨ .

٦- محمد شرعي ابو زيد ، اخلاقيات المهنة ، بحث منشور على الموقع الإلكتروني sharei.net .
خامساً : القوانين المواثيق الدولية :

١ - الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ النافذ

٢ - مبادئ الأمم المتحدة بشأن إستقلال السلطة القضائية لعام ١٩٨٥ .

٣ - قانون المعهد القضائي العراقي رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٧

٤ - قانون التنظيم القضائي رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩ .

٥ - الشرعة اللبناية لإخلاقيات وسلوكيات القضاة الصادرة عام ٢٠٠٥ .

٦ - وثيقة الشارقة حول إخلاقيات وسلوك القاضي المنبثقة عن المؤتمر الحادي عشر لروؤساء أجهزة التفتيش القضائي في الدول العربية المنعقدة في الشارقة عام ٢٠٠٧ .

٧ - مجموعة التزمآت السلوك الإخلاقي للقضاة الصادرة عن مركز دراسات القانون والعدالة في المجتمعات العربية ، ٢٠١٠

الأكثر كفاءة والأكثر خبرة في مجال القضاء .

٤ - **المواجهة الشجاعة** : ان التخلص من الحرج لا يكون بأستتكاف القاضي عن النظر في القضية المعروضة عليه عن طريق التنحي لأستشعار الحرج ، رغم ان هذه الطريقة متاحة في القانون ، ولكن يجب ان تكون لسبب جدي لا لمن يخشى التصدي للمساءلة بالنظر الى سطوة طرف من اطراف الدعوى ، فهنا تظهر الشجاعة الأديبية للقاضي بالتصدي لهذه القضية والمواجهة لها .

تلك هي ابرز الإلتزامات الإخلاقية التي يجب ان يتحلى بها القاضي ، إخلاقيات كانت الشريعة الإسلامية سباقة في النص عليها وتطبيقها على ارض الواقع لتأتي بعد ذلك القوانين الوضعية لتتنص عليها بشكل أو بآخر في التشريعات الوطنية او الدولية.

الخاتمة

في نهاية بحثنا الموسوم (إخلاقيات القاضي في الإسلام " دراسة مقارنة بالقانون الوضعي) توصلنا الى جملة من النتائج والمقترحات ، سنبينها على النحو الآتي :

أولاً: النتائج :

١ - اولت الشريعة الإسلامية أهتماماً بالغاً بتنظيم مرفق القضاء ، وأعتبرت ممارسة مهنة القضاء من فروض الكفاية ، بمعنى اذا قام به بعض المسلمين سقط عن الآخرين ، واذا لم يقم به الجميع أثموا جميعاً ، كما ان القوانين المعاصرة نظمت مهنة القضاء بقوانين خاصة ، منها العراق الذي وضع قانون التنظيم القضائي رقم ١٦٠ لسنة ١٩٧٩ لتنظيم كل ما يخص عمل القاضي وإلتزاماته.

٢ - هناك عدة شروط لتولي مهنة القضاء في الشريعة الإسلامية ، ففي الشريعة الإسلامية هناك شروط متفق عليها وأخرى مختلف عليها ، الشروط المتفق عليها تتمثل بالعقل والبلوغ والحرية وسلامة الحواس والعلم بالأحكام الشرعية ، في حين الشروط المختلف عليها فأن ابرزها هو شرط الذكورة .

٣ - تُعرف إخلاقيات مهنة القضاء بأنها مجموعة من القيم الإخلاقية التي يجب ان تظهر على القاضي عند ادائه لمهنته ، فكما هو معروف ان القضاء مهنة شريفة توجب على القاضي ان يتحلى بمجموعة من المبادئ والإخلاقيات لتتنصف الضعيف وتعطي كل ذي حق حقه .

٤ - ان مصادر الإلتزامات الإخلاقية للقاضي تتمثل بسلطان القانون وسلطان الضمير ، فسلطان القانون يوجب على القاضي الإمتثال لقواعد القانون اياً كان مصدرها كالدستور والتشريع العادي . وخضوع القاضي لأحكام القانون يشترط فيه ان يكون محدداً من حيث النطاق والمصدر ، اما سلطان الضمير فيقصد به وجوب ان يؤدي القاضي عمله وفقاً لما يتطلبه سلطان ضميره عليه ، اي وفقاً لما تتطلبه الإلتزامات الإخلاقية .

٥ - تتعدد الإلتزامات الإخلاقية للقاضي في الشريعة الإسلامية والقانون ، وتتمثل بالإستقلال والنزاهة والتجرد والحياد وعدم تغليب العاطفة والإبتعاد عن الغضب والفتنة والذكاء والبصيرة والرحمة ، فضلاً عن إلتزام التحفظ عن ابداء آراءه السياسية او



الخاصة لضمان حياده تجاه الخصوم، وتمتعه بالشجاعة الأدبية التي توجب على القاضي بعدم التردد في اعلان الحق والثقة بالنفس واتخاذ عمل القضاة السابقين له وآراء الفقهاء مرجعاً له .

ثانياً : المقترحات :

ندعو المشرع العراقي الى الأخذ بالمبادئ السامية والقواعد الإخلاقية التي جاء بها تراثنا الإسلامي ومراعاتها في تنظيم الشروط والمتطلبات اللازمة لتسليم منصب القضاء ، ضمن نصوص قانون التنظيم القضائي ، كون هذا المنصب يتطلب قواعد سامية وشروط صارمة من الناحية الإخلاقية تجد مصدرها الرئيس ان لم نقل الوحيد في مبادئ الشريعة الإسلامية ، فضلاً عن ذلك فإن القانون المدني العراقي يتطلب من القاضي ان يكون ملماً بمبادئ الشريعة الإسلامية كونها مصدراً من مصادر القانون التي يلجأ اليها عند فض المنازعات المعروضة عليه.



رسالة في مصنفات السيد حسن صدر الدين (ن ١٣٥٤هـ) عرض ودراسة

م.م. حسين هليب نجم الشيباني
مريية تربية لربلاء

الملخص:

عُرِف السيد حسن صدر الدين الكاظمي بنبوغه العلمي، وهمتة العالية في الدراسة والتدريس والتأليف؛ فقد ترك من المؤلفات أكثر من مائة عنوان في الكثير من المعارف والعلوم؛ كالفقه، والأصول، والكلام، والأخلاق، والحديث، والدراية، والنحو، والتاريخ، وغيرها، وقد تنوعت تلك المؤلفات من حيث حجمها؛ بين الموسوعات والرسائل الصغيرة.

ونظراً لكثرة مؤلفاته وأهميتها طلب منه بعض الأعلام أن يصنف رسالة فيها، فامتثل السيد الصدر لطلبه، فوضع رسالة استعرض فيها ما ألفه؛ شملت (٨٨) عنواناً لغاية سنة (١٣٣٨هـ)، علماً أنه استمر بالتأليف حتى قبيل وفاته رحمه الله.

تتضمن الرسالة - موضوع الدراسة - موضوعاً تراثياً مهماً؛ كونه يرتبط بعالم التأليف والمؤلفات، تُبصر المطالع والباحث بطبيعة مؤلفات السيد حسن صدر الدين وأهميتها، كما تكشف عن ملامح النشاط العلمي لأعلام الحقبة التي عاشها المؤلف. وتتناول هذه الدراسة ترجمة مقتضبة للمؤلف، وعرضاً موجزاً لموضوع الرسالة وأهميتها، وسبب تأليفها، وإثبات صحة نسبتها للمؤلف، وعرض النسخ الخطية الأربعة للرسالة، والوقوف على نسبة الاختلاف فيما بينها، وعرض منهج المؤلف فيها.

Abstract

Mr. Hassan Sadr Al-Din Al-Kazemi was known for his scientific genius and the high interest in studying, teaching, and writing. He left of his authored books more than a hundred titles in many knowledge and sciences, Such as Jurisprudence, Fundamentals, Speech, Ethics, Hadith, Aldiraya (Find out whether the al Riwaya is true or weak), Grammar, History, and others. And these authored varied in terms of their size, Between encyclopedias and small letters.

And due to a large number of his books and their importance, some significant figures asked him to classify a message (The thesis) in it, so

Mr. Sadr complied with the request, and he put a letter in which he reviewed what he had written (authored); it included (88) titles until the year (1338 AH), noting that he continued writing until shortly before his death, may Allah have mercy on him.

The thesis -the subject of the study- includes an important heritage topic; Being related to the world of authorship and literature, the reader and researcher insight into the nature and importance of Sayyid Hassan Sadr al-Din's writings, as well as the features of the scholarly activity of the figures of the author's period in which the author lived.

This study deals with a brief translation of the author, a brief presentation of the essence of the message (the thesis) and its importance, the reason for its authorship, prove the authenticity of its attribution to the author, displayed the four transcripts of the letter, and presenting the author's approach in it.

تقديم:

لا يخفى على كلّ ذي لبّ منصف أنّ ما أنتجته الحضارة الإسلامية من موروثٍ علميٍّ وثقافيٍّ فاقت به الأمم الأخرى كمّاً ونوعاً، وما ذلك إلّا بجهود أولئك الأعلام الذين بذلوا الغالي والنفيس، وفطموا أنفسهم عن ملذات الحياة، وجابوا البلدان، طلباً للعلم، وسعيّاً لتحصيله، وتمخّض عن تلك المساعي الجادّة نهضة علمية بزغ نورها وطال شعاعها كلّ أرجاء المعمورة.

وكان من ثمار هذه النهضة كم هائل من التراث العلميّ في مختلف العلوم والمعارف، وهذا التراث ملاً رفوف المكتبات العامّة والخاصّة، ليس في بلدان العالم الإسلاميّ فحسب، بل لا تكاد تخلوا مكتبة من مكتبات العالم من أثر إسلاميٍّ؛ لسعة انتشاره وأهميته.

وقد توارث العلماء هذا التراث خلف عن سلف، فحفظوه وحافظوا عليه، بل زادوا عليه تأليفاً، وشرحاً، وتعليقاً، واختصاراً، وما زال مداد العلماء يسودّ الصحائف علوماً إسلامية متجددة.

وكان السيّد حسن صدر الدين الكاظميّ (ت ١٣٥٤هـ) من بين أولئك العلماء الذي ساهموا بإثراء المكتبة الإسلاميّة بكمّ كبير من المصنّفات التي تجاوزت المئة مصنّف في الكثير من العلوم الإسلاميّة، ونظراً لأهميتها طلب منه بعض الأعلام أن يُصنّف رسالة فيها، فامتثل السيّد الصدر لطلبه، فوضع رسالة استعرض فيها ما ألفه، وكون هذه الرسالة ترتبط بعالم التأليف والمؤلفات، وتكشف عن ملامح النشاط العلميّ لأعلام الحقبة التي عاشها المؤلّف؛ عمدنا إلى عرضها ودراستها في هذا البحث المتواضع. وقد اشتمل البحث على محورين رئيسيين هما، المؤلّف، ثم الرسالة، وإليك سيدي القارئ تفصيل ذلك.



أولاً: المؤلف

حياته:

إن سيرة السيّد حسن صدر الدين في أغلب تفاصيلها لم تعد خافية على أهل الفنّ وأرباب العلم؛ نظراً لما سَطُرَ عنه في كتب التراجم^(١)، ومقدّمات تحقيق كتبه التي حُقِّقت، فضلاً عن ترجمته لنفسه بقلمه سواء تلك التي سطرها على نسخة كتابه (تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام)^(٢)، أو تلك التي ضمّنها في كتابه (تكملة أمل الأمل)^(٣)، وعليه سأكتفي هنا بإيراد لمحة مختصرة عن حياته مع بعض الجوانب التي تتعلّق بموضوع البحث.

هو أبو محمّد السيّد حسن صدر الدّين ابن السيّد هاديّ ابن السيّد محمّد عليّ ابن السيّد صالح ابن السيّد محمّد ابن السيّد إبراهيم شرف الدّين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(٤)، العامليّ الأصل، الكاظميّ المولد، والمسكن، والمدفن.^(٥)

وُلِدَ سنة (١٢٧٢هـ)، ونشأ في أحضان والده العالم الكبير السيّد هاديّ الصّدّر نشأةً علميّةً منذ نعومة أظفاره، إذ حرص على أن يربيّه تربيّةً تؤهّله لارتقاء المراتب العالية في العلم، والفضيلة، والأدب، ولم تكن لهذه العناية وحدها هذا الأثر العظيم؛ بل لفطرته الساميّة أيضاً التي نزعت إلى طلب العلم، وتحصيل الفضل.^(٦)

أخذ صاحب العنوان علوم الأدب من الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، واللغة، عن جماعة من الأجلّاء كالشيخ باقر ابن الشيخ محمّد حسن آل ياسين (ت ١٢٩٠هـ)، والسيّد باقر ابن السيّد حيدر (ت ١٢٩٧هـ)، وغيرهما، وأتمّ سطوح الفقه، والأصول في الكاظميّة على والده وغيره.^(٧)

رحل إلى مدينة النجف الأشرف سنة (١٢٨٩هـ)؛ لإكمال دراسته فيها، فحضر في الحكمة والكلام على الميرزا باقر الشكّيّ (ت ١٢٩٠هـ)، والشيخ محمّد تقي الكلبايكانيّ (ت ١٢٩٣هـ)، وأخذ الفقه والأصول عن جماعة من تلامذة صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ)، والشيخ مرتضى الأنصاريّ (ت ١٢٨١هـ)، حتى نبغ بين أقرانه، وأشير إلى فضله، وشهد له أساتذته بالاجتهاد.^(٨)

ثمّ رحل إلى مدينة سامراء سنة (١٢٩٧هـ)، والتحق بركب المجدّد الشيرازيّ وانضمّ إلى تلامذته، وعكف معهم على الاستفادة من علومه، ثمّ تصدّى فيها للتدريس حتى خروجه منها سنة (١٣١٤هـ).^(٩)

(١) ينظر مثلاً: القميّ، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، ج ١، ص ٢١٩؛ شرف الدين، بغية الراغبين، ج ١، ص ٢٩٨-٣٦٢؛ الطهرانيّ، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٤٥-٤٤٩؛ النقويّ، أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات، ص ١٩-٢٦.

(٢) نُشرت في مجلة (تراث الشيعة)، العدد ٥، ص ١٢٨.

(٣) ينظر: الصدر، تكملة أمل الأمل، ج ١، ص ١١٤ - ١٢٢.

(٤) ينظر: الصدر، تكملة أمل الأمل، ج ١، ص ١١٤.

(٥) ينظر: النقويّ، أقرب المجازات، ص ١٩.

(٦) ينظر: الغريابويّ، مقدّمة تحقيق كتاب (نهاية الدراية)، ص ٤٧.

(٧) ينظر: الطهرانيّ، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٤٦.

(٨) ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٥.

(٩) ينظر: الصدر، ترجمته بقلم يده (مخطوط).

رجع بعد تلك الرحلة إلى مسقط رأسه الكاظمية عالماً، بارعاً، قد أحاط بالكثير من العلوم وأتقنها، فصارت له مرجعية في العلم والفضل، وحضر عليه كثير من أهل الفضيلة، وأخذوا عنه العلم والرواية.^(١)

توفي رحمه الله تعالى في بغداد (١١) ربيع الأول سنة (١٣٥٤هـ)، وكان لوفاته أثراً كبيراً، ووقفاً خطيراً في النفوس جميعاً، وقد شيع جنازته إلى الكاظمية آلاف الناس من جميع الطبقات، ودُفن بجوار جدّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وإلى جانب والده في الحجرة الثانية على يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب المراد، وقد أرّخ وفاته وراثه العديد من الشعراء.^(٢)

مكتبته وآثاره العلميّة:

عُرِف السيّد الصدر بولعه الشديد بالكتب وجمعها، فقد نتج عن ذلك مكتبة عامرة عُدّت من كبرى المكتبات العراقية^(٣)، بل أنّ ما تضمّنته من نفائس المخطوطات والكتب النادرة جعل خبرها يطوف في البلدان، حتى عدّها جرجي زيدان في طليعة مكتبات العراق، ووصفها بقوله: ((قد حوت من نفائس المخطوطات اللغوية، والتاريخية، والشعرية ما لا مثيل له، وربما وُجد عنده أربعة أو خمسة كتب هي اليتيمة في البلاد كلها))^(٤).

وقد اعتنى السيّد الصدر رحمه الله بمكتبته فوضع لها فهرساً سمّاه: (الإبانة عن كتب الخزانة)، وكذلك فعل نجله السيّد عليّ، فوضع فهرساً أيضاً لمكتبة والده أسماه (إبانة الوسن عن مكتبة أبي محمّد الحسن).^(٥)

ولعلّ تقارب اسم الكتّابين، واتحاد موضوعهما، هو ما أوهم الشيخ آغا بزرك الطهراني، إذ عدّهما كتاباً واحداً تحت عنوان: (الإبانة عن كتب الخزانة)، ونسبه إلى السيّد عليّ الصدر بقوله: ((الإبانة عن كتب الخزانة: فهرس لخزانة كتب سيّدنا العلامة الكبير أبي محمّد الحسن صدر الدين طاب ثراه، جمعه ولده العلامة السيّد عليّ، وهو جزءان: الأول مرتّب على ترتيب العلوم، والثاني على ترتيب الحروف، كلاهما غير تامين)).^(٦)

وأشار إليه أيضاً عند ذكره لكتاب الحقيبة - وهو من تأليف السيّد عليّ الصدر - بقوله: ((ومرّ له في (ج ١- ص ٥٦) كتاب الإبانة عن كتب الخزانة وأنه أيضاً غير تام)).^(٧) مع العلم أن نسبة كلا الكتّابين لمؤلفيهما مثبتة في صدريهما، وهذا ما يستدرك به على الذريعة.

(١) ينظر: حرز الدين، معارف الرجال، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: شرف الدين، بغية الراغبين، ص ٣١٢-٣١٣؛ الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ج ٢، ص ٨٠٢.

(٣) ينظر: دنيا، مقدّمة تحقيق كتاب (الشيعة وفنون الإسلام)، ص ٢١.

(٤) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٥) صدر الكتاب عن قسم المعارف للشؤون الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة، سنة ١٤٤٠هـ، بتحقيق السيّد جعفر الأشكوري.

(٦) الطهراني، الذريعة، ج ١، ص ٥٦، رقم ٢٨٦.

(٧) الطهراني، الذريعة، ج ٧، ص ٤٧، رقم ٢٤٣.



وقد تميّز السيد الصدر بنبوغه العلمىّ الذي اكتسبه نتيجة البيئة الصالحة التي نشأ وترعرع فيها، فضلاً عن الباعث الذاتي، ذلك الباعث النابع من فطرته السليمة المتمثل بجده واجتهاده في طلب العلم، وارتقاء مدارج الفضل^(١)، وهذا ما انعكس على غزارة نتاجه المعرفىّ المتنوّع، إذ نتج من قلمه العديد من المصنّفات، تجاوزت المائة مصنّف، في الكثير من العلوم الإسلاميّة، وكثرتها ألف السيّد حسن الصّدّر سنة (١٣٣٨هـ) رسالة جمع فيها تلك المؤلّفات - وهي محل هذه الدراسة - فبلغت لوقت تأليفها (٩٥) مصنّفًا بين كتاب، ورسالة، وتعليق، ما تمّ منها وما لم يتمّ، هذا فضلاً عما يُستدرك عليها من مؤلّفات صدرت عنه بعد تأليف هذه الرسالة.

حظي بالطبع عدد منها على سبيل المثال: كتاب (بُغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات)، (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام)، (تكلمة أمل الأمل)، (عيون الرجال)، (المسائل المهمة)، (نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين)، (نهاية الدراية)، وغيرها.

ثانياً: الرسالة

موضوع الرسالة وأهميته:

تتضمّن الرسالة موضوع الدراسة موضوعاً تراثياً مهماً؛ كونه يرتبط بعالم التأليف والمؤلّفات، فغالباً ما نجد في تراثنا الإسلامىّ القديم والمتأخّر أن هناك مساع سُطرت، وجهوداً بُذلت، في جمع مؤلّفات عالم من الأعلام المُبرّزين، أو مؤلّف من المؤلّفين المكثّرين في مؤلّف واحدٍ مستقل، ويتناول ترتيب عناوين تلك المؤلّفات والتعريف بها، والكشف عن موضوعاتها بطريقة بيبليوغرافية معينة، تُبصر المطالع والباحث بطبيعة تلك المؤلّفات وأهميتها.

وفي هذه الرسالة كفى مؤلّفها مؤونة غيره في جمع تراثه والتعريف به؛ لأنّه رحمه الله لم يكن عالماً فحسب، أو مؤلّفاً طارئاً هيأت له الظروف فسحة التأليف فألّف، بل هو عالم ومؤلّف وتراثىّ، سخر حياته على صعوبتها في خدمة العلم وطلابه، ولوى عنقها وذلكها لتحقيق هدفه السامىّ ألا وهو المساهمة في نشر العلم والمعرفة؛ وذلك بما يمتلكه من همّة عالية لا تعرف الكلل، وتغانٍ مستمر لم يرافقه ملل، فكان نتاج ذلك تأليف تجاوزت المئة عنوان في عدد من العلوم، ومكتبة عامرة عبر صيتها حدود العراق.

ولا يخفى أن هكذا نوع من التأليف يكون مضمونه من الدقة والإحاطة بمكان، الأمر الذي قد لم يتحقق فيما لو تصدّى له غيره؛ لأنّه وببساطة من يريد أن يؤلّف كتاباً يتكلم فيه عن مؤلّفات غيره، لم يخرج بأيّ حال من الأحوال كما لو نهض المؤلف ذاته بتأليف مؤلّف عن مؤلّفات، وجرياً على القول المأثور: (أهل البيت أدري بالذي فيه)، لأنّه مهما بلغ من الدقة والإحاطة لم يكن كذاك، فهو من ألف تلك المؤلّفات، والعارف بمواضيعها، والمقتنع بدواعي تأليفها، هذا من جانب، ومن جانب آخر من يكتب عن مؤلّفات الآخرين لا بد أن يسلك سبيلين لا ثالث لهما، الأول أن يعتمد على ما كتبه الآخرون عن المؤلّفات كمحل للدراسة، وبذلك سيعكس قناعات أولئك في تقييم هذه المؤلّفات، وهذا مما لا

(١) ينظر: خياباني، علماء معاصرون، ص ٢٧٨.

انصاف فيه، والثاني أن يجمع تلك المؤلفات - مخطوطها ومطبوعها - ويطلع عليها ليصفها ويعرفها بدقة وبدون واسطة، وهنا قد تواجهه مشكلة تعذر جمع أو الوقوف على كل مؤلفات من يريد أن يعرف بمؤلفاته، وخاصة المخطوطة منها لتفرقتها - أغلب الأحيان - في المكتبات، وهنا ستكلف ذلك المؤلف وقتاً وجهداً كبيرين لبلوغ الغاية. فهذان السبيلان لا حاجة لهما لو أراد مؤلف ما أن يضع مؤلفاً يُعرف عن طريقه بمؤلفاته، وهو ممّا لم يعانیه السيّد حسن الصدر قطعاً في تأليف رسالته هذه، وهذا ما يُضاف إلى أهمية هذا النوع من التأليف.

كما أن وضع عالم ما فهرساً بمؤلفاته سيُعين الأجيال اللاحقة من الباحثين والمحققين الذين ينهضون بتحقيق تراثه في سهولة الكشف عن تلك المؤلفات، خاصة فيما لو تعرّضت تلك المؤلفات إلى تلف صفحاتها الأولى أو سقوطها، وهي ظاهرة ما أوسعها قد بُلي بها تراثنا المخطوط؛ نظراً لسوء خزنه، أو لإهماله، ومن المعلوم أنّ إثبات نسبة المؤلفات إلى مؤلفيها عند تحقيقها هي من المراحل العسيرة التي تواجه المحققين، فالبحث عن مؤلف مخطوط مجهول مؤلفه وإثباته أمر لا بد منه، ونشر المخطوط دون الوقوف على مؤلفه يقلل من أهميته؛ لأنّ معرفة المؤلف والوقوف على مدى وثاقته، ومكانته العلميّة، تنعكس على مؤلفه سلباً أو إيجاباً، فمؤلفات كالرسالة - محل الدراسة - تقلل من ذلك الجهد لو وقع، ويزيد من قرائن صحة النسبة.

سبب تأليف الرسالة:

تنوّعت دواعي التأليف في تراثنا الإسلاميّ فبعضها صنّفت أثر موقف معيّن أو حادثة معيّنة، وبعضها الآخر صنّفت بأسماء شخصيات سياسية أو علمية فحيثاً يكلف الخليفة أو السلطان أو الأمير أحد العلماء بتأليف كتاب في موضوع معيّن، وأحياناً يبادر عالم ما بتأليف مؤلف ويهديه إلى أولئك، وأحياناً يلتمس بعض العلماء ذلك الالتماس بين بعضهم البعض، وعادة ما يذكرون ذلك الالتماس في صدور مؤلفاتهم.

والسيّد حسن الصدر كان من بين أولئك الأعلام الذين نزلوا عند رغبة بعض أترابهم في تصنيف بعض مصنّفاتهم، فقد صنّف عدداً من مؤلفاته لهذا الغرض مثل (الشيعة وفنون الإسلام)، (مفتاح السعادة وملاذ العباد)، (هداية النجدين وتفصيل الجندين)، (مجالس المؤمنين في وفيات المعصومين)، (تعليقة على رسالة حجية الظن للشيخ الأنصاري)، (رسالة في النسب) فضلاً عن هذه الرسالة - رسالة المصنّفات - فقد أشار المؤلف في مقدّمة رسالته بأنّه ألّفها تلبية لرغبة بعض الأعلام قائلًا: ((فقد سألني بعض العلماء الأجلّة من ساكني الغري أن أكتب فهرساً يجمع مصنّفاتي ومؤلّفات مع الإشارة إلى موضوع الكتاب وترتيبه...))^(١)، وبذلك لم يصرّح باسم ذلك العالم، لا في النسخة (أ)

(١) النسخة (أ): ص ١.



ولا النسخة (ب) ولا النسخة (ج)؛ لكنّه ذكره في النسخة (د) عن طريق تعليقة أوردها بجانب تلك العبارة، وجاء فيها: ((هو الحاج الشيخ إسماعيل المحلّاتي الغروي)).^(١) وبعد التتقيب عن ترجمته وجدنا أن الشيخ الطهرانيّ قد عرف به مبيناً أنه: الشيخ إسماعيل بن محمد عليّ بن زين العابدين المحلّاتي النجفيّ، عالمٌ كبيرٌ، ومحقّق متفنّن. وُلد سنة (١٣٦٩هـ) في طهران وتتلّمذ على والده، ثمّ هاجر في حياته إلى بروجرد فأخذ عن علمائها، ثمّ تشرفّ إلى العتبات المقدّسة في سنة (١٢٩٣هـ) فتوقف في سامراء سنة، لازم فيها بحث المجدّد الشيرازيّ، ثمّ جاور في النجف فحضر بها مدّة على الميرزا حبيب الله الرشتي، ثمّ استقلّ بالبحث والتدريس والتصنيف مشتغلاً بالوظائف، منعزلاً عن الناس إلى أن تُوفي في (١٣) ربيع الأول سنة (١٣٤٣هـ) ودُفن في الصحن بالحجرة الأولى على يمين الخارج من الباب السلطانيّ، وله تصانيف كثيرة في الفقه، والأصول، والكلام، والرجال وغيرها.^(٢)

عنوان الرسالة:

لم تكن عناية المؤلّفين القدماء متماثلة في وضع عناوين مؤلّفاتهم، ففي الوقت الذي نجد فيه عناوين طويلة قائمة على السجع، نلاحظ أيضاً أنّ بعضهم لا يهتمّ بذكرها بل يشير إلى مضمون كتابه وفحواه، وهنا يأتي دور المحقّق في صياغة عنوان مناسب للكتاب يتفق تماماً مع مضمونه مع الإشارة إلى ذلك في مقدّمة التحقيق.

وهذه الرسالة كتب السيّد على غلافها بخطّه ما نصّه: ((رسالة في مصنّفات الأحقر حسن صدر الدين))، وكلمة (الأحقر) الواردة في العنوان هي - كما لا يخفى على القارئ الكريم- من عبارات التواضع، يستخدمها الصالحون عندما يتكلّمون عن أنفسهم، وعليه لا يمكن بقاء العنوان على حاله لذلك أسميتها ((رسالة في مصنّفات السيّد حسن صدر الدين)) لأنّه لا يمكن إبقاء كلمة (الأحقر) كما وردت في العنوان، فمدلولها في المخاطبة والتعبير يختلف عمّا يطلقها أحدٌ على نفسه.

وبذلك جاء عنوانها متواضعاً بمقدار ما يدلّ على مضمونها، لم يتكلّف السيد في صياغته كما فعل في الكثير من مصنّفات ك (الإبانة عن كتب الخزانة) و (الدرر الموسويّة في شرح العقائد الجعفريّة) و (تبيين مدارك السداد للمتّن والحواشي من نجاد العباد) وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أنّ عرض السيّد رحمه الله لمؤلّفاتهِ لم يقتصر على ما أورده في هذه الرسالة، بل أورد عدداً منها في أكثر من مورد من مؤلّفاتهِ كلّ ما سنحت له الفرصة بذلك، ومن تلك المؤلّفات التي ذكر فيها مؤلّفاتهِ نذكر:

ترجمته بقلمه (مخطوط) ذكر فيها (٤٥) عنواناً.

عيون الرجال (مخطوط)، فقد ذكر في آخره (٤٥) عنواناً أيضاً.

الإجازة الكبيرة (إجازته للعلامة الطهرانيّ) ذكر فيها (٣٨) عنواناً.

(١) النسخة (د): ص ١.

(٢) الطهرانيّ، نقيب البشر، ج ١، ص ١٦٣.

بغية الوعاة في طبقات المشايخ والإجازات (مخطوط) ذكر فيه (٣٢) عنواناً. الإبانة عن كتب الخزانة، وهو فهرس لما في مكتبته من مؤلفات مطبوعة ومخطوطة، فقد أورد فيه (١٢) عنواناً.

علمًا أنّ تلك الأعداد اشتملت على الكثير من العناوين المكررة.

نُسخ الرسالة، عددها وأهميتها ونسبة الاختلاف فيما بينها:

وقفتُ على أربع نسخ خطية لهذه الرسالة، أثنيتين منها بخط المؤلف وواحدة بخط ابنه السيد علي، والأخيرة بخط أحد أبناء عمومته، وتمتاز هذه النسخ بتفاوتها في الأهمية، وقد أُسميت هذه النسخ بـ (أ، ب، ج، د)، وسنعرضها بحسب أهميتها:

النسخة (أ): هي بخط (علي بن إسماعيل شرف الدين) تاريخ كتابتها ليلة السبت (٩) جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ، ويبلغ عدد صفحاتها (١٨) صفحة. ومن مميزات: إن كاتبها من أرحام المؤلف، حيث يلتقي معه في جده الرابع (شرف الدين)، ويتضح أنه من أرباب العلم والفضيلة.^(١)

كتبها في بيت المؤلف على نسخته، وبعد خمسة أيام فقط من تأليف الرسالة.^(٢)

اطّلاع المؤلف عليها، إذ توجد عليها عدد من الإضافات بخط المؤلف، بل أحتملُ أنه في بعض المواضع منها قد أشار عليه المؤلف بإجراء حذف في بعض المطالب كما في شيوخه الذين ذكروهم في آخر الرسالة، ففي النسخة (ب) التي بخط مؤلفها قد ذكر (١٤) شيخاً من شيوخه، وفي هذه النسخة تمّ حذف (٣) أسماء من مشايخه، وهم كلّ من (الشيخ محمد تقي الكليبيكاني، والمولى محمد باقر الشكي النجفي، والشيخ عبد النبي الطبرسي)، وهذا الحذف لا يمكن للكاتب أن يجتهد فيه إلّا إذا كان بإشارة المؤلف، أو بتوجيه منه، ولو أعترض أحدهم قائلاً: لعلّ الناسخ قد سها وزاغ بصره عن ذكر هؤلاء المشايخ ولم يكن بتلويح من المؤلف، فأقول: لو كان الأمر كذلك لأشار المؤلف باستدراك ذلك وعلّق على النسخة كما فعل في أماكن متفرقة.

لذلك تُعد هذه النسخة أهم النسخ وهي نسخة المتن (الأم) في حال تحقيقها^(٣).

النسخة (ب): هي بخط المؤلف (نسخة مبيضة)، تاريخ كتابتها يوم الثلاثاء (٥) جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ، وعدد صفحاتها (١٢) صفحة، وتأتي في الأهمية بعد النسخة (أ) للاعتبارات أعلاه.

النسخة (ج): هي بخط السيد عليّ الصدر نجل المؤلف، أدرجها في ضمن الجزء الثالث من كتابه (حقيقة الفوائد) بتمامها بهدف حفظها، وقد نصّ على ذلك بقوله: ((وقد وضع لمؤلفاته رسالة خاصة شرح فيها أسمائها مع الإشارة إلى موضوع الكتاب وترتيبها،

(١) الصدر، حقيقة الفوائد (مخطوط): ج٣، ص٢٤٣.

(٢) وقد كتب في آخر النسخة ((وقد كتبه بيدي لنفسي في البلدة الطيبة الكاظمية على مشرفيها ألف صلاة وسلام وتحية، في دار السيد الحجة الأعظم المؤلف دام ظله ليلة السبت التاسعة من جمادى الأولى من شهور السنة الثمان والثلاثين وثلاث مائة وألف، وأنا أقلّ الخليفة بل لا شيء في الحقيقة عليّ بن إسماعيل بن جواد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن إبراهيم شرف الدين المومني إليه آتفاً)).

(٣) شرع أخيراً مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة بتحقيق هذه الرسالة.



وسأذكرها في هذه (الحقبة) بتمامها حتى الخطبة؛ لتبقى بعينها محفوظة في (الحقبة)^(١)، وتاريخ كتابتها غير معلوم، وعدد صفحاتها (١٤) صفحة، وهي مطابقة بنسبة كبيرة للنسخة (ب).

النسخة (د): وهي بخط المؤلف (نسخة مسودة)، لم يذكر فيها تاريخ كتابتها، وفيها نقص في عدد من عناوين الكتب، فضلاً عن تقديم وتأخير بعض العلوم، مع اختفاء بعضها، وتغيير تسميات بعضها، وأهم ما في هذه النسخة إشارة المؤلف إلى الشخصية التي طلبت منه تأليف الرسالة كما أسلفنا.^(٢)

وكي نضع المُطالع الكريم على حجم الاختلاف بين النسخ الأربعة أعلاه من حيث العلوم التي اشتملت عليها وعناوين المصنّفات داخل كلّ علم، ومجموع هذه المصنّفات في كلّ نسخة، أدرجناها في الجدول التالي.

ت	العلوم والمواضيع التي اشتملت عليها (أ)	العلوم والمواضيع التي اشتملت عليها بقية النسخ	عدد العناوين في كل علم			
			أ	ب	ج	د
١	علم أصول الدين والمعارف	في د (علم أصول الدين)	٣	٣	٣	٢
٢	علم الفقه	في د (علم الفقه والأحكام)	٣٠	٢٩	٢٩	٢١
٣	علم الحديث	=	٩	٩	٩	٨
٤	علم الدراية	= وجاء في د بتسلسل ١١	١	١	١	١
٥	علم طرق تحمل الحديث	في ب و ج (علم تحمل الحديث)، ولم يرد هذا العلم في د	١١	١١	١١	-
٦	علم الرجال وأحوال الرواة	في د (علم الرجال) وجاء بتسلسل ٥	٨	٨	٩	٩
٧	علم الفهارس والمصنّفات والتأسيسات	في ب و ج (علم الفهارس والمصنّفات)، ولم يرد هذا العلم في د	٦	٦	٥	-
٨	علم الأخلاق	= وجاء في د بتسلسل ٧	٤	٤	٣	٣
٩	علم مناظرة الفرق	= وجاء في د بتسلسل ٨	٤	٤	٤	٤
١٠	علم أصول الفقه	= وجاء في د بتسلسل ٦	٦	٦	٦	٦
١١	علم النحو	= وجاء في د بتسلسل ١٠	١	١	٦	١
١٢	علم التاريخ والأخبار	في د (علم الأخبار والتواريخ) وجاء بتسلسل ٤	٥	٦	٦	١٠
١٣	المتفرقات		-	-	-	١٤
المجموع	١٢	ب و ج (١٢) وفي د (١١)	٨٨	٨٨	٨٧	٧٩

وأما ما يخصّ أساتذته الذين أفاد منهم، وقرأ عندهم، وتخرّج عليهم، فقد أورد عدداً منهم في آخر الرسالة، فبلغ عددهم (١١) أستاذاً في النسخة (أ)، و(١٤) أستاذاً في النسخة

(١) كما جمع من أفواه قراء ماتم بعض المجالس المحفوظة من كتاب العلامة عبد الحسين شرف الدين الموسوم بـ(المجالس الفاخرة في ماتم العترة الطاهرة)) الذي أحرقت سنة (١٣٣٨هـ) مع جملة من آثار السيد بعد أن أصدر الاستعمار الفرنسيّ أمراً بنهب داره، وحرقت مكتبته، وقد عرض عليّ بن إسماعيل ما جمعه من المجالس على السيد شرف الدين، فقرأها من أولها حتى نهايتها، فأقرّها وحبّد هذا العمل وباركه منه، وطبع بالعنوان نفسه. (ينظر: المجالس الفاخرة في ماتم العترة الطاهرة، ص ١٤، ١٢٣).

(٢) جميع هذه النسخ توجد في مكتبة السيد حسن الصدر رحمه الله في مدينة الكاظمية المقدّسة، وتوجد نسخ مصوّرة عنها في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.

(ب)، ورفعهم السيّد علي من النسخة (ج) ووظفهم في ترجمة والده التي سبق بها إيراد الرسالة، وأما النسخة (د) فقد جاءت خالية من ذكرهم.

منهج المؤلف في رسالته:

يمكن أن نستعرض منهج المؤلف في هذه الرسالة عن طريق ما يأتي:

(١) العلوم التي ألف فيها: (قراءة في المصطلح والترتيب).

اشتهر السيّد حسن الصدر بموسوعيته وتمكّنه من جملة من العلوم، حتى قال معاصره الطهرانيّ فيه: ((اشتغل بالتصنيف والتأليف في جميع العلوم الإسلامية من الفقه، والأصول، والرجال، والدراية، والحديث، والنسب، والتاريخ، والسير، والتراجم، والأخلاق، والحكمة، والجدل، والمناظرة... وكان طويل الباع، واسع الاطلاع، غزير المادّة في تمام هذه العلوم مستحضراً لأغلب مطالبها... كان ممعناً في تتبّع آثار المتقدّمين والمتأخّرين من الشيعة والسنة، موغلاً في البحث عن دخائلهم، وممحصّاً ومستجلياً في آثارهم من الغوامض، ومستخرجاً المخبّئات، بتحقيقات أنيقة وبيانات رشيقة...)).^(١)

وصفه السيّد عبد الحسين شرف الدين قائلاً: ((كان... إماماً في الفقه... ومرجعاً في أحكام الله يناط به التقليد، وثبتاً في السنن وحجة في الأخبار، وجهبذاً في حوادث السنين وأحوال الماضين، ورأساً في أصول الفقه، وعلم الرجال، والدراية، وأنساب قریش وسائر العرب... راسخ القدم في التفسير وسائر علوم الكتاب، والسند وما إلى ذلك من فنون؛ كالصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبدیع... وكان من ذوي البسطة في المنطق والحكمة - الفلسفة- الراسخين في علم الكلام، طويل الباع في الهيئة - يعني علم الفلك- والحساب، بجرأ في علم الأخلاق، لا يسبر غوره ولا ينال دركه)).^(٢) وعليه خرج من يراعه الشريف العديد من المصنّفات التي تجاوزت المائة في تعدادها، وغطى فيها مساحة واسعة من العلوم الإسلامية، فقد صنّف في أصول الدين، والفقه وأصوله، وعلم الحديث، والدراية، والرجال، والكلام، والنحو، والتاريخ، والأخلاق، والبيلوغرافيا.

ولو أمعنا النظر في الجدول الذي استعرضنا فيه العلوم التي ألف فيها، استوقفنا بعض العلوم في صياغة عنوانها، ونلاحظ أنّ المؤلف رحمه الله قد تسامح في صياغة عناوين لعلوم تتسجم مع طبيعة مؤلفاته، ولم نقف عليه في المصنّفات البيلوغرافية القديمة والمتأخّرة^(٣)، ومن ذلك إيراده لعنوان (علم الفهارس والمصنّفات والتأسيسات)، ولا شكّ أنّه رحمه الله عني به العلم المتضمّن لمؤلّفات فهارس المصنّفات، وفهارس المكتبات، والكتب المعنية في إيراد المؤسّسين للعلوم والمعارف، وقد أستخدم عليه في وقتنا الحاضر (البيلوغرافيا)، وقد ضمّنه من مصنّفات: (تأسيس الشيعة الكرام لسائر فنون

(١) الطهرانيّ، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٤٦.

(٢) شرف الدين، بغية الراغبين، ج ٧، ص ٢٧١.

(٣) مثل: مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، الفهرست للنديم (٣٨٥هـ)، كشف الظنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٨هـ).



الإسلام) و(الشريعة وفنون الإسلام)، وكتاب (فصل القضاء في تحقيق الكتاب المشتهر بفقہ الرضا)، و(رسالة في تعيين مؤلف مصباح الشريعة)، وكتاب (الإبانة عن كتب الخزانة).

وكذلك الحال أيضا مع (علم مناظرة الفرق)، فعندما نستعرض العلوم في مضائها لم نجد أنّ المناظرة بين الفرق قد خُصّت بعلم مستقل، بل جلّ من ذكرها يجعلها في ضمن علم الكلام؛ كونه (العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها)^(١)، لكن السيّد المؤلّف قد اصطلح عليها هذا العلم تسامحا ومجاراة لطبيعة مؤلفاته التي أراد أن يدرجها في ضمن هذا العلم، وهي: (قاطعة اللجاج في إبطال طريقة أهل الإعوجاج، البراهين الجليّة في انحراف أحمد بن تيمية، رسالة في تعيين الفرقة الناجية وإنها الإمامية، إقرارات عمر بن الخطاب).

وتعامل بالمبدأ نفسه في (طرق تحمّل الحديث) فهي تصنّف في ضمن (علم الدراية)، وهي في مجملها في إطار (علوم الحديث)، لكن السيّد الصدر أدرجها في هذه الرسالة بعنوان (علم طرق تحمّل الحديث)، فيظهر أنّه قد تسامح في وصفها بالعلم، بدليل أنّه لم يصفها بذلك في كتابه (نهاية الدراية) الذي خصّص لها الفصل الخامس منه، إذ أوردها بعنوان (أنحاء تحمّل الحديث)^(٢)، وقد أدرج في ضمن هذا العنوان في رسالته ما ألفه من كتب الإجازات مثل: (بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات، الطبقات في الروايات ومشايخ الإجازات، اللعة المهديّة في الطرق العليّة، الإجازة الكبيرة، فضلا عن سبع إجازات من دون عنوان).

وكما تقدّم نخلص إلى أنّ المؤلّف لم يتقيّد بما درج عليه أسلافه من حيث مصطلحات العلوم، ولعلّ موسوعيته وتسلّطه على العديد من العلوم جعله متحرّرا في صياغتها بعض الشيء؛ بهدف إيجاد حالة من التوافقية بين ذلك العلم وطبيعة مؤلفاته التي تضمّنها.

(٢) طبيعة ترتيب العلوم التي ألف فيها، وآلية ترتيب المؤلفات داخل كل منها يتضمّن الآتي:

أ- طبيعة ترتيب العلوم التي ألف فيها:

من المعلوم أن الكلام في تقسيم العلوم وشرفيتها كلام متشعب وفيه من الآراء والتفرعات ما لا يسع حصره في هذا المقام، لذا اكتفينا بإيراد نصين أوردهما حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) يميّزان اللثام عن أبرز تقسيماته وبيان أشرفها، فقد قال: ((اعلم أنّ العلم وإن كان معنى واحداً، وحقيقة واحدة، إلّا أنّه ينقسم إلى أقسام كثيرة من جهات مختلفة، فينقسم من جهة إلى قديم ومحدث، ومن جهة متعلقه إلى تصوّر وتصديق، ومن جهة طرقه إلى ثلاثة أقسام: قسم يثبت في

(١) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٥٠٣.

(٢) ينظر: الصدر، نهاية الدراية، ص٤٤٣.

النفس، وقسم يُدرك بالحس، وقسم يُعلم بالقياس، وينقسم من جهة اختلاف موضوعاته إلى أقسام كثيرة يسمّى بعضها علوماً، وبعضها صنائع^(١). وما يخصّ شرفيّة العلوم فقد قال: ((ثمّ إن العلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه، فمنها ما هو بحسب الموضوع كالطب، فإنّ موضوعه بدن الإنسان، والتفسير فإنّ موضوعه كلام الله سبحانه وتعالى، ولا خفاء في شرفهما، ومنها ما هو بحسب الغاية، كعلم الأخلاق، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية، ومنها ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه فإن الحاجة إليه ماسة، ومنها ما هو بحسب وثاقة الحجّة كالعلوم الرياضيّة فإنها برهانيّة، ومن العلوم ما يقوى شرفه باجتماع هذه الاعتبارات فيه أو أكثرها كالعلم الإلهي، فإنّ موضوعه شريف من الآخر باعتبار ثمرته، أو وثاقة دلائله، أو غايته، ثمّ إن شرف الثمرة أولى من شرف قوة الدلالة، فأشرف العلوم ثمرة العلم بالله سبحانه وتعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما يعين عليه، فإن ثمرته السعادة الأبدية^(٢)). ومما تقدّم لاحظ أن الأقدمين وحتى المتأخريين قد فصلوا في فضل العلم وأقسامه وشرفيته، ومع اتساع المعرفة وتطوّر وسائلها أخذت هذه العلوم تتشعب وتتجزأ، ومع ذلك فقد فُتنت عناوين تلك العلوم بشكل عام، فأصبحت بحسب شرفيتها كالتالي:

العلوم الدينية (كعلوم القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف وعلومه، علم الفقه، علم الكلام وغيرها).

علوم اللغة العربية وآدابها (كاللغة، النحو، الصرف، الأدب وغيرها)

العلوم الإنسانية (كالتاريخ، الفلسفة، المنطق، الأخلاق وغيرها)

العلوم الصرفة (كالتب، الصيدلة، الفلك، الكيمياء، الحساب وغيرها).

وهذا التصنيف هو الشائع والمتعارف عليه بشكل قد يكون رسمياً، وعند إمعان النظر في العلوم التي أُلّف فيها السيّد الصدر رحمه الله، نجد أن قلمه المبارك قد طال التأليف في العلوم الثلاثة الأولى (الدينية وعلوم العربية والإنسانية)، ومن حيث ترتيبها نلاحظ أنّ المؤلف التزم إلى حدّ ما بترتيب قسّم منها حسب شرفيتها، وأورد القسم الآخر من العلوم بطريقة غير منتظمة (عشوائية).

فبالنظر إلى الجدول السابق نجده قد قدّم أوّل الأمر بتسلسل رقم (١) (علم أصول الدين والمعارف) وهو المخصّص بعقائد المسلمين، ثمّ أورد علم (الفقه) بتسلسل رقم (٢)، والذي يعني معرفة الأحكام الشرعية^(١)، وبحسب هذا الترتيب يلزم أن يلحقه بعلم (أصول الفقه)؛ لأنّه علم ساند لعلم الفقه، كونه يمثل العلم بالقواعد التي يتوصل بها الفقيه إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية^(٢)، لكن السيّد المؤلف أخره كثيراً عن

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ١١.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ١٩.

(١) ينظر: عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) ينظر: عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، ج ١، ص ٢٠٧.



علم (الفقه)، فأورده بتسلسل رقم (١٠)، وكذلك أورد علم (مناظرة الفرق) بتسلسل رقم (٩) بما يمثل إرباكاً في الترتيب.

ثم يعود المؤلف في مراعاة ترتيب العلوم حسب الأشرفية فيورد بتسلسل رقم (٣) (علم الحديث)، ويلحقه (بعلم الدراية)، ثم (علم طرق تحمّل الحديث)، ثم (علم الرجال وأحوال الرواة) بتسلسل (٤، ٥، ٦) على التوالي، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم ملازمة لـ(علم الحديث) فغدت من علومه.

ويتكرّر اضطراب الترتيب في مجموعة (العلوم الإنسانية)، حينما يقدّم (علم الفهارس والمصنّفات والتأسيسات) بتسلسل رقم (٧)، على (علم الأخلاق) الذي أورده بتسلسل رقم (٨)، وعلى (علم التاريخ والأخبار) الذي أورده في آخر القائمة بتسلسل رقم (١٢).

ويسري الاضطراب أيضاً في تأخير (علم النحو) الذي أورده بتسلسل رقم (١١)، وهو من مجموعة (علوم اللغة العربية)، إلى ما بعد مجموعة (العلوم الإجتماعية)، في حين أن محله التقديم عليها.

هذا ما امتاز به منهج المؤلف في طبيعة ترتيبه للعلوم التي ألف فيها، فالإرباك واضحٌ على العكس من المنهج الذي اعتمده في ترتيب العلوم في كتابه (الإبانة عن كتب الخزانة)، إذ رتبها على وفق حروف المعجم (١)، فمثلاً علم الأخلاق يأتي قبل علم التفسير، وعلم الفقه يأتي قبل علم النحو، وهكذا.

آلية ترتيب المؤلفات داخل كلّ علم:

بعد أن استعرضنا منهج السيّد المؤلف في تقسيم العلوم وترتيبها، من المهمّ أن نقف أيضاً على الآلية التي رتب فيها مؤلفاته داخل كلّ علم، لنستكمل بها أركان المنهج الذي سلكه رحمه الله في تأليف رسالته هذه.

فقد مرّ أنّ السيّد المؤلف غطت مؤلفاته (١٢) علماً من العلوم الإسلامية، واشتمل كلّ علم منها على جملة مؤلفات، وعند استعراضها لا نجدها قد انتظمت بسلك معين، إذ إنّ هذه الحالة لا سبيل إلى تنظيمها داخل كلّ علم، إلا وفق حروف المعجم، أو وفق مبدأ الأهمّ ثمّ المهم، وعلى الرغم من إمعاننا في تلك المؤلفات إلّا أنّنا لم نهتد إلى المعيار الذي اعتمده السيّد المؤلف في ترتيب مؤلفاته داخل كل علم، فيبدو أنّه عرضها كيفما اتفق دون أدنى تكلف منهجيّ، كما سنبيّنه في الجدول اللاحق.

ومن الملاحظ في هذا المحور أمران:

الأول: إنّ هناك مؤلفات مشتركة في أكثر من علم، فقد أوردها بـ(مكان وأشار لها إشارة فقط في المكان الآخر، ومثال ذلك كتاب (سبيل الصالحين)، وكتاب (إحياء النفوس بأدب ابن طاوس)، فقد أوردهما في ضمن (علم أصول الدين والمعارف)، على اعتبارهما من كتب المعارف الإلهية التي يسلكها المسلم بهدف تربية النفس وتهذيبها بالمواظبة على العبادات، وكلّ ما يؤدّي إلى القرب من الله تعالى، وخصوص النفس له.

(١) ينظر: المصدر، الإبانة عن كتب الخزانة (مخطوط): ٧-١٢.

وفي ذات الوقت أن هذا النوع من التأليف يستهدف خلق الإنسان للارتقاء به؛ لذلك تُعدّ من الكتب الأخلاقية، وهذا ما لم يخفى على السيّد المؤلّف؛ لذا كرّر ذكرهما بالإشارة فقط في ضمن (علم الأخلاق)، وقال أمام كل منهما: ((المتقدّم ذكره)).^(١)

الثاني: هناك بعض المؤلفات وردت في ضمن علم معين بحسب مادتها، لكن موضوعها يحتم أن تكون في ضمن علم آخر، مثل كتاب (مصابيح الإيمان في حقوق الاخوان)، فمادة الكتاب قائمة بشكل كبير على روايات أهل البيت عليهم السلام، ومن ثمّ الأحاديث النبوية الشريفة^(٢)، أمّا من جهة موضوعه فهو يستهدف خلق المؤمن؛ لصياغته صياغة إسلامية قائمة على حبه لأخيه المؤمن، وبذلك فموضوع هذا الكتاب (علم الأخلاق).

وكذلك الحال بالنسبة لكتاب (تكملة أمل الأمل)، وهو كما معلوم أكمل به كتاب (أمل الأمل في علماء جبل عامل) لمؤلّفه الشيخ المشهور بالحر العامليّ (ت ١١٠٤هـ)، وكذلك الرسالة الموسومة بـ(ذكرى المحسنين) وهي في أحوال السيّد محسن الأعرجيّ الكاظميّ (ت ١٢٢٧هـ)، والمصنّفان هما من كتب التراجم التي تُعنى بأحوال الشخصيات من خلفاء، وسلاطين، وقادة، وعلماء، وشعراء، وغيرهم، وهو متفرّع من علم التاريخ^(٣)، مع الفرق أن الأول في التراجم المختصرة، والثاني في التراجم المطوّلة (السيرة)، ويختلف عن (علم الرجال) الذي يبحث عن أحوال رواة الحديث من حيث اتصافهم بشرائط قبول أخبارهم وعدمه^(٤)، فالفرق بين العلمين واضح بيّن.

ومما يسترعي الاستغراب فيهما أن المؤلّف قد عدّهما في ضمن (علم الرجال وأحوال الرواة) في حين أن مكانهما في (علم التاريخ والأخبار)؛ كون التراجم والسير هو فرع منه، والملفت أيضاً أن المؤلّف له مصنّف آخر في التراجم هو (وفيات الأعلام من الشيعة الكرام) فقد أدرجه في مكانه الصحيح في ضمن (علم التاريخ والأخبار)، وهو متحد في الموضوع العام مع الكتاب السابق (تكملة أمل الأمل)، ولعلّ للمؤلّف وجهة نظر خاصة في ذلك الترتيب لم نهتد إليها.

وللسيّد المؤلّف كتاب مختصّ بـ(ذكر طعن علماء الجمهور بعضهم على بعض) أدرجه في ضمن (علم التاريخ والأخبار) ويظهر من عنوانه^(٥) أن إدراجه في ضمن هذا العلم بعيد عن موضوعه، بل الأقرب إليه هو (علم مناظرة الفرق).

(١) الصدر، رسالة في مصنفات السيّد حسن صدر الدين (مخطوط): ص ١٢.

(٢) ينظر: الصدر، مصابيح الاخوان (مخطوط).

(٣) ينظر: لجنة من الأدباء، التراجم والسير، ص ٩.

(٤) ينظر: السبحاني، كليات في علم الرجال، ص ١١.

(٥) للأسف لم استطع الوقوف على نسخة هذا الكتاب للاطلاع عليه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الخطيّة:

- ١- الصدر، حسن بن هادي (ت ١٣٥٤هـ)، الإبانة عن كتب الخزانة (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.
- ٢- الصدر، حسن بن هادي (ت ١٣٥٤هـ)، ترجمته بقلمه (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز



- تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- ٣- الصدر، حسن بن هادي (ت١٣٥٤هـ)، رسالة في مصنفات السيد حسن صدر الدين (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- ٤- الصدر، حسن بن هادي (ت١٣٥٤هـ)، عيون الرجال (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- ٥- الصدر، حسن بن هادي (ت١٣٥٤هـ)، مصابيح الإخوان (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- ٦- الصدر، علي بن حسن (ت١٣٨٠هـ)، حقيبة الفوائد (مخطوط)، نسخة مصورة محفوظة في مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- المصادر والمراجع المطبوعة:**
- ٧- الأمين، محسن بن عبد الكريم (١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- ٨- الأميني، محمد هادي (١٤٢٥هـ)، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ط٢، ١٤١٣هـ.
- ٩- حرز الدين، محمد بن علي (ت١٣٦٥هـ)، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، تعليق: محمد حسين حرز الدين، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٥هـ.
- ١٠- خياباني، الميرزا علي واعظ، علماء معاصرون، تقديم: عقيقي بخشايشي، دفتر نشر إسلام، قم، ط١، ١٣٨٢هـ ش.
- ١١- دنيا، سليمان، مقدمة تحقيق كتاب (الشيعة وفنون الإسلام) للسيد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ)، مطبعة النجاح، القاهرة، ط٤.
- ١٢- زيدان، جرجي (ت١٩١٤م)، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.
- ١٣- السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ١٤- شرف الدين، عبد الحسين (ت١٣٧٧هـ)، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، تحقيق: عبدالله شرف الدين، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- ١٥- شرف الدين، عبد الحسين (ت١٣٧٧هـ)، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، مراجعة وتحقيق: محمود البديري، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢١هـ.
- ١٦- الصدر، حسن بن هادي (ت١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الأمل، تحقيق: الدكتور حسين علي محفوظ وآخرون، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ١٧- الصدر، حسن بن هادي (ت١٣٥٤هـ)، نهاية الدرية، تحقيق: ماجد الغرباوي، نشر المشعر، قم.
- ١٨- الطهراني، محمد محسن بن علي (ت١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٩- الطهراني، محمد محسن بن علي (ت١٣٨٩هـ)، نقيب البشر في القرن الرابع عشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٢٠- عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٢١- الغرباوي، مقدمة تحقيق كتاب (نهاية الدراية) للسيد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ)، نشر المشعر، قم.
- ٢٢- القمي، عباس بن محمد رضا (ت١٣٥٩هـ)، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفري، تحقيق: ناصر باقر بيبي هندي، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط١، ١٣٨٥هـ.
- ٢٣- لجنة من أدباء الأقطار العربية، التراجم والسير، دار المعارف، ١٩٥٥م.

ج- طبيعة التعريف بالمؤلفات التي تضمنتها الرسالة. باستعراضنا للكيفية التي اعتمدها المؤلف في عرض مادة مؤلفاته تصبح صورة المنهج العام في تأليف هذه الرسالة واضحة الملامح والأركان، والملاحظ في الموضوع أنه رحمه الله لم يهيج منهجاً واضحاً في التعريف بمؤلفاته، سواء كان ذلك من حيث الأركان التي اعتمدها في التعريف مثل (موضوع الكتاب، أهمية الكتاب، كيفية ترتيبه، لغته، عدد أجزائه، تمامه وعدم تمامه، طبع أم لا)، علماً أن هذه الأركان لم يستعرضها المؤلف في كل تعريف، بل الأمر نسبي في ذلك تبعاً لموضوع كل كتاب وأهميته. ومن حيث حجم المادة التي وظفها في التعريف، فهي أيضاً لم تطرد، وتبعاً لذلك التنوع قسّمنا طبيعة تعريف المؤلف بمؤلفاته على أربعة أقسام بحسب حجم المادة التي عرّف الكتاب بها، وهي: الأول: تعريف مسهب وقد اشتمل على عدد من أركان التعريف السالفة، علماً أن إطلاق مصطلح الإسهاب على هذا القسم اعتمدها بكونه يتضمّن أوسع تعريف من حيث المادة (عدد الأسطر) قياساً بالأقسام الأخرى، وقد بلغت عدد أسطره بين (٨ - ١٣) سطراً، وقد احصينا ضمن هذا القسم (٤) عناوين فقط. الثاني: تعريف متوسط وقد اشتمل على عدد من أركان التعريف وقد حصرنا هذا القسم بالتعريف الذي تراوحت عدد أسطره بين (٣ - ٧) سطراً، وقد احصينا ضمن هذا القسم (١٥) عنواناً. الثالث: تعريف موجز وقد اشتمل على بعض أركان التعريف، وعادة ما يقتصر على موضوع الكتاب، وقد حصرنا هذا القسم بالتعريف الذي لم تتجاوز عدد أسطره سطرين فقط، وقد احصينا ضمن هذا القسم (٥١) عنواناً. الرابع: هي العناوين التي لم يعرف بها أصلاً بل اكتفى المؤلف بذكر عناوينها فقط، وقد احصينا ضمن هذا القسم (١٨) عنواناً. أما الداعي وراء جعل المؤلف لم يسر على وتيرة واحدة في التعريف بمؤلفاته فبدا لنا أن ذلك

الخاتمة:

وفي خاتمة البحث توصلنا إلى جملة من النتائج نجملها بالآتي:

٢٤- النقوي، عليّ نقيّ (ت١٤٠٨هـ)، أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات، تقديم: محمّد رضا الجلاليّ، إعداد: مركز إحياء التراث، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة، كربلاء المقدّسة، ط١، ١٤٣٦هـ.

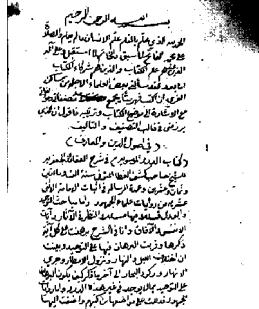


- ١- تتضمن الرسالة موضوعاً تراثياً مهماً؛ كونه يرتبط بعالم التأليف والمؤلفات، كما تكشف عن ملامح النشاط العلمي لأعلام الحقبة التي عاشها المؤلف، وقد ألقها تلبية لرغبة أحد الأعلام ويقصد به الشيخ إسماعيل بن محمد علي المحلاتي النجفي (ت ١٣٤٣هـ).
- ٢- تميّز السيد الصدر بنبوغه العلمي الذي اكتسبه نتيجة البيئة الصالحة التي نشأ وترعرع فيها، فضلاً عن الباعث الذاتي، وهذا ما انعكس على غزارة نتاجه المعرفي المتنوّع، إذ نتج من قلمه العديد من المصنّفات، تجاوزت المائة مصنّف، في الكثير من العلوم الإسلامية.
- ٣- إنّ المؤلف لم يتقيّد بما درج عليه أسلافه من حيث مصطلحات العلوم، ولعلّ موسوعيته وتسلّطه على العديد من العلوم جعله متحرراً في صياغتها بعض الشيء؛ بهدف إيجاد حالة من التوافقية بين ذلك العلم وطبيعة مؤلفاته التي تضمّنها.
- ٤- إنّ قلمه المبارك قد طال التأليف في العلوم الدينية، وعلوم العربية، والعلوم الإنسانية، ومن حيث ترتيبها نلحظ أنّ المؤلف التزم إلى حدّ ما بترتيب قسم منها حسب شرفيتها، وأورد القسم الآخر من العلوم بطريقة غير منتظمة (عشوائية).
- ٥- إنّ المؤلف لم ينهج منهاجاً واضحاً في التعريف بمؤلفاته، فمرة يسهب في تعريفها، وأخرى يكون تعريفه متوسطاً، وفي الرابعة موجزاً، وأحياناً يكتفي بذكر العناوين فقط، ويبدو أنّ ذلك مرتبط بتنوع مؤلفاته من حيث أهميتها وموضوعها وحجمها.

ملحق بالبحث



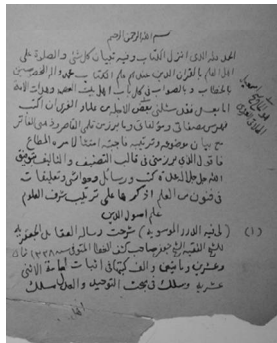
الصفحة الأولى من النسخة (أ) بخط المؤلف رحمه الله



الصفحة الأولى من النسخة (أ) بخط علي بن إسماعيل شرف الدين



بداية الرسالة من النسخة (ج) بخط السيد علي الصدر نجل المؤلف رحمه الله



الصفحة الأولى من النسخة (د) بخط المؤلف رحمه الله



فن العمارة في مصر الفاطمية جامع الاقمر امودجا

أ.م.و. ريم هاوي مرهج

جامعة ميسان/ كلية التربية /قسم التاريخ

reemhadi1978@gmail.com

المستخلص

تنافس الخلفاء الفاطميون مع الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في فن العمارة ، واسترسلوا في بناء القصور الفخمة. وتعد قصورهم، أعظم إنجازاتهم المعمارية، وتحتفظ العديد من المقابر والمساجد والبوابات والجدران، ولاسيما في القاهرة، بالعناصر الأصلية يعد الجامع الاقمر أحد مساجد القاهرة الفاطمية، بني هذا الجامع في الزاوية الشمالية الشرقية للقصر الفاطمي الشرقي الكبير ،وقد بناه الوزير الفاطمي المأمون البطايحي بأمر من الخليفة الأمر بأحكام الله أبي علي منصور سنة (٥١٩هـ / ١١٢٥ م) ويعد أول جامع في مدينة القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية اذ حوت واجهته تصميمها هندسيا خاصا وأنه قد سمي بالاقمر ، نظرا للون حجارته البيضاء التي تشبه لون القمر .

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية ،الاقمر ،الجامع ،العمارة .

Abstract:

The Fatimid caliphs competed with the Abbasid caliphate and the Byzantine state in the art of architecture, and they sought out luxurious palaces. Their palaces are considered their greatest architectural achievement, and many tombs, mosques, gates and walls, especially in Cairo, preserve the original elements. The Aqmar Mosque is one of the mosques of Fatimid Cairo. This mosque was built in the northeastern corner of the great eastern Fatimid palace, and it was built by the Fatimid Minister Al-Ma'mun Al-Batayhi by the order of the Commanding Caliph. God blessed Ali Mansour in the year (519 AH / 1125 CE) and was considered the first mosque in the city of Cairo, the capital of the Fatimid Caliphate, as it had a special engineering design and it was called the

moon, due to the color of its white stones that resemble the color of the moon.

المقدمة

تعد العمارة على مدى العصور هي المرآة التي تعكس فيها حضارات الشعوب بخصائصها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية كما انها تتأثر صعودا وهبوطا مع حركة التاريخ بمؤثراته الداخلية والخارجية والتي تتغير وتتغير عبر الزمن على الرغم من اختلاف المكان. فالعمارة في كل مراحلها هي الصورة العمرانية التي تتميز بها التجمعات البشرية في كثير من الاحيان .

عنيت الدولة الفاطمية منذ نشأتها في المغرب (297 هـ/ ٩٠٩م) وحتى انتقالها الى مصر (٩٦٩/٣٥٨ م) بالفن العماري في المدن الرئيسية في المهديّة والمنصورية والقاهرة.

الا ان قلب النشاط المعماري خلال الحكم الفاطمي كان في مدينة القاهرة، حيث بُنيت العديد من القصور والمساجد والاسوار والابواب وغيرها من المباني الاخرى . اذ يعتبر الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365-386 هـ / ٩٧٥-٩٩٦) أكثر الخلفاء الفاطميين اهتماما بفن العمارة ، ويعود الفضل إليه في ما لا يقل عن ثلاثة عشر معلماً بارزاً بما في ذلك إكمال القصور الكبرى، ومسجد القاهرة، والحصن، والبرج، والجسر، وحمامات عامة.

وتنافس الخلفاء الفاطميون مع الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في فن العمارة ، واسترسلوا في بناء القصور الفخمة. وتعتبر قصورهم، أعظم إنجازاتهم المعمارية، وتحفظ العديد من المقابر والمساجد والبوابات والجدران، خاصة في القاهرة، بالعناصر الأصلية، على الرغم من تعديلها أو إعادة بنائها بشكل كبير في فترات لاحقة. ومن الأمثلة البارزة الموجودة من العمارة الفاطمية الجامع الكبير في المهديّة، ومسجد الأزهر، ومسجد الحاكم بأمر الله، ومسجد الجيوشي، ومسجد اللؤلؤة، والجامع الاقمر في القاهرة موضوع دراستنا

وتصب الدراسة فن العمارة في مصر الفاطمية جامع الاقمر نموذجا من مقدمة و مطلبين المطلب الاول تناولت فيه مراحل تطور فن العمارة الاسلامية في مصر منذ الفتح العربي الاسلامي لمصر وحتى الفتح الفاطمي لمدينته مصر اما المطلب الثاني فشمل الفتح الفاطمي لمصر والعمارة الفاطمية التي شهدتها مصر خلال حكم الفاطميين واهم الاثار الفاطمية في مصر كجامع الاقمر نموذجا . ثم خاتمة البحث التي نعرض فيها ما توصلنا له من نتائج، ثم قائمة المصادر المعتمدة لدينا.

تطور فن العمارة الاسلامية في مصر

فن العمارة الاسلامي يختلف من بلد الى اخر . ولقد ضاع معظم هذا التراث الحضاري بفعل الحروب والاهمال. فقد شهدت مصر ، جانب كبير من هذا التراث الحضاري الذي تجسد في مساجدها وكنائسها وفي مدارسها وقبورها وفي جوامعها وقلاعها وأسوارها



وفىما تنطوى عليه جميع متاحفها الإسلامية لتثبت لنا العصور المختلفة للحضارة الإسلامية، ففي مصر أثار من عصور الراشدين، والأمويين، والعباسيين، وفيها أثار الدولة الفاطمية وغيرها من الدول التي انشأت فيها .

وتعتبر مدينة الفسطاط^(١) أولى العواصم التي شيدها العرب في مصر بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) على يد القائد عمرو بن العاص وبنى فيها جامع عمرو بن العاص الذي لازال قائما بني على مساحة مربعة من الأرض وقامت حوائطه المبنية من الطوب اللبن على أسس من الحجر وله سقف من الجريد على ساريات من جذوع النخل، فبعد أن فتحت جيوش عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مصر، راعى عمرو في اختيار هذا الموقع، ما يراعيه القدماء في انتخاب عاصمة عند رأس الدلتا تشرف على جميع طرق الملاحة في فروع النيل السبعة وعلى جميع طرق القوافل في الصحراء ، ويسهل انتقال الجيوش منها إلى أي جهة من الوجه القبلي أو الوجه البحري^(٢) .

وهكذا أنشأت مدينة الفسطاط كما نشأت المدن قديما وحديثا، فالجامع أولا - مثل المعبد في العصور القديمة- ثم المدينة من حولها.

اما في العصر الأموي في مصر قد توالى على مصر ولادة من الدولة الأموية فزيد في جامع عمرو بن العاص وجدد عدة مرات، وبنيت له على يد مسلمة بن مخلد^(١) أربع صوامع فوق أركانه الأربعة وكانت أول ما عرف من المآذن في مصر ثم أعاده الوالي قرّة بن شريك^(٢) بناء سنة ٩٢هـ^(١) ، والواقع أن المساجد الأولى لم تكن لها مآذن ولا

(١) كانت الفسطاط تعرف (باب ليون) ، وهو الموقع المعروف بالقصر فلما افتتح عمرو بن العاص باب ليون في خلافة عمر بن الخطاب سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) اختطت قبائل العرب حول فسطاط عمرو بن العاص ، وجاءت التسمية من ذلك. اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بن واضح الإخباري (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، البلدان ، ط٣ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف، ١٣٧٧هـ /١٩٥٧م ، ص ٨٦ ؛ ياقوت الحموي ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (دار صادر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م) ، مج ٤ ، ص ٢٦١-٢٦٤ ؛ عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ط١ ، (مطبعة الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ /١٩٣١م) ، ص ١١-١٢ .

(٢) حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ عمرو بن العاص ، سلسلة من صفحات تاريخ مصر ، جزء (٣٤) ، القاهرة ، د.ت ، ص ٦٥ .
لمصر حدود اربع القبلي على الجنادل الى جبال عدن و صحراء الحبشة ، والشرقي الى بحر القلزم (الاحمر) والسويس الى اطراف بلاد الشام والشمالي وتسمية اهل مصر البحري الى الزعقة والعريش على الساحل الغربي على الاسكندرية والعقبة منعظا على الواحات والصعيد ويلتقي اخره بالحد القبلي وتشمل مصر اربعة عشر اقليما بالوجه القبلي سبعة اقاليم وبالوجه البحري سبعة. الصوفي ، محمد بن ابي الفتح ، كتاب الصفة في وصف المملكة المصرية ، مخطوط بالمجمع العلمي ، بغداد تحت رقم ٩٤٤ ، ص ١٣-١٥ ؛ وهي من اشهر اقطار الدنيا وأقدمها ذكرا في التاريخ وابعدها عهدا بالمدينة والعلم موضعها من الكرة الارضية في الشمال الشرقي من أفريقيا وهي عبارة عن واد ضيق بين سلسلتي جبال العرب من جهة الشرق وليبيا من جهة الغرب. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢٦ ؛ العروسي ، حسين جلال الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة ، لبنان ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٢٦ .

(١) مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي (٤ق. هـ 62 - 682 - 618 م : (صحابي) ، ومن كبار الأمراء في صدر الإسلام وقد على معاوية بن أبي سفيان قبل أن يستتب له الامر . وشهد معه معارك صفين ، فولاه إمارة مصر سنة 47هـ . الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت٨٧٤هـ/١٣٤٧م) ، سيرة اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ، دمشق ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٤٢٤ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ٣ ، د.م ، د.ت ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ .

(٢) قرّة بن شريك القيسي ، القنبريني ، نائب ديار مصر للوليد ، ظالم ، جبار ، عات فاسق ، مات بمصر بعد أن وليها سبعة أعوام ، الفسطاط . فإن قرّة مات في أثناء سنة ست وتسعين .الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .

بناء ولا مقصورة ولا محارب مجوفة، أما المآذن فلم يعرفها المسلمون في عصر النبوة^(٢) ونستشف من ذلك أن فن العمارة الإسلامية ولد في عصر الامويين الا انه تطور سريعا وتأثر بالأساليب التي كانت موجودة في بلاد الشام في ذلك الوقت، كما يبدو فيها أن المسلمين أفادوا من فتوحاتهم ووجدوا أكثر من العناصر الفنية في أجزاء دولتهم وألفوا منها طرازاً ممتازاً ظهر في عاصمتهم الجديدة (مدينة دمشق) أما في مصر فلم تتأثر كثيراً واستمرت كذلك المباني في الفسطاط وتوسعت فبنيت فيها الحمامات والأسواق والقباب والجوامع والمسكن ولكنها ظلت مدينة بسيطة، لم يرتفع البناء عن دور واحد والجامع عن مساحة صغيرة.

اما في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) في مصر أزدھر الطراز العباسي بعد سقوط بني أمية ويمتاز هذا الطراز في العمانر الإسلامية باستخدام الأجر وبالتأثير بأساليب العمارة الساسانية وبفضل الأكتاف أو الدعامات على الأعمدة في حمل البوائك، كما تمتاز أيضاً استخدام الجص في كسوة العمانر. وقد أنشأ الولاة في شمال الفسطاط وعلى مقربة منها عاصمة جديدة هي العسكر^(٣) التي ضاعت معالمها، والأثر الباقي من هذا العصر العباسي والذي يعتبر أقدم أثر إسلامي محتفظ بشكله هو مقياس النيل لجزيرة الروضة الذي أمر الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٤-٢٤٧هـ/٨٤٨-٨٦١م)، بترميمه واصلاحه سنة (٢٥٤هـ/٨٥٩م) وكان قبل هذا التاريخ بيد الاقباط يراقبون هذا المقياس فعزلهم الخليفة العباسي المتوكل وعهد لهذه المهمة ابن ابي الرداد^(٤). لذلك عرفوا ببيت المقياس وصار كل من يتولى المقياس يعرف بـ(ابن الرداد) وفيه أقدم طراز للكتابة الكوفية في مصر^(١).

اما في عصر الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م)^(٢) استقلت مصر عن الخلافة العباسية وأنشأ مؤسسها عاصمة جديدة إلى الشمال من مدينة العسكر سماها

(١) ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٥هـ/١١٦٩م)، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م، ج١، ص٢١٧-٢١٨.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٤١٠.

(٣) العسكر : وهي خطة بها سميت بذلك لان عسكر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي وابي عون عبد الملك بن يزيد مولى هناعه نزل هناك في سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان مج ٤، ص ١٢٣.

(٤) هو عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي الرداد اصله من البصرة قدم الى مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل واجرى عليه صاحب خراج مصر سبعة دنائير في كل شهر فلم يزل المقياس في ذلك الوقت في يد ابي الرداد وولده

توفي ابو الرداد سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م). ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد السيد، ط١، دار صادر، بيروت،

١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٨٩؛ المقرئ، تقي الدين احمد بن علي (١٤٤١هـ/١٤٤٥م)، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف (بالخطط المقرئية)، (مكتبة المثنى، بغداد، طبعة جديدة بالوفست، لات)، ج١، ص٥٨.

(١) القلقشندي، ابو العباس، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨)، صبح الاغشى في صناعة الانشاء، (مطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٦م)، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧١.

(٢) الدولة الطولونية وهي إحدى الدول المستقلة عن الدولة العباسية، وامتدت فترة حكمها في الفترة من (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م). وتمثل الدولة الطولونية أول تجربة حكم محلي تحكم فيه أسرة أو دولة حكماً مستقلاً عن حكومة الخلافة المركزية، وقد كان مؤسس هذه الأسرة أحمد بن طولون جندياً تركياً طغوس، محمد سهيل، تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمانيين، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٦ وما بعدها.



القطائع^(١) وشيد فيها مسجده الرائع وقد تم بناء الجامع الطولونى سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م وهو يتكون من صحن مربع مكشوف وتحيط به الأروقة من جوانبه الأربعة، وتقع القبلة فى أكبر هذه الأروقة، وهناك ثلاثة أروقة خارجية بين جدران الجامع وبين سورہ الخارجى وتسمى الزيادات، وقد شيد جامع بن طولون باجر أحمر داكن وأقواس الأروقة محمولة على أكتاف أو دعائم ضخمة من الأجر تكسوها طبقة سميكة من الجص، ولهذه الدعائم أعمدة من الأجر مندمجة فى زواياها الأربعة ولكنها للزينة فحسب لأن الثقل واقع على الدعائم نفسها ومنارة الجامع الطولونى تتكون من قاعدة مربعة تقوم عليها طبقة اسطوانية وعليها طبقة أخرى مثمثة. وأما السلاسل فمن الخارج على شكل مدرج حلزونى، وأبنية الجامع الطولونى مغطاة بطبقة سميكة من الجص، وعلى أجزاء كبيرة منها زخارف هندسية وبنائية جميلة مأخوذة عن الزخارف فى سامراء^(٢)، أما فى عصر الدولة الإخشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ) / (٩٣٥ - ٩٦٩ م)^(٣) وقد استغل المملوك مسك كافور الطُروف فقد تولى الحكم وصيا على اولاد الإخشيد بعد وفاته فجاءت الاوضاع السياسية القائمة آنذاك لمصلحته، فاستفاد من ضعف الخلافة فى بغداد، ومن الخلاف الناشب بين أمراء الدويلات المجاورة، وحافظ على التوازن فى الصراع القائم بين الدولة العباسية المتداعية فى بغداد والدولة الفاطمية النامية فى إفريقيا بعد وفاة كافور الإخشيدى فى سنة (٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م)، ضاع التوازن السياسى الذى كان يحافظ عليه. فقد خلفه أبو الفوارس أحمد، حفيد الإخشيد، وكان عمره أحد عشر سنة، عمت الفوضى والاضطرابات معظم أنحاء مصر، وتدهورت أحوالها الاقتصادية، فأصابها القحط والوباء والغلاء الشديد الناجم عن نقص فيضان النيل، وهاجم القرامطة بلاد الشام وامتد نفوذهم إليها، فى الوقت الذى عجزت فيه الخلافة العباسية عن إعادة الأمور إلى نصابها فى مصر، ولذلك اتصل المصريون بالفاطميين فى بلاد المغرب، ودعوهم للحضور إلى مصر رغبة فى التخلص من الأحوال السيئة التى تردوا فيها، وساعدوهم على فتحها وإسقاط الدولة الإخشيدية، كثرت الثورات الداخلية فى مصر ولم تشخص آثار حضارية لديهم وأسقطت الدولة الإخشيدية، وبدأ فى مصر والشام عصر جديد هو العصر الفاطمى^(٤).

(١) القطائع : جمع القطعة ، هو ما أقطعته الخلفاء لقوم فعمره ، والقطائع مدينة بناها احمد بن طولون حيث أقطعها لغلمانه .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ٣٧١ ، المقرئى ، الخطط ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢٢٠ .
(٢) حسين ، حمدي عبد المنعم ، محاضرات فى تاريخ مصر الإسلامية ، القاهرة ، د.م. ، ص ٧٢ ؛ سامح ، جمال الدين ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٩١ م ، ص ٣٧ .
(٢) هي إمارة إسلامية أسسها محمد بن طغج الإخشيد فى مصر ، وامتدت لاحقاً باتجاه الشام والحجاز ، عينه الخليفة العباسى أبو العباس محمد الرضى بالله والياً على مصر ، فأقر فيها الأمن والأمان وقضى على المتمردى على الدولة العباسية ، وتمكن من الحد من الاطماع الفاطمية بمصر . فلما تمكن من ذلك منحه الخليفة لقباً تشريفاً فارسياً هو «الإخشيد» تكريماً له ومكافأة على عمله . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : أحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ج ٥ ، ص ٥٨ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٣ ؛ كاشف ، سيده إسماعيل ، مصر فى عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ٥٦ ؛ طغوش ، تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين ، ص ١٤٧ .
(٤) الحويرى ، محمود ، مصر فى العصور الوسطى الاوضاع السياسية والحضارية ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٣٣ .

الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

بعد تدهور الأوضاع في مصر خلال حكم ابو الفوارس الاخشيدى استطاع القائد الفاطمي جوهر الصقلي^(١) من دخول مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) في خلافة المعز لدين الله^(٢) (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، واصبحت مصر دار خلافة بعد ان كانت دار امارة. فقد ترك الفاطميون آثاراً معمارية كبيرة في المناطق التي حكموها فقد ظهرت العديد من الأنماط والأفكار المعمارية للمرة الأولى أثناء العصر الفاطمي، منها على سبيل المثال بناء واجهات المساجد بالحجر المنحوت والمزخرف عوضاً عن الطوب، كما هي الحال في مسجد الحاكم بأمر الله^(٣). أسس الفاطميون مدينة القاهرة على ضفاف نهر النيل سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وذلك بعد فتحهم لمصر مباشرة، ليجعلوها العاصمة الجديدة لدولتهم. وقد أمر جوهر الصقلي بعد تأسيس المدينة ببناء اربعة ابواب للقاهرة، هي باب النصر والفتوح وباب زويلة والقوس ثم زادت في ما بعد، وكذلك أمر بالشرع ببناء الجامع الأزهر عام ٣٥٩هـ^(٤). وتوسعت القاهرة مع الزمن، لتتحد بثلاث مدن كانت قد بُنيت سابقاً في المنطقة ذاتها، هي: الفسطاط من عصر الفتح الإسلامي، والعسكر من العصر العباسي، والقطائع من العصر الطولوني وازدهرت العمارة ازدهاراً كبيراً في القاهرة^(١)، ومن أبرز الآثار المعمارية الباقية للفاطميين فيها الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله وجامع الاقمر.

و جامع الصالح طلائع وعني الفاطميون بإنشاء وتشبيد المشاهد والمزارات المقدسة لآل البيت، فزيّنوا عاصمتهم القاهرة بعددٍ منها، استعمل بعضها لدفن الخلفاء أنفسهموما زال عددٌ من هذه المزارات قائمٌ في مصر حتى الزمن الحالي فيما زال بعضها الآخر.

جامع الاقمر

احد جوامع الدولة الفاطمية الذي امر بانشائه الخليفة الأمر باحكام الله^(٢) (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) وتم ذلك على يد وزيره المأمون البطاحي^(١) سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م)^(٢).

(١٥) هو جوهر بن عبد الله الرومي كان من موالى المعز لدين الله اخضع بلاد المغرب ووصل الى المحيط الاطلسي فأمران بصطاد له من سمكه فاصطادوا له في حلة خلال الماء وحمله الى الخليفة المعز لدين الله وبذلك امتد ملك المعز من تونس الى المحيط الاطلسي سوى مدينة سبتة وطنجة سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) وارسل الجيوش لفتح الشام وضمها اليه فكان بناء القاهرة سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) وبنى جامع الازهر سنة (٣٦١هـ/٩٧١م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص١١٨؛ الياضي، عبد الله بن اسعد بن سليمان اليمني المكي (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، مرآة الزمان وعبرة اليقظان، منشورات الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠م.

ج٢، ص٤١١-٤١٤؛ حسن، علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط١،

(مصر، ١٣٢١هـ/١٩٣٣م)، ص٢٤؛ مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر، القاهرة ومدنها وبلادها المشهورة، (المطبعة الاميرية الكبرى، بولاق، مصر، (١٣٠٤هـ/١٨٩٢م)، ج٢، ص٤٠؛ الشيبان، تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٠٦.

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٨١.

(٢) عثمان، محمدعبد الستار، العمارة الفاطمية، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٠١.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج٢، ص٢٧٣.

(١) عثمان، العمارة الفاطمية، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) عثمان، العمارة الفاطمية، ص٣٠٠-٣٠١.



موقعه

حدد لنا المقرىزى موقع الجامع الاقمر مجاور القصر الشرقى من جهة الشمال الغربى وكان فى مكان الجامع حوائىب العلافىن والحوض مكان المنظره فلم يترك امام القصر دكانا وبنى تحت الجامع دكاكىبن ومخازن من جهة باب الفتوح^(٣).
ويتضح لنا ان مساحه الجامع لم تكن خالىة من المبانى بل ازىلت وانشى عليها الجامع ودلىنا على ذلك عدم انتظام حدود الجامع بهىئة مستطىلة منتظمة التربىع واستغلال اكبر مساحه من الداخل وعمل حجرات ملحقه بالجامع وهو اول جامع أيضا به واجهه موازىة لخط تنظيم الشارع بدل أن تكون موازىة للصحن، ذلك لكى تصىر القبلة متخذة وضعها الصىحى^(٤).

وىذكر المقرىزى لنا ان هذا المسجد بنى فى مكان أحد الأدىرة التى كانت تسمى بئر العظمة، لكونها تحوى عظام بعض الأقباط^(٥).

اسباب بناء الجامع الاقمر

من المعروف فى تاريخ بناء المدن الاسلامىة ان بىنى قسرا فى وسط المدينة والى جوارها المسجد الجامع ولكن نلاحظ فى مدينة القاهرة وجود جامعین جامع الازهر وجامع الحاكم بامر الله ما الدافع لبناء جامع اخر؟.

ووربما يعود ذلك الى اسباب دىنىة وسىاسىة ومن الاسباب الدىنىة هو حث الشارع الحكىم على بناء المساجد، وعظم اجر بانىها وكذلك من يسهم فى تعمىرها بقوله تعال: " فى بىوت اذن الله أن تُرْفَع وىذْكر فىها اسمُه یُسَبَّحُ لَهُ فىها بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ، رَجَالَ لَأ تُلْهىهم تجارةٌ ولا یَبِيعُ عَن ذِكرِ اللهِ وإِقامِ الصَّلَاةِ وإِیْتاءِ الزَّكَاةِ یَخَافُونَ یَوْمًا تَتَقَلَّبُ فىه القلوبُ والأبصارُ"^(١).

على أن هذا البناء یجب أن یكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى لا یصحبه رىاء أو فخر سمعة، فعن عثمان بن عفان (رض الله عنه) أن النبى(صلى الله علیه واله وسلم قال: "من بنى لله مسجدا یبغى به وجهه الله بنى الله له بىت فى الجنة"^(٢).
وقد اجاز الفقهاء بتعدد الجوامع فى مدينة واحدة، اذا كانت الضرورة تدعو الى ذلك، لضىق المسجد الأول على رواده، وعدم قدرته على استىعاب المصلىن فإنهم یجىزون بناء مساجد جدىة، ولو كانت قریبة، ذلك لأن المصلحة الشرعىة تقتضى التیسىر ورفع

(١) المأمون البطانى: هو عبد الله محمد بن الامىر نور الدولة أبى شجاع فاتك بن الامىر منجد الدولة بن أبى الحسن المختار المتنصرى أنصل بخدمه الافضل امىر الجیوش ولد سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) وكان من نوى الاراء والمعرفة التامة بتدبىر الدولة. ینظر المقرىزى، الخطط، ج١، ص ٤٦٣.

(٢) المقرىزى، الخطط، ج٢، ص ٢٩٠.

(٣) م. ن، ج٢، ص ٢٩٠.

(٤) عثمان، العمارة الفاطمىة، ص ٣٢٤.

(٥) المقرىزى، الخطط، ج٢، ص ٢٩٠.

(١) سورة النور، آیه رقم (٣٦، ٣٧).

(٢) البخارى، ابو عبد الله محمد بن إسماعىل بن إبراهيم بن المغیره، (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)، صىح البخارى، بیروت، د. ت، ج١، ص ٩٤.

الخرج عن الناس، فإن كان بالإمكان توسعة المسجد الموجود لاستيعاب الزيادة فذلك أولى^(١).

كما افق الفقهاء بجواز تعدد الجمعة في البلد الواحد للضرورة والحاجة الداعية لذلك، واستدل هؤلاء بما ثبت أن على بن أبي طالب استخلف بن مسعود (رضى الله عنه) -ما يصلى بالضعفة صلاة العيد والجمعة مثلها^(٢). تحديد إقامة الجمعة بموطن واحد خرج عظيمًا ومشقة كبيرة، وبما أن الإسلام دين يسر، ومن ثم فتعدها إذا كان لحاجة بآذن ولي الأمر فيه رفع خرج عن المسلمين، ومن ثم فهو جائر شرعا^(٣).

ويتبين لنا من ذلك شرعية انشاء جوامع متعددة في البلد واحد حسب ماتقضية الضروره والوظيفة الأساسية لبنائه وان اقيمت فيه الجمعة .

اما السبب السياسي يرجع الى الصراع الاسري في البيت الفاطمي عندما استبعد نزار بن المستنصر بالله بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، من ولاية العهد وتولى الخليفة المستعلي بالله(٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١١٠١ - ١٠٤٩م)، بن المستنصر الخلافة مما ادى الى الانقسام^(٤) وخاصة بعد ان تولى الامر بأحكام الله الخلافة بعد ابيه فكان يخشى النزارية فبنى هذا الجامع الملاصق للقصر الشرقي حتى يخرج للصلاة الرجوع الى القصر دون الحاجة الى الذهاب الى الجامع الازهر او جامع الحاكم^(٥).

واراد الخليفة الامر من اثبات صحة توليه للخلافة من خلال الكتب والسجلات وقد نقل لنا السيوطي^(١) سجل توليه الخليفة الامر باحكام الله جاء فيه: "وقد كان الامام المستعلي، (قد س الله روحه)، عند نقلته، جعل لي عقد الخلافة من بعده، واودعني ما حازه من ابيه وجده وعهد الي ان اخلفه في العالم، واجزي الكافة في العدل والاحسان على منهجه المتعلم.... ان اعلي محل السيد الاجل الافضل من قلبه الكريم، وما يجب له من التبجيل والتكريم... فاوصاني ان اجعله لي كما كان صفيًا وظهيرًا ولا استر عنه من الامور صغيرًا ولا كبيرًا، وان اقتدي به في رد الاحوال الى تكلفه، واسناد الامور الى تدبيره".

(١) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (المتوفى: ٤٨٣ هـ) ، المبسوط، دار المعرفة بيروت ١٩٩٣، ج١، ص١٤٠؛ الحنبلي، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (ت ٧٦٣ هـ) ، الفروع، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٣٨.

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨ هـ) ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط، ٣ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٣، ص٤٣٤.

(٣) السرخسي، المبسوط، ج٢، ص١٢٠؛ ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية . ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢٤، ص١٦٧.

(٤) ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن موسى بن جلب بن راغب(ت٦٧٧هـ/١٢٨٧م) ، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد السيد، د.م، ١٩٨١م، ج٢، ص٦٠؛ ابن منجب الصرقي، امين الدين تاج الرياسة ابي القاسم علي بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٥٩.

(٥) عثمان، العمارة الإسلامية الفاطمية، ص٣٢٧.

(٦) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٥-٢٦.



وبذلك انشئ انشاء الجامع الاقمر جامعا وليس مسجد فقد اشار بن واصل^(١) ان الخليفة الامر بأحكام الله كان يخطب فيه الجمعة بنفسه، وكان خطيب الجامع يحضر الاحتفالات بالمواليد الستة ويقوم بالخطبة شأن خطيبين الجامع الازهر وجامع الحاكم^(٢).

تسميته

سمي بالاقمر نظرا للون حجراته البيضاء التي كسيت بها جدرانها تشبه لون القمر^(٣).

الوصف المعماري لجامع الاقمر

تم بناء الجامع على شكل منحرف اذ يبلغ طول ضلعه الشمالي ٣٧,٥ م اما الجنوبي ٣١ م والضلع الشرقي ٢٣,٦٠ م، اما الغربي فيبلغ ٢٠ م. وتعتبر الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية للجامع اذ تعتبر اجمل واقدم الواجهات في المساجد في مصر^(٤) وتحتوي على صناديق معشقة التي تميزت بها العمارة الدينية المصرية وتحتوي على حنية المدخل طاقية عقد ويتوسطها نحت كتب بها اسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واسم علي(عليه السلام) وحولها شريط من الزخارف النباتية ويلبها شريط بالخط الكوفي كتب بها (بسم الله الرحمن الرحيم "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا")^(٥)

وتخرج منها ضلوع اشعاعية ينتهي بهيئة مسننة كذلك يعلوها شريط من الكتابات الكوفية^(٦)

وفي الباب الرئيسي حنيتان اعلاهما عقد مملوء بالزخارف والمسننات ويحتوي على كتابه كتبت بالخط الكوفي يتضمن اية من القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم " فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رَجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"^(١)

وأهم ميزة في مدخل الجامع استعمال المقرنصات ولم تستعمل قبل ذلك إلا في مئذنة جامع الجبوشي، تلك الزخرفة التي انتشرت في جميع العمارة الإسلامية بعد هذا الجامع.^(٢)

(١) ابن واصل ،جمال الدين محمد بن واصل (٦٩٧هـ)،مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق ،جمال الدين الشيل ،القاهرة ،د.ت. ج٢، ص٥٥.

(٢) المقريري ،الخطط، ج٢، ص٢٩٠.

(٣) عثمان ، العمارة الإسلامية الفاطمية ،ص٣٢٧.

(٤) عثمان ، العمارة الإسلامية الفاطمية ،ص٣٣٩.

(٥) سورة الاحزاب ،اية رقم (٣٣).

(٦) عثمان ، العمارة الإسلامية الفاطمية ،ص٣٤٠.

(١) سورة النور ،اية رقم (٣٦،٣٧).

(٢) اسامح ،العمارة الإسلامية ،ص٦٣.

ويجد الى اسفل المقرنصة كتابات كوفية ممتدة على الواجهة ونصها: "هذا الجامع المبارك ..بن الامام المستعلي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين وابناءه الاكرمين السيد الاجل المأمون امير الجيوش"^(١) وهذا النص يوضح لنا ذكر الوزير الى جانب الخليفة الفاطمي اتساع نفوذ الوزراء وسطوتهم وضعف الخلفاء الفاطميين فضلا عن توثيق بناء الجامع من قبل الخليفة الامر باحكام الله ووزيره المأمون البطائحي .

كما يوجد كتابات ايضا يوثق بناء الجامع من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله ووزيره كتبت ايضا بالخط الكوفي في الحنيتين السفلتين من الواجهة الرئيسية الي تؤكد على الصلاة على الخليفة وابيه المستعلي بالله واحقيتهما بالخلافة دون النزارية واعتبارهم اعدائهم ونص الكتابة: "بن الامام المستعلي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى ابائهم الطاهرين وابناءهما الاكرمين تقربا الى الله الملك الحق المبين اللهم انصر جيوش الامام الامر بأحكام الله امير المؤمنين على كافة المشركين ..."^(٢) و نافذته الشمالية للواجهة الغربية فقد صممت في هيئة المحراب الصغير الذي يرتكز عقده على عمودين ويتدلى مشكاة^(٣).

اما شكله الداخلي يوجد ممر طوله ٤ امتار يصل الى صحن الجامع، والصحن مستطيل الشكل يبلغ ١٧, ١٠ متر تقريبا من الشرق الى الغرب وعرضه ٩, ٧٧ من الجنوب الى الشمال وتطل عليه الاروقة الاربعة للجامع من الجوانب الاربعة، كما يوجد في اركان الصحن اربع دعامات حاملات للعقود ويوتر عقود الواجهات المطلة على الصحن كتابات كوفية ترجع الى الفاطميين عبارة عن آيات قرآنية وانها تقدم الدليل القاطع على ان القباب ترجع الى العصر الفاطمي وليس الى العصر المملوكي^(٤) كما استعمل في بناء قبواتها المثلثات الكروية المبنية بالطوب اللبن التي ترجع الى القرن السادس الهجري /الثاني عشر ميلادي في فترة معاصرة لبناء الجامع الاقمر^(٥) . نستنتج من ذلك ان الفاطميين استخدموا القباب في تغطية مساجدهم وفي ابواب القاهرة وفي مبان اخر.

الاروقة :

لجامع الاقمر اروقة منها الاروقة الشمالية والجنوبية تحتوي على ثلاثة قباب محمولة على عقود عمودية وموازية لجدار القبلة .اما الرواق الغربي فيتكون من بلاطة واحدة مقسمة الى خمسة مربعات بواسطة عقود عمودية وموازية لجدار القبلة وتحمل خمس قباب محمولة على مثلثات كروية كما يحتوي على دخلات بين الجدار الشمالي والجنوبي وكذلك يوجد بالجدار الغربي اربع دخلات وهذه الدخلات المعقودة التي فتحت

(١) عثمان ، العمارة الاسلامية الفاطمية ،ص ٣٤١ .

(٢) عثمان ، العمارة الاسلامية الفاطمية ،ص ٣٤١ .

(٣) عبد الرزاق ، احمد ، بيوت الفسطاط الاثرية ،مجلة المتحف العربي ،السنة الرابعة ،١٤ ،الكويت ،١٩٨٨ ، ص ٢٥٢ ..

(٤) عثمان ، العمارة الاسلامية الفاطمية ،ص ٣٤٧ .

(٥) عبد الوهاب ، حسن ، تاريخ المساجد الاثرية ،القاهرة ،د.ت، ص ٧٦ .



في القطاع العلوي منها نوافذ تغشيتها شبابيك الجص المعشق^(١) اما رواق القبلة الذي يعتبر من اكبر الرواقات الموجودة في الجامع يتكون من ثلاثة عقود وثلاثة بلاطات موازية لجدار القبلة بواسطة ثلاثة بانكات البانكة المطلة على الصحن يحمل عقودها الخمسة دعامتان وعمودان ،اما البلاطة المحراب اوسع من البلاطتين ويعلوها سقف خشبي وتوجد مقصورة خشبية على رواق بلاطة المحراب لان اثر قوائمها باق في قواعد الاعمدة^(٢) اما حنية المحراب تتخذ شكلا مقوسا ويعلوها طاقية يتقدمها عقد فاطمية منكسر، ويوجد الى يمين المصلي المنبر الا ان هذا المنبر وضع في العصر المملوكي وكذلك يحتوي الرواق على ثلاثة دخلات في الوسطى منها فتحة الباب الجنوبي اما الجدار الشمالي فيحتوي على ثلاثة فتحات الفتحة الشرقية تؤدي الى حجرة كبيرة اما الفتحة الثانية والثالثة تؤدي الى حاصلين وجميعها لها ابواب خشبية مزخرفة بزخارف نباتية^(٣).

(١) عثمان ، العمارة الاسلامية الفاطمية ، ص ٣٤٩ .

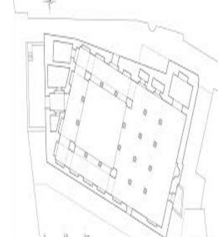
(٢) م.ن، ص ٣٣٤٩-٣٥٠: عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٧٢ .

(٣) عثمان ، العمارة الاسلامية الفاطمية ، ص ٣٤١ .

قائمة المصادر

- ١- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة، (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) صحيح البخاري، بيروت، د.ت.
- ٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨ هـ)
- ٣- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ٣ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م
- ٤- ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٥هـ/١١٦٩م)
- ٥- النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م
- ٦- ابن تيمية نقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)
- ٧- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية . ١٩٩٥/١٤١٦
- ٨- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
- ٩- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، بيروت، ١٩٩٧م
- ١٠- الحنبلي ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (ت ٧٦٣ ، هـ)
- ١١- الفروع ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م
- ١٢- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- ١٣- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٤- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
- ١٥- سيرة اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، دمشق، د.ت .
- ١٦- السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (المتوفى: ٤٨٣ هـ)
- ١٧- الميسوط ، دار المعرفة بيروت ، ١٩٩٣ .
- ١٨- ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)
- ١٩- خزنة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد السيد، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- ٢٠- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)
- ٢١- القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ٢٢- القلقشندي ، ابو العباس، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨)
- ٢٣- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مطبعة الاميرية، القاهرة ، ١٩١٦ م
- ٢٤- المقرئزي، نقي الدين احمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م)
- ٢٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (بالخط المقرئزي)، مكتبة المتنى، بغداد، طبعة جديدة بالوفست، لا.ت)
- ٢٦- ابن منجب الصرفي، امين الدين تاج الرياسة ابي القاسم علي بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)

- ١٤-الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة، ١٩٢٤م
-ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن موسى بن جلب بن راغب (ت١٢٨٧هـ/١٢٨٧م)
١٥-أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد السيد، د.م، ١٩٨١م
-ابن واصل، جمال الدين محمد بن واصل (٦٩٧هـ)
١٦-مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق، جمال الدين الشيبان، القاهرة، د.ت
-اليافعي، عبد الله بن اسعد بن سليمان اليمني المكي (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥ م)
١٧- مرآة الزمان وعبرة اليقظان، منشورات الأعلمي، بيروت، ١٩٧٠م.
-ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت١٢٢٨هـ/١٢٢٨م)
١٨- معجم البلدان، (دار صادر ،بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م).
-اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بن واضح الإخباري (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)
١٩-البلدان، ط ٣، (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)
المراجع
-حسن ،حسن ابراهيم
٢٠-تاريخ عمرو بن العاص ،سلسلة من صفحات تاريخ مصر، جزء (٣٤)، القاهرة ،د.ت
-حسن، علي ابراهيم
٢١-تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط ١، مصر، ١٣٢١هـ/١٩٣٣م
-حسين ،حمدي عبد المنعم
٢٢-محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ،د.م.
-الحويري، محمود
٢٣-مصر في العصور الوسطى الأوضاع السياسية والحضارية، القاهرة ،د.ت
-الزركلي،خير الدين
٢٤- الاعلام (قاموس لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط٣، د.م، د.ت
-سامح ،جمال الدين
٢٥-العمارة الإسلامية في مصر ، ط٤، القاهرة ، ١٩٩١م.
-طقوس ،مُحمد سُهَيْل
٢٦-تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين ، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.
-العروسي، حسين جلال
٢٧-الموسوعة العربية الميسرة ،دار النهضة، لبنان ، بيروت١٩٨٧م.
-عثمان ،محمد عبد الستار
٢٨-العمارة الفاطمية ،دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
-عنان ،محمد
٢٩-مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ط ١، (مطبعة الكتب المصرية ، القاهرة ، (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م)
-كاشف، سيّدة إسماعيل
٣٠-مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهر، ١٩٨٩م
-مبارك، علي باشا
٣١- الخطط التوقفية الجديدة لمصر، القاهرة ومدنها وبلادها المشهورة، (المطبعة الاميرية الكبرى، بولاق، مصر،
(١٨٩٢هـ/١٣٠٤م)
المجلات
-عبد الرزاق ، احمد
٣٢-بيوت القسطنطينية، مجلة المتحف العربي، السنة الرابعة، ١٤، الكويت، ١٩٨٨،





الخاتمة

شكل رقم (١) مخطط جامع الاقمر فى مدينة القاهرة



شكل رقم (٢) الزخرفة النباتية فى جامع الاقمر



شكل رقم (٣) الواجهة الغربية لجامع الاقمر



شكل رقم (٤) المقرنصات فى جامع الاقمر

- ١- عُني الفاطميون بفن العمارة لابرار حضارتهم من خلال بناء القصور والمساجد والمشاهد والحمامات في مصر .
- ٢- يعتبر جامع الأقمر من اجمل الجوامع في مصر الفاطمية بناه الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام امرالله أبي علي المنصور بن المستعلي بالله من قبل وزيره المأمون البطائحي سنة ٥١٩هـ / ١٢٥م) بني واجهاته من الحجر يشبه ضوء القمر وسمي لذلك بالأقمر .
- ٣- واجهته الفريدة من حيث زخارفها اختص بها جامع الاقمر اذ يوجد في مدخله لأول مرة في عمارة المساجد العقد المعشق كمانتمتع واجهة الجامع بزخارف ونقوش فريدة، ونقوش خطية ونباتية محفورة بالحجر، فالدوائر الزخرفية التي تبدو كالشمس الساطعة تحمل في ثناياها الداخلية اسم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) و الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ٤- وهو أول جامع به واجهة موازية لخط تنظيم الشارع بدل أن تكون موازية للصحن، ذلك لكي تصير القبلة متخذة وضعها الصحيح، ولهذا نجد أن داخل الجامع منحرف بالنسبة للواجهة، يتكون جامع الاقمر من صحن صغير مربع مساحته عشرة أمتار مربعة تقريبا يحيط به رواق واحد من ثلاثة جوانب وثلاثة أروقة في الجانب الجنوبي الشرقي، أي في إيوان القبلة وعقود الأروقة محلاة بكتابات كوفية مزخرفة ومحمولة على أعمدة رخامية قديمة ذات قواعد مصبوبة وتيجان مختلفة تربطها ميد خشبية.
- ٥- استعمال المقرنصات في تصميم جامع الاقمر ولم تستعمل قبل ذلك إلا في مئذنة جامع الجيوشي، تلك الزخرفة التي انتشرت بشكل واسع فيما بعد.



العمارة الاسلامىة لجامعى قرطبة واشبىلىة فى الاندلس

Islamic architecture of the Great Mosque of Cordoba and the Mosque of Seville in Andaluia

أ.م.و. أسماء عبدرالله غنى

كلية الآواب اجامعة بغراو

قسم التاريخ

Asst .Prof. Dr. Asma Abdallah Gany

College of Art

University of Baghdad

dr.asma.gani@gmail.com

الملخص :

تعد المساجد احدى الخصائص البنائىة التى تخص العمارة الاسلامىة والتى تأثرت ككثيرا بالدين الاسلامى وازداد انتشارها على ايدي المسلمين بفضل اتساع الفتوحات الاسلامىة، وبمرور العصور نرى تطورا ككبرىا فى تصميم الجوامع وطرق بناءها ، اذ ابتكر المسلمون فى المناطق التى وصلوها فنون فى اشادة ابنىة الجوامع ومنها الاندلس التى حكمت لفترة طويلة ، أنشا فيها المسلمون جامعى قرطبة واشبىلىة ، وكان للامير عبد الرحمن الداخلى ، والخليفة الموحدى ابو يعقوب ابن عبد عبد المؤمن الفضل فى تاسيسهما وهما اروع الاعمال العمرانىة اذ تميزا بالفخامة والاتساع والطراز المعمارى الدقيق استغللت فىهما اساليب بارعة دلت على الذوق الرفيع وازدهار الفن العربى الاسلامى .

الكلمات المفتاحىة : الاندلس ، جامع قرطبة ، جامع اشبىلىة

Summary

Mosques are considered one of the structural characteristics of Islamic architecture, Which was greatly affected by the Islamic religion and spread by Muslims due to the expansion of the Islamic conquests, With the passage of the ages, we see a great development in the designs of mosques and methods of building them, As the Muslims invented art in constructing mosque buildings in the areas they reached, including Andalusia, which ruled for a long time, The Muslims established the Mosque of Cordoba and the Mosque of Seville, Prince Abd al-Rahman al-Daakhal, and the Almohad caliph Abu Ya'qub ibn Abd al-Mu'min, had a role in their founding, They are the most magnificent urban works that were distinguished by their grandeur, breadth and delicate architectural style, In them, ingenious methods were used that indicated the high taste and prosperity of Arab-Islamic art .

Key words: Al-Andalus, the Great Mosque of Cordoba, the Mosque of Seville .

المقدمة:

تألفت عدد من المدن الاندلسية بفنونها وعلومها ومساجدها، ومنها مدينتي قرطبة واشبيلية اللتان ما زالتا يحتفظان بتراث ضخم من ماضيها العربي الاسلامي المجيد والذي عجزت كل حوادث الزمان ان تنتزع جذوره العميقة من ارضها الطيبة، وهذا دليل على عظمة دولة الاسلام في الاندلس وما وصلت اليه في عهدهم، لهذا نرى اهتمام الخلفاء على مر العصور في المشرق والمغرب ببناء المساجد، إذ يعدّ المسجد اقدم مؤسسة اسلامية أسسها الرسول (ص)، وتابعه الخلفاء والامراء فيما بعد، وقد اتخذ مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء، حتى عدت اهم المراكز الدينية والثقافية وادت رسالتها العلمية والفكرية والثقافية، فلا غرابة ان تنال المساجد اهمية كبيرة عند الخلفاء والامراء في المشرق والمغرب، فكرسوا لها مبالغ طائلة لبنائها وتوسعتها وترميمها وتزيينها بأجمل النقوش والفسيفساء، ولقد اصبحت بمرور الزمن مركز جذب واستقطاب لطلاب العلم يفدون اليها لينهلوا من المعرفة على يد كبار العلماء والمفكرين ، وكان للوجود العربي الاسلامي في الاندلس الذي قارب ثمانية قرون اثر كبير في انشاء مساجد كثيرة ما تزال باقية الى يومنا هذا التي عدت من ابرز شواهد التاريخ عمارة وفنا ، وكانت قرطبة مركز الخلافة الاسلامية في الاندلس ، ومن اهم اثارها المسجد الجامع الذي يعد اكبر شاهد على حضارة المسلمين وما وصلوا اليه ، إذ يعدّ تحفة معمارية اسلامية اشتهر ببناؤه الجميل وطرازه الاسلامي ، يرجع تأسيس المسجد الى سنة ٩٢هـ / ٧١٠م إذ شاطر المسلمين مسيحيو قرطبة كنيستهم ، وعندما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجبوشهم اشترى عبد الرحمن الداخل ت ١٧٢هـ / ٧٨٨م شطر الكنيسة العائدة للروم وامر بانشائه سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م بالقرب من نهر الوادي الكبير ،



تواصل عمله على مدى قرنين من الزمن ، وبدأت تتوالى على المسجد الاضافات ، إذ عدّ قمة من قمم الفن المعماري على مر العصور ، ودليل قاطع على براعة الامويين في فن الهندسة والمعمار، وعلى اثر مسجد قرطبة شيد مسجد اشبيلية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م إذ كان الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن يرغب في ان يحاكي جامعهم العتيد لقرطبة سعة وارتفاعا وزخرفة ، فكان يحتوي هذان الجامعان على الاعمدة والعقود والاشرطة الكتابية وكل العناصر المعمارية ، اتم بناءه في عهد ابنه ابي يوسف يعقوب المنصور الذي امر بكمال بناء المئذنة التي تجاوزت مئذنة قرطبة في ارتفاعها ، وقد اودع الفنانون نتاج العبقريّة الفنية الاندلسية في فنون الزخرفة والرخام في قبة المحراب ، ويبقى مسجد اشبيلية من المشاهد الاثرية التي شيدها المسلمون وشاهد على الحضارة العربية هناك .

المعنى اللغوي للمسجد والمسجد الجامع:

المسجد لغة :

المسجد بكسر الجيم هو اسم لمكان السجود^(١)، وكل موضع يتعبد فيه هو مسجد فهو الموضع الذي يسجد فيه^(٢)، وجاء في المعجم الوسيط: المسجد هو المصلى، والمسجد هو الجبهة حيث يكون إثر السجود في الجبهة، والمساجد من بدن الإنسان هي الأعضاء التي يسجد عليها وهي (الجبهة والأنف واليدين والركبتين والقدمين)^(٣).

وقد كانت المساجد في القرون الأولى للعصر الإسلامي فضلا عن وظيفتها في إقامة الصلاة ، فهي مركزا للعلوم ومقصدا لطلاب العلم فكانت تقام فيها الحلقات العلمية والأدبية ويلتقي فيها المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول الدين وأركانها ويتدبروا القرآن وأحكامه وسنة رسول الله (ﷺ) فضلا عن العلوم والدراسات الأخرى^(٤).

المسجد الجامع لغة :

هو صفة تطلق على المسجد فيقال (المسجد الجامع) وأطلقت هذه الصفة على المسجد لأنه علامة الاجتماع لأداء الصلاة، ويطلق على المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة أن كان كبيرا أو صغيرا المساحة — (المسجد الجامع) لأنه يجمع الناس لوقت الصلاة^(٥).

مصطلح الاندلس ومدلوله :

(١) محمد بن عبد الله الزركشي، إلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، ط٣ (القاهرة: لجنة أحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٢) ص٢٦-٢٧.

(٢) تقي الدين احمد بن علي المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: ديت) ج٢، ص٤٠٨.

(٣) صادر من مجمع اللغة العربية، ط٣ (القاهرة : مكتبة الشروق دولية د.ت) ، ص٤٣٢.

(٤) عبد الله كامل موسى، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي، ،

ط١ (القاهرة : مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٨) ص١٧.

(٥) المقرئزي، السلوك ، ص٤٠٨.

الأندلس هي التسمية التي أطلقت على شبه الجزيرة الأيبيرية نسبة إلى إباريه (Ibere) اقدم أمة سكنت تلك البلاد، وهي شبه جزيرة محاطة بالمياه من ثلاثة جهات^(١) وتقع في الجانب الغربي من أوروبا جعل الرازي هيأتها مركنة " ذات ثلاثة أركان"^(٢) أي أن الأندلس بلداً مثلث الشكل^(٣) يكون ركنه الأول عند قادس^(٤) والثاني بشرقي الأندلس ما بين مدينتي أربونة (نربونة) وبردليل وهما مدينتان في جنوب غرب فرنسا بأزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة في شرق إسبانيا في البحر المتوسط بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر الشامي المتوسط، وبينهما المدخل الذي يعرف بالأبواب، وهو المدخل إلى الأندلس من الأرض الكبيرة من بلد فرجة. والثالث ما بين الشمال والغرب من إقليم جليقية^(٥) وتمتد بين إسبانيا والبرتغال وافتتحت بأكملها سنة ٩٢هـ/٧١١م، وكانت أمانة في ظل الدولة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) ثم عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣١م) وفيه ظهرت الدولة العامرية (٣٦٧-٣٩٢هـ/٩٧٧-١٠٠٨م) نسبة إلى مؤسسها محمد بن ابي عامر^(١) الذي اعلن نفسه حاجبا (٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠٢م)، ثم عصر الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١٠٩١م)، ثم عصر المرابطين (٤٨٤-٥٤١هـ/١٠٩١-١١٤٦م) ثم الموحدين (٥٤١-٦٣٥هـ/١٠٩١-١٢٣٧م) ثم عصر دولة بني الاحمر في مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٧-١٤٩٢م) واستمر حكم المسلمين فيها ثمانية قرون حتى سقطت بيد الإسبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، أما تسمية الأندلس فقد تكون مأخوذة من كلمة vandals

(١) محمد بن عبد الله بن إدريس الادرسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والسودان "مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق"، نشر رينهارت دوزي ودي غويه (لندن، مطبعة بريل، ١٩٦٨)، ص ١٧٣؛ محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب "الروض المعطار في خبر الاقطار"، نشر وتصحيح وتعليق إ. ليفي بروفنسال (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧)، ص ٢.
(٢) أحمد بن محمد بن موسى، صفة الأندلس (نشرها إ. ليفي بروفنسال)، مجلة الأندلس، العدد ١٨، ج (مدريد، ١٩٥٣)، ص ٦٥.

(٣) الرازي، صفة الأندلس، ص ٦٠؛ عبدالله بن عبد العزيز بن محمد ابو عبيد البكري، جغرافية الأندلس وأروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: علي عبد الرحمن الحجى، (بيروت: دار الرشد، ١٩٦٨) ص ٦٥.
(٤) جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شذونة طولها ١٢ ميلا قريبة من البر بينهما وبين البحر الأعظم خليج صغير قد حازها الى البحر عن البر. وهي قريبة من طالقة من مدن اشبيلية. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٤٥.
(٥) الرازي، صفة الأندلس، ص ٦٠؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ٦٥ وما بعدها؛ وجليقية تقع في الجزء الاول من الاقليم الخامس الذي يتضمن قطعة من شمال الاندلس فيها بلاد جليقية وبعض قشتالة وبلاد بيطو وبعض بلاد غشكونية من ارض الافرنج هذا ما ذكره الادرسي. ويعلق ارسلان على ذلك بقوله "المعهود ان العرب كانوا يقولون جليقية لشمالي الاندلس، وقد يقولون لها غاليسية كما يقول الاسبانول، واذا كانت كذلك فاربونة (Narbonne) ليست من بلاد جليقية المذكورة. والذي يظهر ان ابن حوقل اراد بجليقية هنا البلاد المسماة بلاد الغال من الافرنجة وهي بلاد تقع اربونة فيها".
ينظر: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٧٢٥؛ الامير شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت) ج ١، ٣٢ (الهامش ١).

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن زيد بن عبد الملك المعافري، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، والغالب عليه، أصله من الجزيرة الخضراء، وكان احد اعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتعنيه. ينظر: محمد بن فتوح بن عبدالله الازدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٦٦)، ص ٧٨؛ محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السرياء، تحقيق حسين مؤنس (جزعان، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٦) ج ١، ص ٢٦٨.



or vandalusia أي قبائل الوندال وهي شعب جرمانى أو من قوم يعرفون بالأندلس وسميت بهم بسين معجمة^(١).

ويقدم لنا البكري في كتابه المسالك والممالك توضيحا دقيقا لما قيل في مسمياتها فيشير وهو يتكلم عن وصف لجزيرة الأندلس: "ان اسمها في القديم اباريه ، من وادي ابره، ثم سميت بعد ذلك باطقة من وادي بيطي ، وهو نهر قرطبة ، ثم سميت اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان. وقيل أنها سميت بالاشبان لما سكنوها في اول الزمان على جرية النهر وما والاها"^(٢). وفي الأندلس جوامع كثيرة ومنها (المسجد الجامع في قرطبة، ومسجد منستير لاريال الاندلسية ، ومسجد في مدينة ميردا، ومسجد ترنزياس في طليطلة ، المسجد الجامع في طليطلة ، جامع بن عديس في أشبيلية، جامع باب المردوم في طليطلة، المسجد الجامع في استجه، مسجد مدينة الزهراء، مسجد باب الدباغين في طليطلة ، ومسجد أشبيلية ، ومسجد قصر الحمراء في غرناطة وغيرها من المساجد في الأندلس)، ونكتفي بدراسة نموذجين من المساجد الجامعة في الأندلس لأهميتها ولأنهما قائمين إلى الآن ويحتويان هذين الجامعين على الأعمدة والعقود والأشرطة الكتابية وكل العناصر المعمارية فيها بارزة وواضحة وهما مسجد قرطبة ومسجد اشبيلية .

أولا: مدينة قرطبة:
التسمية:

قرطبة بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة والباء الموحدة^(٣)، يُعتقد انها كلمة أعجمية رومية ولها في العربية أصل بمعنى العدو الشديد ، وقيل طعنه فقرطبة إذا صرعه^(١) ، وتذكر بعض المصادر التاريخية الأندلسية أن أصل كلمة قرطبة بلسان القوط (قرطبة) بالطاء المعجمة ومعناها في لسانهم (القلوب المختلفة)^(٢).

موقعها وتاريخها :

تقع قرطبة على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير، على سفح جبل العروس^(٣)، والذي يعرف اليوم سيررا مورينا – Sierra Morena من سلسلة الجبال المحيطة بقرطبة ، فيكون بذلك موقعها في وسط الأندلس على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير^(٤).

(١) احمد بن علي الفلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ت.) ، ج ٥ ، ص ص ٢٢-٢١٢ ؛ ارسلان ، الحلل السنديية ، ج ١، ص ٣١.

(٢) جغرافية الأندلس ، ص ص ٥٧-٥٨.

(٣) ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٧) ج ٤ ، ص ٣٢٤ .

(٤) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري ، لسان العرب (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٥) ج ١ ، ص ٢٧٠.

(٥) البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ١٠٠.

(٦) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ ؛ طاهر مظفر العميد، آثار المغرب والأندلس، (الموصل: مطبعة دار الكتب ، ١٩٨٩) ص ١٨٧.

(٧) حسين مونس: "وصف جديد لقرطبة الإسلامية"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، المجلد ١٣ ، ١٩٦٥ -

١٩٦٦ م ، ص ١٦٦ ؛ طاهر مظفر العميد، آثار المغرب والأندلس، (الموصل: مطبعة دار الكتب ، ١٩٨٩) ص ١٨٧.

في الجزء الجنوبي من إسبانيا وسط الأندلس على ضفة نهر الوادي الكبير^(١)، في سهل مرتفع في جبل قرطبة المعروف عند مؤرخي العرب (جبل العروس) وتعد مدينة قرطبة من اعظم المدن الأندلسية وليس لها في المغرب شبيهه في كثرة الأهل وسعة الرقعة^(٢)، أما من حيث تاريخها فقد اختلفت آراء علماء الآثار والمؤرخين الذين ذكروا قرطبة في مؤلفاتهم وحول تاريخ تأسيسها على وجه الدقة ، وهناك عدة آراء منها أنها ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ وانها كانت موجودة في العصور السابقة للتاريخ من خلال الآثار التي عثر عليها^(٣)، وكانت مدينة قرطبة عند دخول العرب المسلمين إليها مقسمة إلى قسمين بواسطة سور يفصلها إلى قسم شرقي وآخر غربي، يشمل القسم الشرقي ما يعرف بالمدينة العتيقة، أما القسم الغربي فتشغله القصبه أو وسط المدينة التي تضم المباني الحكومية وتكنات الجيش^(٤).

المسجد الجامع في قرطبة (١٧٠هـ/٧٨٦ م)

وهو ثالث أكبر المساجد مساحةً بعد مسجدي سامراء وأبي دلف^(٥)، بناه التابعيان الجليلان حنش بن عبدالله الصنعاني وعبد الرحمن الجبلي وقوماً محرابه الذين أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة هم التابعين الذين دخلوا الأندلس، وكان عددهم ٢٨ رجلاً، وأن الحجاري أورد أسماءهم، وكان من بينهم حنش الصنعاني وعبد الرحمن الجبلي^(٦). ولما آل الأمر إلى بني أمية لم يهدم محرابه^(١)، ويقع مسجدها الجامع في بقعة صخرية تقع في نهاية جنوب غرب قرطبة على مقربة من القنطرة العربية المقامة على نهر الوادي الكبير ويسمى اليوم La Mezquita Aljama^(٢) أعيد بناؤه أيام عبد الرحمن الأول الملقب بالداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) ،^(٣) استغرق بناء الجامع عاما وفقاً لما أورده ابن عذاري وعامين وفقاً للمقري، فطبقاً لما ذكره ابن عذاري نقلنا عن الرازي أن بناء المسجد بدأ في عام ١٦٩هـ، وأن الفراغ من أعمال البناء في المسجد كان في عام ١٧٠هـ، ويؤكد ابن عذاري أن بناء المسجد استغرق عاما واحداً، أما النص الذي أورده المقري فيحدد عام ١٦٨هـ بأنه بداية هدم الكنيسة والشروع في بناء

(١) إبراهيم بن محمد الفارسي الاصلخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٦١م)، ص ٣٥.

(٢) إيمان سليم الجبوري ، ، قرطبة منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأندلسية (٩٢ - ٧١١ هـ / ١٠٣٠ م)، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤م، ص ١١.

(٣) أرسلان، الحقل السندسية، ص ٣١ .

(٤) العميد، آثار المغرب والأندلس، ص ١٨٨.

(٥) حسن الباشا، عمارة المسجد، من التراث الفن الإسلامي، مجلة منبر الإسلام، ١٩٦٨، ص ١٠٨.

(٦) احمد محمود دقماق ، مساجد قرطبة وارباضها حتى نهاية عصر الخلافة في ضوء دراسة عمرانية احصائية جديدة ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد ٤٥ ، ٢٠١٧ ، ص ٦ ، هامش ١٧.

(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي المعروف بابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الهادي أنيس الطباع، (بيروت : دار النشر للجامعيين، د.ت) ص ٢١١.

(٢) محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط٢ (القاهرة : مطبعة المدني، ١٩٩٧)، ص ٢٠.

(٣) احمد بن محمد بن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و .إ. ليفي بروفنسال (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩) ، ج ٢ ، ص ٥٨.



المسجد. (١) قرب الناحية الغربية من قصره عند نهاية قنطرة قرطبة التي تعود للعصر الرومانى والتي كانت مهتمة عند دخول المسلمين الأندلس، وقد أعاد بنائها السمع بن مالك الخولانى سنة ١٠١هـ. (٢) الذي يفصل بين قرطبة والضاحية الجنوبية لقرطبة، وهي شقنفة (٣) واتخذ هذا المبنى على شكل مربع ينقسم الى الاول خاص بالصحن والثانى مخصص لبيت الصلاة أو ظلة القبلة الصلاة التي كانت تتألف في عصر بنائها من احد عشر بلاط بنيت بشكل عمودى وفقا لحائط القبلة وكانت مقاييسه (٧٥م) عرضا و(٦٥م) طولاً اي في عمق بيت الصلاة يضاف الى ذلك صحن فسح (٤) مساحة الصحن أقل قليلاً من مساحة ظلة القبلة، حيث أن مساحة ظلة القبلة حوالي ٢٧٠٨م^٢، ومساحة الصحن حوالي ٢٦٨٥م^٢. (٥) وكان المسجد مكون من (١٢) اسكوبا اي اورقة موازية لجدار المحراب ١١ بلاطة عمودية على جدار القبلة وكانت البلاطة الوسطى أوسع من الباقيات وتسمى بالرواق الأوسط وتؤدي إلى المحراب (٦) وبعد وفاة الداخل، مرّ المسجد الجامع بقرطبة بمراحل من التطور والإضافة استمرت حتى زيادة المنصور بن أبي عامر التي تمت في عهد الخليفة هشام المؤيد تخللها الكثير من أعمال الإصلاحات والتجديدات في العهود المختلفة لحكام بني أمية لذلك احتفظ الجامع بطرازه المتميز (٧)

ويرى مورينو " إن المسجد عند إنشائه كان يتكون من إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة ، أكبرها اتساعاً البلاط الأوسط المجاز القاطع " (١) ، وأستكمل البناء من بعده ابنه هشام (١٧٢-١٨٠هـ/٧٩٠-٧٨٨م) (٢) ، وكان يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ٦٥×٣٧م (٣) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بيت الصلاة كان مكوناً من تسع بلاطات فقط . ولم يكن يحيط به أية مجنبات ، كما لم تكن له صومعة ، حتى أضاف هشام بن عبد الرحمن الصومعة سنة ١٧٧/٧٩٣م كما أضاف حوضاً للوضوء والعقود المزدوجة في مستويين السفلي منها على شكل حدوة فرس ، والعلوي أقل من نصف دائرة . وترتكز العقود على

(١) السيد عبد العزيز سالم ، اضاء على مشكلة تاريخ ببناء المسجد الجامع بقرطبة ، مجلة الدراسات الإسلامية بمريد ، ١٥ ، ١٩٧٠م ، ص ٥٧ .

(٢) احمد محمود دمق ، مساجد قرطبة وارباضها حتى نهاية عصر الخلافة في ضوء دراسة عمرانية احصائية جديدة ، مجلة المعهج المصري للدراسات الإسلامية في مريد المجلد ٤٥ ، ٢٠١٧م ، ص ٦ .

(٣) م . ن ، ص ٤ ، ص ٢٠ .

(٤) ينظر حول الصحن مالدونادو ، باسيلون بابون ، العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور ، ترجمة علي إبراهيم المنوفي ، (القاهرة المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠م) ، مج ١ ، ص ١٤٨ .

(٥) دمق ، مساجد قرطبة وارباضها ، ص ٣٢ .

(٦) حسين مؤنس ، المساجد ، (الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨١) ، ص ١٦٧ .

(٧) صلاح احمد البهنسي ، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، مراجعة احمد عبد الرزاق احمد (القاهرة ، جامعة عين شمس كلية الآداب ، د.ت.) ص ١٤٢ .

(٨) مانويل جوميث مورينو ، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع ، والسيد محمود عبد العزيز سالم ، مراجعة كمال محمد محرز (القاهرة : المؤسسة المصرية للترجمة والتأليف ، ١٩٦٨) ، ص ١٦ .

(٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(١٠) البهنسي ، عمارة المغرب والأندلس ، ص ١٤٢ .

دعامات^(١) يشير ابن عذاري إلى أن هشام هو الذي أكمل سقائف المسجد الجامع بقرطبة ، ورفع منارته القديمة ، وبنى الميضاة العجيبة " ^(٢) ويبدو الشكل الهندسي للعقود الحدودية أقرب إلى الاستدارة من البيضاوية أو التدبذب مع زيادة طول القطعة مفتاح العقد ، وقد شيدت هذه العقود الحدودية المترابكة فوق أعمدة رخامية أسطوانية الشكل تعلوها تيجان بعضها ذات بروز ملساء وأخرى كثيرة ذات زخارف ورقية نباتية بديعة الشكل وكل عقد من العقود الحدودية المترابكة قوامه سبع قطع من الحجر المهذب الأبيض وثمانية صفوف من الأجر الأحمر تتناوب فيما بينها على وتيره توحى بتعددية ظاهرة حركية منتظمة ، وقد اضفى هذا التناوب في الألوان على أروقة بيت الصلاة طابعا جماليا جذابا ومنفردا لم يكن له نظير في اي بناء سابق وعلى نحو مغاير تقوم في محيط المحراب عقود مخصصة متقاطعة في ارتقائها الى مستوى قريب السقف اذا تكامل وحداتها مع نظام القباب ذات العروق المتقاطعة وهي فكرة رفع سقف بيت الصلاة إلى ارتفاع مضاعف إلى سقفه الخشبي المصنوع من خشب الأرز^(٣) وزاد فيه الأمراء والخلفاء من بعده ، فالأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م) قام بإضافة بهوين في جامع قرطبة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م ولكنه توفى قبل أن يتمها فاتمها ابنه محمد ، ^(٤) يجب تعديل هذه العبارة ، لأن زيادة عبد الرحمن بن الحكم في جامع قرطبة هي ٨ بلاطات موازية $11 \times$ عمودية، السيد عبد العزيز سالم: "أضواء على مشكلة تأريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمريد، م ١٥ ، ١٩٧٠م بعد أن كانت تسعة وأضيفت إلى الصحن مجنبتان واحدة في الجهة الشرقية والأخرى مقابلة لها في امتداد البلاطتين الجديدتين^(١) المرحلة الثانية من الزيادة كما أشار ابن عذاري من الأرجل التي بين السواري إلى القبلة^(٢) اذ قام في سنة ٢٣٤/٨٤٨م بزيادة عمق رواق القبلة وذلك بمد بانكات العقود بواقع ثمانية عقود ، وقد ترتب على ذلك نقل جدار القبلة ، وعمل محراب جديد . وبذلك اصبح عدد العقود في كل بانكة عشرون عقدا^(٣) فأصبحت مقياس المسجد ١٣٠ في ٧٥ مترا بما في ذلك الصحن والغالب ان العقود المزدوجة ظهرت في أثناء الزيادات الكبيرة لان المعماريين وجدوا أن ارتفاع المسجد لا يتناسب مع مساحته الجديدة فابتكروا تعلية السقف عن طريق دعامات حجرية فوق الأعمدة الأولى وإضافة عقود ثانية ثم رفع السقف فوق ذلك ولهذا جعلوا السقف من الخشب حتى يكون خفيفا وغطوه بالقرميد

(١) البيهسي ، عمارة المغرب والأندلس ، ص ١٤٣ .

(٢) البيان المغرب ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٣) ميمون الموسوي من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة ، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ) العدد ١٠ ، ٢٠١٩ ، ص ٦ .

(٤) ابن حيان القرطبي، أبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، تحقيق: عبد الرحمن الحجى (بيروت : مطبعة سما ، ١٩٦٥) ص ٢٤٣ .

(١) احمد فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، (القاهرة: دار المعارف ، د.ت)، ص ٢٤٤ .

(٢) البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

(٣) البيهسي ، عمارة المغرب والأندلس ، ص ١٤٣ .



الأحمر^(١) ان هذه التقنية تجعل من العقد العلوي عقد عاتق يرتكز عليه سطح المبنى من جهة اخرى لان وضع العقود الواحد فوق الاخر تودي الى تصميم قاعة مرتفعة وشاسعة للصلاة في حين انها تسلط الضوء على اعمدة المستوى المنخفض اضافة الى ابواب مختلفة في الساحة يستخدمها المصلون عند الدخول الى المبنى عبر مدخل اقيم في الحائط الغربي ، والذي عرف بباب الوزراء وعرف ايضا باسم سان إستبان المخصص للحاكم وحاشيته ، وبهذا ان رفع الاسقف المنخفضة في المسجد بحيث يتضاعف ارتفاعها عن الارتفاع الطبيعي لها وفي الوقت نفسه الاستعاضة عن الاوتار الخشبية التقليدية التي تضمن ثبات العمد واستقرارها في مواضعها وابطال مفعول الدفع الذي تمارسه العقود والاسقف على الاعمدة بعقود منقوذة تجاوزت نصف الدائرة تنطلق في الفراغ الممتد بين العمد والعقود العليا التي تحمل اسقف الجامع واتخذوا مهندسي الجامع سنجات العقود تتعاقب فيها الكتلة الحجرية الصفراء مع ثلاثة صفوف متلاحمة من الأجر ، وان العقد الدائري والعقد المتجاوز لنصف الدائرة يسيطران وحدهما على جميع عقود المسجد الجامع بقرطبة وان كان المتجاوز يفوق العقد نصف الدائري في الانتشار فنشأه في عقود الابواب الخارجية وفي واجهة المحراب وعلى المنذنة^(٢) وبعد هذه الزيادة شرع الأمير عبد الرحمن الأوسط في زخرفة الجامع الجديد لكنه توفي قبل أن يتم زخرفة المسجد الجديد فاتمها ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) في سنة ٢٤١/٨٥٥م وسجل تاريخ ذلك على احد كما هو ثابت من النص التأسيسي الموجود حول إطار عقد باب سان إستبان^(٣). إذ طرز الجامع بقرطبة وأتقن نقوشه وعمل مقصورة إلى يمين المحراب تعد أول مقصورة في مساجد الأندلس^(١) ، وفي عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م تم ترميم وتجديد زخارف المسجد وتصلح سقائفه^(٢) ثم أقام الأمير عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥هـ-٣٠٠م / ٨٨٨-٩١٢م) ساباط أوصل به ما بين القصر من جهة الغرب ثم امر بستارة من آخر هذا الساباط إلى أن أوصلها بالمحراب، وفتح بابا كان يخرج منه إلى الصلاة وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية^(٣)، وفي سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ادخل عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) تغييرات مثل الاستعاضة عن منذنة هشام الأول بمنذنة اكبر منها حجما وبتوسيع الفناء باتجاه الشمال، مكونة من مربع على هيئة برج ، وبها شرفتين للأذان ، وهي تمثل برج الأجراس الموجود حاليا . وتشتمل الصومعة على سلمين فلا يلتقي الراقون فيها إلا باعلاها . ولكل مطلع منها مائة وسبعة إدراج ، كم استعملت فيها رمانات من الذهب والفضة ، كما أقام إلى جانب المنارة

(١) مؤنس ، المساجد ، ص١٦٨ .

(٢) سالم ، العمارة ، ص١٠٧ .

(٣) دمقاق ، مساجد قرطبة وارياضها ، ص ١١ .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ فكري ، المدخل ، ص٢٤٦ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ فكري ، المدخل ، ص٢٤٦ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ، ص٩٨ ؛ البهنسي ، عمارة المغرب والأندلس ، ص١٤٥ .

حجرة للمؤذنين^(١). ولم تكن هناك ظلات تحيط بالصحن ، ولكن في سنة ٩٥٧/٥٣٤٦م أضيفت الظلات الجانبية ، ويبلغ عمق كل منها ستة أمتار ، ويغطيها سقف مسطح^(٢). وفي عهد المستنصر بالله الحكم الثاني (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) الذي افتتح خلافته سنة ٩٣٥٠/٥٣٦١م بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع ، " فخرج لتقديرها ، وتفصيل بنيانها واحضر لها الأشياخ والمهندسين ؛ فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء ماداً بالطول لأحد عشر بلاطاً . وكان طول الزيادة من الشمال إلى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً ، وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع سواء ؛ وقطع من ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة إلى الصلاة إلى جانب المنبر بداخل المقصورة ، فجاءت هذه الزيادة من احسن ما زيد في المسجد قبل واشده وأتقنه " ^(٣) .

اما القباب التي تعلو مسجد قرطبة الجامع فهي تتألف من ضلوع متقاطعة فيما بينها ، ويرجع عهد تشييد القباب في هذا المسجد الجامع الى عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله وهذه القباب هي اربع قباب ، الاولى قبة المحراب وقد انجز بناؤها سنة (٩٣٥٤هـ/٩٦٥م)^(٤) ، وتحف بها قبتان جانبيتان ، واقامت قبة المحراب فوق حنية المحراب المثمنة^(٥) ، وقد شيدت قبة المحراب امام اسطوان المحراب ، اكثر بقاع المسجد نبلا ، حيث يقف امام الصلاة ، ويرتقي الخطيب المنبر ، والمكان الذي يتخذ الخلفاء للصلاة ، ولذلك فقد قلت

فتحاتها ونوافذها واعتمدت الزخارف الزاهية في عمارتها^(١) ، ولتعويض قلة النوافذ والفتحات كانت قبة المحراب تحمل اضخم ثريات مسجد قرطبة الجامع والتي كانت تضم الفأ وعشرين كاسا ولذا يسميها ابن غالب بالقبة العظمى إذ يصفها بانها "رخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة أحكمت و أنزلت في موضعها باتقن صنعة"^(٢) ، ثم قبتان بأعلى المنطقتين المجاورتين لقبة المحراب شرقاً وغرباً^(٣) ، وقد كسيت قبة المحراب عن آخرها بزخارف ملساء والوان زاهية .

بيد ان اشهر القباب الاربع للمسجد الجامع بقرطبة هي القبة الكبرى المخرمة المعروفة بقبة الضوء الكبرى ، وانما سميت بذلك نسبة للضوء النافذ عبر نوافذها الستة عشر المحيطة بقاعدتها المستطيلة ، بواقع اربع نوافذ من كل جانب ، بخلاف نوافذ قبة

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) البيهقي ، عمارة المغرب والأندلس ، ص١٤٥ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ وينظر : مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ترجمة وتحقيق : لويس مولينا (مريد ، بلا ، ١٩٨٣) ص٣٥ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

(٥) ابن غالب ، محمد بن أيوب بن غالب البليسي ، (ت : ١١٧٥/٥٥٧١م) ، قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، (القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ص٢٨ ؛ مورينو ، الفن الإسلامي ، ص١٥٧ .

(١) سالم ، السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس ، (الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٣٨٧ .

(٢) فرحة الانفس ، ص٢٨ .

(٥) .TORRES BALBAS, LEOPOLDO, La Mezquita de Córdoba y las ruinas de Madinat Al-Zahra, Madrid, 1952,) p54-60



المحراب والقبتين المجاورتين لها شرقا وغربا فهي قليلة العدد^(١)، مما يسمح بنفاذ الضوء ساطعا في قلب الجامع البعيد عن النوافذ الجانبية، فكانت فكرة النوافذ في القبة المخزومة دليلا اخر على فطنة العمارة الاسلامية في العصر الوسيط، فلم يكن الهدف منها فقط اضاءة جمالية على هيئة القبة وانما توفير اضاءة لموطن في المسجد الجامع يتعذر وصول الضوء اليه، ولذا وصفت قباب المسجد بوصف بليغ فحواه ان " ظهور القباب مؤللة، وبطونها مهللة، كأنها تيجان، رصع فيها ياقوت ومرجان"^(٢).

وكل قبة من هذه القباب المتجاورة تقوم على قاعدة مربعة الشكل باستثناء القبة الرابعة الواقعة عند نهاية الرواق الأكبر والتي تقوم على قاعدة مستطيلة الشكل على الرغم من بعض الاختلافات الجزئية بين هذه القباب إلا أنها تستجيب لتصميم هندسي موحد (قباب ذات عقود متقاطعة)^(٣) وتتميز هذه القباب بتوازنها وتناسقها كما تركزت بيت الصلاة التي تم توسعها من جديد نحو الجنوب من خلال اضافة اثني عشر كما اقيمت قبة كبيرة من الحجر وهي تحدد الدخول للاجزاء الجديدة التي اضيفت على المسجد والتي تنتهي بالقبب الثلاث بقبة محارية الشكل اشكال هندسية جديدة مثل العقود المتعددة الفصوص والاقواس المتداخلة والقبب^(٤) في عمق ظلة القبلة تبلغ ٣٥ مترا، وذلك بمد بوائك العقود المتعامدة على جدار القبلة بواقع اثني عشر عقدا. فاصبح عدد عقود كل بانكة اثنتين وثلاثين عقداً وقد اشرف الحكم المستنصر بنفسه على هذه الزيادة^(٥).

ثم زاد من مساحة قاعة الصلاة بعد أن ازدحم الناس بالمسجد الجامع وذلك سنة ٩٦٤/٥٣٥٣م^(١)، كما استخدم نظام العقود المفصصة والمتقاطعة وقد تتراوح عدد فصوص هذا الصنف من العقود في الغالب بين ثلاثة وخمسة فصوص نذكر منها بينها على سبيل المثال تلك المشيدة فوق قوس المحراب وأيضاً داخل تجويفه وهي عقود ثلاثية الفصوص، وعقود زوايا القبة الرئيسية وهي عقود خماسية الفصوص على نحو مختلف استخدمت في محيط صالة المحراب عقود مفصصة مسنن مكون من ثلاثة عشر فصا غير بارز بشكل كافٍ، ويبدو أن عنصر العقد بأصنافه كان محببا إلى رجال الفن في الأندلس لذلك استعمل بكثافة في محيط المحراب والملفت أكثر على مستوى صالة المحراب استخدم عقود مفصصة متعامدة وهذه الأخيرة ظهرت لأول مرة في العمارة الأندلسية خلال توسعة الحكم الثاني^(٢) وفي سنة ٩٦٥/٥٣٥٤م شرع الحكم المستنصر في تنزيل الفسيفساء بمقدار ثلاثمئة وعشرين قنطارا بالمسجد الجامع؛ وكان ملك الروم

(١) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الاسلامية في الأندلس، ج١، ص ٣٨٦.

(٢) المقرئ، فح الطيب، ج١، ص ٥٥٣.

(٣) الموساوي، من تجليات الهندسة، ص ٨.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، العمارة الاسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الاول، ص ٩٣-٩٤.

(٥) البيهسي، عمارة المغرب والأندلس، ص ١٤٦.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣٦.

(٢) الموساوي، من تجليات الهندسة، ص ٧.

بعث بها إلى الخليفة الحكم هدية مع صانعها والذي كان قد كتب له في ذلك ، وكذلك أمر بإقلاع السوراي الأربع التي كانت في عضادة المحراب القديم الفائقة التي لا نظير لها ، وصيانتها إلى أن توضع في المحراب الجديد عند إتقان إكمامه وإكماله^(١) ولقد سجل ذلك في نقش كوفي يعلو عقد المحراب نصه ... " بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرم فتم جميعها بعون الله سنة اربع وخمسين وثلاث مائة"^(٢) وكان ذراع المحراب في الطول من القبلة إلى الجوف ثمانية أذرع ونصف وعرضه من الشرق إلى الغرب سبعة أذرع ونصف ارتفاع قبوه من السماء ثلاثة عشر ذراعا ونصف^(٣) وإلى جانب المحراب المنبر وكان عدد درجاته تسع درجات صنعت بتوجيه من الخليفة الحكم المستنصر^(٤) وقد عمل المنبر من الصندل الأحمر والأصفر والابنوس والعود الرطب والعاج والعود الهندي والمرجان وأوصاله من فضة مثبته^(٥) ، وفي رجب سنة (٩٣٥هـ/٩٦٥م) نصبت المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في الجامع فكان طولها من الشرق إلى الغرب خمسة وسبعين ذراعا وعرضها اثنان وعشرون ذراعا وعلوها إلى الشرفات ثمانية أذرع^(٦)، وكانت زيادة الحكم في المسجد الجامع تشغل قسمه الأوسط الذي يلي جناحه القديم الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل وهو يبلغ نحو ثلث الجامع^(٧) وأصبح جامع قرطبة بعد زيادة الحكم المستنصر يؤلف شكل مستطيل طوله (١٧٣,٦٥) مترا وعرضه ٧٦ مترا^(٨) كما مد الماء من جبل قرطبة إلى ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي^(٩) والزيادة الأخيرة للجامع في عهد المنصور ابن أبي عامر وذلك سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م) وزاد فيه نحو الشرق في ظللة القبلة إذ أضيفت ثمانى بلاطات متعامدة على جدار القبلة مساوية في طولها بامتداد البلاطات السابقة أي مساحة ١٠٥ مترا، والتي أصبحت مكونة من اثنين وثلاثين عقدا ، كما أصبح عدد البلاطات المتعامدة تسع عشرة بلاطة ، فأصبحت مساحة ظللة القبلة وحدها ثلاثة أفدنة وبهذا بلغت مساحة المسجد جميعا ١٢٥ مترا في موازاة جدار القبلة و ١٨٠ مترا فيما بين هذا الجدار وجدار مؤخر المسجد وهي مساحة تبلغ اثنين وعشرين ألفاً وخمسمائة من الأمتار المربعة، وهو بذلك أضخم بيت صلاة في المساجد الإسلامية ، كما انشأ مضاءة تصلها المياه عبر قناة تصب في

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) LEVI-PROVENCAL, EVARISTE, Inscriptions arabes d'Espagne, 1931, P.18.

(٣) احمد بن محمد شهاب الدين المقرئ التلمساني ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عباس ،

(بيروت : دار صادر، ١٩٦٨) ج ١، ص ٥٥١ .

(٤) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١، ص ٥٥١ .

(٥) ابن عذاري البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٥٠ .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٣٨ .

(٧) عنان ، الأثر الأندلسية ، ص ٢١ .

(٨) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١) ج ١/٣٦٢ .

(٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٤٠ ؛ المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .



تسعة أحواض كان يعلو كل منها قبة ، ويحيط بالصحن سور تتخلله سبعة أبواب ، وتحتل الصومعة الركن الشمالى من الصحن ، وفى الناحية الشرقية منه الميضاء^(١) وقد احتفظ المسجد الجامع بصورته تلك طوال العصر الإسلامى^(٢) وبلغ المسجد الجامع سنة ٩٨٧/٥٣٧٧م بعد زيادة الرابعة فى عهد المنصور ابن أبى عامر مساحة واسعة تصل إلى (٢١,٨٧٥م^٢) يبلغ طول ضلعه (١٧٥م) وعرضه (١٢٥م)^(٣) ، وله (١٩) مدخلاً تؤدي كلها إلى صحن واسع وأشهرها (باب الغفران) المجاور للمئذنة^(٤) ، والأبواب الخارجية للجامع كانت جميعها مصفحة بصفائح النحاس وكل باب منها حلقتان فى نهاية الاتقان وعلى وجه كل باب منها فى الحائط ضروب من الفص المتخذ من الأجر الأحمر المحكوك مع قطع من الحجارة البيضاء فى أشكال هندسية الى جانب الزخارف النباتية التى تملأ بانيقات العقود وتغمر السنجات^(٥) أما المئذنة فلم تكن أيام عبد الرحمن الداخل (١٧٢-٥١٨٠هـ) (٧٨٨-٧٩٠م) وارتفاعها أربعون ذراعاً^(٦) إذ استكمل بناء الجامع سنة (١٨٠هـ / ٧٩٦م)^(٧) ، والمئذنة أشبه بالبرج المربع المقطع ولها درج لولبى واحد وقد تمكن المهندس هرماندث من كشف أساس هذه المئذنة فوجد إن قاعدتها مربعة طول ضلعها ٦م^(٨) وإنها كانت تحتل مكاناً إلى يمين الباب على محور المحراب وفى الضلع المقابل لببيت الصلاة^(٩) ، وفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م قام عبد الرحمن الناصر (الثالث) (٣٠٠-٣٥٠هـ) (٩١٢-٩٦١م) ببناء مئذنة جديدة بعد هدم القديمة إلى قواعدها ونقلت حجارته لبناء الصومعة الشهيرة التى لا تعادلها صومعة (فحفر أساسها حتى بلغ الماء وكان تمام بناءها فى ثلاثة عشر شهراً) (فكانت أعظم من صومعة هشام الأول) وبقيت قرنين من الزمان^(١٠) ، وقد تطرق المقرئ^(١١) إلى تفاصيل تتعلق بمواصفات هذه المئذنة الجديدة وكانت الأولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين يفصل بينهما البناء والجانب المميز فى تصميم المئذنة الجديدة أنها ذات مطلعين أى تتألف من جزأين مستقلين يفصلهما جدار مشترك، شيد برج الأجراس لكاتدرائية طليطلة بالجزء العلوى من مئذنة عبد الرحمن الناصر بعد هدمه بعد تحويل المسجد الجامع إلى كنيسة^(١٢) ، سانتا ماريا العظمى سنة (٥٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) حيث بُنيت فى وسط الجانب الشرقى وأفسدت

(١) البهنسى ، عمارة المغرب والأندلس ، ص ص ١٤٦-١٤٨ .

(٢) مورينو ، الفن الإسلامى ، ص ٣٠ .

(٣) ارشيبالد كامبيرون كريزويل ، الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عيلة ، ط١ (دمشق: دار فكتيبة، ١٩٨٤) ص ٢٩٠ .

(٤) عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ٢٢-٢٣ .

(٥) سالم ، العمارة ، صص ١٣١-١٣٢ .

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٧) الباشا ، عمارة المسجد ، ص ١٠٧ .

(٨) العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٦٠ .

(٩) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٤٣ .

(١٠) كمال الدين سامح ، العمارة فى صدر الإسلام (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٢) ، ص ١١٩ .

(١١) فح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٦٢ .

(١٢) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٤٣ .

الصورة التي كان عليها المسجد الجامع^(١). وتقع مئذنة الناصر في منتصف الجدار الشمالي للجامع مقابل المحراب وعلى نفس المحور، والمئذنة مربعة (المقطع) طول ضلعها (١٨) ذراع (٨،٤٦م)، ويبلغ ارتفاعها إلى مكان الأذان (٥٤) ذراع (٢٢،٦٨) م وإلى أعلى الرمانة الأخيرة (٧٣) ذراع (٣٠،٦م)^(٢)، بُنيت المئذنة من الكتل الحجرية المقطعة والجص وُبُنِتت واجهاتها الأربع بالكلدان اللكي الذي اختصت به مدينة قرطبة^(٣)، (وفي أعلى ذروتها ثلاث شمسات يسمونها رمانات ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس: إثنان منها ذهب إبريز، والثالثة منها وسطي بينهما من فضة، وفوقها سوسنة من ذهب مسدسة فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزج البارز بأعلى الجو، وكان إنهاء عمل هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهراً، ونظام صفوف البناء بطريقة الرصف طولاً وعرضاً يتراوح طول القطعة ٤٨،٠ م وعرضها ٥٠،١ م والمادة الرابطة بين الكتل الحجرية طبقة رقيقة من الجص ويبلغ سمك جدرانها ٠،٩٨ م^(٤)، وقد امتازت بتدرج طوابقها وغطيت سطوحها وواجهاتها بالواح القراميد التي أضفت عليه نوع من أنواع الزخرفة والتي سادت أغلب مدن الأندلس^(٥)، وهي مربعة المقطع ومزينة بعقود صغيرة وفتحت فيها نوافذ ذات عقود مفصصة^(٦)، ولكن بعد سقوط قرطبة سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)^(١)، تم تحويل المئذنة إلى برج للنواقيس ثم تم تغليفها كلها بكسوة من الحجر أخفى القسم الإسلامي من الداخل والخارج^(٢).

ثانياً: مدينة أشبيلية

تسميتها :

أشبيلية (sevilla) مدينة جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام (ثمانون ميلاً) واسمها إشبالي أي المدينة المنبسطة، أو هسبالي (hispalis) وتسمى حمص لأن عند الفتح سنة (٧١١/٥٩٣م) نزلها جند حمص الشام وربما لشدة الشبه بينها وبين حمص وهي مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، وبها قاعدة ملك الأندلس، وبها كان بنو عبّاد، وتقع غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً، وهي على شاطئ نهر عظيم ويسمى الوادي الكبير، أما جامعها فقد أقيم مكانه كنيسة أشبيلية العظمى بعد سقوطها بيد القشتاليين ٥٦٤٦-١٢٤٨م^(٣).

موقعها وتاريخها:

- (١) شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية، دار الجيل، ١٩٩٥، ج ١، ص ٥٩٩.
- (٢) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ (بيروت: مؤسسة ناصر الثقافية، ١٩٨٠)، ص ٢٩.
- (٣) محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رحلة ابن جبير (بيروت: دار التراث، د.ت)، ص ٣٣١.
- (٤) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧)، ص ٣٧٥.
- (٥) عفيف بهنسي، جمالية الفن، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد ١٤، لسنة ١٩٧٩. ص ٢٢٧.
- (٦) السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور بالأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦)، ص ٣٠.
- (١) مورنيو، الفن الإسلامي، ص ٩٠.
- (٢) العميد، آثار المغرب والأندلس، ص ٣٤٦.
- (٣) عنان، الأثر الأندلسية، ص ٤٠-٤٦.



وهى مدينة قديمة أزلية ، تقع إلى الجنوب من مدينة إسبانيا حالياً ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وهي إلى الغرب من مدينة قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً يعني يساوي ١٤٤.٨٤ كيلو متر وعلى مسافة ثلاثة أيام ، وهي على ضفة الوادي الكبير في غربها ، وقريبة من البحر ويطل عليها جبل الشرف ، ولها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة^(١)، يقال أن الذي بناها يوليوس قيصر، وأنه أول من تسمى قيصر، وكان سبب بنائه إياها انه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها اعجبه كرم ساحته، وطيب أرضه، وجبله المعروف بالشرف ، فردم على النهر الأكبر مكانا واقم فيه المدينة واحرق عليها بأسوار من صخر، وبنى في وسط المدينة قصبتي متقنتين عجيبتي الشأن تعرفان بالأخوين وجعلها أم قواعد الأندلس^(٢)، ثم أصبحت بعد سيطرة القوط عليها العاصمة الدينية لإسبان بعد تحول كرسي الملك إلى طليطلة حيث بقي فيها رؤساء الدين^(٣).

المسجد الجامع في إشبيلية (٥٦٤- ٥٧٧هـ / ١١٦٨-١١٨١م)

شيد ابرز جوامع اشبيلية لقرون الا وهو جامع ابن عديس^(٤) بتكليف من الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) (١٧٦ هـ- ٢٣٨ هـ / ٧٩٢-٨٥٢م)^(٥) ، واستمر هذا الجامع يمارس دور المسجد الجامع في اشبيلية لقرون ، بيد انه وبعد ثلاثة قرون على عهد الموحدين لم يعد جامع ابن عديس يتسع للمصلين وضاق بهم ، فكان المصلين يصلون في رحابه وأقبيته وفي حوانيته والأسواق متصلة به، فيبعد عنهم التكبير بالفريضة الأمر الذي دعا إلى بناء جامع ثاني جديد بدلاً الجامع القديم^(١) ، فأمر السلطان الموحي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، (٥٥٩-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) في سنة ١١٦٨/٥٦٤م ببناء المسجد الجامع الجديد والمعروف بجامع القصبه الكبير في اشبيلية ، وقد اصبح جامع القصبه هو المسجد الجامع رغم وجود جامع ابن عديس^(٢) ، إذ انتقلت الخطبة من جامع ابن عديس الى جامع القصبه الكبير فاصبح بذلك المسجد الجامع بإشبيلية والقيت اول خطبة فيه سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ، وبذلك ارتفعت الخطبة عن جامع ابن عديس انتفى عنه وصف المسجد الجامع^(٣).

(١) باقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١١ ص ١٩٥ .

(٢) جغرافية الأندلس ، ص ١٠٧ .

(٣) على محمد حموده ، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ط ١ (القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي المصري ، ١٩٥٧) ، ص ٥١ .

(٤) ينسب الجامع الى عمر بن عديس الذي ايتنى سنة ٥٢١٤ / ٨٢٩م على يدى قاضي إشبيلية عمر بن عديس. ينظر، عبد

الملك بن محمد بن احمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد

الموحدين)، تحقيق: عبد الهادي النازي ، ط ٣ (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٧) ص ٣٨٤ .

(٥) مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس، ترجمة د. علي إبراهيم المنوفي، (هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات

العربية المتحدة، ٢٠١١م) ، ص ٢٤٣ .

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٩١ .

(٢) سالم، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (الإسكندرية

، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧م) ، ص ٤٠١ .

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٩١ .

وامر ببناء المئذنة على أن تكون في اتصال السور مع الجامع تجاوز في ارتفاعها صومعة جامع قرطبة اذا اخذ هذا الجامع من جامع قرطبة عظمة صحنه بعقوده السبعة في اروقة مجنباته التي تحدد عظم اتساعه ، وكلف ببناء جامع إشبيلية وصومعته شيخ العرفاء احمد بن باسة^(١) الذي فتح أساس هذه المنارة فوافق بئراً معينة للماء فردمها بالحجار والحيار ثم بدأ بناءها بالحجر المسمى بـ (الطجون) العادي المنقول من سور قصر ابن عباد^(٢) كما كلف مع معاونوه ببناء قبة المحراب واودعوا كل عبقريتهم وفنهم وتم صنع منبر لهذا الجامع يعد من اغرب المنابر في العالم الاسلامي والتي نفشت بنقوش غاية في الروعة وتم تطعيمه بالاحجار الكريمة ثم اقيمت له مقصورة احيطت بالمحراب والمنبر لصلاة الخليفة وبناء قنطرة تربط بين الجامع وقصر الخليفة لكي يتسنى له ان يمشي فيه اثناء خروجه من قصره الى الجامع للصلاة كما برز عبقرية الفن الاندلسي في فنون الزخرفة بالجص والرخام في قبة المحراب ولهذا تعد من اجمل قباب العمارة الاسلامية ، وبعد وفاة أبي يعقوب استكمل بناء الجامع والمأذنة في سنة (٥٩٣هـ/ ١٩٦م) إذ جاء بعده ابنه الخليفة ابو يوسف يعقوب بن منصور (٥٨٠هـ/ ١٨٤م) والذي شرع بهذا العمل العريف علي الغماري بعد وفاة احمد بن باسة^(٣) ، وفي سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) استكمل البناء العريف علي الغماري بالأجر الذي هو حد بناء الحجر المذكور ، وكانت ملاصقة لسور القصبه والجامع من الزاوية الشمالية الغربية^(٤)، كما امر يعقوب المنصور طول مدة إقامته في إشبيلية "بعمل التفافيح الغربية الصنعة العظيمة الرفعة الكبيرة الجرم المذهبة الرسم الرفيعة الاسم والجسم"^(١)، ولما كملت هذه التفافيح سترت بالأغشية من شقاق الكتان ثم رفعت إلى الصومعة في احتفال كبير يحضره الخليفة يعقوب المنصور وولي عهده ابنه ابي عبد الله السعيد الناصر لدين الله وأشياخ الموحدين وحاشيته وقاضي إشبيلية واهل الوجاهة من الناس وذلك سنة (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)^(٢)، ثم كشفت عن أغشيتها " فكانت تغطي الأبصار من تألقها بالذهب الخالص الابريز وبشعاع رونقها"^(٣) ، وكان وزن الذهب الذي طلي به هذه التفافيح الثلاث الكبار والرابعة الصغرى سبعة آلاف مثقالاً^(٤) فاصبح الجامع مستطيل الشكل، أبعاده (١٥٠ م في الطول و ١١٠ م في العرض ، يشتمل على سبعة عشر رواقا عمودية على جدار القبلة الاوسط منها اكثرها اتساعا وعقود الجامع منكسرة تستند على دعائم من الاجر وكان يدعم جدران الجامع الخارجية دعامات ضخمة لتدعيمها، وتخطيط الجامع يشمل على الصحن الاوسط والاربع ضلالت المحيطة

(١) وهو من اشهر عرفاء الأندلس م . ن ، ص ٣٩١ .

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٩١؛ سالم، المساجد والقصور، المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ص ٣٩٢ .

(٤) نجيب زيبب ، تاريخ المغرب والأندلس، الموسوعة العامة، ط١ (بيروت: دار الأمير للطباعة، ١٩٩٥)، ج ٢، ص ٣٦٣ .

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٤ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٣ .



به ويدخل اليه عبر خمسة عشر بابا سبعة منها في الضلعين الشرقي والغربي والباقي في الضلع الشمالي ويعرف الباب الرئيسي للجامع باسم باب الزعفران وهو ما زال يحتفظ بمصراعيه وصحن الجامع عرف باسم بهو البرتقال لكثرة اشجار البرتقال المزروعة بارضيته ويحيط بالصحن بانكات الظلات الاربعة وظلة القبلة تشغل ثلثي مساحة الجامع، وكان جامع اشبيلية يضم ١٧ بلاطا، تتجه من الشمال الى الجنوب ونعني بذلك في اتجاه القبلة كما هو الحال في بلاطات جامع قرطبة، وتتسع هذه البلاطات الاربعة عشرة اسكوبا وكان البلاط الاوسط اكثر البلاطات اتساعا فكان يبلغ ٧,٧٠م اما سعة البلاطات الاخرى فلا تعدو ٦,٤٠متر وعلى الاغلب ان اسكوب المحراب اوسعها^(١)، تسير عقودها عمودية على جدار القبو كانت تستند على دعائم او ارجل وكانت العقود متجاوزة منكسرة بعض الشيء وكانت مخارجها تنطلق من مناكب الدعائم كما يتجلى ذلك في عقود الصحن وكانت اسقف بلاطات بيت الصلاة هياكل هرمية تقوم على سماوات مسطحة بين جوائز السقف، وتكون القباب الثلاث فوق الاساطين الثلاثة الناشئة من تقاطع البلاطات الكبرى باسكوب المحراب وكانت القباب من المقرنصات، اما الظلطان الجانبيتان فتتكون كل منهما من بلاطة واحدة فقط، ولم يبق من الجامع الا الأعمدة المطلة على البهو من جهة الشمال الشرقي من بين العقود المتبقية أيضا عقد باب الغفران وقوام زخارفه شريطان بارزان يرسمان مستطيلات ومربعات قائمة على رؤوسها يتوسطها شريط وسطي ملئ بتوريقات من سعف النخيل الملساء ومحاطة بخطوط محززة، تنحني اطرافها وتلاحم وتتناسق بإيقاع وكلها زخارف يمتزج فيها الفن الأندلسي بالفن المغربي^(١)، وبُنيت المئذنة المسماة الخيرالدا^(٢)، من الآجر ذو اللون الوردى الذي تدين بجمال زخرفتها له^(٢)، ويذكر ابن صاحب الصلاة الصلاة (أنها بنيت من الآجر والحجر المنقول من سور قصر بن عباد) وتعد الخيرالدا من اقدم المباني المغربية في اشبيلية وهو بناء جميل مربع المقطع بشكل برج يتكون من طابقين متراعين^(٣)، وقاعدتها مربعة طول كل ضلع منها (١٣,٦٥م)، ويبلغ ارتفاعها (٩٦م) وسمك جدرانها (٢,٥م)، ولا يصعد إليها بسلاسل بل عن طريق ممرات منحدره صاعدة مرصوفة بالآجر يتكون من (٣٥) مقطع^(٤)، وهو (منحدر حلزوني) معقود على سلسلة من القبوات القائمة على عقود متقاطعة تدور حول نواة وسطى تتكون من سبع طبقات تحتلها حجرات بعضها فوق بعض استعملت كخلوات لأهل الزهد من الصوفية ويبلغ عددها سبعة طول ضلع كل واحدة (٦,٢٥م)، وارتفاعها يتراوح بين (٤,٩٠م-

(١) العميد، آثار المغرب والأندلس، ص ٢٩٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥) ص ١٧٣.

(٣) الخيرالدا: أطلق عليها الإسبان هذا الاسم نسبة إلى إشارة تدور مع الريح Giralddillo، وهو تمثال من البرونز صنعه بروتولومي موريل سنة ١٥٦٧م. سالم، المساجد والقصور، ص ٣٤.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، (الإسكندرية: ١٩٨٦)، ص ٥٠١.

(٣) سالم، المساجد، ص ٤٤.

(٤) عنان، الآثار الأندلسية، ص ٥٦.

٣٠، ٦م) سُقِف بعضها بقبوات نصف كروية وبعضها الآخر بقبوات متقاطعة ويفصح البناء الداخلي للمئذنة عن أحكام البناء ومعرفة دقيقة بأصول العمارة^(١)، والطبقة الخامسة ذات أروقة وشرفات عالية والظاهر أنها كانت طبقة المؤذنين ثم تأتي الطبقة التي حُولت إلى برج للأجراس بعد أن أُزيلت ساريئها الإسلامية المذهبة^(٢). ويبلغ ارتفاع القسم الإسلامي المتبقي من المئذنة (٦٩، ٦٥م) ويُزين الأوجه الأربعة للمئذنة زخرفة قوامها الأقواس والأعمدة، وشبكات من الأقواس المتقاطعة نفذت الزخارف بالنحت على الأجر^(٣)، وزخارف من قطع الخزف تنحسر في عدة أقراص سوداء بارزة أسفل العقود المطللة على الشرفات، وعددها خمسة أقراص في كل وجه. ففي الجزء الأسفل نجد نافذة صغيرة تتوسط الوجه وهي ذات عقد مدبب يعلوها عقد مفصص يستند على عمودين صغيرين أسطوانيين، وإلى أسفل العمودين شرفة صغيرة يحيط بها صف من الأعمدة إلى الأسفل من الشرفة حنية صغيرة ذات عقد مفصص صغير وعلى جانبيها وأسفلها ثلاث حنايا صغيرة متماثلة، أما القسم الأكثر زخرفة فهو القسم الأوسط الذي يتألف من جزئيين متماثلين من الزخرفة يعلو أحدهما الآخر، فُتح في وسطه أربعة نوافذ الواحدة فوق الأخرى فالأولى نافذة مزدوجة عقديها بشكل حدوة الفرس محاطة بإطار مستطيل تتقدمها شرفة صغيرة وهذه النافذة توجت بقوس مفصص زُين كوشتيه بزخارف نباتية قوامها أغصان ملتوية وأوراق محورة عن الطبيعة أحيطت النافذة والعقود والزخارف جميعاً بإطار مستطيل تعلوه نافذة أخرى مزدوجة توجت كل فتحة بعقد مفصص من خمس فصوص يتقدمها شرفة صغيرة ويعلوها قوس مفصص كبير تستند على عمودين أسطوانيين^(١)، أما النافذتان الأخيرتان فهما يتماثلان تماماً مع النافذتين السابقتين وتمتاز تيجان الأعمدة هنا أن جميعها متماثلة فهي متدرجة وكأنها من ثلاثة أجزاء يكبر حجمها كلما ارتفعت إلى الأعلى أما نوافذها فأنها تبدو وكأنها فُتحت داخل (دخلة) في الجدار، أي أنها ليست بمستوى الجدار. وتتميز زخارفها بالأفراط في استعمال الزخارف وتغطية سطح المئذنة بشكل كثيف ومبالغ في رقتها وتناسقها^(٢)، وأبرزها الطبقة الأخيرة التي تتكون من أربع شبكات من المعينات في كل وجه تقوم كل منها على عقدين توأمين يستندان على ثلاثة أعمدة أسطوانية وتوزع على أساس شبكتين سفليتين تعلوهما شبكتان أخريان وتقوم هذه الشبكات من تقاطع امتدادات هذين العقدين^(٣)، وهي مشابهة للتشابك في قاعدة قبة محراب جامع قرطبة الذي كان الأساس في ابتكار هذا النوع من الزخارف ثم تطورت بعد ذلك في عصر دويلات الطوائف إلى نظام التشبيكات المختلفة فيها الخطوط المستقيمة والمنحنيات وينتهي هذا القسم من

(١) سالم، العمارة، ص ١٢٧.

(٢) زيبب، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٦٣.

(٣) غوستاف لويون، حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، (القاهرة: دار أحياء الكتب العربية، ١٩٤٥) ص ٣٠٨.

(١) زيبب، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٦٧.

(٢) زيبب، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) سالم، المساجد، ص ٤٤.



المئذنة بصف من الأقواس المفصصة وعددها عشرة أقواس محمولة على أعمدة أسطوانية يعلوها زخارف معينة ناتجة من تقاطع امتدادات الأقواس المفصصة . وينتهي هذا الطابق بشريط من الزخارف الهندسية المتمثلة بالمثلثات والدوائر والمربعات ويبرز عن سمك الجدار ويعلوه طابق فتح فيه فتحات للأجراس^(١) - وكان لهذا الطابق أروقة وشرفات عالية والظاهر انه قسم المؤذنين بنيت هي أيضا من الأعلى بشرفات هرمية مدرجة من ثلاث درجات، وقد أزيلت سنة (٩٦٦هـ/١٥٥٨م) عندما تحولت المئذنة إلى برج كنيسة^(٢)، والطبقات الخمسة المتبقية أصلية ويبلغ ارتفاعها (٦٩,٦٥م) ، وربما يكون ارتفاع المئذنة الإسلامية الأصلية قبل التحويل إلى برج (٧١م) تقريبا وذلك من خلال مقارنة قياساتها مع قياسات الكتيبة فطول ضلع الكتيبة (١٢,٥٠م) والخيرالدا (١٣,٦٠م) والنواة داخل الكتيبة (٦,٨٠م) والخيرالدا (٦,٨٦م) والنسبة المتبعة في الكتيبة (٥,٤/١م) أي كل (١م) طول الضلع يقابله (٤,٥م) أي أن الارتفاع مئذنة الخيرالدا كان ٧٣,٧١م ، قبل أن يبني الإسبان برج للأجراس الحالي المتكون من طابقين^(٣) ، وهما متراجعان وامتداد للنواة الدخيلة للمئذنة حيث تنتهي النواة بجوسق قنديلي مربع وكانت قبل ذلك تعلوها قبة صغيرة مقرمدة مبنية من الحجر والأجر وربما كانت مكسوة بالخزف المموه أما اليوم فقد نصب عليها تمثالا للإيمان^(٤)، ارتفاعه ٥م ، وله إشارة تدور عند هبوب الريح، وتسمى خيرالديو (Giralillo) ولذلك سميت المئذنة بالخيرالدا^(١)

الخلاصة

يمثل المسجد الجامع في قرطبة ثالث المساجد الإسلامية القائمة في العالم الإسلامي وما زالت آثاره ماثلة لحد اليوم ، انشا المسجد الجامع سنة ٩٢هـ من اللبن بتخطيطه البسيط وبعد دخول الامير عبد الرحمن الداخل الى قرطبة ازدهمت بعدد الوافدين فمن الطبيعي

(١) سالم، العمارة، ص ١٢٧.

(٢) كرسى ارنولد بريجز، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، ترجمة: زكى محمد حسن، (دمشق : دار

الكتاب العربى، ٢٠٠٣) ص ١٤٢.

(٣) سالم، العمارة ، ص ١٢٦.

(٤) لويون ، حضارة العرب ، ص ٣٠٨.

(٥) سالم، العمارة، ص ١٢٦.

تضييق مساحة المسجد بالمصلين واخذوا يعلقون فيه سقيفة اثر سقيفة يستكنون تحتها وكلما تقدمنا شمالا تقل تعليقها لارتفاع مستوى سطح الارض وقد عولجت هذه المشكلة من قبل الحكم والمستنصر والمنصور فعمدوا اثناء الزيادة الى رفع مستوى الارض وهي الواقعة قبلي مسجد عبد الرحمن الاوسط وشيد على اثره مسجد اشبيلية الذي كان شبيها له في الفخامة والانتساع ، الا انه لم يشكل وحدة كافية بذاتها كما في جامع قرطبة اذا ان مسجد اشبيلية ازيل اغلب اجزائه واقامت مكانه كنسية اشبيلية الكبرى ، وبقي اليوم قائما من جامع اشبيلية الطابق العلوي المئذنة وهو مكان مخصص للمؤذنين التي تحولت الى برج لاجراس الكنيسة ، وجزءا من صحنه وبالذات صحن اشجار البرتقال . ولقد احتفظا المسجدين بمعالمها الاثرية ، اذ تعد الزخارف المنفذة في المسجد الجامع في قرطبة من اروع واجمل الزخارف في مساجد العالم الاسلامي عندئذ ، كما تميزت الزخارف النباتية والكتابية والهندسية بالدقة والوضوح والمكانة وغنية جدا في بقايا المسجد الجامع في اشبيلية ، كما عد محراب المسجد الجامع في قرطبة ابرز معالم بيت الصلاة الذي هو فريد في زخارفه اذا تفتقر المساجد الجامعة في العالم الاسلامي لمثل هذا المحراب . ان دراسة جامع قرطبة وعلى وجه الخصوص العقود نجد فن معماري كبير تمثل في معالجة اطوال الاعمدة من خلال اطالة الجدارة التي تعلو تاج كل عامود لتصل الى مترين هذا فضلا عن استبدال الروابط الخشبية التي تربط كل عقدين وبناء عقود بدلها والتي اطلق عليها العقود الهوائية ان هذا الانجاز جعل السقف مرتفع يصل الى تسعة امتار. فضلا عن ذلك دور المعمار في هندسة وتصميم العناصر بكل ما تحمله من دقة وغاية من الروعة ، ويكشف ذلك ما تمثل في عمل العقود والزخارف وتنسيق الالوان.



عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني

أ.م.و.مها (الشعار)

معهز التراث العلمي العربي-جامعة حلب-سورية

Email: dr.mshaar@gmail.com

المخلص

تميزت الحضارة العربية/ الإسلامية باهتمامها بالجانب التطبيقي من العلوم – فضلاً عن الجانب النظري- وشجعت العاملين فيه ورفعت من شأنهم ومكانتهم على عكس الحضارات السابقة، فظهرت إنجازات تقنية وهندسية رائعة أدهشت العالم وكانت نواة لاختراعات جديدة في العصر الحديث، ولكن للأسف اختفى قسم كبير من هذه الإنجازات لعوامل عدة (العوامل البشرية- العوامل الطبيعية)، فلم ينل الجانب الإبداعي الهندسي والتقني العملي نصيبه من الدراسة.

لذا جعلتُ البحث عن هذه التقنيات هدفاً لي، ووجدتُ نتيجة الاطلاع على المصادر والمراجع أن جدران القصور العربية كانت تخفي خلفها عجائب تقنية وهندسية رائعة، فحاولتُ الوصول إلى أدق وصف لها وقمتُ بدراستها تاريخياً وعلمياً وتقنياً بغية إبراز وجهاً مضيئاً من الأوجه المتعددة لحضارتنا العريقة.

وقع اختياري على القصر الطولوني في مصر نموذجاً لدراسة عجائبه، وذلك لتوافر معلومات دقيقة عنه في المصادر والمراجع -على الرغم من تناثرها-، نتيجة لهذا البحث تبين مدى دقة عمل المهندسين والصناع العرب الذين كانوا يتمتعون بحس هندسي تقني دقيق مكنهم من إنجاز أعمال هندسية وتقنية متميزة ومتطورة في القصور العربية على الرغم من عدم ضعف الدراسات وندرة الأدوات المتطورة اللازمة في زمنهم.

الكلمات المفتاحية: عجائب هندسية وتقنية، القصر الطولوني، خمارويه بن أحمد بن طولون.

Abstract

The Arab / Islamic civilization was distinguished by its interest in the applied aspect of sciences - in addition to the theoretical side - and encouraged its workers and raised their status, unlike previous civilizations, so wonderful artistic and engineering achievements appeared that astonished the world and they were the nucleus of new inventions in the modern era, but unfortunately a large part of them disappeared due to several factors (Human factors - natural factors), so the engineering, creative and technical side did not get its share of the study.

Therefore, I made the search for these technologies my goal, and as a result of studying the sources and references, I found that the walls of the Arab palaces hide behind them wonderful technical and engineering wonders, so I tried to reach the most accurate description and studying it historically, scientifically and technical, to highlight the bright side of many aspects of our civilization.

I chose the Tulunid Palace in Egypt as a model for studying its wonders, because there were accurate information about it in the sources and references - albeit sporadic - and as a result of this research it became clear how accurate the work of Arab engineers and industrialists who have a technical engineering sense meticulous, enabled them to accomplish distinguished engineering and technical works in the Arab palaces despite the weakness of studies and the scarcity of advanced tools that they needed at that time.

Keywords: Engineering and Technical Wonders, the Tulunid Palace, Khmaruyeh ibn Ahmad ibn Tulun

المقدمة:

تعني العجائب الشيء غير المؤلف الذي يُعجب الناظر إليه لأنه لم ير مثله حسب ما جاء من تعريفها في معجم لسان العرب، فأصل كلمة عجائب (عجب)، والعُجب إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، والعُجب أيضاً يعني النظر إلى شيء غير مؤلف ولا معتاد، والتعجب أن ترى الشيء يُعجبك تظن أنك لم تر مثله^(١). وقد شهد القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد بداية ازدهار الحضارة العربية الإسلامية العلمية في كافة المجالات، فظهرت إنجازاتها واضحة في المخطوطات العربية، لكن بقي جانباً مهماً من هذه الإنجازات مغفلاً، ألا وهو العجائب الهندسية والتقنية التي زينت قصور الخلفاء والأمراء، وربما كان السبب الرئيس في إغفالها أن أبواب القصور كانت مغلقة في وجه العامة، ولم يراها سوى ساكنو القصور وزوارها المتميزين.



١- هدف البحث:

أدراسة العجائب الهندسية والتقنية التي تميز بها قصر طولوني دراسة تاريخية تقنية تحليلية، بغية التعرف على جهود الجنود المجهولين من المهندسين والصناع المهرة الذين تمتعوا بفكر عبقرى، لكن للأسف أغفل ذكر اسمهم غالباً بينما بقي اسم صاحب القصر محفوظاً في كتب التاريخ.

ب-الكشف عن تطور جوانب عدة من العلوم الهندسية والتقنية في الحقبة الزمنية التي تعود إلى العهد الطولوني، مما يعطينا فكرة عن بداية ازدهار العلوم الهندسية والتقنية في الحضارة العربية/ الإسلامية؛ بفضل تشجيع الحكام والخلفاء.

٢-باني القصر:

بنى القصر أحمد بن طولون الذي حكم مصر في المدة (٢٥٤-٢٧٠هـ / ٨٦٨-٨٨٤م). ولد أحمد بن طولون بمدينة سامراء سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، وعُرف بعلو الهمة وحسن الأدب، وعمل في خدمة الخليفة المستعين بالله (حكم ٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢-٨٦٦م)، ثم دارت الأيام فاستلم حكم مصر، وشهدت البلاد على يديه عهداً جديداً، فقد كان سياسياً قديراً خبيراً، استقل ذاتياً بأمور البلاد^(١)، وترك منشآت عمرانية عدة هامة في مصر، منها: الجامع الطولوني، والقصر الطولوني، وسنركز في دراستنا على ما ورد من عجائب هندسية وتقنية في القصر الطولوني.

٣-موقع القصر:

أسس أبو عون ثاني الولاة العباسيين على مصر مدينة العسكر سنة (١٣٥هـ / ٧٥٢م) شمالي مدينة الفسطاط، وظلت المدينة مركز الإمارة والإدارة والشرطة حتى مجيء أحمد بن طولون والياً على مصر فأقام بها^(٢)، إلا أنها ضاقت بعسكره وجنده فشرع في سنة (٢٥٦هـ / ٨٧٠م) ببناء قصره الذي كان بمثابة نواة للمدينة الجديدة في مكان منعزل فسيح الأرجاء إذ يوجد الآن ميدان صلاح الدين^(٤)، وحوله بنيت مدينة جديدة شمالي مدينة العسكر، اتخذها مركزاً لحكمه ومقرّاً لجنده الذين قسموها بينهم قطائع فسميت مدينة القطائع، وكانت تمتد من موقع جامع ابن طولون الحالي إلى سفح جبل المقطم مكان القلعة الحالية^(٥) "لما ولي أحمد بن طولون مصر سكن العسكر، ثم أحب أن يبني له قصراً فبنى القطائع، والقطائع قد زالت آثارها الآن من مصر ولم يبق لها رسم يُعرف، وكان موضعها من قبة الهواء، التي صار مكانها الآن قلعة الجبل، إلى جامع ابن طولون المذكور... وقبة الهواء كانت في السطح الذي عليه قلعة الجبل، وتحت قبة الهواء كان قصر ابن طولون"^(٦).

وذكر ابن تغري بردي أن أحمد بن طولون "أمر أصحابه وغلماينه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتاً، فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط - أعني بمصر القديمة-، ثم بُنيت القطائع وسميت كل قطعة باسم من سكنها"^(٧)، كما ذكر المدني أن أحمد "بنى قصره ووسعه وحسنه، وبنى فيه ميداناً حسناً يُضرب فيه بالصوالجة، فسُمي القصر كله الميدان من أجل الميدان"^(٨)، ويوضح ابن تغري بردي مكان القصر والميدان بدقة فائلاً: "وتحت قبة الهواء كان قصر ابن طولون، والميدان

فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون المعروف به^(٩).



مخطط (١) يوضح موقع مدينة القطائع من مدينة العسكر^(١٠)

٤- عجائب القصر في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون:

بعد وفاة أحمد بن طولون تولى حكم مصر والشام والثغور ابنه أبو الجيوش خمارويه (حكم بين ٢٧٠-٢٨٢هـ / ٨٨٤-٨٩٦م)، وهو لا يزال في العشرين من عمره بعد وفاة والده، فسكن في قصر أبيه، وغير وزاد وهدم منشآت أبيه ليعيد بناءها على نطاق أوسع.

اشتهر خمارويه بأنه لم يبخل على نفسه أو على الناس بعطاياه حتى عده الكثيرون متلافاً للمال، إذ أنفق في أموره ما كان أبوه قد ادخره، وما كان يأتيه من الخراج بعد أن عكف على كل ألوان المتعة والمسرة^(١١)، وكانت العجائب التي أحدثها في القصر من الأمور التي أنفق عليها الكثير، وهي كما ذكرتها المصادر:

٤-١- بستان القصر:

حوّل خمارويه الميدان المجاور لقصر أبيه إلى بستان رائع الجمال، فهندسه هندسة بديعة، وقسمه إلى أقسام:

*القسم الأول- ركن الزهور: أمر بأن يُزرع في ركن منه أنواع الرياحين والورد والزعفران وأصناف الشجر، وحُمِل إليه كل صنف من الشجر المطعم، والأكثر إبداعاً هو غرس أنواع وألوان من الرياح المتعددة بحيث تؤلف من ألوان أزهارها



كتابات مكتوبة ونقوش معمولة، وكان البستاني يتعهدا بالمقاريض حتى لا تزيد ورقة على ورقة، كي لا يصعب فهمها على القارئ، كما أشار ابن تغري بردي: "لما ملك خمارويه الديار المصرية بعد موت أبيه أحمد بن طولون أقبل على عمارة قصر أبيه وزاد فيه محاسن كثيرة، وأخذ الميدان الذي كان لأبيه المجاور للجامع فجعله كله بستاناً، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم وأنواع الورد، وزرع فيه الزعفران ... وزرع في أرض البستان من الرياح المزروع في زي نقوش معمولة وكتابات مكتوبة، يتعهدا البستاني بالمقاريض حتى لا تزيد ورقة على ورقة لئلا يُشكل ذلك على القارئ"^(١٢)، ولكن للأسف لم تذكر المصادر ما هي النقوش والعبارات المكتوبة بأزهار الرياحين، إلا أنه يمكن القول أن هذه الإشارة إلى الإبداع الزراعي في بستان خمارويه هي من أوائل الإشارات التي وردت في المصادر العربية التي تشير إلى الإبداعات الأولى في مجال تنسيق الزهور والنباتات الملونة على شكل رسوم وكتابات، وأصبح هذا الإبداع اختصاصاً يُدرس في وقتنا الحاضر.

***القسم الثاني-بستان النخيل وطريقة ريه:** أمر خمارويه بإحضار أشجار النخيل من خراسان لزرعتها في البستان، ثم أمر بكساء جذوعها التي يتراوح قطرها عادة بين^(١٣) (٤٠-٩٠سم) بكساء نحاسي مذهب حسن الصنعة، ومُدت شبكة أنابيب رصاصية خفية تحت الأرض إلى أن وصلت إلى أرض البستان، فنقرت منها أنابيب دخلت بين الكساء النحاسي وأجسام النخل حتى وصلت إلى أعلى جذوع الشجر التي يتراوح ارتفاع جذعها بين^(١٤) (١٠-٢٥م)، فكانت المياه تخرج من هذه الأنابيب على شكل عيون ماء فوارة، ثم تنحدر لتسقط في قنوات محفورة حول الشجر، ومهيأة لاستقبالها، ثم تمضي المياه في هذه القنوات لتسقي سائر البستان، يذكر ابن تغري بردي "وحمل إلى هذا البستان النخل من خراسان وغيرها، وكسا أجسام النخل نحاساً مذهباً حسن الصنعة، وجعل بين النحاس وأجسام النخل مزاريب الرصاص، وأجرى فيها الماء المدبر، فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فوارة فينحدر إلى فساقى^(١٥) معمولة، ويفيض الماء منها إلى مجارٍ تسقي سائر البستان"^(١٦).

يمكن للقارئ أن يتخيل اللوحة الفنية الطبيعية التي كانت الطبيعة ترسمها بمساعدة تقنيي القصر المهرة في بستان النخيل، فكانت أشعة الشمس تسقط جذوع الأشجار المكسوة بالنحاس المذهب لتنعكس عنها مارة من خلال فوارات الماء المنسدلة من جذوع الأشجار مشكلة ألواناً وأضواء خلابة تسر الناظرين.

نتبين من الوصف السابق **دقة الحسابات الهندسية** التي قام بها مهندسو القصر، فارتفاع جذع شجرة النخيل يتراوح بين (١٠-٢٥م)^(١٧)، وبفرض أن ارتفاع جذوع أشجار النخيل كان ١٠ أمتار، فهذا يعني تحدي كبير للمهندسين الذي نفذوا هذه الشبكة المائية لأنه وجب عليهم بناء خزان تجميع مائي كبير الحجم ليزود البستان بالماء باستمرار، وموضوع في مكان عال بشكل كاف (حوالي ١٥ م على الأقل) لتأمين الضغط الكافي للماء حتى يستطيع الوصول إلى أعلى جذوع الأشجار متغلباً على

الضياعات الموضعية والخطية الهيدروليكية المعيقة لحركة الماء، وظهرت براعتهم جلية في تمديد شبكة الأنابيب المائية والتي على الأرجح كانت تبدأ بأنبوب واحد ذو قطر كبير ينزل من الخزان ويسير حتى يصل إلى بستان أشجار النخيل، فيبدأ بالتفرع إلى فروع كثيرة بحيث يصعد كل فرع إلى أعلى جذع الشجرة مختفياً تحت كساء النحاس المحيط بالجذع، لتخرج المياه من أعلى الجذع على شكل فوراة منحدره إلى أحواض مائية بنوافير تتوسطها، تفيض المياه منها إلى قنوات خاصة لتسقي سائر البستان مكونة لوحة في غاية الجمال والإبداع.

والأرجح أن الخزان وضع على سطح بناء عال جداً مبني في ركن منزو من البستان للتقليل من كمية الضياعات قدر المستطاع، ولكنه بنفس الوقت بعيداً عن أعين أصحاب القصر وزواره كي لا يشوه جمال المنظر، وذكر المقرئ مبري مصدر المياه المتدفقة بغزارة في كل أنحاء البستان، وآلية رفع الماء إلى هذا المنسوب العالي أثناء وصفه لقنوات المياه الجارية في البستان، فقال: "يجري فيها الماء مديراً من السواقي التي تدور على الآبار العذبة"^(١٨).



الصورة (١): ساقية في ريف مصر^(١٩)

أي أن المياه مستمدة من آبار مياه عذبة، وتُستخرج بالسواقي المعروفة في مصر التي تقوم برفع المياه من منسوب منخفض إلى منسوب عال لتصبه في قناة مبنية مرتفعة (أكثر من ١٥ م) وتجري هذه المياه في القناة لتصب في الخزان المائي التجميعي، ويجب أن يكون ميل هذه القناة مدروس بدقة ليؤمن سرعة جريان مناسبة للماء، فلا تكون السرعة كبيرة فتتسبب باضطرابات شديدة للماء مما يسبب حت لجدران القناة، ولا تكن السرعة قليلة مما يقلل كمية المياه اللازمة لتزويد البستان بالمياه.

***القسم الثالث-برج الطيور:** أمر خمارويه ببناء برج من خشب الساج المنقوش الملون لإسكان أصناف الحمام والطيور المغردة والطواويس والدجاج الحبشي فيه، بعد أن حُفر في حيطان البرج فتحات وُضع فيها قواديس^(٢٠) لطيفة لتكون عشا للطيور تسكنها وتفرخ فيها، ويعيداناً مثبتة في جوانبه لتقف عليها إذا طارت، ومن سواقي المياه



التي توزعت في بستان النخيل تم تمديد قنوات لطيفة وتفريعها في ثنايا البرج لتنساب فيها المياه انسياباً هادئاً لطيفاً، فتشرب الطيور وتغتسل منها، وأشار المقريري: "وبنى فيه برجاً من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الأقفاص، وذوقه بأصناف الأصباغ، وبلط أرضه، وجعل في تضاعفه^(٢١) أنهاراً لطافاً جداولها، يجري فيها الماء مدبراً من السواقي التي تدور على الآبار العذبة، ويسقي منها الأشجار وغيرها... فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الأنهار الجارية في البرج، وجعل فيه أوكاراً في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان تنفرخ الطيور فيها، وعارض لها فيه عيداناً ممكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت"^(٢٢).



صورة (٣): أبراج الحمام التقليدية في ريف مصر^(٢٣)

يبدو أن خمارويه استمد فكرة برج الطيور من البيئة المحيطة به، ولكنه حسنها وجعلها بشكل يليق بقصر الحاكم، فأبراج الحمام الحالية المنتشرة في ريف مصر تتشابه كثيراً من حيث الشكل والتصميم برج طيور القصر الموصوف، فهي تُشيد بالقرب من مناطق المياه المفتوحة كالترع، لكن تبقى الأماكن الجافة المكان الأنسب لبناء هذه الأبراج الطينية لأن الرطوبة تجذب الحشرات الضارة، وكلما كانت مساحة الأرض التي يبني عليها البرج أكبر كلما كان أفضل لتسهيل حركة الطيور بداخله، ويفضل ألا تقل عن ٣٠ متراً مربعاً، وفي داخل البرج تبني مئات الأعشاش الفخارية (القواديس) بشكل منتظم في الجدار الداخلي، كي يعيش فيها الحمام وبيض، إذ يُخصص لكل زوج من الحمام العش الخاص به لتحقيق معيشة كاملة منفصلة عن الأزواج الأخرى، وفي العادة تكون لفتحات التهوية الخارجية نفس عدد القواديس الداخلية، ويتم إنشاء عروق منتظمة من الخشب حتى يقف عليها الحمام خارجياً وداخلياً^(٢٤).

لكن اختلف برج طيور القصر عنها بمادة بنائه، إذ استعمل خشب الساج (الخشب النبيل) لبنائه، واستعماله يدل على معرفة تامة بخصائص هذا النوع من الأخشاب، فعلى الرغم من كلفته العالية، إلا أنه من أكثر أنواع الأخشاب ندرة على مستوى العالم، ويتميز بلون جميل أقرب للون الزيتي اللامع، وهو لون نادر في الأخشاب الطبيعية، ولا يتغير لونه بسهولة، وعندما يتغير بعد سنون طويلة يصبح لونه أجمل، ويتميز بمقاومته للماء والنار^(٢٥)، وضعف امتصاصه للرطوبة يمنعه من التشوه

ويعطيه ميزة كبيرة للاستقرار، وأبداع النحاتين في نقش البرج الخشبي وتلوينه ليكون كلوحة فنية نابضة بالحياة بسكانيه المغردين الغادين والرائحين مما يسر الناظرين إليه.
٤-٢-دار الذهب:

أراد خمارويه الجلوس والاستمتاع بمنظر بستانه هذا، فأمر بعمل مجلس له في البستان سماه دار الذهب، وضم المجلس عجائب عدة أظهرت براعة الصانع، إذ طليت حيطان الدار كلها بالذهب واللازورد^(٢٦)، ثم كُسيت بالخشب بارتفاع قامة ونصف^(٢٧) (حوالي ٥,٢م) من خشب نُقش عليه وبشكل بارز صورة خمارويه وحوله مجموعة من الجواري المغنيات يغنون له، وقد زُينت رؤوسهن بأكاليل ذهبية مرصعة بالجواهر، وأذانهن بالحلقات الذهبية الثقيلة، كما لُونت أجسامهن بألوان تشبه ألوان الثياب من الأصباغ العجيبة، فكان هذا القصر من أعجب ما بُني في الدنيا، كما أشار ابن تغري بردي: "و عمل في هذا البستان مجلساً له سماه دار الذهب، طلى حيطانه كلها بالذهب واللازورد في أحسن نقش، وجعل في حيطانه مقدار قامة ونصف صوراً بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتي تُغنيه في أحسن تصوير وأبهج تزويق، وجعل على رؤوسهن الأكاليل من الذهب والجواهر المرصعة، وفي أذانهن الأخراص^(٢٨) الثقال، ولونت أجسامها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة، فكان هذا القصر من أعجب ما بُني في الدنيا"^(٢٩).

إن النقوش البارزة على حيطان دار الذهب والمصبوغة بشتى الألوان تدل على تطور تقنية النقش على الخشب التي تتطلب صبراً وبراعة وإبداعاً فنياً، فالحفر على الخشب نوعان:

النوع الأول-الحفر المسطح: يضم فروع عدة مثل: التخريم والتخريق؛ والخراطة الخشبية، والتطعيم بمواد عدة كالصدف، والعظم، والقصدير، والنحاس، والفضة، والتنزيل على الخشب.

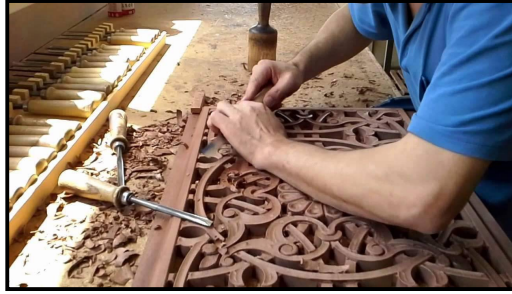
النوع الثاني-الحفر المجسم: يضم فروع عدة أيضاً، مثل: الحفر البارز المسطح، والحفر البارز المشكل، والحفر المفرغ، والحفر الغائر، والحفر المجسم، والحفر البارز المجسم، وهو على ما يبدو ما تم عمله في الخشب الملبس لجدران قصر الذهب، وهذا الحفر كالحفر البارز المشكل لكنه أكثر بروزاً وعمقاً في الأرضيات التي يجب أن تكون متساوية في عمق واحد أيضاً، وتصل فيه ارتفاعات الزخارف المحفورة إلى بروز ٢٥ سم لتعطي تأثيراً أقوى، ويصلح استعمال هذا النوع من الحفر في الأماكن البعيدة عن النظر، ومعظم موضوعاته من الكائنات الحية^(٣٠).

إن الحفر على الخشب قديماً كان يتم وفق خطوات متسلسلة:

- ١- يتم تحديد الشكل النهائي المطلوب عن طريق رسم التصميم على ورقة، وفي حال كان الشكل مجسم يتم عمل نموذج مصغر له سريع باستعمال الطين أو المعجون.
- ٢- يتم اختيار لوحاً خشبياً مناسباً في حال كان الشكل مبسطاً، أو كتلة خشبية مناسبة في حال كان مجسماً ثلاثي الأبعاد، ثم يُنقل الرسم من الورق إلى الخشب.



- ٣- يتم تحديد الأماكن البارزة والغايرة في الرسم، وفي حال الحاجة إلى استعمال المطرقة والإزميل يتم تثبيت القطعة على قاعدة ثابتة.
- ٤- يتم رسم حدود الشكل باستعمال المشرط أو إزميل الحفر، إذا كان الشكل بارزاً تُرسم الخطوط الخارجية للشكل، وفي حال كان الشكل النهائي غائراً تُرسم حدود الشكل من الداخل بطريقة مائلة، ثم يُبدأ بالحفر مع مراعاة العمق المطلوب.
- ٥- يلي الحفر مرحلة التنعيم بواسطة المبارد أو ورق الصنفرة، ثم دهان القطعة وإضافة طبقة التلميع^(٣١).

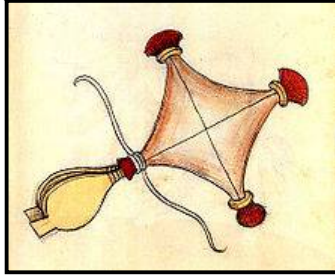
الحفر على الخشب^(٣٢)

٤-٣- بركة القصر:

ما كان القصر ليكتمل دون بركة تزين حديقته، إلا أن بركة حديقة القصر الطولوني كانت مبتكرة لم تذكر المصادر أن أحداً عمل مثلها قبل خمارويه. أمر خمارويه بعمل بركة في الحديقة، فحُفرت بركة مربعة الشكل طول ضلعها ٥٠ ذراعاً (٢٥م، أي بلغت مساحتها ٦٢٥م^٢)، ويبدو أنها كانت عميقة، وإن لم يُذكر مدى عمقها إلا أن ابن تغرى بردى ذكر أن خمارويه أنفق أموالاً عظيمة من أجل عمل هذه البركة وإكساء جدرانها بمواد عازلة تمنع السوائل من التسرب، ثم مُلئت بالزئبق بعد أن رُكبت سكك فضية في زواياها، وثُبت فيها حلقات ضخمة من الفضة، ثم أمر بعمل فراش من الجلد، وأمر بنفخه بالهواء حتى يمتلئ بشكل جيد، فيُحكم عندئذ سده، ثم ألقى هذا الفراش على سطح بركة الزئبق بعد أن شُد من أطرافه بزنانير حديدية مربوطة بإحكام في الحلقات الفضية، فكان خمارويه ينزل فيستلقي عليه، فيرتج الفراش ويتحرك بحركة الزئبق حركة لطيفة مادام عليه، وكان يُرى لهذه البركة منظرًا عجباً في الليالي المقمرة إذا انتلف نور القمر بنور الزئبق، "وطولها خمسون ذراعاً في خمسين ذراعاً عرضاً وملاها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالاً عظيمة، وجعل في أركان البركة سككاً من فضة، وجعل في السكك زنانير من حديد محكمة الصنعة في حلق من فضة، وعمل فرشاً من أدم يُحشى بالرياح حتى ينتفخ فيُحكم حينئذ سده، ويلقى على تلك البركة الزئبق ويشد بالزنانير الحديد التي في حلق الفضة المقدم ذكرها، وينزل خمارويه فينام على هذا الفراش، فلا يزال الفراش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق

ما دام عليه، وكانت هذه البركة من أعظم الهمم الملوكية العالية، وكان يُرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب إذا تألف نور القمر بنور الزئبق"^(٣٣).

استفاد مهندسو خمارويه من خاصية انعكاس الأشعة الضوئية عن سطح الزئبق، فهينوا له ليالي مضاءة بأنوار خلاصة ناتجة عن انعكاس أشعة ضوء القمر عن سطح بحيرة الزئبق، وربما كانت الإشارة إلى السرير الهوائي أول إشارة ترد في كتب التاريخ عن السرير الهوائي (المرتبة الهوائية)^(٣٤) الذي يوضع على وجه الماء (هنا كان الزئبق) ويستعمل للاستلقاء عليه، الذي انتشر في وقتنا الحاضر بشكل واسع جداً، وأصبح جزءاً من الأدوات التي نستخدمها حين نذهب في رحلات الاستجمام على شواطئ البحر، وتكثر مواقع الشبكة العنكبوتية التي تتحدث عن التجارب الحديثة؛ قيد التجربة حالياً؛ التي تبين أن السرير الهوائي له فوائد طبية كثيرة لاسيما للمرضى الذين يعانون من آلام الظهر، لكن المراجع الأجنبية تعيد الفضل باختراعها إلى كونراد كييسر (ولد في سنة ١٣٦٦، ومات بعد ١٤٠٥)، وهو مهندس عسكري ألماني انضم للحملة الصليبية ضد الأتراك، وألف كتاباً عن التكنولوجيا العسكرية (حوالي ١٤٠٥م)، وكان هذا الكتاب منشوراً خلال القرن الخامس عشر^(٣٥).



صورة للفرش الهوائي الذي نسب اختراعه لكونراد كييسر^(٣٦)

٤-٤-٤- القبة:

في حقبة الحكم العباسي لمصر قام أحد ولاتهم وهو حاتم بن هرثمة بن أعين (تسلم ولاية مصر سنة ١٩٤-١٩٥هـ / ٨١٠-٨١١م)، فبنى على سفح جبل المقطم بناءً عُرف باسم قبة الهواء كما أشار الكندي "وابنتى حاتم بن هرثمة القبة التي تُعرف بقبة الهواء، وهو أول من ابتناها"^(٣٧)، ولما تولى أحمد بن طولون الحكم بنى قصره والميدان تحت قبة الهواء كما ذكر المقرئزي: "ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيراً ما يُقيم فيها فإنها كانت تشرف على قصره"^(٣٨)، ثم تولى خمارويه الحكم، وهنا تختلف الروايات، فالمقرئزي يذكر أن خمارويه اعتنى بقبة الهواء وفرشها "واعتنى بها الأمير أبو الجيش خمارويه بن طولون، وجعل لها الستور الجليلة والفرش العظيمة في كل فصل ما يناسبه"^(٣٩).

أما ابن تغرى بردى فذكر إن خمارويه بنى قبة في القصر تضاهي قبة الهواء بالعظمة، ويبدو أن النوافذ كانت تحيط بها من جميع الجهات، ودرست معمارياً



اتجاهات الرياح الباردة والحارة، ومسار أشعة الشمس فيها، فركبت على نوافذها الستائر لتقي الجالس فيها من قيظ الصيف وبرودة الشتاء، وهي على ما يبدو بُنيت على برج عال جداً فقد كان خمارويه يجلس في هذه القبة ليستمتع بمشاهدة ما يحيط به من جميع الجهات من مناظر طبيعية، فيرى بستانه والصحراء ونهر النيل والجبل والمدينة بأكملها "ثم بنى في القصر أيضاً قبة تُضاهي قبة الهواء سماها الدكة، وجعل لها الستر الذي يقي الحر والبرد فيُسدل حيث شاء ويُرفع متى أحب، وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان والصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة، ثم بنى ميداناً آخر أكبر من ميدان أبيه"^(٤٠).

٤-٥-دار السباع:

شغف خمارويه بالحيوانات ورغب في تربيتها، فأنشئ لكل نوع منها حظيرة ودور خاصة بها، فوسع إصطبلات خيول السباق، وجعل للجمال إصطبلًا خاصًا بها، وللفهود داراً، وللنمور داراً، وللفيلة داراً، وللسباع داراً، وللزرافات كذلك كما ذكر ابن تغري بردي: "ثم أوسع خمارويه إصطبلاته لكثرة دوابه فعمل لكل صنف من الدواب إصطبلًا حتى للجمال، ثم جعل للفهود داراً مفردة، ثم للنمور داراً مفردة، وللفيلة كذلك، وللزرافات كذلك"^(٤١).

ويمكن أن نأخذ فكرة عن هذه الدور بقراءة ما ذكر في المصادر العربية عن دار السباع، فقد قُسمت هذه الدار إلى حجرات مفروشة بالرمال إذ تتسع كل حجرة للسبع وزوجته اللبوة، وجُعل في جانب كل بيت حوض رخامي تصب المياه فيه من ميزاب نحاسي لتأمين مياه الشرب، وكانت لهذه البيوت أبواباً تُفتح من الأعلى بطريقة ميكانيكية معينة، وتطل على قاعة رحبة فسيحة سُميت بالحلبة، وفُرشت أرضها بالرمال، وفي جانبها حوض رخامي كبير تصب المياه فيه من ميزاب كبير، وكان هناك سائس لكل سبع موكل بخدمته، فكان إذا أراد خدمة السبع (تنظيف الحجرة وتغيير رملها، وضع الغذاء للسبع، تنظيف حوض الماء، ...) يقف خارج الحلبة وينادي السبع بعد أن يُرفع الباب ميكانيكياً فيخرج السبع وزوجته إلى الحلبة للاستمتاع بأشعة الشمس بينما يُعاد إغلاق الباب، فيدخل السائس من طاقة صغيرة عُمّلت في كل حجرة فيقوم بواجباته إلى أن ينتهي ويخرج من الغرفة، كما أورد ابن تغري بردي: "وبنى أيضاً في داره المذكورة داراً للسباع وعمل فيها بيوتاً كل بيت لسبع لم يسع البيت غير السبع وليوته، وعمل لتلك البيوت أبواباً تُفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاقة صغيرة بدخل منها الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت لفرشه بالرمل، وفي جانب كل بيت حوض من الرخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، وبين يدي هذه البيوت رحبة فسيحة كالقاعة فيها رمل مفروش وفي جانبها حوض كبير من رخام يُصب فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس من سواس بعض السباع المذكورة أن يُنظف بيت ذلك السبع أو يضع له غذاءه من اللحم، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح على السبع يخرج إلى الرحبة المذكورة، ثم يرد الرجل الباب وينزل إلى البيت من الطاقة ويكنسه ويبدل الرمل بغيره من الرمل النظيف، ويضع غذاءه من اللحم في مكانه بعد ما يقطع

اللحم قطعاً ويغسل الحوض ويملؤه ماء، ثم يخرج الرجل ويرفع الباب من أعلاه كما فعل أولاً، وقد عرف السبع ذلك، فحالماً يُرفع الباب دخل السبع إلى بيته وأكل ما هيئ له من اللحم"^(٤٢).

وأحياناً عندما كان خمارويه وندمائيه يرغبون بالاستمتاع بمشاهدة السباع، كانوا يُطلون على الحلبة من علو بعد أن تفتح أبواب الحجرات كلها وتخرج السباع لترمح مع بعضها، فإذا حل المساء فُتحت الأبواب ميكانيكياً، وعادت السباع إلى حجراتها لتأكل اللحم المحضر لها، وتشرب الماء النظيف، وتنام على رمل جديد نظيف، "فكانت هذه الرحبة فيها عدة سباع ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج إلى الرحبة المذكورة وتتشمس فيها ويهاوش بعضها بعضاً فتقيم يوماً كاملاً إلى العشي وخمارويه وعساكره تنظر إليها، فإذا كان العشي يصيح عليها السواس فيحل كل سبع إلى بيته لا يتعداه إلى غيره"^(٤٣).

وردت روايات عدة في المصادر العربية عن الحائر في قصور البادية الأموية (قصر الحير الشرقي، قصر الحير الغربي) وفي القصور العباسية، والحائر عبارة عن مساحة كبيرة من الأرض المسورة (حمى)، كانت تعيش فيها أنواعاً مختلفة من الحيوانات البرية تُترك لترعى وتتحرك بحرية ضمن المنطقة المسورة، فالحير عبارة عن حمى له غايتان: حماية الثروة الحيوانية وتوفير البيئة الملائمة لتكاثرها، وتنظيم عملية الصيد وحماية الحيوان من هوج الصيادين^(٤٤)، ويستدل على ذلك ما ذكر أن الوحوش التي في حائر الخليفة الأمين بن هارون الرشيد (حكم ١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م) كانت ترد إلى مجلس الخليفة وهو يستمع إلى غناء إبراهيم بن المهدي، فتضع رؤوسها على الدكة التي يجلس المستمعون عليه، فإذا سكت المغني نفرت^(٤٥).

لكن نجد في وصف كيفية عيش ورعاية السباع المحتجزة في القصر الطولوني التي كانت تعيش في غرف خاصة، ويُقدم لها الرعاية والطعام شكلاً مختلفاً تماماً عن الحير، وهو مشابه كثيراً لكيفية عيش الحيوانات في حدائق الحيوان الحديثة المنتشرة في أرجاء العالم اليوم، وربما كانت دار السباع التي تحدثنا عنها في القصر الطولوني من أوائل حدائق الحيوانات التي انتشرت فيما بعد في أرجاء العالم قاطبة.

٥- مصير القصر:

قُتل خمارويه في دمشق سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٦م، وكان خلفاؤه ضعفاء جداً مما جعل الخليفة العباسي المكتفي بالله (حكم ٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) يُرسل جيشاً بقيادة محمد بن سليمان الذي تغلب على آخر سلاطين بني طولون شيبان بن أحمد بن طولون وقتله سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، ثم دخل القطائع كما ذكر المقرئزي "فألقى النار في القطائع، ونهب أصحابه الفسطاط، وكسروا السجون، وأخرجوا من فيها، وهجموا على الدور، ... وفعلوا كل قبيح من إخراج الناس من دورهم وغير ذلك"^(٤٦)، وبذلك انتهت الدولة الطولونية وبدأ تدمير آثارهم، ففي سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م كما أشار المقرئ "ابتدئ في هدم ميدان بني طولون، وبيعت أنقاضه"^(٤٧)، وأشار المقرئزي أنه عندما



زالت دولة بني طولون وخرَّب القصر والميدان كانت قبة الهواء من ضمن ما تخرب، ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبُني فيها عدة مساجد، ثم هدم الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي المقبرة والمساجد، وبني مكانها قلعة الجبل بأمر من صلاح الدين الأيوبي^(٤٨)، وذكر ابن تغرى بردي: "ولقد أقام الناس مدة طويلة بعد خراب هذا القصر يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة"^(٤٩).

النتائج

١- ظهر الإبداع في هندسة بستان قصر خمارويه، فكان من أوائل الإبداعات المشار إليها في المصادر العربية ولا سيما في مجال تنسيق الزهور والنباتات على شكل رسوم وكتابات ملونة حسب ألوان النباتات المزروعة، الذي أصبح اختصاصاً يُدرس في وقتنا الحاضر.

٢- دقة الحسابات الهندسية الهيدروليكية لتأمين ضغط مائي كافي لكل المياه الجارية في فروع الشبكة المائية الممتدة من خزان التجميع والواصلة إلى أعالي جذوع أشجار النخيل.

٣- البراعة في تنفيذ الأعمال الإنشائية المرافقة لتقنية رفع المياه التي كانت شائعة في مصر (الساقية)، فالساقية كانت تحتاج لقناة مائة مرتفعة جداً ذات ميل مدروس لتنتقل المياه المرفوعة من الأبار إلى خزان التجميع.

٣- تطوّر تقنية النقش على الخشب وزخرفته وتلوينه أظهرت براعة الصناع والنحاتين ومهارتهم، وكان هذا واضحاً في نقش برج الطيور الخشبي وتلوينه ليكون كلوحة فنية نابضة بالحياة، كما ظهر في لوحة خمارويه مع جواربه والنقوش البارزة على حيطان دار الذهب الخشبية المزخرفة والمزينة بالذهب والأصباغ الملونة.

٤- الدراسة الهندسية المعمارية الصحيحة لاتجاهات الرياح الباردة والحارة، ومسار أشعة الشمس في القبة التي كان خمارويه يجلس فيها ليظل على ما حوله من مناظر طبيعية خلابة.

٥- تميز مهندسو القصر بخبرة ودراية بالتطبيقات العملية لعلم الضوء وظهرت في بستان النخيل الذي كانت جذوع أشجاره مكسوة بالنحاس المذهب وتندفق منها المياه الفوارة عاكسة أشعة الشمس مشكلة لوحة طبيعية خلابة، كما ظهر هذا التطبيق أيضاً في بناء بركة من الزئبق لأول مرة في التاريخ حسب ما تذكر المصادر العربية لاستغلال انعكاس الأشعة الضوئية للقمر على الزئبق في سبيل تشكيل مناظر خلابة في الليل لجعل ليالي خمارويه ذات سحر خاص.

٦- ربما كانت الإشارة إلى السرير الهوائي الذي استعمله خمارويه أول إشارة ترد في كتب التاريخ عن السرير الهوائي (المرتبة الهوائية) الذي يوضع على وجه الماء (هنا كان الزئبق) ويستعمل للاستلقاء عليه، الذي انتشر في وقتنا الحاضر بشكل واسع جداً.

٧-ربما كانت دور الحيوانات التي تحدثت عنها المصادر في القصر الطولوني من أوائل حدائق الحيوانات المعروفة في وقتنا الحاضر التي انتشرت في أرجاء العالم قاطبة.

الحواشي

- ١- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ج ٢، مادة (عجب)، ص ٦٩.
- ٢- ابن تغرى بردى جمال الدين يوسف (٨١٣-٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ج ٣، ص ١ وما يليها.
- ٣- فرغلي أبو الحمد محمود، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٨٦.
- ٤- عكوش محمود، تاريخ ووصف الجامع الطولوني. ط١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، ص ١٠.
- ٥- فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة. ص ٨٦.
- ٦- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٣، ص ١٤ وما يليها.
- ٧- المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥.
- ٨- المدني النبوي عبد الله بن محمد، سيرة أحمد بن طولون. تحقيق وتعليق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص ٥٤.
- ٩- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٣، ص ١٥.
- ١٠- فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، ص ٥٨.
- ١١- أحمد عبد الرزق، تاريخ وأثار مصر الإسلامية. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٠١.
- ١٢- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٥٣-٥٤.
- ١٣- الجبوري حميد جاسم و زايد عبد الوهاب، تكنولوجيا زراعة وإنتاج نخيل التمر. منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو)، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٥.
- ١٤- مرعي، حسن، النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية. وزارة الزراعة والمياه، المملكة العربية السعودية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٥٤.
- ١٥- فسافي: جمع فسقية، وهي حوض من الرخام ونحوه مستدير الشكل غالباً في وسطه نافورة تمج الماء فيه. رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية. مكتبة مبدولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، مادة "فسقية"، ص ٢١٤.
- ١٦- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٣، ص ٥٣-٥٤.
- ١٧- مرعي، النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية. ص ٥٤.
- ١٨- المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣١٤.
- ١٩- ري الماء بالطرق التقليدية من خلال ساقية في ريف محافظة قنا، الموقع الإلكتروني <http://gallery.egyroom.com/>
- ٢٠- قواديس: جمع قادوس، وعاء كالجرة تُخرج به الناعورة الماء من السواقي أو الآبار إلى المزارع. مسعود جبران، الرائد. ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، حرف القاف، مادة "القادوس"، ص ٦١٤.
- ٢١- تضاعيف: تضاعيف الشيء أي أوساطه وتناياه. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط. ط٤، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، باب الضاد، مادة "ضعف"، ص ٥٤٠.
- ٢٢- المقرئزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ج ١، ص ٣١٤.
- ٢٣- كريم محمد، تربية الحمام هواية محببة ومريحة. ٢٩/١١/٢٠١٥م، القاهرة، الموقع الإلكتروني <https://www.alaraby.co.uk/>
- ٢٤- كريم، تربية الحمام هواية محببة ومريحة. الموقع الإلكتروني <https://www.alaraby.co.uk/>
- ٢٥- الطحاي، نهي، أخشاب نادرة. ٢٠١٨م، الموقع الإلكتروني <https://www.arabsmakers.com>
- ٢٦- اللازورد: معدن شهير، أجود أنواعه الشفاف الصافي الأزرق الضارب إلى خضرة وخمرة، يتخذ للحلي، واللازورد: ما كان بلون اللازورد.



- مسعود، الراند. حرف اللام، مادة "اللازورد"، ص ٦٨٠.
- ٢٧- القامة: وحدة طول وتعادل حوالي ١٧٢سم.
- فأخوري محمود وخوام صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية. مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م، مادة "قامة"، ص ١٤٧.
- ٢٨- الخرصُ والخرص: الحلقة من الذهب والفضة.
- الجوهري أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ)، الصحاح. راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٣٠/١٤٣٠هـ/٩/٢٠٠٩م، حرف الخاء، مادة "خرص"، ص ٣١٣.
- ٢٩- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٥٤-٥٥.
- ٣٠- إبراهيم أمامة، تطور الحفر على الخشب. ٢٠١٨/٨/١٧م، الرياض، مقال منشور على الموقع الإلكتروني <https://www.sayidaty.net/node/756501>
- ٣١- موسوعة كله لك، "طريقة الحفر على الخشب"، الموقع الإلكتروني <http://wiki.kololk.com/wiki10121-fnoon>
- ٣٢- النقش على الخشب إبداع مصري يقاوم الزمن منذ عصر الفراعنة، ٢١ يناير ٢٠١٨، الموقع الإلكتروني <https://www.alittihad.ae/article/9861/2013>
- ٣٣- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٥٥.
- ٣٤-المرتبة الهوانية: هى كيس قابل للظى يملئ بالهواء ليأخذ شكل المرتبة العادية، ويستعمل فى الرحلات السياحية ورحلات الكشافة ورحلات الصيد، ويستعمل كذلك فى أحواض السباحة من قبل الكبار والأطفال كوسيلة للترفيه.
- Wikipedia the Free Encyclopedia , *Air mattress* , <https://en.wikipedia.org>
- 35-Wikipedia the Free Encyclopedia, *Konrad Kyaser*, <https://en.wikipedia.org>
- 36-Wikipedia, the free encyclopedia, "*Air mattress*", <https://en.wikipedia.org>
- ٣٧- الكندي المصري محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة. مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٤٧.
- ٣٨- المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثر. ج ٢، ص ٢٠٢.
- ٣٩- المصدر السابق. ج ٢، ص ٢٠٢.
- ٤٠- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٣، ص ٥٦.
- ٤١- المصدر السابق. ج ٣، ص ٥٨.
- ٤٢- المصدر السابق. ج ٣، ص ٥٦.
- ٤٣- المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٦-٥٧.
- ٤٤- طوقان فواز أحمد، الحائر. وزارة الثقافة والشباب، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٧٩م، ص ٣٤٤.
- ٤٥- المرجع السابق، ص ٣٥٥ وما يليها.
- ٤٦- المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثر. ج ١، ص ٣٢٢.
- ٤٧- المصدر السابق. ج ١، ص ٣٢٨.
- ٤٨- المصدر السابق. ج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- ٤٩- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٣، ص ٥٥.
- المصادر والمراجع**
- ١- ابن تغرى بردى: جمال الدين يوسف (٨١٣-٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج ٣، ص ٣٤٣.
- ٢- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج ٢، ص ٤٨٧.
- ٣- أحمد: عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٨٦.
- ٤- الجبوري: حميد جاسم و زايد عبد الوهاب، تكنولوجيا زراعة وإنتاج نخيل التمر. منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو)، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٥١٦.
- ٥- الجوهري: أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ)، الصحاح. راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ١٢٨٧.

- ٦-رزق: عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية. ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٩٧٧ص.
- ٧- طوقان: فواز أحمد، الحائر. وزارة الثقافة والشباب، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٧٩م، ٥٥٠ص.
- ٨- عكوش: محمود، تاريخ ووصف الجامع الطولوني. ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ٢٠٤ص.
- ٩- فرغلي: أبو الحمد محمود، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة. دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م، ٣٠٢ص.
- ١٠- فاخوري: محمود و خوام: صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية. مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م، ٥٠٠ص.
- ١١- الكندي المصري: محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة. مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ٦٨٦ص.
- ١٢- مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط. ط٤، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٠٦٧ص.
- ١٣-المديني البلوي: عبد الله بن محمد، سيرة أحمد بن طولون. تحقيق وتعليق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ٤٠٠ص.
- ١٤-مرعي: حسن، النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه، المملكة العربية السعودية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ٥١٧ص.
- ١٥-مسعود: جبران، الرائد. ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ٨٧٩ص.
- ١٦-المقرزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ج١، ٥٠٨ص- ج٢، ٥٤٠ص.
- المراجع الإلكترونية
- ١٧-إبراهيم: أمامة، تطور الحفر على الخشب. ٢٠١٨/٨/١٧م، الرياض، الموقع الإلكتروني <https://www.sayidaty.net>
- ١٨- حكاية الساقية والطاحونة. ٢٠١٣/٧/١٠م- الموقع الإلكتروني <https://kalemat101.blogspot.com>
- ١٩- ري الماء بالطرق التقليدية من خلال ساقية في ريف محافظة قنا، الموقع الإلكتروني <http://gallery.egyroom.com>
- ٢٠- الطحاوي نهى، ٢٠١٨م-أخشاب نادرة. الموقع الإلكتروني: <https://www.arabsmakers.com>
- ٢١-كريم: محمد، تربية الحمام هواية محببة ومربحة. القاهرة، ٢٠١٥/١١/٢٩م، الموقع الإلكتروني <https://www.alaraby.co.uk>
- ٢٢-موسوعة كله لك، طريقة الحفر على الخشب. الموقع الإلكتروني <http://wiki.kololk.com>
- ٢٣- النقش على الخشب إبداع مصري يقاوم الزمن منذ عصر الفراعنة. ٢١ يناير ٢٠١٨، الموقع الإلكتروني <https://www.alittihad.ae>
- 24-Wikipedia the Free Encyclopedia, Air mattress, <https://en.wikipedia.org>
- 25-Wikipedia the Free Encyclopedia, Konrad Kyaser, <https://en.wikipedia.org>



اسس وخصائص العمار الدينية في التراث العربي الاسلامي

و. أبلوبة محمد عبد الله مطر
ساعر بالمعهد العالي للفنون والحرف بتطاوين.
جامعة قابس. الجمهورية التونسية

المخلص:

تخفي العمارة العربية الإسلامية وعلى وجه الخصوص الدينية الكثير من الأشياء التي تسمح بقراءتها بطريقة مستقلة عن الجانب الوظيفي أو الانتماء الجغرافي لها. إذ تستمد هذه العمارة الأسس الخاصة بها من علوم وعناصر وتركيبات توضح وتبين الثبات التي هي عليه في العمق. فالمادة والنور والعدد من جهة والتركيبات بيت الظاهر والخفي والتناظر والدوران من جهة أخرى يبعثان إلى أبعاد ميتافيزيقية وكونية أساسها الأول القرآن والحديث والقراءات الفلسفية والفقهية لهما. وبالتالي تستمد العمارة العربية الدينية ثباتها من ثبات الدين في عمقها وكيانها ظاهرها وباطنها.
الكلمات المفتاحية: عمارة، فلسفة، تركيبة، مادة، لون، دوران، تصور.

Abstract:

Islamic Arab architecture, especially religious one, hides many things that allow to read it in a way that is independent of the functional or belonging Geography. It draws its morphology foundations from science elements and compositions that show its stability in the depth. Material, light, number, on one hand, and symmetry, rotation, on the other hand, are based on metaphysical dimensions that take their first meaning from the Qur'an, the Hadith, and the philosophical and doctrinal readings of

them. Thus, the religious Arab architecture derives from the fact that religion is stable in its depth and in its faith.

Key words: Architecture, philosophy, combination, matter, color, spin, conception.

مقدمة:

تحول شساعة الأقطار التي شملتها الفتوحات الإسلامية طيلة أربعة عشر قرنا وتطور الأشكال والمعالم الإسلامية التي ظهرت في مجالات الفن والعمارة، إمكانية تقديم تعريف شامل وكاف للتصور الإسلامي للفن. و لذلك يبقى الدين بمثابة الركيزة الأولى والمرجع الأساسي المعتمد في تعريف الفن الإسلامي. إذ تطرقت عديد الآيات إلى موضوع الفن وتصورات وأظهرت بعض الاختلافات الفقهية الشائكة عبر العصور. يسعى هذا البحث بالأساس إلى تبيين نسبية عفوية العمارة الدينية العربية مهما كان طرازها ومحليتها. فهي تعكس رؤى وتصورات تفوق الجانب الوظيفي القائم على قواعد ثابتة والخاضع لخيارات حتمية مرتبطة بالمكان والزمان. فالعمارة الدينية العربية من شأنها أن تعكس فكرا قويا قادرا على تفسير جلّ الاختيارات التي أدت إلى النتيجة. وهكذا فإنّ العمارة وإن اتسمت بمفاهيم المميزيس والوظيفية بالأساس فإنها تعكس أبعادا أعمق بكثير. من جهة أخرى وفي خضمّ النسق التصاعدي السريع للتغيرات النمطية التي شملت النماذج المعمارية بصفة عامّة والنماذج الدينية بصفة خاصة فإنّه أصبح من الضروري محاولة الكشف عن الجانب غير المرئي الذي يقود هذه التعددية وهذا التنوع ولا يتمّ هذا إلا بالعودة إلى الحقب التاريخية الأولى والتي شهدت بداية هذا التنوع.

المتصور المعماري للعمارة العربية الإسلامية:

ذكرت بعض الآيات القرآنية موضوع بناء المعالم وتشبيدها وكانت كلها متصلة بذكر النبي سليمان عليه السلام وبحاشيته المكونة من الجن. فقد أسأل له الله سبحانه عينا من النحاس. وصنعت له الجن محاريب وكانت تعني الأماكن النبيلة والمرتفعة قبل أن يتصل معناها الحالي بالتجويفات التي تبنى في حائط القبلة بالجوامع لتدل على اتجاه الصلاة. وكانت أعمال الجن متقنة ومرتبة تستحق الثناء. ويقول الله سبحانه في كتابه الكريم:

" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ وَمِنَ الجِنَّ مَنْ يَعمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزَعِ مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِنَا نُدْفِعْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانَ كَالجِوَابِ وَفُؤُورَ رَاسِيَّاتٍ اعمَلُوا آلَ داوودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ^(١)

وذكرت في سورة النمل كلمة الصرح الممرّد من قوارير وتعني القصر أو البيت الشديد البياض والمشيد من زجاج أو بلور ذي ملمس مستو. وكان الصرح يشبه الخيال حتى أنّ ملكة سبأ حسبته ماء غزيرا فكشفت عن ساقها، ومن شدة انبهارها أسلمت مع سليمان عليه السلام.



"قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"^(٢)

تسمح هذه الآيات باستنتاج خاصيات تمكن من تعريف العمارة والصناعة في التصور الديني ألا وهي^(٣):

الإبهار: تبدو المباني والأشياء متقنة إلى درجة تثير الإبهار.

الإتقان: توهم الأشياء التي عملها الجن بما لا يتاح للإنسان، بأنها أشياء متقنة إتقانا أبعد من الواقع وأقرب إلى الخيال.

المجاز: المجاز في اللغة هو التجاوز والتعدّي. وفي الاصطلاح اللغوي هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقريضة أي أن اللفظ يُقصد به غير معناه الحرفي بل معنى له علاقة غير مباشرة بالمعنى الحرفي والمجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم، وليس من الكذب في شيء كما توهم البعض.

الرمزية: تهدف الرمزية إلى التعبير عن سر الوجود عن طريق الرمز وإلى إعطاء القارئ انطباعا عن الأمور الباطنية مثل الأفكار والمشاعر. فالرمزية مهمة بالنسبة إلى الدين لأن بعض الإيحاءات الدينية والإلهية تم تفسيرها عن طريق الرموز وقد وصف عالم الاجتماع الألماني ماكس ويبر (Max Weber) ١٨٦٤-١٩٢٠ الدين بأنه نظام من الرموز الدينية المقدسة.

من جهة أخرى يثير الفن الإسلامي إشكالية التصوير والتجسيد في ما يتعلق بكل ذي روح من الكائنات وخاصة منها البشر. فالإسلام يعطي للفن مجالات تعبيرية غير تجسدية، ويعتبر هذا الامتناع ردة فعل ضد الفن التجسدي المبالغ فيه، الذي ساد في بلدان البحر الأبيض المتوسط وإيران وصولاً إلى الهند وبلدان آسيا الوسطى.

هذا الامتناع كان اجتماعياً ونفسياً في السنوات الأولى للإسلام، ومع مرور الزمن أمسى هذا الامتناع إيديولوجياً ودينياً. وقد تمّ تحريم التصوير والتجسيد في أغلب المذاهب وفقاً لفتاوى فقهية تستند إلى القرآن والحديث^(٤). يذكر في القرآن الكريم أنّ عيسى عليه السلام صور طيراً من الطين ونفخ فيه وأعطاه الحياة وكان هذا جزءاً من نبوته، فهذا الخلق هو من شأن الله، وهو الوحيد سبحانه الكفيل بالتصوير والإبداع ولا معبود سواه.

" وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (٥)

ويرى كثير من الفقهاء في تصوير كل ذي روح وتجسيده نوعاً من الحب ومن الهوى إذ يعتبر كل ذي روح سواء أكان مصوراً كان أو مجسداً، ذريعة للشرك بالله لما في ذلك من المثل أمامه والخضوع له والتقرب إليه وتعظيمه بما لا يليق إلا بالله تعالى، ولما فيه من مضاهاة خلق الله. تعدّ الأمثلة التي تجسد الآلهة والملوك والخلان عديدة، ولذلك تعتبر معظم المدارس الفكرية الإسلامية^(٦) التصوير والتجسيد شكلاً من أشكال الشرك وهو ما يؤدي إلى تحريمهما. ومن الأحاديث التي وردت في تحريم التصوير والتجسيد،

بوصفهما من الكبائر حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الذين يصنعون هذه الصّور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم "أحبوا ما خلقتم".^(٧) اهتم الفن الإسلامي بالتعبير عن بعض المبادئ التي يدعو إليها الإسلام والتي تبدو مجردة وغير مرئية ومنها العفو والكرم والمغفرة والرحمة. فلجأ الفن بذلك إلى الكتابة لتجسيدها بطريقة مرئية. وأصبحت الخطاطة الشكل الأول والأساسي للفن الإسلامي وأشيع الخط العربي وتطورت خاصياته التقنية والجمالية في عدة مجالات ومن أهمها المخطوطات والعمارة. وقد أعطى الفن الإسلامي مكانة عليا لتصوير الطبيعة النباتية والحدائق لما في ذلك من صلة مباشرة بوصف الجنة الذي ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم. وتمثل الحدائق التي عبر عنها الفن الإسلامي بطريقة مرئية تصورات بشرية للجنة، ولعل من أهم الأعمال التي تجسد ذلك، لوحة الفسيفساء التي تزين الجامع الكبير بدمشق.

١. علاقة الفن بالفكر الإسلامي:

يصعب علينا في لحظتنا الرّاهنة تقييم الحوارات التي دارت بين الفكر الإسلامي الناشئ وفكر العصور القديمة في بغداد في القرن الثاني الهجري، فقد كان الفكر الإسلامي واثقا وقويا وعازما على إرساء علوم وفلسفة وأدب خاصة به وقائمة على شرعية دينية بالأساس. وقد انتشرت هذه الحوارات ووصلت إلى مشارق المغرب في خراسان، وإلى مغاربها في ربوع الأندلس، حيث تأسست تدريجيا عدة مدارس فكرية مستقلة، تدرس الشرعيات والقضاء والفلسفة والعلوم، وانتشرت تقريبا في كل عواصم الإمارات الإسلامية في العالم. واهتم حكام المسلمين بالفن والعلوم وفق مفاهيم وألويات مختلفة أدت في بعض الأحيان إلى ظهور حركات احتجاجية تصل إلى حد العنف، فالمدارس الفكرية التي اهتمت بالفن بطريقة مباشرة تبدو منعقدة، ولكن الفن الإسلامي استند إلى الفلسفة والعلوم التي أمدته بنظريات ومفاهيم خاصة في ما يتعلق بالجماليات والهندسة.

الفلسفة وجماليات الفن الإسلامي:

توجد محاولات عديدة للتعريف بالفن الإسلامي توافقت في أغلبها على استعارة مفهومين اثنين من الفلسفة وهما النظرية الذرية وازدواجية القراءة.^(٨) يعتبر المفهوم الأول بأن كل شيء سواء أكان حيا أم جماد، هو نتيجة تراكم ذرات متطابقة تماما. ويعتبر هذا العمل من قدرة الله وحده خاصة وأنه الوحيد القادر سبحانه على نفخ الروح في الشيء، ويسعى الفنانون لتقليد مبدأ هذا العمل الرباني مع حضور نية التسليم بأن الوحيد القادر على الخلق والإبداع هو الله، وبأن عملهم لا يتعدى التقليد البسيط لنظام تكوين الأشياء المخلوقة، دون خلقها.

أنتجت هذه الاستعارة العديد من الأعمال الفنية الرائعة والنادرة، إذ قام الفنانون المسلمون فيها بتركيبات شكلية غاية في الجمال والابتكار حاولوا من خلالها التعبير عن قيمهم بطريقة واقعية. شملت الاستعارة الثانية مفهوم ازدواجية المعنى المتعلق بعالم



الخيال والأساطير والتأويل، ويقدم هذا المفهوم فكرة أن كل شيء موجود يسمح بقراءتين ويدلي بمعنيين، أحدهما، خارجي وظاهري، متاح للعوام والثاني، داخلي ومستشف، لا يقدر عليه إلا الخاصة، أولى الأبواب.

وقد تطرق كثير من المفكرين المسلمين إلى موضوع الجمالية وقدموا عدة تعريفات لعل من أهمها تلك التي وردت في موسوعة إخوان الصفا وفي كتابات ابن حزم التي ركز فيها على التعبيرات المجازية في مجال الفن. وربط عدة مفكرين من أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد، بين الفن وبين الميميسيس^(٩)، وهو تعريف أرسطو القائل بأن العمل الفني هو تقليد لعمل الطبيعة. وأكد الغزالي في نظريته التي تحدث فيها عن الفرق بين الصورة والمعنى عن المتعة التي تمده بها رؤية الأشياء الجميلة واعتبر هذه المتعة كإدراك للمعنى الداخلي المستشف من الصورة. وأثرى كل هذه المحاولات عالم الأحياء ابن الهيثم بأعماله في مجال علم البصريات، حيث اهتم بدراسة المرئيات وأكد الدور الذي يلعبه التناسب والتناسق في إعطاء المعنى للصورة، وأضاف ابن خلدون أن الفن يؤدي دورا وظيفيا في تنظيم المجتمعات معطيا للفنانين اسم حرفيي الفن.^(١٠)

علم الهندسة والفن والأدب:

أثر علم الهندسة في الفن الإسلامي أيما تأثير. فقد سادت في كثير من مجالات الفن، بداية من القرن الثالث الهجري، نماذج تزويقية هندسية. وقد عم النمط التزويقي الهندسي خاصة مجال العمارة، بل وأكثر من ذلك، أثرت الهندسة حتى في تخطيط المدن والمباني وقدمت حولا جديدة ومعقدة لمشاكل المقاييس وإنشاء المعالم.

وتم توظيف النمط التزويقي الهندسي إما منعزلا وإما مختلطا بعناصر نباتية أو خطية، أو بالاثنتين معا. وهكذا يمكن اعتبار توظيف الأنماط الهندسية والنباتية والخطية في الفن التزويقي حلا يحول دون تصوير كل ذي روح وتجسيده، وهو ما يؤيد فكرة الخصوصية التجريدية التي اشتهر بها الفن الإسلامي.

فقد أدى كل من الفلسفة وعلم الهندسة دورا مهما في تطور الفن الإسلامي، خاصة في ما يتعلق بشكله وتوظيفاته كما مثل كل من الأدب العربي والأدب الفارسي، في العصر الوسيط للإسلام، مصدر إلهام أثر في الفن الإسلامي بصفة عامة وفي الفنون التشكيلية بصفة خاصة. وقد سادت هذا الأدب مجموعة من الأفكار الغربية وبعض المواضيع الاستشراقية المرتبطة أساسا بالشعر وبالميثولوجيا. ويمكن تصنيف تأثيرات الأدب في الفن إلى ثلاثة أقسام.

أثر الأدب في بادئ الأمر في التصوير الإسلامي وظهر ذلك في ميادين فنية شتى كالخزف والرسوم الحائطية والمصوغ والنسيج. و أصبحت الكتب الأدبية زاخرة بالرسومات وذلك منذ القرن الرابع الهجري. وقد تجسد هذا الإبداع في مخطوطات عديدة ومتنوعة نذكر منها كتاب المقامات العربية للحريري، الذي يروي مغامرات أبي زيد. وشكلت الرسومات التي زحرت بها المخطوطات لفترة زمنية ناهزت القرن والنصف، مرجعا مهما إذ جسدت بطريقة متقنة الفضاءات التي دارت بها أحداث الروايات المكتوبة.^(١١)

ينظم مخطوط الشهنام^(١٢) من جهته ، وقد كتبه الشاعر الفردوسي، بطريقة أسطورية أهم الأحداث التي عاشتها إيران منذ البدايات وصولاً إلى العصر الذهبي الإسلامي.

- (١) سورة سبأ آية ١١ و ١٢
(٢) سورة النمل آية ٤٣.
- (٣) Grabar O. *Penser l'Art Islamique*. Bibliothèque Albin Michel Idées, Paris, 1996.
- (٤) جمال محرز، "الرسوم الشخصية في التصوير الإسلامي"، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، عدد ٧، ١٩٤٦.
- (٥) سورة آل عمران آية ٤٨.
- (٦) شرعت بعض المدارس الإسلامية في إيران التصوير والتجسيد بداية من القرن الثالث هجري.
- (٧) صحيح مسلم والبخاري.
- (٨) Cf. Grabar O. "Art et culture dans le monde Islamique", in Arts et civilisation de l'Islam, sous la direction de Hatsstein M. et Delius P., Koeman, 2000.
- (٩) تقنية التقليد والتكييف الشكلي.
- (١٠) نور الرفاعي، *تاريخ الفن عند العرب والمسلمين*. دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.
- (١١) كتاب الملوك.
- (١٢) دفيد تالبوت رايس، *الفن الإسلامي*، ترجمة منير صلاحى الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧.
- (١٣) Bacqué-Grammont J.- L. *Le livre de Babur : mémoire du premier Grand Mogol des Indes, 1494-1529*. La documentation française, Collection orientale, 1965.
- (١٤) Marquet Y., *La philosophie de Ikhwan al-Safa*, Paris, S.E H.A., Arché, 1999, p. 90.
- (١٥) سورة النور آية ٣٥.
- (١٦) Rumi Dj., *Mathnawi*, Livre VI, vers 3069, traduit par Eva de Vitray-Meyerovitch et Djamchid Mortazavi, Monaco, Editions du Rocher, 1990, p. 1567.
- (١٧) سورة الأحزاب آية ٤٥ و ٤٦ .
- (١٨) Cité par Triki H./ Dovifat A., *Medersa de Marrakech*, Paris, Editions Presse Audiovisuel, 1990, p. 25.
- (١٩) سورة آية
(٢٠) سورة الرّوم آية
(٢١) سورة آل عمران آية ١٠٦ و ١٠٧.
(٢٢) سورة طه آية ١٠٢.
(٢٣) سورة البقرة آية ٦٩.
- (٢٤) Cf. Toufy F., "La naissance du Monde selon l'Islam", in *La naissance du monde*, Paris, Seuil, 1959, p. 237-279.
- (٢٥) Cf. Ruspoli S., *Le livre des théophanies d'Ibn Arabi*, Paris, Cerf, 2000, p. 196-199.
- (٢٦) Rumi Dj., *Mathnawi*, Livre VI, vers 59, Op. cit., p. 1063.
- (٢٧) Seyyed H. N. *Sciences et savoir en Islam*, Paris, Sindbad, 1979, p. 251.
- (٢٨) Cité Par Goldenstein B. R., " A Treatise on Number Theory from a Tenth Century Arabic Source", in *Centaurus*, n°10, 1964/1965, p. 140.
- (٢٩) Cité in Seyyed. H. N., *An Anthology of Philosophy in Persia*, Vol. II, Oxford, Oxford University Press, 2001, p. 330.
- (٣٠) Kühnel E., "Arabesque", in *Encyclopédie de l'Islam*, tome I, Ed.2, Leiden Brill, 1975-2005, p. 576.
- (٣١) Ringgenberg P. *L'univers symbolique des arts islamiques*. Op. cit., p. 332.
- (٣٢) Ibid., p. 86-103.
- (٣٤) سورة الصافات آية ٦.
(٣٥) سورة الأتعام آية ٩٦ و ٩٧.
- (٣٦) "The Taming of the Horro Vacui In Islamic Art", In Ettinghaussen R., *Islamic Art and Archeology. Collected papers*, Berlin, Gebr, Mann Verlag, p1984, p. 1308-1309.
- (٣٧) سورة الأعراف آية ٣١.
- (٣٨) *Le livre de Babur. Babur-Nama*, traduit du turc par Jean-Louis Bacqué-Garammont, Paris, Publications Orientales de France, 1980, p. 338.
- (٣٩) Ibn Khaldun, *Discours sur l'histoire universelle, Al-Muqaddima*, traduit de l'arabe par VincentMonteil, Arles, Actes Sud / Sindbad, 1997, p643-644.
- (٤٠) Cf. Neveux M., *Nombre d'or. Radiographie d'un mythe*, Paris, Seuil, 1995.



- (٤١) "The Use of the Golden Section in the Great Mosque of Kairouan", in *Nexus Network Journal*, vol.6, n°1, 2004, p. 7-16.
- (٤٢) "Le mihrab d'Uldjâitû Khodabânde et le nombre d'or" in *Luqmân*, n°2, printemps-été 1986, p. 66-70.
- (٤٣) سورة آل عمران آية ١٩١ و ١٩٢.
- (٤٤) سورة آية المجادلة آية ١١.
- (٤٥) الألباني في "صحيح أبي داود".
- (٤٦) Ibn Arabi M., *La sagesse des prophètes*, traduit de l'arabe par Titus Burckhardt, Paris, Albin Michel, 1974, p. 21.
- (٤٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.
- (٤٨) سورة الأنبياء آية ١٠٤.
- (٤٩) Ringgenberg P. *L'univers symbolique des arts islamiques*, Op. cit., p. ٣٨١.
- (٥٠) *L'art musulman*, Paris, P.U.F., 1927, p.70.
- (٥١) "Eléments d'une théorie philosophique pour la sociolinguistique", in *Revue Thomiste*, LXXX, juillet-septembre 1980, p. 411.
- (٥٢) سورة الحديد آية ٣.
- (٥٣) سورة الأنعام آية ١٠٣.
- (٥٤) أخرجه البخاري.
- (٥٥) Cf. Chittick W. C., *The Sufi path of knowledge, Ibn al-Arabi's Metaphysics of Imagination*, Albany, State University of New York Press, 1994, p125-130.
- (٥٦) Saadi, *Le jardin des roses*, traduit de l'arabe par Omar Ali Shah, Paris, Albin Michel 1991, p. 17.
- (٥٧) *Alchimie et mystique en terre d'Islam*, Lagrasse, Verdier, p. 31.
- (٥٨) سورة الرعد آية ٨.
- (٥٩) سورة الأنعام آية ١٢٥.
- (٦٠) سورة الزمر آية ٧٥.
- (٦١) Cité par Vadet J-C., "Quelques observations sur la pratique de l'astrologie chez les Arabes", in *L'astrologie*, Paris, Albin Michel, 1985, p. 58.
- (٦٢) Mowlavi Rumi Dj., *Silent words. A selection of Poetry and Prose*, translated by Nicholson R. A., Tehran, Hermes Publishers, 2004, p. 85.
- (٦٣) Cf. Ibn Hayyân Dj, *Dix traités d'alchimie*, traduit de l'arabe par Pierre Lory, Arles, Actes sud, 1996.
- (٦٤) Cité par Chodkiewicz M., *Le sceau des saints. Prophétie et sainteté dans la doctrine d'Ibn Arabî*, Paris, Gallimard, 2012, p. 199.
- الكتب العربية:
- أنور الرفاعي. تاريخ الفن عند العرب والمسلمين. دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.
- دفيد تالبوت رايس. الفن الإسلامي، ترجمة منير صلاحى الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧.
- زكي محمد حسن. فنون الإسلام. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.
- عبد العزيز سالم. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- عبد الله عبد السلام الحداد. مقدّمة في الآثار الإسلامية. دار نشر الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٨.
- محمد عبد العزيز مرزوق. الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه. جامعة بغداد، ١٩٦٥.
- الكتب الأجنبية:
- Al-Bakri, Al Masalik, ed. et trad. DeSlane, Alger, 1913.
- Al-Nawwawi, Recueil de hadiths qudsis, traduit de l'arabe par Abdallah as-Saber, Paris, IQRA, 2003.
- Al-Nizwî Abû Bakr, Al Musannaf, présenté en arabe moderne par Abdelmon'ım 'Amer et Jâdallah Ahmad, Mascate, Éd. Ministère du patrimoine et de la culture, vols. V et XIX, 1983.
- Al-Warjilânî Abû Zakariya Yahya, Kitâb assîra wa akhbâr al-a'imma fi târîkh ahl Mizâb, Traduit et publié par Masqueray E., La chronique d'Abû Zakariya, Alger, Paris, Delagrave, 1979.

- Akkach S. *Cosmology and Architecture in Premodern Islam. An Architectural Reading of Mystical Ideas.* Albany, State University of New York Press.
- Ardalan N. / Bakhtiar L. *The sense of Unity, The Sufi Tradition in Persian Architecture,* Chicago, The University of Chicago Press.
- Bacqué-Grammont J.- L. *Le livre de Babur : mémoire du premier Grand Mogol des Indes, 1494-1529. La documentation française, Collection orientale,* 1965.
- Berchem M., 1954, « Sedrata. Un chapitre nouveau de l'histoire de l'art Musulman. Campagnes de 1951 et 1952 », *Ars Orientalis*, publié par The Smithsonian Institution & Department of the History of Art, University of Michigan.
- Berque J., 1955, *Le Coran, essai de traduction,* Paris, Édition Albin Michel.
- Burckhardt T. *L'art de l'Islam. Langage et signification,* Paris, Sindbad, 1985.
- Chebel M. *Traité du raffinement,* Paris, Payot, 1999.
- Chittik William C. *The sufi path of knowledge. Ibn al Arabi's Metaphysics of Imagination.* Albany, State University of New York Press, 1989.
- Chodkiewicz M. *Le sceau des saints. Prophétie et sainteté dans la doctrine d'Ibn Arabî.* Paris, Gallimard, 2012,
- Creswell K. *A short account of early muslim architecture. Part I, Lebanon,* Bookshop, Beirut, 1968.
- Corbin H. *Temple et contemplation.* Paris, Flammarion, 1980.
- De Vitray-Meyerovitch E. *La prière en Islam.* Paris, Albin Michel, 2003.
- El-Bokhari, *Les traditions islamiques,* traduit de l'arabe par O. Houdas et W. Marçais, 4 tomes, Paris, Adrien Maisonneuve, 1977.
- Grabar O. *Penser l'Art Islamique.* Bibliothèque Albin Michel Idées, Paris, 1996.
- Hattstein M et Delius P. *Arts et Civilisations de l'Islam,* ed. Könemann, Paris, 2010.
- Hays M. *Architecture, Theory since 1968.* MIT Press, Cambridge, 2000.
- Heck C. *L'échelle céleste. Une histoire de la quête du ciel,* Paris, Flammarion, 1997.
- Ibn Arabi M. *La sagesse des prophètes,* traduit de l'arabe par Titus Burckhardt, Paris, Albin Michel, 1974
- Ibn Hayyân Dj. *Dix traités d'alchimie,* traduit de l'arabe par Pierre Lory, Arles, Actes sud, 1996.
- Ibn Khaldun, *Discours sur l'histoire universelle, Al-Muqaddima,* traduit de l'arabe par Vincent Monteil, Arles, Actes Sud / Sindbad, 1997
- Khusraw N. *Knowledge and Liberation. A Treatise on philosophical Theology,* Tanslated from the persian by Hunzai Faquif, London, / New York, I. B. Tauris, 1988
- Lings M. *Le livre de l'échelle de Mahomet,* traduit du latin par Gisèle Besson et Michèle Brossard-Danré, Paris, Le Livre de Poche, 1991.
- Lory P. *Alchimie et mystique en terre d'Islam,* Lagrasse, Verdier.
- Marçais G. *L'art musulman,* Paris, P.U.F., 1927.



- Marçais G. Manuel d'art musulman, l'architecture : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile, Tome I : du IXe au XIIe siècle, Paris, Édition Auguste Picard, 1926-1927.
- Marquet Y. La philosophie de Ikhwan al-Safa, Paris, S.E.H.A., Arché, 1999.
- Marquet Y. "Les frères de la pureté". Pythagoriciens de l'Islam. La marque du pythagorisme dans la rédaction des Épîtres de Ikhwan as-Safa, Paris, S.E.H.A. / Eddit
- Merleau-Ponty M. Phénoménologie de la perception. Paris, Gallimard, 1976.
- Motyliniski A. de C., 1905, " Chronique d'Ibn Saghî", in Actes du XIVe congrès international des Orientalistes, Alger, Partie 3.
- Neveux M. Nombre d'or. Radiographie d'un mythe, Paris, Seuil, 1995.
- Otto R., Le Sacré, Paris, Payot, 1969.
- Papadopoulo A. Une esthétique du voile. Essai sur l'arabo-islamique, Paris l'Harmattan, 1994.
- Ries Jean., Les Chemins du sacré dans l'histoire. Paris, Aubin, 1985.
- Ringgenberg P. L'univers symbolique des arts islamiques. L'Harmattan, Paris, 2012.
- Rumi Dj. Le livre du dedans, traduit par Eva de Vitray-Meyerovitch et Djamchid Mortazavi, Paris, Sindbad, 1982
- Rumi Dj. Mathnawi, Livre VI, vers 3069, traduit par Eva de Vitray-Meyerovitch et Djamchid Mortazavi, Monaco, Editions du Rocher, 1990.
- Rumi Dj. Silent words. A selection of Poetry and Prose, translated by Nicholson R. A., Tehran, Hermes Publishers, 2004.
- Saadi, Le jardin des roses, traduit de l'arabe par Omar Ali Shah, Paris, Albin Michel 1991
- Ruspoli S. Le livre des théophanies d'Ibn Arabi, Paris, Cerf, 2000.
- Saladin H., 1907, Manuel d'art musulman, tome I, Paris, Édition Picard.
- Seyyed H. N. Sciences et savoir en Islam, Paris, Sindbad, 1979.
- Seyyed. H. N. An Anthology of Philosophy in Persia, Vol. II, Oxford, Oxford University Press, 2001.
- المقالات والدوريات الأجنبية:
- Boutaud J.-J./ Dufour S., 2012, " Le sacré en son terroir. De la communication des maisons de champagne ", pp. 377-391, in : Lardellier P., Delaye R., dirs, Entreprise et sacré, Paris, Hermès science/Lavoisier.
- Cuypers M. "Tawhid et structures spatiales dans la culture islamique", in Luqmân, I, n°1, automne hiver 1984-1985.
- Ettinghaussen R. "The Taming of the Horro Vacui In Islamic Art", In *Islamic Art and Archeology. Collected papers*, Berlin, Gebr, Mann Verlag, p1984, p. 1308-1309.
- Fritz S. "The Zodiac of Qusayr Amra", in K. A. C. Creswell (edition), *Early Muslim Architecture*, Vol. I, Oxford, Clarendon Press, 1932, p. 289-303.
- Goldenstein B. R. " A Treatise on Number Theory from a Tenth Century Arabic Source", in *Centaurus*, n°10, 1964/1965, p. 140.
- Grabar O. "Art et culture dans le monde Islamique", in Arts et civilisation de l'Islam, sous la direction de Hatsstein M. et Delius P., Koeman, 2000.

وتطرح الرسومات التي تكون هذا المخطوط كثيرا من الأحداث المتعلقة بالملوك والمحاربين والحروب ومواضيع الحب والاحتفالات. وقد أعيدت كتابة هذا المخطوط عديد المرات وتم تطوير رسوماته شيئا فشيئا حتى حققت مستوى فنيا باهرا من حيث الجمال والإتقان والتقنيات المستعملة في الرسم. اتسمت معظم هذه الرسومات بأبعادها الدرامية، وتصويرها الرمزي لمحتوى الكتابات. ويعتبر الكتاب الأسطوري كليلة ودمنة، الذي ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية من أجمل ما عبّر عن الاستعارات الرمزية. فهو يتضمّن مجموعة من الأساطير الحيوانية بالأساس التي تسعى من خلال محتواها إلى تهذيب أخلاقيات حكم أولي الأمر ومبادئهم. ويعرض كذلك في طياته العديد من الرسومات التي تجسد أهم القصص التي ذكرت.

رافقت الرسومات كثيرا من الكتابات الشعرية الإسلامية متأثرة بمحتواها ولعل من أشهرها كتابات النظامي والسعدي. فقد زينت دواوينهما بأنماط ورسومات متعددة. وبينت جل الرسومات على التوافق والارتباطات الجوهرية والمباشرة التي توجد بينها وبين محتوى النصوص الشعرية. ولكنها بقيت محصورة في الكتب ولم يقع توظيفها في المعالم والقصور كما يتجلى ذلك في الفن النصراني والبوذي والهندي.

Güngör I. H. "The Dome in Sinan's work", in *Environmental Design. Journal of the Islamic Environmental Design Research Center*, 1-2, 1987, p. 156-167.

Lory P. "la science des lettres en terre d'Islam: le chiffre, la lettre, l'œuvre", in *La contemplation comme action nécessaire*, Cahiers de l'Université de Jérusalem n°11, Paris, Berg International, 1985, p.90.

Ricœur P. " Manifestation Et Proclamation", p. 57-76, in *Le sacré*, dir Castelli E., Etudes et recherches, Paris, Aubier-Montaigne. 1965.

Vadet J-C. "Quelques observations sur la pratique de l'astrologie chez les Arabes", in *L'astrologie*, Paris, Albin Michel, 1985, p. 58.



تفاعل الفن الإسلامي مع مجالات أخرى لا علاقة لها بالشعر والأدب، وكان ذلك في بداية القرن الرابع بعد الهجرة. فقد أصبحت الرسومات محملاً يعبر فيه الفنانون على أفكار ويمررون من خلالها رسائل. وقد أدى ذلك خاصة إلى تقوية المجال المجازي الذي اعتمده الرسومات المرافقة للمخطوطات الأدبية. وظهر كثير من الرسومات التي زينت واجهات المخطوطات والتي رافقت عددا من الإهداءات التي تمجد الأنظمة الحاكمة وتمدحها وتشهد على قوتها وبطولات حكامها ومحبة الناس لهم.

وظهرت في عدد من المخطوطات العربية الراجعة إلى القرن السادس الهجري وفي بعض المخطوطات الإيرانية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن، رسومات لشخصيات معروفة في المجتمع، ورافقت خاصة النصوص التي كتبت للثناء عليهم أو لهجائهم. واعتنت الرسومات بتصوير الواقع الاجتماعي وعبرت عن حاجياته وقبوده، فعكست الواقع، وسمحت بتأريخ الأحداث والمعطيات الاجتماعية والسياسية خاصة.

انتشرت منذ بداية القرن الرابع عدة مدارس فكرية ترجمت اهتمام المفكرين المسلمين بلغتهم سواء أكانت عربية أم فارسية. واهتمت هذه المدارس بالأدباء والشعراء وبأعمالهم، وركزت خاصة على نقد الأنماط الأدبية. وقدمت هذه المدارس نظريات عديدة ومجادلات أثرت في الفن الإسلامي من جهة، وساعدت على فهمه من جهة أخرى. وتعتبر أعمال الجرجاني وابن الرومي من أهمها، إذ تطرق الأول إلى دراسة الدلالات والمعنى وتأثيرات التعبيرات المجازية على نفسية الأفراد، فيما حاول الثاني تعريف مفهوم الجمال معتمداً على وصف النساء المثاليات. والملاحظ أن جل خلاصات أبحاث هذه المدارس بقيت غير متداولة بين العموم ولم يشملها التراث الثقافي الإسلامي، مثلها مثل الفلسفة وعلوم الأحياء^(١٣).

وتميزت بلاد الفرس وبالتحديد إيران منذ القرن الثامن الهجري بنوع جديد من الكتابات منها نذكر خاصة السير الذاتية للأدباء الصفيين قاضي أحمد وداست محمد وصديقي باغ، وهي توضّح الفكر الذي اعتمد عليه فن الرسم في إيران. وكتبت كذلك في الهند وخاصة في عهد المغول كثير من السير الذاتية التي بينت العقلية المؤسسة للفن. وتعد سيرة المغولي بابور^(١٤) أهم شاهد على ذلك، فقد نقد فيها كل ما عاشه في حياته وتذمره خاصة من المحيط الذي يعيش ويعمل فيه فنانون عصره وعملوا فيه.

٢. علامات العمارة الدينية الإسلامية:

المادة:

ليس من الصّعب فهم حقيقة العلاقة التي تربط المسلمين بالمادة في القرون الأولى للهجرة، خاصة وأنّ الإسلام بدأ في حقبة تاريخية ذات خطوط حضارية تعتمد على حرفية يدوية واضحة يتم فيه صنع أغلب الأشياء بطريقة يدوية. فالمسلم يأكل بأصابعه ويصنع الحرير والأقمشة بيديه. ويحوّل يدويًا المواد من الخام إلى الصافي ثم يقوم بتشكيلها وهيكلتها وتزويقها وفقا لحاجاته وتبعاً لعقيدته.

تجدلّ المواد التي استعملها المسلم معناها وصفاتها وملمسها وخاصياتها في القرآن الكريم، فقد خلق الإنسان من طين بينما خلق الجن من نار، ويوضح القرآن بأن خلق

الإنسان يشبه صنع الفخار، فقد صنعه الله من طين ثم نفخ فيه من روحه، هذه الصورة لخلق الإنسان أثرت بعمق في نفسية المسلمين وأضفت معنى خاصا على المشهد المعماري في كل أنحاء العالم الإسلامي.

انتشر لون التراب في مشارق أرض الإسلام ومغاربها، وتعالق البناءات والقصور المبنية بالأجر والطين في القرى والمدن وانصهرت بكل تناسق في محيطها وأحيطت في أغلب الأحيان بالحدائق أو توسّطت واحات أو اختفت وراء الجبال والتلال. تُذكر العمارة المبنية من الطين والأجر بذلك الطين الذي خُلق منه الإنسان، بينما توحى الخضرة المحيطة بها، بالجنة التي يسعى للوصول إليها كل مسلم بعد موته ومغادرة جسده المخلوق من طين.

يعتبر المفكرون المسلمون المادة ثانوية وخالية من أي معنى وتابعة أساسا للشكل، فهو الذي يعطي معنى للمادة ويشكلها ويوظفها. يُقسّم إخوان الصفا المادة إلى أربعة مستويات وهي المادة الأولية وهي من شأن الله ولا تدركها حواس البشر، المادة الكونية وهي ناتجة عن حراك المادة الأولية وتتميز بأنها دون أبعاد، المادة الطبيعية الخام الملموسة وأخيرا المادة التي يتعامل معها البشر. ويقول الفرنسي المختص في الفلسفة الإسلامية إيف ماركوي (Yves Marquet) في هذا السياق:

"يشكل القميص القماش، ويشكل القماش القطن، ويشكل القطن النبات الذي ينحدر من المستويات الأربعة للمادة."^(١٥)

تبدو المادة نتيجة تسلسل لمستويات مينا فيزيقية وكونية مرتبطة كلياً بقوة سامية تتحكم فيها وتعطيها كيانها الوجودي، وهكذا تُعتبر المادة وسيطا يسمح بتشكيل نماذج لفكر مخلوق نابع بدوره من القوة الإلهية العليا نفسها وهي التي نظمت المواد وربّتها منذ بداية الخلق.

وينطلق المسلمون من تصوّر أنهم خلقوا من طين وأنّ الجان خلق من نار وأنّ الملائكة خلقت من نور، في التعامل مع المادة تعاملًا رمزيًا يذكر بهذا الخلق. تختلف استعمالات المادة، بين المذاهب والفرق الإسلامية، فبينما يختفي ثراء المواد المستعملة في الداخل وراء حيطان من حجر وطين من الخارج، يظهر هذا الثراء أحيانا أخرى من الخارج مبينا فكرة الجمال ورمزية بين الظاهر والخفي وفي الروح والجسد.

وهكذا تتجلى وضعية فكر الحرفي المسلم حين أداء عمله، التي تجمع بين الإنتاج والتفكير. لا يعتبر الخزّاف المسلم الطين مادة للعمل والحياة، بل يعتبرها مجال تفكير، فإنّ تقنيات الصنع يمكن أن تعكس تصوّرات داخلية للحرفي تُذكره بمراحل الخلق وتعيده في كل مرة لنقطة البداية.

النور:

تشهد العمارة الإسلامية على المكانة التي يكتسبها النور سواء أكان ذلك على مستوى المادة المستعملة، فالطراز الزخرفي أو الأشكال والأحجام. وتبدو رمزية النور ماثلة



تقريبا في كلّ التفاصيل المعماريّة. فالنور يرمز لله وللجنة والنبوة وللروح والعلم... ويستمدّ النور جلّ هذه المعاني الرّمزية من آية النور:

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (١٦)

حظيت هذه الآية وكلّ ما ذكر فيها (النور، المحراب، المصباح، الزجاج، الشجرة...) بكثير من القراءات الرّمزيّة، وتعتبر قراءة عبد الرزاق القشاني من أقدمها إذ ربط المحراب بالجسد والزجاج بالقلب والنور بالروح. وأضاف جلال الدين الرومي في السياق نفسه:

"اعلم بأنّ أجساد الصّالحين هي محراب المصباح والزّجاجة هي قلوبهم: يُبِير هذا المصباح المشكاة والسّموات." (١٧)

يُعتبر الأنبياء والصّالحين كجزء من النور الإلهي. ويقول الله في كتابه الكريم بأنّ الرّسول محمّد صلى الله عليه وسلّم سراج منير:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا" (١٨)

ويقول الطبري في ذلك إنّ أمّ الرّسول عليها السّلام روت بأنّها رأت عند وضعها للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام نورا يُشعّ من جسده يصل إلى أرض سوريا ويعرج في السّماء إلى أن وصل للنجوم. أثرت كلّ هذه الرّمزيّة في العمارة الإسلاميّة، بحيث سعى الحرفيون إلى توظيف النور في مجالات فكريّة عقائديّة تتجاوز دور الإضاءة الذي يميّز النور.

استعمل النور في العمارة في شتى ربوع أرض الإسلام بطرائق مختلفة. وقد ابتكر الحرفيين تقنيّات عدّة لاستعمال نور الشّمس داخل البنايات بما أنّه يرمز للنور الإلهي، فمن جهة حاولوا تهدئته باستعمال مواد بناء باهتة وغير عاكسة للضوء (آجر وطين) أو مواد متناوبة ذات ألوان متباينة بين الغامق والفاتح، أو زجاج ملوّن مشرّبيات أو نقوش زخرفية، ومن جهة أخرى وظّفوه داخل الفضاءات باستعمال الفناءات و المداخل والشبابيك والأواوين.

يرمز النور الكثير من الأشياء المقدّسة ويُمثل الجمال من جهة أخرى ولذا تفانى المسلمون في استعماله رمزا للحقيقة الإلهية فوق الطبعيّة إمّا بطريقة مباشرة أو باستعمال مواد مزججة وشفافة لامعة وعاكسة للضوء.

الألوان:

لا شكّ في أنّ الألوان حملت في الثقافات والفنون الإسلاميّة دلالات متنوّعة وعميقة وثابتة، وتبدو أهمّيّتها واضحة في القرآن والأحاديث وفي فكر الحرفيين لدرجة أنّ بعضهم رسمها بصريح العبارة على بعض النقوش كما يظهر ذلك في تزويق مدرسة ابن يوسف بمراكش حيث كتب:

"أعبر بفضل الألوان التي تنعكس على زخارفي عن رموز صعبة الفهم لمن يراقبني." (١٩)

وردت الألوان في القرآن الكريم في عدة مواضع، وقد ذكرت أحيانا بمصطلح صبغة الله. (٢٠) وذكرت رمزية الإسلام في آيات تحدثت عن ألوان البشر والحيوانات والجبال...، ووردت الألوان في عدة أحاديث وكانت تُبين بطريقة مباشرة أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى رمزية الألوان في الإسلام. قال الله تعالى في سورة الروم: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ." (٢١)

تبدو رمزية الألوان أوضح في الآيتين التاليتين حيث يرمز الأبيض والأخضر للخلاص والرحمة والخذ والفوز بالجنة، بينما يرمز كل من الأسود والأزرق للعقاب والعذاب: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ." (٢٢)

" يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا." (٢٣)

ويعتبر الإسلام الأصفر الفاقع لون السرور: " قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوثُهَا نَسْرٌ النَّاطِرِينَ." (٢٤)

لكن يبدو صعبا فهم كل المعاني التي تدل عليها كل الألوان المستعملة في زخرفة وردة منقوشة أو زجاج مضيء ويظهر ذلك أصعب في مجال التصوير والعمارة. إذ نجد أنفسنا أحيانا أمام قراءات مزدوجة وربما متناقضة. فكل لون منفرد يُمكن أن يُعبر بقوة عن دلالات ذات معان دينية أو اجتماعية أو ملكية أو مينا فيزيقية، ولكن تركيب ألوان مختلفة ومتنوعة، تُقلص من قوة هذه المعاني في كثير من الحالات وربما تجعل قراءتها مستحيلة، وهكذا لا تسمح الألوان بالإدلاء بمعان كونية وموحدة، ولكنها تكسب رمزياتها وفقا لعادات وظيفية خاصة بمجتمعات أو ثقافات أو أماكن أو أزمنة ما. ترتبط الألوان بسلطة سياسية أو بايديولوجيات أو بممارسات دينية أو بانتماء قبلي، فكلها تحاول التعبير بطريقة خاصة عن حقائق غير ملموسة كالإيمان والجنة والاستقامة والخضوع وفق تصور رمزي يعكس النور الإلهي أو الروحي.

اكتسبت رمزية الألوان تدريجيا نوعا من الثبات فاقترن الأبيض بلون الكفن ولون الإحرام في الحج، والبياض هو سمة وجه الفائزين بالجنة ووصف لحوار العين. ويُعتبر الأخضر لون الإسلام والنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ويرمز للجنة وحدائقها. يرى فهد التوفي بأن كل واحدة من السموات السبعة تتميز بلونها الخاص مثل الذهبي والفضي والأخضر الزمردي والأحمر والأبيض، ويضيف بأن هذه الرمزية قد تتغير حسب الثقافات والمفكرين. (٢٥)



يربط ابن العربي الألوان بالأحوال الثلاثة، التي تمثل الارتقاء الروحاني الباطني الغامض فالأحمر يرمز للفكر والأبيض للإيمان والأخضر للنور الرباني.^(٢٦) ويرى جلال الدين الرومي بأن الله أعظم من أن يتم الرمز له بلون وأن الألوان هي من خاصيات الخلق، فالله نور خالص لا لون له والألوان ميزة المخلوقات، ويضيف الرومي بأن انعدام الألوان هو أصل الألوان^(٢٧)، ويقدم لتفسير ذلك مثل ألوان الزجاج التي تزين شبابيك العمارة أو تنعكس على المواد، على أنها هي التي تلوّن النور الأصلي الصافي.

العدد:

يعتبر المسلمون الأعداد سلسلة استمرارية للعدد الأول، وهو العدد واحد، فكل الأعداد تنحدر من الوحدة، والوحدة هي مبدأ كل الأعداد. يقول عالم الجبر الخوارزمي في كتابه الجبر:

"العدد ليس إنا تركيبية وحدات"^(٢٨)

يوجد توازن من الناحية الرمزية بين العوالم المتتالية والمتراكبة التي خلقها الله الواحد وبين الأعداد النابعة بانتظام من العدد واحد. يرى إخوان الصفا أن علاقة الخالق بالخلق، مشابهة لعلاقة العدد واحد بالأعداد الأخرى، فالعدد واحد هو أصل كل الأعداد وهو الذي يكونها ويتحكم في نشأتها وتمامها يرمز إلى الله الذي يسبب كل الأشياء ويخلقها. وكما أنه يستحيل قسمة العدد واحد أو مقارنته بأي عدد آخر فإن الله سبحانه أعلى عن مقارنته بأي شيء آخر.^(٢٩) ويقول نصر الخسرف مؤكداً في هذه الفكرة:

"الله فوق كل شيء كما الواحد فوق كل الأعداد."^(٣٠)

الزخرفة:

يمكن القول إن معاني الزخارف الإسلامية على غرار النماذج النجمية أو الشمسية ليست بالضرورة وليدة الإسلام فهي قد تكون محملة بمعان ذات طبيعة كونية أقدم من الدين الإسلامي. يعتبر جل المؤرخين بأن الوظيفة الوحيدة للزخرفة هي الزينة والمتعة، وإذا كان للزخرفة معنى فهو بناؤها على ذاتية التأويل.

يقول المؤرخ الألماني المختص في الفن الإسلامي ارنست كونهيل (E Kühnel) ١٨٨٢-١٩٦٤:

"ليس من الضروري الجزم بأن الأرابسك تحمل معنى، لنقل بأنها مستوحاة من النباتات."^(٣١)

يبقى هذا الرأي قابلاً للنقاش، فحتى وإن خضعت زخرفة الأرابسك لقراءات ذاتية تنكّر بادئ الأمر بالنباتات فإنها لا ترمز بالضرورة لشيء واضح وثابت ولكنها تحمل تأويلات متعلقة بالجنة والسلام وبالكمال وبالحيوية كما ينص على ذلك القرآن الكريم في عدة آيات.

من جهة أخرى تتشكل زخارف الأرابسك بالهندسة معتمدة اللوالب والتناظر والنسبية لأجل إيصال معاني تفوق الوظيفة التزيينية، فالمسلمون يعتبرون الهندسة وسيطاً مفعماً بالمعاني والرموز فهي تعكس التوازن الإعجازي للكون والانسجام الظاهر والخفي

للخلق والاستمرارية المستقلة عن الزمن والمثال الأعلى القديم والثابت للمجتمع الكامل.^(٣٢) وهكذا تشهد زخارف الأرابيسك النباتية على معنى وعلى نظام وعلى مثل عليا وعلى تصور فكري بفضل عناصرها المستوحاة من الجنة والتناظر والتوازن والنسق.

فضلا عن الأشكال المركبة للزخارف تكتسب الأخيرة معاني إضافية، على علاقة بالموقع الذي توضع فيه بالنسبة إلى المبنى، فإذ ترمز القباب للسماء بصفة عامة فإن رمزيتها تظل مرتبطة بزخرفتها. تظهر القباب بصفقتها موضعاً لكلمات الله (الزخرفة الكتابية) ومثالا على كمال الكواكب وإتقان المعرفة الإلهية (زخارف هندسية) ورمزا للفوز بالجنان بعد الموت (زخارف نباتية).^(٣٣) تكتسب الزخرفة الإسلامية إذن وظيفة فوق التزيينية فهي تضي معنى وتذكر المؤمن وترشده وتدفعه إلى الخشوع والتفكير.

يرمز كل من الشمس والقمر إلى نور المعرفة الإلهية أو إلى الروح وأحوالها. يمكن القول في ضوء ما سبق أن الزخارف الإسلامية تؤدي أدوارا ثلاثة وهي التزيين وإفادة المعنى والوظيفة، ولا يمكن فصل واحدة عن الأخرى. يؤيد القرآن الكريم هذه المقاربات في بعض الآيات ويقول الله سبحانه في خلق الكواكب والنجوم إنها تزين السماء وترشد الإنسان وتدله على المكان والزمان:

" إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ " (٣٤)

" قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (٣٥)

تعبير الزخارف عن عقليات نابعة من مبادئ وقيم، ويدل وجودها عن رغبة في التعبير وإظهار هذه المبادئ بطريقة جمالية. يعتبر المسلمون هذا التعبير تذكيرا بالجمال غير المحدود الذي خلقه الله سبحانه. يستعمل كثير من المسلمين الزخرفة لغايات أخرى كالانتماء القبلي أو السياسي أو المذهبي أو العقائدي. وتتميز هذه الزخارف بنبذها للفراغ^(٣٦) حسب المؤرخ ريشارد اتينغوسن (Ettinghausen Richard) ويرجع ذلك لعدة فرضيات من أهمها اللحمة الاجتماعية للمسلمين التي تحوي كل مجالات الحياة وتنظمها وكذلك الاختلاف الذي يبحث عنه المسلمون بين الفضاءات العادية والمقدسة خاصة وأن الله سبحانه حث المسلمين وأوصاهم بالتزيين خاصة عند الذهاب للمسجد.

" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (٣٧)

ليس من السهل معرفة أصل الزخارف أو بالأحرى إن كانت نتاج الثقافة الإسلامية أو الثقافات السابقة وتبقى الزخرفة الخطية العنصر الفيصل في هذا الشك، فالخط العربي يعتبر أحد مكونات الثالوث المميز للزخرفة الإسلامية، ويمكن الجزم بأنه نادرا ما يغيب أحد هذه العناصر الثلاثة عن أي عمل زخرفي إسلامي من مشارق الأرض إلى مغاربها. يمثل التجريد الخاصية الأساسية للزخارف الإسلامية، فهو يسمح بالتعبير عن



الجمال المطلق المستقل عن الزمان والمكان، الجمال الكوني الذي يذكر بجمال الخلق والقدرة الإبداعية للخالق.

قراءة في أهم التركيبات المستعملة في العمارة الدينية العربية ١. مبدأ الهندسة:

قال الإمبراطور بابور مؤسس الإمبراطورية المغولية في القرن السادس عشر الميلادي في ما يتعلق بأعمال الحرفيين الهنود:

"لا نظام ولا تناظر ولا خطوط مستقيمة ولا عمودية" (٣٨)

حتى وإن بدا هذا الرأي شخصياً إلى حد ما فإنه يبين أهمية النظام الهندسي في الثقافة الإسلامية خاصة في مجال العمارة والزخرفة، وقد أكد العلامة عبد الرحمان بن خلدون أهمية معرفة الهندسة بالنسبة إلى المعماريين والحرفيين وخاصة منهم النجارين، (٣٩) توضح جل الدراسات في مجال العمارة، الدور المركزي التي تؤديه الهندسة في تشكيل الأشياء وذلك من أشدها تعقيداً إلى أكثرها بساطة.

يبرز استعمال الهندسة والرياضيات والأعداد في كثير من الأعمال الفنية والمعمارية الإسلامية وذلك عبر اعتماد الأشكال الهندسية الأساسية كالمربع والدائرة والنجمة. وتبرز التركيبات الهندسية في التناظر والتكرار والنسبية والتصاعد الهندسي والتشابك والتحويل الرياضي. ويُنظم الإيقاع والأعداد جلّ التركيبات المعمارية. ويتجلى كل ما ذكر على مستوى الزخارف وخاصة في الأرابيسك النباتية للتناظر والنسبية والالتفاف وازدياد الهندسي. تزدهر زخارف النباتات وسط ترتيب هندسي محكم، يذكر بأن الإزهار في الأرض والجنة خاضع لقدر وحسبان المعرفة الإلهية.

تظهر النسبة الذهبية (١ / ١.٦١٨) في كثير من المباني الإسلامية، (٤٠) ويستنتج المعماري الجزائري سعيد معزوز بأنه تم اعتماد هذه النسبة في جامع القيروان في قياس تخطيط الجامع ووضعية المئذنة وارتفاعها. (٤١) وتم اعتمادها كذلك حسب حسين الحلبي في كل المقاييس والتفاصيل التي تخص محراب مسجد الجمعة في أصفهان. (٤٢) يبين استعمال الهندسة في العمارة الإسلامية الأهمية الكبرى التي تحظى بها العلوم والمعرفة، فقد دعا الإسلام البشر إلى التفكير في معاني الآيات والأحداث والخلق وفي أنفسهم وحثهم على الفطنة والتفكير ومراقبة النفس. ويمدنا القرآن بعدة أمثلة على أهمية التفكير والإدراك والتأمل المعرفي عند المسلمين:

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (٤٣)

" يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (٤٤)

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام في عدة أحاديث أهمية العلم والعلماء:

" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر " (٤٥)

يتأكد لنا مرّة أخرى، تفوّق الهندسة وأهميّتها من حيث هي علم يخدم العمارة والفنون الإسلاميّة ويضفي عليها متعة معرفيّة وأخلاقيّة تفوق في بعض الأحيان المتعة الحسيّة الجماليّة، فالنسبيّة والتناظر والنظام الهندسي تدفع المسلمين على التفكير في التوازن والاستقامة والاعتدال.

٢. المرأة ومبدأ التناظر:

ينتمي مبدأ التناظر إلى عناصر علم الهندسة، ولكنّه يحمل أكثر من سواء أبعادا جماليّة ورمزيّة، تجعل منه العنصر الأوّل في المجموعة. يسعى مبدأ التناظر إلى تحقيق انعكاس طرفين متشابهين منفصلين، بمحور مركزي وهو مبدأ شبيه بمبدأ المرأة المهم في الإسلام إذ يرى كثير من المفكرين الإسلاميين أنّ الخلق مرآة تعكس كيان الخالق. يقول ابن العربي في ذلك:

"... إنّ النظرة التي يحملها الكيان عن ذاته، في داخل ذاته ليست مماثلة لتلك التي تمدّه بها حقيقة خارجيّة يستعملها كمرآة." (٤٦)

ويرى ابن العربي وكثير من علماء الميتافيزيقا بأنّ الله سبحانه قدير على أن يكتفي بمعرفة ذاته دون أن يحتاج لخلق الأكوان، ولكنّه سبحانه شاء أن يعكس جمال قدراته وعظيم معرفته في شيء يخلقه، وهكذا فإنّ كلّ ما يكون الأكوان ليس إلّا انعكاسا للمعرفة والقدرة الإلهيّة.

ويعتبر العلماء المسلمون بأنّ العالم عبارة عن فسيفساء من المرايا التي تعكس الألوهيّة والحقائق السّامية، فالبشر مرآة بعضهم بعضا وعمل ابن آدم هو مرآته والحكام هم مرايا الرعيّة والأحداث الظاهرة هي مرايا أحداث أخرى خفيّة وغيبية ويقول الرسول الكريم في هذا الشأن:

" المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبا أصلحه " (٤٧)

المؤمن مرآة أخيه المؤمن فإن رأى فيه عيبا دلّ ذلك على وجود العيب نفسه فيه، والقدر كذلك يعكس الخير بالخير والسيئ بالسيئ. يرمز التناظر والمرآة كذلك للترجيبيّة فالإنسان الذي يُعجب بنفسه والعالم الذي يعجب بعلمه لا يعكسا إلّا نفسيهما. ولكي يرى المؤمن الله، فإن عليه أن يتجنّب الإعجاب بصورته وشخصه وعاداته.

يمثل التناظر نظاما جماليّا مبنيًا على المقاييس والتوازن والتساوي ويرمز للعدل والتآخي والاستقامة، وقد اعتمدت الفنون الإسلاميّة هذا المبدأ الرئيسي في معظم أعمالها بدءا من الخطّ وصولا إلى العمارة التي لم يقتصر الفن فيها على اعتماد هذا المبدأ على مستوى الزخرفة فحسب، بل جسّد في البيوت والقصور والجوامع وأعتبر الرّمز الأكثر تعبيرًا عن فكرة أنّ المخلوقات هي مرآة الخالق.

لا يمكن الحديث عن التناظر والمرآة في الفكر الإسلامي دون التطرّق إلى التناظر الجزئي أو الغياب الكلي للتناظر، ففكرة أنّ الكون والإنسان هما مرآة الخالق ليست مقبولة في جوهرها. ولا القول إنّ الإنسان هو نظير الله سبحانه ولا إنّ الانعكاس يساوي المصدر. وقد عبّر القرآن عن غياب هذا التناظر والتساوي بين الخالق والخلق



وأكد سموّ الله وضعف بني آدم، وإن كانت السماء ترمز لله في عديد المواقف فذلك لا يعنى أنها جزء منه أو انعكاس له. وهو ما أبانه الله في عديد المواضع من القرآن في شكل من تحذير للبشر من الوقوع في تشبيهه أو تجسيده ولو كان ذلك بطريقة رمزية أو تجريدية لأنّ صفات الله ليست ذاته سبحانه وتعالى.

" يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَثْبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (٤٨)

٣. تحاور الأقطاب:

إنّ الله واحد أحد ليس له منافس ولا يشبهه شيء، فهو الفرد والوتر والمتعالى عن أي وصف وخيال. لا يوجد نظير يمثله، لا فرد ولا زوج ولا مجموعة، فهو أرقى من الأعداد ومن الازدواجية ومن الاختلافات التي من شأنها أن تبين لبني آدم خاصيات المخلوقات.

يظهر الخلق مبنياً على القطبية والمثنوية. وقد ذكر القرآن هذه الازدواجيات في عديد المرّات مفرّقاً بين الذكر والأنثى والليل والنهار والموت والحياة والجنة والنار والخصوبة والجفاف واليمين والشمال والفرد والزوج والتوحيد والشرك. وتتجلى هذه القطبية في أسماء الله الحسنى فهو الأول والآخر والظاهر والخفي والمحبي والمميت والرافع والخافض.

يقسم الإسلام القطبية إلى صنفين وهي ازدواجية عمودية وغير متناظرة تربط بين الشيء وبين نظير له نسبي وغير ملموس. فإذا ما ذكرنا القطبية الموجودة بين الله والإنسان فالأول هو الواحد سبحانه والإنسان هو المخلوق، والله يكتفي بذاته لذاته بينما الثاني هو العبد الموجود بفضل الأول. وفي أمثلة أخرى عن الازدواجية العمودية، نذكر تلك التي تربط الموت بالحياة والخصوبة بالجفاف والجنة بالنار، والتي يتجلى فيها قطبان لا يربطهما أي تناظر لا كلي ولا جزئي.

وتوجد ازدواجية أفقية تربط بين قطبين إمّا متساويين أو متواترين، وقد تتميز بعض الأقطاب في هذا الصنف بالنسبية بحيث تكون المساواة أو التواتر غير متوازنين تماماً وربما يشار إليهم بأعلى وأسفل أو أكبر وأصغر أو أقرب وأبعد. (٤٩)

يتجلى كثير من هذه الازدواجيات في الفنون الإسلامية، وتذكر بالأساس في القطبين الإنساني والكوني، اللذين يخضعان لعدّة قراءات ورؤى حسب الثقافات والأماكن. وتشمل هذه الازدواجيات المجالات الجمالية والرمزية، للعمارة والزخارف والأشياء. تظهر هذه الازدواجية في مستوى العمارة في المثنوية الموجودة بين الخط المستقيم والخط المنحني، والخط العمودي والخط الأفقي، والامتلاء والفراغ... ونرى ذلك جلياً في الجوامع التي تتباين فيها عمودية المآذن بأفقية الجامع وانحناءات القبة بالمكعب الذي يحملها وامتلاء بيوت الصلاة بفراغ صحن الجامع وتنظيم الجوامع في شكل مركزي بالتنظيم الخطي المسترسل.

قدّم المستشرق وعالم الآثار الفرنسي جورج مارسيه (George Marçais) (١٨٧٦-١٩٦٢) أمثلة للقطبية التخاطبية على مستوى اللوحات الزخرفية وقال:

"إن النسبة المتنوعة بين الامتلاءات والفراغ وبين عرض الأشكال المنقوشة وعمق حفرها يخلق قيما محلية وتسللا بين اللوحات."^(٥٠)
نجد نوعين مختلفين على مستوى أشكال الزخارف الهندسية. فهناك نوع يوحي بفكرة التوهج والسطوع والتوسع، ونوع يوحي بفكرة الاكتفاء والاستقرار والاحتواء. يتم استعمال هذين النوعين عادة بنظام تشابكي بين اللوحات يرمز لتعاقب حراك الكون وحيويته.

يستعمل المسلمون كذلك مثنوية الغامق والفاتح، الأسود والأبيض والنور والظل في اختيار المواد وزينة المشربيات وألوان التزيين والحوارج والأسوار. كل هذه التناقضات توحى بقطبية نسق الكون خاصة تحت تأثير النور وكل الرمزية المحيطة به. تمثل كل هذه التقاطبات والحوارات والمتضادات ميزة من ميزات الفكر الإسلامي الذي يتبلور عادة في شكل معارضات ومقابلات. وبصيغة أخرى يمكن القول إن التمشي الفكري والروحاني الإسلامي يبنى على منطق المتضادات المباشرة أو الرمزية التي تتأسس على مبدأ التكرار والتجاور. يقول رجل الدين البلجيكي والمختص في دراسة القرآن ميشال كيبارس (Michel Cuypers) :

"يتقدم المنطق الإسلامي على أساس معارضة الأفكار وتنظيمها بطريقة متسلسلة ومتجاورة، سواء أكانت هذه الأفكار متضادة أم متكررة بعضها متشابه بعض."^(٥١)
٤. الظاهر والخفي:

يمثل مبدأ الظاهر والخفي أحد أهم التضادات في الإسلام فهو أساس كثير من النظم الاجتماعية ومن التصورات الفلسفية والدينية للفن والجمال. ويجد هذا التضاد أساسه في القرآن الكريم والحديث فالله هو الظاهر والباطن.

"هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" ^(٥٢)

والله الخفي سبحانه هو الله غير المرئي وغير المسموع وغير المتجلى واللما مسمى والمتعالي على كل شيء، بينما الله الظاهر هو الذي يتجلى عبر رمزية صفات لأسمائه وانعكاس خلقه. وما العوالم المخلوقة سوى ستائر تحجب أسرار النور الرباني.

بناء على ذلك يظهر الخلق في شكل عدد كبير ومتسلسل من الأحجبة الكونية التي تحيط بشكل متراكم بالنور الرباني الخفي، فكل عالم يحجب نور عالم أسمى وأرقى منه ويكون تراكم جملة هذه العوالم الكيان الخفي والظاهر لخالقها. ويظهر هذا التسلسل نفسه في بني آدم فالجسد يخفي النفس والنفس تخفي القلب والقلب يخفي الروح التي هي من شأن الغيب.

نجد في الفنون الإسلامية كثيرا من الأشكال التزيينية التي تشكل علاقة الظاهر بالخفي وربما تبدو المشربيات والشبابيك المزججة أهم الإنتاجات التي تجسد ذلك، فهي تسمح بدخول الهواء مع حجب جزئي لنور الشمس. وتسمح هذه الأشكال المزخرفة عادة بنماذج هندسية أو خطية بروية الخارج وبالبقاء في الخفاء. تحمل هذه الإمكانية كثيرا من المعاني الرمزية المعبرة في الدين الإسلامي. فهي تحيل مباشرة على تعبير مجازي



يذكر بالخالق سبحانه فهو الوحيد القادر على رؤية كل شيء دون أن يرى أو يخضع لعالم المرئيات. وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم:
 "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (٥٣)
 وفي الأحاديث الشريفة:

"يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لم تره فإنه يراك" (٥٤)
 يمكن القول إذن إنّ الثقافات الإسلامية تكوّن نظاماً معقداً ومهماً في استعمال مبدأ الظاهر والخفيّ سواء أكان ذلك على المستوى الملموس أو الرمزي. يتمّ اعتماد التضادّ بين الظاهر والخفيّ، والخاصّ والعام، المقدّس والمدنّس في مجالات الدّين والمجتمع والفنون ويظهر ذلك في عدّة مواضع ومواقف وممارسات في شكل تحاور وتجاور وتشابك وتراكب. إذ يمكن قراءة القرآن الكريم بمعناه الأوّل الظاهر كما يمكن تأويل المعاني الخفيّة الموجودة فيه، كما يمكن لرجل الدّين أو المعلم إظهار كل شيء لتلاميذه أو إخفاء بعض الأمور والكشف عنها بالتدرّج. وقد يختفي رجال الحكم المسلمين في قصورهم لإبراز حجم إشعاعهم وسلطتهم. ويظهر مبدأ التخفيّ حتّى في علاقة الأفراد بعضهم ببعض إمّا وفق قوانين شرعيّة كتلك المتعلقة بالحجاب وإظهار الزينة وإمّا من باب الاحترام والتبجيل والتقرّب الذي يربط الأفراد.

ويخضع العالم في الثقافة الإسلامية إلى تصوّر يقوم بالأساس على العرض الجزئيّ أمام الأنظار. فهناك أحجبة اجتماعيّة ونفسيّة ودينيّة وثقافيّة تربط وتفصل في الوقت نفسه بين الفرد والمجموعة وبين الرجال والنساء وبين الراعي والرعيّة وبين الشيوخ والشبان وبين المعلمين وتابعيهم. هذه هي حقيقة العالم الإسلامي المتخفيّ وراء عوالم أخرى يظهر فيها الخالق عبر خلقه وبحول سموّه وعلوّه عن الكلمات والخلق دون رؤيته أو وصفه، بخلاف ما وصف به ذاته سبحانه وتعالى.

٥. الإيقاع:

تسمو الدّات الإلهيّة فوق الحركة والثبات على عكس الكون الذي يخضع للحراك الكوني الإلهي. يرى كثير من المفكرين كابن عربي أنّ إيقاع حراك الكون وتحرك المخلوقات يرتبطان بما يسمّى بالنفس الربّاني. ويسمّي ابن عربي هذا النّفس بنفحات الرّحمان، فهذه النّفحات التي تشبه الزّفير تنشأ سحاباً كثيفاً يرمز للمادّة التي تكوّن كلّ الخلق والمخلوقات والعوالم والأحداث. وبعد النّفخة الأولى قال الله سبحانه وتعالى "كُنْ"، فخضعت السّحابة بكل ما فيها لهذا الأمر وبدأت فيها الحياة وتحركت وشرعت في التنّفس. ويعتبر ابن عربي بأنّ الكون لا يزال يحيى ويتحرّك تحت إمرة هذا الأمر والنّفس. (٥٥)

يمكن القول بأنّ الكون كلّهُ يتنّفس، فجسد الإنسان يتنّفس وروحه ونفسه كذلك لأنّها منفوخة من روح الله تعالى. ففي اللّغة العربيّة تستمدّ الرّوح جذورها من نفس جذور كلمة الرّيح وتستمدّ النّفس جذورها من نفس تلك التي تعطي النّفس. ويُشكّل التنّفس الإيقاع الوجودي الذي يهيكل حراك العالم وحياة الإنسان. فالتنّفس يمثّل فنّ الحياة ويقدم تصوّراً للعالم وللعبادة وللعلم وللتفكير.

ويقول السَّعدي:

"يحتوي كلّ نفس علي بركتين: الحياة في الشَّهيق والتخلُّص من الهواء الفاسد وعديم المفعول في الزَّفِير." (٥٦)

ويؤدي التنقّس دورا هاما في الممارسات الروحانية وفي الرّمزيّة الميتافيزيقية والوجودية إذ يُعبّر حفظ الأنفس عن حالة ذكر دائمة وتركيز وتفكير. فالذكر يرتبط بتنقّس خاص يُنسّق بين إيقاع النّفس وإيقاع الكلمات ويتمّ تقسيم الألفاظ والسكّات وفق إيقاعات متنوّعة. وقد يصاحب الذكر الحرفيين أثناء عملهم، فيصبح إيقاع الذكر نظاما للعمل ويصبح العمل عبادة مبنية على الذكر.

يرى كثير من العلماء المسلمين بأنّ نسق النّفس الرّباني يُمثل أنموذجا لكل الأنساق المتقاطبة في الكون. يقول عالم الأديان الفرنسي والمختص في علم الغيب الإسلامي، بيار لوري (Pierre Lory) ١٩٥٢ في هذا السّياق:

"إنّ الشَّهيق والزَّفِير الرّباني هو الذي يخلق ويُفكك على الدوام كلّ شيء يرغب الرّحمان في إظهاره." (٥٧)

كما ذكر القرآن الكريم في عديد الآيات نسق التوسّع والضيق والانسراح والقبض:

" اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْتَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ " (٥٨)
 " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " (٥٩)

وقد تم اعتماد النسق في عديد المجالات الجمالية والتصوّرات المعمارية والزخرفية والكتابية الإسلامية. ويظهر ذلك في التتابع والتناوب بين الأزقة الضيقة والساحات الشاسعة وبين الفضاءات المضاءة المفتوحة وتلك المغلقة ذات الأضواء الهادئة وبين المعالم الضخمة والمهيبة والبنىات الأفقية الصغرى. وتخضع الزخارف الإسلامية غالبا لنفس مبدأ التنقّس أي لمبدأ التوسّع والانقباض، فوجد كثير من الزخارف التي تظهر نسقا متقنا بين الفتحات والفراغات وبين الكثافة الزخرفية والمساحات الفارغة وبين الأشكال الإشعاعية والأشكال المنغلقة وبين الألوان الغامقة والفاتحة.

٦. الدوران:

يبدو الكون المخلوق في التصور الإسلامي خاضعا لحركة دوران دائمة، وتدور المخلوقات على جميع المستويات الكونية والعوالم، حول ما هو أسمى منها. فالملائكة تحفّ العرش والكواكب تدور حول الكوكب القطبي والمسلمون يطوفون بالكعبة. ويقول القرآن الكريم:

" وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٦٠)

وقد وصف إخوان الصفا، متأثرين بعلم الفلك والميتافيزيقا اليونانية، النظم الهندسية التي يبنى عليها حركة السماوات ودوران الكون. وقدّموا في تصوّره الأكوان الدائرية المحيطة بالأرض ككائنات حيّة بيضاء وشفافة وسميكة، متراكزة ومتراكبة واحدة على



الأخرى، واعتبروا أنّ الكون الثامن هو الذي يجمع الكواكب الثابتة. ويحيط بهذا الكون الثامن كون تاسع شبيه بعجلة ضخمة فوق مستوى الأرض. ويقول جون كلود فادي: "تحتوي هذه العجلة على محور يربط الأقطاب ويوصل الاهتزازات التي تعتريه إلى الأكوان المترازة الأخرى." (٦١)

يوجد نفس هذا التصور عند جلّ الكتاب المسلمين. وقد كتب جلال الدين الرومي لشمس التبريزي في أحد رسائله ما يلي:

"تدور عجلة الكون حول الله كمطحنة الرّيح." (٦٢)

كما يرى عالم الكيمياء جابر بن حيان بأنّ نشأة العناصر الماديّة والحيوانيّة والنباتيّة هي نتيجة السّرعَة النسبيّة لدوران الأكوان. (٦٣) ويعتبر الدوران أصل الحراك الكوني ويشمل كثيرا من الممارسات والتصوّرات الإسلاميّة، فالحجيج يستهلّون وينهون الحجّ بطواف يتمثل في سبع دورات حول الكعبة. وكلّ حاج يجد نفسه محمولا في زحمة ولحمة ودوران تحكّمه حركة جماعيّة موحّدة وثابتة في جاذبيّة للكعبة المربّعة الأركان التي ترمز لرباعيّة الدائرة ولوحدة الأرض والسّموات ولتبعيّة البشر الخالصة والوجوديّة لله. فالحياء بعثها الله سبحانه وهو الوحيد الكفيل بإنهائها. ويعتبر بعض الفلاسفة كابن عربي أنّ الحياة الرّوحية والروحانيّة دائريّة، إذ يقول:

"كلّ الطرقات دائريّة." (٦٤)

وقد كان للدوران والدائرة أثرهما في الحضارات الإسلاميّة وخاصة في مجال العمارة والفنون فانظمت نماذج زخرفية كثيرة في شكل حراك دائري حول المركز. ولعلّ من أشهرها نماذج السواستيكا التي تظهر في أشكال هندسيّة ونباتيّة وخطيّة متجاوزة تتبع نظاما التفاضليّا يخلق تشابكات دائريّة ومنتابعة. يرمز مركز الدوران في كلّ التصوّرات الإسلاميّة للوحدة الإلهيّة، وقد استعملت هذه الرّمزيّة على مستوى القباب وخاصة منها تلك التي تعلو المداخل والمحاريب في الجوامع وتمّ تركيز حركة الدوران فيها بدوران النور المشعّ من النوافذ الصّغيرة المنتظمة وفق نسق دائري أسفل القبة.

وتمّ إتباع حركة الدوران ولكن بطريقة خطيّة أي حول المركز عوضا عن النّقطة وهو ما أدّى إلى ظهور أشكال لولبيّة في عدد من الأماكن والمواضع ولعلّ أشهرها منذنة جامع أبي دلف بسامراء. ويستمدّ الدوران اللولبي من الطواف بالكعبة في الحج. فالدورات السّبع ترمز لحالة الارتقاء التي يعيشها المسلم لحظتها وكأنّ كلّ دورة هي علوّ لسما من السماوات السّبع التي تتمحور حول الوحدة الإلهيّة.

الخاتمة:

حاولنا من خلال هذا العمل فهم تأثير الدين في العمارة العربيّة الإسلاميّة وتعبير العمارة عن الدين الإسلامي. إذ كُنّا قد افترضنا في البداية بأنّ الدين بثوابته هو الكيان الذي تقوم عليه كلّ الفضاءات المعماريّة، باعتباره جملة من التصوّرات الإنسانيّة لكلّ المعتقدات. وتجعل ثوابت الدين منه لغة يمكن التّواصل معها وعبرها كما هو الشّأن في ما يتعلّق بالعمارة عامّة والعمارة الدّينية الإسلاميّة خاصّة. وقد عرضنا أهمّ الأفكار التي قادت الفنون والعمارة الإسلاميّة كالهندسة والفلسفة والأدب، وأهمّ المبادئ التي ميّزت هذه

الأعمال كالإتقان والإبهار والمجاز ثم عرضنا أهم نماذج العناصر المعمارية والعلامات والتركيبات التي نظمت الجوامع والمساجد. وقد حاولنا عرض العلامات المطلقة كالنور والمادة والعدد واللون ومن ثم أهم تركيبات هذه العناصر والعلامات في ما بينها كمبدأ الهندسة والنسق والتناظر والدوران والظاهر والخفي، وكل ما تحمله من دلالات إيديولوجية رمزية في ظاهرها أو في باطنها.

مكنا هذا من وضع مجموعة من الأسس المنهجية والعملية التي تسمح بقراءة المعالم قراءة مورفولوجية نابعة منها بالأساس مستقلة نسبياً عن الجوانب الفكرية أو الإيديولوجية أو الفقهية التي أنتجتها. هذه الأسس المنهجية لا تسمح لنا بالحديث عن العفوية في بناء العمارة ولا عن كونها ناتجة فقط عن تقاليد وتقنيات متوارثة ولكن بينت لنا بأن كل جامع أو مسجد متصل بالدين الإسلامي من ناحية الوظيفة التي يؤديها ولكنه يتبلور في شكل نابع من اختيارات تدور حول رؤية رمزية تعكس تصورات خاصة للدين .



زخارف التحف الخشبية في المساجد العثمانية في طرابلس الغرب "دراسة أثرية"

و. مريم الزناتي إبراهيم

جامعة بنغازي/ كلية الآداب والعلوم توترة

Marimib54@gmail.com

الخلاصة:

تبين لنا عبر هذه الدراسات أن الزخرفة على الخشب بأسلوب النحت، أو الحفر بأنواعه، و التشبيك والتعشيق، وكذلك الزخارف بالدهان، من الأساليب الزخرفية التي دخلت في معمار المسجد الليبي على أقل تقدير أواخر القرن السابع عشر، و هي من الأساليب التي كانت مزدهرة خلال عهد السلاجقة في المشرق العربي، وكان لها عظيم الأثر على صناعة الخشب في العصر العثماني.

كما تبين أيضاً أن ابرز العناصر الزخرفية النباتية المستخدمة في زخرفة التحف الخشبية بالجوامع الليبية أثناء العصر العثماني باقات الزهور الملونة، وأزهار القرنفل واللالة الياسمين وزهرة النسرين و زهرة دوار الشمس المحورة، كما استخدمت أشجار السر المحورة و المراوح النخلية التي تحمل ترويسات وأوراق قلبية، وأوراق رمحية متصلة بالأغصان في تناغم جميل وهي من التأثيرات العثمانية.

ومن ناحية أخرى شكلت العناصر النباتية أرضية ترسم عليها جميع الزخارف محورة كانت أم واقعية، وظهرت العناصر الزهرية المركبة من أكثر من زهرة .

كما اعتمدت أنواع من الزخارف الهندسية والمعمارية على التحف الخشبية في مساجد طرابلس من هذه العناصر المثلثات المتداخلة والمتناقصة، المثلثات والمعينات والمثلثات والدوائر والأشرطة المستطيلة التي غالباً ما كانت حاضنة للزخارف النباتية. أما العناصر الزخرفية المعمارية فهي عبارة عن أشكال معمارية مثل القباب وعناصر البرامق والمشربيات، فضلاً عن الالهة و النجوم.

ظهرت تأثيرات للفن والعمارة المغربي على العمارة الإسلامية في ليبيا خلال العصر العثماني، كما ظهرت التأثيرات الأوربية المتمثلة في الموضوعات التصويرية قوامها باقات من زهور ومزهريات تتصل بحليات هندسية غالبا ما كانت مئمنة الشكل، والتي ظهرت في أواخر عصر الركوكو.

لعل هذا البحث يسهم في زيادة معرفة طلاب الآثار والفنون في مجال الفنون والزخرفة الإسلامية، ولاسيما المنفذة على الخشب. ولتأكيد الفائدة تم رقد الدراسة بالأشكال التوضيحية لزيادة الفائدة.

Abstract:

Previous studies revealed that decoration on wood by sculpt or by engraving of all kinds and interlocking ornaments with paint are among the methods that entered into the architecture of the Libyan mosque at least in the late 17th century. It was among the methods that flourished during the Seljuk era and had a great impact on the wood industry in the Ottoma era.

This study discerned that the most prominent floral decorative elements used in the decoration of wooden antiques in the Libyan's mosques during the Ottoman era are the colorful flowers, Carnation and Jasmine blossoms and modified sunflowers. Also used modified cypress trees and palm fans bearing peduncles heart-shaped leaves connected to the stairs in a beautiful harmony.

On the other hand botanical elements formed a floor on which painted all the decorations whether modified or realistic, troncs stylized or realistic, and composite floral elements appeared from more than on flower.

Also, types of geometric and architectural ornaments were used on wooden artifacts in the mosques of Tripoli Such as interwining octagons, diagonal lines, lazenges, and rectangular tape circles. As for architectural decorative elements such as domes, parklers, lanterns and moshriat elements as well as crescents and stars.

The most common color used to decorate wooden antiques in the mosques of Tripoli are green, turquoise, red, golden yellow, black and brown.

Several influences appeared on the decoration of wooden artifacts in the mosques of Tripoli, the most prominent of which are the Maghreb influences, especially the Tunisian ones in the carving of the Mugarnas and deaf arches in the decoration of the deck. There are also Ottoman influences evident in the types of plant decorations such as the Lala flower, Jasmine and Carnations. As



for the European influences, they appeared in pictorial themes of bouquets flowers and vases related to Geometric ornaments, often ocagamal, appeared in the late Rococa era.

This research can contribute to increasing the knowledge of the students of art and archaeology in the field of Islamic art and decoration, especially those executed on Wood. The study has also been supplemented with illustrative figures to increase interest.

المقدمة:

شهدت طرابلس الغرب ابان العصر العثماني (٩٥٨ - ١٣٣٠ هـ / ١٥٥١ - ١٩١٢ م)، تشييد مساجد كثيرة لا سيما أثناء العهد القرمانلي (١٧١١ - ١٨٣٥ م) الذي شهد نهضة فنية و معمارية كبيرة بفضل الاستقرار السياسي لا سيما بعد امتلاك الدولة قوة بحرية كبيرة اجبرت الدول الأوروبية إلى عقد الإتفاقيات معها، فضلاً عن الانتعاش الاقتصادي وما كان يدخل إلى خزائن طرابلس من إيرادات وغنائم نتيجة لنشاط أسطولها البحري، ناهيك عن تجارة القوافل مع أواسط أفريقيا، كل ذلك ساهم في إهتمام الولاية بتشبيد العماثر لاسيما الدينية منها.^(١) ولا شك أن المساجد من أهم العماثر الدينية لذلك حرص منشئوها على أن تظهر بأبها حلة لاسيما بيوت الصلاة بما فيها من عناصر معمارية كالمنابر والمحاريب والسدود، و الأبواب والشرفات الخشبية.

إن هذا البحث يقتصر على دراسة التحف الخشبية - كما هو مبين- وتشمل الشقوق و الأبواب والشرفات والسدود أو دكك المبلعين، وهذه العناصر نالت قدراً كبيراً من الإهتمام بزخرفتها بالأساليب المعروفة في التعامل مع التحف الخشبية. وتعد الزخرفة على الخشب بأسلوب النحت، أو الحفر بأنواعه، و التشبيك والتعشيق وكذلك الزخارف المنفذة بالدهان، من الأساليب الزخرفية التي دخلت في معمار المسجد الليبي في أواخر القرن السابع عشر، و هي من الأساليب التي كانت مزدهرة خلال عهد السلاجقة، وكان لها عظيم الأثر على صناعة الخشب في العصر العثماني.^(١) وقد استعملت هذه الأساليب في زخرفة بعض العناصر المعمارية سالفة الذكر في الجوامع العثمانية في طرابلس ، وكذلك اعتمدت في تزيين أسقف وشرفات البيوت والفنادق وغيرها من العماثر الإسلامية، و قد تميزت بعض التحف الخشبية في الجوامع بغنى وتنوع زخارفها،

^١ - البلوشي، علي مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، منشورات مصلحة الآثار وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ج٢ طرابلس ١٩٨٩م، ص١٢.
البيهنسي، صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص٣٩.
^١ - خليفة، ربيع حامد، الفنون الإسلامية في العصر العثماني مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٩٧.

والتي يغلب عليها العناصر النباتية المورقة وبعض العناصر الهندسية و قليل من العناصر المعمارية.^(١)

أولاً: الزخارف الخشبية في أبواب جوامع طرابلس الغرب

يعد جامع محمد شائب العين (١٠٩٩-١١١٢هـ / ١٦٨٧-١٧٠١م) ^(٢) الذي أمر بإنشائه سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٩-٩٨م على يد معمار يدعى قاربطة التونسي^(٣)، يعد من أجمل المساجد العثمانية الباقية في طرابلس الغرب التي ترجع إلى العصر العثماني الأول، يقع الجوامع في الناحية الشمالية من سوق الترك في الجهة الشمالية للمدينة القديمة، كما يطل بواجهته الغربية على سوق الحرير، أما المدخل الجنوبي الشرقي للجامع فيطل على زنقة (زقاق) شايب العين.^(١) وهذا الجامع تتجلى فيه روعة الزخارف المنقوشة و المنحوتة على أبوابه الخشبية فقد بينت الأنسة توللي^(٢) شدة إعجابها بتلك الزخارف في رسالتها المؤرخة في ٣ يوليو ١٧٨٣م ، حيث قالت: "و جامع شايب العين هو مسجد تتجلى فيه روح الصناعة وروعة النقش و النحت على الخشب المنقوش على أيدي فنانين مهرة من البربر، وقفنا برهة من الزمن نتطلع إليه بكل دهشة وذهول، ولكننا لم نستطع الدخول بسبب دخول وقت صلاة".

أما بخصوص التحف الخشبية التي تزين هذا الجامع قوامها يابان خشبيان، يعدان من أروع القطع الفنية المحفورة على الخشب في العمارة الليبية، و هذان اليابان متشابهان إلى حد كبير من حيث التصميم العام و عناصر الزخرفة، و قوامهما مصراعين في كل باب قسم كلا منهما إلى ثلاث مناطق أو حشوات زخرفية، ازدانت بنقوش محفورة حفراً بارزاً بلون خشبي تشهد ببراعة الصانع و النقاش، أحد هذين اليابان يشكل حتى اليوم المدخل المطل على سوق الترك،^(٣) . (الصورة-١)

١ - المغربي، محمد الهادي ، الحرفيون و أصحاب الصناعات الشعبية، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس ٢٠٠٩م، ص ٢٧٦.

٢ - محمد قره داغ أو قره داغلي وهو مصطلح تركي بمعنى الجبل الأسود والي طرابلس الغرب تنحدر أصوله من البلقان وكنيته شايب العين، من أعماله المعمارية بناء سوق الفرامل والكيطانالبلقانية المعروف قديماً بسوق "الرقريق" اي الاغريق. الأنصاري، أحمد النائب، المهمل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج ١، ط ٢، دار الفرجاني، طرابلس، (د.ت) ، ص ٢٦١.

ميساتناغسيري، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسين، تقديم خليفة محمد التليسي، الناشر د. مصطفى العجيلي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٧٩، ١٨٣.

٣- ابن غلبون، أبو عبدالله محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب الوطنية ط ١، طرابلس ١٩٦٧م، ص ١٨١.

البهنسي، صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، ص ٤٩.

١ - الزاوي، الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٢٢٤.

البهنسي، صلاح أحمد، المرجع نفسه، ص ٤٩.

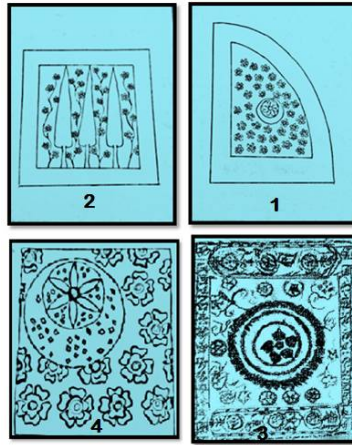
٢- توللي، رتشارد، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة د. عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٦م، ص ٧٤.

٣- البلوشي، علي مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج ٢، ص ٣٨.



والباب الثانى الذى فقدت الحشوة السفلى فى مصراعه الأيسر، محفوظ بمتحف طرابلس بالسرايا الحمراء تحت رقم ٩٠ / ١٩) و يعد من أهم مقتنيات المتحف الإسلامى^(١).
(الصورة-٢)

وفىما يخص زخارف الباب القائم بالمسجد يشاهد فى الجزء العلوى من مصراعيه الذين اتخذوا هيئة حذوة الفرس، قسمت إلى نصفين كل نصف بداخله حشوة فى شكل مثلث رأسه متجه إلى الأعلى، ازدان برسم هلال مقفل رأسه متجه للأعلى نفذ بإتقان على أرضية من أزهار النسرین ذات الخمس ورقات أو (فصوص) محفورة حفراً بارزاً، و رسم داخل الهلال زخرفة تمثل زهرة متعددة الفصوص، وفى دائرتى الهلال رسمت أزهار صغيرة أو ما يشبه النجوم. (الشكل- ١)



(الاشكال، ١-٤) أمثلة من الزخارف / رسم الباحثة

بينما اتخذت الحشوتان فى الوسط شكلاً مستطيلاً زخارفه نباتية قوامها ثلاث أشجار سرو مسننة و متتالية فى كل مصراع على أرضية من فروع نباتية دقيقة تحمل أزهار النسرین ذات خمس وريقات، و قد شاع تمثيل هذه الأشجار فى الفنون الفارسية والعثمانية^(١)، و تعد ذات مقاماً خاصاً عند الأتراك العثمانيين فهى ترمز إلى الخلود و الحياة المتجددة^(٢). (الشكل- ٢)

١ - كان هذا الباب محفوظاً بالمتحف الإسلامى فى طرابلس الواقع فى شارع سيدي خليفة، قيل ان يتم نقله للصيانة و نقل ممتلكاته إلى متحف السرايا الحمراء. حامد، على سعيد حامد، المعلم الإسلامى بالمتحف الإسلامى بمدينة طرابلس، طباعة انتربرينت، مالطا ليمتد، نشر بإشراف الإدارة العامة للبحوث الأثرية و المحفوظات التاريخية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١١٣.

١ - ميساناغسيري، المعمار الإسلامى فى ليبيا ص ١٨٤ - ١٩٤.

البهنسى، صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات فى التراث المعماري والفني، ص ١١٢.

٢ - استخدمت زخارف شجرة السرو فضلاً عن تزيين المساجد و العمار بشكل عام، استخدمت أيضاً فى زخارف المنسوجات و السجاد العثماني ولا سيما سجاجيد الصلاة.

الجزء الأسفل من الباب الذي اتخذ شكلاً مربعاً داخله حشوة ذات زخارف على هيئة زهرة نبات دوار الشمس، تحصر داخلها زهرة من خمسة فصوص^(١). (الشكل-٣) يضم الباب إطار خشبي مستطيل الشكل، مزدانة بشكل كامل دون ترك أي فراغ بزخارف من فروع نباتية دقيقة تحمل أزهار النسرين ذات خمس وريقات، فضلاً عن شريط من الدوائر أو الحبات المتماسة ومايشبهه صف من البرامق مما أضفى عليه مظهراً جذاباً. و للباب مطرقتين على هيئة هلال يتجه رأسه إلى الأعلى مماثلة لـزخارفه في الجزء العلوي إلا أن رأسي الهلال يبرز أحدهما عن الآخر و يكاد يتماسا. أنظر (الصورة-٢)

و فيما يخص الباب الثاني المحفوظ بمتحف طرابلس، يلاحظ أن زخارفه في الجزء العلوي مشابهة للباب السابق إلا أن دائر الهلال لم يكن مقفلاً و داخله زخرف برسم زهرة الياسمين ذات الست وريقات، وفي دائرتي الهلال هناك ما يشبه النجوم. (الشكل-٤)

بينما ازدانت الحشواتان في الوسط بزخارف نباتية قوامها شجرة سرو واحدة مسننة في كل مصراع على أرضية من فروع نباتية دقيقة وملتفة تحمل أزهار النسرين ذات خمس وريقات. (الشكل-٥)

أما الجزء الأسفل من الباب لا تختلف زخارفه حشوته عن الباب السابق إلا إن زهرة دوار الشمس هنا أكبر حجماً بحيث تملأ المربع في كل مصراع باستثناء جزء بسيط من الزوايا ازدانت بالتوريق العربي. (الشكل-٦)

وللجامع بابان خشبيان آخران الأول يتفق مع الأبواب السابقة من حيث الشكل الخارجي ؛ غير أن زخارفه بسيطة قوامها ثلاث حشوات تشغل الأولى الجزء العلوي من الباب الذي رسم داخل شكل هندسي (معين) له إطار من زخارف نباتية دقيقة تتوسطه زهرة من خمس فصوص ويحيط به ثلاث وردات محورة ذات خمسة فصوص.

الجزء الأوسط اتخذ شكلاً مربعاً تتوسطه حشوة مماثلة للحشوة السابقة يحيط بها أربع وريقات مماثلة للسابق من خمس وريقات. كما يأخذ الجزء السفلي من الباب شكلاً مستطيلاً، ويزدان بنفس الزخارف الموجودة بالأوسط. أنظر (الصورة-٣)

أما الباب الآخر اتخذ جزأه العلوي شكل مستطيل خالي من الزخرفة تتوسطه مطرقة الباب المعدنية هلالية الشكل تقريباً، و تمثل الحشواتين الوسطيين مربعين متجاورين يضم كل منهما مربع أصغر داخله دائرة. بينما تأخذ الحشوة السفلى شكل مربع كبير خالي من الزخرفة في كلا المصراعين.

التهامي، عائشة، النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن ١٧:١٤، "دراسة فنية أثرية"، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٨٥.

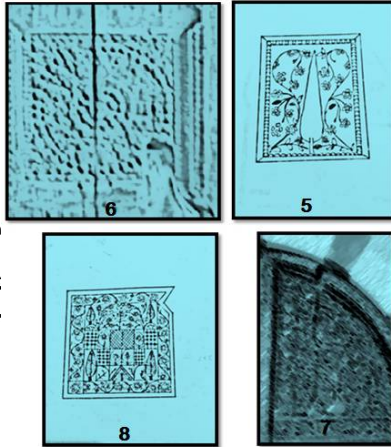
١ - هذه الزهرة كانت تشكل رمزا من رموز الفن العثماني خلال القرن التاسع عشر. مرسى، عصام عادل، أشغال النسيج في مصر في عهد محمد علي، رسالة دكتوراة جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم الآثار الإسلامية، ٢٠٠٢، ص ٣٢١، ٣٢٣



أما فيما يخص جامع أحمد باشا القرمانلي فقد أنشئ (إلى الجنوب من القلعة) سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٧م، كما تشير إلى ذلك لوحة التأسيس التي تعلو المدخل الرئيسي الواقع بالجدار الشمالي الشرقي للمسجد المطل على سوق المشير، وهو من المساجد التي حازت على إعجاب كل من شاهده، و منهم الأنسة رتشارد توللي^(١) التي ذكرت أن المسجد " من أجمل مافي المدينة من مساجد، و له بابان خشبيان حيث يوجد أمام باب المسجد الخارجي مدخل ثاني من مصراعين من الخشب المشبك الأنيق المنقوش نقشاً مدهشاً روعي أن ترسم زخارفه بشكل مماثل " أما الرحالة المغربي أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي^(٢) فقد اشار إلى أن الجامع غاية في الجمال لم ير مثله. أنظر (الصورة ٤) والجدير بالذكر أن أبواب جامع أحمد باشا تماثل في صناعتها و

زخرفتها الأسلوب الصناعي والزخرفي الذي اتبع بجامع محمد شايب العين، ففي المسجدين اعتمد الفنان على العناصر النباتية المتمثلة في شجرة السرو، وزخارف الهلال، والمزهريات التي تخرج منها الأغصان والأوراق النباتية و الزهور لا سيما زهرة القرنفل والنسرين، و الأقحوان وغيرها من التأثيرات الزخرفية العثمانية^(٣). غير أن الأسلوب الزخرفي المنفذ بهذه الأبواب الخشبية يحمل إتجاها نحو الواقعية أو محاكاة الطبيعة، وهذه الاتجاهات من التأثيرات الفنية الغربية (فن الركوكو و الباروك) في الفن الإسلامي^(١).

وقد اتخذ باب الرئيسي للجامع شكل عقد نصف دائري، و هو مكون من مصراعين، كل مصراع مقسم إلى ثلاث مناطق زخرفية، القسم العلوي بهيئة العقد النصف دائري أو حذوة الفرس قسم إلى نصفين، يتوسطها في كل مصراع رسم مزهرية ذات قاعدة بسيطة و بدن منتفخ ورقبة طويلة، مزودة بمقبضين جانبيين، تنبثق منها باقة من أزهار القرنفل المتصلة بفروعها النباتية. و يحيط بهذا المنظر برواز من الأفرع النباتية الملتنفة (الشكل - ٧) (في شكل هندسي ؛ لتحصر داخلها أزهار دوار الشمس والقرنفل.



١- بس ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ١٤٥.
٢- تأثيرات الأوروبية على الفن العثماني
٣- أنتج أسلوب جديد مهجن من
٤- محكمة ربع سنوية، العدد الأول -

١ - توللي، رتشارد، عشر سنوات
٢ - خشيم، علي فهمي، الحاجية
٣ - البلوشي، علي مسعود، وآخر
١ - يذكر أن استخدام زخارف مس
منذ الربع الأول من القرن ١٨م و
الباروك و الركوكو التركي.
داليا عبد العال، الأتماط الفنية للز
العدد الثاني جوان ٢٠١٩م، ص

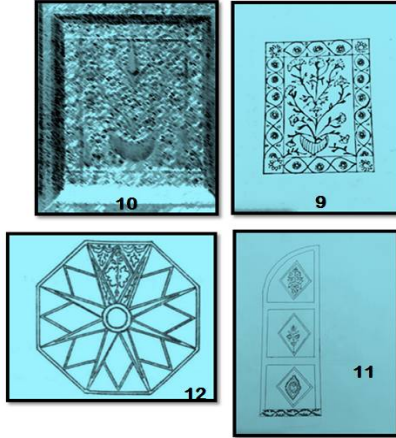
(الاشكال، ٥ - ٨) رسم لبعض الزخارف

أما القسم الأوسط من الباب فتزدان حشواته بزخارف في هيئة شكل معماري متوج بقبة تكسوها زخارف من فروع و أزهار ذات ثمان وريقات و يتوج القبة هلال تتوسطه نجمة خماسية، بينما يلاحظ أن زخارف المبنى موزعة على ثلاثة صفوف، الصف الأول من الأسفل قاعدة يرتكز عليها الشكل المعماري قوامها مستطيل الشكل رسم داخله مثلث متساوي الأضلاع تزيينه شجرة لعلها شجرة رمان، يليها شكل نصف عقد ثلاثي يرتفع إلى الصف الثاني، الصف الثاني مقسم إلى أربعة أقسام مستطيلة الشكل؛ الأول و الأخير يضمن زخارف بهيئة البرامق، و المستطيلين الوسطين رسم داخل كل منهما عقد نصف دائري من الحبات المتماسة داخله فرعين من أزهار دوار الشمس، هذا الصف محصور بين شجرتين سرو مسننتين مع فرع نباتي بجانب الشجرة من الأسفل، و ثلاث أزهار من الأعلى تشبه أزهار كف السبع رسمت داخل نصف العقد الثلاثي، الصف الثالث والذي تعلوه القبة سالفه الذكر مقسم إلى ستة مستطيلات، كل مستطيلين زخارفهما متماثلة، زين الأول والأخير بزخارف البرامق، يليهما شكل معقود زين بزخارف زهرة دوار الشمس محصورة داخل شكل لوزي، و في الوسط مستطيلين رسم داخلهما المشربيات، يعلو مستطيل البرامق قبة صغيرة رسم داخلها فرع نباتي، يعلوها شجرة سرو مسننة. وللباب بروازين الأول قوام زخارفه شريط غير متناهي من زهرة قرنفل متكررة تحصر داخلها زخارف من الترويسات بأسلوب التوريق العربي، أما الإطار الثاني يحمل زخارف متموجة متكررة تحصر داخلها بأسلوب التوريق العربي زهرة دوار الشمس ذات الثمانية فصوص.(الشكل- ٨)

كما ازدان الجزء الأسفل من الباب الذي اتخذ شكلاً مستطيلاً داخله حشوة ذات زخارف استخدم فيها عنصر المزهرية في هيئة هلال مفتوح ، لها قاعدة مخروطية، تنبثق منها باقة من الأزهار القرنفل



متصلة بالفروع النباتية و أوراق رمحيه و أخرى مسننة ، تتوسط الأزهار شجرة سرو محورة و مسننة ، البرواز يحمل نفس الزخارف السابقة. (الشكل، ٩-١٠)



(الاشكال، ٩ - ١٢) رسم لبعض الزخارف

وبخصوص الأبواب الداخلية أو باب بيت الصلاة نكتفي بدراسة واحداً منها، القسم العلوي من الباب بهيئة العقد النصف دائري ولا يختلف باقي تقسيمه عما سبق من الأبواب ، و اقتصرت الزخارف على ثلاث معينات في كل مصراع ، زخارفها نباتية محورة. في الجزء العلوي والأوسط، أما زخارف الجزء الأسفل تبدو كحديقة العين. أنظر (الشكل-١١) (الصورة-٥)

ويختلف شكل الباب الرئيسي لجامع قرجي^(١)، حيث اتخذ شكل عقد مدبب، كما تختلف الزخارف المنفذة عليه والتي قوامها عقد حذوة الفرس مدبب و مزدوج منفذ بالشطف يقطعها قطعة مستطيلة من الخشب فينتج عن ذلك مناطق هندسية من المثلثات و المنحنيات في أعلى الباب ، بينما زخرف الجزء الأوسط والأسفل من الباب بحليات هندسية ثمانية الأضلاع وعددها في كل مصراع ثمانية حليات، تضم داخلها زهرة محورة ثمانية الفصوص. أنظر (الصورة -٦)

^١ - أحد رؤساء البحرية الطرابلسية ، جورجي الأصل، كان من مماليك يوسف باشا القرماتلي، ثم أعتقه وزوجه من إحدى بناته، ترقى في المنصب حتى بلغ رئيساً لميناء الولاية، وقد جمع ثروة طائلة و امتلك مساحات شاسعة من أرضي ضواحي طرابلس لاتزال تحمل اسمه، بنى المسجد الذي نسب إليه.
حسن، حسن الفقيه، النيومات اللببية، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ١٩٨٤، حاشية ٤، ص ١٨٢.

ثانياً: الزخارف الخشبية سقوف في جوامع طرابلس الغرب.

توجد بجوامع شايب العين شرفة داخلية يعتقد ماسينا انها إلحقت بالجامع أثر التوسيع الجامع عندما ضاق بالمصلين^(١). مطلية بالدهان بألوان مختلفة، أما الشرفة الخشبية التي تمثل أهم عناصر مسجد أحمد القرماني الأصلية التي انشأت عند تشييده و التي تحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبلة، يحيط بها سياج من برامق من الخشب الخرط، وهو من ضمن التأثيرات العثمانية التي ظهرت في عمارة المسجد بالشمال الأفريقي لا سيما جامع بستين ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، بالجزائر، وجامع حمودة باشا بتونس ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م. و تجدر الإشارة أن شرفة جامع القرماني تحمل نصاً كتابياً يشير إلى اسم صانعها الحاج محمد بن علي مراد الشريف، وتاريخ عملها ربيع سنة ١١٥٠هـ (أبريل ١٧٣٨م).^(٢) أنظر (الصورة -٧)

والحقيقة أن نمط الأسقف الخشبية للشرفات المعلقة والمحيطه ببيت الصلاة من جهات ثلاث اثنين منها تغطي رواقين بينما تمتد ثالثهما فوق أحد المرافق. والتي تطل على بيت الصلاة من الداخل كانت أيضا من عناصر مسجد قرجي، وهي مشابهة لزخارف جامع القرماني التي طليت بالدهان و ازدانت بالرسوم النباتية و زهرية متعددة الألوان منبتة من المزهريات وأبرز العناصر النباتية زهرة القرنفل و اللالة والنسرین ذات الخمس فصوص المصورة بواقعية وكذلك الأفرع النباتية والأوراق الرمحيه والمسننة^(١) .

أنظر (الصورة -٨)

ثالثاً: الزخارف الخشبية في سدد جوامع طرابلس الغرب.

المسجد والذي يجلس عليه المبلغ المبلغ وهي المكان المختص داخل تُعرف أيضاً بدكة الذي يقوم بتريديد تكبيرات الأمام في الصلاة حتى يتمكن جموع المصلين في الصفوف الخلفية متابعة تكبيرات الأمام ومن ثم متابعة الصلاة .

وجد هذا العنصر في أغلب جوامع طرابلس الغرب إلا أنه اتخذ من الحجر في بعض المساجد مثل السدة الحجرية بجوامع درغوث باشا التي تمثل أقدم النماذج وقد زينت بدهانات بألوان حمراء وبنية وسوداء، بشكل متدرج ومتجانس يعكس ذوق الفنان الذي يسعى إلى الكمال.^(٢)

^١ - ميساناغسيري، المعمار الإسلامي في ليبيا، ص ١٨٣.

^٢ - البهنسي، صلاح أحمد ، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني ، ص ٥٨. البلوشي، علي مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٠، ج ١، ص ١٠٧.

^١ - ميساناغسيري، المعمار الإسلامي في ليبيا، ص ٢٠٢.

^٢ - المغيربي، محمد الهادي ، الحرفيون و أصحاب الصناعات الشعبية، ص، ٢٧٦، ٢٧٧.



أما السدد الخشبية أقدمها سدة المبلغ في جامع محمد باشا شايب العين و هي سدة معلقة، ترتكز على أعمدة خشبية نحيفة ويصعد إليها من فتحتي باب في الجدار الشمالي الغربي لببيت الصلاة^(١)، زخرف، وطلّي سطحها الأسفل المواجهة لأرضية المسجد بعدة ألوان منها الأحمر والبني والترابي والأسود والأزرق الفيروزي. قوام عناصرها الزخرفية دائرة في الوسط تشبه الهلال يخرج منها ثمانية أغصان نباتية تحمل زهور ومزهريات تتصل بثمانى حلّيات متماثلة، وهذا المشهد من الموضوعات التصويرية التي ظهرت في أواخر عصر الركوكو وهي بطبيعة الحال من التأثيرات الأوروبية.^(٢) أنظر (الصورة - ٩)

أما بخصوص سدة جامع أحمد باشا القرماني و السدة الموجودة في جامع قرجي يجمع بينهما شبه كبير في الشكل والتصميم وأنواع الزخارف، يعتبران من أروع التحف الخشبية بالمساجد الطرابلسية خلال العصر القرماني من حيث دقة الصناعة والغنى بالزخارف، وقد استحدث فيهما عنصر البانكة الكاذبة، وقوامها مجموعة من عقود المقرنصات المحمولة على أعمدة مزدوجة بألوان مختلفة، أبرزها اللون الفيروزي والأحمر و الأصفر الذهبي، والأخضر والأسود، وفي وسط كل عقد، بين العمودين، في البانكة الكاذبة بجامع قرجي وتشكل السدة في جامع قرجي ما يشبه السراق حيث يمر المصلين من تحتها عند عبورهم المدخل المواجه للمحراب. وقد جأت واجهات السراق مزدانة بنقوش مشطوفة تمثل زخارف في صفيين -الواحد فوق الآخر- من الأعمدة الصغيرة وترتكز عليها قويساتمفطسة ومزدانة بمقرنصات مما يشكل موضوعاً زخرفياً فريداً في العمارة الليبية. و أعمدة الصف العلوي جاءت أكثر عدداً من أعمدة الصف السفلي.

أما سقف السراق فيتكون من صندوق مربع قوامه أربعة مثمانيات رئيسية متراكزة ومتناقصة الأقطار، صنعت بالشطف على مساحات خشبية موضوع بعضها فوق بعض بحيث تظهر الثمانيات الواحد فوق الآخر من المحيط نحو المركز، وأخر ثمانى يكتنف دائرة مزدوجة تنبعث منها أشعة مثلثة الشكل تؤلف نجمة ثمانية أولى . بينما تحتوي الفواصل على معينات تمثل أشعة نجمة أخرى، مما يجعل السطح الثمانى مقسماً إلى أربعة وعشرين حقلًا كلها مزدانة بباقات من زهور ملونة و مراوح نخلية تحمل ترويسات و أوراق قلبية، أغصان وأوراق في تناغم وتمائل دقيق جداً. أما الدائرة الوسطى فأنها تضم حلّية مستديرة تبدو كالهلال. وقد نفذت هذه الزخارف بواقعية بعيدة عن التحوير، الألوان ساد فيها الأخضر صحبة الأحمر و الأصفر بل من الورود ما كان لونها أزرق فيروزي أو الأسود و الأبيض، مما ألبسة هذه السدة ثوباً قشيباً من الحسن والبهاء.^(١) أنظر (الشكل - ١٢) (الصورة - ١٠).

١ - البلوشى، علي مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج ١، ص ٦٤.

البهنسى، صلاح أحمد ، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني ، ص ٥٠.

٢ -- البلوشى، علي مسعود، وآخرون، المرجع نفسه، ج ٢ طرابلس، ص ص ٢٠ - ٢١.

١ - ميساناغسيري، المعمار الإسلامي في ليبيا، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

وبظهور هذا النوع من الحفر على الخشب، واستخدام الدهانات المتنوعة الألوان ولا سيما خضراء اللون، (واستخدام العقود المقرنصة) يؤكد تأثير الفن والعمارة المغربية في الفن والعمارة الإسلامية في "ليبيا" في العصر العثماني بكل عهوده، و عليه يرجح دكتور البلوشي^(١) أن الدكتين بجامعة أحمد باشا القرماني و قرجي، قد تم صنعهما على أيدي حرفيين مغاربة أو تونسيين أو لبيين متأثرين بأسلوب المدرسة المغربية. ذلك أن نوع نحت العقود المقرنصة، التي تزخرف جدران هاتين الدكتين من الخارج والداخل، تطابق أسلوب الزخارف الجصية، المعروفة في تونس باسم " نقش حديد" وكذلك في المغرب، والتي تعتبر مثلاً نُسجت على منواله الكثير من الزخارف الجصية لاسيما في مسجدي - أحمد الباشا و قرجي- و قد ظهر هذا الأسلوب الزخرفي في كثير من الزخارف الجصية التي تزين جدران كثير من القصور و البيوت و المساجد و الأضرحة التي شيّدت خلال القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر للميلاد في كلا من تونس والجزائر والمغرب.^(٢)

والجدير بالذكر انه بالإضافة إلى العناصر الزخرفية المذكورة يلاحظ أن هاتين الدكتين تحمل زخارف هندسية، وهو الأسلوب المنفذ على الخشب والجص في كثير من المباني الدينية والمدنية التي اقيمت في نفس الفترة.

هناك سدة أخرى تعود لجامع محمود، الذي ينسب إنشاؤه إلى محمود الخازندار^(١) الولاية سنة ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ - ١٦٨١م، خلال عهد الوالي محمد الحداد الأناضولي ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ - ١٦٧٩م^(٢) وهي سدة خشبية نجدها تغطي الرواق الثاني في بيت الصلاة، وهي ذات زخارف نباتية يغلب عليها التوريق المنفذة بالدهان.^(٣)

هناك مجموعة أخرى من الدكك الخشبية ذات الزخارف المرشومة بالدهانات المختلفة قوامها عنصر المزهرية والتوريق المنبثق منها، وقد كثر استخدامها في الزخارف الخشبية و الجصية و الخزفية، في دكة جامع الخروبة^(٤) و جامع الدروج^(١) حيث توجد

١ - البلوشي، علي مسعود، البلوشي، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج ٢، ص ٤٠، ٤٢.

٢ - البلوشي، علي مسعود، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ص ٤٢.

١ - لفظ تركي عربية الأصل وتطلق على أمين الخزانة - فيرو، شارل الحوليات الليبية منذ الفتح العربي وحتى الفزو الإيطالي، نقلها عن الفرنسية وحققتها بمصادرها العربية، د. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨م، ط٤، ص. ٢٥٥.

ميكافي، ردلفو، طرابلس الغرب تحت أسرة حكم القرماني، نقله إلى العربية طه فوزي، منشورات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة ١٩٦١م، ص ٣٠.

روسي، إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط، ١ ١٩٧٤م، ط٢، ١٩٩١م، ص ٣٥٧.

حسن، حسن الفقيه، اليوميات الليبية، حاشية ٢، ص ٢٧٧.

٢ - روسي، إتوري، المرجع نفسه، ص ٢٩٧.

٣ - البلوشي، علي مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ص ٧٥، ٨٠.

٤ - تم إنشاء هذا الجامع خلال القرن الخامس عشر قبل السيطرة العثمانية على ليبيا، ويحتفظ المسجد بعناصره الأصلية بالإضافة إلى بعض الإضافات و التوسيعات العثمانية التي تمت خلال نهاية القرن السابع عشر وخاصة في الجزء الشرقي



السدة فى جامع الخروبة فوق المدخل الرئيسى الموجود بالجزء الشرقى من قاعة الصلاة، بالجدار الغربى للسدة حاجز خشبى، كما توجد سدة جامع الدروج فى الزاوية الشمالية الغربىة فى مواجهة جدار القبلة يصعد إليها بوساطة سلم من الرخام من ست درجات وهى تغطى الرواق الغربى من قاعة الصلاة^(٢).

من بيت الصلاة المسجد ومن هذه التجديدات السدة أو "المحفل". البوسيفى، زينب الهادى، عمارة، إمحمد محمد، جامع الخروب، مكتبة الفرجانى، ٢٠٠٢، ص ١٥.
١ يعرف أيضاً بجامع بن يربوع أو جامع الشيخ مساهل شيد الجزء القديم قبل عام ١٥٢١م ، أما الجزء المسقوف بتسع قباب فيرجع إلى القرن الثامن عشر، هو الجزء الذى توجد به الدكة.
٢ - البلوشى، محمد وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامىة فى ليبيا، ج ١، ص ٧٢، ٥٣.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:-

- ١- توللى، رتشارد، عشر سنوات فى بلاط طرابلس، ترجمة د. عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٦م.
- ٢- ابن غلبون، أبو عبدالله محمد بن خليل، التذكار فىمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوى، دار الكتب الوطنىة ط ١، طرابلس ١٩٦٧م.
- ٣- الأنصارى، أحمد النائب، المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، ج ١، ط ٢، دار الفرجانى، طرابلس، (د.ت).

ثانياً المراجع:-

- ١- البهنسى، صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات فى التراث المعماري والفنى، دار الأفاق العربىة، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢- البلوشى، على مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامىة فى ليبيا، الدار العربىة للكتاب، طرابلس، ١٩٨٠، ج ١.
- ٣- البلوشى، على مسعود، وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامىة فى ليبيا، منشورات مصلحة الآثار وجمعىة الدعوة الإسلامىة العالمىة، ج ٢ طرابلس ١٩٨٩م.
- ٤- البوسيفى، زينب الهادى، عمارة، إمحمد محمد، جامع الخروب، مكتبة الفرجانى، ٢٠٠٢م.
- ٥- التهامى، عائشة، النسيج فى العالم الإسلامى منذ القرن ١٧:١٤، "دراسة فنىة أثرىة"، دار الوفاء لندىا الطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣.
- ٦- حسن، حسن الفقىه، اليوميات الليبىة، ج ١، تحقيق محمد الأسطى، وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، طرابلس ١٩٨٤م.
- ٧- خشيم، على فهمى ، الحاجة : من ثلاث رحلات فى البلاد الليبىة، مكتبة الفكر، طرابلس ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٨- خلىفة، ربيع حامد، الفنون الإسلامىة فى العصر العثمانى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ٩- روسى، إتورى، ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١م ترجمة وتقديم خلىفة محمد التلىسى، الدار العربىة للكتاب، ط ١ ١٩٧٤م، ط ٢ ١٩٩١م.
- ١٠- الزاوى، الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبىة، مكتبة النور، طرابلس ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- ١١- فىرو، شارل الحولىات الليبىة منذ الفتح العربى وحتى الغزو الإيطالى، نقلها عن الفرنسىة وحققتها بمصادرهما العربىة ، د. محمد عبد الكرىم الوافى، منشورات جامعة قارىونس ، بنغازى، ١٩٩٨م، ط ٤. مرسى، عصام عادل، أشغال النسيج فى مصر فى عهد محمد على، رسالة دكتورة جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم الآثار الإسلامىة، ٢٠٠٢م.

- ١٢- المغربي، محمد الهادي ، الحرفيون و أصحاب الصناعات الشعبية، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس ٢٠٠٩م.
- ١٣- ميساناغسيري، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسين، تقديم خليفة محمد التليسي، الناشر د. مصطفى العجيلي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ١٤- ميكاكي ، ردلفو، طرابلس الغرب تحت أسرة حكم القرمانلي، نقله إلى العربية طه فوزي، منشورات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة ١٩٦١م، ص ٣٠.

ثالثاً الدوريات

- داليا عبد العال، الأنماط الفنية للزخرفة العثمانية مجلة مدارات تاريخية، دورية دولية محكمة ربع سنوية، العدد الأول – العدد الثاني جوان ٢٠١٩م. قائمة الأشكال :-

- الشكل ١- حشوة باب علوية مثالثة الشكل زخارفها هلال مقفل رأسه إلى الأعلى رسم على ارضية من أزهار النسرین المحورة ذات الخمسة فصوص.
- الشكل ٢-حشوة باب وسطي مستطيلة الشكل قوام زخارفها ثلاث أشجار سرو محورة ومسننة على ارضية من فروع نباتية دقيقة تحمل أزهار النسرین ذات الخمسة فصوص.
- الشكل ٣-حشوة باب سفلية مربعة الشكل قوام زخارفها زهرة نبات دوار الشمس المحورة تحصر داخلها زهرة ذات خمسة فصوص على ارضية نباتية.
- الشكل ٤-حشوة باب علوية قوام زخارفها هلال مفتوح يضم داخله زهرة الياسمين ذات الستة فصوص ودائر الهلال مزدان بما يشبه النجوم، كل ذلك على ارضية نباتية من أزهار النسرین.
- الشكل ٥-حشوة باب وسطي مستطيلة الشكل قوام زخارفها شجرة سرو مسننة رسمت على ارضية من فروع وازهار النسرین.
- الشكل ٦-حشوة باب سفلية مربعة الشكل زخارفها رسم مجرد لزهرة دوار الشمس ازدادت زوايا الحشوة لزخارف من التوريبث العربي.
- الشكل ٧-حشوة باب علوية مثالثة الشكل قوام زخارفها مزهرية ذات بدن كروي ورقبة طويلة ومقبضين جانبيين رشيقين تتبثق منها أزهار و فروع القرنفل .
- الشكل ٨- حشوة وسطي زخارفها شكل معماري متزوج بقبة تكسوه زخارف من فروع و أزهار ذات ثمانية ورفات، وأشجار السرو المحورة و هلال ونجوم ، كما يزدان بزخارف أخرى كالبرامق والمشربيات والعقد الثلاثي .
- الشكل ٩- وحشوني باب وسطيين قوامها مزهرية الهلال المفتوح، واحدة تتبثق منها و فروع و أزهار القرنفل المنفذة بواقعية داخل إطار من زخارف نباتية ممتدة متموجة و متكررة داخلها زهرة دوار الشمس المحورة المزهرية الأخرى تزدان لزخارف من زهور محورة مع شجرة سر و مسننة المحورة .
- الشكل ١٠- مصراع علوي على شكل عقد حذوة فرس نصف دائري مقسم إلى ثلاثة مناطق أو حشوات زخرفية الجزء العلوي والاوسط زخارف نباتية محورة، و رسم بالجزء السفلي شكل زخرفي بهيئة حدقة العين.

ملحق الصور

- (١) صورة للباب الرئيسي بجامع شايب العين.
- (٢) صورة لباب محمد شايب العين المحفوظ بمتحف طرابلس.
- (٣) صورة لباب من أبواب بيت الصلاة في جامع محمد شائب العين .
- (٤) صورة للباب الرئيسي في جامع أحمد باشا القرمانلي.
- (٥) صورة لباب من أبواب بيت الصلاة في جامع أحمد باشا القرمانلي.



تكشف الزخارف المنفذة فى هذين الدكتين الخشبيتين بوضوح طبيعة أسلوب تطور الزخارف الخشبية فى القرن الثامن عشر فالتصميم العام للدكتين متقارب و العناصر الزخرفية متشابهة فى التكوين و الشكل و التنفيذ، إذ استخدم فىهما عنصر المزهرية، بزخارفها النباتية من فروع و أزهار و أوراق، فى وسط سقف كل دكة، و فى أركانها الأربعة بحيث تمتد هذه الزخارف حتى تغطي السطح كله بألوانها الزاهية على أرضية صفراء تميل إلى الحمرة.

والحقيقة أن هذه التقاليد الفنية الزخرفية ظهرت وانتشرت فى كل الولايات العثمانية فى هذه الحقبة التاريخية، وتصوير هذا الضرب من المزهريات بهذا الأسلوب يوضح التأثير الفنى الأوروبى لا سيما الفرنسى والإيطالى الذى ظهر على الفنون الإسلامية العثمانية خلال هذه الفترة.

- (٦) صورة للباب الرئيسى لجامع قرجى .
(٧) صورة للشرفات الخشبية ببيت الصلاة فى جامع أحمد باشا القرماتلى.
(٨) صورة للشرفات الخشبية ببيت الصلاة فى جامع قرجى.
(٩) صورة للسدة الخشبية ببيت الصلاة فى جامع شايب العين.
(١٠) صورة للسدة الخشبية فى بيت الصلاة فى جامع قرجى.



(الصور، ١ - ٦) أمثلة من ابواب المساجد فى طرابلس الغرب



(الصور - ٧ - ١٠) أمثلة من السداد فى مساجد طرابلس الغرب



مواد البناء المستخدمة في عمارة البيت الدرناوي (دراسة في العمارة المحلية في ليبيا)

و. فتح الله محمد ابو عزة. و. أمال سعيد الفيتوري

تسم الآثار الإسلامية / كلية الآثار والسياحة. تسم هندسة عمارة واخلية – كلية الفنون والعمارة
جامعة طبرق جامعة عمر المختار

fthllafthlla@gmail.com

ملخص البحث :

درنه إحدى المدن الساحلية في ليبيا وتقع على بعد (٢٨٠ كم) إلى الشرق من مدينة بنغازي وهي تنحصر بين خطي طول ٢٢.٥٧ غرباً و ٢٢.١٥ شرقاً ، وبين خطي عرض ٤٥.٣٢ جنوباً و ٣٢.٣٦ شمالاً ، وتعد أحد المراكز المهمة الواقعة على الطريق الساحلي الذي يربطها بمدينتي البيضاء وطبرق الواقعتين منها على مسافتي (٩٠) كيلو متراً غرباً ، و (١٧٥) كيلو متراً شرقاً، إذ أرتبط البناء المحلي التقليدي بمواد بناء محلية موجودة في طبيعة درنة الجبلية .

وتلعب مادة البناء ونوعيتها دوراً كبيراً في حجم ووظيفة البيت الدرناوي ، حيث لم تحظ مواد البناء في العمارة التقليدية في ليبيا بصفة عامة ، ودرنة على وجه الخصوص بالاهتمام الكبير من جانب الباحثين في العمارة التقليدية في ليبيا على الرغم من الدور البارز في التقنيات المستعملة في العمارة الليبية المحلية لكونها تعكس القدرة على تحديد شكل البيت الدرناوي وحجمه .

ولقد انعكس التكوين الجيولوجي بصورة واضحة على تنوع مواد البناء المستخدمة في عمارة البيت الدرناوي ن وكذلك المواد الطبيعية من أشجار متوفرة تتناسب مع المناخ والبيئة العمرانية لمدينة درنة ، كذلك ارتبطت مواد البناء بما يتوفر من صخور وطين ، فضلاً عن مواد البناء المستوردة كالحديد الذي استخدم كمادة متممة لأعمال البناء في البيت الدرناوي .

ولقد تنوعت مواد البناء المستخدمة في عمارة البيت الدرناوي وأهمها : الحجر بأنواعه (الجيري والتوفا) ومادة الأجر والجص (الجير) والطين والمعادن والأجر

والأخشاب بأنواعها الألواح المستوية وأعواد جريد النخيل وأعواد نبات القصبه وتبن البحر، فضلاً عن اعتماد المعمار الدرناوي بشكل كبير على أعواد نبات العرعار (الشعرة).

ومن هنا تبرز أهمية دراسة مواد البناء حيث نتعرف على أنواعها وطرائق استخدامها ودورها في عمارة البيت الدرناوي وهي تمثل تطبيقاً عملياً وعلمياً من خلال بحثنا هذا .

Abstract

Derna is one of the coastal cities in Libya. It is located at a distance (280 km) to the east to the city of Benghazi. The city confined between longitudes 22.57 west and 22.15 east, and between latitudes 45.32 south and 32.36 north. It is considered one of the important centers located on the coastal road that connects it with the city of Al Bayda at distance of (90 km) to the west of the city of Derna. The coastal road also connects it with the city of Tobruk at distance of (175 km) to the east of the city of Derna, where the traditional local building was built with local building materials found in the mountainous nature of Derna.

The building materials and their quality play a big role in the size and function of the Darnawi house, as the building materials in traditional architecture in Libya have not received much attention from researchers in Libya in general, and Derna in particular, despite the prominent role in the techniques used in local Libyan architecture. Because it reflects the ability to determine the shape and size of the Darnawi house.

The geological formation clearly reflects the diversity of building materials used in the architecture of the Darnawi House. In addition, the natural materials such as trees are suitable with the climate and urban environment of the city of Derna. The building materials used in the city are local materials such as rocks and clay, as well as there are imported building materials such as iron used as a complementary material for works Building in the Darnawi house. There are also a variety of building materials in the architecture of the Darnawi house. The most important of them are: all kinds of stone (limestone and tofa), bricks, plaster (lime), bricks and wood of all kinds, sea slabs, palm sticks.

أهداف البحث :

- ١) توثيق ورصد مواد البناء المحلية المستخدمة في بناء البيت الدرناوي .
- ٢) دور مواد البناء في بناء البيت الدرناوي .
- ٣) مدى تناسب مواد البناء مع المناخ والبيئة العمرانية بمدينة درنة وأثرها في عمارة البيت الدرناوي .
- ٤) التعرف عن تقنيات قطع وجلب واستخدام مواد البناء في عمارة البيت الدرناوي.



٥) مدى قدرة مواد البناء في إعطاء المعمار القدرة والتنوع والجمال في أعمار البيت الدرناوى .

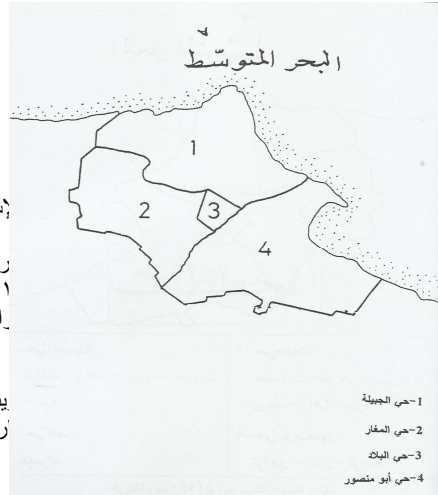
٦) دور مواد البناء في تحديد شكل البيت الدرناوى وحجمه .

تمهيد :

لقد كان للبيوت القديمة في مدينة درنة (١) الأساليب المعمارية المتنوعة في بنائها من حيث استخدام مواد البناء وتطويعها للظروف البيئية والمناخية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والفنية .

ونجد للبيت الدرناوى القديم خصوصية متميزة في تخطيطه وعمارته وعناصره المعمارية ومواد بنائه توائم موضع مدينة درنة الجغرافى ومناخها وطبيعة تربتها ، فضلاً عن مراعاة المعمار في بناء البيت الدرناوى لتعليم الدين الإسلامى الحنيف والعادات والتقاليد الاجتماعية .

ما زالت مدينة درنة تحتفظ بالعديد من البيوت التى يرجع تاريخها إلى العصر العثمانى (١٥٥١-١٩١١م) فى أحيائها القديمة الأربعة (أبو منصور (١) والمغار (٢) ، والبلاد (٣) ، والجبيلة (٤)) وهى تختلف بعضها عن بعض من حيث الشكل العام والتخطيط والحجم حسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بصاحب البيت ، حيث تعكس التفاوت المعيشى بين سكان المدينة . (٥)



سكندرية للكتاب ، الإسكندرية ،
ر غير منشورة ، مقدمة إلى قسم
١١ .
ات المركز الليبى للمحفوظات

ويعد أكبر أحياء المدينة ويضم
ينتهي بمرتفع أبو منصور المطل
زح الصحابة الحالى) إلى ميناء

١) حول نشأة مدينة درنة ، أنظر
١٩٩٥ ، ص ٢٣٠ .

- سالمة المنصورى
الجغرافيا ، كلية
فتح الله محمد أب
والدراسات ، طر

١) يقع حى أبو منصور إلى الشرق
(أبو منصور العلوى ، وأبو منصور
على المدينة من الجهة الجنوبية الشر
المدينة شمالاً .

- فتح الله محمد أبو عزة ،
٢) يقع حى المغار جنوب غرب وادى درنة ، ويشغل الجزء الأكبر منه مرتفع صخرى تكثر به المغارات التى استمد أسمه منها

٣) يعد حى البلاد النواة الأولى لمدينة درنة ، ويشغل وسطها ، وفيه تقع أغلب الأنشطة التجارية ويقطنه أصحاب الحرف والتجارة .

فتح الله محمد أبو عزة ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

٤) يقع حى الجبيلة شمال غرب وادى درنة على الربوة الصخرية المعروفة بهذا الاسم ويحد البحر من الشمال ، والبساتين الزراعية من جهة الجنوب .

- فتح الله محمد أبو عزة ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧-٤٨ .

خريطة رقم (١) أحياء مدينة درنة القديمة

عن (سالمة المنصوري ، شكل ٢٢)

ويمكن تقسيم بيوت درنة خلال هذه الفترة التي نؤرخ لها إلى نوعين :
الأول بسيط يتكون من واجهة صماء ماعدا المدخل الذي يعلوه عقد مبنى بالحجارة الجيرية يؤدي المدخل إلى مجاز مستطيل توجد به غرفة الضيوف (المربعة) ويوصل المجاز إلى الصحن (فناء البيت) توزع حوله جميع الوحدات البنائية من حجرات ومطبخ وكنيف وبئر أو مجرى الساقية الذي يمر وسط الصحن .^(١)
أما النوع الثاني من بيوت السكن في مدينة درنة في هذه الفترة يشبه إلى حد كبير النوع الأول مع اختلاف الواجهة التي عادةً ما تحتوي على نوافذ تطل على الشارع ، وهي خاصة بحجرة الضيوف (المربعة) ، إذ يفتح المدخل إلى مجاز واسع مسقوف وفي أحد أطرافه حجرة معزولة عن صحن البيت ، وهي مخصصة لاستقبال الضيوف (المربعة) والوصول إليها بواسطة سلم بارتفاع متر واحد يتكون من درجات محمية بدرابزين من الخشب ، وعادةً ما يكون تحت أرضية المربعة مرتبط للحيوانات يفتح على صحن البيت بمدخل صغير^(٢) .
وبناءً على الزيارة الميدانية المتكررة للبيوت القديمة بمدينة درنة بأحيائها الأربعة (أبو منصور ، والمغار ، والبلاد ، والجبيلة) وما صاحبها من تحري ومعابنة ورفع معماري ورسم وتصوير من أجل الوقوف على أدق التفاصيل الخاصة بمواد البناء المستخدمة في بناء وعمارة البيت الدرناوي ، وأماكن وجودها وكيفية استخدامها وملامتها للظروف المناخية وقدرتها على تلبية المتطلبات البنائية والفنية والمعيشية المستهدفة في تشييد البيت الدرناوي القديم ، ففي مدينة درنة استخدمت مواد بنائية متنوعة ومتعددة في بناء البيت الدرناوي القديم وهي : الحجر ، والطين ، والجص ، والأخشاب ، والحديد ، وتبن البحر .

^١ (المرجع نفسه ، ص ٤٨ .
^٢ (المرجع نفسه ، ص ٤٨ .



الحجر :

الحجر الجيري من أهم المواد التي استعملت في عمارة البيت الدرناوي ، وتعد الحجارة الجيرية المادة الأساسية في البناء وذلك لتوفرها ، فضلاً عن قوتها وصلابتها وعدم تأثرها بالعوامل الجوية وسهولة تشكيلها .^(١)

وفي حقيقة الأمر نجد أن المعمار في مدينة درنة لم يجد صعوبة في الحصول على الحجارة الصالحة للبناء لوقوع درنة عند نهاية سلسلة الجبل الأخضر^(٢) من جهة الشرق ، فضلاً عن نزع الحجارة من المباني الأثرية القديمة القريبة من درنة ، وأن أهم مواقع الحجر الجيري في درنة قريبة جداً من الأحياء القديمة في المدينة ، ومن مواقع العمل أحياناً بجوار أحيائها ، ومن أهم هذه المحاجر منطقة المكسر في نهاية حي المغار من جهة الجنوب ، ومنطقة أمبخ غرب مركز مدينة درنة بحوالي (٤ كم) ، وهناك محاجر مشهورة بمنطقة اعليوة بالرمان غرب مركز المدينة بحوالي (٥ كم) ، كما يوجد محجراً آخر قديم يعرف بـ (المكسر) الشرقي ويبعد عن مدينة درنة بحوالي (٥ كم).^(١) وعن طريقة استخراج الحجارة من محاجرها القديمة وطريقة نقلها إلى مواقع البناء وكيفية تشذيبها وصلقلها فإن المصادر المتعلقة بتاريخ مدينة درنة وعمارة بيوتها لم تمدنا بمعلومات كافية عن تلك التقنيات ، فيبدو أن عملية استخراج الحجارة ونقلها وتقطيعها في العصر الذي نؤرخ له لا يختلف كثيراً عن أساليب العصور القديمة (صورة ١-٢) ، كما يمكن استقاء المعلومات المتعلقة بتلك التقنيات المستخدمة في استخراج الحجارة وطريقة نقلها إلى مواقع البناء المتعلقة بالبيت الدرناوي عن طريق كبار السن لاسيما الحرفيين منهم وعملية قطع الحجارة تشذيبها تتم بواسطة أدوات معدنية قوامها (المطرقة والمنشار والبيزر والأزميل) ، ثم تنقل على ظهور البغال والحمير أو عن طريق عربة تجرها حيوانات ، وبعد وصول الحجارة إلى موقع البناء تتم عملية تشذيبها وصلقلها بحسب حاجة المعمار ، أو حسب موقعها في البناء ، سواءً كانت في الجدران أو الدعامات أو العقود أو أطر الأبواب والنوافذ في البيت الدرناوي^(٢) . (شكل ١-٢)

واستخدم المعمار أيضاً الحجر الجيري في عقود الأبواب في البيت الدرناوي ، كما استخدم الحجارة الصغيرة على الفراغات بين قطع الحجارة الكبيرة وهي طريقة اقتصادية توفر الوقت وتقلل من تكلفة بناء البيت ، فضلاً عن إسهامها بشكل كبير في

^(١) فتح الله محمد أبو عزه ، جامع رشيد باشا بمدينة درنة ، دراسة في العمارة الإسلامية ، مركز تأسيلي للطباعة ، درنة ، ليبيا ، ٢٠٠٩م ، ص ٦٩ .

^(٢) يمثل الجبل الأخضر المنطقة الجبلية التي تقع بين هضبة البطان من ناحية الشرق ، وبين سهل بنغازي من ناحية الغرب ، للمزيد من الإطلاع أنظر :

سالم محمد الزوام ، الجبل الأخضر ، دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ط٢ ، منشورات جامعة قارونس ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٩٥م ، ص ٢٣ .

^(١) فتح الله محمد أبو عزه ، مساجد مدينة درنة ، ص ١٤٦-١٤٧ .

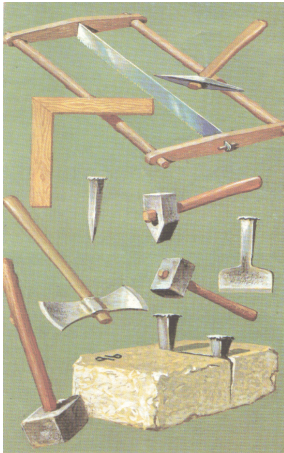
^٢ (Vitruvius, The Ten Books on Architechure, Translated by Maris Hicky Morgan, New Yourk, 1960 , P. 49-58 .

سمك جدار البيت الدرناوي الذي يتراوح عرضه ما بين (٥٠ سم إلى ١٠٠ سم).

ونظراً لصلابة ومتانة الحجر الجيري ساعداً على أطالت عمر البيت وملائمته للظروف المناخية الخاصة بمدينة درنة ، كما استخدمت الحجارة غير مهندمة في تبليط فناء البيت وأرضية الغرف والمطبخ وغيرها من مرفقات البيت الدرناوي .

وقد استخدم في عمارة بيوت درنة القديمة نوع آخر من الحجارة يطلق عليه حجر التوفا لونها بين البني والأحمر الفاتح ويطلق عليه اسم التوفا وهي نوع من الصخور الروسوبية ، أصلها في الغالب عضوي ومصدرها بقايا النباتات من جذوع الأشجار وسيقانها وأوراقها تحللت بوادي درنة بواسطة المياه ثم ترسبت في أماكن معينة من ضفتي الوادي وقاعه ، حيث تعرضت لعمليات التحجر والتصلب مع تداخل المواد اللاصقة الرابطة من حبيبات الطين والرمل مما أكسبها الصلابة^(١) .

وقد توفر هذا النوع من الحجارة في ضفاف وادي درنة ، لاسيما منطقة الجرف الواقعة في الجزء الجنوبي من حي المغار ، وكذلك منطقة وادي درنة جهة شلال درنة ، وتميزت حجارة التوفا بخفه وزنها وشكلها غير المهذب^(٢) ، ونجد المعمار في درنة استعملها في بناء جدران البيت الدرناوي .

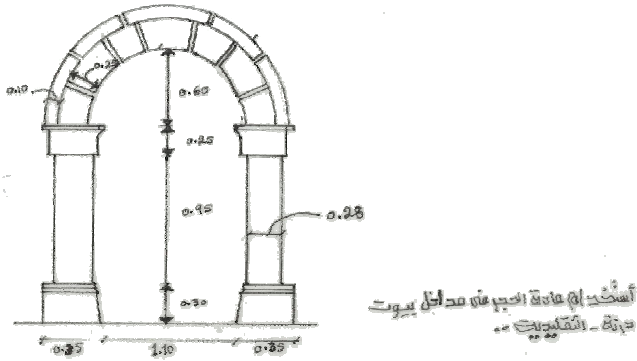


(١) المرجع نفسه ، ص ١٤٧ .

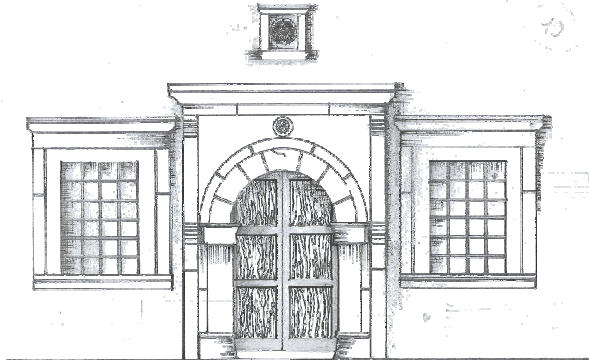


صورة (٢)
أدوات نحاتي الحجارة في
العصور القديمة
(عن : جان بول لبيير ، ص ١٧)

صورة (١)
أساليب وتقنيات استخراج الحجارة
وتقنياتها في العصور القديمة
(عن : جان بول لبيير ، ص ١٦)



شكل رقم (١)
استخدام مادة الحجر الجيري في مداخل بيوت درنة التقليدية



شكل رقم (٢)

واجهة حجره في بيت بوعود - بحى الجبيلة
تبين استخدام الحجر في دعامات وعقود وأطر وأبواب ونوافذ البيت الدرناوي
الطين :

الطين الوحل واحده طينة وصانعه الطيان ^(١) ، والطين لزج إذا خلط بالماء وقاس إذا جف ^(٢) ، ويعد الطين من المواد الرئيسية في البناء ، وهو مادة إنشائية تستعمل في بناء جميع العمائر الأثرية .

ونظراً لتوفر وسهولة الحصول عليه استعمله المعمار مادة رابطة بين الأحجار المستخدمة في عمارة البيت الدرناوي ، كما أستخدم أيضاً في البناء وسطوح البيت الدرناوي القديم من الخارج بعد خلطة بالجير لمنع تسرب مياه الأمطار إلى داخل المبنى (صورة ٣ ، شكل ٣) ، فضلاً من ملائمته للظروف المناخية ^(٣) .

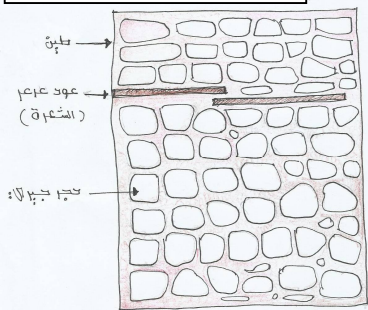
ونجد أن الطين أستخدم في عمارة البيت الدرناوي القديم في التسقيف وبناء الجدران وغيرها (صورة ٤ ، شكل ٣) وتعد منطقة الجرفة بالمغار وسواني الجبيلة ومنطقة الكوي والجراول في حي أبو منصور من أهم المناطق الغنية بالطين الجيد للبناء



صورة رقم (٣)
تبين استخدام الحجر
والطين في بيت
الدقوق البلاد



صورة رقم (٤)
تبين استخدام الحجر
والطين في بيت الدقوق
البلاد



حديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ج ٥ ،

^(١) أبين منظور ، جمال الدين محمد بن م
ص ٦٨٥ .

^(٢) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس بروس ، بيروت ، ليبيا ، ١٩٨٨م ، ص ٢٦٥ .

^(٣) فتح الله محمد أبو عزه ، مساجد مدينة درنة ، ص ١٥١ .



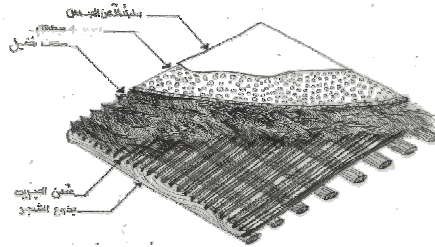
شكل (٣) استخدام الحجر والطين وأعواد العرعر (الشعرة) بيت الدقوق - حى البلاد

الجص (الجير) :

الجص تطلى به الأبنية^(١) وهو خام من كبريتات الكالسيوم المائية ، وهي المادة المعروفة بالجبس ، وجص ضرب من الحجارة تحرق وتطحن لتستخدم فى البناء^(٢) ، وكانت لفظة الجص معروفة قديماً فى الشمال الأفريقى ، إلا أنها استبدلت بكلمة (جير) وهي أكثر شيوعاً حالياً فى ليبيا^(٣) .

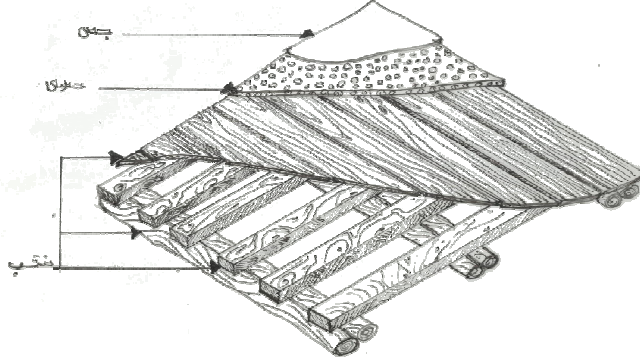
تعد صناعة الجص على إدخال الحجر الجيري إلى أتون الحرق وتحت درجة حرارة مناسبة تصل إلى (١٤٠ درجة) ، حيث تنضج الكتل وتتحول إلى جص بالأتون وضبط حرارته قديماً تعتمد على الخبرات المتوارثة لدى الجصاص^(٤) .

لقد استخدم الجص فى عمارة البيت الدرناوى عن طريق إذابته فى الماء كي تطلى به جدران المبنى من الخارج والداخل ، ويستخدم الجص كمادة رابطة وأحياناً يخلط بالصمغ والكلس ومساحيق الرخام وقشر البيض ويصب لزجاً فى قوالب وتغلى به جدران وسقف المبنى بعد اكتمال جفافه^(٥) . (شكل ٤-٥) .



- (١) أبى منظور ، مصدر سابق ، ج ، ص ١٣٧ .
- (٢) الرازى ، محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر ، المتوفى بعد سنة (١٢٦٦هـ/١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٤ .
- (٣) عاصم رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولى ، مصر ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٢ .
- (٤) سعدي إبراهيم الدراجى ، زليتن ، دراسة فى العمارة الإسلامية ، منشورات القيادة الشعبية ، زليتن ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٤٧ .
- (٥) المرجع نفسه ، ص ٢٤٧ .
- (٥) المرجع نفسه ، ص ٢٤٧ .
- (٥) عبدالرحيم غالب ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .
- (٥) عاصم رزق ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

شكل (٤) سقف البيت التقليدي في مدينة درنة
بيت الدفدوق - حي البلاد



شكل (٥)
سقف البيت التقليدي في مدينة درنة
بيت بن فايد - حي ابو منصور.

واستخدم الجص (الجير) في بناء البيت الدرناوي باعتباره مادة رابطة في البناء ، كما استخدم في أكساء جدران البيت الدرناوي من الداخل والخارج .

المعادن :

لقد استخدم معمار البيت الدرناوي المعادن في بناء البيت ومنها الحديد ، حيث استخدم في العوارض الحديدية (القضبان) لحماية السقف من السقوط ^(١) ، كما استخدم الحديد في رزات (مفاصل) وقفل ومسامير الأبواب في البيت الدرناوي ومطرقة الباب ، فضلاً عن استخدامه في حماية نوافذ البيت كمصبغات حديدية . (صورة ٥) .



^(١) فتح الله محمد أبو عزه ، مساجد مدينة درنة ، ص ١٥١ .



صورة رقم (٥) تبين استخدام المعادن في حماية نوافذ البيت الدرناوي كمصبغات حديدية

تبين البحر :

تبين البحر هو نبات يعرف في منطقة درنة بالتفش ، وأسمه العلمي بوزدونيا أو شيكانيكيا (Posidonie Oceanica) ينمو في مياه البحر الضحلة التي تصل إلى (٣٠ متراً) أو يزيد ، ويكون على شكل أشرطة رفيعة يتراوح طوله بين (٢٠-٠٠.٥٠ م) وسمكها (٨مم)^(١) ، يوجد بكميات كبيرة على شواطئ مدينة درنة .
لقد استخدم تبين البحر في بناء السقوف في البيت الدرناوي (صورة ٦) ، حيث يفرش فوق جريد النخيل لمنع تسرب الحرارة إلى داخل المبنى في فصل الصيف ، ويفيد سد الفراغات لمنع تسرب التراب من سقف المبنى ، ومن فوائده الزيادة في تماسك طبقة الطين التي تقام عليه ويخلط أحياناً مع الطين بدلاً من التين أو القش^(٢) .



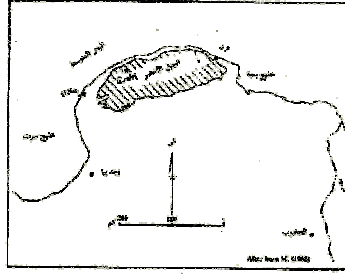
صورة رقم (٦) تبين استخدام تبين البحر في تسقيف البيت الدرناوي

الأخشاب :

استخدم الخشب في كثير من أغراض العمارة والفنون الإسلامية ، لاسيما في السقوف والأبواب والشبابيك والمشربيات^(٣) ، والميازيب والأثاث الداخلي للبيت كالسدة وغيرها .
لقد استخدم المعمار الخشب في عمارة البيت الدرناوي كمادة بناء رئيسية وأحياناً أخرى مادة مكملة وهي عبارة عن نوعان مختلفة ، لأنها مأخوذة من أشجار محلية

^(١) عتيق العربي الهوني ، الأحياء البحرية ، الساحل الليبي ، تحرير الهادي أبو لقمه وسعد القزيري ، منشورات مركز البحوث ، جامعة قارونس ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٧٦م ، ص٢٠٢ .
^(٢) فتح الله محمد أبو عزه ، مساجد مدينة درنة ، ص١٥٢ .
^(٣) سعدي إبراهيم الدراجي ، مرجع سابق ، ص٢٥٢-٢٥٣ .
^(٤) عاصم رزق ، مرجع سابق ، ص٩٩ .

تغطي معظم منطقة الجبل الأخضر (خريطة ٢) ، المعروفة بوفرة الأخشاب الصالحة للتسقيف من بينها أشجار التوت التي كانت تستخدم في صناعة أبواب وشبابيك وأثاث المباني القديمة من بينها البيت الدرناوي (شكل ٤-٥ ، صورة ٧-٨) . كما استخدم المعمار الدرناوي نبات العرعر المعروف محلياً بنبات الشعرة في عمارة البيت الدرناوي ، ويعد العرعر من أبرز أشجار منطقة الجبل الأخضر المحيطة بمدينة درنة .



خريطة رقم (٢)
تبين الجبل الأخضر - عن : (سالم الزوام ، ص ٢٩)



صورة رقم (٧)
تبين استخدام الخشب في داربزين بيت الدقوق - حي البلاد





صورة رقم (٧) تبين استخدام الخشب في سدة بيت الدقوق - حي البلاد

ويتميز نبات الشعرة بثقل الوزن متين وصلب ومقاوم للتفسخ ومعمر لفترة قد تمتد لمئات السنين^(١) ، ولقد استخدم الشعرة في تسقيف البيت الدرناوي لحماية السقف من السقوط ، وكذلك لدعم الجدران لصلابته ومقاومته للتفسخ وطول عمره في البناء ، فضلاً عن استخدام الشعرة لدعم الجدران في البيت الدرناوي (صورة ٨ ، شكل ٣) ، فضلاً عن استخدام الشعرة بعد تقسيم عود الشعرة إلى نصفين طولياً بحوالي متر واحد ويتم تجويفه يسمح بتصريف الماء المتجمع فوق السطوح أثناء الأمطار . (صورة ٩).



صورة رقم (٨) تبين استخدام نبات الشعرة لدعم جدران البيت (بيت الدقوق - حي البلاد)



ي ، العرعر الفينيقي
ت والمراعي ، كلية
منشورة ، مقدمة إلى
٣٢
النامية بمنطقة الجبل
علوم البيئة ، جامعة

(^١) حميدة عبد
والخروب والبلد
الموارد الطبيعي
أنيس محمد
قسم الغابات وال
محمد عمر
الأخضر ، رس
عمر المختار ،

صورة رقم (٩) تبيين ميزاب تصريف مياه الأمطار (بيت الدقوق) - حي البلاد

واعتمد المعمار الدرناوي على أعواد جريد النخيل^(١) في التسقيف ، كما هو الحال في أغلب بيوت درنة القديمة ، حيث كانت أعواد الجريد ترصف فوق الجوائز على شكل حصير تحمل المواد التي تفرش فوقها . (شكل ٤) .

^١ (كانت مدينة درنة من مدن الساحل الشرقي لليبيا تزخر بوفرة أشجار النخيل ، وقد ذكر هذا الرحالة الأجانب ومنهم الأخوان بيتشي عام ١٨٢١م ، والرحالة الفرنسي باشو ، عام ١٨٢٤م .
- هنري وفريدريك بيتشي ، الأخوان بيتشي والساحل الليبي (١٨٢١-١٨٢٢) ، ترجمة الهادي أبولقمة ، منشورات جامعة قارونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م ، ص٢٩٧-٢٩٩ .
- جان ريمو باشو ، رواية إلى مرمرة وقورينه وواحتي أوغله ومرادة ، ترجمة مفتاح عبدالله المسوري ، دار أبل ، بيروت ، ودار الزواد ، ليبيا ، ١٩٩٩م ، ص١٤٥ .



كما استخدم في عمارة البيت الدرناوى التقليدى أعود نبات القصبه وهو من النباتات المتوفرة بوادى درنة ، استفاد منها المعمار فى التسقيف ، حيث يتم رصها فوق الجوائز وأخشاب العرعر على شكل حصير تحمل المواد التى تفرش فوقها ، واستخدمت القصبه بشكل كبير فى تسقيف البيت الدرناوى فى حى المغار بمدينة درنة . (صورة ١٠) .



صورة رقم (١٠)

تبين استخدام نبات القصبه فى تسقيف بيت الدرناوى (بيت بالرمان) - حى المغار
الخلاصة :

ومن خلال ما تم طرحه فى هذه الورقة من معلومات خلصت الدراسة إلى النقاط
الآتية :

- ١) معرفة أنواع مواد البناء المستخدمة فى عمارة البيت الدرناوى التقليدى والمتمثلة فى الحجر (الجبرى والتوفا) والطين والجص (الجير) وتبن البحر (التفش) والمعادن والخشب (العرعر وجريد وسعف النخيل والقصبه) .
- ٢) وجدنا إن المعمار استفاد من الطبيعة الجغرافية والبيئة المحيطة بمدينة درنة فى بناء البيت الدرناوى القديم .
- ٣) تم إلقاء الضوء على طرق استخراج ونقل وطرائق البناء الخاصة بمواد البناء المستخدمة فى بناء البيت الدرناوى القديم .
- ٤) استطاع المعمار تسخير مواد البناء فى تخطيط وعمارة البيت الدرناوى القديم وفقاً للعوامل الدينية والاجتماعية والثقافية .
- ٥) استخدم المعمار فى عمارة البيت الدرناوى القديم مواد مقاومة للظروف المناخية استطاعت هذه المواد تخليد البيت الدرناوى القديم إلى فترة زمنية طويلة .
- ٦) مكنت مواد البناء ساكن البيت الدرناوى التقليدى الإندماج مع البيئة المحيطة به .
- ٧) ساهمت مواد البناء فى تحديد مساحة البيت من حيث تخطيطه وعمارته وعناصره المعمارية .

- ٨) ضرورة دراسة خواص مواد البناء القديمة المستخدمة في بناء البيت الدرنابي القديم من أجل إمكانية استخدامها في الوقت الحاضر .
- ٩) ضرورة الاهتمام بحرفة البناء التقليدي وفتح أبواب التدريب والتكوين لأعداد كوادر قادرة على ترميم وصيانة هذا التراث .
- ١٠) توثيق هذا التراث والمحافظة عليه .
- ١١) ضرورة الاهتمام بالخبرات المتوارثة في مجال البناء القديم من أجل خلق جيل ذو خبرة يستفاد منه في مشاريع الترميم والصيانة وإعادة التأهيل .
- ١٢) من خلال دراسة هذه الجزئية المهمة من التراث الحضاري الليبي المتمثل في مواد البناء القديمة ، وما أنتجته من موروث ثقافي محلي بإمكانيات أقل من إمكانيات الوقت الحاضر ، ولكن بفكر معماري ناضج يعطينا حافزاً علمياً وعملياً وثقافياً للحفاظ على هذا التراث وإحيائه.



الشبكة المائية في مدينة حلب القرن ٧ هـ

الدركتورة المهندسة بغيراو عبر المنعم

مستقيلة منز سنة ٢٠١٦ من عملي في وزارة اللؤارة المحلية – محافظة حلب

dr.baghdad2016@gmail.com

المخلص:

لم تكن شبكة القنوات الحلبية أثراً عادياً محدوداً سواء معمارياً أم وظيفياً وتاريخياً، بل بقيت ولأزمان متطولة تكويناً استراتيجياً من البنية التحتية، ظلت تؤمن المياه للمدينة وفضائها حتى خمسينيات القرن الماضي وقائمة في باطن الأرض وعلى سطحها تمتد كليو متراتٍ عديدة قبل أن تلج أسوار المدينة لتشكل عدداً كبيراً من الآثار الجميلة والمهمة.

يمتد هذا النظام المائي بأنفاقه المتفنة وقنواته المكشوفة وعداناته وقساطله متمماً حلقة من تاريخ الهندسة المائية والبنية التحتية في العالم، ولعله يشبه نظام القنوات الجوفية المعروف في شبه الجزيرة العربية وإيران والعراق الذي اتخذ في كل منطقة من هذه المناطق اسماً خاصاً فهو (الأفلاج) في شبه الجزيرة العربية، و(الكهاريز) في العراق، وفي بلاد الشام هي (القنوات الرومانية) أمّا في إيران فيطلقون عليه الاسم العربي (القناة).

تنضم الشبكة المائية الحلبية إلى هذه المجموعات القديمة من النظم المائية والتي يعود تاريخ بعضها إلى ٢٥٠٠ ق.م.

في بداية القرن السابع الهجري تمّ بناء وترميم وتمديد شبكة واسعة من القنوات تتفرع داخل المدينة لتغذي القطاعات السكنية والاقتصادية، فوجدت القساطل في كل مكان داخل المدينة وعند مداخل أبوابها وفي الساحات الداخلية للأحياء، وشكلت إحدى الخصوصيات البيئية والمعمارية للمدينة. بُنيت القساطل على شكل أحواض تستمد الماء بواسطة أنابيب من القناة، وهي مسقوفة بقباب ومزودة بالأقواس والأعمدة والزخارف أحياناً.

لدراسة هذه الشبكة المائية قمتُ بإعادة تصنيف النص التراثي الذي أسهب في تفاصيل هذه الشبكة عند ابن شداد في كتابه "الأعلاق الخطيرة" وتثبيته على مخطط متوال بحيث تظهر القنوات وتفرعاتها بشكل واضح وقمتُ بترقيمها من القناة الرئيسية إلى القنوات الفرعية النهائية والتي تنتهي عادةً بقسطل أو حوض أو بركة، وقد وصل الترقيم في التفرعات النهائية إلى الرقم (٦) وقمتُ بتنزيلها تقريباً على خارطة المدينة. قدّم المؤرخُ ابنُ شداد تاريخاً نوعياً لقنوات حلب وكذلك لباقي تكوينات المدينة (والأعلاق) ليس من أهم مؤلفاته فحسب بل هو من أكثر المؤلفات التاريخية البدائية تميزاً وعلميةً، نجدُ في قراءتنا المعاصرة لهذا الكتاب تاريخاً للتضاريس والسهول والوديان، كما نجدُ أيضاً ذلك التاريخ العميق للتكوينات المعمارية يصح فيه أن نقول بأنه نصٌ جديد نسبةً إلى زمنه كوئُهُ حقق التسجيلَ الهندسي بالأرقام والأبعاد مثلما حقق حضور الرؤيا الفنية المعمارية مما يمنحُ هذا النصَ أيضاً سمة التاريخ الأثري.

Summary

Aleppo,s water recharge depended basically on the water of Hillan canal, which supplied the city with water for over 20 centuries. The canal was repaired totally, many branches were also split, and (Kasatels)were built in 1208 in the reign of ALZAHER GAZE, in that time, sources of of canal water were defined, with its heights, besides studying its trajectories and the distributions inside and outside the city. During that period we can find 77 KASTALS (recharge points) in addition to ponds and reservoirs.

البركة المائية في مدينة حلب القرن ٧هـ

لئن كان هذا المصطلح (البنية التحتية Sub - Structures) مصطلحاً جديداً سواءً دخل في المجالات الهندسية المباشرة أو انطلق في السويات المجتمعية ..فإنَّ حضوره كتكوين وإجراء كان موجوداً في تاريخ المنجز الهندسي في منطقتنا ومنذ زمن يمتدُّ على الأقل إلى ألفي سنة قبل الميلاد.

وفي تعريفه العصري يُقصد به كل الأعمال الهندسية الجيوتكنيكية التي تنفذ لانجاز منشأة سواء كانت تلك المنشأة فوق أرضية أو تحت أرضية .. وتتضمن تلك الأعمال استناداً إلى تعريف هندسي مباشر معالجة الطبقات الحاملة وأعمال الأساسات. وتلك إجراءات ظلت قائمة في الأعمال المائية التي أمَّنت المياه للمدن وللري ورافقتها حلولٌ هندسية اتخذها المهندسون لإنشاء شبكات المياه والصرف الصحي ومعالجة الأرضيات والمنشآت المحفورة والخزانات الأرضية وغيرها.

لم تكن شبكة قنوات حيلان أثراً عادياً محدوداً سواءً معمارياً أو وظيفياً وتاريخياً.. بل بقيت ولأزمان متطاولة تكويناً استراتيجياً من البنية التحتية.. حملت الماء للمدينة وفضائها حتى خمسينيات القرن الماضي ..كانت قائمة في باطن الأرض وعلى



سطحها.. حيثُ بقيتُ تمتدُّ كليومتراتٍ عديدة قبل أن تلجَ أسوارَ المدينة وتُلازمَ عدداً كبيراً من الآثار الجميلة والمهمة.

يمتدُّ هذا النظامُ المائى بأفائه المُتقنة وقنواته المكشوفة وعداناته وقساطله متماً حلقة من تاريخ الهندسة المائية والبنية التحتية في العالم .. ولعله يشبهُ نظامَ القنوات الجوفية المعروف في شبه الجزيرة العربية وإيران والعراق والذي اتخذ في كل منطقة من هذه المناطق اسماً خاصاً فهو (الأفلاج) ^(١) في شبه الجزيرة العربية.. وهو (الكهاريز) في العراق أمّا في إيران فيطلقون عليه الاسم العربي (القناة)..! وإذن تنضمُّ الشبكة المائية الحلبية إلى هذه المجموعات القديمة من النظم المائية والتي يعودُ تاريخُ بعضها إلى / ٢٥٠٠ ق. م. / ..

في قرية حيلان في الشمال الشرقي من المدينة (صورة ١) .. نشهدُ (البئر الأم) ^(٢) للقناة والجران الداخلية المُعمَّرة بمداميك تُكوّنُ درجاً لأجل النزول لأي أمر يتعلق بصيانة أو تنظيف القناة (صورة ٢) .. تُشاهدُ القناة باطنيةً تخترقها آبار التهوية .. فالبئر الأولى عند فم القناة بعمق حوالي /٣م/ ومقطعها مربع / ١*١م/ ويبدو البناءُ حول فوهات الآبار فوق سطح الأرض ولا تبدو تغطيتها .. ويزداد عمق الآبار مع التقدم فالبئر الثانية يبلغ عمقها حوالي /٧م/ والثالثة /٨م/ .. أما الفوهة الأخيرة فالبناء حولها مرتفع وجرى إغلاقها ويبدو أنها الأكثر عمقاً.. وهكذا يظهر على سطح الأرض فوهاتٌ لـ / ٦ آبار / تهوية شاقولية مؤدية إلى القناة (صورة ٣) .. لكن القناة ستتكشف بعد ذلك، فهي محمولة فوق قناطر في (بعيدتين) ومنكشفة في (باب الله)، وتمت تغطيتها بالحجارة التي أعدت لذلك منعاً للتلوث والتبخّر، إلا بعض المواضع للشرب والتنظيف .

استغرقت الإنشاءاتُ والترميمات التاريخية الكبرى التي تمت في القرن السابع الهجري على شبكة القنوات خارج المدينة ودخلها / ٥٨ يوماً/ وهي فترة قصيرة في انجاز هذا العمل الضخم أي حوالي /٣أيام/ لكل / ١كم / . وكان ابن شداد صاحب كتاب الأعلام الشهير قد وصف أشكال ظهور أو غياب القناة في باطن الأرض حسب طبوغرافية الأرض، فالقناة رفعت على قناطر في منطقة وادي جهنم، وعند باب الله تكون مكشوفة أحياناً وباطنية أحياناً .. وعند أول نقطة من دخول المدينة عند باب القناة (باب الحديد) ذكر أنها كانت مكشوفة ثم تصبح باطنية بشكل كامل.. المقطع العرضي للقناة مستطيل /٥,٥ * ٢م/، جدرانها مغطاة بالحجارة (شكل ١ و٢) .. وقعرها مرصوف ببلاطات من الحجر العريض متصلة.. أثارها واضحة إلى اليوم.. غير أنها مهمله ..

تتخذُ هذه القنواتُ المائية صفة الشبكة الشاملة وظيفياً ومعمارياً، فهي من بين القنوات السابقة تحملُ وضعاً معمارياً مميزاً حين تدخل المدينة، فبعد أن تروي البساتين والأراضي الممتدة بين حيلان وحلب ضمن وظيفة إروائية مدروسة، تدخلُ المدينة لتتسكّل عبر سربانها الكثيف العشرات من نقاط التغذية ولا تلبث أن ترتفع عليها تلك الكياناتُ المعمارية – المائية المميزة أي (القساطل) لتؤمن كمياتٍ مائية كبيرة للاستهلاكات المدنية المختلفة بما فيها (مياه الشرب) ..

ولعل أوسع وأشمل تغذية مائية حدثت في المدينة كانت في بداية القرن السابع الهجري في عهد الملك الظاهر غازي (٦٠٥ هـ - ١٢٠٨ م) حيث تم بناء وترميم وتمديد شبكة واسعة من القنوات تتفرع داخل المدينة لتغذي القطاعات السكنية والاقتصادية، فوجدت القساطل في كل مكان داخل المدينة وعند مداخل أبوابها وفي الساحات الداخلية للأحياء، وشكلت إحدى الخصوصيات البيئية والمعمارية للمدينة. بُنيت القساطل على شكل أحواض تستمد الماء بواسطة أنابيب من القناة، وهي مسقوفة بقباب ومزودة بالأقواس والأعمدة والزخارف أحياناً.

إنجاز شبكة القنوات في القرن ٧ هـ

يبدو أن أحد العوامل التي ساعدت في أن حلب حافظت على بقائها التاريخي المديد كان تأمين الماء لها واستمرار ذلك في العهود المختلفة واستمرار صيانة الشبكة وتوسيعها..

ولدراسة هذه الشبكة المائية قمتُ بإعادة تصنيف النص التراثي الذي أسهب في تفاصيل هذه الشبكة عند ابن شداد (٣) في كتابه "الأعلاق الخطيرة" وتنبيته على مخطط متوال بحيث تظهر القنوات وتفرعاتها بشكل واضح وقمتُ بترقيمتها من القناة الرئيسية إلى القنوات الفرعية النهائية والتي تنتهي عادةً بقسطل أو حوض أو بركة، وقد وصل الترقيم في التفرعات النهائية إلى الرقم (٦) (شكل ٣ والجدول ١).

قام ابن شداد بعملية تاريخية نوعية للقنوات.. وكذلك لباقي تكوينات المدينة.. (و) الأعلام (٤) ليس من أهم مؤلفاته وحسب.. بل هو من أكثر المؤلفات التاريخية البلدانية تميزاً وعلمية، فنجذ في قراءتنا المعاصرة لهذا الكتاب تاريخاً لـ (التضاريس) و(السهول) و(الوديان) .. كما نجد أيضاً ذلك التاريخ الثقافي العميق لـ العمارة.. فأبدع نصاً تاريخياً يصح أن نقول بأنه جديد في زمانه لكونه حقق التسجيل الهندسي بالأرقام والأبعاد مثلما حقق حضور الرؤيا الفنية المعمارية مما يمنح هذا النص أيضاً سمة التاريخ الأثري.

التقنيات المتبعة في الأعمال التمهيدية والتأسيس

عُرِفَت هذه التقنيات تاريخياً في التأسيس والإنشاء لهذه القناة التي تتضمن مع تقنيات تنفيذها إلى البنية التحتية، فقد تطلب التأسيس لها - عوضاً عن المستوى الرفيع في المعارف التقنية والإدارية -الأخذ بعين الاعتبار الظروف الهيدرولية والمناخ وطبيعة التربة، بحيث تطلب خبرة تاريخية أوصلت إلى هذا النظام الأمثل بالنسبة لظروف مدينة حلب.. فطبيعة التربة والمناخ والوضع الطبوغرافي كل ذلك كان له دورٌ في تطبيق أنظمة ري ملائمة لظروف معينة ..

تميزت قناة حيلان كغيرها من قنوات هذا النظام المائي بوجود البئر الأم .. ولمعرفته لجأ المهندسون والقناؤون وخبراء الترب في ذلك الزمان إلى حفر آبار تنقيب بهدف اكتشاف آثار تسرب المياه.. وذلك بواسطة حفر مختلف أنواع الطمي.. وتحديد أدنى التغيرات في النبات المحيط .. وحين تم الوصول إلى طبقة الأرض الكتيمة تُركت



البئر لعدة أيام، وهي الفترة التي يحدد فيها المهندس المردود الكامن للبئر.. وذلك بواسطة أخذ بعض الكميات المقاسة من الماء، وفي الوقت نفسه من خلال مراقبة الانخفاضات المحتملة لمستوى الماء، وإذا لزم الأمر يتم بعد ذلك حفر آبار أكثر عمقاً بهدف التحقق من أن الحقل الحقيقي القادر على تقديم الماء قد تم العثور عليه، وحينئذ يتم اختيار البئر الأكثر مردوداً كبئر أم.. ولكثير من ذلك سجل ابنُ شداد ووصف وحل فقال " .. فلما كانت سنة خمس وستمئة سير الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين إلى دمشق فأحضر صناعاً، فخرج بنفسه وأوقفهم على أصل هذه القناة التي تخرج من حيلان . وأمرهم باعتبار الماء الخارج منها واعتبار ما يصل منه إلى حلب، فاخبروا ذلك، فرأوا مقدار الماء الخارج من أصل القناة مائة وستون إصبعاً، ووصل إلى حلب منها عشرون إصبعاً لا غير، وضمنوا له أ يكفوا جميع سكك حلب وشوارعها وأدرها ومدارسها وربطها وحماماتها ويفضل شيء منه " (٥).

فالأعمال التمهيدية التي تمت لتوسيع وإنشاء هذا التكوين المائي الذي يعتبر بنية تحتية منذ ثمانية قرون كانت:

- تحديد نقاط تغذية هذه القناة من ينابيع حيلان على بعد ١٢ كم/ شمال حلب وإلى الشرق قليلاً على الضفة اليسرى من نهر قويق .. كانت القناة تتلقى مياهها من ثلاثة أحواض مغلقة وسط حوض طبوغرافي ضيق .. - أما الآن فأضحت حيلان قرية قاحلة لا ينابيع ولا برك .. في حين كانت البرك لا تزال موجودة في منتصف هذا القرن الماضي -..
- من الأعمال التمهيدية كذلك تحديد ارتفاعات الماء في القناة عند المنابع وعند وصول القناة إلى حلب. في مبدأ القناة عند حيلان حيث وجدوا ارتفاع الماء / ١٦٠ إصبعاً / وعلى طول القناة تحدث ضياعات مختلفة نتيجة الاحتكاك والتبخر والتسرب بسبب تخربها في كثير من المواقع، فكان ارتفاع الماء عند باب القناة نقطة دخول القناة إلى المدينة / ٢٠ إصبعاً / .
- من الأعمال التمهيدية في القناة والتي ذكرها ابن شداد : بناء القناة كاملة من حيلان إلى حلب بإشراف الأمراء وذلك لانجاز العمل بدقة وكفاءة ولتحقيق ذلك بأقصر وقت ممكن ..
- وتم تنفيذ أساسات المجرى المائي والأحواض بشكل حصيرة من الركة على كامل المساحة، وتشكلت مادة الحصيرة من (تراب +كلس + قصرمل) حيث يُضاف الكلس بنسبة محددة من حجم التراب والقصرمل تؤدي لاعطاء الكتامة المطلوبة، ثم تُرص جيداً على طبقات وكان يتم الرص باستخدام المهدة لرص الأحجار الكبيرة والشاقوف لرص الركة، ثم تُبنى الجدران. (١)

أعمال بناء القناة قبل دخولها المدينة

بعد أن تمَّ تحديد مسار القناة بدأت عمليات الحفر لتشكيل الأنفاق، وأثناء ذلك يقوم عددٌ من العمال بحفر آبار التهوية فوق عمال النفق .. ويقوم آخرون برفع البقايا إلى سطح الأرض بواسطة هذه الآبار، ويبذل الحفار جهده كي يكون النفق على خط مستقيم

من خلال النظر إلى تطابق ضوء قنديلين. وقد ذكر الكرجي المهندس والعالم العربي ومنذ القرن الخامس الهجري كل هذه الاجراءات والآليات التنفيذية بتفاصيل هندسية ومساحية..^(٧)

مواد البناء للأقنية هي الكلس والحجارة والزيت والأجر وتُعطى بصفائح الصخر .. وينقل الغزي عن ابن الشحنة عن ابن شداد أن " قناة حلب سُدَّت سنة ٦٠٥ هـ فاستحضر الملك الظاهر غازي صناعاً من دمشق .. وحمل إليهم الكلس والزيت والحجارة والأجر فأصلحت جميعاً "^(٨)

تمتد القناة محفورة في الصخر بعمق ٦- ٨ م / وممر القناة يستطيع أن يسير فيه إنسان .. وذلك إلى أن تعبر باب الحديد (باب القناة) في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة فتتجه إلى جامع المستدامية حيث أُقيم مصرف توزيع (قالب) من الحجر البازلتي يُسمى الحجر الأسود (شكل ٤) مما يلاحظ في إنشاء هذه القنوات :

- التدرج لتقليل الميل.
 - الحجرة البازلتية للتهديئة والتوزيع والاستفادة من قساوة البازلت لمقاومة القفزة المائية.
 - التفرعات الثانوية للقناة حيث تتشعب في الدروب القديمة. والمرحلة الأخيرة (وهي مرحلة متأخرة أضيفت لاحقاً) منها تتشكل من أنابيب من الأجر بقطر ١٠م، وطولها ٣٠م متصلة بواسطة اللاتونة (رمل + كلس خاص + جبس + زيت) كمادة عازلة ورابطة، وهي المادة التي يستخدمها القنوتاي لمنع تسرب المياه عند وصل الأنابيب ..
 - ونلاحظ في جامع المستدامية أنَّ طباق القبو الذي فيه مصرف التوزيع قد عُقد فوقه بالأقواس فهذا جزءٌ من القناة وليس أساسات قوسية..
 - بقيت عمليات تدعيم المنشآت المائية في حلب وحتى بداية القرن العشرين تستخدم الحجر والقصرمل والكلس متبعة بعض القواعد :
 - إذا كان الحفر في تربة رخوة يتم التدعيم بالخشب.
 - يتم وضع القنب في الخلطة لزيادة الكثافة والتماسك.
 - تتم زيادة الرص وبذلك تقل النفوذية وتزداد الكثافة.
- يذكر ابنُ شداد " ثم قسم ذلك قطعاً على الأمراء، وأضاف إليهم صناعاً وفعلة، وحمل إليهم الكلس والزيت والحجارة والأجر فأصلحت جميعها، وكانت منكشفة لا سقف لها، فقطع الطوابيق من الصخور الصلبة، وطبقها جميعها إلا مواضع جعلها يرسم تنقيتها وشرب الماء منها وأجري جميع المجرى إلى باب حلب في ثمانية وخمسين يوماً "^(٩) .



يكون عادة الميل الطولي لمثل هذه القنوات بين ١/٥٠٠ و ١/٢٥٠٠ .. والميل الطولي لقناة حيلان هو / ٠.٤٨ / لكل ١ كم / أي حوالي ١/٢٠٠٠ وهذا الميل غير موزع بانتظام على طول القناة بسبب اختلاف سماكة الترسبات .. حين تكون القناة مكشوفة يكون مقطعها مستطيلاً / ٢*٠,٥م / وحين تختفي داخل الأرض على أعماق تتراوح بين / ٦-٨م / داخل الصخر والتراب فإن عرض القناة في بدايتها عند حيلان حوالي / ١م / وبعمق / ١,٥م / وأعماق آبار التهوية تتزايد حتى البئر السادس وتتباعده هذه الآبار بمسافات تتراوح بين / ٢٠ - ٢٥م / . وقد بنيت جدران القناة من الحجارة المدمكة التي سويت أطرافها وسطوحها (الصورة ٤) ورصف القاع ببلاط متلاصق وحين أصلحت القناة قبل ثمانية قرون جرت تغطيتها ببلاط عريض نستطيع مشاهدته حتى الآن من خلال آبار التهوية المتبقية في قرية حيلان.

أعمال الصيانة في شبكة القنوات

كانت القنوات تنظف في شهر أيار بأمر من القاضي، وكان ذلك يستغرق من / ٨ - ١٠ / أيام تُقطع المياه في هذه الفترة، وتزود المدينة بالمياه بواسطة الخزانات أي الصهاريج وهذا أمرٌ قائم في ذاكرة المدينة. غير أن الأخوان راسل سجاله (١٠) .. وقد اعتنت النصوص التراثية بأمر صيانة هذه القنوات، فقد ذكر الكرجي فصلاً كاملاً عن صيانة وتنظيف القنوات والأدوات المستخدمة في ذلك .. وطرائق هندسية مختلفة لتحديد الأماكن المُنسدة فكانت خطة الصيانة والتنظيف بالشكل التالي :

- تنظيف وكسح القناة خصوصاً مداخلها.
- إغلاق فوهات آبار التهوية بالأجر أو الحجر، وتُرفع جدران هذه الآبار ببناء فوق سطح الأرض ويلاحظ ذلك في آبار التهوية العائدة لقناة حيلان .. وذلك يحفظها من التلوث الخارجي .
- يقوم عادة بهذه الأعمال موظف اسمه التراثي (المتفقد) ويسمى في حلب (القنواتي) يقوم على مراقبة القناة وصيانتها وتفقدتها.
- تنظف القناة كل سنة من الرواسب، وفي حلب كان يتم ذلك في شهر أيار .
- كما هناك نصائح لفتح المياه المسدودة من أهمها: جرف الرواسب إلى قرب المكان المسدود، فتترك أياماً فيزول السد وينفتح الماء .. يحدث ذلك بسبب اكتساب الماء سرعة في الجريان بعد تنظيف القناة فيأخذ في تفتيت السد المتشكل شيئاً فشيئاً .
- أما إذا كان ماء القناة غزيراً مرتفعاً في آبارها فإنه يتم تحديد الانسداد بشكل تقريبي ثم يُحفر نقب يوصل إلى مكانه من خارج منطقة النقب الأصلي، وبواسطة خشبة مجهزة برأس حادة يتم تفتيت الرواسب وإخراجها.
- كذلك إذا كان ارتفاع الماء كبيراً فيحاول القنواتي معرفة مكان الانسداد من آبار التهوية فيعمل على إخراج الطين من فوهة البئر.
- تسهيلاً للعود والنزول تُركت فتحات متقابلة في الآبار لتشكل درجاً.

قراءة في المسقط الأفقي للشبكة داخل المدينة

نستطيع أن نتابع مع هذا النص في (تاريخ الهندسة) المسقط الأفقي للشبكة داخل حلب في القرن السابع الهجري^(١١) من المخطط النصي نلاحظ أنّ القناة تتفرق إلى ثلاثة أقسام رئيسية (بداية القرن ٧ هـ): فرعٌ يتوغل داخل منطقة باب أربعين، وفرعٌ يتجه إلى كنيسة اليهود والسويقة والبلاط، وفرعٌ يتوغل داخل الأسواق القديمة والجامع والجلوم وباب قنسرين (شكل ٥).

تدخل القناة المدينة عند باب الحديد " باب القناة " ثم تتجه إلى باب الأربعين المنذر. على (الفرع ١) أقيم القسطل الأول على شبكة القنوات، وقد وصفه ابن شداد على نحو دقيق (شكل ٦) "وصورته حوض طوله عشرون ذراعاً ، في رأسه الشرقي والمغربي قبتان في وسطهما كالصهريجين ، لكل واحدٍ منهما أنبوب مقدار الإصبع فيفيض ليلاً نهاراً . وولي عمارته فخر الدين موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار المصري . ثم ساق هذه القناة إلى داخل باب الأربعين".

إذن فهذا القسطل عبارة عن منشأة مائية صغيرة تأخذ الماء من القناة التي يبني القسطل عادة فوقها بحيث يسمح للناس بتناوله بسهولة ويستمد المياه من القناة عبر حوض مغلق كان يبني خلف القساطل يُملأ ماءً باستمرار من القناة ويغذي الأنبوبين المذكورين اللذين يتدفقان بالماء إلى حوض كبير أسفل القسطل كان يستعمل لشرب الدواب.

وأما في (الفرع ٢) الذي يتغلغل داخل باب أربعين متجهاً إلى بحسيتا فكان فيه ثلاثة قساطل يبعد الواحد عن الآخر / ٣٠٠ ذراع / أي حوالي / ٢٠٠ م / ويمكن أن نستنتج أن هذا الخط من القناة طوله حوالي / ٥٠٠ كم / وأنّ هذه القساطل غطت المنطقة في أولها ومنتصفها، وبدءاً من هذا القسطل وإلى بحسيتا بُني هناك قسطلان أيضاً.. إذن يحتوي هذا الفرع على سبعة قساطل أكبرها الذي أمام باب النصر.

وفي الفرع(١) المتجه من باب القناة وإلى باب أربعين ومنه إلى القطاع الأسواق، فيجتمع الماء في منطقة قرب أسواق حلب القديمة حيث تصل إلى القلعة القناة الرئيسية ومن هناك يجتمع الماء إلى حوض مبني تحت الأرض وبدءاً منه تتوزع عدة فروع : (الفرع ٢) يتجه إلى الجامع ويحتوي على أربعة قساطل، الأول في بداية سوق الزرب، ثم قسطلان يغذيان فرعين للسوق عن اليمين " الصاغة " والشمال " حمام دلبة " وهذا يقارب الواقع الحالي - أسماء الأماكن كما وردت عند ابن شداد - وقسطل أخير شرقي الجامع الكبير يأخذ من رأس الصاغة. وبدءاً من هذا القسطل عند شرقي الجامع الكبير تتفرع القناة إلى ثلاثة أقسام (الفرع ٣)) يتجه إلى فوارة الجامع ويغذي خزاناته، أما الفوارة فالمقصود بها بركة المسجد المركزية ومنه إلى أحواض خاصة بالمسجد وتمت المطاهر الغربية التي تقع في مدخل المدرسة الحلوية أمام الباب الغربي للجامع. ومنه (الفرع ٣)) المتجه من الجامع إلى باب أنطاكية ويحتوي هذا الخط من القنوات على أربعة قساطل من بينها القسطل المركزي الكبير الذي ينتهي به هذا الفرع عند



الباب. وهناك فرع يتجه من الجامع نحو باب قنسرين . ثم ننقل إلى المستوى الرابع من الفروع (الفرع ٤ ") ويتجه إلى دار الزكاة وينتهي هذا الفرع إلى بركة وسط الدار . ويلاحظ مدى العناية التي تم إيلاؤها لهذا المكان لأهميته الدينية والاقتصادية، ففي منطقة محدودة بلغ عدد القساطل خمسة. ثم فرع من المستوى الرابع يتجه إلى الخشابين ولا يوجد في هذا الفرع إلا قسطل واحد وصفه نص ابن شداد بأنه تعلوه قبة. وعند هذا القسطل ينقسم الماء إلى قسمين ونغدو في المستوى الخامس من الفروع (الفرع ٥ ") يتجه إلى الزجاجين .. وفيه أربعة قساطل .. وفرع إلى باب قنسرين، وهذا الفرع من القناة يغذي داخل باب قنسرين حيث ما تزال كثير من أسماء الأماكن كما هي. ثم ينقسم الماء هناك ثلاثة أقسام فتتوزع القساطل في هذا الفرع عند النقاط المهمة ومنها عند مسجد المحصب حيث يوجد قسطل، ومسجد المحصب هو مسجد الكريمة الذي ما زال موجوداً في باب قنسرين. ومن هذا المسجد وبدءاً من قسطله كان الماء ينقسم إلى ثلاث قنوات ونغدو في المستوى السادس والأخير من الفروع .

(الفرع ٢ ") وهو أحد الفروع الرئيسية الثلاثة فيتجه إلى باب العراق ليغذي قسماً من جنوبي المدينة، ويسير من غربي قلعة عند المصنعة إلى باب العراق وحسب التحديد السابق يتجه إلى الجنوب ماراً بدار الحديث (حالياً في المحيط المباشر لقلعة حلب) وبدءاً من قسطل دار الحديث ينقسم الماء إلى فرعين .. فرع يتجه إلى باب القطيعة وقلعة الشريف وفيه ثلاث نقاط تغذية (قساطل) ثم تنفرع القناة إلى فرعين من المستوى الرابع (الفرع ٤ ") يتجه إلى حمام القاضي ابن الخشاب .. والفرع الثاني يتجه إلى قلعة الشريف حيث يتغلغل هذا الفرع كثيراً داخل حي قلعة الشريف ويحمل عديداً من نقاط التغذية حيث تتوزع القساطل والبرك .. ثم تتابع القناة مسارها إلى باب الرابية القبلي ومنه إلى كتف الخندق ثم إلى مدرسة سيف الدين بن جنر ويشكل ماؤها بركة في فناء هذه المدرسة، ويتابع هذا المسار إلى جامع أسد الدين، ويتوقف ابن شداد عند ذلك. أعتقد أنه لا بد في هذه الحالة من وجود قسطل أو بركة في فناء هذا الجامع.

أما الفرع الثاني الذي يتفرع من قسطل دار الحديث فهو (الفرع ٣ ") ويتجه إلى باب العراق خارجاً من السور .. وداخل الباب تماماً كان يوجد قسطل . ثم تخرج القناة خارج الأسوار من شمال الباب حيث يوجد حوض مركزي كبير تغذيه ثلاثة أنابيب من القناة. ثم تتجه القنوات إلى المدرسة التي جدها الملك الظاهر وبنى فيها التربة ويشكل الماء هناك بركة. وتوجد حالياً المدرسة والتربة وهي المدرسة الظاهرية البرانية وتربة بناها الملك الظاهر غازي سنة ١٢١٧ م - ٦١٠ هـ في حي الفرودس . وبدءاً من هذه البركة ينقسم الماء إلى فرعين أحدهما يتجه إلى خان السبيل.

أما الفرع الثالث الرئيسي الذي يتفرع من المصنعة التي أمام أسواق حلب (الفرع ٢ ") فيتجه من المصنعة إلى كتاب الأسود وما يليه .. وتتابع القناة نحو باقي النقاط المهمة. وبدءاً من قسطل الاسفريس ينقسم الماء إلى فرعين أحدهما يتجه إلى مسجد الجبلي والثاني إلى عمود العسر. ثم القسم الثالث الأساسي من القناة وهو فرع من المستوى الأول (الفرع ١ ") فيتجه من باب أربعين نحو كنيسة اليهود، ويبدو أن هذا

الفرع يحتوي قسطين أحدهما عند المدرسة العسرونية والثاني عند كنيسة اليهود. يتفرع بدوره بدءاً من قسطل الكنيسة إلى فرعين أحدهما يتجه إلى السوق ويتفرع بشدة وكثافة داخلها، وكان في هذا الفرع ثمانية قساطل بينها قسطل مركزي كبير. والفرع الثاني يتجه إلى البلاط وما يليه وفيه ستة قساطل في داخل الدروب وأمام المسجد وأمام دار الملك.

من هذه القراءة للمسقط الأفقي لشبكة القنوات داخل المدينة حتى بداية القرن السابع الهجري نلاحظ :

- أن عدد نقاط التغذية (داخل المدينة) بلغ ٧٧ قسطلاً وبركة توزعت في جميع أحياء المدينة آنذاك .
- تركزت شبكة توزيع المياه في شمال وغرب وجنوب المدينة وتكاثفت بشكل كبير في منطقة الجامع الأموي والأسواق والجلوم والعقبة وقلعة الشريف أي في القطاع المركزي الاقتصادي.
- وشكلت شبكة هذه القنوات سجلاً من التفاصيل في تقنيات الإنشاء والترميم والصيانة .. وذلك كتكوين شاسع شكّل بنية تحتية في حياة مدينة وريفها، وكتفاصيل إنشائية من حيث اندراجها في نوع إنشائي يحتاج إلى عمليات ومعالجات خاصة لكونه منشأة باطنية في أجزائه التي تقع داخل المدينة وفي كثير منها خارج المدينة أيضاً. وحتى توقف القناة عن أدائها في خمسينيات القرن الماضي يكون عمرها قد أصبح عشرين قرناً خضعت خلالها لعدة ترميمات وتوسيعات وإضافات كان أهمها ترميمات القرن السابع الهجري التي وثّقها ابن شداد جاعلاً من كتابه نصاً في تاريخ الهندسة وتفصيلها المختلفة.

شبكة توزيع المياه حتى منتصف القرن العشرين

بينما كانت شبكة توزيع المياه من قناة حيلان في القرن السابع الهجري تغطي تغطي الجهات الغربية والشمالية والجنوبية من مدينة حلب فقط، أصبحت وحتى القرن العشرين تغطي المناطق الشرقية أيضاً وكتلة من الأحياء الجديدة التي نمت خارج الأسوار في الشمال (قسطل مشط - قسطل حرامي - الصليبية - الهزازة - العزيزية - بستان كل آب - الصاجليخان - شاكر آغا - الصفاة) والخريطة المرفقة تظهر شبكة توزيع المياه في مدينة حلب من قناة حيلان حتى منتصف القرن العشرين.

أ - الفروع الخمسة الأولى التي تغذي الأحياء الجديدة

تتفرع هذه الفروع عن القناة الرئيسية قبل اجتياز السور لتغذية الأحياء الجديدة التي نشأت خارج الأسوار وسُميت هذه الفروع بـ (النظم) (شكل ٧) وهي :

- نظام برد بك:
- يلاحظ في الزاوية الشمالية الشرقية من الخريطة ويغذي الأحياء الشمالية خارج الأسوار وهي (قسطل الطويل - شرعوس - قسطل مشط - سوق الأحد -



- قسطل حرامى – قسطل البشير – بحسيتا – بوابة القصب – باب الفرج – المصابين – باب الجنان).
- نظام على بك :
- وكان يقع فى أقصى شرق المدينة ليغذى الأحياء الشرقية منها مثل (قارلق – الفرايين – قاضى عسكر – قسطل على بك – القطانة – البانجك) .
- نظام عز الدين :
- يقع فى الشمال الشرقى ويغذى الأحياء (الدالين – الصفا – الزعترى – الأوزالية – قسطل أغيور – الماوردى – حمام ألمه جى – جامع الميدانى).
- نظام القطانة:
- يقع فى شرق المدينة ويغذى جزءاً آخر من أحيائها (قسطل جاويش – بنقوسا – البكره جى – جب قره مان – القطانة – الضوضو – ساحة حمد) .
- نظام المرعشلى:
- شمال سور المدينة ويغذى (باب الحديد – العريان – المرعشلى – سوق النحاسين – قسطل تراب الغربا – ساحة التناير – حارة المحب)^(١٧) .

جدول ٢)

فروع القناة داخل أسوار المدينة

- من مقسم المستدامية تتولد ٤ / قنوات ثانوية يمكن متابعتها على الخريطة (الشكل ٧) وهي تزود الأحياء :
- القناة (١) :** ساحة بزه – قلعة الشريف .
- القناة (٢) :** باب المقام – المغازلة – المعادى – الفردوس .
- القناة (٣) :** القصيلة – حارة البستان – حارة العجم – الدحدلة .
- القناة (٤) :** باب النيرب – ساحة حمد – الصفصافة – برية المسلخ .

الفرع الرابع فرع جديد أما الباقية فكانت موجودة منذ القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وكتلة هذه الأحياء فى جنوبى القلعة. إذن مقسم المستدامية يغذى الأحياء الجنوبية يسمى هذا الحجر بالحجر الأسود لأنه مبنى من الحجر البازلتى ، قطر فتحته ١٧/سم وعمقه ٢٠سم/ يُحوّل هذا المقسم ٣/١ التدفق نحو القنوات الثانوية الأربعة، أما الثلثان الباقيان فيتابعان إلى القناة الرئيسية التى تتجه إلى السطح الشمالى الغربى للقلعة لتغذى مجموعة من الفروع الثانوية تخترق كتلة الأحياء فى غرب القلعة وشمال غربها وجنوب غربها وهي عشرة فروع (فرع يغذى داخل باب النصر وفرع يغذى الفرايرة وفرع يغذى العثمانية .. ثم فروع تغذى حسين جليى وقسطل حجارين وحارة أسد الله وبحسيتا وبندره اليهود وبندره الإسلام وسويقة على وخان الوزير وسويقة حاتم والجامع الكبير والسفاحية وباب قنسرين وباب أنطاكية والبيونة وجامع العادلية ..) .

وإذن مجموع الفروع الثانوية / ١٤ فرعاً / مبنية من الحجر بأبعاد القناة الموضحة سابقاً، أما الفروع الأصغر (الثالثة) فيبدو أنها كثيرة جداً وكانت تتجه إلى الحارات الضيقة ومسكن الأهالى. وطبيعة الفروع الثالثة أنها عبارة عن أنابيب فخارية وهي

وحدات بطول /٣٠سم / قطر / ١٠ سم/ يجري إدخالها بعضها ببعض وتكسى الوصلة باللاقومة (أو اللاتونة) وتركيبها (كلس + زيت + ألياف القطن بنسبة ٦٧%) رطل زيت + ١,٥ رطل زيت) تطمر هذه الأنابيب داخل الأرض على عمق حوالي /٥٠سم/ أخذة الميل الطبيعي للأرض.

نظام توزيع المياه حتى منتصف القرن العشرين

التفرعات النهائية للشبكة داخل المدينة تتكون من شبكة من الأنابيب الفخارية، تتوزع بينها وكل حوالي / ٥٠م / أعمدة التوازن وهي عبارة عن عمود مبني في زوايا المنازل، أو داخل أحد الجدران ارتفاعها بين / ٢ - ٦ م / وذلك حسب ارتفاع النقطة المطلوب تأمين المياه إليها عند المنخفض. يخترق هذه الكتلة البنائية الشاقولية عدة مجاري عمودياً، وتتصل عند القمة بواسطة صنادير دائرية (متعددة الاتجاهات) ومع ازدياد الحمولة يرتفع الماء داخل هذه المجاري ليتدفق باتجاه فرع جديد، تنسكب المياه الفائضة من هذه الأنابيب إلى حوض يسمى بـ (الفائض) ولمجموعة الأعمدة التوازنية أو القوائم في هذه الشبكة وظيفة كسر الحمولة في شبكة التوزيع (الشكل ٨) فحين يوجد قائم هناك احتمالان :

١- أن الأنابيب الصاعدة داخل القائم هي بداية لتفرعات جديدة متلقية قيمة

معينة من التدفق حسب إغلاق أحد المجاري الشاقولية وفتح الآخر.

٢- أما حين يوجد القائم في نقاط حيوية من المدينة (باب المدينة - جامع

- تقاطع طرق - ساحة داخلية) فإنه يتحول إلى قسطل . والشكل

يظهر قوائم وطريقة عملها.

فهذه المجاري الشاقولية تستوعب ارتفاع حمولة الماء فيرتفع الماء داخل إحداها ويهبط الماء من جديد بمجرى آخر . إن وجود مثل هذه الإجراءات الإنشائية في الشبكة المائية يكشف عن حس هيدروليكي حقيقي عند مصممي هذه الشبكات المائية.

توزيع المياه خارج الأسوار وداخلها

توزع المياه عبر تفرعات ثانوية بواسطة موزعات جانبية تسمى قلاب تعبر إليها مياه القناة عبر (الفرض) وهو فتحة دائرية لها ارتفاع وقطر محدد حيث تفتح هذه الفروض في زمن معين . والفرض " أي شيء تفرضه فتوجهه على إنسان بقدر معلوم.. وفرضة النهر : مشرب الماء منه .. والفرضة التلثة التي تكون في النهر" ^(١٣) ويبدو أن الفرض من المعاني السابقة حصة مفروضة محددة من الماء . أما القلاب فهو بلاطة حجرية عريضة لها نفس ثخن جدار القناة متعامد مع طول القناة ويتدفق الماء من القناة إلى القلاب عبر الفرض بتحديد مدروس لكمية مياه خلال زمن معين (الشكل ٩) . تغلف فتحة الفرض من الداخل بأنبوب حديدي يسمى (طوق) ولا شك أن هذه الفروض الأنابيب أنشئت في مرحلة متأخرة من إنشاء القناة تنتقل المياه عبر الفروض إلى فروع جوفية تصل إلى البيوت تملأ خزانات تسمى آباراً فتمتلئ وتفيض إلى البئر التالية، أما



فى الجوامع والحمامات فتنتهى الفروع الأخيرة إلى خزانات حجرية كبيرة مركزية أو فى زوايا الصحن الخارجى للجامع .. وتنتهى أحياناً هذه الفروع إلى قسطل .
إذن داخل المدينة كان يتم الحصول على المياه بطريقتين :

١- عن طريق القساطل والسبلان العامة وهى الطريقة القديمة لتناول ماء القناة وعرفت على الأقل بدءاً من القرن السابع الهجرى .. (الصور ٥ - ٦ - ٧ - ٨) .

٢- الحصول على ماء القناة بواسطة الفروض التى تؤدى إلى قنوات فخارية ومن ثم إلى المشترك الذى يمتلك صكاً، وهو عبارة عن حجة ممنوحة من السلطان أو المحكمة الشرعية بحلب .. يحدد هذا الصك مقدار المآخذ وزمن التوزيع وأسماء أصحاب الحق .ز وحتى بداية القرن العشرين لم يعد شيئاً من هذه الصكوك موجوداً .

عثر الدكتور مظلوم فى بداية القرن العشرين على إحدى هذه الوثائق من المحكمة الشرعية فى حلب وتعود إلى سنة / ١٧٠٣م/ تعدد أصحاب الحق فى القناة ومقدار حصصهم والشكل يحدد نموذجاً من هذه الاستحقاقات يتحدد حق كل مستفيد بأبعاد مأخذه وزمن فتحه (الشكل ١٠).

٣- بعض المآخذ تستفيد من جريان مستمر وهى التى سميت بالنظم التى تغذى الأحياء خارج الأسوار .. والنوع الثانى يتلقى جرياناً متقطعاً (العذانات) وهى تفرعات ثانوية وثالثية تخترق أسوار المدينة إلى داخلها والجدول المرفق يعرض للنظم ونوعية مأخذها وأبعادها وموقعها والأحياء التى كانت تغذيها .

٤- وخارج المدينة يقتسم المزارعون مياه القناة مع تسجيل أصحاب الحق فى المحكمة الشرعية وكانت تقع خلافات بين المستهلكين الزراعيين والمستهلكين المدنيين خاصة فى فترات الجفاف .. وخلال هذه الفترات كان يخصص / ٣ أيام / لتزويد المدينة و/ ٤ أيام / لري البساتين ووفق المساحات المروية.

إدارة القناة

كان يدير القناة حاكم المدينة يعاونه مجلس الشيوخ والأعيان، وكان المجلس الإدارى فى حلب يعقد جلسات خاصة لحل مشكلات المياه وتوزيع تدفق القناة بين استهلاك المدينة وري البساتين .. وكان ذلك قبيل القرن العشرين، وفى بدايته القرن شكّلت (لجنة مياه قناة حيلان) بالقرار رقم / ٢٢ فى ١٤ / ٥ / ١٩٣٣/ الصادر عن والى حلب، يترأس هذه اللجنة رئيس البلدية والأعضاء الذين يمثلون الفعاليات الخدمية فى المدينة وكذلك الجهات والأشخاص المستفيدين. دور هذه اللجنة توزيع المياه وتسوية الخلافات وصيانة القناة، وكان يقوم بمهمة الإشراف على توزيع حصص المياه وفتح الفروض وإغلاقها (القنوياتية) وهم أشخاص ينتخبون من قبل الأهالى والمستفيدين.

الري من القناة خارج المدينة

خارج المدينة ولأجل ري البساتين تنتقل المياه من القناة عبر الفرض إلى قناة ري البستان تُسمى (عَدَان) ثم إلى الأراضي الزراعية، أو تنتقل المياه عبر الفرض إلى برك تحفظ المياه لتسقى بها الأراضي فيما بعد .. وكانت هذه البرك حتى أوائل القرن العشرين تُقام حولها الفيلات وتغرس الأشجار مشكلة جواً رطباً منعشاً مثل أحواض الباشا في بستان الباشا ..

أما حين يكون منسوب البستان مرتفعاً فتوجه المياه إلى حوض مجاور ثم ترفع إلى البستان بواسطة ناعورة ذات غرافات تدعى دولاب (الصورة ٩) ، وما زال عدد من الدواليب موجوداً في المنطقة.

إن طريقة توزيع المياه السابقة تتميز بأنها دورية لكل زمن محدد وكمية محددة، وهذه الكمية المائية غير منتظمة بسبب تغيرات التدفق في القناة لأسباب عدة منها تبدل تدفق الينابيع مما يؤثر على التدفق المرافق للمأخذ وهذا يؤدي إلى أن منسوب ماء القناة أدنى من منسوب المأخذ فيؤدي أحياناً انخفاض التدفق إلى فرض أو مأخذ مكشوف.

لأجل تقدير المياه الموزعة لكل بستان يعتمد على تحديد الزمن الذي ارتبط بزمن الصلوات الخمس فيعطى المأخذ أو الفرض زمناً مثلاً من المغرب إلى الفجر، ويغلق من الفجر حتى المغرب. ومن المعلوم أن هذه الفترات تتغير تبعاً للفصول وتتغير من يوم إلى يوم تارة لصالح مستقيدي الليل وتارة لصالح مستقيدي النهار فتطول أحياناً فترات النهار وأحياناً بالعكس فترات الليل، تدعى هذه الفترة المخصصة بفتح مأخذ لإحدى قنوات ري البساتين بـ (عدان) كما تدل الكلمة نفسها على قناة الري الخاصة ببستان أو بيت . إن تحديد الزمن بالطريقة السابقة يتبع المساحات المزروعة.

تظهر آثارُ القناة خارج مدينة حلب وبدءاً من قرية حيلان فهي مجموعة من آبار التهوية وقناة باطنية وأجزاء ظاهرة وكلها تعاني من الإهمال والقمامة وهجوم الأعشاب والأشواك .. وبالرغم من ذلك فقد شاهدتُ بناءً عتيداً وقوياً في هذه الآبار وهي تحتاج إلى احتياطاتٍ إنشائيةٍ إضافيةٍ لمنع تدهم جدرانها وانسدادها .. وصيانة ما تبقى من القناة الباطنية وتوثيقها.



الهوامش

- (١) الأفلج : جمع (فلج) اسمٌ عربي أطلقَ على هذا النظام الماني – المعماري من القنوات .. ويُرجح أن تاريخها يعود إلى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ..
 - (٢) البئر الأم هي البئر الأولى من مجموعة آبار التهوية المؤدية إلى القنوات .. وهذه البئر تتلقى المصدر الأساسي لمياهها.
 - (٣) ابن شداد عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم .. توفي / ٦٨٤ هـ – ١٢٨٥ م / ودُفن بالقاهرة .
 - (٤) ابن شداد عز الدين بن محمد بن علي بن ابراهيم ، الأعلق الخطيرة . حققه يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة – الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
 - (٥) الأعلق الخطيرة ج١ / المصدر السابق ص٣٤٢ .
 - (٦) البنية التحتية للمنشآت في التراث العلمي العربي . ميادة ضاي . جامعة حلب – ٢٠٠٣ ص ٢٦٣ (رسالة دكتوراه).
 - (٧) إنباط المياه الخفية . أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي . تحقيق ودراسة بغداد عبد المنعم – القاهرة – جامعة الدول العربية – ١٩٩٧ .. وقد قدم هذا الكتاب شرحاً تفصيلياً مساحياً مدهشاً لآلية التي كانت تحفر بها مثل هذه القنوات والإجراءات الوقائية المتخذة لأجل حماية البنائين. (الكاتبة) .
 - (٨) نهر الذهب في تاريخ حلب . كامل الغزي . بتحقيق الأستاذ محمود فاخوري والدكتور شوقي شعث . دار القلم العربي – حلب – ١٩٩٩ .
 - (٩) الأعلق ،المصدر السابق ، ص٣٤٢ .
 - (١٠) تاريخ حلب الطبيعي، الأخوان راسل (الكسندر وباتريك) طبع (أول مرة بلندن ١٧٩٤) ت خالد الجبيلي ، ط١، دمشق – ١٩٩٧ . ص٤٨
 - (١١) حلب في أحاديث الماء والجمال . د. بغداد عبد المنعم – وزارة الثقافة – دمشق – ٢٠٠٦ والأعلق الخطيرة (المصدر السابق) الصفحات من ٣٤٠ إلى ٣٤٨ . والدكتور صبحي مظلوم في كتابه :
- Mazlooum, L, ANCIENNE CANALISATION, D, ALEP S.
(LEQANAYE DE HALLAN), INSTITUE FRANCAIS DE DAMAS.
(12) . P7 ,p8 Mazlooum,
 - (١٣) لسان العرب (فرض).
- المصادر والمراجع
- ابن شداد عز الدين بن محمد بن علي بن ابراهيم ، الأعلق الخطيرة . حققه يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة – الجمهورية العربية السورية، دمشق - ١٩٩١ .
 - ابن منظور المصري، لسان العرب. دار المعارف _ القاهرة _ ج.م.ع (بدون تاريخ).
 - راسل الأخوان (الكسندر وباتريك)، تاريخ حلب الطبيعي. طبع (أول مرة بلندن ١٧٩٤) ترجمة خالد الجبيلي، ط١، دمشق – ١٩٩٧ .
 - عبد المنعم بغداد، إنباط المياه الخفية. أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي . تحقيق ودراسة – القاهرة – جامعة الدول العربية - ١٩٩٧ .
 - عبد المنعم بغداد، حلب في أحاديث الماء والجمال. وزارة الثقافة – دمشق – ٢٠٠٦ .
 - ضاي ميادة، البنية التحتية للمنشآت في التراث العلمي العربي. جامعة حلب (رسالة دكتوراه).
 - الغزي كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب. تحقيق محمود فاخوري وشوقي شعث. دار القلم العربي – حلب – ١٩٩٩ .
 - Mazlooum, L, ANCIENNE CANALISATION, D, ALEP S.
(LEQANAYE DE HALLAN), INSTITUE FRANCAIS DE DAMAS.
P7 ,p8 Mazlooum,



الطبيب احمد بن محمد البلدي

م.و (احمد نومان) مسير

(الطريفة العامة لتربية ويالى)

d.ahmednoman@gmail.com

المخلص

تناول البحث شخصية الطبيب احمد بن محمد البلدي ، وهو من مدينة بلد التاريخية المشهورة بقدمها على مر العصور التاريخية ، وهو من رجالات القرن الرابع الهجري ، كان خبيراً في صناعة الطب ، ومعالجة المرضى متميزاً جداً في مهنته ، وله مؤلفات في مجال الطب ، ونلاحظ ولتميزه على أطباء عصره ، وتم اختياره من قبل الوزير ابن كلس ، وتم التطرق الى أهم مؤلفاته في مجال الطب ومن أشهرها تدابير الحبالى والاطفال والصبيان ، وكان له تلاميذ يلازمونه كثيراً ومن أشهرهم احمد بن أبي الأشعث والذي كان لديه مؤلفات كثيرة ، وله خبرة في صناعة الطب وتركيب الأدوية ومعالجة المرضى .

Summary

The research dealt with the personality of the doctor Ahmed bin Muhammad al-Baladi, who is from the historical city of Balad famous for its antiquity throughout the historical ages. Doctors of his time, and he was chosen by Minister Ibn Kilis, and his most important books in the field of medicine were discussed, among the most famous of which are Pregnancy Measures, Babies and Boys. And treat patients.

: المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا وشفيعنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى اله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين وبعد :

يروى المؤرخون أن احمد بن محمد البلدي من أبرز أطباء عصره ، وكان له الفضل الكبير في صناعة الطب ومعالجة النساء الحوامل والأطفال والصبيان ، لذا ينبغي علينا كباحثين في التاريخ الإسلامي أن نسلط الضوء على تلك الشخصيات المهمة والتي كان لها الفضل الكبير في إحياء تراثنا العزيز .

وتناول هذا البحث عدة فقرات منها : التعرف باسمه ، وحياته ، وأهم مؤلفاته ، وكذلك أشهر تلاميذه ، ومؤلفات تلاميذه ، والتعرف على شخصية الوزير ابن كلس ، ثم خاتمة ، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة في هذا البحث .

أسمه :

هو الشيخ أبو العباس احمد بن محمد بن يحيى من مدينة بلد^(١) ، كان خبيراً بصناعة الطب^(٢) ، وكان متميزاً في مهنته ، حسن العلاج والمداواة ، وله خبرة في معالجة الأمراض العارضة والأطفال والصبيان والحبالي^(٣) .

حياته :

احمد بن محمد البلدي ، هو من مدينة بلد (بلط) ، وهي اسكي موصل الحالية والقريبة من الموصل في العراق ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري^(٤) ، وكانت النقلة الكبرى في حياته حين ذهب الى مصر والتقى الوزير الأجل أبي الفرج يعقوب بن يوسف المعروف بان كلس وزير العزيز بالله الفاطمي في الديار المصرية^(٥) .

وللأسف لم تسعفنا المصادر التاريخية عن تفاصيل أكثر عن حياته ووفاته ، إلا أنه كان حياً قبل سنة (٣٦٨هـ)^(٦) .

ويبدو أنه كان من الأطباء المتميزين في عصره ، والدليل تقربه من الوزير الفاطمي ، والمعلوم لدى الجميع أن الوزراء أو الولاة أو الحكام يقربون الكفاءات العلمية إليهم بكل تفاصيلها ليعملوا في بلاط القصر ودور الإمارة ومفاصلها .

مؤلفاته :

تذكر المصادر التاريخية إن احمد بن محمد البلدي طبيب ماهر ذو خبرة قل نظيرها ، ليس في مجال معالجة المرضى فحسب ، بل تذكر المصادر أن له مؤلفات قيمة جداً في مجال الطب ومنها كتاب (تدبير الحبالي)^(٧) ، و(الأطفال والصبيان وحفظ صحتهم)^(٨) .

يعد الكتاب هذا من وجهة نظر المؤرخين " أحسن ما كتب في بابه ليس بالنسبة لزمانه فحسب ، بل حتى عصر النهضة الأوربية بسنوات ، لاحتوائه على آراء الأطباء الذين سبقوه وعاصروه ، فضلاً عن حصيلة ضخمة من خبراته وتجاربه وكيفية العناية بالحامل ، وعلم الولادة ومعالجة الأمراض النسائية ، والعناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية ، ومعالجة أمراض مختلفة"^(٩) .

يبدو أنه كان متمرساً عملياً ونظرياً ، والدليل أنه يعالج المرضى ويصف لهم الدواء هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه قام بتأليف الكتب الخاصة بالطب وأعتمد عليها الأطباء الذين عاصروه وسبقوه ، لذلك أنه نجم لامع في الطب يشار إليه بالبنان.



تتجلى عبقرية وعلمية احمد بن محمد البلدى فى كتابه (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان) ، إذ تناول فى الباب التاسع والخمسين العلامات الدالة والمنذرة على الجدري والحصبة والحمى (الجدري الكاذب - الجدري) ، وأعطى لكل مرض من هذه الأمراض وصفاً منفصلاً ، وبين ان المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحمى (١٠) .
ويبدو أن احمد البلدى عمل فى مجال الطب سنوات كثيرة وتميز به ، والدليل أنه اكتشف الأمراض الأخرى وكيفية الوقاية منها ، فالمعروف ان الاكتشافات لا تأتي دفعة واحدة وإنما هو عمل تراكمى وتجارب مستمرة ولسنوات قد تصل عقود لتحقيق انجاز ما ولاسيما فى مجال الطب لارتباطه المباشر بحياة الإنسان .

أشهر تلاميذه :

احمد بن أبى الأشعث : هو أبو جعفر بن محمد بن أبى الأشعث ، كان وافر العقل شديد الرأي محباً للخير كثير السكينة والوقار متفهماً بالدين ، وبارعاً فى صناعة الطب (١١) ، وله مصنفات فى الطب منها : كتاب الأدوية المنفردة ، أمراض المعدة ومداواتها ، تركيب الأدوية ، وكتاب الحيوان (١٢) .

تذكر المصادر التاريخية ان احمد بن أبى الأشعث لم يكن منذ ابتداء عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصوفاً وصودر ، وكان أصله من فارس فخرج من بلده هارباً ، ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع (١٣) .

يروى أنه كان لناصر الدولة ولد عليل فى حالة من قيام الدم والأغراس وكان كلما عالجته الأطباء ازاد مرضه فتوصل الى ان دخل عليه وقال : أنا أعالجه ، وبدأ يريها غلط الأطباء فى التدبير فسكنت إليه وعالجه فبرأ وأعطى فأحسن إليه (١٤) .

يروى ان احمد بن أبى الأشعث كان فاضلاً فى العلوم الحكيمة متميزاً ، وله تصانيف كثيرة فى ذلك تدل على ما كان عليه من العلم وعلو المنزلة ، وكان له كتاب فى العلم الإلهي فى قمة الجودة ، وكان عالماً بكتب جالينوس خبيراً بها متطلعاً على أسرارها وشرح كثيراً من كتب جالينوس (١٥) .

وهو الذى فصل كل واحد من الكتب الستة عشر لجالينوس الى جمل وأبواب وفصول وقسمها تقسيماً لم يسبقه الى ذلك أحد غيره ، وفى ذلك تسهيل كبير لمن يستغل بكتب جالينوس ، حيث يسهل عليه كل ما يلتمسه منها وعلى ما يريد مطالعته ، ويتعرف بكل قسم من أقسام الكتاب (١٦) .

يروى أيضاً أنه فصل كثير من كتب أرسطو طاليس وغيره ، ولكن أغلب مصنفات احمد بن أبى الأشعث هي فى صناعة الطب ، وكل منها تام المعنى لا يوجد لها نظير فى الجودة ، توفي سنة (٣٥٠هـ) (١٧) .

ومن أشهر تلاميذه محمد بن ثواب الموصلى ويعرف بابن الثلاث ، حيث لازمه كثيراً وكان خبيراً فى صناعة الطب (١٨) .

الوزير ابن كلس :

هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس أبو الفرج ، من الكتاب الحساب ، ولد ببغداد ، وسافر به أبوه الى الشام ، ثم أنفذه الى مصر (١٩) ، وهو يهودياً

من أهل بغداد ، ذا مكر ودهاء ، وفيه فطنة وذكاء ، وكان في قديم أمره خرج الى الشام فنزل الرملة ، وصار بها وكيلاً ، وكسر أموال التجار وهرب الى مصر^(٢٠) .
فرأى منه كافر الاخشيدي فطنة وخبرة وسياسة في الأمور ومعرفة بأمر الضياع بمصر ، فقال : لو كان مسلماً يصلح أن يكون وزيراً ، فأسلم يوم الجمعة في جامع مصر ، ولما ولي العزيز سنة خمس وستين استوزره واستمر الى أن مات سنة (٣٨٠هـ)^(٢١) .

وله مصنف كتاب في الفقه على مذهب الفاطمية يعرف بالرسالة الوزيرية وكان يعقد المجالس في الجامع العتيق ويقرر المسائل الفقهية^(٢٢) .
الخاتمة

يعد الشيخ الطبيب احمد بن محمد البلدي من الشخصيات المهمة في التاريخ العربي الإسلامي ، وهو من مدينة بلد ، وله الدور الرئيسي في زمانه لصناعة الطب ومعالجة المرضى ، وكان متميزاً في مجال عمله ، وتأثر به آخرين ، وكان له تلاميذ ، وقدم خدمة لهم وتدريسهم وملازمته لهم ، وكان له مؤلفات لخدمة الطب، أما أهم النتائج التي توصل إليها الباحث هي :

- ١ . يعتبر احمد بن محمد البلدي من كبار أطباء عصره
- ٢ . له تلاميذ اشرف عليهم ولازمهم علمياً وعملياً .
- ٣ . من أشهر تلاميذه احمد بن أبي الأشعث وكان متميزاً في صناعة الطب ولديه مؤلفات كثيرة في الطب وغيره .
- ٤ . قربه الوزير ابن كلس لعلمه وبراعته في صناعة الطب .
- ٥ . له مصنفات في مجال الطب وخاصة كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم.
- ٦ . اعتمد عليه الأطباء الذين عاصروه والذين من بعده لمكانته العلمية وخبرته .
وفي الختام أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجه الله تعالى وخدمة لتراثنا العزيز ومن الله التوفيق.

الهوامش:-

(١) - بلد : وردت أسماء عديدة لهذه المدينة حسب العصور والدول ، وتحديدأ في العصر الاسلامي سميت تسميات مختلفة ، الا ان الاسمين الشانعين لها في المصادر التاريخية والجغرافية هما : بلد ، بلط ، أي الموصل القديمة ، وتقع فوق الموصل على شاطئ دجلة وبينهما احد وعشرون ميلاً ، وهي كثيرة الزرع والاموال ، وليس لها ماء جار غير دجلة فمنه شرب أهلها ومنه يتصرفون ، ومنها الى مدينة سنجان سبعة وعشرون ميلاً ، وسنجان من مدينة بلد في البرية غرباً ، وهي سند جبل بها مياه وضياع وعليها سور من حجر حصين ، وبها ثمار كثيرة ، ولموقعها الجغرافي شمال غرب الموصل على طريق القوافل التجارية المؤدية الى نصيبين وسنجان ، ويذكر بعض المؤرخين انها قرية من قرى الموصل ، وتاريخ نشوء بلد يعود الى العصور الاشورية القديمة ، وان اطلالها وسورها والمباني القديمة لا تزال ظاهرة للعيان ، ولها أهمية كبيرة منذ القدم وذلك لتوفر المقالع الحجرية الضخمة والمرمر والحلان الصالحة لعمل التماثيل والمنحوتات وبناء القصور ، ينظر : المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت ٣٨١هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ (بيروت : دار صادر - ١٩٩١م) ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبي (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية - ١٤٠٩هـ) ، ج٢ ، ص٦٦٠ ؛ المديرية العامة للمواقع الأثرية في العراق ، رقم الاضبارة : ٥ ، ص٢٤٢ ؛ عبد الله امين آغا ، بلد (أسكي موصل) ، (الموصل : مطبعة الموصل - ١٩٧٤م) ، ص١٣ .



- (٢) - ابن أبى اصبيعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى موفق الدين ابو العباس (ت٦٦٨هـ) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (بيروت : دار مكتبة الحياة - بلات) ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (٣) - كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغنى دمشقى (ت١٤٠٨هـ) ، معجم المؤلفين ، (بيروت : دار إحياء التراث - بلات) ، ج٢ ، ص٨٦ .
- (٤) - عبد الله أمين آغا ، بلد (اسكى موصل) ، ص٩٢ .
- (٥) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (٦) - عبد الله أمين آغا ، بلد (اسكى موصل) ، ص٨٦-٨٧ .
- (٧) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (٨) - كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص٨٦ .
- (٩) - محمد ، محمد الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ط٣ (بغداد : مركز أحياء التراث العلمى العربى - ١٩٨٩م) ، ص١٨٢ .
- (١٠) - محمد الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ص١٨٢ .
- (١١) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٢) - كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص١٤٨ .
- (١٣) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٤) - المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٥) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٦) - المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٧) - كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص١٤٨ .
- (١٨) - ابن أبى اصبيعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٣٣٢ .
- (١٩) - ابن عساکر ، أبو القاسم على بن هبة الله (ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروى ، (بيروت : دار الفكر - ١٩٩٥م) ، ج٧٤ ، ص١٧٩ .
- (٢٠) - الذهبى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، (القاهرة : دار الحديث - ٢٠٠٦م) ، ج١٢ ، ص٤٠٩ .
- (٢١) - الزركلى ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس دمشقى (ت١٣٩٦هـ) ، الأعلام ، ط٥ (بيروت : دار العلم للملايين - ٢٠٠٢م) ، ج٨ ، ص٢٠٠٢ .
- (٢٢) - الحنفى ، شمس الدين محمد بن علي بن حمارويه بن طالون دمشقى الصالحى (ت٩٥٣هـ) ، أنباء الأمراء بأبناء الوزراء ، تحقيق : مهنا حمد المهنا ، ط١ (بيروت : دار البشائر الإسلامية - ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٥٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥) ابن عساکر ، أبو القاسم على بن هبة الله (ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروى ، (بيروت : دار الفكر - ١٩٩٥م) ، ج٧٤ ، ص١٧٩ .

مصادر البحث

القرآن الكريم

أولاً . المصادر الأولية :

- الإدريسى ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبى (ت٥٦٠هـ)
- ١ . نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية - ١٤٠٩هـ) .
- ٢ . ابن ابى اصبيعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى موفق الدين ابو العباس (ت٦٦٨هـ)
- ٣ . عيون الأنبياء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (بيروت : دار مكتبة الحياة - بلات) .
- ٤ . الحنفى ، شمس الدين محمد بن علي بن حمارويه بن طالون دمشقى الصالحى (ت٩٥٣هـ)
- ٥ . أنباء الأمراء بأبناء الوزراء ، تحقيق : مهنا حمد المهنا ، ط١ (بيروت : دار البشائر الإسلامية - ١٩٩٨م) .
- ٦ . الذهبى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)
- ٧ . سير اعلام النبلاء ، (القاهرة : دار الحديث - ٢٠٠٦م) .
- ٨ . ابن عساکر ، أبو القاسم على بن هبة الله (ت٥٧١هـ)
- ٩ . تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروى ، (بيروت : دار الفكر - ١٩٩٥م) .

٦. المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت٣٨١هـ)
٦. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ (بيروت : دار صادر - ١٩٩١م)
ثانياً . المراجع الحديثة :
٧. كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت١٤٠٨هـ)
٧. معجم المؤلفين ، (بيروت : دار احياء التراث - بلات) .
٨. الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)
٨. الأعلام ، ط١٥ (بيروت : دار العلم للملايين - ٢٠٠٢م) .
٩. عبد الله امين آغا
٩. بلد (أسكي موصل) ، (الموصل : مطبعة الموصل - ١٩٧٤م) .
١٠. محمد ، محمد الحاج قاسم
١٠. تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ط٣ (بغداد : مركز أحياء التراث العلمي العربي - ١٩٨٩م) .
١١. المديرية العامة للمواقع الأثرية في العراق ، رقم الاضبارة : ٥ .